جَدَلِيَّةُ العَلاقةِ بَيْنَ المُثقفِ وَالسُّلْطةِ فِي الخِطَابِ الأدبِيِّ
المُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش نمُوذجا

إعْـدَاد

طه غالِب عبد الرَّحيم طه

المُشــرِف

الأستَاذ الدُّكتور خَالِد عَبْد العَزِيز سُلَيمان الكَرَكِيّ

قُدّمتْ هذه الأطروحة استكمالاً لمُتطلّبات الحُصُول على دَرَجة الدُّكتُوراة في اللُّغة العربيَّة

كلِّيَّة الدِّرَاسات العُليا
الجَامِعة الأردنيَّة

كَانُون أوَّل ٢٠١٠م

قرار لجنة المُناقشة

نُوقشت هذه الأطروحة: (جَدَليَّة العَلاقَةِ بَيْنَ المُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ في الخِطَابِ الأَدَبِيِّ ــ المُتَنبّي وَمَحْمُود دَرْوِيش نموذجا)، وأجيزت بتاريخ: ٦/٨/ ٢٠١٠م

أعضاء لجنة المُناقشة	التوقيع
الأستاذ الدُّكتور: خالد عبد العزيز سُلَيْمان الكركيّ، مُشرفاً أستاذ ــ الأدب الحَديث	....
الأستاذ الدُّكتور: إبراهيم عبد الرَّحيم السَّعافين، عُضواً أستاذ ــ الأدب الحَديث والنقد	....
الأستاذ الدُّكتور صَلاح مُحمَّد جَرّار، عُضواً أستاذ ــ الأدب الأندلسيّ والمغربيّ	....
الأستاذ الدُّكتور زياد صَالح الزُّعبيّ، عُضواً أستاذ ــ الأدب الحَديث (جامعة اليرموك)	....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع .... التاريخ ١٥/٩/٢٠١٠

الإهْـــــدَاءُ

إلَيْهِــمْ ...

حِينَ يَلْتَحِقُونَ بالسَّمَاءِ
أسْـــرَى عَلَى ثُغُورِ الْوَطَن

إلَيْهِــمْ ...

حِينَ يَرْحَلُونَ صَوْبَ الضِّيَاءِ
شُهَـــدَاءَ وَالأَرْضُ لَهُمْ كَفَن

إلَيْهِــمْ ...

حِينَ يَشْتَمِلُــونَ بِالْفِــدَاءِ
رُسُلا لِلْحُرِّيَّةِ فِي ذُرَا الْقُنَن
(إلَى هَـــــــــــــــؤُلاءِ)

وَإلَى أبِي وَأُمِّي
وَزَوْجَتِي
ورَهَف وَالْبَرَاء
وَأُخَيَّاتِي

وَكُلِّ مَنْ آمَنَ بِرِسَالَةِ الثَّقَافَةِ وَحِكْمَةِ رُسُلِهَا، فِيْ سُمُوِّ الأُمَّةِ وَسَامِقِ رِفْعَتِهَا ...
إلَيْهِمْ جَمِيعاً ...
أهْـــــــــــــــدِي فِكْرَتِي،
وَكَلِمِي،
وَمَزِيدَ أمَلِي ...

شُكْــرٌ وَتَقْدِيــرٌ

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ التي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَــاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾. "سورة النَّمْل: الآية ١٩"

ما الشُّكْر إلا بارقة إحبابٍ إلى من أضاء للكَلِمة فضاءها، وَأعمل في المَنْهج سُمُوَّ التَّوْجيه وَالنَّظَر؛ وعليه:

ـــ فإنَّني أُزْجِي لأستاذي الدّكتور خَالِد عبد العَزِيز الكركيّ، الشُّكْر أجزله، وَالامتنان أوفاه، على ما خصَّنِي به من احتضان الفِكْرة، وَإضاءتها بجرأة النَّقْد، وَحِكْمة المَــنْهج، فـــي موضـــوعيَّةٍ وَتجرُّدٍ.

ـــ كما أُوَجِّهُ الشّكْر أجمله، إلى أساتذتي الأفاضل: الأستاذ الدُّكتور إبراهيم عبد الرَّحِيم السَّعافِين، وَالأستاذ الدُّكتور صَلاح مُحمَّد جرَّار، وَالأستاذ الدُّكتور زِيَاد صَالِح الزُّعْبيّ؛ لوقوفهم على هــذه الأطروحة، بصَادِق التَّوْجيه المعرفيِّ، وَسَامِق الإرشاد المَنْهجيِّ.

ـــ وليس لي أن أخطَّ هذه الكلمات، دون أن أتقدَّم إلى أساتذتي الكِرَام، في قسم اللُّغَـــة العربيَّـــة، بالجامعة الأردنيَّة، بخالص الشُّكْر، وَفائق العِرْفان؛ لما أفدته في حلقاتهم البحثيَّة، مـــن رُسُـــوخ طَرَائِق الدَّرْس، وَأصالة الفِكْر، وَجِدَّة الرَّأي.

ـــ وَأُرْسِلُ مزيد شُكْري إلى مُوظّفي مكتبة الجامعة الأردنيَّة، تلك التي شرفت بالتَّقْليب في دررها الثَّرَّة؛ فكان أن صقلت مَعارفي، وَأنارت سُبُلِي، على ما في مسؤوليها الكِرَام من حسن التَّعاوُن، وَلَطِيف التَّعامُل.

ـــ وَإلى كُلِّ من لم يَأْلُ جهداً، في تقديم النَّصِيحة، وَإبداء المَشُورَة، مُنْتَهَى تقــديري، وَخَـــالِص إكباري، وَالرُّوح مِنِّي مُحتَشِدةٌ بكُلِّ المُنَى لهم جميعا، بأسمى مَرَاتِبِ التَّفوُّق وَالسَّدَاد.

فِهْرِس المُحتَويات

جَدَلِيَّةُ الْعَلاقةِ بَيْنَ الْمُثقّفِ وَالسُّلطَةِ فِي الْخِطَابِ الأدَبيِّ
الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش نموذجاً

إعْدَاد

طه غَالِب عبد الرَّحيم طه

المُشرِف

الأستاذ الدُّكتور خَالِد عبد العَزيز سُلَيْمَان الكركيّ

مُلَخَّص

تُقدِّم هذه الدِّراسة مِهَادًا نظريًّا في البصائر الكلّيَّة "للجدليَّة"؛ من خلال الفصل الأوّل، الـــذي تضمن مبحثين اثنَيْن؛ جاء الأوّل لبيان "التَّأطير الشَّكليِّ للدِّراسة"، وعرَّج الثَّاني على "التَّـــأطير المضمونيِّ لها".

أمَّا المبحث الأوَّل؛ فعالج بأربعة مطالب: "وجوه جدليَّة العلاقة بـــين المُثقَّــف وَالـــسُّلطة"، وَ"موقع المُتنبِّي وَمحمود درويش من الجدليَّة"، وَ"قراءة مفهوم المُثقَّف لغةً وَاصطلاحًا"، وَ"قراءة مفهوم السُّلطة لغةً وَاصطلاحًا".

وقد تشكَّل المطلب الأوَّل في مسردي: الأنا والآخر؛ لتتبدَّى الأنا في محوري: "أنا الثَّقـــافيّ الذَّاتيّ" وَ"أنا الاشتماليّ الذَّاتيّ"، بينما تجلَّى الآخر من خـــلال محـــوري: "الآخـــر الفـــرديّ أو الاشتماليّ" وَ"الآخر السِّياسيّ"، وكان للمطلب الثَّاني أن يعرض من خلال مسردين اثنَيْن: "موقع أبي الطَّيِّب المُتنبِّي من الجدليَّة"، وَ"موقع محمود درويش من الجدليَّة"؛ أمَّـــا المطلبـــان الثَّالـــث وَالرَّابع؛ فكان كلٌّ منهما ماثلاً في مسردَيْن اثنَيْن؛ واقعين في نطاقي: "الدَّرس اللُّغويِّ" وَ"الاستكناه الاصطلاحيِّ".

وَقد جاء المبحث الثَّانِي في ستَّة مطالب؛ أرست لملامح السُّلْطات السِّتِّ، في المقام التَّأصيليِّ الاجتماعيِّ؛ وهي على ذلك متراتبةً في: السُّلْطة الدِّينيَّة، وَالسُّلْطة الاجتماعيَّة، وَالسُّلْطة الاقتصاديَّة، وَالسُّلْطة المعرفيَّة الفِكْريَّة، وَالسُّلْطة الثَّقافيَّة، وَالسُّلْطة السِّياسيَّة.

وتبدَّى المنحى التَّحليليُّ لِـ"**جَدَلِيَّةِ الْعَلاقَةِ بَيْنَ الْمُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ، عِنْدَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش**"، من خلال فصلَيْن اثنَيْن؛ كان أوَّلهما لِـ"صور الأنا السُّلطويَّة في الخِطاب الأدبيِّ"، ممثَّلة في: "صورة الأنا الدِّينيَّة"، وَ"صورة الأنا الاجتماعيَّة"، وَ"صورة الأنا الاقتصاديَّة"، وَ"صورة الأنا المعرفيَّة الفكريَّة"، وَ"صورة الأنا الثَّقافيَّة"، وَ"صورة الأنا السِّياسيَّة".

وَعرض ثانيهما لِـ"صور الآخر السُّلطويَّة في الخِطاب الأدبيِّ"، مُجَسَّدة في: "صورة الآخر الدِّينيَّة"، وَ"صورة الآخر الاجتماعيَّة"، وَ"صورة الآخر الاقتصاديَّة"، وَ"صورة الآخر المعرفيَّة الفكريَّة"، وَ"صورة الآخر الثَّقافيَّة"، وَ"صورة الآخر السِّياسيَّة".

وقد انتهج الباحث في الدَّرْس التَّحْليليِّ نهجًا واحدًا؛ مُمثَّلاً في تقسيم الفصلَيْن إلى ثلاثة مباحث؛ لدراسة تجلِّيات هذه العناوين في النَّماذج الشِّعريَّة، عند المُتنبِّي في أوَّلها، وإجراء الوجهة التَّحليليَّة نفسها، على الخِطاب الأدبيِّ، عند محمود درويش في ثانيها؛ وَالمُوازَنة بين المُتنبِّي وَمحمود درويش ــ على نحوٍ مُقتَضبٍ ــ في ثالثها، مع تضمين هذه المباحث ستًّا من المطالب؛ مُوازَاة للعناوين الرَّئيسيَّة قيد الدَّرْس في كُلِّ فصلٍ.

وقد شُفِّعَتِ الدِّراسة بخلاصةٍ؛ تضمَّنت أهمَّ النَّتائج، فضلاً عن التَّوصيات، مع بيانٍ كاشفٍ بِثَبَتِ المَصادِرِ وَالمَراجِعِ وَالأبحاث المنشورة وَالرَّسائِل الجامعيَّة وَالنَّدوات وَالبرامج التِّلفزيونيَّة وَالصُّحُف اليوميَّة، فضلاً عن المَواقِعِ الإلكترونيَّة، وَالمراجع المكتوبة باللُّغة الإنجليزيَّة.

وَوُظِّفت في هذه الدراسة عدَّة مناهج؛ هِيَ: المنهج الوصفيُّ، وَالمنهج المَسْحيُّ، وَالمنهج التَّاريخيُّ، وَالمنهج الاستردادِيُّ، وَالمنهج الاستدلاليُّ (الاستنباطيُّ)، وَالمنهج الاستقرائيُّ، مع الإفادة من الأنظار المَنْهجيَّة في الدَّرْس الأدبيِّ، في أطر: النَّقد الثَّقافيِّ وَالاجتماعيِّ وَالنَّفْسيِّ وَالأسطوريِّ وَالبنيويِّ وَالأسلوبيِّ والجماليِّ، وفق رؤيةٍ منهجيَّةٍ تكامليَّةٍ.

الْمُقدِّمَـــةُ

الحمد لله وَكفى، وَالصَّلاة وَالسَّلام على النَّبيِّ المُصطَفى، صلَّى الله عليه وَعلى آله وَصحبه وَسلَّم تسليمًا كثيرًا، أمَّا بعد:

فهذه دراسة تحليليَّة في "**جَدَلِيَّةِ الْعَلاقةِ بَيْنَ الْمُثقَّفِ وَالسُّلْطَةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ ــ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش نموذجًا**"، عمدت فيها إلى توظيف مناهج بحثيَّةٍ عدَّةٍ؛ فقد وظَّفت المنهج الوصفيَّ؛ لغاية الوقوف على قيود البحث وَمُبرِّراته ومِهَاده النَّظريِّ، مُتوقِّفًا عند أصول التَّحليل اللاحق بالتَّوضيح وَالبيان.

ثم تَخِذْتُ المنهج المسحيَّ؛ في قراءة نتاجي المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش، مع انتخاب النَّماذج على مرحلتَيْن؛ توجَّهت في الأولى نحو ضمٍّ شتيت النَّماذج المُعبِّرة عن الظَّاهرة الواحدة، ثُمَّ انتخبت في الثَّانية أصدقها تَساوُقًا معها، مع إحالتي الإشاريَّة في الحاشية، إلى الأمثلة الأخرى، في مواطنها، من دِيوَان المُتنبِّي وَأعمال مَحْمُود دَرْوِيش الكَامِلَة.

وكان أن أتبعت ذلك بالنَّهْج التَّاريخيِّ؛ لتتبُّع أخبار المُتنبِّي، وَأصول الميثولوجيا عند مَحْمُود دَرْوِيش، مع ترسيخ المنهج الاستردادِيِّ؛ لتحليل الأسباب الكُلِّيَّة، وَالدَّوافع المنطقيَّة، في تشكيل الخِطَاب السُّلْطويِّ الثَّقافيِّ في ناجزه، كما وظَّفت المنهج الاستدلاليَّ (الاستنباطيَّ)؛ بغية الرَّبط بين مُقدِّمات الخِطَاب الشِّعْري وَنتائجه في الجدليَّة السُّلْطويَّة؛ وخلصت من ذلك إلى المنهج الاستقرائيِّ؛ لغاية الوُقُوف على الأحكام الكُلِّيَّة في الخاتمة، بناء على النُّصُوص الشِّعْريَّة، وَشروحاتها التَّفصيليَّة.

أمَّا في شأن مناهج الدَّرْس الأدبيِّ؛ فقد كان محتكمي في ذلكم التَّوليف بين أعمقها دلالةً على مضمون القَصِيد؛ فكان المنهج الاجتماعيُّ المشتمل على الرُّؤى الثَّقافيَّة في القراءة التَّحليليَّة الكُلِّيَّة، وَحضر المنهج النَّفْسيُّ في استكناه دواخل الشَّاعرَيْن، مع توجُّهي إلى المناهج الجماليَّة وَالأسلوبيَّة وَالأسطوريَّة وَالبنيويَّة، بمراتب مُتباينةٍ؛ لاستنطاق خَبْءِ النُّصُوص الشِّعْريَّة على نحوٍ كاشفٍ.

وَقد ارتأيت الوُقُوف على هذه الجدليَّة؛ لما تضمَّنته من دواعي القــراءة الثَّــرَّة للخِطَــاب الأدبيِّ؛ ذلك أنَّها كائنةٌ في نطاق الدَّرْس الاجتماعيِّ، الذي يُكرِّس السُّلْطة في أظهــر النِّطاقــات قُوَّةً، مُمثَّلةً في الدِّين وَالاجتماع وَالاقتصاد وَالمعرفة وَالثَّقافة وَالسِّياسة، مع الجدليَّة الكائنة بينهــا جميعًا، على صعيدٍ مُجتَمعيٍّ واحدٍ، وفيها تداوليَّة الصُّعُود وَالهُبُوط حسب عوامل المُكْنة وَالتَّأثير، وهو ما ينفي ما اتَّفق عليه الفكر العامُّ، من حصر السُّلْطة الفعليَّة في النِّطاق السِّياسيِّ.

ثُمَّ إنَّ للثَّقافة سلطةً أعتى من هاتيك جميعًا؛ بفضل الكلمة التي تحتكم إلى فــصل البيــان، وَالخِطَاب الأدبيِّ المُجلِّل بالحُجَّة وَالبُرْهان، وَهي التي تعوزها قُوَّةُ السِّياسة الرَّشِيدة، في إعــادة الألق الحضاريِّ للأمَّة.

وَسعيت ــ من خلال ذلك ــ إلى توضيح الجدليَّة، من ناحية تملُّك الشَّاعِر هاتيك السُّلطات في مراتب مُتباينةٍ؛ بغية إحكام التَّأثير على وجدان المُتلقِّي وَوعيه، غير أنَّ ما ألهب حماستي ــ للانطلاق في رحاب هذا البحث ــ جلال قدر المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش في ميدان الأدب، وَتوارد المُتوازيات التَّشاكُليَّة بينهما، في الأطر الرَّئيسيَّة، التي شملتها بالتَّبصُّر، مع تقديم المِثَال الأدبيِّ، على الحالة التَّنظيريَّة السَّابقة، بأنموذجَيْن مختلفي البِنَاء، مُتَّحدين في ترســيخ القيمــة الأدائيَّــة للوظيفة الثَّقافيَّة، في السِّياق المُتَّصل بقضايا الإنسان وَالمجتمع.

وقد أفدت في هذا الدَّرْس من نتاج الشَّاعرَيْن؛ فكان لديوان المُتنبِّي بشرح البرقوقيِّ، (طَبْعَة دار الكُتُب العِلْميَّة)، وَأعمال مَحْمُود دَرْوِيش الأُولَى وَالجَدِيدَة الكَامِلَة وَالمَجْمُوعَة الأَخِيرَة، (طَبْعَة رِيَاض الرَّيِّس)، حضور في مسيرتي البَحْثيَّة من المُبتَدأ وَحتَّى المُنتَهى، كما أفدت مــن كتــاب أستاذي الدُّكتور خالد الكركيّ: "قراءات في الثَّقافة وَالسُّلْطة وَالإعلام"، فــي اســتجلاء الظِّــلال الرَّئيسيَّة للدَّرْس النَّظريِّ، فضلاً عن دراساتٍ مُتكاثِرةٍ، في مجال التَّأصيل النَّظــريِّ لمفهــومي: "المُثقَّف" و"السُّلْطة".

وقد استللت من كتب الدَّرْس الاجتماعيِّ شتيت إشاراتها؛ لتشكيل القاعدة التَّأصيليَّة لنظريَّــة الدِّراسة، القائمة على تحليل جدل السُّلطات الاجتماعيَّة الرَّئيسيَّة، في دواخل الأنا، ومع الآخــر، انطلاقًا من مُؤثِّر القُوَّة، ثُمَّ وجَّهت عنايتي إلى كتب الفلسفة وَالسِّياسة؛ بغية إضاءة الشِّعْر برؤى الفكر؛ مع حضور المصادر الأجنبيَّة المترجمة وَالــدَّوريَّات وَالرَّســائل الجامعيَّــة وَالبــرامج

التّلفزيونيَّة وَالمواقع الإلكترونيَّة، في مقام التَّأثير الذي صدحت به الحواشـي، علـى سـبيلي: الاقتباس النَّصِّيِّ المباشر أو الإحالة الإشاريَّة، وَالمَتْن لم يزل يتضمَّن خلاصة ما استللت منهـا جميعا، بصورة مُتَّسقةٍ مع البناء الكُلِّيِّ لمضمون الدِّراسة، إلاّ أن يرد الشَّاذُّ من الرَّأي؛ فأسـوقه لبيان الرأي المُقابِل، مع سعيي في مِهَاد البحث إلى التَّوليف بين الآراء المُؤصِّلة للنَّظريَّة علـى نحوٍ مُبينٍ.

وانتهجت في هذه الدِّراسة نهج تفعيل الدَّوْر التَّنويريِّ للحواشي؛ لغاية تجنُّب استطالة المتن، في شأن قدرٍ مُتكاثِرٍ من النَّماذج، التي انتخبتها للتَّحْليل؛ لأتَّخذ منها مُتَّكأً للإحـالات الإشـاريَّة، بشأن النَّماذج الشِّعريَّة، التي تستوجب من القارئ إعمال الفكر فيها، على ما تضمَّنته من مفارقة التَّأويل، ثُمَّ استلزم السِّياق التَّنبيه في المتن إلى بعض المفاهيم الأدبيَّة والفكريَّة، المُتَّـسقة مـع الدِّراسة، وهنا كانت الحواشي حاضرةً، في الإشارة إلى بعض الكتب وَالأبحاث، التي وَقَفَتْ على هاتيك المفاهيم، وفق معاينتي لها، وَالوقوف على مضامينها.

وَحقيقٌ عليَّ أن أنبِّه إلى قضايا منهجيَّةٍ، تتَّصل بمنهج الدَّرْس؛ يتعلَّق أوَّلها بالتَّرتيب المعتمد للسُّلطات السِّتِّ، في الإطارَيْن النَّظريِّ وَالتَّحْليليِّ، وفق رؤيتي الذَّاتيَّة؛ ذلك أنَّ الدِّين يُمثِّل قاعدة القيم وَالتَّصوُّرات، وَالمُجتَمع مُحتَضن الأخلاق وَالمسلكيَّات، وَالاقتصاد مُعزِّز الدَّوَافِع وَالطَّاقَات، وَالمَعْرِفَة المُجلِّلة بِالفِكْر منبعث الرُّؤَى وَالنَّظريَّات، وَالثَّقَافَة موئل المواقف وَالكُلِّيَّات، وَالـسِّيَاسَة قائمة عليها جميعًا بتنظيم العلاقات؛ وَالتَّراتُب على ذلك انطلاقٌ من القاعدة الدِّينيَّة إلـى الـسُّموِّ الثَّقافيِّ، مع ترسيخ السِّيَاسَة في مقام التَّنْظِيم.

أمَّا القضيَّة الثَّانية؛ فمجالها "الآخَر"؛ على ما في هذه المَفْهُوم من قيدٍ، عمَّقه الدَّرْس الأدبـيُّ الحَدِيث، في الضِّدِّ المُخَالِف، وَقد رأيت التَّوسُّع في المَفْهُوم، وفق المُؤشِّرات المعنويَّة للكلمة، في إطارها الدَّلاليِّ؛ ليضمَّ المُتَناقِضات، من مثل: "سَيْف الدَّوْلة" وَ"الدُّمستق"، وَ"جَمَال عبد النَّاصِـر" وَ"اليَهُود"؛ وَليس لذلك غاية إلا بيان صورة السُّلْطة في مُحْتَضَن "الآخَر النَّظِير" وَ"الآخَر الضِّدّ"؛ لغاية تقديم نظرةٍ أشمل لتجلِّياتهما، في خطابي المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش.

وَترتبط القضيَّة الثَّالثة بِالتَّدَاخُل، وَذلك من وجهَيْن؛ أوَّلها التَّدَاخُل بين "الأَنَا" وَ"الآخَر" فـي سياق التَّحْليل، حين يُقدِّم العنوان لأحدهما؛ وَلهذا الوَجْه دلالته على الجَدَل السُّلْطويِّ، ثُمَّ إنَّ فيـه

تأكيدًا على أنَّ الخِطَاب الأدبيَّ، لا يُقرَأ دون إحراز الهدف التَّكامُليِّ في الرُّؤْيَة وَالتَّصوُّر؛ وَثانيهما التَّدَاخُل بين بعض العناوين؛ في الوُقُوع على نَصٍّ شعريٍّ واحدٍ، كما في "**بطَاقة هُوِيَّة**"، وَقد حضر النَّصُّ الشِّعْرِيُّ في غير سُلْطَةٍ، منسوبًا للأنَا ثُمَّ للآخَر؛ مِمَّا يُعزِّز غاية هذا الدَّرْس، في قراءة جَدَل السُّلطات السِّتِّ بين "الأنَا" وَ"الآخَر"، وفق رؤيةٍ تكامليَّةٍ في النَّصِّ الوَاحِد؛ أمَّا ظُهُورها على هذا النَّحْو المُتَرَاتِب في إطاري النَّظريَّة وَالتَّحْليل، فضرورةٌ أوجبها تقديم النَّظريَّة وفق مستوياتها الرَّئيسيَّة؛ بغية الدَّلالة على كُلِّ سُلْطَةٍ بمثيلها النَّصِّيِّ، دونما وسم النَّصِّ بها على نحوٍ قاطعٍ، وما ذلك إلا تفكيكٌ لا يكتمل إلا بقراءة الخِطَاب كُلاًّ مجتمعًا.

وَيتضمَّن البَيَان الإشاريُّ للقضيَّة الرَّابعة منطلق نهج الدَّرْس، من شخص المُثقَّف، الذي حرص على تَمَلُّك المُؤثِّرات السُّلْطويَّة، في دلالتها على القُوَّة؛ لغاية إحراز التَّأثير؛ مع كونه مُتأثِّرًا ضمنًا بِالسُّلطات الأخرى، وَهو ما تحقَّق لنا إبانة بعض جوانبه، في سياق الإضاءات المختلفة لِمُؤشِّرات الخِطَاب المعنويَّة، وَأقطابه السُّلْطويَّة، وَالجَدَل القَائِم بينها جميعًا.

وَتشمل هذه الإشارات المنهجيَّة، سائر النَّمَاذِج الشِّعْريَّة، التي وقفت عليها عند المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش، مع التَّنبُّه إلى أنَّه ليس من وجه تحقيرِ إنزال الشَّاعِر منزلته في سياق الظَّاهرة سموًّا أو نكوصًا؛ فذلكم موقفه، ولنا عليه مزيد النَّظر وَالبَيَان، في إعطاء كُلِّ ذي حقٍّ حقَّه، وفق رؤية الشَّاعِر المُثقَّف فحسب، مع اعتماد التَّصْريح دون تجريحٍ.

وقد قسَّمت هذه الدِّراسة إلى ثلاثة فصولٍ:

- أمَّا الفَصْل الأوَّل؛ فقد كان مِهَادًا نظريًّا للدِّراسة، عالجت فيه البصائر الكُلِّيَّة للجدليَّة، من خلال مبحثَيْن رئيسيَّيْن؛ أطَّرت في أوَّلهما للشَّكْل من خلال أربعة مطالب، ناقشت فيها ــ وفق رؤيتي الذَّاتيَّة ــ وجوه الجدليَّة الأربعة، انطلاقًا من محوري الأنا وَالآخر، ثُمَّ أَبَنْتُ موقع المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش منها، مُلْتمسًا لتمام الإبانة الشَّكْليَّة، استجلاء مفهومي "المُثقَّف" وَ"السُّلْطة"؛ بوصفهما القُطبَيْن الرَّئيسيَّيْن لعنوان الدِّراسة، وعرَّجت في المبحث الثَّاني، على تقديمٍ نظريٍّ للسُّلطات السِّتِّ: السُّلْطة الدِّينيَّة، وَالسُّلْطة الاجتماعيَّة، وَالسُّلْطة الاقتصاديَّة، وَالسُّلْطة المعرفيَّة الفكريَّة، وَالسُّلْطة الثَّقافيَّة، وَالسُّلْطة السِّيَاسيَّة؛ لكونها جميعًا مُحتَكم الدَّرْس التَّحليليِّ في الفصلَيْن اللاحقَيْن.

- وقد وقفت في الفَصْل الثَّانِي على "صُورِ الأنَا السُّلْطَوِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ"، عند المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش، من خلال ثلاثة مباحث رئيسيَّةٍ؛ خَصَصْتُ المُتنبِّي بأوَّلها، وَأفردت ثانيها لِمَحْمُود دَرْوِيش؛ ليقع كُلٌّ منهما في ستَّة مطالب، عرضت فيها لصور: الأنَا الدِّينِيَّةِ، وَالأنَا الاجْتِمَاعِيَّةِ، وَالأنَا الاقتِصَادِيَّةِ، وَالأنَا المَعْرِفِيَّةِ الفِكْرِيَّةِ، وَالأنَا الثَّقَافِيَّةِ، وَالأنَا السِّيَاسِيَّةِ؛ من حيث التَّجلِّي السُّلطويِّ فيها؛ ليكون المبحث الثَّالِث موازنةً مُقتضبةً بين الشَّاعرَيْن في هذه الصُّور جميعًا.

- وأجريت في الفَصْل الثَّالِث الدَّرْس على "صُوَرِ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ"، على الطريقة ذاتها في تقسيم المباحث، وتوزيع المطالب، مع اعتلاق الصُّور بالآخر، مُوازِنًا في المبحث الثَّالث بين الشَّاعرَيْن، في وحي المُعالَجات البحثيَّة السَّابقة.

- وأتبعت هذه الفصول الثَّلاثة بخلاصةٍ، عرضت فيها أظهر نتائج هذه الدِّراسة، مع تضمُّن المُوازَنات الدَّاخليَّة، في المبحث الثَّالِث من كُلِّ فَصْلٍ، قسطًا وافرًا من تفصيلاتها، ثُمَّ قدَّمت توصيتي بدراسة هذه الظَّواهر على نحو مُستقِلٍّ شاملٍ.

هذا، وَأرجو من الله العلي القدير أن يُجنِّبنا الزَّلل، وَأن يرشدنا إلى صادق العمل، مُؤمِّلاً من قارئ هذه الدِّراسة التماس العُذْر فيما يُجانِب فكره؛ فما درسي إلاّ جهدٌ إنسانيٌّ مُتواضِعٌ، عمدت فيه إلى استنطاق صدق النَّظريَّة، من خلال النَّماذج الشِّعريَّة، مع توخِّي الدِّقَّة وَالموضوعيَّة، ما استطعت إليهما سبيلاً، وَهو من بعد درسٌ بشريٌّ قابل للصَّواب أو الخطأ؛ فإن أصبت فبتوفيقٍ من الله، وَإن أخطأت فألتمس من القُرَّاء العُذْر مُشفَّعا بحِكْمة التَّنْوير.

الْفَصْلُ الأوَّلُ

بَصَائِرُ نَظَرِيَّةٌ فِي أُصُولِ الْجَدَلِيَّةِ

الْمَبْحَثُ الأوَّلُ: بَيَانُ التَّأطِيرِ الشَّكْلِيِّ للدِّرَاسَةِ

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: بَيَانُ التَّأطِيرِ الْمَضْمُونِيِّ للدِّرَاسَةِ

الْمَبْحَثُ الأوَّلُ: بَيَانُ التَّأطِيرِ الشَّكْلِيِّ لِلدِّرَاسَةِ:

ــ وُجُوهُ جَدَلِيَّةِ الْعَلاقةِ بَيْنَ الْمُثقَّفِ وَالسُّلْطَةِ:

إنَّ ما يُستَوحى في فضاء كلمة "الْجَدَلِيَّةِ"؛ ليُوحِي بتعدُّد وُجُوه التَّأوُّل النَّظريِّ في رحابها، لا سيَّما حين يمسُّ الأمر علاقة المُثقَّف مع السُّلْطة، وهي على ذلك مُوجَزة فيما يلي:

ــ وَجْهُ الْعَلاقةِ بَيْنَ الْمُثقَّفِ وَالسُّلْطَةِ مِنْ خِلالِ الأنَا:

يمكننا أن نُعالِج علاقة المُثقَّف مع السُّلْطة، انطلاقا من "الأنَا"، في المحورَيْن الآتيَيْن:

الْمِحْوَرُ الأوَّلُ: أنَا الثَّقافِيُّ (الذَّاتِيُّ):

إذا ما أردنا بيان وجه العلاقة مع السُّلْطة، انطلاقا من الذَّات الثَّقافيَّة([1])؛ ألفينا أنفسنا أمام صورةٍ تُمثِّل كُلَّ المُقوِّمات المعرفيَّة وَالفكريَّة، في سبيل تشكيل الرُّؤْية الثَّقافيَّة تجاه القضايا وَالأحداث؛ إذ إنَّ العلاقة في مقصدنا هنا؛ تتجسَّد في حِنْكة المُثقَّف، وَاستجلابه المُعِينات المُؤكِّدة قُوَّة خطابه الثَّقافيِّ؛ لأداء ثلاثيَّته الخَالِدة؛ مُجسَّدة في النَّقْد ثُمَّ الإصلاح فَالتَّغْيير؛ فالسُّلْطة الثَّقافيَّة واقعةٌ على دورٍ عظيمٍ، تملَّكت فيه بفضل التَّنْوير، قُوَّة التَّأثير، في معتقدات الجَماهِير، وَهي التي يعوزها عَوْن السُّلطات الأخرى؛ لأداء واجبها على نحو ما يُؤمَّل منها.

---

[1]) أفرد الدُّكتور يُوسُف بكَّار مساحةً حسنةً لمناقشة قضيَّة الذَّات وَالآخر، في باب المُثاقفة، الذي قد ينصرف إلى أحد وجهين: التَّبعيَّة أو التَّوازُن، وما يُهمُّنا في هذا المقام اعتلاقها بالثَّقافة، من وجه التَّلاقُح الحضاريِّ، الذي ينسحب على واقع الأديب المُثقَّف، يُنظَر: بكَّار، د. يُوسُف، (٢٠٠٧م)، **عين الشَّمْس ــ مقارباتٌ في النَّقد وَنقد النَّقد**، عمَّان: مكتبة الرَّائد العلميَّة، ص١٤٦ ــ ١٥٩، (المُقاربَة الخامسة: جدليَّة الذَّات وَالآخِرة ــ المُثاقفة .. تبعيَّة أم توازنٌ ؟!).

الْمِحْوَرُ الثَّانِي: أنَا الاشْتِمَالِيُّ (الذَّاتِيُّ):

يتَّسم المُثقَّف بالإطلالة الشُّمُوليَّة على أطراف المَعَارف وَالفُنُون؛ وهو بذلك يستدعي إلى خطابه الثَّقافيِّ إضاءاتها؛ بغية تأسيسه على دعائم ركينةٍ، ثُمَّ الوُلُوج إلى فكر مُتلقِّيه، على جهتي التَّأثِير وَالتَّمثُّل، ولَمَّا كانت المَعَارف مُتضمِّنةً بَواعِث القُوَّة السُّلْطويَّة؛ فقد تشكَّلت ضمن التَّقسيم الاجتماعيِّ، في سِتِّ صورٍ رئيسيَّةٍ، هِيَ: سُلْطة الدِّين، وَسُلْطة الاجتماع، وَسُلْطة الاقتصاد، وَسُلْطة المعرفة وَالفكر، وَسُلْطة الثَّقافة الشُّموليَّة، وَسُلْطة السِّياسة؛ بوصفها جميعا ترتدُّ إلى قواعد أصوليَّةٍ معرفيَّةٍ.

ومن هنا كان وجه "الْجَدَلِيَّةِ" في نطاق "الأَنَا"؛ إذ المُثقَّف مُتَّجِهٌ إلى الإلمام الشُّمُوليِّ، الذي قد يرقى إلى مرتبة التَّخصُّص في صنفٍ معرفيٍّ مُحدَّدٍ، أو ميادين علميَّةٍ رحيبةٍ؛ وَهو بذلك يتملَّك مكامن القُوَّة فيها؛ ليُحرز مع قُوَّة رسالته الموقفيَّة، في نطاق سُلْطة الثَّقافة، قُوَّة مُوزاية أو مجموعة قوًى فاعلة، في تشكيل خطابه الثَّقافيِّ، على نحوٍ مُؤَثِّرٍ.

وَتتشكَّل في هذا الوَجْه السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة؛ أَمَّا الاجتماعيَّة فمن ناحية أنَّها تضمَّنت سُلطاتٍ مختلفةً، ترتدُّ في تقسيمها إلى "عِلْم الاجْتِمَاع"؛ وَأَمَّا الاشتماليَّة؛ فبيانٌ وصفيٌّ ثانٍ؛ يُحدِّد النَّوْع بانتفاء الفَرَادة، وَتحقيق الشُّمُول، المُتمثِّل في حِيَازة غير سُلْطةٍ مِمَّا ذُكِرَ آنفًا، مع ضرورة إدراكنا الدَّائِم تمثيل الثَّقَافة نوعًا من الاشتمال الكُلِّيِّ، على منظومتي الفِكْر وَالمَعَارِف، مُؤطَّرة بالتُّرَاث الأصوليِّ، وفق رؤيةٍ حكيمةٍ، تُجسِّد الموقف التَّنْويري تجاه الكَوْن والإنْسَان وَالحَيَاة.

ــ وَجْهُ الْعَلاقَةِ بَيْنَ الْمُثقَّفِ وَالسُّلْطَةِ مِنْ خِلالِ الآخَرِ:

لقد ظهرت علاقة المُثقَّف مع السُّلْطة، انطلاقًا من الآخر، على ما يلي:

الْمِحْوَرُ الأَوَّلُ: الآخَرُ الْفَرْدِيُّ أو الاشْتِمَالِيُّ:

يدلُّ تقييد الآخر بوصف الاشتماليِّ هُنَا؛ على تجسيد السُّلْطات: الدِّينيَّة وَالاجتماعيَّة وَالاقتصاديَّة وَالمعرفيَّة وَالثَّقافيَّة وَالسِّياسيَّة فيه؛ وَ"الْجَدَلِيَّةُ" من هذا السَّبيل؛ تُكرِّس استكناهًا لفهم العلائق الكَامِنة بين المُثقَّف من جهةٍ، وَأُولِي هذه السُّلْطات من جهةٍ أخرى، سواء أكان الآخر ذا

سُلْطَةٍ فرديَّةٍ أم اشتماليَّةٍ، مع ضرورة التفاتنا إلى تملُّك السُّلْطة السِّياسيَّة في الغالب قُوَّة الاقتصاد، التي تُؤَثِّرُ عليها سُمُوًّا أو نُكُوصًا، وفق حرصها الدَّائِم على استقطاب كُلِّ ذِي سُلْطَةٍ.

الْمِحْوَرُ الثَّانِي: الآخَرُ السِّيَاسِيُّ:

إنَّ اتِّصال السُّلْطة بالسِّيَاسَة، يأتي ضمن نطاق التَّنْظيم الكَامِل للسُّلطات الأخرى، وفق النَّهْج الفكريِّ وَالتَّشْريعيِّ الذي تتَّخذه، وهنا يكتمل بيان "الْجَدَلِيَّةِ"؛ إذ بدا في الاعتقاد السَّائِد أنَّ السُّلْطة مرادفةٌ للسِّيَاسَة، وَالحقّ الذي يجب أن يُقَرَّ به، هُوَ ما اتَّصل بوظائفها السَّابقة؛ بفضل تملُّكها قُوَّة المال وَالعسكر، فضلاً عن قدر تأثير خطاباتها وَشرائعها في المُجتَمع، ومن هنا كانت صلة المُثقَّف بالسُّلْطة في نطاق السِّيَاسَة وجهًا واحدًا من وُجُوهٍ عديدةٍ، لزمنا إدراكها على نحوٍ شاملٍ؛ كيما ندخل إلى خطاب الأدب في "الْجَدَلِيَّةِ" على نحوٍ جَلِيٍّ.

ـــ مَوْقِعُ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش مِنَ الْجَدَلِيَّةِ:

لقد تأتَّى للشَّاعِرَيْن أبي الطَّيِّب المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش؛ أن يعتلقا بـ"الْجَدَلِيَّةِ"، على نحوٍ واضحٍ؛ إذ كانا على ما بينهما من تشابه المَضَامِين وَأقطاب سلطات العصر ــ التي أشرنا إليها في الخُلاصَة، على نحوٍ موجزٍ ــ في توثُّبٍ دائمٍ للرَّحِيل نحو المَجْد السِّيَاسِيِّ؛ ذاك يطلبه لمَطْمحٍ ذاتيٍّ، يصطنع له خلاصًا مجتمعيًّا من سطوة المُلُوك، وهذا يُرسِّخه حالةً من الوحدة الجَمْعيَّة، في إطار حُرِّيَّة الدَّوْلة المُستقِلَّة، وَهُمَا في هذَيْن الرَّحِيلَيْن الكَبيرَيْن، على تَسَاوُقٍ كاملٍ مع الموقف الثَّقافيِّ التَّنْويريِّ، ثُمَّ في تمثُّلٍ بَائِنٍ لنهج السُّلطات الأخرى؛ وصولاً إلى حالةٍ من التَّجاذُب معها.

وَيمكننا أن نعرض لموقعهما من "الْجَدَلِيَّةِ"، فيما يلي:

ـــ مَوْقِعُ أبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي مِنَ الْجَدَلِيَّةِ:

إنَّ بيان موقع "الْجَدَلِيَّةِ"، من نتاج المُتنبِّي الأدبيِّ، بصورةٍ مُقتَضبةٍ؛ لكفيل أن يضعنا في صورة المُثقَّف المُتجاذِب مع كُلِّ السُّلطات، على صعيدي الذَّات وَالآخر؛ فهو من وجه التَّمثُّل الكامل للسُّلْطة الثَّقافيَّة، أديبٌ مُجلِّلٌ بحِكْمة المَوْقف، وَرِسَالة الظِّلال القيميَّة للشِّعْر؛ أمَّا شأنه في تَمثُّل السُّلطات الأخرى، على نحوٍ اشتماليٍّ، فقد اتَّصل بنطاق السُّلْطة المعرفيَّة الفكريَّة على نحو الصَّدَارَة، تلك التي كرَّسها في شعره، على كُلِّ "المُتشاعِرين"؛ بفضل براعته اللُّغويَّة وَالأدبيَّة، ثُمَّ إنَّهُ لم يزل يلمح إلى تملُّكه ومضات القُوَّة المُؤثِّرة في السُّلطات الأخرى، على نحوٍ أقلّ ظهورًا، مع سيطرة الرَّغبة الذَّاتيَّة، في تملُّك المَجْد السِّياسيِّ وَقُوَّة الاقتصاد، مشروطين بحُضُور تحالف الاستعانة مع النَّصير.

وَكان للمُتنبِّي دوره الفَاعِل في إدارة العلائق مع السُّلطات الأخرى، وفق توجُّهاتٍ استراتيجيَّةٍ مُحدَّدةٍ، تباينت بتبايُن الشُّخُوص وَالمُنَاسَبَات؛ وَهو بذلك مُعْتَلِقٌ بـ"الْجَدَلِيَّةِ" من وجه طبيعة هذه العلائق وَمُبرِّراتها وَغاياتها الكُلِّيَّةِ، وَالأمر نفسه مُنسحِبٌ على علاقته بالآخر السِّيَاسِيِّ، الذي بدا سيِّد الحُضُور في خطابه الأدبيِّ، في سائر أقطاب العلاقات التَّبعيَّة وَالتَّصالُحيَّة وَالتَّصادُميَّة، وَ"الجَدَلِيَّةُ" في هذا الشَّأن بيانٌ لعلائق عديدةٍ تجلَّت بين السُّلْطتَيْن الثَّقافيَّة وَالسِّياسيَّة، مع استجلاب الشَّاعِر المُثقَّف لخطابه الأدبيِّ أمْلاكَ العرَب وَالعجَم وَأُمَرَاءَهم.

ــ مَوْقِعُ مَحْمُود دَرْويش مِنَ الْجَدَلِيَّةِ:

يبدو تَشابُه مَحْمُود دَرْوِيش مع المُتنبِّي مَاثِلاً في أُسُس "الْجَدَلِيَّةِ" الرَّئيسيَّة؛ فقد عبَّر دَرْوِيش عن حكمته الموقفيَّة، في سائر الحُقُول الزَّمنيَّة، للقضيَّة الفلسطينيَّة، مع تَفاوُتٍ بين مُقارَبته نطاق المِثَال أو نُكُوصِه إلى الدُّون، لكنَّه في المُجمَل مُنطلِقٌ من سُلْطته الثَّقافيَّة؛ لغاية تبنِّي الهمِّ الجَمْعيِّ الفلسطينيِّ، وَالدِّفَاع عن آماله الكُبْرى في الحُرِّيَّة وَالدَّوْلة.

وَهو في نطاق ذلك مُشتمِلٌ على سُلْطة المَعْرفة وَالفِكْر؛ لبراعته في مقامي اللُّغة الإيحائيَّة المُغلَّفة بالرَّمْز، وَالفِكْر المُستَلِّ من أساطير المِثَال، أدلَّها على سُمُوِّ الاتِّحَاد مع الأمِّ / أرض الوَطَن؛ وَهو بذلك تجاوز معرفيَّة المُتنبِّي؛ من جهة اتِّخاذ التُّرَاث الميثولوجيِّ مُتَّكَأً رئيسيًّا في نتاجه الأدبيِّ، منذ البَدْء وَحتَّى المُنتَهى.

كما كانت للشَّاعِر إطلالاته على بقيَّة السُّلطات، على نحوٍ خَافِتٍ، من قبيل ما اتَّصل بالسُّلْطة الاقتصاديَّة، التي اقترنت بدراسته علم "الاقتصاد السِّياسيِّ" في مُستَهلِّ إقامته بـ(مُوسْكو)، ثُمَّ كان له في السِّياسَة تجلِّي الْمَلِكِ بـ"أنَا"؛ الدَّالِّ الضَّمِيريَّ على التئامه مع دائرة العمل السِّياسيِّ، في مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة، في غير موقع، كما سيتَّضح بيانه في التَّحليل لاحقًا، وَاتَّحد دَرْوِيش كذلك مع الشَّعْب الفلسطينيِّ بجمعيَّة الضَّمِير، مُتمثِّلا آلامه اليوميَّة، في نطاق تأمُّلاته الكَاشِفة، المُندرجة في السُّلْطة الاجتماعيَّة.

وحين ندخل نطاق "الْجَدَلِيَّةِ"، في صورة الآخر؛ فإنَّنا سنقع على بيان القَصِيد طبائع العلاقات بينه وبين السُّلْطات الأخرى، في الأطر التي كرَّسها المُتنبِّي سابقًا، ضمن التَّبعيَّة وَالتَّصالُحيَّة وَالتَّصادُميَّة.

وَمِمَّا يلفت الانتباه هنا، ترسيخ دَرْوِيش حُضُور الأُمُومَة الكُبْرى على نحوٍ واضحٍ، بسائر تجلِّياتها الاسميَّة وَالرَّمزيَّة وَالأسطوريَّة، وَهو استلالٌ واعٍ من المُعتَقَدات الدِّينيَّة للشُّعُوب السَّامِيَّة، مع اهتمامه بإظهار الخُصُوصيَّة الكنعانيَّة؛ تأكيدًا منه على جُذُور الفلسطينيِّ في أرضه.

أمَّا السِّياسيُّ؛ فكان له الظُّهُور البَارِز بعد الأمُومة، وَهو ما أبان الشَّاعِر المُثقَّف من خلاله "جَدَلِيَّة" العلاقة، على نحوٍ شَمَلَ سائر نطاقات الجغرافيا السِّياسيَّة: الفلسطينيَّة وَالعربيَّة وَالعالميَّة، كما كان الأمر في شأن السُّلطات الأخرى، وَعلى شَاكِلة ما شهدنا عند المُتنبِّي.

ــ قِرَاءَةٌ مُصْطَلَحِيَّةٌ فِي مَفْهُومِ الْمُثَقَّفِ:

ــ الْمُثَقَّفُ لُغَةً:

اعتلقت مفردة "**الْمُثَقَّفِ**" **بِــ**"**الثَّقَافَةِ**"، من وجه الارتباط الاشتقاقيِّ، المُرتدِّ إلى جذرٍ لُغَــويٍّ واحدٍ، يُؤكِّد اتِّسام صاحب المهمَّة الجسيمة في مجتمعه بالإلمام الشُّموليِّ، حين يتجــاوز ظــاهر الأمر إلى باطنه؛ وَيتعقَّب المُقنَّع بالإشارة وَالإيماءَة وَالرَّمز؛ ولَمَّا كان المُعجَم جادَّة البحث فــي أصول الفكر المادِّيِّ للكلمة؛ أضحى لزامًا علينا التَّنقيب في تضاعيفه؛ كيما نستشفَّ مــن ذلــك الفكر؛ دلالة المعنى على كُلِّ خصيصةٍ أبرزت حضور "**المُثقَّف**" في المستوى المجتمعيِّ.

وَقد وردت كلمة "المُثقَّف" في سياق الدَّلالة على الفاعليَّة، حين كان التَّثقيف حرفة من يُحسِن إقامة اعوجاج القَنَاةِ([١])، من خلال "الثِّقَافِ"، وَهِيَ: "حديدةٌ تَكُونُ مَعَ القَوَّاسِ وَالرَّمَّاح يُقَوِّمُ بِهَــا الشَّيْءَ المُعْوَجَّ، وَالعَدَدُ أَثْقِفَةٌ، وَالجَمِيعُ ثُقُفٌ"([٢])، أو "خَشَبَةٌ تُسَوَّى بِهَا الرِّمَاحُ"([٣])، وَغدا "المُثقَّف" اسم مفعولٍ يدلُّ على أجود الرِّماح([٤]) وَكذا السُّيوف([٥])، فضلاً عن خُذْرُوفِ الوَلِيد([٦])، كمــا دلَّ على شجر السِّدْرِ ذي الشَّوْكِ، الذي يُشذَّب وَيُثقَّف لبناء البيوت([٧]).

وقد أتى عمرو بن كلثوم على ذكر السِّهام وَالرِّماح في مُعلَّقته، قائلاً([٨]):

إِذَا عَضَّ الثِّقَافُ بِهَا اشْمَأَزَّتْ   وَوَلَّتْهُــمْ عَشَوْزَنَــةً زَبُونَــا

---

[1]) يُنظَر: ابن فَارِس، أَبُو الحُسيْن أَحْمَد بن زَكَرِيَّا، (ت٣٩٥هــ/ ١٠٠٤م)، **مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَــةِ**، (د. ط)، ٦م، (تَحْقِيق: عبد السَّلام هَارُون)، دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٩٧٩م، مادَّة (ثقف)؛ وَيُنظَر: الجَوْهَرِيّ، أَبُو نَصْر إِسْمَاعِيل بن حَمَّاد، (ت٣٩٣هــ/ ١٠٠٢م)، **الصِّحَاحُ ــ تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ العَرَبِيَّةِ**، (ط٤)، ٦م، (تَحْقِيق: مُحمَّد زكَرِيَّــا يُوسُف)، دَار العِلْم للملايين، بَيْرُوت، ١٩٩٠م، مادَّة (ثقف)؛ وَيُنظَر: أَبُو بَكْر الأَنْبَــارِيّ، مُحمَّــد بــن القَاسِــم، (ت٣٢٧هــ/٩٣٨م)، **الزَّاهِرُ فِى مَعَانِى كَلِمَاتِ النَّاسِ**، (ط١)، ٢م، (تَحْقِيق: د. حَاتِم صَالِح الضَّامِن)، مُؤَسَّــسة الرِّسَالَة، بَيْرُوت، ١٩٩٢م، ٢: ٨٠؛ وَيُنظَر: الفَرَاهِيدِيّ، أَبُو عبد الرَّحْمَن الخَلِيــل بــن أَحْمَــد، (ت١٧٣هــــ/ ٧٩١م)، **كِتَابُ العَيْنِ**، (د. ط)، ٨م، (تَحْقِيق: د. مَهْدِي المَخْزُومِيّ وَ د. إِبْرَاهِيم السَّامِرائِيّ)، دَار وَمَكْتَبَة الهِلال، بَيْرُوت، (د. ت)، ٢: ٣١٢، (بَابُ الرُّبَاعِيِّ مِنَ العَيْنِ).

[2]) أَبُو مَنْصُور الأَزْهَرِيّ، مُحمَّد بن أَحْمَد الهروِيّ، (ت٣٧٠هــ/٩٨٠م)، **تَهْذِيبُ اللُّغَةِ**، (ط١)، ١٥م، (تَحْقِيــق: مُحمَّد عَوَض مرعب)، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيِّ، بَيْرُوت، ٢٠٠١م، ٩: ٨١.

3) ابن مَنْظُور، أَبُو الفَضْل جَمَال الدِّين مُحمَّد بن مكرم، (ت٧١١هــ/١٣١١م)، **لِسَانُ العَرَبِ**، (ط١)، ١٥م، دار صَادِر، بَيْرُوت، (د. ت)، مادَّة (ثقف).

4) يُنظَر: أَبُو عَلِيّ القَالِيّ، إِسْمَاعِيل بن القَاسِم البَغْدَادِيّ، (ت٣٥٦هــ/٩٦٧م)، **الأَمَالِي فِي لُغَةِ العَرَبِ**، (د. ط)، ٢م، دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، بَيْرُوت، ١٩٧٨م، ١: ١٥٥.

5) يُنظَر: أَبُو مَنْصُور الأَزْهَرِيّ، **تَهْذِيبُ اللُّغَةِ**، ١٢: ١٥٠.

6) يُنظَر: **نفسه**، ١٥: ١٩٩.

7) يُنظَر: **نفسه**، ١٢: ١٣٠.

[8]) عمرو بن كلثوم، (ت٣٩ق.هــ/٥٨٤م)، **الدِّيوَانُ**، (ط١)، ١م، (جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ وَشَرَحَهُ: د. إِمِيل بَدِيع يَعْقُوب)، دَار الكِتَاب العَرَبِيّ، بَيْرُوت، ١٩٩١م، ص٧٩، ٨٠.

عَشَوْزَنَـــةً إِذَا انْقَلَبَتْ أَرَنَّـــتْ تَشُجُّ قَفَـــا الْمُثَقِّـــفِ وَالْجَبِينَا

وَمرادنا يكمن في تشبيه "الرَّجل التَّامَّ الزِّيِّ، الكامل الهيئة، بالسَّهم الذي قـد تـمَّ إصـلاحه وحَسُنَ استواؤه"([1])؛ فقيد "المُثقَّف" تمام الزِّيِّ وَالهيئة، وها هنا يكمن وجه المُقايَسة فـي الدَّلالـة على كمال الرَّأي وَحسن المنطق وَسموِّ الفكر.

وإذا ما أردنا استنطاق هاتيك الدَّلالات؛ ألفيناها تُؤكِّد وجهي الفاعليَّة وَالمفعوليَّة، في حـدث "التَّثقيف"، الذي يُمثِّل ممارسةً عمليَّةً حِرفيَّةً على الصَّعيد المادِّيِّ، لها وميضٌ معنويٌّ يُجسِّد طابع التَّهذيب، وَيُكرِّس قيمة التَّشذيب، وَيُواقِع مُؤشِّرات الصَّقْل وَالإعداد وَالتَّزويق؛ وفي ذلكم غايـة الدَّلالة على صورة "المُثقَّف" الذي يتأهَّب لاستعمال الكلمة في إطار الموقف، عقب إعداد مُتَنَـاهٍ، وَصقل مُتَرَاتِبٍ، وتمرُّسٍ مُتَسَاوِقٍ، مع نطاقي النَّقد وَالتَّوجيه.

وَيُضيف المعجم إلى السَّابق بعدي الحِذْق وَالمهارة؛ ذلك أنَّه إذا ثَقِفَ الرَّجل ثَقَفًا وَثَقَافَةً؛ فقد "صَارَ حَاذِقًا خَفِيفًا فَهُوَ ثَقِفٌ"([2])، ومن شأن ذلك أن يُعمِّق رؤية "**المُثقَّف**" للواقع؛ بغية استخلاص السُّبل الكفيلة برفد المجتمع بدواعي الصَّدارة وَالنَّماء.

أمَّا الحِذْق وَالمهارة؛ فأمارتان على "سُرْعَةِ التَّعَلُّمِ"([3])، وَبهما يكـون المـرء ذا "فِطْنَـةٍ وَذَكَاءٍ"([4])، لا سيَّما إذا كان "سَرِيعَ الْفَهْمِ لِمَا يُرْمَى إِلَيْهِ مِنْ كَلامٍ بِاللِّسَانِ، وَسَرِيعَ الأَخْذِ لِمَا يُرْمَى إِلَيْهِ بِالْيَدِ، وَقِيلَ هُوَ إِذَا كَانَ ضَابِطًا لِمَا يَحْوِيهِ قَائِمًا بِهِ، وَقِيلَ هُوَ الْحَاذِقُ بِصِنَاعَتِهِ"([5]).

وَمن يتملَّك هذا الفنَّ في حذق شؤون الكائنات؛ فَهُوَ " فَهِمٌ حسَنُ التَّلَقِينِ لِمَا يَسْمَعُهُ "([6])، كما أنَّه "عَاقِلٌ أَصِيلُ الرَّأْيِ"([7])، وَأهلٌ لأن يحوز زمام المصدريَّة الدَّالَّة على لزوميَّة الصِّفة؛ فهو قد "ثَقِفَ ثَقَافَةً"([8])، أحسن بها مُثاقَفة المُتناقِضات وَإخضاعها لسيطرته الواعية، كما البارع بفنـون النِّزَالِ، المُضارِع لندِّه، حسن الثِّقافة للسَّيْف([9]).

---

1) أَبُو بَكْر الأَنْبَارِيّ، **الزَّاهِرُ فِي مَعَانِي كَلِمَاتِ النَّاسِ**، ٢: ٨٠.

2) الْجَوْهَرِيّ، **الصِّحَاحُ ــ تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ**، مادَّة (ثقف)؛ وَيُنظَر: الفَيْرُوزآبَادِي، مَجْد الدِّين مُحمَّد بن يَعْقُوب، (ت٨١٧هــ/١٤١٥م)، **الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ**، (د. ط)، ٤م، دَار الحَدِيث، القَاهِرة، (د. ت)، مادَّة (ثقف).

3) ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (ثقف)؛ وَيُنظَر: الفَرَاهِيدِيّ، **كِتَابُ الْعَيْنِ**، (بَابُ القَاف والثَّاء وَالفَاء معهما ث ق ف)، ٥: ١٣٩.

4) **نفسه**، مادَّة (ثقف).

5) **نفسه**، مادَّة (لقف).

6) **نفسه**، مادَّة (لقن).

7) **نفسه**، مادَّة (جزل).

8) الزُّبَيْدِيّ، مُحمَّد مُرْتَضَى، (ت١٢٠٥هــ/١٧٩٠م)، **تَاجُ الْعَرُوسِ مِنْ جَوَاهِرِ الْقَـامُوسِ**،(د. ط)، ١٠م، دَار لِيبِيَا للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، بنغازي، طُبِعَ بمطابع دَار صَادِر، بَيْرُوت، ١٩٦٦م، مادَّة (ثقف).

9) يُنظَر: **نفسه**، مادَّة (ثقف).

وَهكذا تبادلت مُشتقَّات الأصل الثُّلاثيِّ (ثقف)، وجوه الدَّلالة على الفِطْنة وَالحِنْكة وَالدِّرايــة وَالذَّكاء، إضافةً إلى تأسيس بعدٍ معنويٍّ يتماهي مع الدَّلالات الماديَّة؛ مفاده قوَّة الشَّكيمة وحــسن إدارة المُثاقفة مع الآخر بالسَّيْف / الكَلِمة.

وَيصل بنا الأمر في نهاية المطاف، إلى التَّعبير عن كينونة الشَّاعر، في إطار الاســتعمال المعجميِّ "**للمُثقَّف**"، وهو: "رَجُلٌ ثَقفٌ لَقفٌ، وثَقِفٌ لَقِفٌ؛ أي: رَاوٍ شَــاعِرٌ رَامٍ"([١])؛ وأن تعتلــق "**الثَّقافةُ**" بِالشَّاعِرِ؛ فذلك الوجه الذي نُريد على صعيد التَّأسيس المعجميِّ لتطوُّر الكلمة، مع إدراكٍ كاملٍ لقيمة الثَّالوث الثَّقافيِّ (الرَّاوِي ــ الشَّاعِر ــ الرَّامِي)؛ ذلك أنَّه يُعبِّر عن حالات الفرَادة التي قد تجتمع على إلفٍ واحدٍ، في شخص الرَّاوِي الأديب الفارس، حين كانت الكلمة خفيضة الجناح بمعزلٍ عن استظهار التُّراث وَقوَّة السَّيف؛ كما يُعَمِّقُ المفهوم المذهبيُّ أو المدرسيُّ، من خـــلال "التَّثقِيفِ"؛ الدَّالِّ على وظيفيَّة الاستعمال اللُّغويِّ لكلمة "المُثقَّفِ"، فيُقال: "تَثَقَّفَ عَلَى فُلانٍ، وَفِــيْ مَدْرَسَةِ كَذَا"([٢]).

وَلا نزال نجد في صدى الأصل الثُّلاثيِّ (ثقف)، ضمن بياننا السَّابق، رسوخ العلوِّ في تصعُّد السُّموِّ، على قدرٍ من هيبة التَّشخيص، وجلال كلمة الموقف، وجميعها تأتلف فــي بيــان النَّقــد الفاحص وَالتَّمحيص النَّاجز بنبض الحكمة، الذي يخالج المُثقَّف في لحظات ارتقائه بالمجتمع إلى عالم المثال.

---

1) الزَّبِيْدِيّ، **تَاجُ العَرُوس**، مادَّة (ثقف).

2) أنِيس، إبْرَاهِيم وَآخرون، (١٩٦٠م)، **المُعْجَمُ الوَسِــيطُ**، إشْرَاف: عبد السَّلام هَارُون، (د. ط)، القَاهِرة: مَجْمَع اللُّغَة العَرَبيَّة، مادَّة (ثَقِفَ).

ـ المُثقَّفُ اصْطِلاحًا:

انطلق المُفكِّرون وَالفلاسفة لغاية التَّقعيد الاصطلاحيِّ "**للمُثقَّف**"؛ فهـا هـو ذا الماركسيُّ الإيطاليُّ (أنطُونيُو غرَامشِي) يستجلي أغوار المُصطلَح، ببعديه التَّقليديِّ وَالوظيفيِّ؛ فـالمُثقَّفون التَّقليديُّون مثل: "المُعلِّمين، ورَجال الدِّين، وَالإداريِّين، ممَّن يُواصِلون أداء العمل نفسه جيلاً بعد جيلٍ"([1])؛ أمَّا المُثقَّفون العضويُّون؛ فهم المُرتبطون "على نحوٍ مباشـرٍ بطبقـاتٍ أو بمُؤسَّـساتٍ تجاريَّةٍ تستخدم المُثقَّفين لتنظيم المصالح، وَاكتساب المزيد من القـوَّة، وَزيادة السَّيطرة"([2]).

وَقد عرض (جُوليَان بندَا) لتعريف المُثقَّفين؛ فهم "عصبةٌ صغيرةٌ من الملوك ـ الفلاسـفة، الذين يتحلَّوْن بالموهبة الاستثنائيَّة، وَبالحسِّ الأخلاقيِّ الفذِّ، وَيُشكِّلون ضمير البشريَّة"([3])، المُتَّحد بالنُّظم الأخلاقيَّة التَّقليديَّة، المُكرِّسة وئام السُّلطات المنضوية تحت الإطارَيْن الاجتماعيِّ وَالدِّينيِّ؛ فَفِي "النُّظُم الأخلاقيَّة التَّقليديَّة تتَّحد جميع هذه السُّلطات معًا"([4]).

أمَّا (ريث)؛ فقد رأى أنَّ "**المُثقَّف**" هو من "وُهِبَ ملكةً عقليَّةً لتوضيح رسـالةٍ، أو وجهـة نظرٍ، أو موقفٍ، أو فلسفةٍ، أو رأيٍ؛ أو تجسيد أيٍّ من هذه، أو تباينها بألفاظٍ واضحةٍ؛ بجمهـورٍ ما، وَأيضًا نيابةً عنه"([5])؛ أي أنَّ فضاء تجربته يشتمل بالهمِّ الجمعيِّ، ولا غرو في ذلك وَهُوَ من "تتخطَّى معرفته للأشياء نطاق تجاربه الذَّاتيَّة"([6]).

وَقد اختزل الدُّكتور خَالِد الكركيّ أبعاد المُصْطلَح، في تركيزٍ فائقٍ؛ مفاده أنَّ المُثقَّفين: هُـمْ "عيون النَّاس، وَشهادتهم على زمنهم، ووعيهم بحاضرهم، وَرؤاهم لمستقبلهم"([7])، كما عرَّج على ذكر قيدٍ وصفيٍّ لهاتيك الوظائف الجسيمة المُقترنة بالمُثقَّفين؛ ممثَّلاً في "الحقيقيِّين"؛ وَهُمْ الـذين "يرون الثَّقافة فعل تحوُّلٍ نحو كُلِّ ما هو تَقَدُّمِيٌّ وَوَحْدَوِيٌّ"([8]).

---

1) سَعيد، إدْوَارد، (١٩٩٦م)، **صُوَرُ المُثقَّفِ ـ مُحَاضَرَاتُ ريث سنة (١٩٩٣م)**، نقله إلـى العَرَبيَّـة: غَـسَّان غصن، راجعته: مُنَى أنِيس، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار النَّهَار للنَّشْر، ص٢٢.

2) **نفسه**، ص٢٢.

3) **نفسه**، ص٢٢.

4) رَاسِل، برترَاند، (د. ت)، **المُجْتَمَعُ البَشَرِيُّ فِي الأَخْلاقِ وَالسِّيَاسَةِ**، تَرْجَمة: عبد الكَريم أحْمَد، مُرَاجَعة: حَسَن مَحْمُود، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة الأنجلو المِصْريَّة، بدعمٍ من جَامِعَة الدُّوَل العَرَبيَّة ـ الإدارة الثَّقافيَّة، ص١٠٥.

5) سَعيد، **صُوَرُ المُثقَّفِ ـ مُحَاضَرَاتُ ريث سنة ١٩٩٣م**، ص٢٨.

6) حقي، يَحْيَى، (١٩٨٦م)، **هُمُومٌ ثقافِيَّةٌ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٧٢.

7) الكركيّ، أ. د. خَالِد (١٩٩٠م)، **أوْرَاقٌ عَرَبِيَّةٌ**، (د. ط)، عمَّان: مَكْتَبـة الرَّأي ـ المُؤَسَّسة الصّحفيَّة الأرْدنيَّة، ص٢٩٦.

8) **نفسه**، ص٣١٦.

أمَّا الدُّكتور صَلاح جَرَّار؛ فقد خلص ــ بعد دراسته مجموعة من الآراء في المُصطلَح ([١])، إلى أن "**الْمُثقَّفَ**" "شخصٌ يمتلك معرفةً واسعةً، يترجمها إلى سلوكٍ وَممارسةٍ تهدف إلى التَّغيير وَالتَّطوير وَخدمة المجتمع؛ وَلذلك لا بُدَّ أن يكون في سلوكه مُمَثِّلاً وَنموذجا للنَّاس، وَلا بُـدَّ أن يكون صاحب رؤيةٍ وَموقفٍ من الأمور تُميِّزه عن غير المُثقَّف"([٢]).

وَتوقَّف الدُّكتور نعيم اليافي عند حدود المُصطلَح، ليُعرِّف "**الْمُثقَّفَ**" بأنه: "الفرد العــضويُّ الوظيفيُّ النَّاشر للوعي وَالمُتطلِّع إلى التَّغيير، أو هو قائد هذا التَّغيير، إنَّه النَّمُــوذَجُ المنخــرط بقضايا أمَّته وَالمُلتحِم وَالمُعبِّر عنها وَعن وجدانها وَأحلامها، الذي يعيش دائمًا وَأبدًا بقيمه وَمُثُلِهِ ــ تنظيرًا وَتطبيقًا ــ فوق محور الكون وَالأشياء، على حَدِّ السَّيْف، حَدِّ التَّمرُّد وَالرَّفض، وَحَــدِّ البناء وإعادة البناء معًا"([٣]).

ويأخذ السِّيَاق التَّأصيليُّ للمفهوم في الحسبان، انتماء المُثقَّفين بعامَّة، إلــى ثلاثــة مواقــف رئيسيَّةٍ: موقف الانعزال وَالسَّلبيَّة، وَموقف الالتزام وَالرِّيَادَة، وَموقف النِّفَاق وَالتَّبعيَّة([٤]).

وَلَيس المُثقَّف العَرَبيُّ في حِلٍّ من تحدِّيات "الحَدَاثَة وَالغَزْو وَالتَّخلُّف"([٥])، التــي تــستدعي "مُرَاجَعَةً شجاعةً وَدقيقةً؛ ليكون أكثر موضوعيَّةً وَعلميَّةً وَواقعيَّةً تَفاؤُليَّةً وَمبدئيَّةً، وَأقلَّ شعاراتيَّةً وَانفعاليَّةً وَذاتيَّةً وَطوباويَّةً وَانهزاميَّةً ــ إلى حالةٍ مغايرةٍ للحالة السَّائِدة، التي يتردَّد القول دائمًــا بأنَّها مرفوضةٌ، وَلا تليق بنا وَلا بأمَّتنا وَتاريخنا"([٦])، ([٧])، ([١]).

---

1) يُنظَر: جَرَّار، أ. د. صَلاح، (٢٠٠٣م)، **الْمُثقَّفُ وَالتَّغْيِيرُ ــ قِرَاءَاتٌ فِي الْمَشْهَدِ الثَّقَافِيِّ الْمُعَاصِــرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٣ ــ ١٥.

2) **نفسه**، ص١٦.

3) اليَافِي، د. نَعِيم، (٢٠٠٠م)، **مَرَايَا الْمُتَخَالِفِ ــ مُقَارَبَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِــرِ**، (ط١)، حلَــب: مركز الإنماء الحَضَارِيّ، ص٤٣؛ وَللاطِّلاع على تعريف المُثقَّف في علم الاجتماع، يُنظَر: مَحْمُود، د. مُصْطَفى مُرْتَضَى عَلِيّ، (١٩٩٨م)، **الْمُثقَّفُ وَالسُّلْطَةُ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِوَضْعِ الْمُثقَّفِ الْمِصْرِيِّ فِي الْفَتْرَةِ مِــنْ ١٩٧٠ ــ ١٩٩٥م**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار قباء للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٣ ــ ٣٥.

4) يُنظَر: الجراريّ، د. عَبَّاس، (١٩٧٢م)، **الثَّقَافَةُ فِي مَعْرَكَةِ التَّغْيِيرِ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: مَطْبَعة دَار النَّشْر المَغْرِبيَّة، ص٢٠ ــ ٢٥.

5) عرسَان، د. عَلِيّ عقلة، (شِتَاء١٩٩٧م)، الشَّخْصِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ــ الهُوِيَّة وَالغَزْو، **مجلَّة الفِكْر الــسِّيَاسِيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشْق، (١)، ص٥٥؛ وَقد وضَّح الكَاتِب هذه التَّحدِّيات، يُنظَر: نفــسه، ص٥٦ ــ ٦٦.

6) نفسه، ص٥٥.

7) يُنظَر في وَظَائِف المُثقَّف وَتَحدِّياته: المسدي، عبد السَّلام، (٢٠٠٢م)، الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَانْفِجَارُ الأَسْئِلَةِ، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (٤)، ص١٧ ــ ٣٤؛ وَيُنظَر في إشكاليَّة الحُرِّيَّة وَالإبداع عنــد المُثقَّف: ضَاهِر، مَسْعُود، (٢٠٠٣م)، إِشْكَالِيَّةُ الْحُرِّيَّةِ وَالإِبْدَاعِ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (٥)، ص١٨ ــ ٣١؛ وَفي تَحدِّيات الخِطَاب الثَّقافيِّ العَرَبِــيِّ، يُنظَــر: الرّبيعــيّ، إِسْمَاعِيل نُورِي، (٢٠٠٤م)، فِي تَفْكِيكِ الْخِطَابِ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ (الأَنْسَاق ــ المُسْتَوَيَات)، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (٨/٧)، ص١٠ ــ ١٦؛ وَحَوْل مَفْهُوم المُثقَّف وَوَاقعه، يُنظَر: جُمْعَة، د. حُــسيْن، (خَرِيف٢٠٠٤م)، الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَآفَاقُ الْوَاقِعِ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسِيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَــرَب بِدِمَــشْق، (٢٠)، ص٥١ ــ ٧٦.

---

[1]) لاستجلاء الآراء المختلفة، في مَفْهُوم الثَّقَافَة، يُنظَر: الصَّاوِي، عبد المُنْعِم، (١٩٦٦م)، **عَنِ الثَّقَافَةِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار القَلَم، ص٢٤ ــ ٣٩، (مُحَاوَلَةٌ للتَّعْرِيف بِالثَّقَافَة)؛ ويُنظَر: القليبي، الشَّاذِلِي، (١٩٧٨م)، **الثَّقَافَةُ رِهَانٌ حَضَارِيٌّ**، (د. ط)، تُونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشْر، (من مَشَاكِل الثَّقَافَة ــ مُحَاضَرة أُلقِيت في لجنة الدِّرَاسَات الاشتراكيَّة، سنة ١٩٦٧م، بِدار الثَّقَافَة، ابن خلدون، في تُونس)، ص٦٨؛ وَيُنظَر: لَبِيب، د. الطَّاهِر، (١٩٧٨م)، **سُوسيُولُوجِيَّةُ الثَّقَافَةِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار غَرِيب للطِّبَاعَة، ص٣٥؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص٦، ٧، (مَفْهُوم الثَّقَافَة)؛ ويُنظَر: مَدْبُولِي، د. جَلال، (١٩٧٩م)، **الاجْتِمَاعُ الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الثَّقَافَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، ص٩، ١٠؛ وَيُنظَر: إسْمَاعِيل، د. فَارُوق مُصْطَفى، (١٩٨٠م)، **الأَنثرُوبُولُوجيا الثَّقَافِيَّةُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ص٨٦ ــ ٩٢؛ وَيُنظَر: فُؤَاد، د. نعمات أَحْمَد، (١٩٨٥م)، **صِنَاعَةُ الْجَهْلِ ــ كِتَابٌ فِي السِّيَاسَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار المُستَقبل العَرَبيّ، ص٢٨١؛ وَيُنظَر: نَاصِر، د. إبْرَاهِيم، (١٩٨٥م)، **الإنثرُوبُولُوجيَا الثَّقَافِيَّةُ ــ عِلْمُ الإِنْسَانِ الثَّقَافِيُّ**، (ط٢)، عمَّان: جمعيَّة عُمَّال المَطَابِع التَّعاوُنيَّة، نُشِرَ بدعمٍ من الجَامِعَة الأَرْدنيَّة، ص٩٤؛ وَيُنظَر: وليَامز، رايمُوند، (١٩٨٦م)، **الثَّقَافَةُ وَالْمُجْتَمَعُ ١٧٨٠ ــ ١٩٥٠م**، تَرْجَمة: وَجِيه سَمْعَان، مُرَاجَعة: مُحمَّد فَتْحِي، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٠، ١١، (المُقدِّمة)؛ وَيُنظَر: الكركيّ، **أَوْرَاقٌ عَرَبِيَّةٌ**، ص٢٦٥، ٣١٥؛ وَيُنظَر: المغربيّ، د. سَعْد، (١٩٩٣م)، **الإِنْسَانُ وَقَضَايَاهُ النَّفْسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ص٣٣؛ وَيُنظَر: مَحْمُود، **الْمُثَقَّفُ وَالسُّلْطَةُ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِوَضْعِ الْمُثَقَّفِ الْمِصْرِيِّ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ١٩٧٠ ــ ١٩٩٥م**، ص٤٨؛ وَيُنظَر: خريسان، د. بَاسِم عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **الْعَوْلَمَةُ وَالتَّحَدِّي الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر العَرَبِيّ، ص١٣؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص٣٠ ــ ٣٧، (المَبْحَث الثَّانِي من الفَصْل الأوَّل: مَفْهُوم الثَّقَافَة)؛ وَيُنظَر: بَدْرَان، إبْرَاهِيم، (٢٠٠٢م)، **أُفُولُ الثَّقَافَةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٢٥؛ وَيُنظَر: كُوش، دُونِي، (٢٠٠٢م)، **مَفْهُومُ الثَّقَافَةِ فِي الْعُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ**، تَرْجَمة: د. قَاسِم المِقْدَاد، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، ص٩ ــ ١٨، (الفَصْل الأوَّل: الأَصْل الاجتماعيُّ لكلمة "ثَقَافَة" وَفكرتها)؛ ص١٩ ــ ٣٦، (الفَصْل الثَّانِي: اختراع المَفْهُوم العلميِّ للثَّقَافَة)؛ وَيُنظَر: مفرج، جَمَال، (٢٠٠٣م)، **نِيتشه الْفَيْلَسُوفُ الْحَائِرُ**، (د. ط)، بَيْرُوت: أفريقيا الشَّرْق، ص٦٢، ٦٣؛ وَيُنظَر: سَعِيد، إدْوَارد، (٢٠٠٥م)، **الثَّقَافَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ**، حَاوَرَهُ: دَايفِيد بَارسَاميَان، تَرْجَمة: عَلاء الدِّين أَبُو زِينَة، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب، ص٨؛ وَيُنظَر: إسْمَاعِيل، د. مُحمَّد قباري، (د. ت)، **عِلْمُ الاجْتِمَاعِ الثَّقَافِيُّ وَمُشْكِلاتُ الشَّخْصِيَّةِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: مُنْشَأة المَعَارِف، ص١٩؛ وَيُنظَر: النّهيري، مُصْطَفى، (د. ت)، **الْكَاتِبُ الْمُتَمَرِّدُ ــ دِرَاسَاتٌ فِكْرِيَّةٌ فِي الإِنْسَانِ وَالأَدَبِ وَالْقِيَمِ وَالاجْتِمَاعِ وَالصِّحَافَةِ وَالْهَيْمَنَةِ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: دَار الطِّبَاعَة الحَدِيثَة، ص٢٧؛ وَيُنظَر: أَسْعَد، يُوسُف مِيخَائِيل، (د. ت)، **الثَّقَافَةُ بَيْنَ الأَدَبِ وَالْفَنِّ**، (د. ط)، القَاهِرة: نَهْضَة مِصْر للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٥ ــ ١١، (المَفْهُوم التَّكامليُّ للثَّقَافَة)؛ ولِلاطِّلاع على مَفْهُوم الثَّقَافَة وَواقعها وتَحدِّيتها، يُنظَر: مرتَاض، عبد المَلِك، (٢٠٠٢م)، الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ ــ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (٣)، ص٢٤ ــ ٣١؛ وَيُنظَر: بزاز، عبد الكَرِيم، (٢٠٠٤م)، الثَّقَافَةُ وَالتَّمْيِيزُ حسب بيَار بُورِيُو، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (٩)، ص٢١٠ ــ ٢١٨؛ وَفي حوار الثَّقَافَات، يُنظَر: بنعبد العَالِي، عبد السَّلام، (رَبِيع٢٠٠٤م)، الْحِوَارُ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ وَالصِّرَاعُ بَيْنَهَا، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرِين، (١٠)، ص١٤ ــ ١٦؛ وَحَوْل مَفْهُوم الثَّقَافَة وَخصائصها وَعناصرها وبَنائها، يُنظَر: السَّيِّد، أ. د. السَّيِّد عبد العَاطِي، (٢٠٠٣م)، **الْمُجْتَمَعُ وَالثَّقَافَةُ وَالشَّخْصِيَّةُ ــ دِرَاسَةٌ فِي عِلْمِ الاجْتِمَاعِ الثَّقَافِيِّ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَعْرِفة الجَامِعيَّة للطَّبْع وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٥ ــ ٣٣، (الفَصْل الأوَّل: طَبِيعَةُ الثَّقَافَةِ وَخَصَائِصُهَا)؛ ص٣٥ ــ ٤٣، (الفَصْل الثَّانِي: بِنَاءُ الثَّقَافَةِ)؛ وَفي المَعَانِي الأكاديميَّة وَالحَضَارِيَّة وَالميتافيزيقيَّة وَالسّيكولوجيَّة وَالاجتماعيَّة للثَّقَافَة، يُنظَر: أَسْعَد، يُوسُف مِيخَائِيل، (١٩٨٤م)، **الثَّقَافَةُ وَمُسْتَقْبَلُ الشَّبَابِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ص٧ ــ ٢٣؛ وَحَوْل التَّنوُّع وَالتَّكامُل في ميدان الثَّقَافَة، يُنظَر:

Benedict, Ruth ,(1887), (1949), **Patterns of culture**, (fifth ed), USA: The New American Library of World Literature, p19 – 40, (THE DIVERSITY OF CULTURES); P41 – 51, (THE INTEGRATION OF CULTURES).

ــ قِرَاءَةٌ مُصْطَلَحِيَّةٌ فِيْ مَفْهُومِ السُّلْطَةِ

ترود "**السُّلْطة**" مناحي الحياة كافَّةً، وَتستقي من المستوى الطَّبقيِّ، في الإطار الاجتماعيِّ، حضورا يشي بتجاذُب أطرافها، على نحوٍ يُعزِّز صدارة القُوَّة وَسمة التَّفوُّق، وَفيهما غَيْضُ الْفَيْضِ، الذي يستدعي القيمة الأثريَّة، الكفيلة باستجلاب التَّغيير، في سبيلَيْه التَّنويريِّ وَالظَّلاميِّ، وَفي المطالعة الشَّبَكيَّة لمجموع العلائق بينهما؛ تكمن تراتبيَّة حُظُوظِهَا فــي إحــداث العُنْصر التَّفاعليِّ مع الفَرْدِ / اللَّبِنَةِ وَالمُجْتَمَع / البِنَاء؛ بهرميَّةٍ تُكرِّس واقعيَّة التَّأصيل وَالتصاق "**السُّلْطةِ**" المركز بقاعدة المُتلقِّين، على اختلاف منازعهم الفكريَّة.

وَلَمَّا كانت "**السُّلْطةُ**" أحد قطبي الثُّنائيَّة الجدليَّة مع "**الثَّقافةِ**" وَربيبها "**الْمُثقَّفِ**"، آلــت إليهــا وجهة الدَّرْس؛ لاستبصار دقائق تجلِّياتها على الصَّعيدَيْن المُعجَميِّ وَالبحثيِّ التَّحليليِّ؛ كيما ننتخب منهما نظريَّة "**السُّلْطةِ**"، بقيودٍ تجلو أبْهَاءَهَا، وَتحتضن أشْتَاتَهَا.

ــ السُّلْطَةُ لُغَةً:

ذكر التَّأصيل المعجميُّ غير معنىً للجذر اللُّغويِّ (سلط)؛ وَفي لُبِّهِ النَّاضِج بدلالــة ائــتلاف الأصوات؛ ما يُعِينُ على النَّظَر في مواكبتها المعنى الرَّئيسيَّ؛ فَـ"السِّينُ وَاللامُ وَالطَّــاءُ أصْــلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ الْقُوَّةُ وَالْقَهْرُ. مِنْ ذَلِكَ السَّلاَطَةُ، مِنَ التَّسَلُّطِ وَهُوَ الْقَهْــرُ، وَلِــذَلِكَ سُــمِّيَ الــسُّلْطَانُ سُلْطَانًا. وَالسُّلْطَانُ: الْحُجَّةُ. وَالسَّلِيطُ مِنَ الرِّجَالِ: الْفَصِيحُ اللِّسَانِ الــذَّرِبُ. وَالــسَّلِيطَةُ: الْمَــرْأَةُ الصَّخَّابَةُ ..."([1]).

أمَّا أن يُعمِّق النَّظر قيمة "الْحُجَّةِ"؛ فذلك الذي يتَّصل بــالقَهْر علــى ســبيلي الإنــصاف وَالإجحاف؛ وَتلكما نتيجتان لازمتان لتمكُّن الكَلِمة / القَانُون في ميدان الفِعْل النَّاجِز، ثُمَّ إنَّ ذَرِبَ اللِّسان فَصِيحَهُ، لا بُدَّ أن يتَّصل بعالم "**الثَّقافةِ**" في غير جانبٍ، وَأمكن ما يُــستَقَى فــي فــضاء المعجم، علاقةٌ وطيدةٌ تستحكم في لُبِّ "**السُّلْطةِ**" الثَّقافيَّة المُتنوِّرة.

وَقد عضَّد المصدر وَالاسم دلالة الجذر الرَّئيسيِّ (سلط)؛ فَـ"السَّلاطَةُ: الْقَهْــرُ ... وَالاسْــمُ السُّلْطَةُ بِالضَّمِّ"([2])، وَلا أقلَّ من اتِّصال الدَّلالة المعنويَّة بالقيد الحسِّيِّ المادِّيِّ البَدْئِيِّ للكلمة؛ ذلــك

---

[1]) ابن فَارِس، **مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**، مادَّة (سلط).
[2]) **نفسه**، مادَّة (سلط).

أنَّ "السِّلْطَة": "السَّهْمُ الطَّوِيلُ، وَالْجَمْعُ سِلاطٌ"(١)، وَ"السُّلُطُ القَوائمُ الطِّوالُ"(٢)، وَهُنَا يكمن خفـاء الدَّلالة على اليد العُلْيا، التي تطال الضِّدَّ بالإفناء؛ لذلك اصْطُلِحَ على أنَّ "**السُّلْطة**" هِيَ: "التَّسلُّطُ وَالسَّيْطَرَةُ وَالتَّحَكُّمُ"(٣).

وَفي السِّيَاق نفسه الذي يُعزِّز المنعة وَالقُوَّة وَالإمساك بمقاليد الأمور، تُطالِعنا مفردة "الْمَسَالِيطِ"، وَهِيَ: "أَسْنَانُ الْمَفَاتِيحِ، الْوَاحِدَةُ مِسْلاَطَةٌ"(٤)؛ وَيُستشفُّ من مادِّيَّة الدَّلالة السَّابق، القُدْرة على فتح مغاليق الأشياء وَإحكام ضبطها.

ثُمَّ إنَّ الشِّدَّة باتت ملتصقةً بمشتقَّات هذا الجذر؛ فَـ"حَافِرٌ سَلْطٌ وسَلِيطٌ: شَدِيدٌ"(٥)، وَ"السُّلْطَانُ" "مِنْ كُلِّ شَيْءٍ شِدَّتُهُ"(٦)، وَهِيَ شِدَّةٌ لا تخلو من الْعَظَمَةِ؛ فَـ"السِّلْطِيطُ بِالْكَسْرِ: المُسَلَّطُ أو الْعَظِيمُ البَطْنِ"(٧)، كما تنماز بِالْحِدَّةِ وَالسَّطْوَةِ؛ حيث إنَّ "سُلْطَانُ كُلِّ شَيْءٍ شِدَّتُهُ وَحِدَّتُهُ وَسَطْوَتُهُ"(٨).

وَما يُهمِّنا في هذا المقام، المُؤشِّر المعنويُّ الكائن خلف أستار المدلول المادِّيِّ، الذي يُسلِمنا إلى المعاني الدَّائِرة في فَلَكِ "**السُّلْطَةِ**"، وَما دلالة "السَّلِيطِ" على الزَّيْتِ(٩)؛ إلاَّ تأكيدٌ لِبُعْدٍ آخرَ يتَّصل بالمرونة وَالنَّفاذ، في تخطِّي العقبات، ولوجًا إلى الغايات، كما أنَّ احتراقه مدعاةٌ لضياءٍ جديدٍ، يُبدِّد ظلمةً تشكَّلت في لُجَجِهَا كُلُّ مسالك التَّخلُّق النَّمائيِّ الفريد.

وَنرتقي مع التَّحْليل إلى أفق المعاني الكُلِّيَّة لهذا الجذر؛ علَّنا نُمسِك بعقد مُشتقَّاته؛ وَفي "السُّلْطَانِ" تكمن غاية المُرَاد، في استنطاق الوجه الغرائبيِّ، المُحتكِم إلى خوارق الطَّبيعة، وَفيه قوله تعالى: ﴿ **لاَ تَنْفُذُونَ إلاَّ بِسُلْطَانٍ** ﴾(١٠)، وَقد أُريدَ بِهِ "الْمُعْجِزَة"(١١)؛ أمَّا "الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ"(١٢)؛ فتؤوب بنا إليهما الآيات القرآنيَّة الكريمة، وَذلك في قوله تعالى: ﴿ **إذْ أَرْسَلْنَاهُ**

---

1) ابن فَارس، **مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**، مادَّة (سلط).
2) ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (سلط).
3) أنِيس وَآخرون، **الْمُعْجَمُ الْوَسِيطُ**، مادَّة (سلط).
4) ابن فَارس، **مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**، مادَّة (سلط).
5) ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (سلط).
6) الفَيْرُوزآبَادِي، **الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ**، مادَّة (سلط).
7) **نفسه**، مادَّة (سلط).
8) ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (سلط).
9) يُنظَر: ابن فَارس، **مُعْجَمُ مَقَايِيسِ اللُّغَةِ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظَر: الْجَوْهَرِيّ، **الصِّحَاحُ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظَر: ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظَر: الفَيْرُوزآبَادِي، **الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظَر: الزَّبِيْدِيّ، **تَاجُ الْعَرُوسِ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظَر: الْفَرَاهِيدِيّ، **كِتَابُ الْعَيْنِ**، (بَابُ السِّين وَالطَّاء وَاللام معهما)، ٧: ٢١٣.
10) **سُورَةُ الرَّحْمَن**، آيَة: ٣٣.
11) الزَّبِيْدِيّ، **تَاجُ الْعَرُوسِ**، مادَّة (سلط).
12) **نفسه**، مادَّة (سلط).

إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾([1])، وَقوله ﷻ: **﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾**([2])، وَقوله ﷻ: **﴿ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ ﴾**([3])، وَقوله ﷻ: **﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾**([4]).

وَفي صاحب "**السُّلْطَةِ**" مزيد التَّأمُّل؛ إذ إنَّ "السُّلْطَانَ": "الْحُجَّةُ وَقُدْرَةُ الْمَلِكِ، وَتُضَمُّ لامُـهُ، وَالْوَالِي مُؤَنَّثٌ؛ لأَنَّهُ جَمْعُ سَلِيطٍ للدُّهْنِ كَأَنَّ بِهِ يُضِيءُ الْمُلْكُ؛ أَوْ لأَنَّهُ بِمَعْنَى الْحُجَّةِ، وَقَدْ يُـذَكَّرُ ذَهَابًا إِلَى مَعْنَى الرَّجُلِ"([5])؛ فعلى ما في مجمل العبارات السَّابقة من خَطَرٍ؛ فإنَّنـا نجـد فيهـا حضورا "**للسُّلْطَة**"؛ بمفهومها السِّياسيِّ التَّراتُبِيِّ؛ فَالْمَلِكُ صاحب القُدْرة، التي يشرق بحكمة نفاذها في الكائنات وَالِيهِ، وَحارس صَرْحِهِ وَبَانِيهِ.

إلاَّ أنَّ صاحب "اللِّسَانِ" يصل بنا إلى لُبِّ القَوْل، حين يُلْحِـقُ "**الـسُّلْطَة**" بِكُـلِّ ذي قـدرةٍ، متجاوزًا حدود الْمَلِكِ بقوله: "السُّلْطَانُ قُدْرَةُ الْمَلِكِ وَقُدْرَةُ مَنْ جُعِلَ ذَلِكَ لَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُـنْ مَلِكًـا، كَقَوْلِكَ قَدْ جُعِلْتَ لَهُ سُلْطَانًا عَلَى أَخْذِ حَقِّي مِنْ فُلانٍ"([6])؛ فَكُلُّ قادرٍ في ميدانـه سـلطان لحظـة الفِعْل، التي تُكرِّس سلطته وَجبروت قهره وَقوَّته.

وَكيما نقف على حقيقة هذه العلائق؛ حَقَّ لنا أن نُحْكِمَ بيان حُدُودها بين مفـاتيح "**الـسُّلْطَةِ**" وَالسُّلْطان؛ فَالقُوَّة: هِيَ الفكرة الأثل، التي تتدرج في نتاجها الفعليِّ وسائل الـتَّحكُّم وَالـسَّيْطرة، ممثَّلةً في: القَهْر وَالشِّدَّة وَاليد الطُّولَى وَالنَّفَاذ وَالحِدَّة وَالسَّطْوة، وصولاً إلى لحظة العَظَمة؛ تلـك التي تُمثِّل أرقى رُتَبِ الإحكام وَالاستحكام، تمهيدًا للصُّدُور عن أحقِّيَّة الْحُجَّةِ وَالْبُرْهَـان، وَمـن شأن هذا التَّراتُب في العلائق الوظيفيَّة لمفهوم "**السُّلْطَةِ**"؛ أن يضعنا في صورة "**الـسُّلْطَةِ**" مـن النَّاحِية المُصطَلحيَّة، بشكلٍ يُكرِّس الشُّموليَّة؛ ارتدادًا إلى التُّراث اللُّغويِّ الثَّرِّ، وإفادةً من جهـود المُحْدَثين في هذا الدَّرْس المُستمرِّ.

---

[1]) **سُورَةُ الذَّارِيَاتِ**، آيَة: ٣٨.
[2]) **سُورَةُ الْحَاقَّةِ**، آيَة: ٢٩.
[3]) **سُورَةُ سَبَأ**، آيَة: ٢١.
[4]) **سُورَةُ الْحِجْرِ**، آيَة: ٤٢؛ **وَسُورَةُ الإِسْرَاءِ**، آيَة: ٦٥.
[5]) الفَيْرُوزآبَادِي، **الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ**، مادَّة (سلط)؛ وَيُنظر: الفَرَاهِيدِيّ، **كِتَابُ الْعَيْنِ**، (بَابُ السِّين وَالطَّـاء وَالـلام معهما)، ٧: ٢١٣.
[6]) ابن مَنْظُور، **لِسَانُ الْعَرَبِ**، مادَّة (سلط).

ــ السُّلْطَةُ اصْطِلاحًا:

يصعب تحديد مفهوم "**السُّلْطَةِ**" من النَّاحية الاصطلاحيَّة؛ لتعدُّد الأنظار فيه؛ ذلك أنَّه اصطبغ بغير وليجةٍ تعريفيَّةٍ، احتكمت لمعارف المُؤصِّل وَطرائق التَّقعيد وَالدَّرْس وَالنَّظَر، لكنَّ الاتِّجاه الرَّئيسيَّ في هذا المضمار، يعتدُّ بتعريف (دَاهل)، الذي رأى أنَّ "**السُّلْطَة**": "هِيَ قدرة الشَّخْص (أ)، على التَّوصُّل إلى جعل شخصٍ آخرَ (ب)، يقوم بشيءٍ ما لم يكن لِيُقْدِمَ عليه لولا تدخُّل (أ)"([1]).

وَقد تأتَّى لهذا المفهوم الاصطلاحيِّ الذُّيُوع؛ لأنَّ "بساطته تُظهر إشكاليَّة انبثاق السُّلْطة"([2])، بصرف النَّظَر عن ميزتي السُّلْطان وَالمُحِيط؛ فَـ"**السُّلْطة**" هِيَ القُدْرة، وَهِيَ "ليست فقط أن نكون قادرين بأنفسنا أن نفعل الأشياء، بل أن نكون كذلك قادرين على أن نجعل غيرنا يفعلها. تُضَافُ إلى السَّيْطرة المباشرة على العالم سيطرةٌ غير مباشرةٍ، هِيَ في الوقت ذاته سيطرةٌ على الآخرين"([3]).

وألفينا درس المفهوم يتَّسع؛ بفضل القراءات المُتكاثِرة في فضاء تعريف (دَاهل)؛ إذ بدت "**السُّلْطَةُ**" في أحد وجوهها ثلاث مراتبَ، هِيَ: "**السُّلْطة**" كخصيصةٍ من خصائص الفَاعِل([4])، وَ"**السُّلْطة**" كخصيصةٍ من خصائص الوضعيَّة الاجتماعيَّة([5])، وَ"**السُّلْطة**" بوصفها علاقة تتوسَّل توليفة من الأسُس وَالمَصَادِر وَالاستراتيجيَّات المختلفة([6]).

وَانطلاقا من فهم تعريف (دَاهل)، رأى (كرُوزيه) وَ(فريدبرغ) أنَّ "**السُّلْطة**" تكمن في "قدرة الفَاعِل على زيادة درجة حرِّيَّته، وَعلى الحَدِّ من حُرِّيَّةِ الآخر"([7])؛ وَهِيَ من وجهٍ آخرَ "قدرة المَرْء على فرض إرادته، أو هِيَ على الأقلّ بالنِّسبة إلى كُلِّ سلطةٍ شرعيَّةٍ حَقُّ فرض هذه

---

1) ج. ب. هُوغ وَ د. لِيفِيك وَ ا. مُورَان، (١٩٩١م)، **الجَمَاعَة السُّلْطة وَالاتِّصَالُ**، تَرْجَمَة: د. نظر جَاهِل، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٦٠.

2) يُنظَر: **نفسه**، ص٦٠.

3) كلافال، بُول، (١٩٩٠م)، **المَكَانُ وَالسُّلْطَةُ**، تَرْجَمَة: د. عبد الأمير إبْرَاهِيم شَمْس الدِّين، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٥؛ وَحَوْل العَوَامِل الفَاعِلة في نشأة السُّلْطة، يُنظَر: **نفسه**، ص١٧، ٢٦، ٢٧.

4) يُنظَر: هُوغ ولِيفِيك ومُورَان، **الجَمَاعَةُ السُّلْطةُ وَالاتِّصَالُ**، ص٦٠ ــ ٦٤.

5) يُنظَر: **نفسه**، ص٦٤، ٦٥.

6) يُنظَر: **نفسه**، ص٦٥ ــ ٧٠.

7) **نفسه**، ص٧١.

الإرادة؛ ينجم عن هذا المبدأ؛ أنَّ الذين يتمتَّعون بهذه الميزة أو الذين يتمتَّعون بها على نطاقٍ ضَيِّقٍ يتحتَّم عليهم واجب الطَّاعة"([1]).

وَنمضي في وحي التَّأثير السَّابق؛ حيث "يُوضِّح م. ج. سميث بدقَّةٍ، أنَّ السُّلْطة هِيَ قدرة التَّأثير فعليًّا على الأشخاص وَالأشياء، مستعينةً بسلسلةٍ من الوسائل التي تمتدُّ من الإقناع حتَّى الإكراه"([2])؛ لتُحقِّق سِمَات الضَّمَانة وَالدَّيمومة وَالتَّحدِّي، استنادًا إلى الأصل اللاتينيِّ (auctor)، كما ذكر (رِيتشَارد سِينِيت)([3]).

وَقد رأى (فُوكُو) أنَّ "التَّحليل الذي يعتمد مفهوم السُّلْطة، لا ينبغي أن ينطلق من التَّسليم بسيادة الدَّوْلة أو صورة القَانُون أو الوَحْدة الشَّامِلة لهيمنةٍ مُعَيَّنَةٍ؛ فهذه ليست بِالْحَرِيِّ إلاَّ الأشكال التي تنتهي إليها السُّلْطة"([4]).

وَعليه فقد بدا له "أنَّ السُّلْطة تعتني بادئ ذي بدءٍ بعلاقات القوى المُتعدِّدة، التي تكون محايثةً للمجال الذي تعمل فيه تلك القوى، مُكوّنةً لتنظيم تلك العلاقات؛ إنَّها الحركة التي تُحَوِّلُ تلك القوى، وَتزيد من حدَّتها، وَتقلب من موازينها؛ بفعل الصِّرَاعات وَالمُوَاجهات التي لا تنقطع، وَهِيَ السَّند الذي تجده تلك القوى عند بعضها البعض؛ بحيث تُشَكِّلُ تسلسلاً وَمنظومةً، أو على العكس من ذلك، تَفاوُتًا وَتَناقُضًا يعزل بعضها عن بعضٍ؛ وَهِيَ أخيرًا الاستراتيجيَّات التي تفعل فيها القوى فعلها، وَالتي يتجسَّد مَرْمَاهَا العامُّ وَيتبلور، في مُؤسَّسات أجهزة الدَّوْلة، وَصياغة القَانُون، وَأشكال الهَيْمنة الاجتماعيَّة"([5]).

وَعلى نحوٍ أكثر مباشرةً، يبدو تعريف (فُوكُو) "**للسُّلْطة**" بسيطًا جِدًّا؛ "فَهُوَ يعتبرها علاقة قوىً، أو أنَّ كُلَّ علاقة قوىً هِيَ، على الأصحِّ، "علاقة سُلْطَةٍ""([6])، مع ضرورة اعتماد قيد التَّحرُّر من مقابلة "**السُّلْطةِ**" بالدَّوْلة على الصَّعيد الشَّكْلِيِّ، وَالتَّحرُّر من اعتقاد الإطلاق في تفرُّد القُوَّة؛ فمن سمات "**السُّلْطةِ**" الجوهريَّة اعتلاقها بقُوَّةٍ أخرى، على محوري: التَّأثير وَالتَّأثُّر([7]).

---

[1]) مُونتَانيُون، الزَّعِيم أندري، (١٩٥٥م)، **رسَالَةٌ فِي الرِّئَاسَةِ وَالرَّئِيس**، تَعْرِيب: لويس الحَاجّ، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المَكْشُوف، ص٣٧.

[2]) بَالانديه، جُورج، (١٩٩٠م)، **الأنتربُولُوجيَا السِّيَاسِيَّةُ**، تَرْجَمَة: عَلِيّ المِصْرِيّ، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤسَّسة الجَامِعِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٥٣، ٥٤.

[3]) يُنظَر:

Richard Sennett, (1980), **Authority**, (1st ed), London: Martin Secker & Warburg Limited, p18, 19.

[4]) فُوكُو، مِيشِيل (١٩٨٨م)، **جِنيَالُوجيَا المَعْرِفَةِ**، تَرْجَمَة: أحْمَد السّطاتي وَعبد السَّلام بنعبد العَالِي، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: دَار توبقال للنَّشْر، ص٧٨.

[5]) **نفسه**، ص٧٨.

[6]) دلُوز، جِيل (١٩٨٧م)، **المَعْرِفَةُ وَالسُّلْطةُ (مَدْخَلٌ لِقِرَاءَةِ فُوكُو)**، تَرْجَمَة: سَالِم يفُوت، (ط١)، بَيْرُوت وَالدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العربيّ، ص٧٧.

[7]) يُنظَر: **نفسه**، ص٧٧، ٧٨.

وَلا بُدَّ أن نَعِيَ أنَّ "القُدْرة على التَّأثُّر، هِيَ بمثابة مادَّة القُــوَّة، بينما القُدْرة على التَّأثير، هِيَ بمثابة دالَّة القُــوَّة"([١])؛ لتشمل "**السُّلْطَة**" في مجملها "سلسلةً كاملةً من الآليَّات الخاصَّة وَالمُحدَّدة، تغري بِأنماطٍ من السُّلُوك وَالخِطَابَات"([٢]).

وَقرن (رِيمُون بُولان) بين "**السُّلْطَةِ**" وَالإطار الاجتماعيِّ؛ إذْ "إنَّ السُّلْطة تدلُّ على علاقــةٍ بالآخر، علاقة اجتماعيَّة بجوهرها، وَهِيَ تربط فردَيْن أو أكثر، وَهُمَا متشابهان وَمُتميِّزان معًــا؛ متشابهان من حيث قدرتهما على الذَّكاء وَالإرادة؛ وَمُتميِّزان من حيث قــدرتهما علــى التَّفكيــر المُستقلِّ وَالعمل المُستقلّ"([٣]).

ثُمَّ ألفيناه يُكرِّس للمفهوم صورته الوُجُوديَّة، بقوله: "إنَّ السُّلْطة هِيَ حُرِّيَّةٌ تُمارِس وجودها، وَتتوصَّل إلى شكلٍ مُحدَّدٍ خاصٍّ من أشكال الوجود. إنَّها تصنع ذاتــها حين تتحلَّى بمعنًى"([٤]).

وَقد رأى (ج. بيتِي) في النَّسَق الاجتماعيِّ السُّلْطويِّ، أنَّ "السُّلْطة هِيَ مقولةٌ خاصَّةٌ للعلاقات الاجتماعيَّة؛ إنَّها تتضمَّن إمكانيَّة إكراه الآخرين في هذا النِّظام أو ذاك، من العلاقات بين الأفراد وَبين الجماعات"([٥])؛ وَهذا ما وضعه في "خَطِّ ماكس فيبر الذي يقول عن السُّلْطة إنَّهــا إمكانيَّــةٌ معطاةٌ لِمُمَثِّلٍ، في أن يكون قادرًا على توجيهها حسب مشيئته، وَذلك داخل علاقــة اجتماعيَّــة مُحدَّدةٍ"([٦]).

وَلا زلنا في السِّياق الاجتماعيِّ لتداوُل المفهوم، بصورةٍ تُقدِّم "**السُّلْطَة**" على أنَّهــا "الْحَــقُّ المُقرَّر لجماعةٍ من النَّاس، في وضع قراراتٍ ملزمةٍ، فيما يتَّصل ببعض نواحي الحياة، أو أوجه النَّشاط للآخرين، أو هِيَ القُــدْرة على التَّأثيــر فــي سلــــوك الآخــرين؛ لتحقيــق الأهــداف التَّنظيميَّــة"([٧])، التي تتدرج في المنظومة الكُلِّيَّة للمجتمع؛ فقيادة الرَّأي النَّاجمة عن حُسْن التَّأثير؛ تشمل سُلْطَة الفَرْد، وَسُلْطَة المُجْتمع غير المكتوبة، وَسُلْطَة القَانُون المُقيَّدة بنصوصٍ مكتوبةٍ([٨]).

---

[1]) دلُوز، **الْمَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ (مَدْخَلٌ لِقِرَاءَةِ فُوكُو)**، ص٧٩.

[2]) ولد أباه، د. السَّيِّد، (٢٠٠٤م)، **التَّارِيخُ وَالْحَقِيقَةُ لَدَى مِيشِيل فُوكُو**، (ط٢)، بَيْرُوت: الدَّار العَرَبيَّــة للعُلُــوم، ص١٨٦.

[3]) بُولان، رِيمُون، (١٩٩٢م)، **الأَخْلاقُ وَالسِّيَاسَةُ**، تَرْجَمة: د. عَادِل العوَّا، (ط٢)، دِمَشق: دَار طلاس للدِّرَاسَات وَالتَّرْجمة وَالنَّشْر، ص٣٨٥.

[4]) **نفسه**، ص٣٩٤؛ وَلاستجلاء مَفْهُوم السُّلْطة، عند (رِيمُون بُولان)، على نحوٍ أشمل، يُنظَر: **نفسه**، ص٣٨٣ ــ ٤٠٧، (تَعْريف السُّلْطة)؛ ص٤٠٨ ــ ٤٣٥، (أُسُس السُّلْطة)؛ ص٤٣٦ ــ ٤٦١، (السُّلْطة الشَّرْعيَّة).

[5]) بَالانديه، **الأَنْترِبُولُوجيَا السِّيَاسِيَّةُ**، ص٥٤.

[6]) **نفسه**، ص٥٤.

[7]) رشوان، د. حُسيْن عبد الحَمِيد أَحْمَد، (١٩٩٧م)، **الْعَلاقَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ فِي مَجَالاتِ عِلْمِ النَّفْس، عِلْمِ الاجْتِمَــاع، عِلْمِ الإِدَارَةِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: المَكْتَب الجَامِعِيّ الحَدِيث، ص٢٣.

[8]) يُنظَر: الخَيَّاط، د. عبد العَزِيز عِزَّتْ، (١٩٥٥م)، **السُّلْطَةُ فِــي الْمُجْتَمَــع**، (ط٢)، القَــاهِرة: (د. ن)، ص٧؛ وَلتفصيلٍ أكثر حَوْل مَفْهُوم قِيَادة الرَّأي وَحُدُوده، يُنظَر: **نفسه**، ص٨، ٩.

وَإذا "نظرنا إلى السُّلْطة في أبعادها الإنسانيَّة الأخرى، بوصفها نظامًا اجتماعيًّا يُشكِّل سُلْطَة فوق كُلِّ السُّلطات، بما في ذلك السُّلْطة السِّياسيَّة"([1]).

أمَّا في مجال الصَّدَى السِّياسيِّ للمفهوم؛ فيُشِير المصطلح إلى "التَّكوين القانونيِّ للدَّوْلة؛ حيث تنقسم إلى سلطةٍ شرعيَّةٍ وَسلطة مغتصبةٍ؛ وَالأخيرة هِيَ مُمارَسة الضَّبْط على الآخرين بطريقةٍ ليست مُقرَّرةً في الثَّقافة. وَهناك تقسيمٌ آخرُ للسّلْطة، يقوم على ثلاثة أنواعٍ: السُّلْطة التَّشريعيَّة وَالسُّلْطة التَّنفيذيَّة وَالسُّلْطة القضائيَّة"([2]).

وَتوسَّع الدُّكتور نَعِيم الْيَافِيُّ في مفهوم "**السُّلْطَةِ**"؛ ليشمل أربعة أنواعٍ، بقوله: "أولاها سُلْطة الأعراف وَالتَّقاليد، التي تتَّسم بالثَّبات وَالجُمُود، وَتقف في مواجهة الحركة وَالتَّغيير، وَآخرها سُلْطة الدِّين، وَهُنَا أراني مُفرِّقًا بين الدِّين كوعيٍ وَبين المُؤسَّسة الدِّينيَّة؛ فالأوَّل عندي حركةٌ دائبةٌ في الزَّمان وَفي المكان؛ أمَّا الثَّانية فَهيَ في سيطرتها وَسطوتها وتبعيَّتها للسِّياسة، وَفيما تُعبِّر عنه من مفهوماتٍ أقرب إلى التَّقاليد وَالأعراف؛ تثبيتًا للوضع وَتحجيرًا للرَّأي، وَالثَّالثة سُلْطة الأيديولوجيَّات الدِّكتاتوريَّة، كالفاشيَّة وَالنَّازيَّة وَالماركسيَّة السّتالينيَّة، وَالرَّابعة سُلْطة الحُكْم الاستبداديِّ الشَّرْقيِّ عمومًا وَالعربيِّ خصوصًا"([3]).

وَأيًّا كان الشَّأن؛ فإنَّ كلمة "**السُّلْطَةِ**" تنطوي على مفهومَيْن؛ "الأوَّل هُوَ القُوَّة، كأن يُقال (القُوَّة الشِّرائيَّة)، (القُوَّة العَامِلة) أو (القُوَّة العسكريَّة)([4])؛ أمَّا المفهوم الثَّانِي فَهُوَ دلالةٌ سياسيَّةٌ أو قانونيَّةٌ محدودةٌ؛ فيُقال السُّلْطة السِّياسيَّة (PowerPolitica l) أو السُّلْطة الشَّخصيَّة (Personal Power) أو السُّلْطة الفرديَّة (Individual Power)، وَفي بعض الأحيان تُستَخدم للتَّعبير عن وظائف الدَّوْلة؛ كمبدأ الفَصْل بين السُّلطات الثَّلاث التَّنفيذيَّة وَالتَّشريعيَّة وَالقضائيَّة"([5]).

وَلا بُدَّ من الإشارة إلى أنَّ كُلَّ سُلْطَةٍ "تقوم على أساسٍ نفسيٍّ عقليٍّ، وَتُمارس فعلها انطلاقًا من دوافعَ وَمُوجِّهاتٍ وَتجاربَ وَخبراتٍ نفسيَّةٍ عقليَّةٍ ظاهرةٍ أو باطنةٍ؛ اكتسبتها من خلال وعيها التَّاريخيِّ لمفهوم السُّلْطة، وَمَن خلال وعيها لما بالواقع من أحداثٍ وَأشكالٍ وَعلاقاتٍ للسُّلْطة؛

---

[1] الأزرعيّ، د. سُلَيْمَان، (١٩٩٨م)، **تَحَدِّيَاتُ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ (فِي الْفِكْرِ وَالأَدَبِ)**، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، ص٩٢.

[2] رشوان، **الْعَلاقَاتُ الإِنْسَانِيَّةُ فِي مَجَالاتِ عِلْمِ النَّفْسِ، عِلْمِ الاجْتِمَاعِ، عِلْمِ الإِدَارَةِ**، ص٢٣.

[3] اليَافِي، **مَرَايَا الْمُتَخَالِفِ ــ مُقَارَبَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ**، ص٤٣، ٤٤.

[4] يُنظَر: برُونُوفسكِي، جَاكُوب، (١٩٨٧م)، **التَّطَوُّرُ الْحَضَارِيُّ للإِنْسَانِ (ارْتِقَاءُ الإِنْسَانِ)**، تَرْجَمة: د. أحْمَد مُستَجير، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٥٤ ــ ١٧٠، (الفَصْل الثَّامِن: البَحْث عن القُوَّة).

[5] حُسيْن، دَاوُد مُرَاد، (٢٠٠٦م)، **سُلْطَاتُ الرَّئِيسِ الأَمْرِيكِيِّ**، (ط١)، عمَّان: مركز الكِتَاب الأكاديميّ، ص١٠، (المُقدِّمة).

وَما فيه من مظاهر للقُوَّة وَالضَّعْف وَالخَطأ وَالصَّوَاب، وَما يمكن أن تُحْدِثَهُ السُّلْطة فيه بعد أن تُخضِعه لإرادتها"([1]).

ثُمَّ إنَّهَا من بعد "تتأرجح بين ما تُعلِنه وَما تُخفِيه، بين الأيديولوجيا وَهُوَ الوَجْه المُعلَن للسُّلْطة، وَبين السّيكُولُوجِيَّة وَهِيَ الوَجْه الخَفِيُّ للسُّلْطة ... فَهيَ رسميًّا مع الأيديولوجيا، وَهِيَ نفسيًّا مع الأنا ـــ السُّلْطة ـــ التي تخترق الأيديولوجيا متى رأت ذلك في مصلحتها، وَيُحقِّق أهدافها كَسُلْطَةٍ"([2]).

وَيمكن أن نتوقَّف أخيرًا؛ لبيان الأساس النَّفسيِّ "**للسُّلْطَةِ**"، ذلك المُشَار إليه آنفًا؛ فتُعرَّف "**السُّلْطَةُ**" في موسوعة "علم النَّفْس وَالتَّحليل النَّفسيِّ"؛ بأنَّها "أحد الأشكال الرَّئيسيَّة لتنظيم أفعال النَّاس وَتنسيقها لتحقيق هدفٍ عامٍّ، وَتكون المُمارَسة إمَّا بالتَّبادُل أو مُمارَسة القُوَّة، أو بفرق السَّيْطرة التي تُهدِّد المُخالِف أو المُتمرِّد من المكافأة أو سحب الامتيازات"([3]).

ثُمَّ إنَّهَا في السَّبيل ذاته، على صعيد الفرد؛ أن يقف "من الأوامر وَالنَّواهِي التي يتلقَّاها إمَّا خضوعًا لها أو تمردًّا عليها، باعتبار أنَّ هذا الضَّبْط لسلوك الفَرْد هامٌّ جِدًّا لصالحه ولصالح الآخرين"([4])، مع وجوب التَّأكيد أنَّ مفهوم "**السُّلْطَةِ**" "إنَّما يشمل كافَّة أنواع السُّلْطة التي يتعرَّض لها الفرد عبر مراحل حياته المُختلِفة، وَليست السُّلْطة السِّياسيَّة كما يتبادر إلى الذِّهْن للمرَّة الأولى"([5]).

وَلعلَّ من أهمِّ مشاكل السُّلْطة، تلك التي تتمثَّل في "ثورةٍ تنشأ من مراحل عدَّة: في الاستيلاء على السُّلْطة، وفي الحفاظ عليها، وفي تحويل العلاقات الاجتماعيَّة إلى إطارٍ معياريٍّ، عندما يكون ذلك ضروريًّا؛ لاستبدال أنماط وَمعتقدات السُّلْطة القديمة، وغالبًا ما يتمُّ تَجاهُل أهمِّيَّة السُّلْطة في السِّيَاق الثَّوْريِّ؛ لأنَّه من المعتاد أن نُفَكِّرَ في الثَّوْرة في المقام الأوَّل من حيث العُنْف، وَالحُكُومة الثَّوْريَّة من حيث القُوَّة"([6]).

---

[1] القمودي، سَالِم، (١٩٩٩م)، **سيكُولُوجِيَّةُ السُّلْطةِ ـــ بَحْثٌ فِي الْخَصَائِصِ النَّفْسِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ لِلسُّلْطةِ**، (ط١)، القَاهِرة: مَكْتَبة مَدْبُولِي، ص٩.

[2] **نفسه**، ص٩، ١٠.

[3] غَانِم، د. مُحمَّد حَسَن، (٢٠٠٤م)، **السُّلْطة وَالمِصْرِيُّونَ الْمُعَاصِرُونَ ـــ سِلْسِلَةُ الثَّقافةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْجَمِيع ـــ الْعَدَد ٢**، (د. ط)، الإسكندريَّة: المَكْتَبة المِصْرِيَّة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٦.

[4] **نفسه**، ص٣٦.

[5] **نفسه**، ص٣١.

[6] Carter, April, (1979), **Authority and Democracy**, (1st ed.), London: Routledge & Kegan Paul, p72.

وَختامًا؛ فإنَّ السُّلْطة "ظاهرةٌ اجتماعيَّةٌ ــ سياسيَّةٌ، لها قدرةٌ عاليةٌ لإحداث تـــأثيرٍ مقـــصودٍ وغير مقصودٍ، على حياة الأفراد، الآمِر ــ المَأمُور؛ وذلك من خلال تَملُّكه وســائل التَّرْغِيــب وَالتَّرْهِيب"([١])؛ التي تُحقّق له القُوَّة وَالنُّفُوذ([٢])، ([٣]).

---

[1]) الشَّرِيفِيّ، د. نِدَاء صَادِق، (٢٠١٠م)، **أُصُولُ عِلْمِ الاجْتِمَاعِ السِّيَاسِيِّ**، (د. ط)، عمَّان: جُهَيْنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٤٤.

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ص٤٤.

[3]) لِمَزِيدٍ من المَعْلُومات حَوْل تعريف السُّلْطة، وَطُرُق مُمَارَستها وَأشكالها وَمُميِّزاتها وَأنواعها، يُنظَر: لمــزري، مُفِيدَة، (د. ت)، **مُسَاهَمَةُ الشَّعْبِ فِي السُّلْطَةِ مِنْ خِلالِ النِّظَامِ الْحِزْبِيِّ فِي الْجَزَائِــرِ**، رسَــالَة مَاجِــستِير غيــر مَنْشُورة، جَامِعَة العَقِيد الحَاجّ لخضر، باتنة، الجَزَائِر، ص٧ ــ ١٩؛ وَفِي تَوْضِيح حُدُود مَفْهُوم الــسُّلْطة برؤيــة (فُوكُو)، يُنظَر: العيَادِيّ، عبد العَزِيز، (١٩٩٤م)، **مِيشَال فُوكُو ــ الْمَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّــسة الجَامِعِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٤٣ ــ ٦٩؛ وَلاستكناه الآفاق الجَدِيدة لِمَعْنى السُّلْطة، يُنظَــر: تُــوفلر، ألفِين، (١٩٩٥م)، **تَحَوُّلُ السُّلْطَةِ ــ الْمَعْرِفَةُ وَالثَّرْوَةُ وَالْعُنْفُ عَلَى أعْتَابِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِــشْرِين**، تَرْجَمَــة: لُبْنَى الرِّيدِي، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب، ١: ١٦ ــــ ٣٨؛ وَيُمكِــن الاطِّــلاع علــى خُلاصَات الدِّرَاسَات السَّابِقة للسُّلْطة، من مَنْظور عِلْمِ النَّفْس، يُنظَر: سَلامَة، مُحمَّد مُحمَّد عَوْدَة (٢٠٠١م)، **صُورَةُ السُّلْطَةِ وَعَلاقَتُهَا بِالتَّوَافُقِ النَّفْسِيِّ لَدَى الْعَامِلِينَ بِالدَّوْلَةِ ــ دِرَاسَةٌ دِينَامِيَّةٌ**، رِسَالَة مَاجِــستِير غيــر مَنْــشُورة، جَامِعَة عَيْن شَمْس، ص٥٩ ــ ٦٩.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: التَّأْطِيرُ الْمَضْمُونِيُّ لِلدِّرَاسَةِ:

يتضمَّن التَّأطير المَضْمُونيُّ درسًا نظريًّا، للمَفَاهِيم الإجرائيَّة، وَالقضايا المَوْضُوعيَّة، التي ستكون موطن مباشرة التَّحْليل؛ لِتُمَثِّلَ صور السُّلطة في النِّظَام الاجتماعيِّ، وليجة النَّظر التَّحْليليِّ، في الفصليْن الثَّانِي وَالثَّالِث، من خلال تبدِّيها في الأَنَا، ثُمَّ في الآخَر.

ويلزمنا عند التَّوقُّف على صور "**السُّلْطَةِ**"، أن نُدرك بعمقٍ أقطابها في المستوى الاجتماعيِّ للشَّعب أو الأمَّة؛ فَـ"**السُّلْطَةُ**" سُلطَاتٌ تمايزت في نطاقاتها الطَّبقيَّة وَالمعيشيَّة وَالوظيفيَّة، وَهِيَ تكريسٌ لمفهوم السُّلطات التَّكامليَّة على صعيد الحُضُور لا التَّآلف.

فَلا بُدَّ لِكُلِّ مجتمعٍ أن يحتضن هذه السُّلطات على تنوُّعها، مع الأخذ بعين الاعتبار، بقاء هامش المُناوَرات التَّعاضُديَّة أو التَّنابُذيَّة في مستوى علائق أعلامها، وَحتَّى على مستوى التَّمثُّل الاشتماليِّ التَّكامليِّ للفرد الواحد؛ مِمَّا يعني "ضرورة بحث كيفيَّة تَوزُّع السُّلطات وَعملها وَأفاعيلها وَعلاقاتها بخِطَاب الحقيقة وَأنواع هذا الخِطَاب، وَعمَّن يصدر وَإلى من تعود مهمَّة تحديد صِدْقِهِ أو زَيْفِهِ"([1]).

وَيقتضي ذلك ضرورة الإلمام بوظيفة العُنْصر الوَاحِد، في إطار الْكُلِّ المُجتَمعيِّ؛ "لأنَّه لا قيمة للعُنْصر إلاَّ بوصفه جزءًا من "الْكُلِّ"، مُتفاعِلاً مع سائر الأجزاء، مُتكامِلاً معها؛ لإعطاء الجَمَاعة طبيعتها وَشكلها وَأسلوب أدائها لمهمَّاتها"([2]).

وَيجب أن يكون ذلك في إطار فهم "المَدْرسة الوظيفيَّة"؛ القَائِم على النَّظْرة "إلى المُجتَمعات كَـ"كُلِّيَّاتٍ"، كمجموعاتٍ مُكوَّنةٍ من تشابك أنساقٍ جزئيَّةٍ (سياسيَّةٍ، اقتصاديَّةٍ، قربى إلخ ...)، وعلى أنَّ النَّشَاطات الجزئيَّة تُساهِم في النَّشَاطات الكُلِّيَّةِ للنَّسَق الذي تنتمي إليه"([3]).

وَعندما نُرسِل التَّحْليل المُتبصِّر، في السِّيَاق السُّلْطويِّ المجتمعيِّ؛ فإنَّنا نجد أنفسنا أمام التَّشكيل الكُلِّيِّ، للسُّلطات السِّتِّ الآتية:

ــ السُّلْطَةُ الدِّينِيَّةُ:

تلتقي الفئة المُمثِّلة "**لِلسُّلْطَةِ الدِّينِيَّةِ**" على إلْفِ العقيدة الدِّينيَّة؛ تلك التي تنبثق عنها التَّصوُّرات القيميَّة وَالأخلاقيَّة لأمَّةٍ من الأمم، وَهِيَ في سياقها العالميِّ، لا تحدُّها حواجز التَّرسيم

---

[1]) العيَادِيّ، **مِيشَال فُوكُو ــ الْمَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ**، ص٣٩.

[2]) صناوي، د. سَعْدِي، (١٩٩٤م)، **مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ اجْتِمَاعِ الأَدَبِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر العَربيّ، ص١٤٠.

[3]) **نفسه**، ص١٤١.

الْجُغْرَافِيِّ السِّياسيِّ لِلدُّوَلِ، وَإِنَّما تتجاوزها إلى نطاقاتٍ رحيبةٍ، تُكرِّس هيمنتها على مجمل الأطر الدِّينيَّة، في المشهد الكونيِّ.

ولَسنا نُغالِي حين نقول بتحقُّق "**السُّلْطةِ**" على مستوى الفِعْل في هذا المقام، حين تُجَسِّدُ حالــةً من هيمنة الفِئَة المُحتكِمة إلى المنظومة الدِّينيَّة، على المستويات الاجتماعيَّة كافَّةً، وَربَّما تجاوز الأمر هاتيك إلى سُلْطة المُمارَسة السِّياسيَّة؛ وَذلك بأن تنضوي الحاكميَّة في إطارها، وَتُخلِــص التَّطبيق لأهدافها.

على أنَّ الضدَّ بائنٌ، في ترسيخ "**السُّلْطةِ الدِّينِيَّةِ**" لصالح السِّياسيِّ؛ لغاية إضفاء الــشَّرعيَّة على برنامجه، بصرف النَّظر عن التَّقويم القياسيِّ لآليَّاته وَتصوُّراته، وَيمكن أن نــشهد خــلاف هاتَيْن الحالتَيْن من التَّآلف الدِّينيِّ مع السُّلطات الأخرى، وَعلى رأسها "**السُّلْطةُ السِّيَاسِيَّةُ**"؛ ذلــك أنَّ الفَجْوة توشك أن تتلاشى باتِّحاد الآراء، على نحوٍ مشهودٍ، في نطاق المُساجَلات الفكريَّة بين أُولِي هذه "**السُّلْطةِ**" وَالسُّلطات الأخرى، وَحتَّى بين أعلام "**السُّلْطةِ الدِّينِيَّةِ**" نفسها.

وَتسعى "**السُّلْطةُ الدِّينِيَّةُ**" إلى تجسيد تأثيرها الفَاعِل، بوساطة ثلاث خلاصاتٍ مُهمَّةٍ لمنهجها التَّطبيقيِّ؛ ممثَّلةً في التَّمثُّل الشُّموليِّ لمُجمَل التَّصوُّرات العقيديَّة، وَلُوجًا إلى حمايتها بِكُلِّ وسائل المُنافَحة الفكريَّة وَالثَّوْريَّة؛ لتصل بها إلى مرحلة التَّعْميم، وَقد يطال ضِدَّهَا التَّكْميم، لا ســيَّما إذا تعلَّق الأمر بسلطة الحزب الدِّينيِّ الوَاحِد على أفراده، التي تتقلَّص في ظلالها فضاءات الحرِّيَّــة الشَّخصيَّة؛ فَيُضحِي الفرد سُلْطةً صُغْرى، منضويةً في إطار "**السُّلْطةِ**" الحزبيَّة الكُبْرى، المُؤسَّسة على فكرة الإصلاح الدِّينيِّ، وَفيها بعضٌ من نقائض الواقعيَّة الإيجابيَّة ؛ التي أســلمت بعــض الأطر الحزبيَّة؛ إلى تبنِّي منهج الرَّفْض وَالثَّوْرة على إطلاقه، وفق قناعةٍ نظريَّةٍ ثابتةٍ، وَمُمارَسةٍ عمليَّةٍ رَاسِخةٍ.

وَيمكن أن نأخذ بعين الاعتبار ها هنا عموميَّة النَّظَر وَالتَّمثُّل؛ فالمُفكِّر الوَاعِــد بــالتَّغيير، يستلهم مجموعةً من المُؤثِّرات السُّلْطويَّة، وَمن أظهرها المُؤثِّر الدِّينيُّ، وَحينها لا يمكن أن نعتقد بخصوصيَّة "**السُّلْطةِ الدِّينِيَّةِ**"، في أوساط أقطابها المعروفين في السِّياق الاجتمــاعيِّ؛ ذلــك أنَّ المُصلِح الشُّموليَّ وَ"**الْمُثقَّفَ**" الكُلِّيَّ؛ يركب كُلَّ ذِي خَطَرٍ فــي اهتمامــات المجتمــع وَتطلُّعاتــه وَأهدافه؛ وَهُوَ بذلك يُمارس سُلْطَة الدِّين على صعيد الفِعْل المُعضَّد بسابق الفَهْم وَالتَّمثُّل.

ـ السُّلْطةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ:

تعتلق "**السُّلْطةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ**" بطبقات المجتمع كافَّة، على نحوٍ يُشَكِّلُ فيه المُصلِح الاجتماعيُّ وَالمُفكِّر القوميُّ الدَّوْرَ الوظيفيَّ لها، الذي يُبْنَى على حماية المنظومة القيميَّة فيها. كما تتدرج في السِّياق نفسه مهمَّة تحقيق الانسجام وَالتَّآلف بين المستويات الاجتماعيَّة؛ بنـاءً علـى أساسـي: المُساوَاة وَالحُرِّيَّة، وَلا طبقيَّة في منظورها إذا ما تعلَّق الأمر بالتَّمـايُز اللَّـوْنِيِّ أو الْعِرْقِـيِّ أو الْمَذْهَبِيِّ أو الطَّائِفِيِّ؛ وَفي هاتيك طبقيَّة الوَظائف وَالرُّؤَى وَالتَّوجُّهات؛ تلك التي ينبغي أن تلتقي على إلْفٍ واحدٍ؛ لغاية تحقيق الْحُلْم النَّهضويِّ للأمَّة.

ولَسنا ننكر بحالٍ ما "**للسُّلْطة الاجتماعيَّة**" من أهمِّيَّةٍ فائقةٍ في السِّياق المجتمعيِّ، وَإنَّما نُدرك بعمقٍ اعتلاءَها ذُرْوَةَ الصُّعُودِ الحضاريِّ للمُجتَمع؛ فبها تلتئم جراحات الشَّعْب؛ ليستلهم المَـسِير في سامق الدَّرْب، كما أنَّها توليفةٌ من القيم المُوجَّهة نحو إيجاب الْقَابِل، في ضوء مِثَالِ الآفِـلِ، وَفي أُفُولها تسقط الحَاضِرة، وَتنضوي في إطار الأمم الغَابِرة؛ إذ إنَّها الضَّمِير الذي لـم يـزل يعتمل بالحسِّ المُرهَف، لمجريات الحركة الحياتيَّة للمُجتَمع.

وَيمكننا أن نُلخِّص المهمَّة الْكُلِّيَّة لصاحب "**السُّلْطَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ**"، في ثلاثة أدوارٍ قيِّمةٍ؛ أوَّلها: دراسةٌ مُتبصِّرةٌ لوقائع الحياة المجتمعيَّة، وَثانيها: تقويمٌ واقعيٌّ وفق منهجٍ علميٍّ مُؤصَّلٍ، وَثالثها: توجيهٌ مُدَعَّمٌ بسُلْطَانِ الْحُجَّةِ وَالْبَيَان، وَعَمِيقِ الرَّأْيِ وَالْبُرْهَان.

ثُمَّ إنَّ ملمح الاتِّحَاد في "**السُّلْطَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ**"، قد يتبدَّى على مستوى الأفراد أو الـسُّلطات؛ فقد يحتضن الفَرْد "**السُّلْطَةَ الاجْتِمَاعِيَّةَ**" فضلاً عن نظيراتها؛ بفضل الموسوعيَّة المعرفيَّة؛ وَقـد تلتقي "**السُّلْطَةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ**" مع غيرها، في مَحْفَلِ المُفكِّرين الْوُعَاةِ بأهداف الأمَّة؛ أمَّا التَّنـاقُض فيسمو على كُلِّ اللِّقاءَات؛ ليصبَّ في مصلحة التَّفوُّق وَالعُلوِّ، لا سيَّما إذا تعلَّق الأمر بـ"**السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**"، التي قد تتوافق مع الاجتماعيِّ تارةً، وَقد تُسلِمه إلى سُكُونِ الكلمـة وَالجـسد تـارةً أخرى.

وَأيًّا كان الأمر؛ فقد رأى (تُومَا الأكوينِي) أنَّ المُجتَمع سابقٌ للفرد، من وجهةٍ نظريَّةٍ تقول: إنَّ "الإنسان بحكم الطَّبيعة يحيا في المتّحد الأوسع من العائلة، وَالذي يضمُّه وَجيرانه تحت حكمٍ مشتركٍ. وَالمجتمعات لم تقم نتيجة الفَتْح وَلا العقد الاجتماعيِّ، وَلا قامت لمجرَّد الحفـاظ علـى الاستقرار أو لحماية المصالح، بل إنَّما قامت؛ لأنَّ البشر بالطَّبيعة هُمْ أعضاءٌ فيها؛ وَلأنَّ الحياة

الإنسانيَّة السَّليمة مُستحيلةٌ ما لم يكن البشر أعضاءً في متَّحداتٍ سياسيَّةٍ"([1])؛ "فَالعلاقات الاجتماعيَّة هِيَ ركنٌ أساسيٌّ في حياة النَّاس، وَحجر الزَّاوية في نجاحها"([2]).

وَيلزمنا أن نُنبِّه في وحي السَّابق، إلى سُلْطَةِ المُجتَمع، "وَهِيَ سلطةٌ غير مكتوبةٍ، تُتَوَارَثُ من جيلٍ إلى جيلٍ، وَتتمثَّل في العادات، وَالعُرْف وَالتَّقالِيد وَالحِكَم وَالأمثال، وَأيضًا في مَوْجَاتِ العَقْل الجَمْعيِّ، التي تتردَّد بين النَّاس، كالذَّوْق العامِّ، وَالرَّأي العامِّ"([3])، الذي يُعَدُّ رَدَّ فعلٍ لمُمارَسات "**السُّلْطَةِ**"، وَيُؤثِّر على صنع القرار السِّياسيِّ، كما أصبح فاعلاً في صياغة السِّياسة الخارجيَّة([4]).

ــ السُّلْطَةُ الاقتِصَادِيَّةُ:

تتجسَّد هذه "**السُّلْطَة**" في القوَّة المُؤثِّرة، التي يتمثَّلها أُولُو النُّفُوذ الماليِّ وَالسَّيْطرة الاقتصاديَّة، على المستويَيْن المحلِّيِّ وَالعالميِّ، وَفيها حساسيَّة المهمَّة المُكرِّسة قُوَّةَ البِنْيَةِ الاقتصاديَّة، بصرف النَّظر عن غائيَّتها، التي قد تتوافق مع المصالح الشَّخصيَّة، وَربَّما سعت إلى ترسيخ النُّفُوذ الاقتصاديِّ للمُجتَمع، وفق نظرة ائتلافيَّة مع مطامحه.

وَلا فضل في أهمِّيَّة "**السُّلْطَةِ الاقتِصَادِيَّةِ**" من النَّاحية الإيجابيَّة، إلاَّ إذا تماهت مع تأمين المستوى الأمميِّ، في تلبية الحاجَات، وَإشباع الرَّغَبات، التي تعتلق بالغريزة البشريَّة؛ أمَّا نطاق الهُبُوط الهَدَفِيِّ؛ فَبَادٍ في المُمارَسة الوظيفيَّة "**لِلسُّلْطَةِ الاقتِصَادِيَّةِ**"، في الغالب الأعمّ؛ ذلك أنَّ مَحَطَّ عناية ذوي الثَّرْوة وَالمَال؛ يكمن في تحقيق المآرب الشَّخصيَّة وَالمصالح الإقليميَّة، بعيدًا عن القيم

---

[1]) فرادوارد، مُوريس، (٢٠٠٢م)، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أَعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الصَّدَاقَة، ٥: ٢٨.

[2]) دروزة، د. أَفْنَان نَظِير، (٢٠٠٤م)، **وَمضاتُ فِكْرٍ ــ مَقَالاتٌ أَدبيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ**، (ط١)، نابلس: دَار الفَارُوق للثَّقَافَة وَالنَّشْر، ص٣٩.

[3]) عِزَّتْ، **السُّلْطَةُ فِي الْمُجْتَمَعِ**، ص٧.

[4]) يُنظَر: سميسم، أ. د. حميدة، (٢٠٠٢م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ وَطُرُقُ قِيَاسِهِ**، (د. ط)، عمَّان: دَار وَمَكْتَبَة الحَامِد للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٦؛ وَيُنظَر: طَلْعَتْ، د. شَاهِينَاز، (١٩٨٣م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبَة الأنجلو المِصْرِيَّة؛ وَيُنظَر: حجازي، د. عبد الحَمِيد، (١٩٨٧م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ وَالإعْلامُ وَالْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الرَّأي العَامّ، ص٦١ ــ ٧٤، (الفَصْل الثَّانِي: أنواع الرَّأي العَامِّ وَأبعاده)؛ وَللاطِّلاع على مَفْهُوم الرَّأي العامِّ وَأنواعه، وَالعَوَامِل الطَّبِيعيَّة وَالاجتماعيَّة المُؤثِّرة في تشكيله، إضافةً إلى استطلاعه، يُنظَر: عَوَّاد، المُقدَّم الدُّكتور علِيّ، (١٩٩٣م)، **الدِّعَايَةُ وَالرَّأيُ الْعَامُّ ــ مَضْمُون وَنَمَاذِج من الحَرْب في لُبْنَان وَالخَلِيج ــ تَجَارِبُ دوليَّةٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة نَزيه كُوكِي للتَّصَامِيم وَالطِّبَاعَة وَالإعلان، ص٤٣ ــ ٩٣، (القِسْم الثَّانِي بفُصُوله الخَمْسة: الرَّأي العامُّ)؛ وَحَوْل تكوين الرَّأي العَامِّ وَقوانينه وَسلوكيَّاته، يُنظَر: حُسيْن، د. سَمِير مُحمَّد، (١٩٩٧م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ ــ الأُسُسُ النَّظَرِيَّةُ وَالْجَوَانِبُ الْمَنْهَجِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: عَالَم الكُتُب، ص٥١ ــ ٧٨.

الإنسانيَّة الرَّفيعة، وَلا ضير في أن تعتنق "**السُّلْطَةُ الاقتِصَادِيَّةُ**" مبدأ الصُّعود المصلحيِّ، إذا كان مُؤتلِفًا بالمُوازَنة الدَّقيقة بين مطامح الذَّات وَرغائب المُجتَمع.

وَقد نُقلِّب في جوانب هَذِهِ "**السُّلْطَةِ**"؛ لنستشفَّ منها الدَّور العمليَّ المُكرِّس هيمنتها الواقعيَّة؛ فوظيفتها النَّفعيَّة تتعدَّى نطاق القُوَّة الذي تبرز به سمتها السُّلطويَّة؛ لِتُجسِّد ملمحًا مُهمًّا في تلبية حاجات الْمِصْرِ الوَاحِدِ، من سُيُولَةِ النَّقْد، في عَصْرِ العملات الصَّعْبة، ثُمَّ إِنَّ قيمتها الوظيفيَّة تتعمَّق بإحداث التَّوازُن المجتمعيِّ بين سائر طبقاته وَمستوياته؛ لتكون المطالب الفرديَّة في مقام المُتحقِّق.

وَيلزمنا في هذا الإطار، أن نُدرك المُفارَقة الكامنة بين الثَّراء المجتمعيِّ الفَاحِش وَالفَقْر الْمُدْقِع؛ تلك التي أدار السِّياسيُّ بها معركته مع أقطاب المُعارَضة، في سائر السُّلطات؛ فتخلَّق التَّأزُّم الثَّوريُّ؛ بفعل التَّخَلْخُلِ المجتمعيِّ؛ وَأَسْلِمَ المُجتَمع إلى حالتَيْن مُتناقضتَيْن؛ كرَّستا سُبَاتَ التَّرَفِ وَثَوْرَةَ الْفَقْرِ؛ وَهُمَا ما لا يُرتَجيان في مجتمعٍ لزمه الحرص على المُواءَمة الْهَدَفِيَّةِ بين سلطاته كافَّةً.

وَيمكن أن يتبدَّى التَّآلف بين "**السُّلْطَةِ الاقتِصَادِيَّةِ**" وَالسُّلطات الأخرى؛ ليتمظهر في ذروته بينها وَبين "**السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**"؛ إِذْ إِنَّ الاقتصاد مُعَضِّدُ الدَّولة في ابتناء عتيد أركانها؛ أَمَّا التَّصادُم فيغدو مُؤطَّرًا بسجال الفِكْر وَالتَّنْظير، لا سيَّما في علاقة سُلْطة الاقتصاد بسلطتي الدِّين وَالاجتماع؛ مِمَّا يسلم "**الْمُثَقَّفَ الشُّمُولِيَّ**" ــ في بعض الأحيان ــ إلى حالةٍ من الصِّدام مع أنظمة الاقتصاد الرَّأسماليَّة([1]) أو الرِّبويَّة، التي سبَّبت الأزمات الاقتصاديَّة العالميَّة، وَأشاعت في أوساط المجتمع حالةً من الجُوع وَالأسَى وَالحِرْمان.

ــ السُّلْطَةُ الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ:

ضربت "**سُلْطَةُ الْمَعْرِفَةِ وَالْفِكْرِ**" صَفْحًا، عن المستوى الضَّيِّق، في الإلمام النَّظريِّ بمُنجَزات العُلُوم؛ لتنطلق إلى فضاءٍ رحيبٍ من النَّظَر وَالتَّأمُّل وَالاستمزاج؛ خلوصًا إلى المُوافَقة أو الرَّفْض، بقيودٍ قيميَّةٍ وَأخلاقيَّةٍ نظَّمت عملها، وَكرَّست فيها القُوَّة وَالهَيْمنة، على سبيل الشُّيُوع وَالنَّفاذ، دونما وحدانيَّةٍ أو استفرادٍ؛ ذلك أَنَّها مُؤسَّسةٌ على المُشارَكة المعرفيَّة وَالوِجْدانيَّة، مع نتاج المُجتَمعات الثَّرِّ، وَقمم التَّنوير الفكريِّ، على صعيد الأمَّة الواحدة، ومن ثمَّ المَشْهد الكونيّ.

---

[1]) في مَوْضُوع الاقتصاد السِّياسيِّ، وَنَقْد الرَّأسماليَّة، وَالانتصار للاتِّحَاد الطَّبَقيِّ العُمَّاليِّ، يُنظَر آراء ماركس: فرادوارد، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أَعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، ٥: ٩٤ ــ ١٠٢.

وَتكمن القيمة الوظيفيَّة لهذه "**السُّلْطَةِ**"؛ في صيانة الفكر عن الأخطار المحدقة به، في سياقِ حرب التَّصوُّرات وَالأفكار، التي تدور سجالاتها في محافل الفِكْر المختلفة؛ ذلك أنَّ المَعْرِفَة: "ثورةٌ ذهنيَّةٌ جريئةٌ، على جُمُود العَقْل البشريِّ، وَمُدْرَكَاتِهِ الفِكْريَّة"([1]).

ثُمَّ إنَّهَا تسعى بجِدٍّ إلى إرساء منظومةٍ فكريَّةٍ راسخةٍ، قد تُقارب المِثَال الأخلاقيَّ المُشتَرك بين الأمم، وَقد تُلغِي شرط الإنسانيَّة في التَّعامُل مع غايات الإنسان؛ لتنطلق إلى الهَدَف الوظيفيِّ الأخير، الذي يُشكِّل نتيجةً منطقيَّةً لسابق التَّصوُّر وَالتَّخطيط؛ فبالصُّعُود أو الهُبُوط تُمارس سُلْطَةُ الفِكْر أثرها على المُجتَمعات وَالشُّعُوب.

لقد أراد المُفكِّر لذاته أن تتماهى في العالميَّة؛ فَألَمَّ من كُلِّ فَنٍّ بطرفٍ، وَشرع يُؤَرِّمُ الأحداث في داخله؛ بغية استنطاق الخَلاص المنهجيِّ لمسير الأمم؛ وَهُوَ بذلك مقبلٌ على مرحلةٍ من التَّفاعُل الفكريِّ مع الحقوق الإنسانيَّة؛ تلك التي أهَّلته للولوج إلى عقول الخاصَّة، خارج نطاقه القُطْريِّ الضَّيِّق، مع احتفائه بتلاقُح الفِكْر مع أصحاب هاتيك الطَّبقة؛ ذلك أنَّه أكثر التصاقًا بالخاصَّة، وَأقرب إلى البُعْد عن العامَّة.

وَسعت "**سُلْطَةُ الْمَعْرِفَةِ وَالْفِكْرِ**" على الدَّوام، إلى تملُّك مزيدٍ من السُّلطات المجتمعيَّة الأخرى؛ بفعل عوامل الإلمام وَالمعرفة وَالتَّنْقيب؛ لتحتضن في داخلها جملةً من العناصر المُؤَثِّرة في السِّياق الإنسانيِّ الخُصُوصيِّ أو العَالَميِّ، لكنَّها عجزت عن اجتذاب "**سُلْطَةِ الثَّقافَةِ**" إليها؛ لتمسُّكها ببرجها الْعَاجِيِّ، وَابتعادها عن فَوْرَةِ المُجْتَمع، وَحركته المعيشيَّة اليوميَّة، على أنَّها احتفظت كما "**الثَّقَافة**" بهيبتها عند السُّلطات الأخرى، لا سيَّما "**السُّلْطة السِّياسيَّة**"، وَغدت معها في حالةٍ من التَّآلف وَالتَّصادُم، وفق مُؤثِّراتٍ فرديَّةٍ وَمنهجيَّةٍ وَحضاريَّةٍ؛ انتظمت ضمن نهجَيْن متباينَيْن، هُمَا: اللامُبَالاة وَمُلازَمَة السُّلْطة، وَالنَّقْد المُعَارِض الثَّوْرِيُّ([2]).

كما أفادت "**السُّلْطَةُ الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ**" من العَوْلمة؛ لاختراق سياقاتٍ جديدةٍ، لم تكن على صلةٍ معها في ظِلِّ التَّجمُّعات الإقليميَّة القديمة، إلاَّ أنَّ نظريَّة الجمهوريَّة الأفلاطونيَّة، سعت إلى تكريس نفوذ الفيلسوف المُفكِّر، وَنقله إلى المجال العمليِّ، من خلال دعوته "أن تكون النُّخْبة الحَاكِمة من الفلاسفة"([3]).

---

[1]) يُوسُف، عبد البَاقِي، (يُونيُو٢٠٠٣م)، **فِقْهُ الْمَعْرِفَةِ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص١٠.

[2]) يُنظَر: الرّبيع، **النِّفَاقُ .. وَالسُّلْطَة**، ص١٠٩؛ وَحَوْل قضيَّة الحُرِّيَّة وَالكَاتِب، يُنظَر: صَالِح، أَحْمَد عَبَّاس، (خَرِيف١٩٩٢م)، حَيَاةُ الكَاتِبِ فِي ظِلِّ إرْهَابِ السُّلْطَةِ، **مجلَّة فُصُول**، ١١(٣)، ص٢١ ــ ٣١.

[3]) فرادوارد، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أَعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، ٥: ١١.

وَقد تضمَّنت الآراء الأخلاقيَّة، عند كُلِّ الفَلاسِفَة، "نتائجَ سياسيَّة؛ فبعضهم قَدَّرَ الدِّيمقراطيَّة، وَبعضهم حكم القِلَّة (Oligarchy)، وبعضهم امتدح الحُرِّيَّة، وَآخرون الضَّبْط ..."([1])، مع عدم إغفالنا اتِّصَال الفلسفة بالمعرفة الأدبيَّة، من خلال كتاب الشِّعْر الأرسطيِّ، الذي شكَّل صدًى مُهمًّا، في الدِّرَاسَات القَدِيمَة وَالحَدِيثة([2]).

فقد أسَّس (أرسطُو) "نظريَّةً في الشِّعْر، استمدَّت أُصُولها من الشِّعْر التَّمْثيليِّ، في بلاد الإغريق"([3])، وسعى بحسِّه الثَّاقِب وَبصيرته النَّافِذة إلى "صياغة قوانين للصِّنَاعَة الشِّعْريَّة. وَقد تواصل تَوارُث هذه المُحَاوَلة من بعده، حتَّى وصلت إلى أصحاب العُقُول من النُّقَّاد العَرَب، وعلى رأسهم قُدَامَة بن جَعْفَر؛ إذ استمرَّت بهم مُحَاوَلات ضبط قوانين الصِّنَاعَة الشِّعْريَّة، إلى حَدِّ تسميتهم النَّقْد "علم النَّقْد""([4]).

وَيلزمنا في ختام مُعَالَجَة "**السُّلْطة المعْرِفيَّة الفِكْريَّة**"، أن نُمَيِّزَ بين "المُمَارَسَة السِّيَاسيَّة "للقُوَّة"، وَبين مَفْهُوم السُّلْطة؛ من حيث أنَّ [إنَّ] العَالِم أو الفيلسوف أو المُفكِّر بوجهٍ عامٍّ، بالرَّغم من عدم امتلاكه لزمام القرار (GRAMSCT)؛ فهو مع ذلك يمتلك قدرةً على التَّحْلِيل وَالتَّقْويم؛ وَمُؤَهَّلٌ للنَّقْد وَالتَّأثير وَالتَّوْجيه، الشَّيء الذي يجعل من معرفته "سُلْطَةً" مُؤَثِّرَةً، وَبالتَّالِي منافسة لتلك التي يتمتَّع بها رجل السِّيَاسَة، الأمر الذي يُغْريهِ بتوظيف مفهومي السُّلْطة وَالشَّرْعيَّة؛ في سبيل التَّأثير عليه وتوجيهه ... !"([5]).

وَهكذا تقترن المَعْرفة بالسُّلْطة، في علاقةٍ وطيدةٍ، أكَّدها (فُوكُو)؛ من جهة أنَّ "المَعْرِفة وسيلةٌ لتعريف الآخرين وتصنيفهم؛ فعوضًا [عن] أن تُحرِّرنا من الجهل؛ تدعم فعل المُرَاقَبة وَالانضباط؛ بل تُؤدِّي أحيانًا أفعال السُّلْطة إلى نتائج إيجابيَّةٍ"([6]).

---

[1]) رَاسل، برترَاند، (١٩٦٢م)، **الفَلْسَفةُ وَالسِّيَاسَةُ**، تَرْجَمة: د. عبد الرَّحْمَن القَيْسِيِّ، (د. ط)، بَغْدَاد: مَكْتَبَة النَّجَاح، ص٨؛ وَيُنظَر آراء المُفكِّرين وَالفَلاسِفَة في النِّظَام السِّيَاسيِّ، في: بَدَويّ، عبد الرَّحْمَن، (١٩٧٥م)، **نيتشه**، تَرْجَمة: خَلِيل الهنداوي، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار بَيْرُوت للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، ص١٢٩؛ وَللاطِّلاع على وُجُوه التَّجاذُب بين الفَلْسَفة وَالسِّيَاسَة، يُنظَر: أُومليل، د. عَلِيّ، (٢٠٠٩م)، **السُّلْطةُ الثَّقافِيَّةُ وَالسُّلْطةُ السِّيَاسِيَّةُ**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة، ص١٦٥ ــ ٢٢١، (القِسْم الثَّاني: سِيَاسَة الفَيْلَسُوف).

[2]) يُنظَر: الزُّعْبيّ، أ. د. زِيَاد، (٢٠٠٧م)، **المُثَاقفَةُ وَتَحَوُّلاتُ المُصْطَلَح ــ دِرَاسَةٌ فِي المُصْطَلَح النَّقْدِيِّ عِنْدَ العَرَب**، (ط١)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة، ص٤١ ــ ٦٣، (الفَلاسِفَة المُسْلِمُون وَفَنُّ الشِّعْر الأرسطيِّ في دِرَاسَات المُسْتشرقين الألْمَان)؛ وَيُنظَر: برقان، رَشِيد، (يَنَاير٢٠٠٩م)، فَنُّ الشِّعْر لأرسطو مِنْ خِلالِ التَّرْجَمَةِ وَالشُّرُوح العَرَبيَّةِ، **جُذُور**، ١١(٢٧)، ص١٨٧ ــ ٢٠٤.

[3]) الجوَّة، أحْمَد، (٢٠٠٤م)، **بُحُوثٌ فِي الشِّعْريَّاتِ: مَفَاهِيمُ وَاتِّجَاهَاتٌ**، (د. ط)، صَفَاقس: كلِّيَّة الآدَابِ وَالعُلُوم الإنسانيَّة وَمَطْبَعة التَّسْفِير الفَنِّيِّ، ص١١٩.

[4]) مَحْمُود، حُسْنِي، (فبراير١٩٩٩م)، النَّقْدُ الأدَبيُّ .. وَحُضُورُ الذَّاتِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٨(٣١)، ص١١٩.

[5]) الصَّغير، د. عبد المَجيد، (٢٠١٠م)، **المَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ فِي التَّجْرِبَةِ الإِسْلامِيَّةِ ــ قِرَاءَةٌ فِي نَشْأَةِ عِلْم الأُصُولِ وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: رُؤْيَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٨، (تَمْهيد).

[6]) مُوسَى، حُسيْن، (٢٠٠٩م)، **مِيشَال فُوكُو ــ الفَرْدُ وَالمُجْتَمَعُ**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار التَّنْوِير للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣٥.

وَلَمَّا كانت السَّيْطرة بالكَلِمات، أساس الولوج إلى الطَّبَقات الاجتماعيَّة كافَّةً، بما فيها طبقة الحُكَّام وَأعوانهم؛ استقام للأدِيبِ / المُثَقَّفِ إجالة النَّظَرِ، وَإقامة التَّبصُّر، في السِّياسة السُّلْطانيَّة، وَالأخلاق الملكيَّة؛ بغية تقويمها، ورجاء تهذيبها، بمباشرة لغويَّةٍ وَوُضُوحٍ أسلوبيٍّ تارةً[١]، وَبإيحاء التَّرميز المقصود تارةً أخرى[٢]، في إطار ما يُعْرَفُ "بِأدَبِ مِرْآةِ الأُمَرَاءِ"؛ الذي كان مُوجَّهًا لغاية "تأديب الأُمَرَاء وَنصح المُلُوك وَالحُكَّام"[٣].

كما حضر "عِلْمُ الاجْتِمَاعِ السِّيَاسِيُّ"، الذي كشف لنا مُفَكِّرُوهُ "عن ميراثٍ كبيرٍ في علم السِّياسة"[٤]، وَهُمَا يلتقيان بِمُصطلَحات: "الدَّهائيَّات، علم الأخلاق السِّياسيِّ، الفَلْسَفة السِّياسيَّة،

---

[1]) في نَقْد السِّيَاسَة السُّلْطانيَّة وَالأخْلاق الملكيَّة، يُنظَر: ابن المُقَفَّع، أَبُو مُحمَّد عبد الله داذويه (ت١٤١هـ/ ٧٥٩م)، **آثارُ ابْنِ الْمُقَفَّع**، (ط١)، ١م، (قدَّمه للطَّبْع وَأشرف عليه: عُمَر أَبُو النَّصْر)، مَنْشُورات دَار مَكْتَبة الحيَاة، بَيْرُوت، ١٩٦٦م، ص٣١، ٣٢، ٣٤٥ ــ ٣٦١، (رِسَالَةُ الصَّحَابَةِ)؛ وَيُنظَر: ابن المُقَفَّع، **نفسه**، ص٣٦٣ ــ ٣٦٨، (الدُّرَّةُ اليَتِيمَةُ)؛ وَيُنظَر: ابن المُقَفَّع، **الدُّرَّةُ الْيَتِيمَةُ**، (د. ط)، ١م، (قدَّم لها وَضبطها وَشرحها: أَحْمَد رِفْعَتْ البدراويّ)، دَار النَّجَاح للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّأْليف، بَيْرُوت، ١٩٧٤م، ص٢٤ ــ ٣٨، (مَعَ الْوُلاةِ وَأَصْحَابِ السُّلْطَانِ)؛ وَفي تأصيل الأخْلاق السُّلْطانيَّة، في سَائِرِ شُؤُون الحُكْم وَالقَصْر، يُنظَر: الجَاحِظ، عَمْرو بن بَحْر، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **كِتَابُ التَّاجِ فِي أَخْلاقِ الْمُلُوكِ**، (ط١)، م١، (تَحْقِيق: الأستاذ أَحْمَد زَكِي بَاشَا)، المَطْبَعة الأَميريَّة، القَاهِرة، ١٩١٤م، ص٢٣ ــ ٢٩. (مُقدِّمة المُحقِّق)؛ وَيُمكِن مُطَالَعة الأُصُول الثَّقَافيَّة، في الأخْلاق السُّلْطانيَّة، في أبواب الكِتَاب، وَهِيَ: بابُ الدُّخُول على المَلِك، وَبابٌ في مُطَاعَمة المَلِك، وَبابٌ في المُنَادَمة، وَبابٌ في صفة نُدَمَاء المَلِك، مع ضرورة إيلاء المُقدِّمة وَالخَاتِمة عنايةً فائقةً، بِالنَّظَر الفَاحِص، في ظِلِّ الإهداء بين يَدَي الوَزِير الفَتْح بن خَاقَان؛ وقد اخْتُلِفَ في نسبة هذا الكِتَاب؛ فرأى جَلِيل العَطِيَّة أنَّه يرتدُّ لِمُحمَّد بن الحَارِث التَّغْلَبِيِّ، يُنظَر: التَّغْلَبِيّ، مُحمَّد بن الحَارِث (ت٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، **أَخْلاقُ الْمُلُوكِ (المَنْسُوب للجَاحِظ سابقًا)**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: جَلِيل العَطِيَّة)، دَار الطَّلِيعَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، بَيْرُوت، ٢٠٠٣م، ص٥، ٦، (بين يدي الكِتَاب)؛ ص٧ ــ ١٩، (مُقدِّمة التَّحْقِيق)؛ وَللاطِّلاع على مُنَاقَشَة أنظار الشَّافِعِيِّ، في أُصُول الإِمَامَة السِّيَاسيَّة، يُنظَر: أَدُونِيس، عَلِيّ أَحْمَد سَعِيد، (١٩٧٩م)، **الثَّابتُ وَالْمُتَحوِّلُ ــ بَحْثٌ فِي الاتِّبَاع وَالإبْدَاع عِنْدَ الْعَرَبِ ــ ٢ ــ تَأصِيلُ الأُصُولِ**، (ط٢)، بَيْرُوت: دَار العَوْدَة، ٢: ٢٦ ــ ٣٠؛ وَفي تأصيل الفَقِيه المَالِكِيِّ، الأَدِيب الطُّرْطُوشِيِّ، للسِّيَاسَة الملكيَّة، في شُؤُون الحُكْم وَالحَاشِيَة وَالرَّعِيَّة، يُنظَر: الطُّرْطُوشِيّ، أَبُو بَكْر مُحمَّد بن الوَلِيد الفِهْرِيّ (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٧م)، **سِرَاجُ الْمُلُوكِ**، (ط١)، ٢م، (حقَّقه وَضبطه وَعلَّق عليه وَوضع فهارسه: مُحمَّد فَتْحِي أَبُو بَكْر)، الدَّار المِصْرِيَّة اللُّبْنَانيَّة، القَاهِرة، ١٩٩٤م، ١: ١٧ ــ ٤١٢، (يتضمَّن الجُزْء الأوَّل اثْنَيْن وَثلاثين بابًا، من أربعةٍ وَستِّين بابًا، شكَّلت مجموع أبواب هذا الكِتَاب).

[2]) في النَّقْد الأدبيِّ، للقَانُون السُّلْطانيِّ، بِأسلوبٍ تَرْمِيزِيٍّ، حكايةً على ألسنة الحَيَوَانَات، بإفادةٍ من التَّرْجَمة، مع إضفاء الإبداع الذَّاتيِّ، في الصِّيَاغَة وَأسلوب العَرْض؛ لغاية تقديم المَنْهَج القَوِيم في الحُكْم، يُنظَر: ابن المُقَفَّع، **آثارُ ابْنِ الْمُقَفَّع**، ص٣٣ ــ ٢٧٦، (كليلة وَدمنة).

[3]) القِفْطِيّ، الوَزِير جَمَال الدِّين عَلِيّ بن يُوسُف، (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **أَسَاسُ السِّيَاسَةِ**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: جَلِيل العَطِيَّة)، دَار الطَّلِيعَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، بَيْرُوت، ٢٠٠٨م، ص١٩، (مُقدِّمة التَّحْقِيق)؛ وَلاستجلاء الأُسُس التي وضعها المُؤرِّخ الفَقِيه الأَدِيب السِّيَاسيُّ الوَزِير القِفْطِيُّ، في سِيَاسَة الأُمَرَاء وَالمُلُوك، بِأثرٍ فارسيٍّ، يُنظَر: **نفسه**، ص٥٥ ــ ٥٨، (الْمَلِكُ الظَّالِمُ)، ص٦٠، ٦١، (اعْتِمَادُ الْكَفَاءَةِ)، ص٨١، ٨٢، ١١٤، ١١٥، (أَسْبَابُ زَوَالِ الْمُلْكِ).

[4]) ابن الأَزْرَق، أَبُو عبد الله شَمْس الدِّين مُحمَّد بن عَلِيّ بن مُحمَّد الغَرْنَاطِيّ، (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، **بَدَائِعُ السِّلْكِ فِي طَبَائِعِ الْمُلْكِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وَتَعْلِيق: د. عَلِيّ سَامِي النّشار)، دَار الحُرِّيَّة للطِّبَاعَة ــ مَنْشُورات وزارة الإعلام العِرَاقيَّة ــ سِلْسلة كُتُب التُّرَاث (٤٥)، بَغْدَاد، ١٩٧٧م، ١: ٢٢، (مُقدِّمة المُحقِّق)؛ وَلمُطَالَعة الالتئام بين عُلُوم الفِقْه وَالاجتماع وَالسِّيَاسَة وَالأَدَبِ، في سياقٍ تأصيليٍّ واحدٍ، يُنظَر: **نفسه**، ١: ٨٧ ــ ١٧١، (الكِتَاب الأوَّل: في حقيقة المُلْك وَسائر أنواع الرِّيَاسَات وَسبب وُجُود ذلك وَشُرُوطه)، ١: ١٧٣ ــ ٥٥٧، (الكِتَاب الثَّانِي: في أركان المُلْك وَقواعد مبناه ضرورةً وكمالاً)؛ وَيُنظَر: ابن الأَزْرَق، **بَدَائِعُ السِّلْكِ فِي طَبَائِعِ الْمُلْكِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وَتَعْلِيق: د. عَلِيّ سَامِي النّشار)، دَار الحُرِّيَّة للطِّبَاعَة ــ مَنْشُورات =

آداب المُلُوك، مَرَايا الأمَراء، نصائح المُلُوك ... إلخ"([1])؛ للتَّعْبير عن نمطٍ من التَّأصِيل المَوْسُوم بـــ"الآدَابِ السُّلْطَانِيَّةِ".

وَتدلُّ الآداب المرتبطة بالقَصْر السُّلْطانيِّ، على "التَّفْكير السِّياسيِّ، الذي يهتمُّ بوضع قواعــد مُحدَّدةٍ، أخلاقيَّةٍ وَسلوكيَّةٍ؛ لتسيير الحُكْم السُّلْطانيِّ"([2])، في انسجامٍ وَاضِحٍ مع دائرتي: التَّــصادُم وَالتَّصالُح، اللَّتَيْنِ حكَمَتَا العلاقة بين الأدِيبِ / المُثقَّفِ وَالسُّلْطَانِ منذ الزَّمن الغَابِر، وَحتَّى عصرنا هذا؛ إذ أضحت أنظمة الحُكْم العربيَّة ــ في واقعنا المُعاصِر ــ نقيضًا للإبداع الشِّعْريِّ المُتنــوِّر بِسُلْطَانِ الْحَقِيقَةِ؛ مِمَّا أسلم الشُّعَرَاء إلـــى إحـــدى حـــالتَيْن: المُهَادَنَـــة بالتَّــصالُح أو المُــسَاجَلَة بالتَّصادُم([3]).

وَما ذلك إلا لإدراك السَّاسَة خَطَرَ وَظِيفة الشِّعْر، في أداء ثلاثة أدوارٍ مُهمَّةٍ، هــي: الــدَّوْر الفنِّيُّ الجماليُّ([4])، وَالدَّوْر الإعلاميُّ([5])، وَالدَّوْر المُؤَسَّسِيُّ بأنماطه الثَّلاثة: المُؤَسَّــسة الغزليَّــة وَالمُؤَسَّسة الوَطَنيَّة وَالمُؤَسَّسة العقيديَّة([6]).

ــ السُّلْطَةُ الثَّقَافِيَّةُ:

شكَّلت "**السُّلْطَةُ الثَّقَافِيَّةُ**" توليفةً من القيم المُؤثِّرة؛ مُمثَّلةً في الإلمام الشُّموليِّ وَالفَهْم الحَــاذِق وَالاستبصار المُتوثِّب وَالنَّقْد السَّابر، على أيدي "النُّخْبَةِ"، "المُعتَرف بهم من قبل السُّلْطة القائمــة، كرموزٍ للفِكْر وَالثَّقَافة"([7])، ([1])، وَالتي عملت جاهدةً وفق تكامليَّتها المعرفيَّة على إرساء الحرِّيَّــة

=وزارة الإعلام العِرَاقيَّة ــ سِلْسلة كُتُب التُّرَاث (٥٣)، بَغْدَاد، ١٩٧٨م، ٢: ٩ ــ ١٩٧، (الكِتَاب الثَّالِث: فيمــا يُطَالَبُ به السُّلْطَان تشييدًا لأركان المَمْلَكَة).

[1]) العلام، عزّ الدِّين، (١٩٩١م)، **السُّلْطَةُ وَالسِّيَاسَةُ فِي الأَدَبِ السُّلْطَانِيِّ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: أفريقيا الشَّرْق، ص١٩؛ وَفي مُنَاقَشَة هذه المُصْطَلَحَات وَتحليلها، يُنظَر: **نفسه**، ص٢٠ ــ ٢٣.

[2]) **نفسه**، ص١٩.

[3]) في عَلاقَة الشَّاعِر الحَدِيث بالسُّلْطة السِّياسيَّة، يُشاهَد: كنانة، د. عَلِيّ نَاصِر، (بَاحِثٌ وَشَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ)، **حِــوَارٌ حَوْلَ الْمُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ**، برنامج "حَدِيث الصَّبَاح"، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء ١ / ٧ / ٢٠٠٨م، الــسَّاعَة ٦ ــ ٧ صباحًا.

[4]) يُنظَر: اللبدي، أيْمَن، (يُوليُو٢٠٠٣م)، **مَسَائِلُ أَسَاسِيَّةٌ حَوْلَ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِــرِ**، (طبعــة إلكترونيَّــة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص١٤، ١٥.

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ص١٥ ــ ١٨.

[6]) يُنظَر: **نفسه**، ص ١٨ ــ ٢٣؛ وَيُنظَر في التَّحدِّي الرَّاهِن، الذي يُواجِهه الــشِّعْر العَرَبِــيُّ، بــين التَّعْرِيــب وَالتَّغْرِيب: زَغْلُول، لُطْفِي، (أكتُوبر٢٠٠٣م)، **انْتِمَاءٌ ــ مَقَالاتٌ مُخْتَارَةٌ فِي التَّرْبِيَةِ وَالأَدَبِ وَالاجْتِمَاعِ**، (طبعــة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص١٠ ــ ١٤، (الشِّعْر العَرَبِيُّ: تَعْرِيبٌ أم تَغْرِيبٌ).

[7]) السَّعْدَاوِيّ، د. نَوَال، (٢٠٠٢م)، **قَضَايَا الْمَرْأَةِ وَالْفِكْرِ وَالسِّيَاسَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: مَكْتَبَة مَدْبُولِي، ص٢٥٥.

وَالخُصُوصيَّة وَالهُويَّةِ، مع حرصها على مواكبة التَّحـديّات المُعاصِـرة، مـن مثـل العَوْلمـة وَالاختراق الثّقافيّ وَالتّبعيَّة وَغيرها، التي كرَّستها السُّلطات المُستبدَّة على المستوى العالميّ، من خلال أمْرَكَةِ الثّقافات القُطْرِيَّةِ([٢]).

وَقد وصلت "**السُّلْطة الثّقافيَّة**" إلى الغاية القُصْوى؛ مُجسَّدةً في إرساء المبـادئ الإنسـانيَّة السَّامِقة؛ فالمُثقّفون "هُمْ كتلة الوعي الفاعل في الأمَّة، وَأحد مصادر قُوَّتها وَتأثيرها وَتدبيرها؛ إذا ما جمعتهم وَحْدة موقفٍ وَوَحْدة هدفٍ وَرُؤيةٍ ..."([٣])، ضمن ثقافة المُقَاوَمَة([٤]).

وَمع توقُّفنا السَّابق على وظائف "**الثَّقَافةِ**" وَ"**المُثقَّفِ**"، لزمنا إيجازها في الثّلاثيَّة التَّصاعديَّة: التَّقويم، وَالاجتراح، وَالاستشراف، وَهِيَ ما كانت إلاَّ سبيلاً إلى تقويمٍ واقعيٍّ، يسعى إلى التَّبصُّر في مَعَايِشِ الخَلائق وَحركة المجتمع، وَاجتراح المنهج الفاعل في تجـاوز المُلِمَّـاتِ، وَمُجانَبـة البَوَاقِرِ، بوحي القَدِيم وَرونق الحَدِيث، مع إقدام التَّحفُّز نحو استشراف الآفاق المُستقبليَّة لأمَّةٍ من الأمم، وَمُرَاعاة الفارق الدَّقِيق بين سُلْطان "**الثَّقَافةِ**" وَانضوائها ضمن "**السُّلْطةِ**"؛ ذلك أنَّ السَّـبيل الأوَّل فتحٌ تنويريٌّ لآفاق الحريَّة؛ أمَّا الثَّانِي فانغلاق الفَضَاء في دوائرَ اجتماعيَّةٍ مُحدَّدةٍ([٥]).

وَيتميَّز "**المُثقَّفُ**" عن المُفكِّر في درجة القرب من الإطار الشَّعبيِّ، المُشكِّل طبقات المجتمع؛ إنَّه قرب الالتئام مع غايات البُسَطاء، وَتطلُّعات الضُّعَفاء، فضلاً عن تمثُّـل مطالـب الجمـاهير المنضوية في الأطر الاجتماعيَّة كافَّةً، وَهِيَ مَزِيَّةٌ تكاد تُؤهِّـل صـاحب "**السُّلْطةِ الثَّقَافِيَّـةِ**"؛ لاستباحة كُلِّ نطاقات الفِكْر وَالتَّصوُّر وَالحَيَاة، مُؤسِّسًا في ظلالها لواقعٍ يكـاد يُقَـارب المِثَـال، وَيُنَاجِزُ المَطَامح وَالآمَال، من خلال الأدَب وَالفَنِّ، وَهما "مظهران أساسيَّان لتعبير الثَّقَافَـة عـن نفسها، وَرَصد حساسيَّة عصرٍ ما، وَتَفاعُلاته مع الواقع، مُصَوِّرًا خارج المَفْهُومَات وَالمَقُـولات المَعْرِفيَّة"([٦]).

---

[1]) في مُقوِّمات السُّلْطة الثّقافيَّة، يُنظَر: صَحِيفَة طَرِيق الشَّعْب، الجَرِيدَة المَرْكزيَّة للحِزْب الـشُّيوعيِّ العِرَاقـيِّ، العِرَاق، ع١٧٣، الإثنين، ٥ أيَّار، ٢٠٠٨م، الطَّريق الثّقافيُّ، ص١٤، (المُثقَّف وَمُعَادَلَة السُّلْطة المَعْرِفة، للكَاتِب سَعْد مُحمَّد رَحِيم).

[2]) يُنظَر: بُوغنُون، مِيشِيل وَمُوردَانت، (٢٠٠١م)، **أمريكَا المُسْتَبِدَّةُ ــ الوِلايَاتُ المُتَّحِدَةُ وَسِيَاسَةُ السَّيْطَرَةِ عَلَى العَالَمِ "العَوْلَمَةُ"**، تَرْجَمَة: د. حَامِد فرزات، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، ص٢٢٢، ٢٢٣.

[3]) عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (٢٠٠١م)، **ثقافَتُنَا وَالتَّحَدِّي ــ خِطَابُنَا وَخِطَابُ العَصْر**، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، ص٦٣.

[4]) يُنظَر:

Said, Edward ,(2003), (1994), **Culture and imperialism**, (2 ed), London: Vintage, p252 – 265, (Themes of Resistance Cluture).

[5]) يُنظَر: خَلِيل، د. خَلِيل أحْمَد وَالكبيسِيّ، د. مُحمَّد عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **مُستَقْبَلُ العَلاقةِ بَيْنَ المُثقَّـفِ وَالـسُّلْطةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر المُعَاصِر وَدِمَشق: دَار الفِكْر، ص٤٧، ٤٨، (الثَّقَافَةُ سُلْطَانٌ)؛ ص٤٨، ٤٩، (الثَّقَافَـة دَاخِل السُّلْطَة).

[6]) برادة، مُحمَّد، (٢٠٠٣م)، **سِيَاقاتٌ ثقافِيَّةٌ (مَوَاقِف، مُدَاخَلات، مَرَافِئ)**، (ط١)، الرِّبَاط: وزارة الثَّقَافة وَالـدَّار البَيْضَاء: مَطْبَعة النَّجَاح الجَدِيدة، ص١١٣.

على أنَّنا نَعِي دِقَّة القَيْد الثَّقافيِّ، في المُمايَزة المنطقيَّة، بين الخَيْط الأبْيَض وَالخَيْط الأسْـوَد، التي تُرسِّخ حالةً من المُواءمة مع سُمُوِّ المِثَال أو دُونِهِ؛ وَعليه فإنَّ "**السُّلْطَة الثَّقافِيَّة**" تتملَّك سِمَةَ الهَيْمنة على نحوٍ مُؤَثِّرٍ، قد ينحو مَنْحى الإيجاب، وَقد يطاله القَدْح بفعل سقوط المنهج وَالغاية([1]).

ثُمَّ إنَّ "**السُّلْطَة الثَّقافِيَّة**" مزيجٌ من السُّلطات المجتمعيَّة، وَفيهـا: الدِّينيَّـة([2]) وَالاجتماعيَّـة وَالفكريَّة، وربَّما الاقتصاديَّة، وَفي حالاتٍ مُحدَّدةٍ السِّياسيَّة؛ حين يكون الحَاكِم مثـالاً "**للمُثقَّـف**" المُتنوِّر، وَصفحات التَّاريخ كفيلةٌ برفدنا بالأنموذج الصَّدَّاح، بعِنَاق الهدف بين الثَّقافيِّ وَالسِّياسيِّ، على مستوى الفَرْد الوَاحِد([3]).

أمَّا إذا اعتلق التَّصوُّر بعلائق "**المُثقَّف**" مع السُّلْطان؛ ففضاءَاته رحيبةٌ في ظِلِّ المُتجـاذِبتَيْن الأزليَّتَيْن: الوِئَام وَالصِّدَام، مع ضرورة إدراكنا أهمِّيَّة "**السُّلْطَةِ الثَّقافِيَّةِ**" فـي تثبيـت "**الـسُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**"؛ فعلى الرَّغم من "عجز المُثقَّفين العرب (كُتَّابًا، وَرجال دينٍ، وَأحيانًا شخصيَّاتٍ تُنَصِّبُ نفسها في موقع المُعارَضة) عن صناعة القَرَارت الحَاسِمة في الوطن العربيِّ؛ فإنَّهم قـد أثبتـوا قدرةً فائقةً على ترسيخ أقدام الأنظمة القائمة، عبر إهدائها "سُلْطَـةً رَمْزِيَّـــةً" فائقـة التَّـأثير ..."([4])، ([5])، فضلاً عن تنوير سُبُلها، وَتوجيه أهدافها، وَتهذيب مسلكيَّاتها.

أمَّا في شأن السِّياسيِّ "**المُثَقَّفِ**"؛ فقد شهدنا صِحَّة تمتُّع بعض الأقطاب "بشيءٍ من "النُّفُـوذِ" داخل جهاز السُّلْطة. غير أنَّ الصَّحيح أيضًا بعد القراءة المُتأنِّية لواقع الحال العربـيِّ، أنَّ ذلـك "النُّفُوذ" قلَّما يتعارض مع مصلحة صانعي القرار الحقيقيِّين، وَقلَّما "يُنَقَّدُ" من دون التَّنسيق معهم، بل إنَّ المرء ليتوقَّع في حالة "صَانِع القَرَار ذِي الخِصَالِ الثَّقَافِيَّةِ"، أن تتغلَّب مشاغله في الحُكْـم وَمصالح طبقته وَعائلته وَأعوانه وَشخصه على الثَّقافيِّ فِيهِ"([6]).

وَثمَّة من يرى أنَّ "**الثَّقافة**" "ارتبطت دائمًا بالسِّياسة، بل هِيَ في حقيقتهـا تعبيـرٌ سياسـيٌّ وَعمليَّةٌ سياسيَّةٌ، سواء كان مجالها الآداب([7]) أو العلوم الإنسانيَّة أو الثَّقافة الشَّعبيَّة. وَلقد تعـاظم

---

[1]) فِي التَّفْرِيق بين النُّخْبَة المُتميِّزة وَالثُّلَّة المُنحدِرة، في تَعامُلها مع السُّلْطة السِّياسيَّة، يُنظَر: السَّعْدَاوِيّ، **قَـضَايَا الْمَرْأةِ وَالْفِكْرِ وَالسِّيَاسَةِ**، ص٢٥٥ ــ ٢٥٧.

[2]) للاطِّلاع على أهمِّيَّة المُثقَّف الشّيْخ، يُنظَر: طَحَّان، د. مُحمَّد جَمَال، (٢٠٠٢م)، **الْمُثَقَّفُ وَدِيمقرَاطِيَّةُ الْعَبِيـدِ**، (ط١)، دِمَشْق: الأوَائِل للنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَالخدمات الطِّبَاعِيَّة، ص٣٠.

[3]) يُنظَر: إدْرِيس، د. سَمَاح، (١٩٩٢م)، **الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَالسُّلْطَةُ ــ بَحْثٌ فِي رِوَايَةِ التَّجْرِبَةِ النَّاصِرِيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب، ص١١.

[4]) **نفسه**، ص٢٧.

[5]) في وَاقِع الثَّقَافَة العَرَبيَّة، يُنظَر: الْحَازِمِيّ، مَنْصُور إبْرَاهِيم، (يُونيُو١٩٩٨م)، الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ الإيجَابِيَّـاتِ وَالسَّلْبِيَّاتِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٨)، ص٨ ــ ٥١.

[6]) إدْرِيس، **الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَالسُّلْطَةُ ــ بَحْثٌ فِي رِوَايَةِ التَّجْرِبَةِ النَّاصِرِيَّةِ**، ص٢٧.

[7]) حَوْل عَلاقَة الثَّقَافَة بالأدَب وَالشِّعْر، يُنظَر:

الدَّوْر السِّياسيُّ للثَّقَافة في العصر الحديث، على نحوٍ لم يسبق له مثيلٌ في التَّاريخ؛ وَذلك مع انبثاق الدَّوْلة القوميَّة أو الدَّوْلة الأمَّة"(١).

وَتكون السِّيَاسَة على ذلك "جزءًا من الثَّقَافة، على اعتبار أنَّ الثَّقَافة ـــ تتضمَّن فيما تتضمَّن ـــ طرق المعيشة وَالقوانين وَالنُّظُم الاجتماعيَّة، التي تسير بمقتضاها الحياة الاجتماعيَّة، وَتنتظم حياة المجتمعات البشريَّة"(٢)، وَفي "الأحوال الطَّبيعيَّة تكون الثَّقَافة مُغذِّيةً للسِّياسة، وَتكون السِّياسة حاميةً للثَّقافة، على اعتبار أنَّ كليهما ينتسبان إلى مجتمعٍ واحدٍ، وَيستهدفان خدمة المصالح العامَّة لهذا المجتمع"(٣).

أمَّا في "الأحوال غير الطَّبيعيَّة تُصبح السِّياسة هِيَ الأصْل وَالثَّقَافة هِيَ الفَرْع، وَتتربَّع السِّياسة على العَرْش (المِيكَافِيلي)؛ لتستخدم الثَّقَافة وصيفةً في البلاط "المَلَكِيِّ" ... وَتُصبح الثَّقَافة تابعةً وَالسِّياسة متبوعةً، وَتقع محاولة تَسْييس الثَّقَافة بالعَضَلات، بدلاً من تثقيف السِّياسة بالكَلِمات، كما يجب أن يكون عليه الظَّاهر في أحسن الحالات"(٤)، لكنَّ "امتلاك القُوَّة السِّياسيَّة، وَالتَّوسُّع في قضيَّة التَّعدُّديَّة الثَّقَافيَّة؛ يأتيان من طرح أسئلة التَّضامُن وَالجماعة، من المنظور البَيْنِيِّ أو الخِلالِيِّ"(٥)، (٦).

أمَّا في شأن حديث المُثقَّفين العَرَب، عن الوظيفة وَالرِّسَالة؛ فله أن يظهر في إطار الخَلْط بين "الدَّوْر الذي يزعمونه لأنفسهم، وَالرِّسَالة التي يدَّعُون القيام بها، وَبين وضعيَّتهم الحقيقيَّة في الواقع الفعليِّ؛ وَحصيلة هذا الخَلْط هو وعيٌ شقيٌّ لديهم؛ نتيجةً للتَّناقُض الحَاصِل بين ما يدَّعُونه، ومكانتهم الحقيقيَّة التي هي دون طُمُوحاتهم، وَالصَّورَة التي يرون فيها أنفسهم"(٧)، ضمن بحثٍ دائبٍ عن مستقبلٍ لا يتحقَّق(٨).

Powys, John Cowper, (1939), **The meaning of culture**, (2ed), New York: W. W. NORTON & COMPANY, INC, P24 – 44, (Culture and Poetry), p45 – 58, (Culture and Literature).

[1]) الرَّايس، حَيَاة، (١٩٩٥م)، دَوْرُ المُثَقَّفِ فِي إرْسَاءِ المَشْرُوع الثَّقَافِيِّ العَرَبِيِّ، **نَدْوَة وَحْدَةِ الثَّقَافَةِ العَرَبِيَّةِ**، عمَّان، "١٠ ـــ ١٢، كَانُون الأوَّل (دِيسمبر)، ١٩٩٣م"، مَنْشُورات الاتِّحَاد العامِّ للأُدَبَاء وَالكُتَّاب العَرَب، ص٦.

[2]) نُعْمَان، د. أحْمَد، (١٩٩٦م)، **هَذِي هِيَ الثَّقَافَةُ**، (د. ط)، الجَزَائِر: شركة دار الأُمَّة للطِّبَاعَة وَالتَّرْجَمة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٧٥.

[3]) **نفسه**، ص١٧٥.

[4]) **نفسه**، ص١٧٥.

[5]) بَابَا، هُومِي ك، (٢٠٠٦م)، **مَوْقِعُ الثَّقَافَةِ**، تَرْجَمة: ثَائِر ديب، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العَرَبيّ، ص٤١.

[6]) في عَلاقَة الثَّقَافَة بالسُّلْطة، يُنظَر: الموسويّ، مُحْسِن جَاسِم، (٢٠٠٥م)، **النَّظَرِيَّةُ وَالنَّقْدُ الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٩٥ ـــ ١٢١، (الفَصْل الثَّامِن: الثَّقَافة وَالسُّلْطة).

[7]) أوملِيل، **السُّلْطةُ الثَّقَافِيَّةُ وَالسُّلْطةُ السِّيَاسِيَّةُ**، ص٢٢٥.

[8]) يُنظَر: درَّاج، د. فَيْصَل، (٢٠١٠م)، المُثَقَّفُونَ العَرَبُ: البَحْثُ المُتَجَدِّدُ عَنْ مُسْتَقْبَلٍ لا يَتَحَقَّقُ، في: د. صَلاح فَضْل وَ د. حُسَيْن جُمْعَة وَ د. حُسَيْن محَادِين وَ د. خَالِد جَبْر وَآخَرُون، مُرَاجَعة وَتَقْدِيم: د. خَالِد الجَبْر، **أسْئِلَةُ**

وَقد بدا هذا التَّناقُض، نتيجةً للأزمة المرتبطة بمحاور رئيسيَّةٍ، هي: الوَاقِع العَرَبيُّ وَأزمة المُثقَّف، وَحرِّيَّة التَّعْبير، وَالعَلاقَة بين المُثقَّف وَالسُّلْطة، وَمسارات الثَّقَافَة العَرَبيَّة وَمشكلاتها، وَالتَّيَّارات الفِكْريَّة المُعَاصِرة، وَالعَلاقَة بين المُثقَّف وَالجُمْهُور(١).

وَحَقَّ على المُثقَّف العَرَبيِّ ــ في إثر ذلك ــ مُوَاجَهَة التَّحدِّيات الرَّاهِنة؛ التي يمكن اختزالها في: انهيار النِّظَام، وَالخَلَل في الرُّؤْيَة الاستراتيجيَّة، وَغِيَاب الإرادة، وَشُيُوع حالة القابليَّة للاستتباع، وَالتَّفْكِيك المَذْهبيِّ وَالعِرْقيِّ وَالقُطْريِّ، وَأزمة الدِّيمقراطيَّة، وَمُخططَّات الدُّوَل الكُبْرَى، المتغلغلة في السِّيَاسَات العَرَبيَّة الدَّاخِليَّة، وَالاغتراب وَالتَّغْرِيب، وَتَرَاجُع السِّيَاسَة لصالح قوى رأس المال(٢).

وَيبقى مجال التَّطلُّعات إلى سُمُوِّ رِسَالَة المُثقَّف قابلاً للتَّحقُّق، فيما لو تعمَّقت "علاقةٌ جدليَّةٌ سليمةٌ وَصِحِّيَّةٌ وَمفيدةٌ بين السِّيَاسَة وَالثَّقَافَة في الوَطَن العَرَبيِّ، يستطيع فيها الثَّقافيُّ أن يبدي رأيًا مسؤولاً، ويُقدِّم اجتهادًا مقبولاً، في التَّوجُّهات وَالقرارات وَالممارسات السِّيَاسيَّة، وَيكون له من بعد ذلك أمنٌ من جوعٍ وَخوفٍ، وَحضورٌ في ساحة القرار السِّياسيِّ؛ وَأن يتمكَّن السِّياسيُّ من التَّعامُل بموضوعيَّةٍ، مع ما يُقدِّمه الآخر الشَّرِيك، في المُوَاطَنة وَالعَيْش وَالمَصِير وَالمُعَانَاة وَالنَّتَائِج، النَّاشِئة عن كُلِّ فعلٍ سياسيٍّ يُمَارَسُ، وَعن كُلِّ قرارٍ سياسيٍّ يُتَّخَذُ، بمعزلٍ عن المواطن وإرادته الشَّرْعيَّة في حالاتٍ كثيرةٍ"(٣)، (٤).

الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُرِّيَّةِ التَّعْبِير، (ص: ١٢٥ ــ ١٣٨)، (ط١)، عمَّان: مُؤَسَّسَة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤسَّسَة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر؛ وَلِمُرَاجَعة وَاقِع التَّنمية الثَّقافيَّة العَرَبيَّة، في ضُوءِ التَّقْرِير الذي أصدرته مُؤَسَّسَة الفِكْر العَرَبيِّ، يُنظَر: عبد المُنْعِم، د. سُلَيْمَان، (٢٠١٠م)، التَّنْمِيَةُ الثَّقَافِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ، في: د. صَلاح فَضْل وَ د. حُسيْن جُمْعَة وَ د. حُسيْن محَادِين وَ د. خَالِد جَبْر وَآخَرُون، مُرَاجَعة وَتَقْدِيم: د. خَالِد الجَبْر، **أَسْئِلَةُ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُرِّيَّةِ التَّعْبِير**، (ص: ١٣٩ ــ ١٥٤)، (ط١)، عمَّان: مُؤَسَّسَة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسَة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

[1]) يُشاهَد: عبد اللَّطِيف، كَمَال، (المُنسِّق العامُّ للمَجْلِس القَوْميِّ للثَّقَافَة العَرَبيَّة في الرِّبَاط) وَالجَمَل، يَحْيَى، (أكاديميٌّ وكَاتِبٌ سياسيٌّ مِصْرِيٌّ) وَبرهَانة، عَلِيّ، (مُدِير المركز الوطنيِّ للمَأثُورَات الشَّعْبيَّة في لِيبيَا)، **الْمُثَقَّفُونَ وَالسُّلْطَةُ فِي الْبِلادِ الْعَرَبِيَّةِ**، برنامج "حِوَار مَفْتُوح"، تَقْدِيم: غَسَّان بن جِدُّو، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، السَّبْت ٢٤/٤/٢٠١٠م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

[2]) يمكن تتبُّع التَّحدِّيات المذكورة على نحوٍ مُفَصَّلٍ، فضلاً عن الدَّوْر المُتَوَخَّى من المُثقَّف العَرَبيِّ، يُنظَر: هُوِيدِي، د. فَهْمِي، (٢٠١٠م)، دَوْرُ الْمُثَقَّفِ الْعَرَبِيِّ فِي مُوَاجَهَةِ التَّحَدِّيَاتِ الرَّاهِنَةِ، في: د. صَلاح فَضْل وَ د. حُسيْن جُمْعَة وَ د. حُسيْن محَادِين وَ د. خَالِد جَبْر وَآخَرُون، مُرَاجَعة وَتَقْدِيم: د. خَالِد الجَبْر، **أَسْئِلَةُ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَحُرِّيَّةِ التَّعْبِير**، (ص: ١٦٧ ــ ١٧٣)، (ط١)، عمَّان: مُؤَسَّسَة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسَة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٦٨ ــ ١٧١، (التَّحدِّيات)، (بِتَصرُّفٍ).

[3]) عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (رَبِيع١٩٩٩م)، الافْتِتَاحِيَّةُ: الْمُسْتَجَدَّاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْمَوْقِفُ الثَّقَافِيُّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسِيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٦)، ص٥.

[4]) لِمُطَالعَة تَحدِّيات المُثقَّف مع الحُقُول السِّيَاسيَّة وَالفِكْريَّة وَالإعْلامِيَّة، يُنظَر: بَهَاء الدِّين، **شَرْعِيَّةُ السُّلْطَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ**، ص٤٤ ــ ٤٧؛ وَحوْل تَحدِّيات التَّاريخ وَالسِّيَاسَة وَالمَنْفَى للمُثقَّف، يُنظَر: رَسُول، رَسُول مُحمَّد، (صَيْف٢٠٠٤م)، بَيْنَ التَّارِيخِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهُوِيَّةِ ــ المَنْفَى وَالمُثقَّف: إدْوَارد سَعِيد أُنموذَجًا، **مجلَّة فُصُول**، (٦٤)، ص١٥٤ ــ ١٦١، (دِرَاسَات)؛ وَيُنظَر: ستِيل، مِيلِي، (صَيْف٢٠٠٤م)، النَّفْي أم التَّجذُّر: سِيَاسَاتُ الاخْتِلافِ عِنْدَ إدْوَارد سَعِيد وكُورنِيل وِيست، **مجلَّة فُصُول**، (٦٤)، ص١٦٢ ــ ١٧٨، (تَرْجَمَات)؛ وَفي مَفَاهِيم الثَّقَافَة، يُنظَر:

ـــ السُّلْطَةُ السِّيَاسِيَّةُ:

تُعَدُّ "**السُّلْطَةُ السِّيَاسِيَّةُ**" رديفًا موضوعيًّا، للقُوَّة السِّياسيَّة المُهيمِنة، في الفكر الاجتماعيِّ؛ تلك التي تشكَّلت في المشهد الإنسانيِّ؛ بفعل عواملَ عديدةٍ؛ كرَّسها الدَّرْس العلمـــيُّ فـــي نظريَّـــات: التَّطوُّر العائليِّ، وَالثيوقراطيَّة، وَالقُوَّة، وَالْعِقْدِ الاجتماعيِّ، وَالتَّطوُّريَّة([1]).

وَهِيَ بذلك سُلْطَةُ الكيان السِّياسيِّ المُستقلِّ، استقلال الأرض أو الفِكْر، الــذي يــسعى إلـــى حماية مُقدَّارت المجتمع وَتاريخه، وَابتناء حضارته([2])، وَتنظيم العلائق الإداريَّة بين مُؤسَّـــساته كافَّةً، فضلاً عن تحقيق المُساوَاة الاجتماعيَّة([3])؛ بوصفها "فَنَّ إدارة الحُكْم وَتدبير أُمُور الدَّوْلـــة وَتسيير شُؤُون المُجْتَمَع"([4])؛ وكانت بذلك "أمانةً في عُنُـــقِ الـــرَّئِيس، لـــيس لـــه الحـــقُّ فـــي تبذيرهـــا"([5]).

وَتُؤدِّي "**السُّلْطة السِّياسيَّة**" واجب التَّقدُّم النَّهْضَوِيِّ، في الْمَحْفَلِ الـــدَّوْلِيِّ، وفـــق المُـــسوِّغ السِّياديِّ الذي ارتآه (هُوبز)؛ "فالحاجة إلى السُّلطة لا تفتقر إلى الأدلة، إلاَّ أنَّ المطلوب بعد، هُوَ تبيان أنَّ ما يحتاج إليه البَشَر هُوَ سُلْطة سائدة واحدة غير محدودة"([6]).

وَكان ذلك في أفق نظريَّته، التي كرَّست ثلاثة أُطُـــرٍ رئيـــسيَّةٍ، هِـــيَ: تجـــاوز الفَوْضــــى الأيديولوجيَّة، المُتمثِّلة في المبادئ وَالعقائد موطن الجَدَل، وَتركيز "**السُّلْطَةِ**" في أيدي الـــسُّلْطان

إيجلتُون، تِيرِي، (شِتَاء وَرَبِيع٢٠٠٤م)، صُوَرُ الثَّقَافَةِ، تَرْجَمَة: سَامِح فِكْرِي، **مجلَّة فُـــصُول**، (٦٣)، ص٢٠ ـــ ٤٤؛ وَحَوْلَ تَحدِّيات الثَّقَافَة العَرَبيَّة، يُنظَر: المقداد، د. قَاسِم، (صَيْف١٩٩٨م)، حَوْلَ بَعْضِ أَشْكَالِ الْغَزْوِ الثَّقَافِيِّ لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣)، ص١٧٧ ـــ ١٨٦؛ وَيُنظَـــر: الكركيّ، أ. د. خَالِد، (صَيْف٢٠٠٤م)، الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مُوَاجَهَةِ تَحَدِّيَاتِ قَرْنٍ جَدِيدٍ، **جَـــرَش الثَّقَافِيَّـــة**، (١)، ص٥ ـــ ١١؛ وَيُنظَر: طَالِب، مُحمَّد سَعِيد، (صَيْف٢٠٠٨م)، مَنْظُومَتُنَا الثَّقَافِيَّةُ بَيْنَ الْمُقَاوَمَةِ وَالإِبْـــدَاعِ وَالتَّبَعِيَّـــةِ وَالاتِّبَاعِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣١)، ص١٢٣ ـــ ١٤٢؛ وَفـــي شـــأن تَحدِّي العَوْلَمَة، يُنظَر: مقدادي، د. مُحمَّد، (صَيْف٢٠٠٤م)، الْعَوْلَمَةُ وَأَثَرُهَا فِي الثَّقَافَةِ، **جَـــرَش الثَّقَافِيَّـــة**، (١)، ص٣١ ـــ ٣٩.

[1]) لِمُطَالَعَة أُسُس هذه النَّظريَّات وَنَقْدها، يُنظَر: سَلامَة، **صُورَةُ السُّلْطَةِ وَعَلاقَتُهَا بِالتَّوَافُقِ النَّفْسِيِّ لَدَى الْعَامِلِينَ بِالدَّوْلَةِ ـــ دِرَاسَةٌ دِينَامِيَّةٌ**، ص٧ ـــ ١٧.

[2]) في عَلاقَة السِّيَاسَة بِالمَنْظُور الحَضَاريِّ، يُنظَر آراء (هِيردر) في: الجزيريّ، د. مُحمَّد مَجْـــدِي، (٢٠٠٤م)، **التَّنْوِيرُ وَالْحَضَارَةُ عِنْدَ هِيردر**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دار الوَفَاء لِـــدُنْيَا الطِّبَاعَـــة وَالنَّـــشْر، ص١٠٧ ـــ ١٣١، (الفَصْل الرَّابِع: السِّيَاسَة وَالمَنْظُور الحَضَارِيُّ).

[3]) يُنظَر: جَاكمَان، رُوبرت، (١٩٨٥م)، **السِّيَاسَةُ وَالْمُسَاوَاةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ "تَحْلِيلٌ مُقَارَنٌ"**، تَرْجَمَة: رَفِيق جبـــور، (ط١)، دِمَشق: وزارة الثَّقَافَة السُّوريَّة، ص٢٦١ ـــ ٢٦٩.

[4]) نَاصِيف، عبد الكَرِيم، (آب٢٠٠٣م)، الأَدَبُ وَالسِّيَاسَةُ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَـــرَب بِدِمَشق، (٣٨٨)، ص٤٥.

[5]) ج. كُورتوا، (١٩٥٩م)، **فَنُّ الْقِيَادَةِ**، تَعْرِيب: النَّقِيب الهَيْثَم الأيُّوبِيّ، (د. ط)، دِمَشق: المَطْبَعة الهَاشِمِيَّة، مـــن مَنْشُورات قِيَادَة الجَيْش الأوَّل ـــ الشُّعْبَة الثَّالِثَة ـــ فَرْع التَّدْرِيب، ص٤٣

[6]) فرادوارد، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ـــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أَعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، ٥: ٤٥.

السَّيِّد، مع بيان الحُدُود الحَاسِمة بين العَدْل وَالظُّلْم وَالصَّوَاب وَالخَطَأ([1])؛ وَبذلكم تُضحِي ثقافة السِّياسة كُلاً سلطويًّا مُعَبِّرًا عن "أنماطٍ من التَّوجُّه نحو العمل السِّياسيِّ أو الموضوعات السِّياسيَّة"([2]).

وَعندما نُقارب مفهوم "**السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**"؛ فإننا نجد الدَّوْلة على المسافة نفسها في الحُضُور الذِّهنيِّ، "وَالدَّوْلة كمنظَّمةٍ سياسيَّةٍ كُبْرى، تُمارس المُحافَظة على نظامها الأساسيِّ؛ لأنَّها تملك الحَقَّ النِّهائيَّ في الضَّبْط القَانُونيِّ وَالتَّنفيذ القَسْريِّ؛ فَالدَّوْلة وحدها تستطيع أن تضع قواعدَ وَضوابطَ ذات تطبيق عامٍّ وَشاملٍ، وَهِيَ وحدها يمكن أن تضمنَ وَتُؤَمِّنَ الوحدات وَالمقاييس وَالمعايير، التي تُنظَّم وَتُنسَّق وفقها المُنظَّمات الوظيفيَّة وَالمحلِّيَّة؛ فَهِيَ الحَارس وَالضَّامِن للنِّظام العامِّ؛ فلولا تأثير الدَّوْلة الرَّادِع لساد النِّظام الاجتماعيُّ وَالاقتصاديُّ، بين مختلف المستويات وَالتَّخصُّصات، لا سيَّما في المجتمع الحديث المُعقَّد ..."([3]).

وَيجب ألا نغفل عن العُمْق الاجتماعيِّ للدَّوْلة؛ فالسِّياسَة "قبل كُلِّ شيءٍ هِيَ نشاطٌ اجتماعيٌّ يتعلَّق بالعلاقات المادِّيَّة وَالاجتماعيَّة بين النَّاس، يختلف التَّعْبير عنه بين منطقةٍ وَأخرى، وَيتغيَّر من حينٍ لآخر ... إنَّه نشاطٌ اجتماعيٌّ ديناميكيٌّ"([4]).

وَالسِّيَاسَة من وجه اتِّصَالها بمجاز الخِطَاب في مقام التَّفْكير؛ هي "إدارة هذه الأشكال المُتعدِّدة (الانعكاس، التَّوقُّع، التَّقْرير، التَّخيُّل، التَّذكُّر، التَّعجُّب، الاستبصار، العزم، الإيمان، عدم الإيمان، التَّأمُّل، الفهم، الاستنتاج، التَّكهُّن، وَالاستبطان)"([5]).

وَعندما نسم "**السُّلْطة السِّياسيَّة**" بِالسِّيَادة؛ فذلك "لأنَّ هذه السُّلْطة مُستمدَّة من الجماعة صاحبة السِّيَادَة، أُمَّةً كانت أم شعبًا؛ فالجماعة هي الممارس الطَّبيعيُّ للسُّلْطة بمقتضى ما لها من سيادةٍ؛ وَبهذا وحده تكون السُّلْطة السِّياسيَّة ذات صبغةٍ سياديَّةٍ جوهريَّةٍ أصليَّةٍ، وَليست مضافةً؛

---

[1]) يُنظَر: **نفسه**، ٥: ٤٣؛ وَللاطِّلاع على احتمالات التَّجاذُب بين "السُّلْطة السَّائِدة" وَ"السُّلْطة المُجَزَّأة"، يُنظَر: **نفسه**، ٥: ٤٥؛ وَفي عَلاقة الأخْلاق بالسِّيَاسَة، يُنظَر: بُولان، **الأَخْلاقُ وَالسِّيَاسَةُ**، ص١٨٧ ــ ٣٠٤، (الفَصْل الثَّالِث: الأخْلاق وَالسِّيَاسَة).

[2]) تُومبسُون، ميكل وَإلِيس، ريتشَارد وَفِيلدَافسكِي، آرُون، (يُوليُو١٩٩٧م)، نَظَرِيَّةُ الثَّقَافَةِ، تَرْجَمة: د. عَلِيّ سَيِّد الصَّاوِي، مُرَاجَعة: أ. د. الفَارُوق زَكِي يُونس، **عَالَم المَعْرِفَة**، (٢٢٣)، الكُويْت: المَجْلس الوطنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب، ص٣١٦.

[3]) الخَشَّاب، د. أحْمَد، (١٩٥٩م)، **الضَّبْطُ وَالتَّنْظِيمُ الاجْتِمَاعِيُّ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة القَاهِرة، ص٢٣٩؛ وَحَوْل مُستوَيات الدَّوْلة المُؤَسَّسيَّة وَالرَّمْزيَّة وَالقُدْسيَّة، يُنظَر: وناس، المُنْصِف، (١٩٩١م)، **الدَّوْلَةُ وَالْمَسْأَلَةُ الثَّقَافِيَّةُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ**، (ط١)، تُونس: المُؤَسَّسة الوَطَنيَّة للتَّرْجَمة وَالتَّحْقِيق وَالدِّرَاسَات "بَيْت الحِكْمَة"، ص١٨.

[4]) غِيل، بِيتر وَبُونتُون، جِيفري، (١٩٩٧م)، **مُقَدِّمَةٌ فِي عِلْمِ السِّيَاسَةِ**، تَرْجَمة: د. مُحمَّد المَصَالحة، (ط٢)، عمَّان: مَنْشُورات عَمَادَة البَحْث العِلْميِّ ــ الجَامِعَة الأُرْدُنيَّة، ص٢٠.

[5]) الدِّيري، عَلِيّ أحْمَد، (٢٠٠٦م)، **مَجَازَاتٌ بِهَا نَرَى ــ كَيْفَ نُفَكِّرُ بِالْمَجَازِ ؟**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٠٩.

وَأَمَّا في حال إيداع السُّلْطة السِّياسيَّة في الدَّوْلة؛ فتصبح السِّيَادَة صفةً جوهرية، مضافة للسُّلْطة في الدَّوْلة؛ لكونها سُلْطة الجَمَاعَة، حسب الأصل؛ وَأَمَّا أنَّها مضافةٌ؛ فلكون هذه الصِّفَة نابعة من سيادة الجماعة المنشئة، وَليست من شخصيَّة الدَّوْلة أصالةً؛ ولذا فلا بُدَّ من خُضُوعها لإشراف الجماعة ..."([١]).

وَلا شَكَّ أنَّ "**السُّلْطَة السِّيَاسِيَّة**" كانت على الدَّوَام، موضع التَّناصُف بين الدَّوْلة وَالمُعارَضة، على تَعدُّد الأحلاف المُحِيطة بكلتيهما؛ بقصد المُنافَسة الحثيثة على استقطاب الوعي الجَمْعيِّ للأمَّة([٢])، في مَدٍّ وَجَزْرٍ يطالهما بالصُّعُود وَالهُبُوط؛ مِمَّا يُكرِّس في المدى قيمة المُوازَنة في وظيفيَّة السِّياسة السُّلْطانيَّة، بينها وبين خصومها، وَحتَّى بين السُّلطات المجتمعيَّة الأخرى، مع اقتضاء تحقُّق العَدَالة، بوصفها مطلبًا مُلِحًّا لاستكمال مُتطلَّبات العلاقة التَّكامُليَّة([٣]).

وَثمَّة ما يدعو إلى تتبُّع مفهوم السِّياسة في تمظهرها السُّلْطانيِّ؛ بقصد الدَّلالة على حالةٍ عميمةٍ في المجتمعات الكونيَّة قاطبةً؛ فقد أضحى الحزب المُشتغِل بالسِّياسة سُلْطةً أخرى، تُمارِس الهَيْمنة وَالتَّأثير على أوساط المُنضوين تحت رايتها، وَالمُؤيِّدين لمبادئها؛ مِمَّا يضعنا في صورةٍ من السُّلطات السِّياسيَّة المُتراتِبة المُتراكِبة، على نحوٍ هَرَمِيٍّ تَصاعُديٍّ، تُضحِي القمَّة فيه رَشْحًا عميقًا، لسابق التَّصوُّر السِّياسيِّ، لِسُلطات القاعدة الشَّعبيَّة([٤]).

هذا على صعيد منطق التَّعاضُد السِّياسيِّ، في نظام الدَّوْلة الوَاحِدة، الذي يُنزِل الخِلاف منزلة التَّلاقُح؛ فَيُثرِي الحياة السِّياسيَّة للمُجتَمع، فيما يُعْرَفُ "بالتَّداوُل السِّياسيِّ"، بوصفه "قيمةً مُتحضِّرةً وَمُعاصِرةً للمُمارَسة السِّياسيَّة"([٥])؛ أَمَّا أنظمة الاستبداد وَالاستفراد فلم تَحْتَفِ يومًا بمبدأ المُعارَضة في مجالي القَوْل وَالفِعْل([٦])، وَاهتدمت بذلك سلسلة التَّكامُل السِّياسيِّ، وَأضحت قمَّة

---

[1]) العواملة، مَنْصُور فاضِل، (١٩٩٥م)، السُّلْطَةُ العَامَّةُ فِي الدَّوْلَةِ بَيْنَ الإِطْلاق وَالتَّقْيِيدِ، **دِرَاسَات**، (العُلُوم الإنسانيَّة)، ٢٢- أ(٢)، ص٥٥٣.

[2]) يُنظَر: هَلسَا، غَالِب، (٢٠٠١م)، **الْهَارِبُونَ مِنَ الْحُرِّيَّةِ**، إِعْدَاد وَتَقْدِيم: نَاهِض حتر، (ط١)، دِمَشق: دَار المَدَى للثَّقَافَة وَالنَّشْر، ص١٧٧ ــ ١٨٦، (الفَصْل الثَّانِي عشر: دَوْر السُّلْطة في صِيَاغَة العَقْل العَرَبيِّ).

[3]) يُنظَر: بُولان، **الأَخْلاقُ وَالسِّيَاسَةُ**، ص٣٠٥ ــ ٣٨٢، (الفَصْل الرَّابع: العَدَالَة، قيمةً سياسيَّةً).

[4]) للاطِّلاع على تَعْرِيف الأحزاب السِّياسيَّة وَأنواعها وَمَصادرها وَأنظمتها وَتَعدُّديَّتها وَعلاقتها مع السُّلْطة، يُنظَر: لمزري، **مُسَاهَمَةُ الشَّعْبِ فِي السُّلْطَةِ مِنْ خِلالِ النِّظَامِ الْحِزْبِيِّ فِي الْجَزَائِرِ**، ص٢٠ ــ ٤١؛ (الفَصْل الثَّانِي: الأحزاب السِّياسيَّة)؛ وَفي النُّظُم الحِزْبيَّة في دُوَلِ العَالَم الثَّالِث، يُنظَر: حَرْب، د. أُسَامَة الغَزَالِيّ، (سبتمبر١٩٨٧م)، الأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ، **عَالَم المَعْرِفَة**، (١١٧)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنِيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب، ص١١٥ ــ ١٦٠، (الفَصْل الثَّالِث: أنْمَاط وَخَصَائِص النُّظُم الحِزْبيَّة في العَالَم الثَّالِث).

[5]) الحَضْرَمِيّ، عُمَر حَمْدَان، (٢٠٠٦م)، تَدَاوُلُ السُّلْطَةِ وَالدَّسَاتِير فِي الأَنْظِمَةِ السِّيَاسِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، **دِرَاسَات**، ٣٣ (٣)، ص٤٦٧.

[6]) للوُقُوف على مَفْهُوم العُنْف السِّياسيِّ، يُنظَر: هياجنة، عَدْنَان مُحمَّد، (١٩٩٩م)، قَضَايَا مَنْهَجِيَّةٌ فِي تَفْسِير ظَاهِرَةِ العُنْفِ السِّيَاسِيِّ: "دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٦ (١)، ص١٩٤ ــ ٢١١؛ وَيُنظَر: الجَاسُور، نَاظِم عبد الوَاحِد، (٢٠٠٤م)، **مَوْسُوعَةُ عِلْمِ السِّيَاسَةِ**، (ط١)، عمَّان: دَار مجدلاوي للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٦٦، ٢٦٧.

الْهَرَم بلا قاعدةٍ ركينةٍ؛ وَمن شأن ذلك أن يقودها إلى الزَّوَالِ، في الجانب القِيَاسيِّ، لنظريَّة التَّراتُب الْهَرَمِيِّ السِّياسيِّ.

وَشكَّلت "**السُّلْطَةُ السِّيَاسِيَّةُ**" خيط انتظام العِقْدِ السُّلْطويِّ، لسائر القوى المُهيمِنة في المُجتَمع، بوصفها "طريقةً يُمْكِنُنَا من خلالها أن نفهم وَنُنَظِّمَ شؤُوننا الاجتماعيَّة"([1])؛ فهي سُلْطَةُ السُّلطات في المستوى التَّنظيميِّ، لكنَّها بحاجةٍ إلى رَفْدِهَا الفكريِّ وَإمدادها التَّأثيريِّ([2])، اللَّذَيْنِ يعتلقان على نحوٍ راسخٍ بسُلطات الدِّين وَالاجتماع وَالاقتصاد وَالفِكْر وَالثَّقَافة، وَبحقولٍ معرفيَّةٍ مُختلفةٍ، مثل: الاقتصاد وَالاجتماع وَالتَّاريخ وَالجُغْرافيا([3])، على أهمِّيَّة السُّلْطتَيْن الفكريَّة وَالثَّقافيَّة في تكريس الهَيْبة المعنويَّة "**للسُّلْطة السِّياسيَّة**" في أوساط الجماهير؛ التي يُشارك الفرد الواحد منها داخل منظومتها الاجتماعيَّة، في تشكيل الْحُكْم، وَالصُّعُود بالحَاكِم إلى رَأسِ "**السُّلْطَةِ**"؛ وَهذا ما رآه (رُوسو)؛ ذلك "أنَّ الرَّعايا قد فوَّضوه القيام بالحُكْم ــ إذ على المرء أن يشترك شخصيًّا في تشكيل الحُكْم: فالذي يخضع إداريًّا للحُكْم يجب أن يكون هو نفسه المُشرِّع"([4]).

وَعندما نلج إلى تقويم العلاقة بين "**السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**" وَالسُّلطات الأخرى؛ سنجد أنَّها تنتظم وفق ثنائيَّة التَّجاذُب المذكور في سياقاتٍ سابقةٍ؛ تلك التي تشمل التَّصالُح وَالتَّصادُم، على تنوُّع صورهما وَغاياتهما.

وَأظهر ما يمكن أن يُستَجلى في قيدنا البحثيِّ المُتعلِق بـ"**الْمُثَقَّفِ**" وَ"**السُّلْطَةِ**"، جدليَّة العلاقة بينهما في ضوء التَّجاذُب الثُّنائيِّ السَّابق، على نحوٍ يُكرِّس التَّنافُس بين سُلْطة التَّنظير وَالمُمارَسة، وَإن شئنا ألفينا أنفسنا نشي بصراع الفِكْر الإصلاحيِّ مع سُلْطان السِّياسة، على اتِّحادٍ بينهما في مجال المُمارَسة وَلَبِنَاتِ الفِعْل الفرديِّ، في سياق البناء المُجتَمعيِّ الوَاحِد.

وَيُذْكَرُ أنَّ "**السُّلْطة السِّيَاسِيَّة**"، تُعَرَّفُ عند بعض علماء النَّفْس، على أنَّها "إعلانٌ عدوانيٌّ؛ لأنَّها في الأساس، تُخاطِب غريزة المَوْت في الإنسان؛ فَهيَ إمَّا أن تُحرِّضه على المَوْت، أو تُحاوِل إقناعه بأنَّ عدم اتِّباع معطياتها يُؤدِّي إلى المَوْت"([5]).

---

[1]) غِيل وَيُونتُون، **مُقدِّمَةٌ فِي عِلْمِ السِّيَاسَةِ**، ص١٩.

[2]) حَوْل تأثير الدِّعَاية السِّياسيَّة، في استقطاب الأفْرَاد وَالسُّلطات المُجْتَمعيَّة الأخْرَى، يُنظَر: سِرَاج، د. سَعِيد، (١٩٨٦م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ ــ مُقوِّمَاتُهُ وَأثَرُهُ فِي النُّظُمِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ**، (ط٢)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٢٧ ــ ١٣٧، (المَطْلب الثَّالِث من الفَصْل الثَّالِث: دَوْر الزُّعَمَاء وَالرُّؤَسَاء في التَّأثير على الرَّأي العَامِّ)؛ وَيُنظَر: سكري، رَفِيق، (١٩٩١م)، **دِرَاسَةٌ فِي الرَّأْيِ الْعَامِّ وَالإعْلامِ وَالدِّعَايَةِ**، (ط١)، طرابلس: جروس برس، ص٧١ ــ ٩٨، (الفَصْل الثَّالِث: الدِّعَايَة السِّيَاسِيَّة)؛ ص٩٩ ــ ١٣٢، (الفَصْل الرَّابع: الدِّعَايَة السِّيَاسيَّة وَبعض التَّجارب).

[3]) يُنظَر: غِيل وَيُونتُون، **مُقدِّمَةٌ فِي عِلْمِ السِّيَاسَةِ**، ص١٩، ٢٠.

[4]) فرادوارد، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِير الْعَالَمِ ــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، ٥: ٦٥؛ وَلاستجلاء مَفَاهِيم السُّلْطة التَّشْريعيَّة وَالتَّنْفيذيَّة وَالحُكُومَة، يُنظَر: **نفسه**، ص٦٥ ــ ٧٤.

[5]) هَلسَا، **الْهَارِبُونَ مِنَ الْحُرِّيَّةِ**، ص٢٦٤.

وَقد أقر (مَاكيَافِيلِّي) ـــ في السَّبيل نفسه ـــ "بعدم فعاليَّة "النَّبِــيِّ الأعْــزَل مــن الــسِّلاح"، وَبوجوب اعتماد السِّياسة على السَّيْف، فضلاً عن الكلمة ـــ أو بتعبيرٍ أوضح وَأكثر انسجامًا مع تعابير مَاكيَافِيللِي، الذي كان يمقت العبارات المُلطَّفة المُخفَّفة لمعاني الأشياء كالــسَّيْف مــثلاً ـــ وجوب اعتماد السِّياسة على العُنْف"([1]).

وَقدَّم (تُومَا الأكوينِي) فلسفته السِّيَاسيَّة؛ "وَخلاصتها: أنَّ بروز المُجْتَمَعات السِّياسيَّة إلى حيِّز الوجود؛ جاء حصيلة سُقُوط الإنسان، وَأنَّهَا مظهرٌ اصطناعيٌّ عن خطاياه"([2])؛ في إشــارةٍ إلــى الوَجْه القَمِيئ للغاية وَالفعل، اللذيْن ألحَّت السِّيَاسَة على الاعتصام بهما، فــي حاكميَّــة الفَــرَادَة وَالاستبداد.

وَفي خضمِّ ذلك كُلِّهِ، فإنَّ "السِّياسة تصوغ مطالبها مهما كانت صعبةً وَبعيدةً، وَالواقعيَّة تُنَقِّدُ لوائحها كارهةً لها أو سعيدةً"([3])، بِكُلِّ الوسائل المُمكِنة، وَإحداها الأحلاف وَالتَّكتُّلات الــسِّياسيَّة، التي من شأنها أن تُرسِّخ قُوَّةَ "**السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ**" المُفرَدة، في إطار المجموع الإقليميِّ، المُؤسَّس لغايةٍ ثقافيَّةٍ أو اقتصاديَّةٍ أو عسكريَّةٍ([4])، وَقد تكون المعرفة المُغلَّفة بالفضيلة فلسفة الــسِّياسة، فيما لو أُشِيعَ المنظور الاستبطانيُّ، للفيلسوف اليونانيِّ (أفْلاطُون)([5])، ([6]).

كما يلزمنا أن نُدرك خُضُوع الدَّوْلــة كما الأفراد، لنوع من القُيُود وَالضُّغُوط التِّكنولوجيَّة؛ "فالسُّلْطة الفعَّالة للدَّوْلة؛ من أجل الحِفَاظ على القَانُون وَالنِّظَام وَتطوير وسائل الدِّفاع الضَّروريَّة ضِدَّ أيِّ عدوانٍ مُحتَملٍ؛ إنَّمَا تُحدِّدها كفاءَتها التِّكنولوجيَّة؛ لكي تزيد من عدد قُــوَّاتِ الــشُّرطة وَالجَيْش وَتُزوِّدهم بالمعدَّات، وَكذا كفاءَتها في نقل هذه القُوَّات في أثناء عمليَّاتها"([7]).

وَعندما نقرأ وَاقِع "**السُّلْطة السِّياسيَّة**"، في الوَطَن العَرَبِيِّ؛ فإنَّنا نلمح سمة تَداوُل الــسُّلْطة، التي تنحصر في "مُمَارَسَاتٍ، تعمل في مجموعها على تثبيت الحَاكِم؛ وَبالتَّالي فإنَّها تعمل جاهدةً

---

[1]) فرادوارد، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ـــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أعْلامُ الْفِكْرِ السِّيَاسِيِّ**، ٥: ٣٥، ٣٦.

[2]) **نفسه**، ٥: ٢٨.

[3]) هَيْكَل، مُحمَّد حَسَنِين، (٢٠٠٣م)، **كَلامٌ فِي السِّيَاسَةِ ـــ نِهَايَاتُ طُــرُقٍ: "الْعَرَبِــيُّ التَّائِــهُ"** ٢٠٠١م، (ط٤)، القَاهِرة: الشَّرِكَة المِصْرِيَّة للنَّشْر العَرَبِيِّ وَالدَّوْليِّ، ص٢٦٧.

[4]) لاستكناه وَاقِع الأحْلاف وَالتَّكتُّلات السِّيَاسيَّة العَالَميَّة، يُنظَر: شُــكْرِي، د. مُحمَّــد عَزِيــز، (يُوليُــو١٩٧٨م)، الأحْلافُ وَالتَّكَتُّلاتُ فِي السِّيَاسَةِ الْعَالَمِيَّةِ، **عَالَم المَعْرِفة**، (٧)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب؛ وَفي شأن الحِلْف العَرَبِيِّ، من النَّاحيتَيْن الاقتصاديَّة وَالعَسْكريَّة، يُنظَر: نفسه، ص٦٩ ـــ ٧٨.

[5]) يُنظَر: خشيم، أ. د. مُصْطَفى عبد الله أَبُو القَاسِم، (٢٠٠٢م)، **مَنَاهِجُ وَأسَــالِيبُ الْبَحْــثِ الــسِّيَاسِيِّ**، (ط١)، طرابلس ـــ لِيبيَا: الهَيْئة القَوْميَّة للبَحْث العِلْميِّ وَبنغازي: دَار الكُتُب الوَطَنيَّة، ص٤٢، ٤٣.

[6]) للاطِّلاع على مَضَامِين القُوَّة في السُّلْطة السِّيَاسيَّة، يُنظَر: أحْمَد، د. فَارُوق يُوسُف يُوسُف، (١٩٨٥م)، **الْقُــوَّةُ السِّيَاسِيَّةُ ـــ اقْتِرَابٌ وَاقِعِيٌّ مِنَ الظَّاهِرَةِ السِّيَاسِيَّةِ**، (ط٢)، القَاهِرة: مَكْتَبة عَيْن شَمْس، ص٩، ١٠، ١٧.

[7]) آر. إيه. بُوكَانَان، (يُوليُو٢٠٠٠م)، الآلَةُ قُوَّةٌ وَسُلْطَةُ التِّكنُولُوجيَا وَالإنْسَانِ مُنْذُ الْقَــرْنِ (١٧) حَتَّــى الْوَقْــتِ الْحَاضِرِ، تَرْجَمة: شَوْقِي جَلال، **عَالَم المَعْرِفة**، (٢٥٩)، الكُويْت: المَجْلِس الــوَطَنيّ للثَّقَافَــة وَالفُنُــون وَالآدَاب، ص٢٣٢؛ وَلِعَرْضٍ مُستَفِيضٍ حَوْل القَضيَّة نفسها، يُنظَر: نفسه، ص٢٣١ ـــ ٢٤٨، (الفَــصْل الثَّــانِي عــشر: التِّكنُولُوجيَا وَالدَّوْلة).

على استبعاد الكثير من أشكال الثَّقَافَة السِّيَاسيَّة أو التَّنْمية السِّيَاسيَّة"([1])؛ مِمَّا دعا بعض المُفكِّرين العَرَب؛ إلى رفض أربعة أنماطٍ من السُّلْطة، هي: السُّلْطة الأبويَّة، وَالسُّلْطة المُشَخْصَنَة، وَسُلْطة المُستَبدِّ العَادِل، وَالسُّلْطة السِّيَاسيَّة الدِّينيَّة([2])، مع مُرَاجَعة أُسُس العلاقة بين الفَرْد وَالسُّلْطة([3]).

وَلا بُدَّ أن تقوم هذه المُرَاجَعة، على أساس القراءة الشَّامِلة للوَاقِع؛ لتُقدِّم الثَّقَافَة رُؤْيَتها في صَمِيم السِّيَاسَة، "وَحين تُقدِّم الثَّقَافَة رؤيةً سياسيَّةً مسؤولةً من موقعها، فقد تكون أقرب إلى الثَّوَابِت المبدئيَّة وَالخُلُقيَّة وَالتَّاريخيَّة للأُمَّة من جهةٍ، وَبعيدةً عن بعض الوَقَائِع وَالمُعْطَيَات التي تتحكَّم بصنع القرار، وَعن ممارسة فَنِّ الممكن باقتدار السِّيَاسيِّ المُحَنَّك وَمُرُونته من جهةٍ أخرى"([4])؛ ذلك الذي أسلم المشروع الوطنيَّ إلى الاهتدام.

وَقد أدَّى "إجهاض المشروع الوطنيِّ التَّحْديثيِّ؛ إلى أزمةٍ مشروعيَّةٍ عميقةٍ بالنِّسبة إلى الدَّوْلة الوطنيَّة ذاتها، وحشد ضدَّها كتلاً متزايدةً من الجمهور الضَّائِع وَالمُضيَّع، الذي لم يعد يرى في السُّلْطة وَالدَّوْلة إلا جهازًا للتَّحكُّم الجَاهِليِّ؛ أي المفتقر إلى أي معنًى وَرُؤْيَةٍ وَقيمةٍ"([5])؛ وغدا العالم العربيُّ بفعل ذلك؛ رهين حالتي التَّسلُّط([6]) وَالاستبداد([7]).

---

[1]) الْحَضْرَمِيّ، تَدَاوُلُ السُّلْطَةِ وَالدَّسَاتِيرِ فِي الأَنْظِمَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، ص٤٧٨.

[2]) يُنظَر: خَلِيل، د. حَامِد، (صَيْف١٩٩٨م)، الْفَرْدُ وَالسُّلْطَةُ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣)، ص٩٩، ١٠٠.

[3]) يُنظَر: نفسه، ص١٠٠ ــ ١٠٢؛ وَلِمُطَالَعة البَحْث كاملاً، يُنظَر: ص٩٠ ــ ١٠٦.

[4]) عرسان، الافْتِتَاحِيَّةُ: الْمُسْتجدَّاتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْمَوْقِفُ الثَّقَافِيُّ، ص٥.

[5]) غليون، د. بُرْهَان، (٢٠٠٣م)، **الْمِحْنَةُ الْعَرَبِيَّةُ: الدَّوْلَةُ ضِدّ الأُمَّةِ**، (ط٣)، بَيْرُوت: مركز دِرَاسَات الوحدة العَرَبيَّة، ص٢٤١.

[6]) توقَّف الدُّكتور عَلِيّ وطفة، عند مَفْهُوم السُّلْطة، على نحوٍ مُفَصَّلٍ، ثُمَّ عرَّج على التَّسلُّط من حيث مفهومه وَوسائله وَغاياته، يُنظَر: وطفة، د. عَلِيّ أَسْعَد، (صَيْف١٩٩٨م)، بَيْنَ السُّلْطَةِ وَالتَّسَلُّطِ: دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣)، ص١٢٣ ــ ١٤٣.

[7]) يُنظَر في مَفْهُوم الاستبداد: الكواكبيّ، عبد الرَّحْمَن، (٢٠٠٦م)، **طَبَائِعُ الاسْتِبْدَادِ وَمَصَارِعُ الاسْتِعْبَادِ**، تَقْدِيم: أ. د. أَسْعَد السَّحمرَانِيّ، (ط٣)، بَيْرُوت: دَار النَّفَائِس، ص٣٧، ٣٨؛ وَلاستظهار خُلاصَة الكِتَاب السَّابِق، يُنظَر: طَحَّان، د. مُحمَّد جَمَال، (رَبِيع/ صَيْف٢٠٠١م)، "طَبَائِعُ الاسْتِبْدَادِ" الْمَاهِيَّةُ وَالْبَدِيلُ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١٤/١٣)، ص٧٧ ــ ٨٦؛ وَحَوْل الاستبداد الشَّرْقيِّ، يُنظَر: إِمَام، أ. د. إِمَام عبد الفَتَّاح، (مَارس ١٩٩٤م)، الطَّاغِيَةُ ــ دِرَاسَةٌ فَلْسَفِيَّةٌ لِصُوَرٍ مِن الاسْتِبْدَادِ السِّيَاسِيِّ، **عَالَم المَعْرِفة**، (١٨٣)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب، ص٢١ ــ ٣٥، (الفَصْل الثَّانِي: تَأْلِيهُ الْحَاكِمِ فِي الشَّرْقِ)؛ ص٢٥٩ ــ ٢٩٧، (الفَصْل التَّاسِع: الطُّغْيَانُ الشَّرْقِيُّ)؛ وَفي طَبِيعَة الاستبداد الشَّرْقيِّ وَمخاطره، يُنظَر: خنَافِر، د. دولة خضر، (١٩٩٥م)، **فِي الطُّغْيَانِ وَالاسْتِبْدَادِ وَالدِّيكْتَاتُورِيَّةِ ــ بَحْثٌ فَلْسَفِيٌّ فِي مَسْأَلَةِ السُّلْطَةِ الْكُلِّيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المنتخب العَرَبيّ للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣٩ ــ ١٧٢، (الفَصْل الأوَّل من البَاب الثَّانِي: مُونتسيكُو ــ الاستبداد الشَّرْقيُّ)؛ وَحَوْل عَلاقَة الأنظمة الاستبداديَّة بِنَهْج الفَسَاد، لاسيَّما في الوَطَن العربيِّ، يُشَاهد: كُوستَا، أنطُونيُو مَاريا (مُسَاعِد الأَمِين العَامِّ للأُمَم المُتَّحِدَة)، **مَسْؤُولِيَّةُ الأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ عَنْ مُكَافَحَةِ الْفَسَادِ**، برنامج "بِلا حُدُود"، تَقْدِيم: أَحْمَد مَنْصُور، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء، ٣/ ٢/ ٢٠١٠م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً؛ وَللوُقُوف على أسباب ظَاهِرة الفَسَاد في العالم العَرَبيِّ، يُشاهَد: لابِيل، هُوجِيت (رَئِيسَة مُنظَّمة الشَّفافيَّة الدَّوْليَّة)، **أَسْبَابُ تَفَشِّي الْفَسَادِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ**، برنامج "بِلا حُدُود"، تَقْدِيم: أَحْمَد مَنْصُور، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء، ٩/ ١٢/ ٢٠٠٩م، السَّاعَة (١٠,٠٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً؛ وَعن الفَسَاد وَالشَّفافيَّة، يُنظَر: ولد القَابلة، إدْرِيس، (يُوليُو/ تمُّوز٢٠٠٤م)، **الْفَسَادُ وَالشَّفَافِيَّة**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص٣، (الفَسَاد

وقد برَّر البعض ذلك، بأنَّه صار مُستحِيلاً على "**السُّلْطة السِّياسيَّة**"، "أن تتَّخذ القرارات السَّليمة في كُلِّ المجالات؛ بسبب تَشعُّبها وتَعقُّدها، وحاجتها إلى تَخصُّصَاتٍ كثيرةٍ، وَخلفيَّاتٍ مُتنوِّعةٍ"[1].

الْفَصْلُ الثَّانِي

صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش

وَالشَّفافيَّة)؛ ص٨، ٩، (المُسَاءَلة وَالشَّفافيَّة وَحَقُّ المُوَاطِن في المَعْلُومَات)؛ ص١٢ ــ ١٤، (الشَّفافيَّة وَالمُساءَلة من رَكَائِزِ الدِّيمقراطيَّة)؛ ولِمُطَالَعَة وَاقِع التَّنْمية السِّياسيَّة في الوَطَن العَرَبيِّ، يُنظَر: نقرش، عبد الله، (٢٠٠٥م)، إِشْكَالِيَّةُ التَّنْمِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ: "مُقَارَبَةٌ نَظَرِيَّةٌ"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(٣)، ص٥١١ ــ ٥٢٧.

[1]) بَهَاء الدِّين، أَحْمَد، (١٩٨٥م)، **شَرْعِيَّةُ السُّلْطَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ**، (ط٢)، القَاهِرة: دَار الشُّرُوق، ص٣٧، ٣٨.

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

ــ صُورَةُ الأَنَا الدِّينِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

ظهرت الأنا بصورتها السُّلْطَوِيَّة الدِّينيَّة، في خِطَاب المُتنبِّي الشِّعْرِيِّ، على نحــوٍ يُؤسِّــس لقضايا عديدةٍ، كان في طليعتها ما أُثِيرَ عن المُتنبِّي من ادِّعائه النُّبُوَّة في قوله([1])، ([2]):

مَا مُقَامِــــي بِأَرْضِ نَخْــلَةَ إِلاَّ كَمُقَــامِ الْمَسِيــحِ بَيْنَ الْيَهُــــودِ

وَيكمن وجه الشَّبَه هنا؛ في أنَّ "ما لقيه أبو الطَّيِّب من عَنَتِ قومه وَنُكْرانهم له في حياته، لا يقلُّ عمَّا وجده المَسِيح من أذى قومه ..."([3])؛ ولذلك دلالةٌ أكثر عمقًا؛ تكمــن فــي "أنَّ اليَهُــود سيِّئُون، وَلا تجدر الإقامة بينهم؛ لأنَّ مَصِير من يُقِيم بينهم هو المَوْت"([4])؛ وَفي اســتدعاء هــذه الصُّورة تبريرٌ لنهجه النَّاقِمِ من كُلِّ مُنافِسيه.

وقال الشَّاعِر في ختام القصيدة نفسها([5]):

أَنَــا فِي أُمَّــةٍ تَدَارَكَهَـــا الــلَّـــــــهُ غَرِيبٌ كَصَالِــحٍ فِي ثَمُــودِ

وَلا يخفى اشتمال البيتَيْن على التَّوظيف الدِّينيِّ، على جهة مُقارَبَة الاغتراب الــذي عاشــه المُتنبِّي؛ فَــ"غُرْبة الشَّاعِر عن وطنه وبين أهله هي (القَدَر) وَ(التَّجْربة) التي يُعانِيها كُلُّ شَــاعِرٍ ... اتَّخذ من القَوْل سبيله في الحياة"([1]).

---

[1]) المُتنبِّي، أَحْمَد بن الحُسيْن بن الحَسَن بن عبد الصَّمَد، (٢٠٠٧م)، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، وضعه: عبد الرَّحْمن البرقوقيّ، (ط٢)، بَيْرُوت: دَار الكُتُب العِلْمِيَّة، ٢: ٣١، (البَيْت: ١٨).

[2]) إنَّ مجال عنايتنا في هذه الدِّرَاسَة، يختصُّ بملامح ظُهُور السُّلْطة الدِّينيَّة عند المُتنبِّي، أَمَّا ما جاء فــي شــأن ادِّعاء المُتنبِّي النُّبوَّة؛ فهو موطن خلافٍ بين الرِّوَايَات، ثُمَّ موطن تَناقُضٍ مع قول الشَّاعِر، حين استعطف لؤلــؤًا أمير حِمْص، من قبل الدَّوْلة الإخشيديَّة؛ لإطلاق سراحه:

وَكُنْ فَارِقًا بَيْنَ دَعْــوَى أَرَدْتُ وَدَعْــوَى فَعَلْتُ بِشَــأْوٍ بَعِــيدِ

ــ (المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٤٨، (البَيْت: ٢٧) ــ وَهو بذلك قائمٌ في مجال الدِّرَاسَة التَّحقيقيَّة؛ لغايــة المُوَزَانة بين الرِّوَايَات جميعها، مع مُقابَلتها بالشِّعْر؛ وَيُنظَر في هذا الشَّأن: اليَازجي، نَاصِيف، (د. ت)، **العُــرْفُ الطَّيِّب في شَرْحِ دِيوَانِ أَبِي الطَّيِّب**، صوَّب نُصُوصه وَضَبَطها وَقدَّم له: د. عُمَــر فَــارُوق الطَّبَّــاع، (د. ط)، بَيْرُوت: شَرِكة دَار الأَرْقَم بن أبي الأَرْقَم للطِّبَاعة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٨، (أَضْوَاء عَلَى سِيرَة المُتنبِّــي، بقلــم الدُّكتور عُمَر الطَّبَّاع).

[3]) المَجَالِيّ، أ. د. جِهَاد شَاهِر، (٢٠٠٨م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الإِبْدَاعِ الْفَنِّيِّ فِي الشِّعْرِ ــ رُؤَى النُّقَّادِ الْعَرَبِ فِي ضُوءِ عِلْمِ النَّفْسِ الأَدَبِيِّ وَالنَّقْدِ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار يَافَا العِلْمِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٩.

[4]) الأسطة، د. عَادِل، (يَنَاير٢٠٠٥م)، اليَهُودُ فِي رِوَايَةِ مُنِيف "أَرْض السَّوَاد" عَلَى ضُوءِ صُورَتِهِمْ فِــي الأَدَبِ العَالَمِيِّ وَالعَرَبِيِّ، **مجلَّة الجَامِعَة الإِسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٣(١)، ص٣٤.

[5]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٣٤، (البَيْت: ٣٦).

وَأكَّد المُتنبِّي من خلال التَّناصِّ مع حالتي المَسِيح وَصَالِح ــ عليهما السَّلام ــ المُبتَغى من الخِطَاب، في ترسيخ حالة الفَرَادة، التي أحالته تاليًا إلى مرحلةٍ أعمق من الاغتراب عن المُجتَمع؛ ثُمَّ نراه يستهلُّ البيت الثَّانِي بالدُّعَاء المفتوح الذي لا سبيل إلا لفهمه على وجهتَيْن معنويَّتَيْن، هُمَا: الدُّعَاء لها بالصَّلاح، وَالدُّعَاء عليها بالهلاك وَالثُّبُور، مع ضرورة إدراكنا قوله هذه القصيدة في صِبَاه، حين اشتمل على حماسة الفُتوَّة، التي أفضت به في كثيرٍ من الأحايين إلى مساس الأطــر العقيديَّة وَالسِّيَاسيَّة بطرفٍ من سهامه، في محاولةٍ منه لاستلهام سُلْطة الخِطَاب الــدِّينيِّ؛ لغايــة شَرْعَنَةِ خِطَابه الأدبيِّ.

ثُمَّ كان للمُتنبِّي أن يقف في قصائده على قضيَّة الزُّهْد في الحياة، بوصفها ملمحًا دينيًّا فــي الظَّاهِر، وَإن بدت بواعثها عنده على غير الدِّين في بعض الأحايين، مُظهِرًا عقيدة الصَّدِّ التــي طالت اثنتَيْن من أهْنَى اللَّذَات في مَجالِس اللَّهْو، وَهُمَا: مُؤانَسة النِّسَاء وَمُعاقَرة الخَمْر؛ أمَّا الأولى فأعرض عنها على ما فيه من نَضَارَة الشَّبَاب، قَائِلا(٢):

بِقَلْبِي وَإِنْ لَمْ أَرْوَ مِنْــهَــا مَــلالَةٌ وَبِي عَنْ غَوَانِيهَا وَإِنْ وَصَلَتْ صَدُّ

ولم يترك إعراضه هذا مُغلَّقًا بالغُمُوض، وَإنَّما أسَّس له ببيان المَانِعَات، وَهُنَّ ثلاثٌ يُكرِّسن ما طُبِعَ عليه الشَّاعِر من الفُتُوَّة وَالمُرُوءَة وَالأنَفَة، حتَّى وَإن لم يكن للذَّة عَواقِب آثمــةٌ؛ فَجِبِلَّتُــهُ تأبى عليه ذلك(٣):

وَتَرَى الْفُتُــوَّةَ وَالْمُــرُوءَةَ وَالأُبُوَّ ةَ فِيْ كُــلِّ مَلِيــحَةٍ ضَرَّاتِــهَا
هُــنَّ الثَّــلاثُ الْمَانِعَــاتِي لَذَّتِــي فِي خَلْوَتِي، لا الْخَوْفُ مِنْ تَبِعَاتِهَا

وَقد أكَّد هذه العِفَّة في مقام هَجْر خَاطِره الفُحْش، وَانشغاله بالشَّدَائِد، بقوله(٤):

مَا أَجْــدَرَ الأَيَّــامَ وَاللَّيَــالِي بِــأَنْ تَقُــولَ مَا لَــهُ وَمَــا لِــي
لا أَنْ يَكُــونَ هَكَــذَا، مَقَــالِــي فَتًــى بِنِيــرَانِ الْحُــرُوبِ صَــالِ
مِنْــهَا شَرَابِــي، وَبِهَا اغْتِسَالِــي لا تَخْطُــرُ الْفَحْشَــاءُ لِي، بِبَــالِ

---

[1] عبَّاس، عبد الحَلِيم، (١٩٦٨م)، **فِي السِّيَاسَةِ وَالأَدَبِ**، (ط١)، عمَّان: مَطْبَعة الجَمِيل، ١: ١٣٩.
[2] المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٦٦، (البَيْت: ٩).
[3] **نفسه**، ١: ٢٤٤، (البَيْتان: ٨، ٩).
[4] **نفسه**، ٤: ٢١، (البَيْتان: ٣، ٤).

ثُمَّ قرن الزُّهْد في النِّسَاء، وَحرصه على طلب المَعَالِي، بِمُضَاجَعة السَّيْف، فقال([1]):

وكَانَ أَطْيَبَ مِنْ سَيْفِي مُضَاجَعَــةً　　　　أَشْبَــاهُ رَوْنَقِــهِ الْغِيــدُ الأمَالِــيدُ

أَمَّا بشأن الخَمْر؛ فقد أبى المُتنبِّي شربها؛ كيما يبقى مُتوقِّد الـذِّهْن وَالقَرِيحَـة، فـي إدراكٍ داخليٍّ مُشتمِلٍ على المَجْد وَالسُّمُوِّ، في ميداني الثَّقَافَة وَالسِّياسَة، ليقول([2]):

إذَا مَا الْكَأسُ أَرْعَشَـتِ الْـيَدَيْـنِ　　　　صَحَـوْتُ فَلَمْ تَحُـلْ بَيْنِي وَبَيْنِي

هَجَرْتُ الْخَمْــرَ، كَالذَّهَبِ الْمُصَفَّى　　　　فَخَمْـرِي مَاءُ مُزْنٍ، كَاللُّــجَـيْنِ

وَألفيناه يُبالِغ في رفض الشَّرَاب، حتَّى ولو اقترن الأمر بدعوةٍ مُوجَّهةٍ من أَمِيـر مَجْلِـس الحُكْم وَالسِّيَادة، وَإن قَبِلَ بذلك فسيبقى مُتألِّمًا مُتفجِّعًا؛ استبشاعًا لها، لينطق في مقام وصف لعبةٍ على صورة جاريةٍ، في مجلس بدر بن عمَّار، بموافقةٍ مُشتمِلةٍ على دُمُوع الأَسَى، فقال([3]):

سَأَشْرَبُ الْكَـأسَ عَنْ إشَارَتِـهَـا　　　　وَدَمْعُ عَيْنِـي فِي الْخَدِّ مَسْفُـوحُ

إنَّ نظرةً مُستجلِيةً للخِطَاب السَّابق؛ لتُحِيل إلى حالةٍ من الرَّفْض المُؤسَّـس علـى وعـيٍ بِمُتطلَّبات السِّيَادَة المَنْشُودَة في نهجه([4])، وليس من سبيلٍ إلى تقديمه على اعتبار الرَّفْض المُنطلِق من الدِّين، وَإن كان التَّزهُّد في هذا الباب يُعَدُّ ضربًا من الإحـساس العَمِيـق بتجربـة التَّلقِّـي التَّربويَّة، في مُحتَضَن الخِلافَة الإسلاميَّة، مع إدراك اهتمام المُتنبِّي بالوقفات التَّأمُّليَّة عند ثنائيَّـة الحَيَاة وَالمَوْت، حتَّى وَإن جرى القَصِيد على لسانه في صِبَاه؛ مِمَّا يدلُّ على أنَّ خَطًّا مُوازِيًا من الزُّهْد، نراه باديًا دونما انفكاكٍ، عن حالة الاتِّحَاد القُصْوى مع كُلِّ مُعِينَات المَجْد وَالسِّيَادَة([5]).

وَحين يتجلَّى المُتنبِّي بسُلْطته الدِّينيَّة، فإنَّه يقحم نطاق العَقِيدة بِمُفارَقةٍ تُجسِّد قُوَّتها في مواطن بعينها، وَضعفها البَالِغ حَدّ الصِّفْريَّة في مواطن أخرى؛ وَمِمَّا جاء في الـسِّيَاق الأوَّل مُجانَبتـه الوُقُوع في سياق الشِّرْك حتَّى في مقام اللَّفْظ، بقوله لمَّا مدح شجاع بن مُحمَّد الطَّائِيَّ المَنْبِجِيَّ([6]):

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٩٩، (البَيْت: ٤).

[2]) **نفسه**، ٤: ٢٣٩، ٢٤٠، (البَيْتان: ١، ٢).

[3]) **نفسه**، ١: ٢٦٥، (البَيْت: ٣).

[4]) لِمُطالعة نَمَاذِج أخرى، يُنظر: **نفسه**، ١: ١٦٤، (الأبيات: ١ ــ ٣، زهد المُتنبِّي في الـشَّرَاب مـع بعـض الكلابيِّين؛ رغبةً منه في سماع صَلِيل سُيُوف القِتَال)؛ ٤: ٢٦٦، ٢٦٧، (الأبيات: ١ ــ ٣، زهـده فـي الخَمْـر وَالبِطِّيخَة، في مجلس أبي العَشَائِر؛ لانشغاله بتوطين نفسه لِيوم الطِّعَان).

[5]) يُنظر: **نفسه**، ٣: ٥٥، ٥٦، (المُلُوك وَالمَوْت).

[6]) **نفسه**، ٣: ٢٢٠، (البَيْت: ١٠).

إِلَى وَاحِـدِ الدُّنْيَا إِلَى ابْنِ مُحَمَّـدٍ شُجَـاعِ الذِي للهِ ثُمَّ لَهُ الفَضْـلُ

فقد دَلَّ على المُوالاة وَالتَّرْتيب بـ"**ثُمَّ**"؛ لنفي المُشارَكة بين الخَالِق وَالمَخْلُوق في الفَضْل؛ ذلك أَنَّ المَخْلُوق في جميع أحوله تابعٌ لخَالِقه، وَما البشريُّ إلا وسيلةٌ لنَيْل العَطَاء الرَّبَّانيِّ.

ولَقد نطق المُتنبِّي بخلاف هاتيك القُوَّة في بعض قصائده، وَمن قَبيل ذلك ما التقطناه في إحدى مدائحه لسَيْف الدَّوْلة، ذاكرًا إيقاعه بعمرو بن حَابسٍ وَبني ضبَّة، سنة إحدى وَعشرين وَثلاثمائة([1]):

إِنْ كَـانَ مِثْلُكَ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِـنٌ فَبَرِئْـتُ حِينَئِـذٍ مِنَ الإِسْـلامِ

وَبلغ الشَّاعِر بهذا حَدَّ الإفراط في مدح سَيْف الدَّوْلة، ذلك الذي يمسُّ نطاق العَقِيدة الصَّحِيحة، من وجهَيْن اثنَيْن؛ أوَّلهما: نفي مُشابَهة أحدٍ من الخَلْق المَمْدُوح، كائنًا فيما مَضَى أو سيكون فيما هو قَابِلٌ، وَثانيهما: براءته من عقيدة الإسلام في حالة وجود النِّدِّ أو النَّظِير؛ مِمَّا حَدَا بعَلِيٍّ بن أَحْمَد الوَاحِدِيِّ (ت٤٦٨هـ/١٠٧٦م) إلى القَوْل: إنَّ "هذا من المدح البَارِد؛ الذي يدلُّ على رقَّة دينٍ وَسخافة عقلٍ، وَهو من شعر الصِّبَا ـ إذ قال المُتنبِّي هذه القَصِيدة في صِبَاه"([2]).

وَرُبَّمَا بالغ المُتنبِّي في جانب احتقار الْخَلْق، وَهو الذي جاء في مقطوعةٍ شعريَّةٍ قالها في صِبَاه ارتجالاً([3]):

أَيَّ مَحَـلٍّ أَرْتَقِـى أَيَّ عَظِيـمٍ أَتَّقِـي
وكُلُّ مَـا قَـدْ خَلَـقَ اللَّـ ـهُ، وَمَـا لَـمْ يَخْلُـقِ
مُحْتَقَـرٌ فِـي هِمَّـتِـي كَشَعْـرَةٍ، فِـي مَفْرِقِـي

فهو الذي قد بلغ الفَرَادَة بِأعلى درجات السُّمُوِّ، مُعبِّرًا بلغة العُلوِّ، عن غاية الغُلوِّ، وَمُحتقِرًا خلق الله تعالى؛ فلزمه "الكُفْر باحتقاره خلق الله، وَفيهم الأنبياء وَالمُرْسَلون وَالمَلائِكة المُقرَّبون"([4])، على مَذْهَبِ الواحديِّ، الذي ساق لنا الرَّأي على نحو القَطْعيِّ الثَّابت، وَهو لا يعدو

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٩٣، (البَيْت: ١٨).
[2]) **نفسه**، ٤: ٩٣، (الحَاشِية).
[3]) **نفسه**، ٣: ٦٠، (الأبيات: ١ ـ ٣).
[4]) **نفسه**، ٣: ٦٠، (الحَاشِية).

أن يكون ظَنًّا، في سياق تَعدُّد ضُرُوب التَّأويل بتَبايُن الأفْهَام، الذي لا يجوز معه بحالٍ أن يحكم على الشَّاعِر بالخُرُوج من المِلَّة، وَالنَّصُّ لم يُفْصِحْ عن ظاهر القَوْل الذي يُؤيِّد ذلك، إلا أن يكون تَأوُّلاً دون عِمَادٍ راسخ.

وَما لبث المُتنبِّي أن بَثَّ في خطابه سُلْطة الدِّين، على نحوٍ يُغْرِي السَّيِّد الممدوح بتبليغ المَادِح مآربه، في نهجٍ لم يُفارِق المُبالغة، من جهة تقديم السِّمَات الإلهيَّة، كالرِّزْق وَالحِرْمَان، على أنَّها سمات الحُسيْن بن إسحاق التَّنوخيِّ؛ فالأقدار مُوافِقةٌ له ولرغابته، وَمن المُحَال أن تنهج خلاف مُبتَغاه، وَالأمر نفسه ينسحب على الأيَّام(١):

فَمَا تَرْزُقُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ حَارِمٌ وَلا تَحْرِمُ الأَقْدَارُ مَنْ أَنْتَ رَازِقُ

وَلا تَفْتُقُ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ رَاتِقُ وَلا تَرْتُقُ الأَيَّامُ مَا أَنْتَ فَاتِقُ

وَقد تصرَّف الشَّاعِر في الخِطَاب الشِّعْرِيِّ، على نحوٍ يُجسِّد السُّلْطة الدِّينيَّة، التي تهبه حَقَّ مُناغَاة الممدوح؛ بغية الحُصُول على مراده منه، مُنتهكًا القَدَاسَة الدِّينيَّة للخَالِق، في إلصاق أفعاله بالتَّنوخيِّ، وَمن قبيل ذلك إلحاقه سِمَات القتل وَالإحياء وَالرِّزْق وَالمنع بسَيْف الدَّوْلة الحَمْدانيِّ(٢).

وَهو إذ خرج من حِيَاض العَقِيدة بهذا الشَّأن، فقد أرسى لحالة من الإباحة التَّامَّة لاستغلال كُلِّ الوظائف الدِّينيَّة، بصورةٍ تُقرِّب الممدوح السَّيِّد منه؛ فيقول في مدح مُحمَّد بن زُرَيْق الطَّرَسُوسِيِّ(٣):

يَا مَنْ نَلُوذُ مِنَ الزَّمَانِ بِظِلِّهِ أَبَدًا وَنَطْرُدُ بِاسْمِهِ إِبْلِيسَا

فالشَّاعر ذكر اللُّجُوء وَالاستعاذة، وَهُمَا أمران يعتلقان بالإله على نحوٍ لا يقبل الشَّكَّ؛ أمَّا أن يخصَّ بهما ممدوحه ابن زريق، ويجعله ملاذًا له من عَوَادِي الدَّهْر وَنَوائِبه، وَوَساوس الشَّيْطان وَمَدَاخِله؛ فهذا الذي لا يتَّفق مع صوابيَّة العَقِيدة. وإن كان الأمر مُتَّصلاً بسبيلٍ من الفَنِّ الشِّعْرِيِّ، الذي يُلْحِقُ بخِطَاب المدح أقصى غايات السُّمُوِّ، فهو ما يُتَسَمَّحُ فيه بقدرٍ لا يجترح من أفعال الخَالِق وَصفاته قالبًا مُصطنَعًا للبشريِّ الممدوح.

---

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٣: ٦٥، (البَيْتان: ٢٤، ٢٥).
(2) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٦٠، (البَيْتان: ٤١، ٤٢).
(3) **نفسه**، ٢: ٢١٧، (البَيْت: ٢٣).

وَإذا ما عرَّجْنا على التَّكْفير؛ ألفيناه حاضرًا في ديوان المُتنبِّي، في إطار الخـــلاف الثّقـــافيِّ السِّياسيِّ؛ فها هو ذا يُكفِّر الأعْور بن كَرَوَّس، لمَّا وَشَى به إلى بدر بن عمَّار، عندما سار إلـــى السَّاحِل، وَتخلَّف المُتنبِّي عنه، بقوله(١):

أَمْسَى الذِي أَمْسَى بِرَبِّــكَ كَافِــرًا   مِنْ غَيْرِنَا مَعَنَا بِفَضْلِكَ مُؤْمِنَـــا

ولَيس أدعى من الإقرار بتوظيف السُّلْطة الدِّينيَّة، على نحوٍ يُلْغِي الآخر النِّـــدَّ، مـــن هـــذا الخِطَاب، وفيه الاستعانة بالسِّيَادة السِّياسيَّة على العدوِّ بالوليجة الدِّينيَّة، التـــي أباحـــت للمُتنبِّـــي إخراج الوَاشِي من المِلَّة، وَتكفيره على نحوٍ قد يستجلب له الكُفْر.

وَكيما يتحقَّق للمُثقَّف الصُّعُود بين يدي الممدوح السِّياسيِّ، أرسى دعامةً أخرى في سُـــلْطته الدِّينيَّة، القَائِمة على قمع الآخر، مُمثَّلة في انتهاك المُحَرَّم الدِّينيِّ، ومنها مـــا يخـــتصُّ بـــسياق المُناسَبة السَّابقة، مُعرِّضًا بابن كَرَوَّس إلى حَدِّ قذف والدته بالزِّنَا، قائِلا(٢):

وَانْـــهَ الْمُشِيـــرَ عَلَيْكَ فِيَّ بِضَلَّـــةٍ   فَالْحُـــرُّ مُمْتَحَـــنٌ بِأَوْلادِ الزِّنَـــا

كما سَخِرَ من أهل مِصْر؛ لاتّباعهم كافورًا وفق نهج الطَّاعَة العَمْيَاء، مُوجِّهًا مجال السُّخْرية إلى نطاق الدِّين، وفيه حَفُّ الشَّوَارب، الذي كان في مقام السُّنَّة الشَّريفة هـــديًا نبويًّـــا خالـــصًا، فقال(٣):

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُـــمْ   يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ

وَيُلْمَحُ الأثر الشِّيعيُّ في قول المُتنبِّي(٤):

يَا أَيُّهَـــا الْمَلِكُ الْمُصَـــفَّـــى جَـــوْهَـــرًا   مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا

نُـــــورٌ تَظَاهَـــــرَ فِيــكَ لاهُوتِـــيَّـــــةً،   فَتَكَـــادُ تُعْلَـــمُ عِلْـــمَ مَا لَـــنْ يُعْلَمَـــا

وَيُهَـــمُّ فِيـــكَ إِذَا نَطَقْـــــتَ فَصَـــاحَـــةً   مِنْ كُـــلِّ عُضْـــوٍ مِنْـــكَ أَنْ يَتَكَلَّمَـــا

---

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٤٩، (البَيْت: ٤٠).
(2) **نفسه**، ٤: ٢٤٨، (البَيْت: ٣٥).
(3) **نفسه**، ٤: ٢٠٧، (البَيْت: ٥).
(4) **نفسه**، ٤: ١٠٩، ١١٠، (الأبيات: ١٣ ـــ ١٦).

أَنَــا مُبْصِــــرٌ وَأَظُــنُّ أَنِّــي نَــائِــمٌ   مَــنْ كَــانَ يَحْلُــمُ بالإلَــهِ فَأَحْلُمَــا

وَقد صرَّح المُتنبِّي في الأبيات السَّابِقة بارتباط النُّور الإلهيِّ بالمَلِك الفَارِسيِّ، مــن خــلال حُلُول رُوح الإله فيه، وَعلمه بالمغيبات، وَالشِّيعة قبلاً اعتقدوا بـــ"حُلُول الرُّوح الإلهيَّة في أئمَّتهم، وَما يدَّعونه لهم من جوانب إلهيَّةٍ تجعلهم على علمٍ بِكُلِّ شيءٍ، حتَّى علم الغَيْب"([1])، ([2]).

وَلا بُدَّ أن نُشِيرَ إلى بعض الظَّوَاهِر المُتَّصلة بظهور المُتنبِّي الدِّينيِّ، في خِطَابه الــشِّعْريِّ، وَمنها توظيفه الرَّمْز الصُّوفيَّ في "**همزيَّته**"، التي مدح بها أبا عَلِيٍّ هَارُون الأُورَاجِيَّ الكَاتِب([3])؛ لغاية إرضاء ممدوحه، "الذي كان يذهب مذهب التَّصوُّف، وَهي من هذه الجِهَة قيِّمةٌ؛ لأنَّها تبين عن علم المُتنبِّي ــ في الخَامِسة وَالعشرين من عمره ــ بِمَذاهِب المُتصوِّفة في الكلام، وَمنهجهم في الرَّمْز وَالإيماء؛ وَلأنَّها تُظهر لنا الشَّاعِر الفَتَى وَقد ملك نَاصية الفَنِّ حَقًّا"([4]).

كما لا يُمكِن تَجاهُل ميوله الْعَلَوِيَّةِ، التي تمثَّلت في مدح مُحمَّد بن عُبيْد الله العَلَويِّ المشطب في صِبَاه([5])، وَتجدر الإشارة إلى قصيدته في مدح عَلِيِّ بن أَحْمَد بن عَامِر الأنطاكيِّ، التي أُشِيعَ عنها تمثيلها لمذهبه الباطنيِّ([6])، ثُمَّ إنَّ قضيَّة الامتحان الدِّينيِّ لجديرةٌ بالإشارة؛ ذلك أنَّ المُتنبِّــي عمد إلى امتحان القَاضِي أبي الفَضْل الأنْطَاكِيِّ([7])، مُثبِتًا له الألوهيَّة؛ لغاية استكشاف مذهبه([8]).

وَبوسعنا أن نجد حضورًا حسنًا للنَّماذِج المُعبِّرة عن القضايا السَّابِقة في ديوان المُتنبِّي، تلك التي تُؤسِّس لصورة الجَانِب الدِّينيِّ في شخصه([9])، وَهي تكشف بكُلِّيَّتها عن نهجه السُّلْطويِّ في توخِّي مُؤسِّسات الخِطَاب الدِّينيِّ؛ لغاية تحقيقه دواعي السُّمُوِّ في حضرة ممدوحيه، وَجُلُّهم مــن السَّلاطِين وَالمُلُوك، لاسيَّما فيما يتَّصل بممدوحيه من العلويِّين([10])، الذين انعكست من خلالهــم

---

[1]) خليف، د. يُوسُف، (١٩٧٧م)، **فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ نحو مَنْهَج جَدِيد**، (د. ط)، القَــاهِرة: مَكْتَبَــة غَرِيــب، ص١٢٢.

[2]) وَيرى بعض البَاحِثِين؛ أنَّ ذلك كلَّه يتَّصل بأثر الشِّيعة الإسماعيليَّة، وَيُلْحِقُونَ بِالمُتنبِّي سِمَة التَّضْحية وَالفِدَاء؛ تَمَثُّلاً للمَذْهب السَّابِق، فضلاً عن تأثُّره بِالحَرَكة القرمطيَّة؛ يُنظَر: الشّتيوي، صَالِح عَلِيّ، (٢٠٠٢م)، التَّــضْحِيَةُ بِالنَّفْسِ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٩(٢)، ص٤٥٨ ــ ٤٦٩.

[3]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٩٨ ــ ١٠٩، (قَصِيدة مُكَوَّنة من سبعةٍ وَأربعين بيتًا).

[4]) **نفسه**، ١: ٩٨، (الحَاشِية).

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٠ ــ ٢٧.

[6]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٧٨ ــ ١٨٥، (قَصِيدة مُكَوَّنة من واحدٍ وَأربعين بيتًا).

[7]) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ١٠٧ ــ ١١٢، (قَصِيدة مُكَوَّنة من عشرين بيتًا).

[8]) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ١١٠، (البَيْت: ١٦).

[9]) للاطِّلاع على عَقِيدة المُتنبِّي، في الأُطُر الدِّينيَّة المختلفة، يُنظَر: عُثْمَان، سُهَيْل وكَنْعَــان، مُنِيــر، (١٩٦٩م)، **الْمَحْصُولُ الْفِكْرِيُّ لِلْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الإرْشَاد للطِّبَاعَة وَالنَّــشْر وَالتَّوْزِيــع، ص١٧ ــ ٩٣، (البَــاب الأوَّل: العَقِيدة).

[10]) يُنظَر: شَاكِر، مَحْمُود مُحمَّد، (١٩٨٧م)، **الْمُتَنَبِّي ــ رِسَالَةٌ فِي الطَّرِيق إلى ثَقَافَتِنَا**، (د. ط)، القَاهِرة: مَطْبَعة المدنيّ وَجدَّة: دَار المدنيّ، ص١٥١ ــ ١٥٧، (شأن العلويِّين في حَيَاة المُتنبِّي).

صورة الأنا المُتَّصلة بطرفٍ من فكرهم الدِّينيِّ(1)، المُمجِّد للنَّسَب الشَّريف، على نحو ما سنرى في صورة الآخر الدِّينيِّ لاحقًا، مع إدراكنا العَمِيق لعدم ارتقاء الخِطَاب الدِّينيِّ، للمُستَوى الـذي يُجسِّد حُضُور سلطته في المُثقَّف، على نحوٍ فَاعِلٍ.

وَقد ربط مَحْمُود مُحمَّد شَاكِر بين قضيَّتي ادِّعاء المُتنبِّي النُّبُوَّة وَنسبه الْعَلَوِيّ، مُبْطِلاً الرِّوَايَات المُكرِّسة نُبُوَّته، بالنَّقْد المُبتَنى في رحاب النَّقْض(2)، بينما رَدَّ حبسه في الشَّام إلى نسبته الْعَلَوِيَّةِ(3).

أمَّا صَالِح زَامِل فقد خلص إلى أنَّ "النُّبُوَّة وإن بدت مُتوائِمةً مع نزوع المُتنبِّي الفرداني، تبدو أمام المُحاكَمة ضعيفةً وَهشَّة"(4)، لكنَّه لم يصدر عن نتيجةٍ أخيرةٍ لمُعالَجته انتماء الشَّاعِر للفِكْر القرمطيِّ وَحركته الأمِّ الإسماعيليَّة، مُقتنِعًا من ذلك بالتَّأثُّر في ملمح الانقلاب الفكريِّ، دون أن يحسم صدقيَّة هذا الانتماء، وَمُفنِّدًا أدلَّة من ردُّوا قرمطيَّة المُتنبِّي إلى المَنْطِق(5).

وقد جزم الدُّكتورعلي شلق بأنَّ المُتنبِّي كان "رجلاً طمَّاحًا مؤمنًا بحقِّه، وبمذهبه القرمطيِّ الثَّائِر"(6).

وَرَدَّ الدُّكتور عبد العزيز الدّسوقيّ مذهب القائلين بقرمطيَّته، من خلال تساؤُله الإنكاريِّ، مُعرِّجًا على مذهب القرامطة، وهم الذين "كانوا يقولون بالتَّسْليم وَالتَّقْليد وَحجب النَّاس عن التَّفْكير العقليِّ، وإطاعة أمر الإمام بدون مُناقَشةٍ"(7)، ثُمَّ كرَّر التَّساؤُل عقب ذلك بقوله: "فهل يتَّفق هذا مع روح المُتنبِّي الثَّائِرة النَّافِرة ؟ وَهل يُعْقَلُ أن يقبل المتنبي الانضواء إلى جماعة تقتل روح التفكير والاجتهاد والرأي، وتجعل العقل بعيدا عن سلوكها ؟"(8).

وَقد وقفنا على مَيْل الدُّكتور يُوسُف خليف، إلى الظَّنِّ بعدم صحَّة الرِّوَايات المختلفة بشأن سجنه(9)، وَأنَّه "إنَّما سُجِنَ بسبب تصريحاته الثَّوريَّة، التي كان يُصرِّح بها في شعره، دون حذرٍ

---

1) يُنظَر: شَاكِر، **المُتَنَبِّي ــ رِسَالَةٌ فِي الطَّرِيق إِلَى ثَقافَتِنَا**، ص١٦٧ ــ ١٧١، (الأدلَّة الدَّاعِية إلى افتراض علويَّة المُتنبِّي)؛ ص١٧٢ ــ ١٧٦، (أثر العلويَّة في حَيَاة المُتنبِّي)؛ ١٨١، (أمُّ المُتنبِّي وَجدَّته وَعلاقتهما بالعلويِّين)؛ ١٨٢، (دَلالة أوائل شِعْره وكِتْمَان نَسَبِهِ)؛ ٢٤١ ــ ٢٤٣، (دَلائِل من رثَاء جدَّته على علويَّته)؛ ٢٤٦ ــ ٢٥٧، (خَصَائِص شِعْره، وَعلاقته بالعلويَّة وَالفَاطِمِيَّة).

2) يُنظَر: **نفسه**، ص١٩٩، (نُبوَّة المُتنبِّي وَبُطْلانها)؛ ٢٠٠ ــ ٢١٣، (نَقْد روَايَات نُبوَّته).

3) يُنظَر: **نفسه**، ٢١٩ ــ ٢٢٣، (حبسه لإظهار علويَّته).

4) زَامِل، صَالِح، (٢٠٠٣م)، **تَحَوُّلُ الْمِثَالِ ــ دِرَاسَةٌ لِظَاهِرَةِ الاغْتِرَابِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العربيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٧٨.

5) يُنظَر: **نفسه**، ص٨٤ ــ ٨٨.

6) شلق، د. عَلِيّ، (ت٢٠٠٨م)، (١٩٧٧م)، **الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَغْدَاد: وزارة الثَّقَافَة وَالفُنُون، ص١٢.

7) الدّسُوقِيّ، د. عبد العَزِيز، (٢٠٠٦م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ شَاعِرُ الْعُرُوبَةِ وَحَكِيمُ الدَّهْر**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العربيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٥١.

8) **نفسه**، ص٥١.

9) يُنظَر: خليف، **فِي الشِّعْر الْعَبَّاسِيِّ ــ نحو مَنْهَج جَدِيد**، ص١٢٧.

أو احتياطٍ؛ فهو قد سُجِنَ في جريمةٍ خطرةٍ من جرائم الرَّأي؛ قوامهـا الخـروج علـى الـدِّين وَالسُّلْطان، وَالدَّعْوة إلى تسليط السَّيْف على المسلمين"([١]).

أمَّا الدُّكتور مُصْطَفى السّيوفيّ؛ فيُشِير إلى البيتَيْن اللذَيْن كانا مدار الجدل في ادِّعاء المُتنبِّي النُّبُوَّة، مُعلِّقا عليهما بقوله: "وليس أيسر من أن يسمع حاسدوه هذا الشِّعْر فيُلقِّبوه بالمُتنبِّي، وَذاع ذلك وَانتشر بين النَّاس، وَيمضي الزَّمن؛ فيحلو لأصحاب الخيالات أن ينسجوا قـصَّةً طريفـةً يُفسِّرون بها هذا اللَّقب"([٢]).

ولم يُفصِّل الدُّكتور عبد العزيز الدّسوقيّ في هذه القضيَّة، مُستهلاً مسألة ادِّعائه النُّبُوَّة بقوله: "وَهِيَ قضيَّةٌ باطلةٌ، وقد يصفها معظم الذين درسوا "المُتنبِّي"، ولن نُطِيلَ القول فيها؛ فأبو الطَّيِّب وهو الرَّجل العلويُّ الذي ينتسب إلى الْعِتْرَةِ النَّبويَّة، الوَاسِع الثَّقَافَة، العَلِيم بأمور الدِّين، صَـاحِب الخُلُق القَوِيم، المُتمسِّك بالقيم الدِّينيَّة الرَّفِيعة، البَعِيد عن الدَّنَايَا وَالـشُّبُهات، رجـلٌ بِكُـلِّ هـذه المواريث الاجتماعيَّة وَالنَّفْسيَّة، لا يمكن أن يدَّعي النُّبُوَّة"([٣])، وَرَدَّ ذلك كلَّه إلى الشَّائِعات التـي حاكها حُسَّادُهُ، وفق بعض الأبيات الشِّعْرية التي يمكن تأوُّلها، وَهِيَ الشَّائِعات نفسها التي رسَّخت في شخصه لقب "المُتنبِّي"؛ فالتصق به([٤])، ([٥]).

وَرأى الدُّكتور عبد العَاطِي كيوان ــ في شأن تديُّنه العامِّ ــ حقيقة البُعْد عن الـدِّين، مـن وجهة نظر مفادها "أنَّ المُطَّلع على شعر المُتنبِّي يلحظ هذا الشَّطَطَ؛ فقد كان له أشعارٌ كثيرةٌ تدلُّ على زندقته وَتهاونه في حَقِّ الدِّين وَإنكاره الرُّسُل"([٦])، ([٧]).

---

[1]) خليف، **فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ نحو مَنْهَج جَدِيد**، ص١٢٧.

[2]) السُّيُوفِيّ، أ. د. مُصْطَفى، (٢٠٠٨م)، **أُمَرَاءُ الشِّعْرِ فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ**، (ط١)، القَـاهِرة: الـدَّار الدَّوْلِيَّـة للاستثمارات الثَّقافيَّة ش. م. م، ص١٥٥.

[3]) الدّسُوقِيّ، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ شَاعِرُ الْعُرُوبَةِ وَحَكِيمُ الدَّهْر**، ص٤٩.

[4]) يُنظَر: **نفسه**، ص٤٩، ٥٠.

[5]) للاطِّلاع على مُوجَز الرِّوَايَات القَائِلة بِادِّعاء المُتنبِّي النُّبوَّة، يُنظَر: الطّوِيلِيّ، د. أَحْمَد، (١٩٩٣م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَمُنْتَخَبَاتٌ**، (د. ط)، تُونس: مُؤَسَّسات عبد الكَرِيم بـن عبـد الله، ص٢٢ ــ ٢٥، (ادِّعـاؤُه النُّبوَّة)؛ وَيمكن استجلاء مُنَاقَشة الدُّكتور عبد العَاطِي كِيوَان، في قضيَّة ادِّعاء المُتنبِّي النُّبوَّة، يُنظَر: كِيـوَان، د. عبد العَاطِي، (١٩٩٨م)، **جَانِبُ الثَّوْرَةِ وَالْعَقِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّـي**، (ط١)، الفَيُّوم: دَار العُلُوم للنَّشْر وَالتَّوْزِيـع، ص٣٣ ــ ٦٨، (المَبْحث الثَّانِي: المُتنبِّي وَادِّعاء النُّبوَّة)؛ وَللاطِّلاع على مُوجَز المَوَاقِف الثَّلاثَة للمُحْدَثِين، بشأن ادِّعاء المُتنبِّي النُّبوَّة، بين التَّجنِّي وَالنَّفْي وَالتَّوسُّط، يُنظَر: الواد، حُسيْن، (١٩٩٢م)، **مَدْخَلٌ إِلَى شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، تُونس: دَار الجَنُوب للنَّشْر، ص١٨ ــ ٢٢؛ وَفي مُنَاقَـشة الـدُّكتور حَـسَن الإمْرَانِـيِّ آراء المُستـشرِقين الفرنسيِّين، في ادِّعاء المُتنبِّي النُّبوَّة، يُنظَر: الإمْرَانِيّ، د. حَسَن، (١٩٩٤م)، **الْمُتَنَبِّي فِي دِرَاسَاتِ الْمُسْتَـشْرِقِينَ الْفَرَنْسِيِّينَ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الرِّسَالة للطِّبَاعَة وَالنَّـشْر وَالتَّوْزِيـع، ص١٥٢ ــ ١٦٦، (٤ ــ المُتنبِّـي وَالتَّنبُّؤ)؛ وَفي النَّهْج الاستشراقيِّ بعامَّة، يُنظَر: الكريوي، إدْرِيس، (مارس٢٠٠٥م)، الْمَنْهَجُ الاسْتِـشْرَاقِيُّ فِـي تَارِيخِ الأَدَبِ وَالنَّقْدِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٥)، ص١٩١ ــ ٢٩٠.

[6]) كِيوَان، **جَانِبُ الثَّوْرَةِ وَالْعَقِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، ص٣٦.

[7]) للتَّوقُّف عند مُعتَقد المُتنبِّي الدِّينيِّ، وَمَذْهبه الثَّوْرِيِّ القرمطيِّ، يُنظَر: بلاشِير، د. رِيجـيس، (١٩٨٥م)، **أَبُـو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ فِي التَّارِيخ الأَدَبِيِّ**، تَرْجَمة: د. إبْرَاهِيم الْكِيلانِيّ، (ط٢)، دِمَشق: دَار الفِكْـر للطِّبَاعَـة وَالتَّوْزِيع وَالنَّشْر، ص٨١ ــ ١٢٣، (الفَصْل الثَّالِث: فِتْنة في الشَّام من أَوَاخِر سَنَة ٣٢٠ هـ حتَّى آخِر سَـنَة=

وَالحَقُّ الذي يُقَالُ في ذلك أهمِّيَّة هذا الذي ذكره في ترسيخ صواب العَقِيدة أو بُطْلانهـا، إلا أنَّ هذا الشَّطَطَ لا ينسحب على مُجْمَل الدِّيوان؛ مِمَّا يُعبِّر عن سَقَطَاتٍ في مراحل، لم تخل مـن التَّأمُّل الحكِيم في المَوْت وَالحَيَاة، مع استخلاصه العِبَر الجَلِيلة في وحيهما، لاسيَّما في مقام الرِّثَاء وَالتَّعْزية.

وَختام البيان لهذه الصُّورة السُّلْطويَّة في "أنا" المُتنبِّي؛ أنَّ الإشارات الدِّينيَّة في شعره علـى ما ذكرنا كثيرة؛ تستوجب المُوازَنة الكُلِّيَّة بين نطاقي تبدِّيها في المِثَال وَالدُّون؛ ذلكم الذي يمكـن من خلاله إنزال الشَّاعِر منزلته في ظَاهِر الخِطَاب من المُعتَقد، وَإلا فَـإنَّ ملامـح التَّوْظيـف السُّلْطويِّ للدِّين في رحاب الأدب بادية، على نحوٍ يدعم تأثيرها في نفوس مُتلقِّيه؛ بِقُوَّةٍ قد تعلـو وَقَد تهبط؛ وَهي مع أثرها؛ مقياسنا الأوحد، في إحراز الشَّاعِر سُلْطة التَّأثير الدِّينيِّ، في خِطَابـه الأدبيِّ، مع ضعف عقيدته الدِّينيَّة، على المستوى الشَّخصيِّ، في ظَاهِر الخِطَاب([1]).

=٣٢٤هـ)؛ وَيُنظَر: الطّويلِيّ، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَــةٌ وَمُنْتَخَبَــاتٌ**، ص٢٦ ـــ ٢٩؛ وَحـول آراء المُستشرِقين الفرنسيِّين في البَاطِنيَّة وَالقرمطيَّة، يُنظَر: الإمْرَانِيّ، **الْمُتَنَبِّي فِي دِرَاسَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْفَرَنْـسِيِّينَ**، ص١٦٧ ــ ١٨٩، (٥ ــ المُتنبِّي وَالبَاطِنيَّة).

[1]) لقد تضمَّن دِيوَان المُتنبِّي مجموعةً من الإشَارَات، التي تُؤسِّس لِوُلُوجه الدِّين، من غير بابٍ، وَهي على ما فيها من سقطاتٍ، لا تنفي بحالٍ سُمُوَّ الشَّاعِر في مواطن أخرى، وَسأسوقها هنا بِتجرُّدٍ كاملٍ، مـن الـرُّؤَى الذَّاتيَّـة؛ بوصفها نطاقاتٍ نَصِّيَّةً قابلةً للتَّأويل، على هَامِش قراءتنا في متن هذا المَطْلب، من واقع تعبيرهـا عـن رُؤْيَـة المُتنبِّي الدِّينيَّة، حتَّى في السِّيَاقَات الشِّعْريَّة، التي عالجت هذا المَضْمُون في الآخَر؛ لكون مُنطَلق الرُّؤْيَة الشِّعْريَّة منه؛ يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّـي**، ٢: ٢٩، (البَيْت: ٢٩، وَفيه ترشف النِّسَاء من فمه رشفاتٍ أحلى من التَّوْحيد؛ وَقِيلَ إنَّه رُوِيَ كحلاوة التَّوْحيد؛ للتَّخلُّص من المُبَالَغة المُفرِطة، ثُمَّ إنَّ للتَّوْحيد دلالةً على نَوْعٍ من ثمـر العِرَاق)؛ ٢: ٣٠، (البَيْت: ١٤، في إنزاله نفسه منزلة الفَقِيه؛ بِتحريمه كُلَّ دَمٍ خـلا دم العُنْقُـود، إلا أن يكـون قاصدًا للعَصِير، أو ما لا يُسْكِرُ من المَطْبُوخ)؛ ٢: ٤٤، (البَيْت: ٣٩، في سِيَاق مدحه شُجَاعَ بن مُحمَّد الطَّـائِيَّ المَنْبِجِيَّ، وَيتساءَل المُتنبِّي فيه عن كيفيَّة كون آدم عليه ــ السَّلام ــ أبا البريَّة، وَأبـوه وَالـثَّقلان مُحمَّـد، وَالِـد الممدوح)؛ ٢: ١٧٠، (البَيْت الثَّالِث، من المَقْطُوعة الأُولَى، وَفيه مدح بَدْر بن عمَّار، لمَّا أمر غلمانه أن يحجبوا النَّاس عنه؛ ليخلو للشَّرَاب، واصفًا إيَّاه بأنَّه إذا احتجب كان غير محجوبٍ، وَإذا اختفى فإنَّه ظاهرٌ بِجُوده وَهَيْبته، وَالوجه الذي أوردنا له هذه الإشارة؛ ما أثارته كلمتا "احْتَجَبْتَ" و"بَطَنْتَ"، من دعاوى انتمائه للباطنيَّة)؛ ٣: ٦٦، (مَقْطُوعَةٌ من أربعة أبياتٍ، قِيلَتْ لمَّا عرض عليه بَدْر بن عمَّار الصُّحْبَة للشُّرْب؛ فترفَّع عن ذلك؛ بدعوى الحِفَاظ على العَقْل، وَهو ما يمكن أن يُفسَّر في إحدى وجهتَيْن: العِفَّة الاجتماعيَّة أو العِفَّة الدِّينيَّـة)؛ ٣: ٢٢٩، (البَيْـت: ٢١، في دعوة صاحبَيْه التَّبرُّك بِماء رِجْلِ الممدوح عبد الرَّحْمن بن المُبَارَك الأنطاكيِّ إذا توضَّأ، وَرشِّـه علـى المَدَائِن؛ كي تصير آمنةً من الزَّلْزَالِ بِبركة صلاحه؛ وَالبَيْت: ٢٢، في دعوة صاحبَيْه إلى التَّبرُّك بِثوبه؛ لغايـة الشِّفَاء من الأَعْلالِ)؛ ٣: ٢٦٣، (البَيْتَان: ٤٤، ٤٥، مُبَالَغة المُتنبِّي في مدح الأمِير بَدْر بن عمَّـار، إلـى حَـدِّ الإفراط؛ فجعل معرفته بربِّه غِنًى للنَّاس عن الرُّسُل، كما أنَّ لفظه فيهم، يكفيهم عن القُرْآن وَالتَّوْراة وَالإنْجِيـل)؛ ٤: ٧٧، (البَيْت: ٢٤، مدح سَيْف الدَّوْلة، وَذكر بنائه ثَغْرَ الْحَدَثِ، سنة ثلاثٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، وَفي البَيْـت أنَّ سَيْف الدَّوْلة تجاوز الحدَّ في الشَّجَاعة وَالعَقْل؛ حتَّى قال قومٌ إنَّهُ عَالِمٌ بالغَيْب، وَيعرف عَاقِبة الأُمُـور)؛ ٤: ٨٤، (البَيْت: ٢٠، لما مدح سَيْف الدَّوْلة، وَقد ورد فُرْسان الثُّغُور، وَمعهم رسول مَلِكِ الرُّوم يطلب الهُدْنَـة، وَأنـشده القَصِيدة بحضرتهم، لثلاث عشرة بقين من المُحرَّم، سنة أربعٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، وَفي البَيْت ذكر تعظيم فُرْسان الثُّغُور له؛ فكلَّما سار في غارةٍ صلَّوا عليه وَسلَّموا؛ إعجابًا به وَتعظيمًا له)؛ ٤: ١١٩، (البَيْت: ٢٣، في نهجـه الهِجَائِيِّ العامِّ، من قَصِيدَةٍ قِيلَتْ في صِبَاه، وَانمازت بِحماسة المُتطلِّع إلى المَجْد السِّيَاسيِّ، وفيه أنَّ سَـيْفه يـرى الصَّلَوات الخمس نافلةً، وَيستحلُّ دم الحُجَّاج في الحَرَم)؛ ٤: ١٢٣، (البَيْت: ٢، جعل المُتنبِّي برَّهُ بيمين الرَّجُـل الذي حلف عليه بالطَّلاق؛ ليشرب الخَمْر؛ كفارةً عن إثم مُعَاقَرة الخَمْر)؛ ٤: ١٨٠، (مَقْطَعٌ ثُنَائِيٌّ، وَفيه أقسم أبو مُحمَّد ابن طغج عليه أن يشرب؛ فشرب من مُنطَلق أنَّ عِصْيان الأمِير حرامٌ، وَشرب الخَمْر حرامٌ، لكنَّ حُرْمـة عِصْيان الأمِير أشدُّ؛ لذا كانت طاعته موجبةً لانتفاء حُرْمة الخَمْر)؛ ٤: ٢٥٠، (البَيْت الثَّانِي، مـن مَقْطُوعَـةٍ=

=ثُلاثِيَّةٍ، في مدح الأمِير بَدْر بن عمَّار، وَفيه أنَّ الأمِير لو كان أمانةً؛ لكانت هذه الأمانة عظيمةً؛ حتَّى لا يُؤتَمن تأديتها جِبْرِيل، الأمِين على وحي الله وَكُتُبه وَأنبيائه).

ــ صُورَةُ الأَنَا الاجْتِمَاعِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

سعى المُتنبِّي إلى ترسيخ السُّلْطة الاجتماعيَّة في خِطَابه الشِّعْريِّ، وَاستدعى لذلك مجموعة من الأطر الموضوعيَّة، للمُعالَجات الاجتماعيَّة المختلفة، التي اتَّسقت فيما بينها، ضمن قَرَنٍ واحدٍ، عبَّر عن طبيعة البِنْيَةِ السُّلْطويَّة الاجتماعيَّة في منظوره.

ولَعلَّ أهمَّ ما يسترعي انتباهنا في دِيوَانه، وقفاته التي استجلت المُجْتَمَع على سبيل الإيقاظ المُوجَّه نحو ظواهر أخلاقيَّةٍ مُعيَّنةٍ؛ بغية نقدها تارةً، وَتقديم الحُلُول النَّاجِعة لها تارةً أخرى، فيما يُشكِّل في السِّياق الشِّعْريِّ برمَّته سُلْطة المُثقَّف الاجتماعيَّة.

لقد أرسى المُتنبِّي لنهج التَّعامُل مع النَّاس عامَّتهم وَخاصَّتهم، ضمن قراءته للمعايير المُتوخَّاة في القناة الاتِّصاليَّة مع الآخرين، فضلاً عن المِثَال المنشود في سلوكهم الاجتماعيِّ، وَمن أظهر ما توقَّفنا عنده في هذا الشَّأن، ما جاء في سياق مدحه كافوراً، في شهر ربيع الآخر، سنة ثلاثمائة وَسبع وَأربعين([1]):

إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُـهُ	**وَصَـدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَـوَهُّـمِ**
وَعادَى مُحِبِّيهِ بِـقَـوْلِ عُـدَاتِـهِ	**وَأَصْبَحَ فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِـمِ**
أُصَادِقُ نَفْسَ الْمَرْءِ مِنْ قَبْلِ جِسْمِهِ	**وَأَعْرِفُهَا فِي فِعْلِـهِ وَالتَّـكَـلُّـمِ**
وَأَحْلُمُ عَنْ خِلِّـي، وَأَعْـلَـمُ أَنَّـهُ	**مَتَى أَجْزِهِ حِلْمًا عَلَى الْجَهْلِ يَنْدَمِ**
وَإِنْ بَذَلَ الإِنْسَانُ لِي، جُودَ عَابِسٍ	**جَزَيْتُ، بِجُـودِ التَّارِكِ الْمُتَبَسِّـمِ**
وَأَهْوَى مِنَ الْفِتْيَانِ، كُلَّ سَمَـيْدَعٍ	**نَجِيبٍ كَصَدْرِ السَّمْهَرِيِّ الْمُقَـوَّمِ**
خَطَتْ تَحْتَهُ الْعِيسُ الْفَلاةَ وَخَالَطَتْ	**بِهِ الْخَيْلُ كَبَّاتِ الْخَمِيسِ الْعَرَمْرَمِ**
وَلا عِفَّةٌ فِي سَيْفِـهِ وَسِـنَـانِـهِ	**وَلَكِنَّهَا فِي الْكَفِّ وَالْفَرْجِ وَالْفَـمِ**
وَمَـا كُـلُّ هَـاوٍ لِلْجَمِيلِ، بِفَاعِلٍ	**وَلا كُـلُّ فَعَّـالٍ لَـهُ، بِمُتَمِّـمِ**

انطلق المُتنبِّي من العامِّ إلى الخاصِّ، مُتبصِّرًا في السِّيَاق الإنسانيِّ بكُلِّيَّته، ثُمَّ في الصُّورة السُّلْطانيَّة المنشودة؛ ليكون المبتدأ بسوء الظَّنِّ وَتصديق الوِشَاية؛ المُحِيلَيْن إلى مُعَادَاة الأحبَّة، وَهو سلوكٌ ممجوجٌ في السِّيَاق الاجتماعيِّ، إلا أنَّه يغدو بحياة المُتنبِّي وَمُعانَاته الدَّائمة مع الوُشَاة أكثر التصاقًا؛ لذا نطق بضمير المُتكلِّم "**أُصَادِقُ**"، مُوجِّهًا دائرة الفِعْل إلى الرُّوح لا الجِسْم،

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١٩٥، ١٩٦، (الأبيات: ٨ ــ ١٦).

وَمُعبِّرًا عن حالةٍ مُهمَّةٍ تُؤسِّس للحكم على الصَّديق المُحِبِّ على وجه التَّأكيد، من خلال معيار الفِعْل لا القَوْل، مُرتدًّا في هذا المعنى إلى التَّناصِّ النَّثريِّ المضمونيِّ الوَاعِي، مع قول الحَكِيم: "الائتلاف بالجواهر قبل الائتلاف بالأجسام"([1]).

وَلم يزل المُتنبِّي يجول في باب الصَّديق، مُتجاوزًا سفاهته بالحِلْم، الذي يُفضِي به إلى النَّدَم([2])، وَهذا بعينه ضربٌ من النَّقْد الاجتماعيِّ المشتمل على الإصلاح، ثُمَّ إنَّه وسيلةٌ يلج بها الشَّاعِر إلى ألباب الآخرين؛ لتحقيق الأثر الاجتماعيِّ الفَاعِل، من وحي خِطَابه الثَّقافيِّ، وفيه مِمَّا يتوافق مع النَّهْج السَّابِق، موقفه من العَطِيَّةِ المبذولة له؛ فقيدها الاجتماعيُّ البِشْر وَالبَشَاشَة، وَإلا كان مصير النَّوَال إلى مُحَالٍ، مع تركٍ مُجَلَّلٍ بتبسُّم الرِّضَا([3]).

أمَّا في الشَّأن السُّلْطانيِّ؛ فكان للمُتنبِّي من السِّمَات ما ألحقها بفتى القصر، على نحوٍ يشي بالسُّمُوِّ وَالرِّفْعة، وَهو إذ يُصرِّح بهذا كلِّه، فإنَّه يضع الأصول الاجتماعيَّة، وَالمُكوِّنات الشَّخصيَّة، لصاحب الرِّيَاسَة؛ فقد أحبَّ من المُلُوك السَّيِّد الكريم النَّجِيب في أخلاقه، الطَّوِيل القدِّ كالرُّمْح المُقوَّم في جسمه، الذي خبر الفَلَوَات بكثرة الأسفار، وَشهد الحروب في مختلف الأمصار، من خلال عدَّته القتاليَّة، ممثَّلةً في الفرس المِثاليَّة، وَلا بُدَّ للعِقَّة أن تحلَّ في شخصه بمكانٍ مكينٍ، خلا أنَّها واجبة التَّحقُّق في الكَفِّ والفرج وَاللِّسان؛ مِمَّا يعني احتفاءه بالكرم وَالفُرُوسيَّة وَسُمُوِّ الأخلاق؛ وَهذه السِّمَات التي كانت مُبْتَغاه في ممدوحيه، من السِّياسيِّين وَغيرهم.

وَيختم المُتنبِّي الأبيات السَّابقة بترسيخ الاهتمام بالأفعال، دون الأماني وَالآمال؛ فأهواء المرء وإن كانت طالبةً لجليل المعالي، فلا بُدَّ لها من الفِعْل الذي يخرجها من نطاق المحبوب المُتمنَّى، إلى المُتحقِّق الكائن، مع ضرورة إحقاق التَّمَام في إكمال الصَّنِيع، وفي هذا إشارةٌ ضمنيَّةٌ مُوجَّهةٌ إلى كافورٍ، بضرورة إتْبَاع وُعُوده المنثورة للمُتنبِّي ــ في باب الولايَة وَالعَطَاء، بإمارةٍ أو شرفٍ رفيعٍ، يليق بقدره ــ بالفِعْل، وَهو الذي سنقف عليه في صورة "الأنا" بتمظهرها السِّياسيِّ.

وَلا بُدَّ أن نُنَبِّهَ إلى أنَّ هذا الخطَّ المُتوازن من النَّقْد الاجتماعيِّ المُوجَّه، الذي يحمل قيمتي التَّنْوير وَالإِصْلاح، قد تبدَّى في غير سياقٍ من دِيوَان المُتنبِّي، وَمن ذلك مُعالَجته الاجتماعيَّة

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٤: ١٩٥، (الحَاشِية).

[2]) ورد قَبيلُ هذا المَعْنى، في موطنٍ آخر، مع تأكيد المُتنبِّي أنَّه يتحلَّى بالحِلْم في حَقِّ من يُؤذِيه، ما دام حِلْمه كرمًا؛ فإذا عُدَّ ذلك جبنًا؛ فإنَّه لا يُصاحِبه، يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٢٧١، (البَيْت: ١٨)، قال المُتنبِّي:

إنِّي أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي كَرَمٌ … وَلا أُصَاحِبُ حِلْمِي وَهْوَ بِي جُبُنُ

[3]) وَفي التَّناصِّ المَضْمونيِّ الوَاضِح مع هذا المَعْنى، يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٢٧١، (البَيْت: ١٩)، قال المُتنبِّي:

وَلا أُقِيمُ عَلَى مَالٍ أذِلُّ بِهِ … وَلا أَلَذُّ بِمَا عِرْضِي بِهِ دَرِنُ

للبُخْل، وَالمُعامَلة بالمِثْل لأهل زمانه، وعدم الثِّقَة في مَودَّة الخَلْق، وَمُفارَقة المَودَّة بين العَاقِل في صفائها، وَالجَاهِل في جمال صورة المَوْدُود، وَغلبة لُؤْم أخلاق المرء على أصله الكريم، ذلكم كله في قالب مُتَّحد الرُّؤْية؛ ينمُّ عن رؤية الشَّاعِر الشَّخْصيَّة للواقع الاجتماعيِّ، وَيندرج في سياق الشَّكْوى من الزَّمَان وَأهله، التي بثَّها في قصائده بعامَّة([1]).

وَلا بُدَّ أن نلتفت في صورة الأنَا الاجتماعيَّة، إلى حالتَيْن مُتناقِضتَيْن، في مضمون الخِطَاب الثَّقافيِّ؛ التصقت الأولى بالنِّطَاق الإيجابيِّ، وَعبَّرت الأخْرى عن النَّقِيض بالسَّلْب، ويغدو النَّسَق الأوَّل في الخِطَاب باديًا في تقعيد المُتنبِّي قواعد التَّعامُل مع الغَادِرين، بوصف الغَدْر جريمةً إنسانيَّةً تستأهل العِقَاب الرَّادِع؛ لذا بدا أشدَّ نكالاً على الغَادِرين، بوعيد السَّيْف، الذي يُحقِّق التَّنْكيل وَالقَتْل، فقال([2]):

أَعْـددْتُ لِلْغَادِرِيــنَ أَسْيَافــا — أَجْـدَعُ مِنْهُـمْ بِهِنَّ آنَافــا

لا يَرْحَــمُ اللهُ أَرْؤُسًا، لَــهُـمْ — أَطَرْنَ عَنْ هَامِهِنَّ أَقْحَافــا

مَا يَنْقِــمُ السَّيْفُ غَيْرَ قِلَّتِهِــمْ — وَأَنْ تَكُونَ الْمِئُونَ، آلافــا

...

إِذَا امْــرُؤٌ رَاعَنِــي بِغَدْرَتِــهِ — أَوْرَدْتُــهُ الْغَايَةَ الَّتِي خَافَا

وكان للعِفَّة في هذا النَّسَق حضورٌ واضحٌ، لا سيَّما إذا تعلَّق الأمر بالعاطفة الإنسانيَّة المُوجَّهة إلى المَحْبُوبة؛ فنراه يقول في سياق مدحه سَيْف الدَّوْلة([3]):

وَمَا كُلُّ مَنْ يَهْوَى يَعِفُّ إِذَا خَـلا — عَفَافِي وَيُرْضِي الْحِبَّ وَالْخَيْلُ تَلْتَقِي

لقد أضحت العِفَّة في البيت السَّابق سبيل المُتنبِّي للفخر بذاته؛ فهو لا يُحِيل الخلوة إلى ما يمسُّ هذه العلاقة السَّامِية بدواعي الدُّونيَّة، وَإنَّما تراه يُحلِّق في فضائها بِسُمُوِّ العَاطِفة، مُرْضِيًا المحبوبة بمزيد إقدامه في رَهَج الحُرُوب.

أمَّا النَّسَق السّلبيُّ لسُلْطة المُتنبِّي الاجتماعيَّة؛ فتبدَّى في دائرة الخلوة بالمرأة، وما يتمخَّض عنها من ولدٍ يجلب الأذى؛ بالاغتمام لأجله، وَالتَّأذِّي بتربيته، وَثُكْلِهِ، في نهيٍ واضح عن الخلوة

---

[1]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٠٢، (الأبيات: ٦ ــ ١٢).
[2]) **نفسه**، ٣: ٢٧، ٢٨، (الأبيات: ١ ــ ٨، مع حذف بعضها).
[3]) **نفسه**، ٣: ٣٧، (البَيْت: ٨).

بالمرأة؛ لئلا تلد، مُوظّفًا خبرته الاجتماعيَّة، وَحنكته بأمور الدَّهْر وَحوادثه؛ لغاية إظهار ما سبق من الفِكْر في دائرة القطعيِّ، وَفي ذلكم يقول([1]):

هَلِ الْوَلَـدُ الْمَحْبُـوبُ إلاَّ تَعِلَّةٌ ... وَهَلْ خَلْوَةُ الْحَسْنَاءِ إلاَّ أذَى الْبَعْلِ

وَقَدْ ذُقْتُ حَلْوَاءَ الْبَنِينِ عَلَى الصِّبَا ... فَلا تَحْسَبَنِّي قُلْتُ مَا قُلْتُ عَنْ جَهْلِ

وَمَا تَسَعُ الأزْمَـانُ عِلْمِي بِأمْرِهَا ... وَمَا تُحْسِنُ الأيَّامُ، تَكْتُبُ مَا أُمْلِي

ثُمَّ كان للشَّاعِر أن يُوجِّه هجائيَّاته في غير مناسبةٍ، لمن لم يُوافِق معاييره الاجتماعيَّة التي ترسَّمها، أو أصابه بسهام غدره في ماله ونفسه، مُنتهِكًا الحياء في هاتيك القصائد، بوتيرةٍ تضطرم حينًا، وَتخبو حينًا آخر، وَمن أظهر ما بدا في هذا الإطار، مُجلِّلاً باستراتيجيَّة العِقَاب، ما قاله في أمِّ وردان بن رَبيعة الطَّائيّ، بعد أن أغوى عبيده بسرقته([2]):

إذَا كَسَبَ الإنْسَانُ مِنْ هَنِ عِرْسِهِ ... فَيَا لُؤْمَ إنْسَانٍ وَيَا لُؤْمَ مَكْسَبِ

وَقال في المعنى نفسه([3])، ([4]):

أشَدُّ بِعِرْسِهِ عَنِّي عَبِيدِي ... فَأتْلَفَهُمْ وَمَالِي أتْلَفُوهُ

وَيلزمنا أن نُشِيرَ تحت هذا العنوان، إلى ظاهرة المُثقَّف الاجتماعيِّ الاشتماليِّ، حين يتقلّد في مضامين خِطَابه الشِّعْرِيِّ، عدَّة سُلطاتٍ منضويةٍ تحت الإطار السُّلْطويِّ الْكُلِّيِّ، في المنظومة الاجتماعيَّة. ومن هذا الباب انطلق المُتنبِّي في سياق رثائه جدَّته؛ لِيُؤَكِّدَ حضور سُلْطته الثَّقافيَّة، من خلال ثلاث سُلطاتٍ رئيسيَّةٍ أخرى، هِيَ: السُّلْطة الاجتماعيَّة، وَالسُّلْطة المعرفيَّة الفكريَّة، وَالسُّلْطة السِّياسيَّة؛ لِتُجَسِّدَ القصيدة بكُلِّيَّتها بناءً سُلْطويًّا مُتكامِلاً([5]).

كما نُنَبِّهُ إلى أنَّ المُتنبِّي قد وظّف المُفارَقة الموقفيَّة، تجاه القضايا الاجتماعيَّة، في سياقٍ شعريٍّ واحدٍ، حين استخدم استراتيجيَّة العِقَاب، بذمِّه الزَّمان وَأهله، ثُمَّ ما لَبِثَ أن وظّف التَّعقُّل،

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٣١، (الأبيات: ٢٩ ــ ٣١).

[2]) **نفسه**، ١: ٢٣٩، (البَيْت: ٣).

[3]) **نفسه**، ٤: ٢٩٧، (البَيْت: ٤).

[4]) وَعلى هذه الشَّاكِلة، نهج المُتنبِّي في هِجَاء ضبَّة بن يَزِيد العتبيّ؛ إذ هجاه هِجَاءً شديدًا، مُلحِقًا بأمِّه أوصافًا جنسيَّةً تخدش الحيَاء، يُنظَر: **نفسه**، ١: ٢٣١، ٢٣٢، (الأبيات: ١ ــ ١١)؛ كما هجا ابن كَيَغْلَغ، وَذكر أمَّه بِسُوءٍ وَفُحْشٍ، يُنظَر: **نفسه**، ٤: ١٨٦، ١٨٧، (البَيْتان: ١٤، ١٥)؛ وَللاطِّلاع على مَزِيدٍ من النَّمَاذِج، يُنظَر: **نفسه**، ٣: ١١٩، (البَيْت: ٥١)؛ ٤: ٢٠٧، (البَيْت: ٤).

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ١٦٧ ــ ١٧٤، (قَصِيدة مُكوَّنة من أربعةٍ وَثلاثين بيتًا).

من خلال ترفُّعه عن الخُلُق الدَّنِيء، من مثل الرَّدِّ على الغِيبَة بالأذَى، لينحدر تاليًا في نهجه مع ذَوِي السُّلْطان، بإظهار الصَّدَاقَة وَإبطان العَدَاوَة([1]).

وَيستقيم لنا وفق ذلك؛ أن نُوجِز للسُّلْطة الاجتماعيَّة في صورتها الكُلِّيَّة، المُرتبطة بأنا المُتنبِّي؛ فقد انمازت صورة سُلْطته بالوقفات المستجلية النِّطَاق الاجتماعيَّ؛ للغايتَيْن التَّنْويريَّة وَالإصْلاحيَّة، وقد اكتفى بنقد ظواهر أخلاقيَّةٍ مُحدَّدةٍ تارةً، وَتوسَّع مُقدِّمًا الحلول لها تارةً أخرى.

ثُمَّ إنَّه أرسى لنهج التَّعامُل مع النَّاس عامَّتهم وَخاصَّتهم، كما عرض لصور الإيجاب وَالسَّلْب، مع إبدائه جُلَّ الإعزاز للإطار الأوَّل، بتعبيره عن حفاوته بالعِفَّة، وَمُبدِيا العقاب الرَّادِع لأُولِي الإطار الثَّانِي، من قَبِيل ما كان في شأنه مع الغَادِرين؛ أمَّا رؤيته للأسرة فقد كانت خلوا من النَّزْعة الإيجابيَّة، لا سيَّما حين أظهر صورة القلق الدَّائِم على الولد، منذ نعومة أظفاره وَحتَّى الممات، ووجدنا المُتنبِّي نَزَّاعًا إلى انتهاك الحياء في سياقاتٍ قليلةٍ، لا سيَّما في هجائيَّاته، لمن لم يُوافِقوه إلفًا أو فكرًا.

وَيلزمنا أن نُشِيرَ إلى الخبرة الاجتماعيَّة الكبيرة، التي دلَّت عليها قصائده الشِّعْريَّة، مع اهتمامه بتوجيه الخِطَاب في الغالب الأعمِّ، إلى ذَوِي الطَّبَقة السِّياسيَّة الْعَلِيَّةِ، لكنَّ هذه الخبرة النَّاقِدة باتت وبالاً عليه، حين بدا في سياقاتٍ كثيرة شكَّاءً بكَّاءً، من سُوء الزَّمان، وَانحدار أخلاق أهله.

وَتبدَّى المُتنبِّي بوصفه صاحب السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة([2])، التي ضمَّت سُلطات الاجتماع وَالمعرفة وَالسِّياسَة، مع حضور المُفارَقة في صورة هذه السُّلْطة؛ من حيث مُنبَعث الاستراتيجيَّات السُّلْطويَّة، المُتَبَاينة بين نطاقي التَّعقُّل وَالتَّجْميد العِقَابيِّ، وَللمُفَارَقة أن تتجلَّى أيضًا في نطاق أنماط العلاقات السُّلْطويَّة، بين التَّصالُح الدَّائم وَالتَّصادُم المباشر.

---

[1]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٦٥ ــ ٦٧.

[2]) تضمَّن دِيوَان المُتنبِّي نماذج عديدةً؛ رسَّخت طريقته التَّواصُليَّة، في مقام سُلْطته الاجتماعيَّة، وَهي إن كانت قد اعتلقت بالدِّين من جهة الشَّرَاب، إلا أنَّها تُبين عن نهج استيعاب الطَّرَف الآخَر، وَالحِرْص على حفظ حبل المَوَدَّة معه؛ يُنظَر: ٤: ١٢٢، (مَقْطُوعَةٌ من بيتَيْن، لمَّا قال له بعض بني كلابٍ: أَشْرَبُ هذه الكأس؛ سرورًا بك، فردَّ عليه بأنَّ شرابه الماء، منطلقًا إلى وصف الأبطال، الذين يُلازِمون رماحهم، ملازمة النَّدِيم للنَّدِيم، وَيسقونها ما يرويها من دِمَاء الأعداء؛ فقد وظَّف المُتنبِّي نهجًا متماهيًا بين التَّصادُم الضِّمْنِيِّ وَالتَّصالُح المُؤقَّت)؛ وَيُنظَر: ٤: ١٢٣، (مَقْطُوعَةٌ من بيتَيْن، قالهما عندما مدَّ له إنسانٌ يده بِكأسٍ، وَحلف بِالطَّلاق ليشربنَّها، فجعل المُتنبِّي بِرَّه بيمينه؛ كي لا يُطلِّق الرَّجُل زوجته؛ كفارةً عن إثم الخَمْر).

وَإجمالاً؛ فقد "كان شعر المُتنبِّي صورةً صادقةً لعصره، وَمِرْآة للحوادث وَالمِحَن في أيَّامه، وما من شَكٍّ أنَّ السِّياسَة، وَالعُرُوبة المُتأصِّلة في فؤاده، وَالبيئة الاجتماعيَّة؛ كلّ ذلك قــد ألهمــه بالشِّعْر، وَعبَّر به عن رأيه وَمذهبه وَخلجات نفسه"([١]).

[1]) المحاسِني، د. زَكِي، (١٩٦١م)، **المُتَنَبِّي ــ نَوَابِغُ الفِكْــر العَرَبِــيِّ ١٥**، (د. ط)، مِــصْر: دَار المَعَــارِف، ص٤٢.

ـ صُورَةُ الأَنَا الاقتِصَادِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

شكَّلت السُّلْطة الاقتصاديَّة ركيزةً أساسيَّةً للمُتنبِّي؛ فعمل جاهدًا لتحقيق مُتطلَّباتها، من خلال الاتِّصال بذويها، وَالسَّعْي إلى الاتِّحَاد مع آمالهم في الذُّيُوع وَالشُّهْرة، في إطار عمليَّةٍ تبادليَّةٍ، جسَّدت المنفعة فيها الأساس المَكِين.

وقد كان أولئك من المُشتغِلين بشأن السِّيَاسَة في الغالب الأعمّ، من المُلُوك وَالخُلَفاء، وَالسَّادَة الوُزَرَاء، وَالكُتَّاب النُّجَبَاء. وَما يُهمُّنا في هذا المقام، تلك الومضات التي ظهرت في فحوى الخِطَاب الشِّعْريِّ، مُعبِّرةً عن الرَّغبة الجَامِحة في تملُّك السُّلْطة الاقتصاديَّة، التي من شأنها أن تمنحه التَّمْكين وَالرِّفْعة في ميدان السِّيَاسَة.

وَلم يكن دِيوَان المُتنبِّي خِلْوًا من سُطُوع هذا النَّظر الفَاحِص، في سطوة المال على مختلف مناحي الحياة؛ وصولاً إلى الثَّرَاء ثُمَّ العَلاء، وَهُمَا صنوان إذا ما ائتلفا سويًّا فسيُبلِّغان الفتى منازل المُلُوك وَالسَّادَة، كما ارتأى الشَّاعِر المُثقَّف، الذي يقول في سياق مدحه كافوراً، سنة ستٍّ وَأربعين وَثلاثمائة([1]):

وَأَتْعَبُ خَلْقِ اللهِ مَنْ زَادَ هَمُّهُ، وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وُجْدُهُ
فَلا يَنْحَلِلْ فِي الْمَجْدِ مَالُكَ كُلُّهُ فَيَنْحَلَّ مَجْدٌ كَانَ بِالْمَالِ عَقْدُهُ
وَدَبِّرْهُ، تَدْبِيرَ الذِي الْمَجْدُ كَفُّهُ إذَا حَارَبَ الأَعْدَاءَ وَالْمَالُ زَنْدُهُ
فَلا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبُهُ رِجْلاهُ وَالثَّوْبُ جِلْدُهُ
وَلَكِنَّ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيَّ مَا لَهُ مَدًى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادٍ أَحُدُّهُ
يَرَى جِسْمَهُ، يُكْسَى شُفُوفًا تَرُبُّهُ فَيَخْتَارُ أَنْ يُكْسَى دُرُوعًا تَهُدُّهُ

إنَّ استهلال المُتنبِّي في اللَّوْحة الشِّعْريَّة السَّابِقة؛ لكفيلٌ بنقل التَّجربة المُستَوحاة في ضوء الحِكْمة المُوجَّهة، من السِّيَاق الإنسانيِّ العامِّ إلى الذَّاتيِّ، المستلهم المجد في زيادة الهمَّة مع الثَّرَاء، وفق غاية ابتناء الخِطَاب الشِّعْريِّ في مدح كافورٍ؛ ليغدو قصور الثَّانية مدعاةً للكدِّ الذي لا يستقيم معه نيل المَطَامِح العُلْيا.

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٨٦، ٨٧، (الأبيات: ٩ ــ ١٥).

وَهو إذ أقضَى بما انبرى يتقلّب في جواه من الفكر الاقتصادي، في ضوء التَّجربة الذَّاتيَّة، فقد ارْعَوَى إلى النَّهْي المؤسَّس في دائرتي التَّشْريع وَسَابق المَوْروث، بشأن الإسراف وَالتَّبْذير؛ لأنَّ في ضياع المال انحسارًا كاملاً لِكُلِّ دواعي المَجْد وَالسُّؤْدد.

وَقد استدعى المُتنبِّي لغاية الدَّلالة على قيمة العامل الاقتصاديِّ، صورة المُحارب في ساحات الوَغَى، الذي يجعل السَّاعِد محلاً للمجد، المعتمد على الكفِّ في الضَّرْب وَالطَّعْن؛ مِمَّا يشي بقيمة المال في إعداد الجُيُوش، التي شكَّلت دائمًا السَّبب الرَّئيسيَّ في صعود ممالك واندثار أخرى، بفضل سطوتها المُستمدَّة من قُوَّة الاقتصاد؛ وَما يستدعي ذلك من كمال العدَّة وَاكتمال العتاد.

وَيمضي الشَّاعِر إلى البديع، مُؤسِّسًا في مضمون الخِطَاب نتيجةً حُكْمِيَّةً، ترتدُّ إلى الحِكْمَة الذَّاتيَّة؛ فقلَّة المال مدعاة لانتفاء المجد، وَانحدار المجد يُؤدِّي إلى انحسار المال، وَكأنَّي به يُوحِّد المُتَّحد في فكره، مُخرجًا إيَّاه بِنْيَةً بلاغيَّةً، تستمدُّ من الجناس التَّبادليِّ التَّشْطيريِّ، دلالة السَّبْك الأخير، على جماليَّة المضمون وَعمق الرُّؤية وَدقَّة الإحساس.

ثُمَّ إنَّه لم يزل يُقلِّب في صور المجتمع، وقد راعته منها صورة الرِّضا بالمَيْسور مع تدنِّي الهمَّة؛ إذ إنَّ ذلك نقيض السُّمُوِّ إلى ما وراءه من الرِّفعة وَالعُلوِّ؛ أمَّا هو فقد اختطَّ لنفسه حدًّا؛ كيما يكون قادرًا على طلب ما وراءه، برفض ترف الشُّفُوف ونعيم القصور، وَركوب الصِّعَاب في سبيل الحُصُول على المجد وَالسِّيَادة.

وَليس في ذلك إلا قمَّة الإيضاح؛ لبيان التَّنْظير الاقتصاديِّ، عن المُخطَّط الكائن وراء النُّفُوذ المَادِّيِّ؛ فالمال ــ بلا ريبٍ ــ رديف السِّيَادة في ميدان السِّيَاسَة، وعامل النُّصْرة في ساعة العُسْرة، وَمُخلِّص المَكْروب من بطش الأعداء في الحُرُوب.

إلا أنَّنا سنقرن المقطوعة السَّابقة ببيتٍ شعريٍّ ورد في موطنٍ آخر، به تكتمل رؤية المُتنبِّي للمال، بوصفه باعث سُلْطة النُّفُوذ، وَمُثبِّت دعائم السِّيَادة؛ حيث يقول في محتضن مدحيَّته المُوجَّهة لعلي بن أَحْمَد بن عَامِر الأَنْطاكيّ([1]):

وَمَنْ يُنْفِقِ السَّاعَاتِ فِي جَمْعِ مَالِهِ　　　مَخَافَةَ فَقْرٍ فَالَّذِي فَعَلَ الْفَقْرُ

فجمع المال في اللَّوحة الأولى يكاد يكون مُبتَغى الشَّاعِر الرَّئيسيّ، خلا أنَّه مُقَيَّدٌ بالاعتدال دون الغُلوِّ، على نحوٍ لا يستملك حوافز الفِكْر وَالسُّلُوك لاستجماعه، مهما تناهت في ذلك التَّقْدِمَاتُ، وَهذا الذي خاف منه جامع المال ــ على خشية الضِّيق وَالضَّنَك ــ واقعٌ به لا محالة،

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٧٩، (البَيْت: ١٠).

بفعل الشُّعُور الإنسانيِّ المُتمثِّل بالحِرْمان، الذي يُجسِّد وجهًا نظيرًا لفقر الرُّوح، وَافتقار الـنَّفْس إلى السَّكِينة وَالأمان.

وَمِمَّا يسترعي الانتباه ها هنا توظيف المُثقَّف تقنية التَّناصِّ، في استخراج خـبء الحَكِـيم، وإضفاء القيمة الإبداعيَّة الذَّاتيَّة، التي خلبها ما قِيلَ يومًا على لسان سابقه نثرًا، في تشكيلٍ استمدَّ من المعرفيَّة العالية أساس الفكر المضمونيِّ: "من أفْنَى مُدَّته في جَمْع المَال خَوْف الفَقْر وَالعَدَم؛ فقد أسْلَمَ نَفْسه للعَدَم"([1]).

على أنَّ المعرفيَّة تغدو أوضح ما يكون، حين يُنافِح المُتنبِّي عن براعته الشِّعْريَّة، بـسلاح الاقتصاد الأسمى، مُمثَّلاً في الذَّهَب، وَإن كان المضمون ينزع إلى التَّصادُم الضِّمْنيِّ مع بدر بن عمَّار، بوليجة الثَّعالِي المعرفيِّ في سَيْف الشِّعْر؛ فإنَّ ظواهر المعنى حُبْلَى بما استقرَّ في ذهنيَّـة الشَّاعِر من الحرص على المال؛ حرص استنفاع أمانٍ، لا استجماع حرمانٍ، وَفي ذلكم يقول([2]):

إنِّي أنَا الذَّهَبُ الْمَعْرُوفُ مَخْبَـرُهُ ... يَزِيدُ فِي السَّبْكِ لِلدِّينَار دِينَـارَا

لقد أضحى المُتنبِّي في خطابه ملحاحًا على طلب المال، بالتَّصْريح تارةً، وَبـالتَّلْميح تـارةً أخرى، وكان لبريق الذَّهَب أن يتلألأ في مُحَيَّاهُ المُكفهرِّ؛ بفعل كثرة التَّرْحَـال، بـين المـدائن وَالأمصار؛ ففي قصيدةٍ مدح بها الحُسيْن بن إسحاق التَّنوخيّ، حرص على بيان سـعة ضـربة الفارس السَّيِّد الهُمَام؛ كيما يُعْطِيَ لها من عالم الاقتصاد مقابلها العسجديَّ؛ جزاءً وِفاقًا على مـا قصده المُتنبِّي في مديحه، وَهو القائل حينئذٍ([3]):

إذَا مَا ضَرَبْتَ الْقِرْنَ ثُمَّ أجَزْتَنِـي ... فَكِلْ ذَهَبًا لِي مَرَّةً مِنْهُ بِالْكَلْـمِ

وَمِمَّا يتَّصل بالسَّابق بوجهٍ من الوُجُوه، على نحو الكفاية الذَّاتيَّة، ذكر ما كان من أمره مـع كافورٍ، بشأن تَقْتِيرهِ عليه، فقال([4]):

جَوْعَانُ يَأكُلُ مِنْ زَادِي وَيُمْسِكُنِي ... لِكَيْ يُقَالَ عَظِيمُ الْقَدْرِ مَقْصُودُ

وَكان الواحديُّ قد وجَّه المعنى في هذا البيت، إلى وجهتَيْن اثنتَيْن، أولاهما: أنَّ كافوراً لـم يُكافِئ المُتنبِّي على ما حمله له من هدايا وَألْطَافٍ، وَالأخرى: أنَّ المُتنبِّي كان يُنفِق مـن مالـه

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٨٠، (الحَاشِية).
[2]) **نفسه**، ٢: ١٧٢، (البَيْت الثَّانِي، من المَقْطوعة الثُّنَائيَّة الأولى).
[3]) **نفسه**، ٤: ١٣٢، (البَيْت: ٣٥).
[4]) **نفسه**، ٢: ١٠٣، (البَيْت: ٢٣).

الخاصِّ، مع منع كافورٍ له من الارتحال([1])؛ وَفي كلا المعنيين ترسيخٌ لِبُعْدِ إمساك كـــافورٍ ذات اليَد عن الإنفاق على الشَّاعِرِ، مع تأكيد أهمِّيَّة ماله الخاصِّ في استنقاذ أيَّامه، التي ضاعت سُدًى، في مُحتَضن سُلْطان الإخشيديِّين على مِصْرَ.

هكذا بدت الأنا بظهورها السُّلْطويِّ الاقتصاديِّ، بوصفها عامل إحكام السَّيْطرة وَالنُّفُوذ على سُبُل المجد وَالسِّيَادة، فضلاً عن تملُّكها قدرًا عظيمًا من ذهنيَّة المُتنبِّي، فبات نَوَالُهَا شغله الشَّاغِل، خلا أنَّهُ قيَّد نفسه بأدبيَّات الطَّلب، مُمَثَّلَةً في عدم إهدار الذَّات بالتَّبذُّل أمام الآخر، فضلاً عــن أنَّ المال وسيلةٌ لنيل المطالب، وليس غاية منشودةً لذاتها، وَسائر لذَّاتها.

لقد سعى المُتنبِّي إلى المال سعيه إلى المجد، وَنافس السِّيَاسيِّين عليه، وَكان قد جــرى فـــي مُعتَقده أحقيَّته بتملُّكه؛ بغية الصُّعُود إلى ذورة السُّلْطة السِّياسيَّة، وَالانتقام من العُــدَاة وَالوُشَــاة وَالحُسَّاد؛ لذا ارتحل إلى ممدوحيه واحدًا تلو الآخر، ناظمًا مدائحه فيهم، مُبلِّغـــا إيَّـــاهم رســـالة الشَّكْوى، التي "اصطبغت بلون الحُزْن، وَتدثَّرت بلباس الألم"([2])؛ لنيل الغاية القــصوى، وَكـــان بحثه الدَّائِب عن الانعتاق من قيودهم، باعثًا على الأمل الذي ما زال يتماهى في المـــرأى كمـــا السَّرَاب، دون أن يصل في المُنتَهى إلى غاية طلبه.

---

[1]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَان الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٠٣، (الحَاشِية).

[2]) العرفج، أَحْمَد عبد الرَّحْمن حُسيْن، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، **شِعْرُ الشَّكْوَى عِنْدَ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أُمِّ القُرَى، مكَّة المُكرَّمة، السُّعوديَّة، ص١٦٦، (الخَاتِمة).

ــ صُورَةُ الأَنَا الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

تبدت المعرفيَّة الفكريَّة لأنا المُتنبِّي، في قدرٍ غير يسيرٍ، من نتاجه الشِّعْرِيِّ، وَسعى من خلالها إلى تكريس نطاقَيْن مُهمَّيْن في مشهده الثَّقافيِّ الدَّاتيِّ؛ اعتلق الأوَّل بالعُلوِّ المعرفيِّ الْمُنْمَازِ بالعظم البالغ حدًّا لافتًا، مع حضور استراتجيَّتي: الاسترضاء الدَّاتيِّ وَعِقَاب الآخر، من ثُلَّة المُتَشاعِرين، الذين ما بلغوا شأوه في سعة المعرفة، وَتقصيد القصيد، وَابتداع المعاني، وَإجادة السَّبْك، وَتوظيف الشَّارد الغَريب.

وَينحو النِّطَاق الثَّاني نحو استمزاج التَّجْربة الدَّاتيَّة، مع تجارب إنسانيَّةٍ سابقةٍ، في قالبٍ من الحِكْمة الرَّفِيعة، أساسها المتين انسجام الرُّؤية مع التجربة الإنسانيَّة على مرِّ العُصُور، وَغايتها القارَّة في مضامين الكلم، السُّمُوُّ الفكريُّ النَّزَّاع إلى التَّأمُّل وَالاستبصار، في سالف ما مضى، وَقابل ما سيكون.

لقد سعى الشَّاعِر المُفكِّر إلى تدعيم خطابه، بمعينات هذا النَّمَط السُّلْطويِّ، في المستويات اللُّغويَّة وَالبلاغيَّة وَالبنائيَّة الكُلِّيَّة، مُوظِّفًا من التقنيات وَالاستراتيجيَّات أظهرها إبانةً عن قدره الفائق قدر أنداده، في مقام الإبداع الأدبيِّ([1])؛ إذ لم يبلغوا شأوه في الحُسْن وَالإجَادَة وَالإِبْدَاع؛ لذا احتفى بإيراد هذا النَّسَق المضمونيِّ في غير سياقٍ، إلى أن افتضحت الأنا فيه حبَّه للدَّات، على هذا القَدْر السَّامِق؛ فقال([2]):

أَنَا صَخْرَةُ الْوَادِي إِذَا مَا زُوحِمَتْ	**وَإِذَا نَطَقْتُ فَإِنَّنِي الْجَوْزَاءُ**
وَإِذَا خَفِيتُ عَلَى الْغَبِيِّ، فَعَاذِرٌ	**أَنْ لا تَرَانِي مُقْلَةٌ عَمْيَاءُ**

إنَّها أنا الشَّاعِر المُتعَالِية؛ حين يبلغ ببليغ التَّشْبيه رسالة المَدْح وَالثَّنَاء وَالرَّمْز، في "**همزيَّته**" المُوجَّهة إلى أَبِي عَلِيّ هَارُون بن عبد العَزِيز الأورَاجِيِّ الكَاتِب، فيبرأ من التَّرْميز بالتَّصْريح، وَينطق بالإشارة عن جلال الفكرة وَسُمُوِّ العبارة؛ فلا مُزَاحَمة لشاعرٍ شأنه شأن صخرة الوَادِي، وَميدان السَّبْق مُؤكَّدٌ بانتفاء التَّسابُق مع رسول الكلمة وَفارس الشِّعْر، وَإذا ما نطقت شفتاه

---

[1]) في الصِّلَة بين الإبداع وَالاقتدار الْفَنِّيِّ بصورةٍ عامَّةٍ، يُنظَر: عصر، د. مُحمَّد طه، (٢٠٠٠م)، **مَفْهُومُ الإِبْدَاع فِي الْفِكْرِ النَّقْدِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ**، (ط١)، القَاهِرة: عَالَم الكُتُب، ص٣٤ ــ ٤٠، (الإبداع اقتدارٌ فَنِّيٌّ)؛ ص٤٠ ــ ٥٢، (قدرات الإبداع: الأَصَالة، الطَّلاقة، المُرُونَة الدِّهْنيَّة، الإحْسَاس الْفَنِّيُّ)؛ وَفي صلة الإبداع بِالأدَب، يُنظَر: خَفَاجِي، د. مُحمَّد عبد المُنْعِم، (٢٠٠٢م)، **عَبْقَرِيَّةُ الإِبْدَاعِ الأَدَبِيِّ ــ أَسْبَابُهُ وَظَوَاهِرُهُ**، (ط١)، الإسكندريَّة: دَار الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَة وَالنَّشْر، ص٧، ٨، (قضيَّة الأَدَب)؛ وَحَوْل علاقة الإبداع بِالشِّعْر، يُنظَر: الْمَجَالِيّ، **دِرَاسَاتٌ فِي الإِبْدَاعِ الْفَنِّيِّ فِي الشِّعْرِ ــ رُؤَى النُّقَّادِ الْعَرَبِ فِي ضُوءِ عِلْمِ النَّفْسِ الأَدَبِيِّ وَالنَّقْدِ الْحَدِيثِ**، ص١٣ ــ ١٦؛ ويمكن تتبُّع مَضَامِين الدِّرَاسَة في عناوينها الجُزْئِيَّة.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٠٠، ١٠١، (البَيْتان: ٧، ٨).

بالقصيد انساب في ألباب مُتلقِّيه كما ماء الحياة، وَأحيا الأدب برفعة منظومه اتِّصالاً مع إرثٍ سالفٍ لأمَّةٍ لم تمت خوالدها على مَرِّ العُصُور، وهذه جميعها مُعِينات الصُّعُود إلى "**الْجَوْزَاءِ**"، الذي وشى لنا في هذه الإضاءة البليغة؛ بمعرفيَّته العالية؛ وَعُلُوِّ منطقه الفكريِّ. وَأن يخفى مكانه من عارفيه وَمُحبِّيه فليس بكائنٍ، ما لم يجر الأمر على جهة الغَبَاء أو العَمَى، وَهما عُذْران قبل المُتنبِّي بهما كارهًا، وَجعل من عُذْره في وحيهما، إنكارًا على من جرى في معرفة قدره بمجراهما.

وَتخيَّر المُتنبِّي من جميع ضمائر التَّكلُّم "الـ"أنا" بُعْدًا، فيه المُفرَد أكثر ثباتًا، إذا قورنت ببقيَّة الضَّمائِر، وَهي عندما تتصدَّر الكلام لها جَلبة كِبر وخُيلاء، وَتكون بؤرةً تشعُّ منها إرادةٌ فردانيَّةٌ وَرغبةٌ بالكمال، وَهنالك قرينةٌ تُلازمها هي العزلة وَالوحدة، وَتتباين بين القسوة المرفوضة، وَالرَّغْبة في توحُّد الذَّات"(١).

وَتُعَدُّ الأنا من أكثر الألفاظ ورودًا في شعر المُتنبِّي، وَقد ارتبطت بمختلف الأغراض الشِّعْريَّة؛ وَمردُّ ذلك إلى أنَّه "كان شديد الإحساس بنفسه، يرى أنَّه أفضل النَّاس وَأنَّ مواهبه لا تُدَانَى، وَيتألَّم أشدَّ الألم إذا مسَّته كلمةٌ أو لم يحصل على ما يُريد؛ إذ هو يرى أنَّه أهلٌ للتَّمْجيد وَالكَرَم"(٢).

وَلم يقف المُتنبِّي عند هذا الحدِّ، وَإنَّما نطق في غير قصيدةٍ بالرُّؤْية نفسها، على غير اللَّفْظ، وَمختلف الأسلوب، فقال(٣):

أنَا السَّابِقُ الْهَادِي إلَى مَا أقُولُهُ	**إذِ الْقَوْلُ قَبْلَ الْقَائِلِينَ مَقُولُ**
وَمَا لِكَلامِ النَّاسِ فِيمَا يُرِيبُنِي	**أصُولٌ وَلا لِلْقَائِلِيهِ أصُولُ**
أعَادَى عَلَى مَا يُوْجِبُ الْحُبَّ لِلْفَتَى	**وَأهْدَأُ وَالأفْكَارُ فِيَّ تَجُولُ**
سِوَى وَجَعِ الْحُسَّادِ دَاوِ فَإنَّهُ	**إذَا حَلَّ فِي قَلْبٍ فَلَيْسَ يَحُولُ**

لم يكن من سبيل أمام الشَّاعِر، إلا إفساح الخِطَاب لأنا المعرفة وَالفكر، مع إجراء مُوازَنةٍ ضمنيَّةٍ مع الشُّعَراء الآخرين؛ كيما يكون أقدر على امتداح الذَّات، بابتكار المعاني التي لم يُسبَق إليها، بينما دار الآخرون في فَلَكِ ما قِيلَ من معانٍ سابقةٍ؛ وَعليه فقد كان الحسد نتيجةً حتميَّةً لسبقه المعرفيِّ، وَتقدُّمه الشِّعْريِّ، وَمنطقه المُحتشِد بدواعي الابتداع وَالصَّدَارة، وَهذا الذي ما

---

(1) زَامِل، **تَحَوُّلُ الْمِثَالِ ــ دِرَاسَةٌ لِظَاهِرَةِ الاغْتِرَابِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، ص٤٠.

(2) عوَض، د. إبْرَاهِيم، (١٩٨٧م)، **لُغَةُ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَطْبَعة الشَّبَاب الحُرّ وَمَكْتَبتها، ص١٠١، (البَاب الثَّاني: ألفاظٌ تكثر في شِعْر المُتنبِّي. ١ ــ أنَا).

(3) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٦٨، ١٦٩، (الأبيات: ٥٥ ــ ٥٨).

كان دواؤه سوى الانشغال عن الاشتغال به؛ إذ به تعيا القلوب وَالآمال، وَهنا رأينا "أولى تجلّيات أنا التَّعَالِي في شخصيَّة المُتنبِّي؛ التي تكمن في إحساسه القويِّ بشاعريَّته الفَذَّة، التي لا تُضَاهَى"(١).

ولِلمُتنبِّي أن يمضي في سُبُلِ هذا التَّعَالِي المعرفيِّ، عاقدًا التَّحالُف مع سَيْف الدَّوْلة في حالتي السِّلْم وَالحَرْب؛ فهو المُنافِح عنه باللِّسَان في الأولى، وَهو المُدافِع عنه بالسِّنَان في الأخرى، وَالشِّعْر يجري من بني زمانه مجرى المَرْوِيِّ في كُلِّ وقتٍ، حتَّى غدا الدَّهْر مُحتفِيًا به أيّما احتفاءٍ، وكأنَّه إنسانٌ يُنشِد قصائده، التي كانت بتمكُّنها من القلوب، كتمكُّن القلائد من النُّحُور، وكان شعره مدعاةً لنشاط الكسلان الذي ردَّده، وَاستجلب لغير المُغنِّي الغناء على لذاذة طربٍ بالتَّغْريد، وفي ذلكم جميعه، يقول في قصيدةٍ مدح بها سَيْف الدَّوْلة، وَهنَّأه بعيد الأضحى، سنة اثنتَيْن وَأربعين وَثلاثمائة(٢):

وَمَا أنَا إلاَّ سَمْهَرِيٌّ حَمَلْتَهُ فَزَيَّنَ مَعْرُوضًا وَرَاعَ مُسَدَّدَا

وَمَا الدَّهْرُ إلاَّ مِنْ رُوَاةِ قَلائِدِي إذَا قُلْتُ شِعْرًا أصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا

فَسَارَ بِهِ مَنْ لا يَسِيرُ مُشَمِّرَا وَغَنَّى بِهِ مَنْ لا يُغَنِّي مُغَرِّدَا

أجِزْنِي إذَا أنْشِدْتَ شِعْرًا، فَإنَّمَا بِشِعْرِي أتَاكَ الْمَادِحُونَ مُرَدَّدَا

وَدَعْ كُلَّ صَوْتٍ غَيْرَ صَوْتِي فَإنَّنِي أنَا الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ وَالآخَرُ الصَّدَى

ولَم يكن لنا أن ننظر في المقطوعة السَّابقة، مع إيجازنا المُتناهِي لمادَّتها المعرفيَّة، وَمضمونها الفكريِّ، بغير نظرٍ فاحصٍ في البيتَيْن الرَّابع وَالخَامِس، وَفي أوَّلهما: خاطب المُتنبِّي سَيْف الدَّوْلة داعيًا إيَّاه لأن يجعل جوائز الشُّعَراء المُنشِدين في حضرته له؛ لأنَّهم سلخوا معانيه وَألفاظه، وَساروا بها صوب القَصْر السُّلْطانيِّ؛ بغية نيل رضا صاحبه.

وَفي هذا أعمق الإبانة لمعرفيَّةٍ من ضربٍ آخر، تتعلَّق بالنَّقْد الأدبيِّ، لا سيَّما المُختصّ منه بباب السَّرِقات الشِّعْريَّة، وَكان المُصنِّفون قد توقَّفوا على معانيه وَطرائقه وَأساليبه وَمنها السَّلْخ، فضلاً عن بعض القواعد التي يُعرَف بها المسروق من غيره(٣).

---

[1]) إبْرَاهِيم، مُنَى إبْرَاهِيم مُوسَى، (٢٠٠٧م)، **مُقدِّمَةُ الْقصِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِمِيَّة، الزَّرْقاء، الأُرْدن، ص٣٣.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٠، ١١، (الأبيات: ٣٥ ــ ٣٩).

[3]) يُنظر: ابن طَبَاطبَا الْعَلَوِيّ، مُحمَّد بن أحْمَد، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، **عِيَارُ الشِّعْر**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وَتَعْلِيق: د. طَه الحَاجِري وَ د. مُحمَّد زَغْلول سلام، المَكْتَبة التِّجَارِيَّة الكُبْرَى، القَاهِرة، ١٩٥٦م، ص٧٦ ــ ٨٣، (المَعَانِي المُشْتَرَكة "السَّرِقات")؛ وَفي السَّرِقات الشِّعْرِيَّة بعامَّة، وَسَرِقات المُتنبِّي بخاصَّة، يُنظَر: الْجُرْجَانِيّ، القَاضِي عَلِيّ بن عبد العَزِيز، (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م)، **الْوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق=

وَيصل المُتنبِّي في البيت الخَامِس إلى ذروة التَّعالِي المعرفيِّ، حين يُوظِّف التَّناصَّ مع مضمون المثل العربيِّ؛ لغاية تأكيد حقيقةٍ واحدةٍ مُقدَّمةٍ وفق رؤيته الذَّاتيَّة، طالبًا من سَيْف الدَّوْلة ألا يحفل بشعرٍ غير شعره، فشعره الأصل وَشعر غيره صدًى له.

وَلم تزل المُوازَنات المعقودة في الدِّيوَان، ترسم للمُثقَّف صورةً معرفيَّةً سامية، وَتُنْزِلُ الآخرين منزلة الدُّون منه؛ فقد رأى المُتنبِّي أنَّه الشَّاعِر على وجه الحقيقة؛ أمَّا غيره فشاعرٌ بانتحال شعره([1]):

خَلِيلَيَّ إنِّـــي لا أرَى غَيْرَ شَاعِــرٍ ... فَلِمْ مِنْهُمُ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ

وَيمكن أن نجد الحضور الضِّمْنيَّ للمُوازَنة بينه وبين غيره من الشُّعَراء، مع توافر قيمة الفخر المعرفيِّ، وَتوظيفه استراتيجيَّة العِقَاب للآخر، وَفي ذلك يقول([2]):

أفِي كُلِّ يَوْمٍ تَحْتَ ضِبْنِي شُوَيْعِــرٌ ... ضَعِيفٌ يُقَاوِينِـــي قَصِيرٌ يُطَــاوِلُ

لِسَانِي بِنُطْقِي صَامِتٌ عَنْهُ عَــادِلٌ ... وَقَلْبِي بِصَمْتِي ضَاحِكٌ مِنْهُ هَازِلُ

وَكان ذلكم أساسًا في تولُّد ظاهرة "**الحُسَّاد**" في أشعاره؛ فقد رأى الشَّاعِر في نتاجه، ما يستدعي من الآخرين الحَسَد، على دوام ابتكاره، وَمزيد إبداعه، فقال وَالتَّعالِي لسانه، ممزوجًا بوحيٍ من التَّأثير الإيحائيِّ للممدوح سَيْف الدَّوْلة([3]):

إنَّ هَذَا الشِّعْرَ فِـــي الشِّعْرِ مَلَكْ ... سَارَ فَهُوَ الشَّمْسُ وَالدُّنْيَا فَلَكْ

=وَشَرْح: مُحمَّد أبُو الفَضْل إبْرَاهِيم وَعَلِيّ مُحمَّد البَجَاوِيّ)، المَكْتَبَة العَصْرِيَّة، صَيْدَا ــ بَيْرُوت، ٢٠٠٦م، ص١٦١ ــ ١٨٥، (السَّرِقَات الشِّعْرِيَّة)؛ ص١٨٦ ــ ٣٤١، (سَرِقَات المُتنبِّي)؛ وَيُنظَر: أبُو هِلال الْعَسْكَرِيّ، الحَسَن بن عبد الله بن سَهْل (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، **كِتَابُ الصِّنَاعَتَيْنِ ــ الكِتَابَة وَالشِّعْر**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: عَلِيّ مُحمَّد البجاوي وَمُحمَّد أبُو الفَضْل إبْرَاهِيم)، دَار إحياء الكُتُب العَرَبيَّة ــ عِيسَى البَابِي الحَلَبِيّ وَشُرَكَاه، القَاهِرة، ١٩٥٢م، ص١٩٦ ــ ٢٢٨، (الفَصْل الأوَّل من البَاب السَّادِس: في حُسْن الأخْذ وَحلّ المَنْظُوم)؛ ص٢٢٩ ــ ٢٣٧، (الفَصْل الثَّانِي من البَاب السَّادِس: في قُبْح الأخْذ)؛ وَيُنظَر: ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، الإمَام أبُو عَلِيّ الحَسَن (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: مُحمَّد عبد القَادِر أحْمَد عَطَا)، دَار الكُتُب العِلْميَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان، ٢: ٢١٦ ــ ٢٣٠، (١٠٠ ــ بَابُ السَّرِقَاتِ، وَمَا شَاكَلَهَا)؛ وَفي السَّرِقَات؛ من حيث مفهومها وَتَطوُّرها، بدءًا من العَصْر الجَاهِلِيِّ وَحتَّى العَصْر الْعَبَّاسِيِّ، مع الوُقُوف على الحَرَكَة النَّقْديَّة حَوْل المُتنبِّي في هذا الشَّأن، يُنظَر: هدَّارَة، د. مُحمَّد مُصْطَفى، (١٩٨١م)، **مُشْكِلَةُ السَّرِقَاتِ الشِّعْرِيَّةِ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ**، (ط٣)، بَيْرُوت وَدِمَشق: المَكْتَب الإسلاميّ، ص١٢ ــ ٨٦؛ وَيمكن النَّظَر في قضايا مُهِمَّةٍ، في مواطن عديدةٍ، من الكِتَاب نفسه؛ وَيُنظَر: الحناويّ، د. المُحَمَّدِيّ عبد العَزِيز، (١٩٨٤م)، **دِرَاسَةٌ حَوْلَ السَّرِقَاتِ الأدَبِيَّةِ وَمَآخِذِ الْمُتَنَبِّي فِي الْقَرْنِ الرَّابِع**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الطِّبَاعَة المُحمَّديَّة، ص٥ ــ ٢٤، (الفَصْل الأوَّل: قضيَّة السَّرِقَات عند ابن طَبَاطبَا وَالصُّولِيِّ).

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٧٦، (البَيْت: ١٥).

[2]) **نفسه**، ٣: ١٧٣، ١٧٤، (البَيْتان: ٢٥، ٢٦).

[3]) **نفسه**، ٣: ٨٣، ٨٤، (الأبيات: ١ ــ ٣).

عَدَلَ الرَّحْمَنُ فِـيهِ بَـيْنَـنَـا،   فَقَضَى بِاللَّفْظِ لِي وَالْحَمْـدِ لَكْ
فَـإِذَا مَـرَّ بِأُذْنَـيْ حَـاسِـدٍ،   صَارَ مِمَّـنْ كَانَ حَيًّـا، فَهَلَكْ

وقد ظهر الثَّعالي المعرفيُّ، في الأبيات الثَّلاثة السَّابقة، من خلال تشبيه شعره بين الشِّعْر جميعه بالمَلَك؛ فهو يفضل سائر الشُّعَراء، كما تفضل الملائكة الخَلْق، كما أنَّه يسمو ليسير في السَّماء مسير الشَّمْس المُشرقة بالضِّيَاء، وبعد أن فاضل وانتصر لذاته، ألفيناه يُوظِّف عدل الرَّحْمن؛ لغاية إرساء نوعٍ من التَّحالُف الأدبيِّ مع السِّياسيِّ، من خلال إحسان المُتنبِّي نظم اللَّفْظ، وَإجادته فُنُون السَّبْك، وَاشتمال مضمون قصيده على الحَمْد المُوجَّه إلى شخص سَيْف الدَّوْلة؛ "**فاللَّفْظ**" للمُتنبِّي، وَ"**الحَمْد**" لسَيْف الدَّوْلة.

وَحتَّى يجلو الشَّاعِر الصُّورة، التي أرادها دالَّةً على سُمُوِّ مُبتَغاه، أجرى الشِّعْر على نهج السَّائِر بين النَّاس؛ مِمَّا يدلُّ على الذُّيُوع وَالشُّهْرة؛ لتُشكِّل أشعاره مَقْتَلَ الحَاسِد في أذنيه؛ لعجزه عن الإتيان بما اشتمل عليه المسموع، من المَحَامِد الرَّفِيعة المُبتَكرة.

وقد يزداد التَّعْبير الشِّعْريُّ وضوحًا، لا سيَّما إذا كان في حضرة الفَتَى الحَمْدانيِّ؛ إذ يقول المُتنبِّي خاصًّا به أجود الشِّعْر، وَعاقدًا العزم على إجالة النَّظر في المُوازَنة المعرفيَّة بينه وبين غيره، فحين يكون قادرًا على الصَّعْب المُمتنِع، تراهم يتعثَّرون في السَّهْل القَرِيب([1]):

وَلَقَدْ خَبَـأْتُ مِنَ الْكَلامِ سُلافَـهُ   وَسَقَيْتُ مَنْ نَادَمْتُ مِنْ جِرْيَالِهِ
وَإِذَا تَعَثَّـرَتِ الْجِيَـادُ بِسَهْلِـهِ   بَرَّزْتُ، غَيْـرَ مُعَثَّـرٍ بِجِبَالِـهِ

وَوقف المُتنبِّي وقفةً تحالفيَّةً شبيهةً بما قرأناه في سُلْطان بني حَمْدان، مع تضمين الخِطَاب مُوازَنةً بين مديحه لأبي العَشائِر الحُسيْن بن علي بن الحُسيْن بن حَمْدان العدويّ، وَمدائح غيره فيه، حيث قال([2]):

لَيْسَ قَوْلِي فِي شَمْسِ فِعْلِكَ كَالشَّمْـ   ـسِ وَلَكِنْ فِي الشَّمْسِ كَالإِشْرَاقِ
شَاعِرُ الْمَجْـدِ خِدْنُـهُ شَاعِرُ اللَّفْـ   ـظِ كِلانَـا رَبُّ الْمَعَانِـي الدِّقَاقِ
لَـمْ تَـزَلْ تَسْمَـعُ الْمَـدِيحَ وَلَكِـ   ـنَّ صَهِيـلَ الْجِيَادِ، غَيْرُ النُّهَاقِ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٣٤، ١٣٥، (البَيْتان: ١٢، ١٣).
[2]) **نفسه**، ٣: ٨٠، ٨١، (الأبيات: ٣٥ ــ ٣٧).

وفضلاً عن البيان السَّابِق للمعرفة الشِّعْرِيَّة، فإنَّ نمطًا من النظر النَّقْديِّ يمكن أن يُلْمَحَ في شعر المُتنبِّي، من مثل مُوازَنته بين الشِّعْر الجيِّد وَالرَّديء، من خلال حُكْم المُجِيز وَقدر إجازته، فقال([1]):

كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيـ ـكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ مِثْلُ الْمُجَازِ

وقريبٌ من المنحى السَّابِق، ما تَخِذَهُ الشَّاعِر في باب النَّقْد، من حكمٍ انطباعيٍّ مُعَمَّمٍ، حول فساد الشِّعْر في زمانه؛ مِمَّا يتَّصل بالقيمة النَّفْعيَّة لصعوده، مُوازَاةً بانحدار الشُّعَراء الآخرين، على سبيل الاستمالة الممنهجة لسَيْف الدَّوْلة؛ كيما يحفظ وداد وَصْلِهِ، فقال([2]):

وَلا تُبَالِ بِشِعْرٍ بَعْدَ شَاعِرِهِ قَدْ أُفْسِدَ الْقَوْلُ حَتَّى أُحْمِدَ الصَّمَمُ

وَتصل المُوازَنة ذروتها، حين يدخل الشَّاعِر في نطاقها أهل الجاهليَّة في شِعْرهم، وَأهل بابل في سِحْرهم، في حضرة ممدوحه القَاضِي أبي الفَضْل أَحْمَد بن عبد الله الأنطاكيّ، الذي تجرَّأ الشَّاعِر على مدحه، بينما لم يجرؤ الآخرون على ذلك؛ لرداءة شعرهم وَضعفه؛ وهذا ينمُّ عن علم الممدوح بالشِّعْر، وَتمييزه جيِّده من رديئه، يقول المُتنبِّي([3]):

لا تَجْسُرُ الْفُصَحَاءُ، تُنْشِدُ هَاهُنَا بَيْتًا، وَلَكِنِّي الْهِزَبْرُ الْبَاسِلُ

مَا نَالَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ كُلُّهُمْ شِعْرِي وَلا سَمِعَتْ بِسِحْرِي بَابِلُ

وَإِذَا أَتَتْكَ مَذَمَّتِي، مِنْ نَاقِصٍ فَهِيَ الشَّهَادَةُ لِي بِأَنِّي كَامِلُ

ويمكننا أن نُشِيرَ في هذا المبحث إلى أربع ظواهر، ارتبطت بمعرفيَّة المُتنبِّي بغير وجهٍ من الوُجُوه، مُمَثَّلَةً في: الحِكْمة وَالإِجَازَة وَالارْتِجَال وَبَدَاهَة الصبى([4])؛ أَمَّا الأولى فتجلَّت من خلال النِّتاج الثَّرِّ المُحتشِد بالحِكْمة في دِيوَانه([5])، وهو إن قلَّبْنا النَّظر فيه؛ فإنَّه يُعبِّر عن مخزون

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٢٠٦، (البَيْت: ٣٨).
[2]) **نفسه**، ٤: ١٠٦، (البَيْت: ٥٥).
[3]) **نفسه**، ٣: ٢٧٤، (الأبيات: ٣٧ ـــ ٣٩).
[4]) فرَّق ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيُّ بين البَدِيهَة وَالارتجال، بِقوله: "البَدِيهَة عند كثيرٍ من المَوْسُومِين بعلم هذه الصِّنَاعَة في بلدنا، أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وَليست به؛ لأنَّ البَدِيهَة فيها الفِكْرَة وَالتَّأيُّد، وَالارتجال ما كان انهمارًا وَتَدفُّقًا، لا يتوقَّف قائله"، يُنظَر في: ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ١: ١٩٨، (٢٦ ـــ بابٌ في البَدِيهَة وَالارتجال).
[5]) من نَمَاذِج الحِكْمة، التي غالبًا ما ارتبطت بِقَصَائِد الرِّثَاء وَالشَّكْوى، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٢٣، ١٢٤؛ ١: ١٥٧، ١٥٨؛ ٢: ٨، ٩، (الأبيات: ٢٦ ـــ ٢٩)؛ ٤: ٧١، (البَيْتان: ١، ٢)؛ =

الشَّاعِر التُّراثيِّ، وَاستيعابه ما مضى، مع إبراز عنصر الفَرَادَة في التَّشْكيل وَالبنَاء، على نحوٍ بديعٍ([1])، تنبَّهْنا من خلاله إلى قدرٍ غير يسيرٍ من التَّناصِّ النَّثْري المضمونيِّ، مع فكر الحَكِيم([2]).

وإن كان السِّيَاق لا يتَّسع لمزيد البحث وَالتَّحْليل؛ فإنَّه من الضَّروريِّ بمكانٍ أن نُشِيرَ هنا إلى المُسوِّغات المنطقيَّة، التي قدَّمها المُتنبِّي لبيانه المُشقَّع بالحِكْمة، تلكم الواردة في قوله([3]):

لَيْتَ الْحَوَادِثَ بَاعَتْنِي الَّذِي أَخَـذَتْ ... مِنِّي بِحِلْمِي الَّذِي أعْطَتْ وَتَجْرِيبِي

فَمَا الْحَدَاثَةُ مِنْ حِلْـمٍ بِـمَـانِـعَةٍ ... قَدْ يُوْجَدُ الْحِلْمُ فِي الشُّبَّانِ وَالشِّيبِ

كما قال([4]):

وَمَنْ صَحِبَ الدُّنْيَا طَويلاً تَقَلَّـبَـتْ ... عَلَى عَيْنِهِ حَتَّى يَرَى صِدْقَهَا كِذْبَا

لقد كانت حِكْمة المُتنبِّي "خلاصة تجاربه وَآرائه في النَّاس وَالمجتمع وَتقلُّب الزَّمَان وَتعثُّر الحظِّ؛ فتركت صداها في نفوس عُشَّاق الكَلِمة الهَادِفة وَالحِكْمة الصَّائِبة ..."([5]).

ثُمَّ جاءت ظَاهِرة الإجَازَة؛ لتُجسِّد الفَرَادَة المعرفيَّة للشَّاعِر في ميدان النَّظْم الشِّعْريِّ؛ وفيها نظمٌ على قافية شاعرٍ آخر، مع اختلاف حركة الحرف الذي يلي الرَّوِيَّ، وَكان ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيُّ قد وضَّح مفهومها؛ على أنَّها: "بِنَاء الشَّاعِر بيتًا أو قسيمًا يزيده على ما قبله، وَرُبَّما

=٤: ١٥٩ ــ ١٦١، (الأبيات: ١ ــ ٦)؛ ٤: ١٨٥، ١٨٦، (الأبيات: ٨ ــ ١٠، ١٢)؛ ٤: ٢١٧، (البَيْتان: ٣٣، ٣٥)؛ ٤: ٢٦٨، (البَيْت: ٤)؛ ٤: ٢٧٠، (البَيْت: ١٢).

[1]) يمكن مُطَالَعة مقطوعتة البَدِيعَة، المُكوَّنة من تسعة أبياتٍ، وفيها تجلَّت حكمته الذَّاتيَّة، وَمطلعها:

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَـرَفٍ مَرُومٍ ... فَلا تَقْنَعْ بِمَـا دُونَ النُّجُـومِ

وَقد ربط المُتنبِّي في البَيْت السَّابِع بين الشَّجَاعة وَالحِكْمَة، في شخص الحَكِيم، بقوله:

وَكُلُّ شَجَاعَةٍ فِي المَرْءِ تُغْنِي ... وَلا مِثْلَ الشَّجَاعَةِ فِي الْحَكِيمِ

ــ يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١٨٠ ــ ١٨٢.

[2]) قد تتقاطع الحِكْمة الذَّاتيَّة بِالغَيْريَّة، من خلال توظيف التَّناصِّ المَضْمونيِّ مع الحَكِيم، يُنظَر: **نفسه**، ١: ١٩٥، (البَيْت: ١١)؛ ٢: ١٧٨، ١٧٩، (الأبيات: ٥، ٩، ١٠)؛ ٤: ١٨٦، (البَيْتان: ١١، ١٣)؛ ٤: ٢١٦، ٢١٧، (الأبيات: ٣٢، ٣٤، ٣٦)؛ ٤: ٢٦٨، (البَيْت: ٥).

[3]) **نفسه**، ١: ٢٠٦، (البَيْتان: ١٨، ١٩).

[4]) **نفسه**، ١: ١٢٩، (البَيْت: ٥).

[5]) قرعاوي، د. حَسَن عَلِيّ، (١٩٨٦م)، **الْحِكْمَةُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّان: دَار عمَّار، ص٢٧٥، (خَاتِمة البَحْث).

أجاز بيتًا أو قسيمًا بأبياتٍ كثيرةٍ"([1])، مع توخِّي إضفاء عنصري البَرَاعَــة اللُّغويَّــة، وَالإبــداع التَّصْويريِّ؛ مِمَّا يُرسِّخ ــ بالضَّرورة ــ مكانة الشَّاعِر بين أقرانه وَأنداده([2]).

وَتوسَّل المُتنبِّي في البَدَاهَة والارتجال ــ على ما فيهما من استحضار المعاني، مع مناسب اللَّفْظ وَالوَزْن وَالبِنَاء، في قدرٍ حسنٍ من الأشعار المنسوبة إليه في دِيوَانه ــ استحضار إعجــاب المتلقِّين بقدرته المعرفيَّة.

ومن أظهر المواقف الشِّعْريَّة المُعبِّرة عن طبيعة هذا اللَّوْن، المُقتــرن بمعرفيَّــة الــشَّاعِر، تَعجُّب أبي العَشَائِر من سرعة ارتجاله وَحسن بداهته، فما كان من المُتنبِّي إلا أن أثبت هذا الأمر لنفسه، مُؤكِّدًا براعته في استلال عَوِيص الشِّعْر، وأخذه قهرًا، مع عدم إدراك غيره له، رغم جهد المُطارَدة، قائلاً([3]):

أَتُنْكِرُ مَا نَطَقْــتُ بِــهِ بَدِيهًــا، وَلَيْسَ بِمُنْكِرٍ سَبْقُ الْــجَــوَادِ
أُرَاكِضُ مُعْوِصَاتِ الشِّعْرِ قَسْرًا فَأَقْتُلُهَا وَغَيْــرِي فِي الطِّــرَادِ

وَمِمَّا يُماثِل البيتَيْن السَّابقَيْن، قوله في موطنٍ آخر([4]):

أَنَا الَّذِي نَظَر الأَعْمَى إِلَى أَدَبِي وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي، مَنْ بِهِ صَمَمُ
أَنَامُ مِلْءَ جُفُونِي عَنْ شَوَارِدِهَا وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَّاهَا وَيَخْتَصِمُ

ثُمَّ إنَّ المُتنبِّي كان يعتقد اعتقادًا جازمًا بصدارته في هذا الباب، حتَّى غدا مجمــع الفوائــد للشُّعَراء كلِّهم، منه يستلهمون، وعنه يأخذون، ومن شعره ينتحلون؛ وعليه غدا الحَــسَد نتيجــةً منطقيَّةً تدفع الآخر المعرفيَّ إلى الذَّمِّ، وَكان رجاء المُتنبِّي تركــه، إن لــم يكــن حمــد، قــال الشَّاعِر([5]):

وَمِنِّي اسْتَفَــادَ النَّاسُ كُلَّ غَــرِيبَةٍ فَجَازُوا بِتَرْكِ الذَّمِّ إِنْ لَمْ يَكُنْ حَمْدُ

---

[1]) ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **العُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ٢: ٤١؛ وَيمكن الاطِّلاع على الأمثلة التي أوردهــا ابن رَشِيقٍ لبعض الشُّعَرَاء، وَمنهم المُتنبِّي، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤١ ــ ٤٤.

[2]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّــي**، (القَــصَائِد: ١: ٩٠ ــ ٩٦؛ ١: ١٢٠ ــ ١٢٣؛ ١: ٢٤٠، ٢٤١؛ ٢: ١٣٧ ــ ١٣٩).

[3]) **نفسه**، ٢: ٨٣، (المَقْطوعة الثُّنَائيَّة الثَّانية).

[4]) **نفسه**، ٤: ٦٣، (البَيْتان: ١٥، ١٦).

[5]) **نفسه**، ٢: ٧٨، (البَيْت: ٣٥).

وَقَال ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيُّ (ت٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م)، في شأن البَدِيهَة وَالارتجال عند المُتنبِّي: "وَكان أَبُو الطَّيِّب كثير البَدِيهَة وَالارتجال، إلا أنَّ شعره فيهما نازلٌ عن طبقته جِدًّا ..."([1]).

ثُمَّ توقَّف أَبُو البَقَاء العكبريُّ (ت٦١٦هـ/ ١٢١٩م)، عند مقطوعات المُتنبِّي التي نظمها ارتجالاً، فقال: "إنَّما المُتنبِّي ممن يُحسِن الأوصاف في كُلِّ فَنٍّ، وَإنَّما هذا لا يأتي له في البديهة وَالارتجال، وَفي وقت يكون على شرابٍ أو غيره فلا يُعْتَدُّ به، ولو كان أبو الفَتْح ابن جنِّيٍّ [ت٣٩٢هـ/١٠٠١م] عمل صوابًا لكان أسقطه من شِعْره"([2]).

ولسنا نُخالِف القَيْرَوَانِيَّ وَالعكبريَّ في مُجمَل قولهما، حين رسَّخا تَدنِّي مُستَوى المُرتَجل من الشِّعْر عن غيره، إلا أنَّنا نقف على الضِّدِّ منه، في عدم الاعتداد به؛ ذلك أنَّه يُمثِّل حالةً من حالات الاستحضار الذِّهْنيِّ للمعنى والبناء، دون احتكامٍ إلى وسيلتي التَّحْكيك وَالتَّنْقيح؛ وَهو على ذلك بيانٌ لشخص الشَّاعِر في حالاته المُتباينة؛ التي ينبغي رصدها؛ بغية التَّعرُّف على المُؤثِّرات التي بها ينماز السُّمُوُّ الشِّعْرِيُّ عن الدُّون، في مقام الفَنِّ وَالخَصِيصَة الأدبيَّة، بمعزلٍ عن الرِّسَالة الثَّقافيَّة الثَّاوِية في تضاعيف الخِطَاب([3]).

وليس من سبيلٍ إلا تقديم النَّمَاذِج التي قِيلَتْ في صِبَاه، على أنَّها تُمثِّل جانبًا من معرفيَّته الشِّعْريَّة؛ مُغلَّفة بالحِسِّ الحَمَاسيِّ الحَادِّ؛ وبيان ذلك أنَّ المُتنبِّي كان قد ارتقى في سلَّم المعرفة الشِّعْريَّة، حتَّى وصل إلى مرحلة النُّضْج الكُبْرى في شعره، تلك التي تُجسِّد الصَّوْت الثَّقافيَّ المُتَعالِي على الدَّوَام.

أَمَّا مرحلة الفُتُوَّة، فيمكن لمُتتبِّع شعره، أن يميز قصائده فيها من غيرها؛ لتضمُّنها نسيجًا لُغويًّا مُتَّسمًا بالحَمَاسة، وَالحرص على إبراز القُدْرة وَالبراعة، حتَّى بدت وكأنَّها فسيفساء لُغويَّة، تحوي قدرًا من الرِّياضة الكَلِميَّةِ، التي قد تنحصر في بيتٍ واحدٍ، ضمن المُتوازيات وَالتَّشْطيرات وَالمُتتالِيات، المنضوية في بابي الدَّلالَة وَالبَلاغَة، وقد تمتدُّ إلى مجموعة أبياتٍ بعينها، في احتوائها على كلماتٍ مفتاحيَّةٍ أو ختاميَّةٍ، لتُشكِّل نمطًا أسلوبيًّا لُغويًّا مُحَدَّدًا، يُؤدِّي مزيد بيانٍ للمعنى في ثنايا النَّصِّ([4]).

---

[1]) ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ١: ٢٠٢.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢١٩، (الحَاشِية).

[3]) يمكن النَّظَر في ظَاهِرة الارْتِجَال، من خلال النَّمَاذِج الآتية: **نفسه**، ١: ١٨٣، ١٨٤؛ ١: ٢٤١، ٢٤٢؛ ١: ٢٦٦، ٢٦٧؛ ٢: ٧٢، ٧٣؛ ٢: ٨٢؛ ٢: ٨٢، ٨٣؛ ٢: ٨٣ (أنموذجان)؛ ٢: ١٦٦، ١٦٧؛ ٢: ١٦٨، ١٦٩؛ ٢: ١٦٩؛ ٢: ١٦٩، ١٧٠؛ ٢: ١٧١؛ ٢: ٢١٢؛ ٢: ٢٢١، ٢٢٢؛ ٣: ٢٦؛ ٣: ٦٦؛ ٣: ١٥٨؛ ٣: ١٥٨، ١٥٩؛ ٤: ٢٣٩، ٢٤٠.

[4]) للاطِّلاع على مَجْموعةٍ من النَّمَاذِج المُعبِّرة عن ظَاهِرة القَوْل في صِبَاه، يُنظَر: **نفسه**، ١: ٢٢٩، ٢٣٠؛ ١: ٢٣٨؛ ١: ٢٤١؛ ١: ٢٥٤، ٢٥٥؛ ٢: ١٢ ـ ٢٧؛ ٢: ٢٧ ـــ ٣٤؛ ٢: ٢٤٤ ـ ٢٥٣؛ ٢: ٢٥٣، ٢٥٤؛ ٣: ١٦؛ ٣: ١١٢ ـ ١٢١؛ ٣: ٢٠٥؛ ٣: ٢٠٥، ٢٠٦؛ ٣: ٢٠٦ ـ ٢١٢؛ ٣: ٢١٣ ـــ ٢١٦؛ ٣: ٢١٦؛ ٤:=

أمَّا في شأن البراعة اللُّغويَّة، في بناء البيت الشِّعْريِّ، على سبيل الاستعلاء المعرفيِّ، فلنا الإشارة إلى ما جاء في قصيدة المُتنبِّي، التي مدح بها سَيْف الدَّوْلة، وَاعتذر له بعد غيابه عنه، في شعبان، سنة إحدى وَأربعين وَثلاثمائة، حيث قال([1]):

أَقِلْ أَنِلْ أَقْطِعْ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ　　زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

ثُمَّ إنَّه لمَّا رأى الحَاضِرين في مجلس سَيْف الدَّوْلة يعدُّون ألفاظه، قال وَزاد فيه([2]):

أَقِلْ أَنِلْ أَنْ صُنِ احْمِلْ عَلِّ سَلِّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ هَبِ اغْفِرْ أَدْنِ سُرَّ صِلِ

وَحين رآهم يستكثرون الحُرُوف، قال([3]):

عِشِ ابْقَ اسمُ سُدْ قُدْ جُدْ مُرِ انْهَ رِ فِ اسْرِ نَلْ　　غِظِ ارْمِ صِبِ احْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعْ دِلِ اثْنِ نُلْ

وَهَذَا دُعَاءٌ لَوْ سَكَتُّ كُفِيتَهُ　　لأَنِّي سَأَلْتُ اللهَ فِيكَ، وَقَدْ فَعَلْ

وَتُقدِّم الأبيات السَّابقة([4]) قيمتَيْن كبريَيْن؛ أولاهما سُمُوُّ المُتنبِّي في مقام البَدَاهَة الشِّعْريَّة؛ المُؤسَّسة على معرفةٍ دقيقةٍ باللُّغة؛ فإن كان قد نظم البيت الأول ضمن قصيدته، التي أنشدها في حضرة سَيْف الدَّوْلة قبل لقائه، على نحوٍ يُبيحُ له تملُّك الإعداد المُوائِم؛ فقد أنشد البيتَيْن الآخرَيْن ببداهةٍ مُطلَقةٍ، إلا أن يقول قائلٌ بتوقُّع هذا الضَّرْب من أثر المُتلقِّين؛ ما يُفتَرض في ضوئه إعداده هذَيْن البيتَيْن على نحوٍ استباقيٍّ؛ وَلهذا الوَجْه ما يُعزِّزه من فِطْنَةِ المُتنبِّي، التي تلمَّسْنا خيوطها في الدَّفقات النَّفْسيَّة، حين سعى من خلالها إلى التَّأثير في ممدوحيه بصورةٍ فائقةٍ، في مختلف أغراضه الشِّعْريَّة؛ وَكلتا الوجهتَيْن في الاستبطان تُعزِّز من شأو المُمَارَسة اللُّغويَّة الفَذَّة، وَإن بدت خِلْوًا من دفق العَاطِفة.

وَكانت القيمة الثَّانية مُتَّصلةً بالجانب الوظيفيِّ للُّغة؛ ذلك الذي وَظَّف فيه الشَّاعِر المُتتالِية الفعليَّة الطَّلبيَّة؛ للغاية الدُّعائيَّة؛ مع تضمُّن بعض الأفعال فيها، ضربًا من المُقابَلة المضمونيَّة،

=١١٢؛ ٤: ٢٣٤، ٢٣٥؛ ٤: ٢٣٥ ــ ٢٣٩؛ ٤: ٢٣٩؛ وَقد يجتمع القَوْل في الصِّبَا مع الارْتِجَال، يُنظَر: ١: ١٦٤، (مَقْطوعتان؛ إحداهما رُبَاعيَّة، وَالثَّانية ثُلاثيَّة)؛ ٣: ٦٠.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٥٣، (البَيْت: ٤٠).

[2]) **نفسه**، ٣: ١٥٦، (بَيْتٌ مُفْرَدٌ).

[3]) **نفسه**، ٣: ١٥٦، (مَقْطوعة ثُنَائيَّة).

[4]) ذكر ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيُّ تعليق ابن وَكِيعٍ على هذه الأبيات، بِقوله: "فَهَذِهِ رُقْيَةُ الْعَقْرَبِ، كَمَا قَالَ ابْنُ وَكِيعٍ"، يُنظَر في: ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ١: ٣٦٤؛ ثُمَّ شرع ابن رَشِيقٍ في شرحها، يُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٦٤، ٤٦٥.

على مستوى الدَّلالة، وهو ما يمكن قراءته بصورةٍ أشمل، من خلال دراسة كُلِّ أطراف القول في هذا الضَّرْب من التَّوَالِي، فضلاً عن المُتوازيات البنائيَّة؛ لغاية الولوج إلى فكر المُتنبِّي، من خلال مُؤثِّرات التَّعْبير اللُّغويّ.

لقد أراد المُتنبِّي أن يصل إلى سُلْطة المعرفة، المُؤثِّرة على القلوب وَالعقول؛ بغية تمجيد الآخرين له في ميدان الأدب الرَّفِيع؛ علَّ ذلك يكون بداية المَسِير نحو المجد السِّياسيِّ، وَخِطَاب الشِّعْر ليُؤكِّد ذلك في مُناسَبة القول، التي كانت امتداحًا مُصطنَعًا لكافورٍ، في شوَّالٍ، سنة سبعٍ وَأربعين وَثلاثمائة([1]):

إذَا قُلْتُهُ لَمْ يَمْتَنِعْ مِنْ وُصُولِهِ جِدَارٌ مُعَلًّى أوْ خِبَاءٌ مُطَنَّبُ

ولمَّا كان المديح مشتملاً على الذَّمِّ، كما أبان المُتنبِّي في سياقات التَّصادُم المباشر مع كافورٍ([2])؛ فإنَّ هذا الخِطَاب يُقْرَأُ في دائرة الوَعِيد، الذي قد تدور دوائره على كافورٍ، حين يُنْزِلُ الشَّاعِر فيه أقذع لوحات العِقَاب، ضمن التَّصْنيف العلائقيِّ المبنيِّ على التَّصادُم المُجلَّل بالتَّمرُّد؛ فلا الجُدُر وَلا الحَوَاجِز بقادرةٍ على أن تمنع وصوله إلى سُكَّان الحَاضِرة وَأهل البادية جميعًا.

لقد حفلت السُّلْطة المعرفيَّة الفكريَّة عند المُتنبِّي بالتَّعالِي الذَّاتيِّ اللافت، من خلال إثبات الوُجُود، "الذي يبدأ بالاعتراف بهذا "الأنا أشعر"، الذي ما يفتأ يُؤسِّس العالم شعريًّا، فيما يُعْلِنُ عن موقعه وَسكنه في اللُّغة"([3])، وَقدَّم الشَّاعِر بذلك "صورة ذاته، ورصد مختلف أحوال هذه الذَّات وَتحوُّلاتها، في صورة جدلٍ دائمٍ وَمُستمرٍّ مع الآخر؛ صورة تُكرِّس نُزُوع الأنا إلى التَّعالِي وَالتَّسَامِي، من خلال تضخيم الشَّاعِر لذاته ـــ شعريًّا ـــ وَإسبال صفات العَظَمَة عليها"([4]).

وقد كرَّس الشَّاعِر ذلك من خلال استراتيجيَّتَيْن مُتناقِضتَيْن، هُمَا: الاسترضاء وَالتَّجْميد العقابيُّ، وسعى من خلال الأولى إلى ترسيخ سعته المعرفيَّة في النَّظْم الشِّعْريِّ، بِسُمُوِّ المضمون، وَجودة السَّبْك، وَقوَّة الغريب، ثُمَّ لإظهار براعته الفائقة في صياغة الحِكْمة الإنسانيَّة الرَّفيعة، وفق الرُّؤْية الذَّاتيَّة، بما تضمَّنته من استدعاء الموروث، وَالتَّأمُّل في المعاشات، على نحوٍ مُتبصِّرٍ ثاقبٍ.

---

[1] المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ١: ٢١٨، (البَيْت: ٤٧).

[2] يُنظَر: **نفسه**، ١: ١١٧، (البَيْتان: ٣٢، ٣٣).

[3] بو مسهولي، عبد العَزِيز، (مَايُو١٩٩٩م)، جَدَلُ الشِّعْر وَالنَّقْدِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٨(٣٢)، ص٢٤٢.

[4] إبْرَاهِيم، د. نَوَال مُصْطَفى، (٢٠٠٨م)، **المُتَوَقَّعُ وَاللامُتَوَقَّعُ فِي شِعْرِ المُتَنَبِّي ـــ مُقَارَبَةٌ نَصِّيَّةٌ فِي ضَوْءِ نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي وَالتَّأْوِيلِ**، (ط١)، عمَّان: دار جَرِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٤٩؛ وَلِمَزِيدٍ من الاطِّلاع على صُوَر هذا التَّعَالِي، يُنظَر: **نفسه**، ٤٩ ـــ ٦٣.

وَاستند في ذلك نطاق الأيديولوجيا ــ بوصفه علمًا للأفكار الشَّامِلة ــ ما وُظِّف لخدمة "الآمال وَالطُّمُوحات النَّفسيَّة الخَفِيَّة؛ فتحتكر تفسير الأيديولوجية لتحلّ في تطبيقاتها ما شاء لها أن تفرضه تلك العناصر النَّفسيَّة السَّيْكولوجيَّة، التي تُلبِّي حاجاتها، وَتُشبع رغباتها"(1).

وَالمُتنبِّي "عرف لذَّة الحِكْمة؛ لذلك نراه مُجَرّدًا في إظهارها بإطارٍ لا يخبو له أوارٌ في استثارة الفكر أو الوجدان ..."(2)، وَقد وجد في الحِكْمة "السَّنَد المنطقيَّ للهُبُوط إلى أعماق التَّأثير، وصبِّه في وجدان المُتلقِّي"(3)؛ لذلك ضمَّنها "عصارة التَّجْربة التَّاريخيَّة البشريَّة وَلُبَّهَا"(4).

وَقامت فلسفة الحِكْمة عند المُتنبِّي على "أنَّ الكفاح سبيل البقاء، وَالأصالة وصفاء الطَّبْع لا يمكن إخفاؤُهما، وَبالقتال تُنَالُ الحُقُوق وَتتحقَّق الآمال؛ فهناك تناسقٌ بين فلسفة المُتنبِّي وَحكمه، وَيُميِّزهما أنَّهما موصولان بواقعه وَعالمه النَّفْسيِّ؛ فقدَّم هذه الأفكار في إطار الأدب، ورقَّة الشِّعْر، فإذا ذوب نفسه وَخلاصة تجاربه، نقرؤُها فيتمثَّل لنا المُتنبِّي الشَّاعِر وَالمُتنبِّي المُفكِّر في آنٍ واحدٍ"(5)، وما كان من القدماء في إثر ذلك إلا أن "اتَّفقوا اتِّفاقًا تامًّا، على استحسان حِكَم المُتنبِّي وَأمثاله"(6)، (7).

وَفضلا عن معرفيَّة الحِكْمة؛ فقد تبدَّى حضورٌ خافتٌ لبعض الأنظار النَّقْديَّة، فيما يتعلَّق بعلاقة الإجازة بمستوى الشِّعْر، من حيث الجودة وَالرَّداءة، إضافةً إلى تعميمه حكم فساد الشِّعْر في زمانه؛ لغاية الدَّلالة على سُمُوِّهِ على الآخرين.

وَقد اتَّصل عُلُوُّهُ المعرفيُّ بِمُبَاهَاته بمدح سَيْف الدَّوْلة باللِّسَان، فضلا عن ضرب السِّنَان، ثُمَّ بدا مُهْتَمًّا بإجراء المُوازَنات المُتضمِّنة نهجي الاستراتيجيَّتَيْن المُتضادَّتَيْن، وَفيها انتصارٌ للذَّات

---

1) القمودي، **سَيْكُولُوجِيَّةُ السُّلْطةِ ــ بَحْثٌ فِي الْخَصَائِص النَّفْسِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ لِلسُّلْطةِ**، ص٢٩.

2) لُطْفِي، عبد المَجِيد، (١٩٧٧م)، **الْمُتَنَبِّي ــ فَارِسُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ**، (د. ط)، بَغْدَاد: دَار الحُرِّيَّة للطِّبَاعَة، ص٦.

3) **نفسه**، ص٧.

4) الواد، د. حُسين، (١٩٩١م)، **الْمُتَنَبِّي وَالتَّجْرِبَةُ الْجَمَالِيَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العربيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَتُونس: دَار سحنون للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٢٠.

5) شَلَبِي، د. سَعْد إسْمَاعِيل، (د. ت)، **مُقَدِّمَةُ الْقَصِيدَةِ عِنْدَ أَبِي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة غَرِيب، ص١٣٦.

6) الواد، **الْمُتَنَبِّي وَالتَّجْرِبَةُ الْجَمَالِيَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ**، ص٣٢٢؛ وَكان للدُّكتور عودة الله القَيْسيّ رأيٌ مُخَالِفٌ عبَّر عنه بقوله: "أمَّا المُتنبِّي صَاحِب الحِكْمة الشِّعْريَّة العَمِيقة .. فلم يكن سُلُوكه العمليُّ كِفَاءَ هذه الحِكْمة؛ فمن اغتراره بنفسه الذي يُخالِف الحِكْمة العمليَّة؛ أنَّه ادَّعى النُّبوَّة في شبابه، وَهو في بَادِية السَّمَاوَة بين البدو، وَلا يدَّعي النُّبوَّة (عَاقِلٌ) حَكِيمٌ في سُلُوكه"؛ وَهذا رأيٌ لا يخلو من التَّعْميم السَّاخِر، من شخص الشَّاعِر، دون تمحيص الأدلَّة وَالبَرَاهِين، يُنظَر في: القَيْسيّ، د. عودة الله مَنيع، (٢٠٠٢م)، **مَنَابِعُ الشِّعْرِ وَمَكَانَةُ الشَّاعِرِ**، (ط١)، عمَّان: جَمْعِيَّة عُمَّال المَطَابِع التَّعاوُنيَّة بدعمٍ من وزارة الثَّقَافة، ص١٦٥؛ وَيمكن استظهار وَمَضَات الشِّعْر الفلسفيِّ عند المُتنبِّي، يُنظَر: الشَّكْعَة، د. مُصْطَفى، (١٩٥٨م)، **فُنُونُ الشِّعْرِ فِي مُجْتَمَعِ الْحَمْدَانِيِّينَ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة الأنجلو المِصْريَّة، ص٤٢٣ ــ ٤٤٤، (٣ ــ الشِّعْر الفَلْسَفيّ).

7) حوْل مَفْهُوم الحِكْمة، يُنظَر: القَيْسيّ، فايز، (٢٠٠٥م)، أَدَبُ الْحِكْمَةِ فِي "دُرَرِ الْكَلِمِ وَغُرَرِ الْحِكَمِ" لِلسُّيُوطِيِّ، **مُؤْتَة لِلبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٢٠(٨)، ص١٢، (مُقدِّمة).

وَتجميدٌ رادعٌ للآخر، من خلال التَّصْريح تارةً، وَالتَّلميح تارةً أخرى، في حضرة ممدوحيه أبـي العَشَائِر، وَالقَاضِي أبي الفَضْل الأنطاكيِّ.

وَتجلَّت في معرفته، القدرة على استجلاب الصَّعْب، وَتعثُّر غيره في السَّهْل، فـضلاً عـن الإبداع الذَّاتيِّ الظَّاهِر عند المُتنبِّي، في حين كان الآخرون مُتشاعِرين، بالتَّكلُّف المُبتَنى في ظلال انتحال شعره؛ خلوصًا من ذلك كُلِّهِ إلى سُمُوِّهِ على الشُّعَراء أجمعين.

ووظَّف الشَّاعِر براعته المعرفيَّة في الميدان الشِّعْرِيِّ، ضمن نهج المُفارَقة الغرضيَّة، التـي كان لكافورٍ نصيبٌ وافرٌ منها، من خلال مدائحه المُتضمِّنة ومضات الهجاء، وَهي التي تُفَـسَّرُ وفق المُوازَنة بين المدائح وَالهجائيَّات المنظومة فيه، مع تصريح المُتنبِّي بهجائه كـافوراً مـن خلال المديح في موطنَيْن ظاهرَيْن.

وَاعتلقت بمعرفيَّة المُتنبِّي أربعة ظواهر، رسَّخت عُلُوَّهُ على الشُّعَراء في عـصره، وَهـي: الحِكْمة، التي أشرنا إليها آنفًا، وَالإجَازَة التي تتطلَّب من الشَّاعِر نظم قصيدته على قافيةٍ أخرى، مع اختلاف حركة الحرف الذي يلي الرَّوِيَّ، وَإظهار الإبداع في مجـالات اللُّغـة وَالتَّـصْوير وَالسَّبْك، ثُمَّ كانت ظاهرة الارْتِجَال قادرةً على إظهار براعته الشِّعْريَّة في المواقـف الحاسـمة، دونما تَحْكِيكٍ مسبقٍ، مع إرساء ظاهرة بداهة الصِّبَا حماسة الفُتُـوَّةِ فـي المجـالَيْن المعرفـيِّ وَالفروسيِّ.

ونرى من خلال ما سبق؛ أنَّ معرفيَّة المُتنبِّي تعكس "رؤيةً فنِّيَّةً بعينها لواقع الحيـاة مـن حوله، ويتوسَّل إليها بطاقاتٍ لُغويَّةٍ وَصورٍ فَنِّيَّةٍ مُستمدَّةٍ، في أغلب حالاتهـا، مـن الخـصائص الأسطوريَّة للُّغة، تلك التي تُحِيل الفَنَّ الشِّعْريَّ في صوره وَأخيلته وَأساليبه الفنِّيَّة، إلى بناءٍ لُغويٍّ جماليٍّ، تُثْري رموز اللُّغة معانيه، وَتُعمِّق إحساس القارئ بجماله الفَنِّيِّ، وقد جعلت هذه الغايـة الفنِّيَّة من "الأنا" التي يصدر عنها الشَّاعِر في قصائده، شيئًا آخر، غير تلك "الأنا التي يعيش بها في مجتمعه، كما جعلت من رؤية الفَنَّان وَمواقفـه ــ كما تتراءى لنا من خلال أعماله ــ شـيئًا ضعيف الصِّلَة بالواقع الحقيقيِّ الذي نُعايشه وَيُعايشه معنا؛ فهو لا يُصوِّر هذا الواقع كما هو في حقيقته، ولكنَّه يصدر عنه، وإذا كان الفَنَّان يعرض علينا هذا الواقع كما يتراءى له مـن خـلال أحاسيسه الذَّاتيَّة، فإنَّ الذين يتلقَّوْن فنَّه يرونه بدورهم رؤًى تتخالف وَتتمايز بـاختلاف ذواتهـم وَتمايُزها"([1]).

---

[1]) مُحمَّد، د. إبْرَاهيم عبد الرَّحْمن، (١٩٩٧م)، **مَنَاهِجُ نَقْدِ الشِّعْرِ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَـدِيثِ**، (ط١)، بَيْـرُوت: مَكْتَبَة لُبْنَان نَاشِرُون وَمِصْر: الشَّرِكة المِصْرِيَّة العالميَّة للنَّشْر ــ لونجمان، ص٥٦، ٥٧.

أمَّا جماع القول في سمات سُلْطته المعرفيَّة؛ فيتمثَّل في "أنَّ شعر المُتنبِّي متين الحَبْكَــة([1])، مُختَار الألفاظ، قليل الغَريب، مَوَّارٌ بالمُشتقَّات البَارعة الأخذ، وَالأفعال المَاهِرة التَّنــاوُل، غيــر مُسْرِفٍ في العناية بالبديعيَّات، وإن كانت من مقتضيات عصره، وَثقافته، وَعبثــه الْفَنِّــيِّ، وَأَنَّ التَّعْقيد، وَالخروج على مقاييس النُّحَاة، وَالصَّرْفيِّين، وَالبَلاغيِّين، كان يقصده قصدًا لإشغالهم، أو العبث بهم، ليُريهم أنَّه أعلم منهم بدقائق اللُّغة وَتجوُّزاتها، وَأَنَّ الشَّاعِر مبــاحٌ لــه أن يجتــاز، وَيفترع، وَيُعمِّي. وَأنَّ هذا الشِّعْر تغلب عليه السُّهُولة وَالجَزَالة، وَيقلُّ فيه التَّكلُّــف وَينــدر فيــه التَّعْقيد"([2]).

وإذا ما أردنا التَّعمُّق في مُميِّزات ألفاظ المُتنبِّي، وجدنا أنَّه "استخدم بعض الألفاظ الأعجميَّة الدَّارِجة على الألسن، لكنَّه لم يخرج عن سَنَن العربيَّة في استعمال الدَّخِيل، وَإعرابه أو التَّصرُّف فيـــه، ولقد سار على ضوء أسلوب العربيَّــة في الاقتراض من اللُّغَات، وَالتَّصرُّف فيـــــه"([3]) هذا في الغالب الأعمّ؛ إذ إنَّ شعره يتَّسم "بعنصر الجزالة المُلتحِم تمامًا بالمضمون، وفي الوقــت نفسه، لا نعدم أن نجد عنده بعض الألفاظ التي لا تتوافق مع اللُّغة وَقوانينها"([4]).

ومع "اهتمامه الدَّائِم بأصالة العربيَّة، وَمُحاولَته إحياء بعض مفرداتها ذات الدَّلالة العَمِيقــة، عبَّرت لغته بألفاظها عن روح العصر الذي عاشه المُتنبِّي، بكلِّ ما فيه من جديدٍ أحدثته الحضارة آنذاك، في اللُّغة وَتطوُّر دلالة ألفاظها، وَاستخدام الدَّخِيل وَالمُوَلَّد من الألفاظ، التي رافقت تطــوُّر الحياة وَالمفاهيم؛ نتيجة الاختلاط بالأعاجم وَحضارتهم"([5])، ([6]).

ثُمَّ إنَّ المُتنبِّي يُحسِن توظيف وسائل اللُّغة؛ لتبليغ رسالته الشِّعْريَّة؛ فقد "كان يُحَمِّــلُ اللَّفــظ الواحد عدَّة معانٍ، ويتفنَّن في استخدام اسم التَّفْضيل في شعره، فنجده مـــرَّةً يـــستخدمه مُكَــرَّرًا مرَّتَيْن أو أكثر في البيت الواحد، ونجده أحيانًا يُوَالِي حروف الجرِّ متَّصلةً بالضَّمِير ... وَيُنـــوِّع

---

[1]) يُنظَر في التَّماسُك النَّصِّيِّ: عَنْبَر، د. عبد الله، (١٩٩٥م)، تَفَاعُلُ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى عِنْدَ العَرَبِ فِي ضُوءِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ، **دِراسَـــات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٢٢– أ (٣)، ص١١٨٥ ـــ ١١٩٩؛ وَيُنظَر: عَنْبَر، د. عبد الله، (٢٠٠٧م)، النَّظَرِيَّةُ الأُسْلُوبِيَّةُ: مُقَارَبَةٌ بِنَائِيَّةٌ لاكْتِنَاهِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ وَفَرَادَةِ التَّشْكِيلِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٤(٢)، ص١٨٩ ـــ ٢١٠.

[2]) شلق، **المُتَنَبِّي**، ص٣٣٢.

[3]) زينو، إِبْرَاهِيم عَلِيّ، (٢٠٠٣م)، **الظَّوَاهِرُ اللُّغَوِيَّةُ فِي شِعْرِ المُتَنَبِّي ـــ دِرَاسَةٌ تَأْثِيلِيَّةٌ فِي ضُوءِ لُغَاتِ الــشَّرْقِ القَدِيم**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورَة، جَامِعَة دِمَشق، دِمَشق، سُوريا، ص٣١٦، ٣١٧، (الخَاتِمة).

[4]) بَدَوِيّ، عبده، (١٩٨٤م)، ظَوَاهِرُ أُسْلُوبِيَّةٌ فِي شِعْرِ المُتَنَبِّي، **مجلَّة فُصُول**، ٤(٢)، ص١٩٧؛ وَيمكن الاطِّــلاع على تفصيلات البَحْث: ص١٩٥ ـــ ٢٠٥.

[5]) زينو، **الظَّوَاهِرُ اللُّغَوِيَّةُ فِي شِعْرِ المُتَنَبِّي ـــ دِرَاسَةٌ تَأْثِيلِيَّةٌ فِـــي ضُـــوءِ لُغَـــاتِ الـــشَّرْقِ القَـــدِيم**، ص٣١٧، (الخَاتِمة).

[6]) حَوْل المُفْرَدَات اللُّغويَّة، المبينة عن الحَضَارَة الفَارسِيَّة، في مَدَائِح المُتنبِّي لابن العَمِيد وَعَضُد الدَّوْلة، يُنظَــر: وَلِيد، بِلال، (حُزَيْرَان٢٠٠٣م)، **مَلامِحُ الأَدَبِ العَرَبِيِّ فِي قُصُورِ البُوَيْهِيِّين**، رِسَالَة مَاجِـــستِير غيـــر مَنْـــشُورَة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان، ص١٧١ ـــ ١٧٣، (٣ ـــ العَنَاصِر الفَارسيَّة).

أحيانًا في الضَّمِير وفي حرف الجرِّ في البيت الواحد، وَمِمَّا كان ظاهرًا في شعره، استخدام التَّقابُل الدَّلاليِّ، على نحوٍ يُوضِّح فيه المعنى، وَيفاضل بالتَّلاعُب اللَّفظيِّ الذي ميَّزه عن غيره من الشُّعَراء، ونجده أحيانًا يُطابق في الاشتقاق، فكثيرًا يتَّصل اسم التَّفْضيل بلفظٍ قبله من نفس مُشتَقِّه"([1]).

وأبانت معرفيَّة المُتنبِّي عن قلقه الدَّائِم؛ فقد "كان يرتكز على العلاقات الدَّاخليَّة بين الأفكار والمعاني في لوحة القصيدة، فيعمل على تشويش الوظيفة الإبلاغيَّة في كثيرٍ من شعره، وهذا التَّشْويش بدوره يعكس صورة القلق وَالتَّوتُّر، وعدم الانسجام مع العالم الخارجيِّ"([2]).

وَأفاد المُتنبِّي من سابقيه في تعزيز سُلْطته المعرفيَّة الأدبيَّة؛ فأخذ من "عمق أبي تَمَّامٍ([3])، وَنشدانه للمنطق والعقل في الشِّعْر، وأخذ من البُحْتريِّ جمال الصِّياغة وحسن التَّرْكيب، وجمع بينهما، فأعاد للشِّعْر العربيِّ أصالته ورونقه وألقه، الذي كان عليه في زمانه الأوَّل في العصر الجاهليِّ"([4])، كما أفاد من التُّرَاث العربيِّ الإسلاميِّ الثَّرِّ، من خلال التَّناصِّ الدِّينيِّ وَالتَّاريخيِّ وَالأدبيِّ وَاللُّغويِّ وَالفلسفيِّ وَالعلميِّ([5])؛ مِمَّا أسهم في تقوية حضور سُلْطته المعرفيَّة الفكريَّة.

---

[1]) البواب، هَنَاء عَلِيّ حُسيْن، (٢٠٠٧م)، **الدَّلالَةُ السِّيَاقِيَّةُ لاسْمِ التَّفْضِيلِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِمِيَّة، الزَّرْقاء، الأَرْدن، ص٩٠، (الخَاتِمة).

[2]) السَّالِم، دَعْد يُونس، (٢٠٠٨م)، **مَنَاهِجُ النُّقَّادِ الْعَرَبِ فِي دِرَاسَةِ سَرِقَاتِ الْمُتَنَبِّي ــ ابْن وَكِيع التِّنِّيسِيّ أُنموذَجًا**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة البَعْث، حِمْص، سُوريا، ص٣٢٠، (خَاتِمة البَحْث وَأهمّ النَّتَائِج).

[3]) لاستجلاء أثر أبي تَمَّامٍ في شِعْر المُتنبِّي، يُنظَر: لبَابِيدِيّ، سَوْسَن أحْمَد، (٢٠٠٠م)، **أَثَرُ مَذْهَبِ أَبِي تَمَّامٍ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة حَلَب، حَلَب، سُوريا، ص٥٨٠، ٥٨١، (المَبْحث الثَّالِث من الفَصْل الرَّابِع: أثر مَذْهب أبي تَمَّامٍ في شِعْر المُتنبِّي).

[4]) السَّارِيسِيّ، د. عُمَر عبد الرَّحْمن، (د. ت)، **الشِّعْرُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ الْمُؤَثِّرَاتُ وَالظَّوَاهِرُ ١٣٢ ــ ٦٥٦هـ**، (ط١)، عمَّان وَالكُويْت: مَكْتَبة الفَلاح للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٤١.

[5]) من أهمِّ الدِّرَاسَات التي أفردت ظَاهِرَة التَّناصِّ في شِعْر المُتنبِّي بِالدَّرْس: جوخان، إِبْرَاهِيم عقلة، (٢٠٠٦م)، **التَّنَاصُّ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إِرْبِد، الأَرْدن، ص٤٢ ــ ١٥٧، (الفَصْل الأوَّل: التَّناصُّ الأدبيُّ)؛ ص١٥٨ ــ ٢٤٠، (الفَصْل الثَّانِي: التَّناصُّ مع الدِّينيِّ وَالتَّاريخيِّ وَالإنسانيِّ)؛ ص٢٤١ ــ ٣١٣، (لُغَة تَدَاخُل النُّصُوص)؛ ص٣١٤ ــ ٣١٩، (الخَاتِمة)؛ وَلِمُطَالَعة التَّأصِيل النَّظريِّ للتَّنَاصِّ، يُنظَر: يَقْطِين، سَعِيد، (١٩٩٢م)، **الرِّوَايَةُ وَالتُّرَاثُ السَّرْدِيُّ ــ مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ جَدِيدٍ بِالتُّرَاثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المركز الثَّقافيّ العَرَبِيّ، ص٩ ــ ٣٢؛ وَيُنظَر: الموسويّ، مُحْسِن جَاسِم، (دِيسمْبر١٩٩٧م)، الْمُقَارَنَةُ وَالتَّنَاصُّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٦)، ص٧ ــ ٤٠؛ وَيُنظَر: العدواني، معجب، (يُونيُو٢٠٠٢م)، رِحْلَةُ التَّنَاصِّيَّةِ إِلَى النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيمِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١١(٤٤)، ص٧٤٣ ــ ٧٦٤؛ وَيُنظَر: عَبَّاس، مَحْمُود جَابِر، (دِيسمْبر٢٠٠٢م)، استرَاتِيجِيَّةُ التَّنَاصِّ فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٦)، ص٢٦٢ ــ ٢٦٧، (مُقدِّمةٌ نظريَّةٌ)؛ وَفي القيمة المُصْطَلَحيَّة لِلتَّنَاصِّ، يُنظَر: حُسْنِي، المُخْتَار، (سِبتمْبر٢٠٠٣م)، التَّنَاصُّ فِي الإِنْجَازِ النَّقْدِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٣(٤٩)، ص٥٥٩ ــ ٥٦٤؛ وَيُنظَر: الجبر، د. خَالِد، (٢٠٠٤م)، **تَحَوُّلاتُ التَّنَاصِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ــ تَرَائِي سُورَة يُوسُف نموذجًا**، (د. ط)، عمَّان: جَامِعَة البَتْرَاء الخَاصَّة، ص١٥ ــ ٤٩، (القِسْم الأوَّل: التَّناصُّ في إطاره النَّظريِّ)؛ وَيُنظَر: عياش، ثَنَاء نَجَاتِي، (٢٠٠٥م)، التَّنَاصُّ الدِّينِيُّ فِي شِعْرِ طَلائِع بن رزّيك، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(٢)، ص٢٤٧، ٢٤٨، (مُقدِّمةٌ نظريَّةٌ)؛ وَيُنظَر: حُسْنِي، المُخْتَار، (دِيسمْبر٢٠٠٢م)، استرَاتِيجِيَّةُ التَّنَاصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٦)، ص٣١٤ ــ ٣١٨، (مُقدِّمةٌ نظريَّةٌ)؛ وَلِلتَّفْرِيق بين التَّنَاصِّ وَالسَّرِقَات الشِّعْريَّة، يُنظَر: أبو شهاب، رَامِي، (فبراير٢٠٠٨م)، مُصْطَلَحُ السَّرِقَاتِ الأَدَبِيَّةِ وَالتَّنَاصِّ ــ بَحْثٌ فِي أَوَّلِيَّةِ التَّنْظِيرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦٤)، ص٢٢٧ ــ ٢٥١؛ وَيُنظَر: مُوسَى، إِبْرَاهِيم نمر، (فبراير٢٠٠٨م)، نحو تَحْدِيدِ الْمُصْطَلَحَاتِ ــ التَّنَاصّ .. الأَدَب المُقَارَن .. السَّرِقَات=

أمَّا من ناحية تأثيره في غيره من الشُّعَراء؛ "فقد قُدِّرَ للمُتنبِّي أن يكون من أبــرز الــشُّعَراء العرب، الذين تركوا تأثيرًا عميقًا في من تلاهم من الأدباء، وكان من دواعــي ذلــك التَّــأثير، ظروف حياته الخاصَّة، وتعصُّبه للعرب، ونزوعه إلى الثَّوْرة والتَّمرُّد، وتطرُّف النَّقْد في تنــاول فنِّه، ومزايا شعره العديدة"([1]).

لكنَّ "الشُّعَراء الذين قلَّدوا المُتنبِّي ... وهم كثر، قلَّدوه في عباراتــه وصــياغاته، ولكــنَّهم عجزوا عن تقليد صوته ــ السِّمة الأساسيَّة لشعريَّته؛ فحتَّى هذا التَّقْليد النَّــاجح ظاهريًّــا، فــي حالاتٍ كثيرةٍ؛ لا يُمَاهِي صوت صاحبه بصوت المُتنبِّي"([2])؛ وهذا يــنمُّ عــن فــرادة سُــلْطته المعرفيَّة، التي أثارت مُتلقِّيه من كُلِّ طبقةٍ([3])؛ فصنَّف النُّقَّاد القدامى فيها المُصنَّفات، على ما فيها بشأن شخص المُتنبِّي وشعره من خلافاتٍ([1])، ([2]).

=الشِّعْريَّة، **علامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦٤)، ص٥٩ ــ ١٠٣؛ وَفــي التَّنَــاصِّ، يُنظَــر: الكُــوفَحِيّ، د. إبْــرَاهيم، (٢٠٠٢م)، خُصُوصيَّةُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ فِي دِيوَانِ "طَوَاف المُغَنِّي" لِحَبِيب الزَّيُودِيِّ ــ دِرَاسَــةٌ فِــي ظَــاهِرَتَي (التَّنَاصِّ، وَالانْحِرَافِ الأسْلُوبِيِّ)، **دِرَاسَات**، العُلُومِ الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٩(١)، ص٢، ٣، (تقــديمٌ نظــريٌّ)؛ وَيُنظَر: د. أحْمَد مُحمَّد، (١٩٩٥م)، **التَّنَاصُّ نَظريًّا وتَطْبيقيًّا ــ مُقدِّمَةٌ نَظريَّةٌ مع دِرَاسَةٍ تَطْبيقِيَّةٍ لِلتَّنَــاصِّ فِــي رِوَايَةِ "رُؤْيَا" لِهَاشِمِ غَرَايبة وَقَصِيدَةِ "رَايَةُ القَلْب" لإبْرَاهِيم نَصْر الله**، (ط١)، إرْبِد: مَكْتَبَة الكِتَّانِيّ، ص٩ ــ ١٦؛ وَيُنظَر: الكُوفَحِيّ، د. إبْرَاهيم، (٢٠٠٧م)، **مِحْنَةُ الْمُبْدِعِ ــ دِرَاسَاتٌ فِي صِيَاغَةِ اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ**، (د. ط)، عمَّان: أمَانَة عمَّان، ص٨٥، ٨٦؛ وَيُنظَر: بقشي، عبد القَادِر، (فبراير٢٠٠٨م)، التَّنَاصُّ فِي الْخِطَابِ النَّقْدِيِّ وَالْبَلاغِيِّ ــ دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّةٌ وَتَطْبِيقِيَّةٌ، **جُذُور**، ١١(٢٦)، ص٣٥٩ ــ ٣٧٠؛ وَلاســتجلاء مفهــومي: التَّــضْمين وَالاقْتِبَــاس، بوصفهما وسيلتَيْن مُتَّصلتَيْن بِالتَّنَاصِّ المباشر وَغير المباشر، يُنظَر: الهزايمة، خَالِد مُحمَّد، (١٩٩٧م)، ظَاهِرَتَــا التَّضْمِينِ وَالاقْتِبَاسِ فِي شِعْرِ ابن عَنِين الأنْصَارِيِّ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنــسانيَّة وَالاجتماعيَّــة، ٢٤(١)، ص١٢٢ ــ ١٢٩، (مُقدِّماتٌ نظريَّةٌ)؛ وَفي التَّنَاصِّ مع المَوْرُوث الدِّينيِّ، يُنظَر: الكُوفَحِيّ، د. إبْرَاهيم، (٢٠٠١م)، تَوْظِيفُ الْمَوْرُوثِ الدِّينِيِّ فِي شِعْرِ حَيْدَر مَحْمُود، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّــة، ٢٨(١)، ص٢٠٧، ٢٠٨، (المُقدِّمة)؛ وَللاستزادة في باب المُعَالَجَة العِلْميَّة لأصُول المُصْطَلح، يُنظَر: أديــوان، مُحمَّــد، (١٩٩٥م)، مُشْكِلَةُ التَّنَاصِّ فِي النَّقْدِ الأدَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **الأقْلام**، "مجلَّة تُعْنَى بِالأدَب الحَدِيث"، (٤، ٥، ٦)، ص٤٣ ــ ٤٧؛ أمَّا في شأن مَفْهُوم الاستلهام وَضوابطه، فَيُنظَر: صَالِح، أشْرَف فَوْزِي، (مَــارس٢٠٠٨م)، الاسْــتِلْهَامُ: مَفْهُومُهُ وَضَوَابِطُهُ وَحُدُودُهُ، **علامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦٤)، ص٢٩٥ ــ ٣٤٩؛ وَإن كانت الدِّرَاسَات الــسَّابِقَة قــد وجَّهت عنايتها للتَّنَاصِّ على المُسْتَوى الفَنِّيِّ، في النَّصِّ الأدبيِّ، فإنَّ لِلتَّنَاصِّ حُضُورًا في مجال النَّقْــد، يُنظَــر: بقشي، عبد القَادِر، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، التَّنَاصُّ النَّقْدِيُّ، **علامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٨)، ص٢٠١ ــ ٢١٢.

[1]) العيس، مُصْطَفى، (٢٠٠٠م)، **أثَرُ الْمُتَنَبِّي فِي أعْلامِ الشِّعْرِ الأنْدَلُسِيِّ**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَــة حلَب، حلَب، سُوريا، ص٢١١، (خَاتِمَة البَحْث).

[2]) أدُونيس، عَلِيّ أحْمَد سَعِيد إسبر، (٢٠٠٢م)، **مُوسِيقَى الْحُوتِ الأزْرَقِ (الهُوِيَّــة، الكِتَابَــة، العُنْــف)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٧.

[3]) في الأثَر الشِّعْرِيِّ عند خاصَّة ممدوحيه، مثل: سَيْف الدَّوْلة وَكافورٍ وَعَضُد الدَّوْلة، وَعند النُّقَّاد العُلَمَاء، مثل: الصَّاحِب بن عَبَّاد وَالْحَاتِمِيّ وَالقَاضِي عَلِيّ بن عبد العَزِيز الْجُرْجَانِيّ وَابن جِنِّيّ وَابن وَكِيع التِّنِّيسِيّ وَالثَّعَــالِبِيّ وَالعَمِيدِيّ، يُنظَر: أورنة، سَمَاح عَدْنَان، (٢٠٠٤م)، **التَّلَقِّي الْجَمَالِيُّ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَــدِيمِ ــ شِــعْرُ الْمُتَنَبِّــي نموذجًا فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابعِ وَالْخَامِسِ الْهِجْرِيَيْنِ**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة دِمَشْق، دِمَشْق، سُــوريا، ص٢١١ ــ ٣١٨، (الفَصْل الثَّالِث: تلقِّي شِعْر المُتنبِّي عند الخَاصَّة وَعند النُّقَّاد العُلَمَاء)؛ أمَّا في أثر شُرَّاح شِعْرِ المُتنبِّي على تشكيل الرُّؤْية النَّقْديَّة، في شأن أبيات المَعَانِي؛ فَيُنظَر: قلقيلة، د. عبده عبــد العَزِيــز، (١٩٨٣م)، **أبْيَاتُ الْمَعَانِي فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ أدبيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ**، (ط١)، الرِّيَاض: الجَمْعِيَّــة العَرَبِيَّــة الــسُّعوديَّة للثَّقَافَة وَالفُنُون، ص٢٤٣ ــ ٢٤٨، (خَاتِمَة)؛ وَفي نهج ابن وَكِيع التِّنِّيسِيّ في دِرَاسَة سَرِقَات المُتنبِّي الــشِّعْرِيَّة، يُنظَر: السَّالِم، **مَنَاهِجُ النُّقَّادِ الْعَرَبِ فِي دِرَاسَةِ سَرِقَاتِ الْمُتَنَبِّي ــ ابن وَكِيــع التِّنِّيــسِيّ أنْموذَجًــا**، ص٣١٦ ــ ٣٢٠، (خَاتِمَة البَحْث وَأهمُّ النَّتَائِج)؛ وَحَوْل نظريَّة التَّلَقِّي بشكلٍ عامٍّ، يُنظَر: سَلْمَان، مَالِك، (سِــبتمْبر١٩٩٧م)،=

وَكان السِّجَال الذي دار حول المُتنبِّي، "باعتباره شاعرًا كبيرًا من المُحْدَثِين، أثار الخُـــصُوم وَالمُنَاصِرِين، وَجعلهم في موقع التَّصادُم"([3])، ([1]).

=وولفغانغ أيرز ــ التَّفَاعُلُ بَيْنَ النَّصِّ وَالْقَارِئ، **عَلامات فِي النَّقْد**، ٧(٢٥)، ص٢١٣ ــ ٢٣٠؛ وَيُنظَر: عَلَوِيّ، حَافِيظ إسْمَاعِيلِيّ، (دِيسمْبر١٩٩٩م)، مَدْخَلٌ إِلَى نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٤)، ص٨٥ ــ ١٠٠؛ وَفي شأن المُتلقِّي ضمن الأدَب المقارن، يُنظَر: خضير، ضِيَاء، (دِيسمْبر١٩٩٩م)، مَكَانَةُ الْمُتَلَقِّي فِي الأَدَبِ الْمُقَارَنِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٤)، ص١٠١ ــ ١١٢؛ وَيُنظَر في مُستَويات التَّلَقِّي: الغريبيّ، خَالِد، (دِيــسمْبر١٩٩٩م)، الشِّعْرُ وَمُسْتَوَيَاتُ التَّلَقِّي، **عَلامَات فِــي النَّقْــد**، ٩(٣٤)، ص١١٣ ــ ١٣٠؛ وَيُنظَــر: فيــدوح، عبــد القَــادِر، (دِيسمْبر١٩٩٩م)، أَلْفَةُ النَّصِّ وَمُسْتَوَيَاتُ التَّلَقِّي، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٤)، ص١٣١ ــ ١٤٤؛ وَبشأن المُتلقِّــي عند حَازِم الْقَرْطَاجَنِّيِّ، يُنظَر: الزُّعْبِي، أ. د. زِيَاد صَالِح، (٢٠٠١م)، الْمُتَلَقِّي عِنْدَ حَــازِم الْقَرْطَــاجَنِّيِّ، **مجلَّــة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ٩(١)، ص٣٣٩ ــ ٣٦٣؛ وَحَوْل صُورَة المُتلقِّي في التُّرَاث، يُنظَر: أيت مُبَارَك، الحُــسيْن، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، صُورَةُ الْمُتَلَقِّي فِي التُّرَاثِ النَّقْدِيِّ، **جُذُور**، ٨(١٥)، ص٣٦٠ ــ ٣٨٤؛ وَللاطِّلاع على التَّفاعُل بين سُلْطة الفِكْر النَّقْدِيِّ وَالنَّصِّ، يُنظَر: أَحْمَد، شَرِيف بَشِير، (يُونيُو٢٠٠٥م)، النَّقْدُ وَالــنَّصُّ (سُــلْطَوِيَّةُ الْفِكْــرِ وَجَمَالِيَّاتُ الْوَعْيِ)، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٦)، ص١٤١ ــ ١٤٩؛ وَحَوْل اتِّساع آفاق التَّأويل، في ظِلِّ نظريَّة مَوْت المُؤلِّف، يُنظَر: ربابعة، أ. د. مُوسَى، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، مَوْتُ الْمُؤَلِّفِ وَآفَاقُ التَّأوِيلِ، **عَلامَات فِي النَّقْــد**، ١٥(٥٨)، ص٤٣ ــ ٦٠؛ وَفي مَوْت المُؤلِّف، يُنظَر: العف، د. عبد الخَالِق، (يونيه٢٠٠٨م)، (مَوْتُ الْمُؤَلِّــفِ) مَنْهَجٌ إجْرَائِيٌّ ؟ ، أَمْ إِشْكَالِيَّةٌ عَقَائِدِيَّةٌ ؟، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنــسانيَّة، ١٦(٢)، ص٥١ ــ ٦٩.

[1]) في سِمَات شعر المُتنبِّي، وَمَآخِذ العُلَمَاء عليه، وَدفاع الْجُرْجَانِيِّ عنه، يُنظَر: الْجُرْجَانِيّ، **الْوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَخُصُومِهِ**، ص٧٧ ــ ١٦٠، (شعر المُتنبِّي)؛ ص٣٤٤ ــ ٣٤٧، (دِفَاع المُؤلِّف عن أبي الطَّيِّــب)؛ ص٣٦٠ ــ ٣٦٥، (من مَآخِذ العُلَمَاء على أبي الطَّيِّب، وَدِفَاع المُؤلِّف عنه)؛ ص٣٦٦ ــ ٣٩٦، (ما عاب العُلَمَاء على أبــي الطَّيِّب)؛ وَحَوْل تجنِّي العَمِيديِّ على المُتنبِّي، يُنظَر: العَمِيدِيّ، أَبُو سَعْد مُحمَّد بن أَحْمَد (ت٤٣٣هــــ/١٠٤١م)، **الإِبَانَةُ عَنْ سَرِقَاتِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، ١م، (تَقْدِيم وَتَحْقِيق وَشَرْح: إبْرَاهِيم الدّسُوقِيّ البساطِيّ)، دَار المَعَــــارِف، القَاهِــرة، ١٩٦١م، ص١٩ ــ ٢٥، (مُقدِّمة المُؤلِّف)؛ وَفي موضوع المَآخِذ على المُتنبِّــي، وَمنهــا الــسَّرِقَات الشِّعْرِيَّة، يُنظَر: الحناوِيّ، **دِرَاسَةٌ حَوْلَ السَّرِقَاتِ الأَدَبيَّةِ وَمَآخِذِ الْمُتَنَبِّي فِــي الْقَــرْنِ الرَّابِــعِ**، ص٢٥ ــ ٨١، (الفَصْل الثَّانِي: مَآخِذ الحَاتِمِيِّ على المُتنبِّي)؛ ص٨٢ ــ ١٢٦، (الفَصْل الثَّالِث: مَآخِذ ابن عبَّادٍ وَأبي فِرَاسٍ على المُتنبِّي)؛ وَلِمُطَالَعة مضمون بعض المُصنَّفات في المُتنبِّي، على نحوِ مُوجَزٍ، يُنظَــر: الرّبــدَاوِيّ، د. مَحْمُــود، (١٩٦٧م)، **الْحَرَكَةُ النَّقْدِيَّةُ حَوْلَ مَذْهَبِ أَبِي تَمَّامٍ، (تَارِيخُهَا وَتَطَوُّرُهَا وَأَثَرُهَا فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ)**، (د. ط)، دِمَشْق: دَار الفِكْر للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٥٠ ــ ٢٩٠، (الفَصْل الثَّالِث: النَّقْد عند الكُتَّــاب المُــصنِّفين، ب ــ المُصنِّفون عن المُتنبِّي: الْحَاتِمِيّ: ص٢٥٠؛ ابن العَمِيد: ص٢٦٦؛ الــصَّاحِب بــن عَبَّــاد: ص٢٧٠؛ القَاضِــي الْجُرْجَانِيّ: ص٢٧٤).

[2]) لقد ظهر التَّبايُن في المَوْقِف النَّقْديِّ، من شعر المُتنبِّي، على صعيد المُصنَّف الوَاحِد، على شاكلة ما رأينا عند أبي هلالٍ العَسْكريِّ، الذي قال في الفَصْل الثَّانِي، من البَاب الثَّالِث: "فِيمَا يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى ارْتِسَامِهِ وَامْتِثَالِهِ فِي مُكَاتَبَاتِهِ": "وَلا أعرف أحدًا، كان يتتبَّع العُيُوب فيأتيها غير مُكْتَرِثٍ إلا المُتنبِّي؛ فإنَّه ضمَّن شعره جميع عُيُــوب الكلام، ما أعدمه شيئًا منها ..."، (كِتَاب الصِّنَاعتَيْن، ص١٦٠)؛ ثُمَّ ذكر مجموعةً من ابتــداءات المُتنبِّــي، فــي موطنٍ آخر، وَصدَّرها بِقوله: "وَقد اسْتُحْسِنَ لبعض المُتأخِّرين ابتــداؤُه ..."، (كِتَــاب الــصِّنَاعتَيْن، ص٤٣٥)، ليختتمها قائلاً: "وَإذا كان الابتداء حسنًا بديعًا، وَمليحًا رشيقًا؛ كان داعيةً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكــلام ..."، (كِتَاب الصِّنَاعتَيْن، ص٤٣٧)؛ وَنرى أنَّ المَوْقفَيْن النَّقْديَيْن اعتلقا بِالمُتلقِّي؛ من جهة عدم اكتراث المُتنبِّي به في الأوَّل؛ وَاهتمامه بِاجتذابه في الثَّانِي؛ أَمَّا عن تَضمُّن شعر المُتنبِّي جميع عُيُوب الكلام؛ فهــذا ضــربٌ مــن التَّعْمِيم، الذي لا ينفى حُضُور المَآخِذ على الشَّاعِر، في سِيَاقي اللُّغَة وَالبَلاغَة؛ غير أنَّها في الوقت نفسه؛ مُؤشِّــرٌ على حفاوة المُتنبِّي بِالتقاط دَارِج اللُّغَة على ألسنة النَّاس؛ كيما يستقيم له التَّأثير فيهم، ثُمَّ إنَّه يبين عــن تمــاهي الشَّاعِر الأدِيب بين نطاقي الصُّعُود وَالهُبُوط؛ تبعًا للحالات المَوْقفيَّة وَالنَّفْسيَّة وَالــسِّيَاقيَّة وَالاتِّــصاليَّة؛ لمُطَالَعــة الابتداءات الحَسَنة للمُتنبِّي، يُنظَر: أَبُو هِلال الْعَسْكَرِيّ، **كِتَابُ الصِّنَاعَتَيْن ــ الكِتَابَة وَالشِّعْر**، ص٤٣٥ ــ ٤٣٧.

[3]) الطَّرَابلسيّ، د. أَمْجَد، (١٩٩٣م)، **نَقْدُ الشِّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ حَتَّى الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: دار توبقال للنَّشْر، ص٩٥.

وَاتَّسع نطاق الدَّرْس في العصر الحديث؛ ليتجلَّى في دراسات المُستشرقين، المنطلقة من كون "شعر أبي الطَّيِّب هو عصارة الحضارة العربيَّة، وهو يحمل ــ إضافةً إلى قيمته الفنِّيَّة ــ جوانب تاريخيَّةً وَفلسفيَّةً مُهمَّةً، لا يجوز التَّغاضِي عنها، دون أن ننسى أنَّه يمتلك من الخصائص الجماليَّة؛ ما يجعله جديرًا بأن يُدْرَسَ لذاته"([1])، مع رؤيةٍ شاذَّةٍ في الدَّرْس النَّقْديِّ العربيِّ الحديث، رسَّخها الدُّكتور راشد المبارك بتصريحه "أنَّ المُتنبِّي ليس بشاعرٍ"([2])، وهي لا تعدو أن تكون تُمثِّلا للآراء، التي تبنَّاها بعض الدَّارسين من العرب وَالمُستشرقين؛ تلك التي رأت المُتنبِّي على غير ما جُلِّلَ به من حفاوة الإعجاب، وإقرار السَّبْق في اللُّغة وَالمضمون([3]).

ومع تأكيد الدُّكتور شوقي ضيف ولوج المُتنبِّي الصَّنْعة من أوسع أبوابها، في مجالات الثَّقَافات المختلفة، من مثل القرمطيَّة، التي تأثَّر بها في شعره([5])، وَمُصطلحات التَّصوُّف وَأفكاره([6])، وَالعبارة الصُّوفيَّة وَشاراتها([7])، وَالأفكار والصِّيَغ الفلسفيَّة([8])، وَالغريب من اللُّغة وَالأساليب الشَّاذَّة([9])، فضلاً عن تعقيده الموسيقى الإيقاعيَّة في الشِّعْر([10])، إلا أنَّه استطاع "أن يُحلِّق في أسمى أفقٍ للشِّعْر العربيِّ؛ إذ كان لشعره ــ ولا يزال ــ حيويَّةٌ وَطلاوةٌ وَروعةٌ، تأخذ بالألباب، على الرّغم من هذا التَّصنُّع للإيماءات المذهبيَّة وَالشَّوادِّ الموسيقيَّة وَالشَّوارد النَّحْويَّة، فقد كان لديه من المهارة الفنِّيَّة، ما يستطيع أن يُخْفِيَ به سمات هذا التَّصنُّع، وما ينطوي فيه من تكلُّفٍ شديدٍ ..."([11]).

---

[1]) يمكن تتبُّع آراء النُّقَّاد القُدَامَى وَالمُحْدَثين، في موقعي المُتنبِّي الإلكترونيَيْن، يُنظَر: **مَوْقِعُ الْمُتَنَبِّي**، (www.almotanabbi.com)، (مقالاتٌ عن المُتنبِّي)؛ وَيُنظَر أيضًا: بَوَّابَة عَجيب، صَخْر، **الْمُتَنَبِّي**، (www.almotanaby.sakhr.com)، (مقالاتٌ عن المُتنبِّي).

[2]) الإمْرَانِيّ، **الْمُتَنَبِّي فِي دِرَاسَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْفَرَنْسِيِّينَ**، ص٨٢، ٨٣.

[3]) يُنظَر الرَّدّ على رأي الدُّكتور رَاشِد المُبَارَك، في: يحياوي، رَشِيد، (سِبتمْبر ٢٠٠٠م)، الْمُتَنَبِّي شَاعِرٌ ــ رَدّ عَلى مَقَالِ رَاشِد المُبَارَك، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٧)، ص٢٧ ــ ٤٦.

[4]) حَوْل آراء المُستشرقين في المُتنبِّي، يُنظَر: بلاشير، د. ريجيس، (د. ت)، **دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي فِي الْعَالَم الْعَرَبِيِّ وَعِنْدَ الْمُسْتَشْرِقِينَ**، تَرْجَمة: أَحْمَد أَحْمَد بَدَوِي، (ط١)، مِصْر: مَكْتَبَة نَهْضَة مِصْر وَمَطْبَعتها، ص٨٥ ــ ١١١، (الفَصْل الخَامِس: المُتنبِّي وَالمُستشرقون)؛ أمَّا ما جاء في شأن المُتنبِّي، في الدَّرْس العربيِّ القَدِيم وَالحَدِيث؛ فيمكن مُطَالَعته في الفُصُول الأربعة السَّابِقة؛ وَفي مُوجَز ما توصَّل إليه بلاشير من نَتَائِج، يُنظَر: **نفسه**، ١١٢ ــ ١٢٣، (الخُلاصَة).

[5]) يُنظَر: ضَيْف، د. شَوْقِي، (١٩٦٥م)، **الْفَنُّ وَمَذَاهِبُهُ فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ**، (ط٥)، مِصْر: دَار المَعَارِف، ص٣١١ ــ ٣١٣.

[6]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣١٣ ــ ٣١٧.

[7]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣١٧ ــ ٣٢٥.

[8]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣٢٥ ــ ٣٣٥.

[9]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣٣٥ ــ ٣٣٩.

[10]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣٣٩ ــ ٣٤٢.

[11]) **نفسه**، ص٣٤٢.

وَقد طرق المُتنبِّي "معظم الأغراض الشِّعْريَّة في زمنه، وبلغ الذُّرْوة في الحِكَم وَوَصف المعارك، وكان سجلاً تاريخيًّا حتَّى اقترب شعره إلى الملاحم، وقد فخر بنفسه، وكان رثاؤُه بابًا من أبواب مديحه، يذكر فيه محاسن المَيْتِ"([1])؛ لتتَّسم قصائده في المُجمَل بـ"سمتَيْن اثنتَيْن، الأولى: كونها من عمل شاعر بلاطٍ. وَالثَّانِية: انتماؤُها إلى مدرسة الكلاسيكيَّة الحَدِيثة"([2]).

وفضلاً عن التَّصنُّع الذي أظهره الدُّكتور شوقي ضيف، على أنَّه العلامة الفارقة التي تُميِّز نتاجه الأدبيَّ؛ فقد رأى "أنَّه شاعرٌ مُتصنِّعٌ، يحترف التَّصنُّع في شعره، للثَّقَافَات المختلفة؛ إذ يحاول أن ينقل إيماءةً شيعيَّةً أو صوفيَّةً، وشارة فلسفيَّةً أو منطقيَّةً، وَشَاذَّةً لُغَويَّةً أو نَحْوِيَّةً، وَشَارِدَةً تركيبيَّةً أو موسيقيَّةً؛ وبذلك كان قُطْبًا كبيرًا في مذهب التَّصنُّع، بل لقد كان المِفْتاح الذي أخذت تتساقط منه نغمات هذا المذهب، في قصائد الشُّعَراء وَنماذجهم"([3]).

وقد رأى الدُّكتور حَاكِمِ عبد الرَّحْمن، في سياق مُوازَنته بين المُتنبِّي وَ(شكسبير)، "أنَّ كلا منهما تعرَّض للنَّقْد الظَّالِم غير الموضوعيّ"([4])، ثُمَّ كان المُتنبِّي في مذهبه "إمامًا لشُعَراء اللُّغة العربيَّة، بروعة شعره وَإبداعه، وَسعة خياله، وَقُوَّة شخصيَّته، وَاعتداده بنفسه، وَعبقريَّته، وَإحساسه بالتَّفرُّد وَالتَّفوُّق، على من سبقه وَمَن عاصره من شُعَراء اللُّغة العربيَّة"([5]).

وبهذه المعرفيَّة، سَامِقة الفَنِّ، مُتَعالِية الشَّأْو، قلب المُتنبِّي مفهوم التَّكسُّب بالشِّعْر؛ فـ"لم يَعُدِ الانتجاع يعني تنقُّل الشَّاعِر بين المجالس وَالبلاطات؛ طلبًا لِصِلات المُلُوك، بل المُلُوك هم الذين سيستحثُّون الشَّاعِر، وَيُلِحُّون في طلبه، راجين أن يُنْعِمَ عليهم بفضل الشِّعْر. ثمَّة عمليَّة قلبٍ طالت الأدوار وَالوظائف. لقد كَفَّ الشَّاعِر عن كونه يقول الشِّعْر طمعًا في عطايا المُلُوك، بل المُلُوك هم الذين صاروا يتبارون لنيل الحظوة عنده؛ طمعًا في مدائحه وَأشعاره. كَفَّ الشِّعْر عن كونه سُلْطةً ذات قيمةٍ تَبادُلِيَّةٍ. وَأُلْجِمَتْ سطوة المال. فقد المال سُلْطانه قُدَّام سُلْطان الكلمة. وَعُرِّيت السُّلْطة السِّياسيَّة مِمَّا يصنع مهابتها وَسؤددها، حين وُضِعَتْ في مُواجَهة السُّلْطة الشِّعْريَّة. ولَذاتها انتصرت الكتابة"([6])، ([7])، ([1]).

---

[1]) الطّريفِيّ، يُوسُف عَطَا، (٢٠٠٧م)، **شُعَرَاءُ الْعَرَبِ ــ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ**، (ط١)، عمَّان: الأَهْلِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٤٩.

[2]) بلاشير، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ فِي التَّارِيخ الأَدَبِيِّ**، ص٤٧٣.

[3]) ضَيْف، **الْفَنُّ وَمَذَاهِبُهُ فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ**، ص٣٤٩؛ وَيمكن التَّوقُّف عند تَفَاصِيل دِرَاسَة الدُّكتور شَوْقي ضَيْف لِمَظَاهِر هذا التَّصنُّع، في: **نفسه**، ص٣٠٣ ــ ٣٤٩، (الفَصْل الثَّاني: الثَّقَافة وَالتَّصنُّع ــ المُتنبِّي).

[4]) عبد الرَّحْمن، د. حَاكِم، (٢٠٠٣م)، **بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَشِكسبير**، (د. ط)، (د. م): المُؤلِّف، ص٣٤١.

[5]) **نفسه**، ص٣٤١.

[6]) اليُوسُفِيّ، مُحمَّد لُطْفِي، (إبريل٢٠٠٢م)، المُتَنَبِّي وَمَكْرُ الرُّوَاةِ وَثَارَاتُ الشِّعْر، **مجلَّة نزوى**، (٣٠)، ص٦٣.

[7]) لاستجلاء أهمِّ سِمَات شعر المُتنبِّي، مِمَّا يندرج في سُلْطته المعرفيَّة، يُنظَر: السّيُوفِيّ، **أَمَرَاءُ الشِّعْر فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاس**، ص١٥٥ ــ ١٦٢، (شعر المُتنبِّي)؛ ص١٦٤ ــ ١٦٨، (البِنَاء الفَنِّيُّ للقَصِيدة عند المُتنبِّي)؛ ص١٦٨ ــ ١٧٩، (المُتنبِّي في المِيزَان)؛ وَيُنظَر: شلق، د. علي، (١٩٨٨م)، **أَثَرُ الْبَادِيَةِ فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ**،=

=(ط١)، طرابلس: جروس برس، ص٢٧٣، ٢٧٤؛ وَفي شأن مَلامِح التَّجْديد عند المُتنبِّي، يُنظَر: عبد الله، د. صَلاح مصيلحي علِيّ، (١٩٩١)م، **التَّقْلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَعْرِفة الجَامِعيَّة، ص٧٠ ــ ١٩٠؛ وَفي المقام البلاغيِّ المعتلق بِالتَّشْبيه وَالمَجَاز، يُنظَر: سُلْطَان، د. مُنِير، (١٩٩٣م)، **الْبَدِيعُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ التَّشْبِيهُ وَالْمَجَازُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: مُنْشَأة المَعَارِف، ص١١٥ ــ ٢٥٤، (الفَصْل الثَّانِي من العنوان الأوَّل "التَّشْبيه في شعر المُتنبِّي": الصُّورَة التَّشْبيهيَّة في شعر المُتنبِّي)؛ ٣٣٩ ــ ٥١٦، (الفَصْل الثَّانِي من العنوان الثَّانِي "المَجَاز في شعر المُتنبِّي": الصُّورَة المَجَازيَّة في شعر المُتنبِّي).

[1]) نجد للنَّمَاذِج التي تُكرِّس معرفيَّة المُتنبِّي حضورًا في الدِّيوَان، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٥٧، ١٥٨، (الأبيات: ٤ ــ ٧، قالها عندما أنكر عليه بعض الحَاضِرين، في مجلس سَيْف الدَّوْلة، ما قاله في شأن الشَّمُولِ وتُرُنْجِ الْهِنْدِ وطَلْعِ النَّخِيلِ؛ فوظَّف التَّصادُم الضِّمْنِيَّ، معنونًا خِطَابه الشِّعْرِيَّ، بإتيانه مَنْطِق العَرَب الأصِيل، وَبيانه على قدر مُعَايَنته)؛ وَفي شأن معرفيَّته الفِكْريَّة، المُنضوية في إطار الحِكْمة، يُنظَر: ٤: ١٨٠ ــ ١٨٢، (مَقْطُوعَةٌ مُكَوَّنَةٌ من تسعة أبياتٍ، وَفيها ضربٌ من الحِكْمة المُستنِدة إلى الخِبْرة الذَّاتيَّة، مع تصريحه بِتوصيف الشَّجَاعَة في الحَكِيم)؛ وَقد تمتدُّ المعرفيَّة إلى النِّطَاق الدِّينيِّ، يُنظَر: ٤: ١٠٧ ــ ١١٢، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من عشرين بيتًا، قالها يمدح أبا الفَضْل القَاضِي؛ لغاية استكشاف مذهبه، وَهي من قوله في صِبَاه).

ــ صُورَةُ الأَنَا الثَّقَافِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

إنَّ تتبُّع قصائد المُتنبِّي؛ ليصل إلى الوقفة المستجلية مجموعةً من النَّماذِج، المُعبِّرة عن الكينونة الثَّقافيَّة له، التي شكَّلت نمطًا عامًّا مُتَّصلاً بصورٍ جزئيَّةٍ، تردَّدت في خِطَابه على نحوٍ واسعٍ، وهي إذ تلتئم، فإنَّها تُقدِّم صورة المُتنبِّي بألقها الثَّقافيِّ، وَحالات الفَرَادَة التي عاشها ضمن نهجه الخاصِّ، القائم على التَّرْحَال الدَّائِم وَالشَّكْوى وَالاغْتِرَاب وَالتَّمَرُّد، تلك التي صدح من خلالها بمواقفه الثَّقافيَّة.

وقد ألمح المُتنبِّي إلى نهجه الثَّقافيِّ العامِّ، في تعاطيه مع قضايا الحياة كافَّةً، حيث قال من الرَّجز (1):

لا أَلْحَظُ الدُّنْيَا بِعَيْنَيْ وَامِقِ   وَلا أُبَالِي قِلَّةَ الْمُرَافِقِ

فقد استهلَّ الشَّاعِر خِطَابه بالنَّفْي المقصود؛ لغاية تأكيد انتفاء الذِّلَّة في طلب الدُّنْيا وَمتاعها، بعين العاشق لها على حرصٍ وَتكلُّفٍ، ثُمَّ إنَّهُ لم يطلب يومًا رفيق المجد الذي يُوافِقه على طلب المعالي؛ لأنَّه قادرٌ على طلبها وحده؛ وَهو ما يتناقض مع نهجه العمليِّ، في الارتحال الدَّائِم نحو ممدوحيه؛ طلباً للاستعانة وَالنُّصْرة، اللذَيْن تأكَّد حُضُورهما في ديوانه، بصورةٍ لافتةٍ.

ويمكن ــ بعد تبيان النَّهْج الرَّئيسيِّ للوَجْه الثَّقافيِّ، في خِطَاب المُتنبِّي الشِّعْرِيِّ ــ أن نضع الملامح العامَّة، التي تُشكِّل صور هذه التَّجربة وَحيثيَّاتها، ولعلَّ صورة التَّعَالِي أشدُّها بروزًا في مُجمَل الدِّيوَان؛ ذلك أنَّ الشَّرَف يرتدُّ إليه وحده، حتَّى إنَّ قومه شرفوا به، وكذا الأمر فيما يتعلَّق بالفخر.

أمَّا عُجْبُهُ المُرسَّخ في الذَّات، فهو ليس بمُنكَرٍ؛ لأنَّه في حَقِّ رجلٍ عجيبٍ، لم يكن لأحد مِزْيَةٌ يفوقه بها؛ لينتهي إلى تكريس أربع حالاتٍ، تُجسِّد سويًّا شخصيَّته الثَّقافيَّة، هي: الجُود وَالمعرفية الشِّعْرِيَّة وَالفُرُوسيَّة القتاليَّة وَصَدَارَة السَّبْق على الآخرين، وفي ذلك قال الشَّاعِر (2):

لا بِقَوْمِي شَرُفْتُ بَلْ شَرُفُوا بِي   وَبِنَفْسِي فَخَرْتُ لا بِجُدُودِي

وَبِهِمْ فَخْرُ كُلِّ مَنْ نَطَقَ الضَّا   دَ وَعَوْذُ الْجَانِي وَغَوْثُ الطَّرِيدِ

إنْ أكُنْ مُعْجَبًا فَعُجْبُ عَجِيبٍ   لَمْ يَجِدْ فَوْقَ نَفْسِهِ مِنْ مَزِيدِ

---

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٧١، (البَيْتان: ٥٣، ٥٤).
(2) **نفسه**، ٢: ٣٣، ٣٤، (الأبيات: ٣٢ ــ ٣٥).

أنَا تِرْبُ النَّدَى، وَرَبُّ الْقَوَافِي وَسِمَامُ الْعِدَا وَغَيْظُ الْحَسُــودِ

أمَّا الصُّورة الثَّانِية في شخصيَّة المُتنبِّي الثَّقافيَّة؛ فهي صورة الثَّقافيِّ المُرتحِل على الــدَّوَام، وقد يحدث أن تتقاطع صورة الرَّحِيل مع التَّعَالِي، كما في القصيدة التي ذكر فيها خروجــه مــن مِصْرَ، وما لقي في طريقه، مُوثِّقًا الأماكن الجغرافيَّة التي عرَّج عليها في تلك الرِّحْلة، وانتهــى من هذا كلِّه إلى هجاء كافورٍ، الذي صدَّره بخِطَاب الثَّقافيِّ المُتَعَالِي([١])، وهو في هذا الموضــع من النَّصِّ مقصودٌ لذاته؛ والغاية باديةٌ في إبراز عنصر المُواجَهــة وَالتَّحــدِّي لكــافورٍ، قــال الشَّاعِر([٢]):

وَبِتْنَا نُقَــبِّــلُ أسْــيَافَــنَــا وَنَمْسَحُهَا مِنْ دِمَاءِ الْعِــدَا

لِتَعْلَمَ مِصْرُ وَمَنْ بِالْعِــرَاقِ وَمَنْ بِالْعَوَاصِمِ، أنِّي الْفَتَى

وَأنِّي وَفَيْتُ وَأنِّــي أبَــيْتُ وَأنِّي عَتَوْتُ، عَلَى مَنْ عَتَا

وَمَا كُلُّ مَنْ قَالَ قَوْلاً وَفَــى وَلا كُلُّ مَنْ سِيمَ خَسْفًا أبَي

وَلا بُدَّ لِلْقَــلْــبِ، مِــنْ آلَةٍ وَرَأيٍ يُصَدِّعُ صُمَّ الصَّفَــا

وَمَنْ يَــكُ قَلْبٌ كَقَلْبِي لَــهُ يَشُقُّ إلَى الْعِزِّ، قَلْبَ التَّوَى

وَكُلُّ طَرِيقٍ، أتَاهُ الْــفَــتَى عَلَى قَدَرِ الرِّجْلِ فِيهِ الْخُطَا

قدَّم المُتنبِّي نفسه في مطلع الأبيات السَّابقة، على أنَّه الفارس الظَّافِر بالأعداء؛ مِمَّــا أهَّلَــه لتملُّك لقب الفُتُوَّة على سبيل التَّعْميم، الذي شمل مِصْرَ وَالعِرَاق وَالشَّام، وَقد مكَّنته هذه الفُتُوَّة من أن يتَّخذ موقف الثَّقَافَة من رأس السِّيَاسَة، وهو حينئذٍ سُلْطان بني إخشيد على مِصْرَ، كافور؛ فقد وفى بما عقد عليه العزم من الرَّحِيل عن دياره.

ثُمَّ إنَّه لم يقبل الضَّيْم الذي عايشه في كنفه، كما أعلن عنوان المُواجَهة في المرحلة القادمة؛ الذي يقوم على التَّجبُّر المُقابِل تجبُّر الآخر، وهو الذي كرَّسه المُتنبِّــي مــن خــلال هجائيَّاتــه المُحتشِدة بعلاقة التَّصادُم المباشر، وَاستراتيجيَّة العِقَاب، ولم يكن لغيره ممَّن قال قولاً، أن يَفِــيَ به، إلا إذا كان على قدر المُتنبِّي من العَزْم، ولا أُتيح لكلِّ من سِيمَ خَسْفًا أن يأباه، وينبري للدِّفاع عن وجوده وكرامته، ما لم يتَّخذ نهج الجَأر وَالتَّصْريح، دون مُدَاجَاةٍ أو تلميحٍ، وعدَّة ذلك كامنةٌ

[1]) يمكن الاطِّلاع على القَصِيدة كاملةً، وَما تضمَّنته من مَضَامِين موضوعيَّةٍ، يُنظَر: المُتنبِّــي، **شَــرْحُ دِيــوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١١٢ ــ ١١٧، (قَصِيدة مُكوَّنة من سِتَّةٍ وَثلاثين بيتًا).
[2]) **نفسه**، ١: ١١٥، ١١٦، (الأبيات: ١٨ ــ ٢٤).

في رباطة الجَأْش وَحِكْمة الرَّأي، وهما ديدن الشَّاعِر ما اشتدَّ سعيه في سبيل السُّمُوِّ، بِعُلُوِّ همَّته، وَمضاء عزيمته.

وربَّما كان التَّقاطُع جاريًا بين صورتي: التَّعَالِي وبيان النَّهْج الثَّقَافِيِّ، وفي هاتَيْن نقرأ مــن شعر المُتنبِّي؛ ما يُحيلنا إلى ضربٍ من التَّكامُل الثَّقافيِّ بين أقطاب سُلْطتها الدَّاخليَّة، مُمَثَّلَةً فــي الجوانب الاجتماعيَّة وَالعسكريَّة وَالفكريَّة، وفي هذه المضامين جميعًا خرجت أنا الشَّاعِر الثَّقافيَّة علينا بلُبِّ القول، في سياق تقديمه مدح نفسه على مدح أبي العَشَائِر([1]):

أنَا ابْنُ مَنْ بَعْضُهُ يَفُوقُ أبَا الـــ	**بَاحِثِ وَالنَّجْلُ بَعْضُ مَنْ نَجَلَـــهْ**
وَإنَّمَـــا يَذْكُـــرُ الْجُـــدُودُ لَهُـــمْ	**مَنْ نَفَـــرُوهُ، وَأنْفَـــدُوا حِيَلَـــهْ**
فَخْرًا لِعَضْبٍ، أرُوحُ مُشْتَمِلَـــهْ	**وَسَمْهَـــــرِيٍّ أرُوحُ مُعْتَقِلَـــــهْ**
وَلْيَفْخَرِ الْفَخْرُ، إذْ غَدَوْتُ بِـــهِ	**مُرْتَدِيًـــا خَيْـــــرَهُ وَمُنْتَعِـــلَـــهْ**
أنَا الَّـــذِي بَيَّـــنَ الإلـــهُ بِـــهِ،	**الأقْدَارَ وَالْمَـــرْءُ حَيْثُمَا جَعَلَـــهْ**
جَوْهَرَةٌ، يَفْرَحُ الْكِـــرَامُ بِهَـــا	**وَغُصَّـــةٌ لا تُسِيغُـــهَا السَّفِلَـــهْ**
إنَّ الْكِذَابِ الَّذِي أكَـــادُ بِـــــهِ	**أهْوَنُ عِنْـــدِي مِنَ الَّذِي نَقَلَـــهْ**
فَلا مُبَـــالٍ، وَلا مُـــــدَاجٍ وَلا	**وَانٍ وَلا عَاجِـــزٍ، وَلا تُكَلَـــــهْ**
وَدارِعٍ سِفْتُـــهُ، فَخَـــرَّ لَـــقًى	**فِي الْمُلْتَقَى، وَالْعَجَاجِ وَالْعَجَلَهْ**
وَسَامِـــعٍ رُعْتُـــهُ بِقَـــافِـــيَةٍ	**يَحَارُ فِيهَـــا الْمُنَقِّـــحُ الْقُوَلَـــهْ**
وَرُبَّمَا أشْهَدُ الطَّعَـــامَ مَـــعِي	**مَنْ لا يُسَاوِي الْخُبْزَ الَّذِي أكَلَهْ**
وَيُظْهِرُ الْجَهْلَ بِي وَأعْرِفُـــهُ	**وَالـــدُّرُّ دُرٌّ، بِرَغْمِ مَنْ جَهِلَـــهْ**

وتتَّجه ثيمات الخِطَاب بكُلِّيَّته إلى البُؤْرة المركزيَّة، في تجلِّيها المُعزَّز بالكبرياء، وفيها الأنا بعظمتها المُستغنِية عن الفخر بالآباء وَالأجداد، حتَّى إنَّ "**السَّيْف**" وَ"**الرُّمْح**" وَ"**الفَخْر**" لتفخر بـــه؛ على ما حاز من سبق المعرفيَّة وَالفروسيَّة، ثُمَّ إنَّه "**جَوْهَرَة**" "**الكِرَام**" و"**غُصَّة**" "**السَّفِلَة**"، وهو غير آبه بـــ"**الكِذَاب الذي يُكَادُ به**"، لعدم مبالاته بناقليه، أو عجزه عنهم، وَالقتل بحدِّ السَّيْف مصير من تجاوز الحدَّ، في حَقِّ الشاعر المُجِيد، الذي يروع أسماع متلقِّيه بالقافية الحسنة.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٢٧٩ ــ ٢٨٢، (الأبيات: ٩ ــ ٢٠).

وَمِمَّا يسترعي الانتباه، مقدار أثر الرَّحِيل، في أنا المُتنبِّي بسُلْطتها الثَّقافيَّة؛ فقد استوقف النَّفْس وَالخِلاّن في سياقاتٍ كثيرةٍ؛ ليكشف عن هذا النَّهْج الثَّقافيِّ، الذي سلك به سُبُلَ الأمصار؛ باحثًا عن إلف قلبه؛ وَشريك مجده، وَغايته في الحظوة القصوى من السُّؤْدد وَالشَّرَف وَالرِّفْعة، ومن أظهر أبياته الشِّعْريَّة المُعبِّرة عن هذا النَّهْج الثَّقافيِّ، ممثَّلاً في ارتحال المجد وَالسُّمُوِّ، تلك التي قال فيها([1]):

وَإنِّي لَنَجْمٌ تَهْتَدِي بِيَ صُحْبَتِي إذَا حَالَ مِنْ دُونِ النُّجُومِ سَحَابُ

غَنِيٌّ عَنِ الأَوْطَانِ لا يَسْتَفِزُّنِي إلَى بَلَدٍ، سَافَرْتُ عَنْهُ إيَابُ

فالشَّاعِر قد ألف المسالك وَالسُّبُل؛ فغدا خبيرا بالفَلَوَات، وكان النَّجْم الذي يُهتَدى به، كما أنَّ سائر البلاد عنده سواء؛ فإذا ما ارتحل عن وطنٍ لم يهو الرُّجوع إليه، وكأنَّه في ارتحالٍ دائبٍ، بين بلاد شاسعةٍ، كانت له بمثابة الأوطان، إلا أنَّ حماسته الدَّائِمة، إلى ما وراء الغاية، ما كانت لتدعه يُلْقِي عصا الحِلِّ وَالتَّرْحَال، حتَّى لو حقَّق مُرَاده المنشود.

وجدير أن نربط بصورة التَّرْحَال الدَّائِم صورة الاغتراب، التي عانى منها المُتنبِّي على الدَّوَام، وفي ذلك يقول([2]):

وَحِيدٌ مِنَ الْخُلاّنِ فِي كُلِّ بَلْدَةٍ إذَا عَظُمَ الْمَطْلُوبُ قَلَّ الْمُسَاعِدُ

فمكمن الوحدة في كُلِّ البلاد، عظم مطلوبه، الذي لم يستطع النُّهُوض به أحدٌ؛ مِمَّا يعني أنَّ اغترابه نابعٌ من مطامحه العُلْيا، التي كانت تُثِيرُ في نفوس أنداده الشُّعَراء، وَممدوحيه من الأمْلاك، دواعي التَّوجُّس وَالرِّيبَة.

وَمِمَّا يُؤكِّد هذا المذهب في سُمُوِّ الطُّمُوح، قوله في لوحة الطَّلَل وَالنَّسِيب السَّابقة مدح سَيْف الدَّوْلة، مُوجِّهًا القول للمحبوبة، التي تتدرج في الإطار الرَّامِز لعالم المِثَال([3]):

سَلِي عَنْ سِيرَتِي فَرَسِي وَسَيْفِي وَرُمْحِي وَالْهَمَلَّعَةَ الدِّفَاقَا

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٢١، (البَيْتان: ٨، ٩).
[2]) **نفسه**، ١: ٢٧٥، (البَيْت: ٩).
[3]) **نفسه**، ٣: ٣٠، (البَيْت: ١٠).

فقد ذكر المُتنبِّي في البيت السَّابق مُعِينات الوحدة في الرَّحِيل، ممثَّلةً في الفَـرَس وَالـسَّيْف وَالرُّمْح وَالنَّاقة، وجميعها تنضوي تحت لواء الشَّرَف الرَّفِيع، الذي تقلَّده الشَّاعِر على المـستوى الذَّاتيِّ، وأراده واقعًا مُعَمَّمًا في السِّيَاق العربيِّ، برؤيته الثَّقافيَّة الحكِيمة.

وتبدَّت الصُّورة السَّابقة، بوحيٍ من الرُّؤْية الدِّينيَّة، المُستنِدة إلى التَّناصِّ، الذي توقَّفنا عنـده سابقًا، في الظُّهُور السُّلْطويِّ للأنا الدِّينيَّة، حيث قال([1]):

أنَا فِي أمَّـةٍ تَدَارَكَهَـا الـلَّـ ـــهُ غَرِيبٌ كَصَالِحٍ فِي ثمُـودِ

ولمَّا كان الاغتراب سمةً رئيسيَّةً في حياة المُتنبِّي؛ ألفيناه ينظم الشَّكْوى شعرًا، وينطق بهـا في مقطوعاتٍ عديدةٍ، تنضوي ضمن قصائد ابتدر فيها ممدوحيه بهذا النَّمَط من الخِطَاب؛ كيمـا يكون أكثر قدرةً على التَّأثير في دواخلهم، وَيستلهم في عمـق تـأثيره اسـتراتيجيَّة الاسـتعانة بالممدوح، على نُصْرَةٍ أو نَوَالٍ أو انْتِقَامٍ، ضمن محورَيْن أساسيَّيْن، هُمَا: الـدَّهْر وَعَوَادِيـه([2])، وَالحَسَد([3])، وما من بيت أشدّ اختزالاً لهذه الظَّاهِرة في شعر المُتنبِّي من قوله([4]):

ألا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أقُولُ قصِيدَةً فَلا أشْتَكِي فِيهَا وَلا أتَعَـتَّـبُ

وليس مُستَغربًا أن يصل المُتنبِّي إلى هذه المرحلة من الشِّكَايَةِ، على شكواه التي بثَّها فـي كثرة كاثرةٍ من قصائده؛ فالمقام مُرتبِطٌ بالمدح المُبطَّن بالهجَاء لكافورٍ، في شوَّالٍ، سـنة سـبعٍ وَأربعين وَثلاثمائة، وَالشَّاعِر كان قد بلغ حدَّه الأقصى من احتمال التَّرْحَال الدَّائِم([5])، وَالتَّزلُّـف إلى الحُكَّام، وَمُدَاهَنة المُلُوك وَالأُمَرَاء، ولم يُبلِّغه زمانه ــ وقد جاوز الأربعين من عمره ــ مـا يستدعي هدوء النَّفْس وَرَغد العيش، المقصودَيْن على عزيز ما في يد المُلُوك من سِيَادَةٍ وَسطوةٍ،

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٣٤، (البَيْت: ٣٦).

[2]) للاطِّلاع على شكواه من الدَّهْر، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٠٠؛ وَيُنظَر في شكواه من الأيَّـام وَأهلهـا: **نفـسه**، ٤: ١٧٥، ١٧٦.

[3]) يُنظَر في الحَسَد: **نفسه**، ٤: ٢٦٠، ٢٦١.

[4]) **نفسه**، ١: ٢١٣، (البَيْت: ١٥).

[5]) لقد كشف المُتنبِّي عن نهج التَّرْحَال وَأسبابه وَغاياته، في غير موطنٍ من ديوانه، يُنظَر منها: **نفسه**، ٢: ٣٢، (الأبيات: ٢٢ ــ ٢٥)؛ ٢: ٤٩، (البَيْت الثَّانِي، من مقطوعةٍ ثلاثيَّةٍ، في مدح مُحمَّد بن زُرَيْق الطَّرَسُوسِيِّ)؛ ٣: ٢٣٨، ٢٣٩، (الأبيـات: ٧ ــ ١٠)؛ ٤: ٤٥، (البَيْـت: ٣٦)؛ ٤: ١٢٨، (البَيْـت: ١٢)؛ ٤: ٢٠١ ــ ٢٠٥، (الأبيات: ١ ــ ٧، ١٨، ٣٦، من قصيدةٍ مُكوَّنةٍ من اثنَيْن وَأربعين بيتًا، قالها يذكر حُمَّى كانت تغـشاه بِمِـصْرَ وَيُعرِّض بالرَّحِيل عنها، وَذلك في ذي الحِجَّة، سنة ثمانٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ)؛ ٤: ٢١٠ ــ ٢١٣، (الأبيات: ١ ــ ١٦، إضافة إلى أبياتٍ مُتفرِّقةٍ لاحقةٍ، من قصيدةٍ مُكوَّنةٍ من تسعةٍ وَثلاثين بيتًا، قالها يذكر مسيره مـن مِـصْرَ وَيرثي فاتكًا، وَأنشأها يوم الثلاثاء، لتسعٍ خَلَوْنَ من شعبان، سنة اثنتَيْن وَخمسين وَثلاثمائةٍ)؛ ٤: ٢١٧، (البَيْـت: ٣٦)؛ ٤: ٢٤٢، ٢٤٣، (البَيْتان: ٧، ٨).

وَهما اللذان أمَّلَ المُتنبِّي حيازتهما، بعد استرضائه المُتربِّعين على عرش المَلَكِيَّةِ، في الإمـارات المختلفة، التي تناثرت تحت عباءة خلافة بني العَبَّاس.

وقد أعدَّ المُتنبِّي لشكواه مُبرِّرًا ذاتيًّا، يتجلَّد فيه بالصَّبْر على حمل النَّائِبات، وإن كان مقـام الخِطَاب مُعتلِقًا بفراق الأحبَّة، فتراه يقول([1]):

وَمَا عِشْتُ مِنْ بَعْدِ الأحِبَّةِ سَلْوَةً   وَلَكِنَّنِي لِلنَّائِبَـاتِ حَـمُـولُ

وإذا ما توقَّفنا على مرحلة النِّهَاية في الأنا الثَّقافيَّة للمُتنبِّي، حضرت على الفور قـصيدتان ذَوَاتَا ظلالٍ معنويَّةٍ جليلةٍ في هذا الشَّأن؛ أولاهما في مدح سَيْف الدَّوْلة، لمَّا أنفذ إليه ابنـه مـن حَلَبٍ بهديَّةٍ، وكان ذلك عقب خروجه من مِصْرَ وَمُفارَقته كافوراً، وقد كتب المُتنبِّي بها إلى سَيْف الدَّوْلة من الكُوفَة، سنة اثنتَيْن وَخمسين وَثلاثمائة، قائلاً في ختامها([2]):

إنْ تَبَوَّأتُ غَـيْرَ دُنْـيَايَ دَارًا   وَأتَانِي نَيْلٌ فَأنْـتَ الْـمُـنِـيلُ

مِنْ عَبِيدِي إنْ عِشْتَ لِي ألْفُ كَافُو   رٍ وَلِي مِنْ نَـدَاكَ رِيفٌ وَنِـيلُ

مَا أبَالِـي إذَا اتَّقَتْـكَ الـرَّزَايَـا   مَنْ دَهَتْـهُ حُبُولُهَا وَالْخُبُـولُ

تضمَّنت الأبيات السَّابِقة موقف المُثقَّف ــ المُطِلِّ على مرحلة النِّهَاية ــ من السِّياسَة، وفيها إيجاب القبول لعطاء سَيْف الدَّوْلة، بعد سنواتٍ من الفراق؛ كيما يُرسِّخ علاقة التَّصالُح المُتَماهِية بين نطاقي الدَّائِم وَالمُؤقَّت، على ما في قلبه من شوقٍ، نكاد نلتمسه في غير سياقٍ من القصيدة، مما يخصُّ جانبًا من رُؤْية المُتنبِّي، المُتعلِّقة بشخص الحَاكِم المِثَاليِّ في منظوره، والتي أصـاب منها سَيْف الدَّوْلة سهمًا عظيمًا، بإحكامه الوثاق على سُلْطة الأعجميِّ الرُّوميِّ، وَاعتداده بالقوميَّة العربيَّة، في السِّيَاق الكُلِّيِّ للحُكْم الحَمْدانيِّ.

وَمِمَّا يجري مع إطار الموقف المُجلِّل برُؤْية النِّهَاية، أنَّ عطاء سَيْف الدَّوْلة موصولٌ بـه، حتَّى لو فارق الدُّنْيا إلى أخراه، فهو المُنِيل على الدَّوَام، ورجاء المُتنبِّي معقودٌ به، مُـؤمِّلاً لـه الحِمَايَة من سُوء الرَّزَايَا وَالأقْدَار.

وعلى خلاف ذلك الموقف الملتئم بدائرة المِثَال، أجرى الشَّاعِر استراتيجيَّة العِقَـاب بحـقِّ كافورٍ، مُلحِقًا به وصف العُبُوديَّة على وجه الذِّلَّة وَالصَّغَار، وَمُتوعِّدًا باستملاك ألفٍ من العبيـد على شاكلته، إذا كُتِبَ له العيش في قابل الأيَّام.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٣: ١٦٠، (البَيْت: ٣).
[2]) **نفسه**، ٣: ٢٠٤، (الأبيات: ٤٠ ــ ٤٢).

أمَّا القصيدة الثَّانِية؛ فقد مدح المُتنبِّي بها أبا شجاعٍ عَضُد الدَّوْلة، وودَّعه في الوقت نفسه، وَأنشده إيَّاها في شَعْبان، سنة أربعٍ وَخمسين وَثلاثمائة، وفيها قُتِلَ، وقال في الأبيات الثَّلاثة الأخيرة منها([1]):

وَمَنْ أعْتَاضُ عَنْكَ إذَا افْتَرَقْنَا	وَكُلُّ النَّاسِ زُورٌ مَا خَلاكَا
وَمَا أنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ	يَعُودُ وَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكَا
حَيِيٌّ مِنْ إلَهِي، أنْ يَرَانِي	وَقَدْ فَارَقْتُ دَارَكَ وَاصْطَفَاكَا

وبينما يركز المُتنبِّي في البيتَيْن الأوَّلَيْن، على الإشارة الضِّمْنيَّة للعودة إليه، أراد للبيت الأخير أن يكون نبوءةً كاشفةً للمُستَقبل؛ إذ من يقرأ البيت في ضوء مقتله في العام نفسه، لا بُدَّ أن يصل إلى قناعةٍ تامَّةٍ بصدق النُّبُوءَةِ، إلا أن يكون سياق الخِطَاب عامًّا في حياء المُتنبِّي من الرَّبِّ ــ ﷻ ــ على فراق من أكرمه وأحسن رفده.

أمَّا نحن فنرى أنَّ المُتنبِّي كان مُدركًا لاقتراب النِّهَاية، بعد مشوارٍ حافلٍ بالتَّقلُّب على نعيمٍ مقرونٍ بالحَسَد وَالوِشَايَة، أو لنقل إنَّه أراد نهايةً قريبةً تُخلِّصه من دهرٍ لم يَرْأفْ بمطالبه أبدا؛ وأن يصدق البيت في الدَّلالة على قرب النِّهَاية مع تمام اليَقِين؛ فهذا الذي لا نعتقد به؛ والذي نراه أنَّه رثاءٌ للنَّفْس في إطلالة المرحلة الأخيرة من الحياة، الحافلة بمختلف المُتناقِضات، مع عدم إدراك المُنَى وَالغَايَات([2]).

هكذا بدا الظُّهُور الثَّقافيُّ للأنا عند المُتنبِّي([3])، مشتملاً على سياقات بيان النَّهْج وَالتَّعَالِي وَالتَّرْحَال وَالشَّكْوى وَالاغْتِرَاب، فضلاً عن النِّهَاية، مع إدراكنا مستوياتٍ أخرى من الخِطَاب

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٩٨، ٩٩، (الأبيات: ٤٢ ــ ٤٤).

[2]) يُنظَر: نَافِع، أ. د. عبد الفَتَّاح، (٢٠٠٨م)، **الشِّعْرُ الْعَبَّاسِيُّ ــ قضَايَا وَظَوَاهِرُ**، (ط١)، عمَّان: دار جَرِير للنَّشْر، ص٢٠١ ــ ٢٢٢، (ظَاهِرة الطِّبَاق: دلالةٌ نفسيَّةٌ في شِعْرِ المُتنبِّي).

[3]) لِمَزِيدٍ من الاطِّلاع على مختلف الحالات الثَّقافيَّة، في شعر المُتنبِّي، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٣١ ــ ١٣٣، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من سبعة عشر بيتًا، وَفيها تجلَّى المُثقَّف بِثنائيَّة التَّبعيَّة التَّأثُّرية، للممدوح مُحمَّد بن مساور الرُّوميِّ، وَالتَّصادُم المُتباين بين الضِّمْنيَّة وَالمُبَاشَرة، مع ابن يزداذ)؛ ٢: ١٣٥، ١٣٦، (صُورَة الأنَا الثَّقافيَّة، بتبعيَّتها الكُلِّيَّة، لِسَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ١٤٢، ١٤٣، (مَقْطُوعَةٌ من تسعة أبياتٍ، قالها المُتنبِّي ارتجالاً، وَذلك سنة ثلاثٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، وَقد جلس سَيْف الدَّوْلة لِرَسُول مَلِكِ الرُّوم، وَلم يصل إليه المُتنبِّي لزحام النَّاس؛ فعاتبه سَيْف الدَّوْلة لتأخُّره وَانقطاعه، وَفيها صُورَة المُثقَّف التَّابِع كُلِّيًّا لِسَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ١٦٦، ١٦٧، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من ثلاثة عشر بيتًا، قالها في رِثَاء مُحمَّد بن إسْحَاق التَّنُوخِيِّ؛ لمَّا استزاده بنو عمِّ الْمَيْتِ، وَفيها صُورَة المُثقَّف التَّابِع للتَّنوخيِّين، وَمن الممكن الاطِّلاع على القَصِيدة السَّابِقة لها، في رِثَاء التَّنُوخِيِّ، وَفيها المُثقَّف الخَبير المُجرِّب، صَاحِب الحِكْمة الرَّفِيعة)؛ ٢: ٢١٢، (مَقْطُوعَةٌ من أربعة أبياتٍ، قالها ارتجالاً، عندما سأله صديقٌ له يُعرَف بِأبي ضبيس الشَّرَاب معه فامتنع، وَفيها صُورَة مُركَّبة للمُثقَّف الطَّامِح الثَّائِر الشَّهيد)؛ ٢: ٢٢٧ ــ ٢٣٠، (عندما مدح أبا العَشَائِر، وَذكر إيقاعه بأصحاب بافيس، وَمَسِيره من دِمَشق، وَتتجلَّى صُورَة المُثقَّف المُستعِين بِأبي العَشَائِر، في أبياتٍ مُتفرِّقةٍ)؛ ٢: ٢٣١، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثِيَّةٌ، وَفيها صُورَة المُثقَّف المُستعِين بِسَيْف الدَّوْلة،=

أشرنا إلى طرفٍ منها، فيما يخصُّ بيان الموقف الثَّقافيِّ، من السُّلْطان السِّياسيِّ، وَهو الذي تَمَاهَى بين حالتَيْن عريضتَيْن من التَّصالُح وَالتَّصادُم، وهما السِّيَاقان اللذان سيبينان أكثر عن المناحي الجزئيَّة لعلاقات المُتنبِّي مع الآخرين، وفق الاستراتيجيَّات الثَّقافيَّة السِّتِّ: التَّعقُّل وَالاسترضاء وَالاستمالة وَالاستعانة وَالتَّحالُف وَالتَّجْميد العِقَابيّ.

لقد مارس الشَّاعِر وظيفته الثَّقافيَّة، من خلال تغلغله "في الحياة قلقًا وَأسئلةً وَفكرًا وَثقافةً، وَوقف في المنطقة الرَّماديَّة الفاصلة بين عالمٍ خياليٍّ يتراءى له، وَعالمٍ محسوسٍ مُضْطَرٍّ للتَّعايُش معه، وكان يبحث عن معنى المعنى، مُدركًا أنَّ الحياة موتٌ؛ لذلك نُواجِهها، وَأَنَّ الفَنَّان مجازٌ، وَأَنَّ الزَّمَن غير مُنْصِفٍ، وَأَنَّ رحلة الشَّاعِر مُغامَرةٌ قلقةٌ، وَأَنَّ قصيدته هي معبده، وَإيقاعها موسيقى ذلك المعبد، وَأهل التَّلقِّي هم رهبان المعبد، وَالمُنشِدون ندمانه"([١]).

ويتمظهر التجديد الشعري، في هذا المنحى الوظيفي؛ من خلال "تمرده على المجتمع، وفي عرضه لعالم فسيح من اليقين والثقة والتعالي والطموح والعظمة والغرور والرؤية المنفردة والموقف المتميز، فقد احتضن شعره ذاته وناجاها وحاورها، فكان كتابا في العظمة الإنسانية، كتابا يقوم على الجدل بين اللانهاية والمحدودية، فقد كان يريد من الزمن ما لا يستطيع الزمن نفسه أن يبلغه، وقد أبدع المتنبي طبيعة كاملة من الكلمات في مستوى طموحه وروحه الجامحة التي تتلاقى فيها أطراف الدينا ..."([٢]).

لقد تَخِذَ المُتنبِّي سبيل الثَّقَافَة القلقة المُنتفِضة على كُلِّ الانكسارات، وَهي "تُبشِّر بقلقلة العقل المُتحرِّر أوَّلاً، وَالعقل القلق أخيرًا، مُتضمِّنًا ألوان الإبداعيّ، الذي يُحرِّك جليل المسائل الحضاريَّة ودقيقها"([٣]).

وإن بدا القلق عند المُتنبِّي، حالةً من الاصطراع الدَّائِم بين جملةٍ من المُتناقِضات، إلا أنَّنا في ضوء هذه المعطيات المُتناقِضة في المواقف الثَّقافيَّة؛ مُلزَمون باحترام "الحُرِّيَّة الذَّاتيَّة للأديب،

=وفق علاقة التَّبعيَّة التَّأثُّرية)؛ ٢: ٢٣١، ٢٣٢، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثيَّة، وَيتجلَّى فيها المُثقَّف بتبعيَّته التَّأثُّريَّة لِسَيْف الدَّوْلَة)؛ ٣: ٤٤ ــ ٥٤، (قَصِيدَةٌ مُكوَّنَةٌ من سبعةٍ وَأربعين بيتًا، وَفيها يظهر المُتنبِّي، تابعًا على نحو كُلِّيٍّ، لِسَيْف الدَّوْلة، في ظِلِّ إخضاعه تَمرُّد بني عُقَيْلٍ وَقُشَيْرٍ وَبني العَجْلان وكِلابٍ؛ لمَّا عاثوا في نواحي أعماله)؛ ٤: ٣٨ ــ ٤٠، (في سِيَاق أوَّل ما أنشده لِسَيْف الدَّوْلة، سنة سبعٍ وَثلاثين وَثلاثمائةٍ، عند نُزُوله أنطاكية، من ظَفَرِهِ بحصن (بَرْزُوَيْهِ)، وكان سَيْف الدَّوْلة جالسًا تحت فازةٍ من الدِّيباج، عليها صُورَة مَلِكِ الرُّوم، وَصُوَر وحشٍ وَحيوانٍ، وَتظهر فيها صُورَة المُثقَّف الخَبير المُجرِّب، بقالبٍ من الحِكْمة الذَّاتيَّة)؛ ٤: ١٢٦ ــ ١٢٨، (من البَيْت الثَّامِن إلى البَيْت الثَّاني عشر، وَتظهر في الأبيات صُورَة المُثقَّف الخَبير المُجرِّب الفَارس المُرتحِل على الدَّوَام، صَاحِب العَزِيمة وَالشَّكِيمة القويَّة).

[١]) الكركيّ، أ. د. خَالِد، (٢٠٠٨م)، **الرَّوْنَقُ الْعَجِيبُ ــ قِرَاءَةٌ فِي شِعْر الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّان: مُؤسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسة العربيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٧.

[٢]) عبد الله، **التَّقْلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فِي الشِّعْر الْعَبَّاسِيِّ**، ص٧٢.

[٣]) الطَّراونة، د. سُلَيْمَان، (١٩٩٤م)، **ابْتِهَالاتٌ ثقافِيَّةٌ**، (ط١)، عمَّان: أَزْمِنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٨.

في رفضه العالم أو انسجامه معه، وفي تطرُّفه الذي دفعته إليه ثورة غـضبٍ أو حقـدٍ، وفـي التماسـه مثله العُلْيا، في تمجيد غرائزه ونزعاته الماديَّـة، أو انتسابـه إلى عالم الرُّوح ..."([1]).

وهذه القيم كائنةٌ في عالمي المُتنبِّي النَّفْسيِّ وَالأدبيِّ؛ بفعل عوامل عديـدةٍ؛ شـكَّلت فيهـا الطُّفُولة المُستلبة بالفقر وَاحتقار النَّسَب العلويِّ أهمَّها، وَالتَّسامُح الذي نبغيه هنا يعتلـق بجانـب القراءة الكُلِّيَّة للنِّتَاج الشِّعْريِّ، خلا أنَّه لا يتَّصل بنطاق العَقِيدة أو جَسِيم الدُّون.

أمَّا فيما يخصُّ الارتحال الذي أشرنا إليه آنفًا؛ فقد رأى فيه الدُّكتور عيد بلبع مسيرًا نحـو المجد الذي لم يكن، وهذا يُمثِّل انهيارًا، تبدَّى بوصفه ظاهرةً لافتةً "في شعره جزئيًّا، ولكنَّ هـذا الجزء من شعره، يُمثِّل طرف ثنائيَّةٍ ضِدِّيَّةٍ مع بقيَّة شعره"([2]).

وهو بذلك يُقدِّم معنى انتفاء الوُصُول إلى الهدف الثَّقافيِّ الأسمى؛ ذلك الذي بدت ملامحـه بالتَّشكُّل "بفراقه لسَيْف الدَّوْلة، وَحياته في مِصْرَ، ورحيله عنها"([3])؛ لتُجسِّد قصيدته "**عِيـدٌ بِأَيَّـةِ حَالٍ عُدْتَ يَاعِيدُ**"([4])، الانهيار الأخير([5])، المسبوق بمراحل عديدةٍ، أفرد لها الدُّكتور عيد بلبع من دراسته فصولاً مُتراتِبةً.

وَقد أشار الصَّادق النّيهُوم، إلى مُؤثِّر الصُّدُور الشِّعْريِّ عن "**الدَّاليَّة**"؛ فقد كان المونولـوج يُؤدِّي مهمَّته عند المُتنبِّي "حتَّى تصل رؤياه إلى حَدِّ التَّفجُّر، وَعندئذٍ يتخلَّى عنه وَيبدأ التَّقريريَّـة ..."([6]).

وَالدُّكتور عيد بلبع على ذلك، يخلص في مُقدِّمته، إلى استباق نتائج التَّحْليل النَّصِّيِّ، بتقـديم إجمال هذا الانهيار، ممثَّلاً في "أنَّ المُتنبِّي عاش على حافَّة الأشياء، يطلبها ولكنَّه لا ينالها، يرى في نفسه مُقوِّمات المجد وَالعظمة، ولكنَّه لا يتمكَّن من تحقيقهما؛ وبذلك أفْرغَـتِ الأشـياء مـن مضامينها، وأصبحت الحياة مِلْحة المذاق، عندما انهار آخر آماله في البقاء فـي بـلاط سَـيْف الدَّوْلة، وفي حياته مع كافورٍ في مِصْرَ"([7]).

---

[1]) الأرْنَاؤُوط، عبد اللَّطِيف، (سبتمبر ٢٠٠٤م)، تَجْربَتِي مَع النَّقْدِ الأدَبيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٣)، ص٣٣٥.

[2]) بلبع، د. عِيد، (١٩٩٩م)، **اسْتِنْطاقُ النَّصِّ ــ تَجَلِّيَاتُ الانْهيَار فِي شِعْر المُتَنَبِّي**، (ط٢)، المَنْصُورة: دَار الوَفَاء، ص٥، (تَقْدِيم).

[3]) **نفسه**، ص٥، (تَقْدِيم).

[4]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَان المُتَنَبِّي**، ٢: ٩٩ ــ ١٠٥؛ وَيمكن الاطِّلاع على تحليل هـذه القصيدة فـي: ستيتكيفيتش، د. سُوزَان بينكني، (١٩٩٨م)، **أدَبُ السِّيَاسَةِ وَسِيَاسَةُ الأدَبِ**، تَرْجَمة وَتَقْدِيم: د. حَسَن البَنَّـا عـزّ الدِّين، (د. ط)، القَاهِرة: الهَيْئَة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٥٠ ــ ١٦٣.

[5]) يُنظَر تحليل الدُّكتور عِيد بلبع للقَصِيدة: بلبع، **اسْتِنْطَاقُ النَّصِّ ــ تَجَلِّيَاتُ الانْهيَار فِي شِعْر المُتَنَبِّي**، ص١٢٧ ــ ١٤١، (الفَصْل الرَّابع: الانهيار ثَوْرةٌ في دَالِيَّةِ المُتنبِّي في هِجَاء كَافُورٍ)، وَيمكن تتبُّع مَرَاحِل هذا الانهيار، في الفُصُول السَّابقة، من الكِتَاب نفسه.

[6]) النّيهُوم، الصَّادِق، (٢٠٠٢م)، **أَسْئِلَةٌ ــ مَكْتَبَةُ النّيهُوم ــ سِلْسِلَةُ مَقَالاتٍ (٢)**، (ط١)، المابة ــ لِيبْيَـا: تَالَـة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَبَيْرُوت: مُؤَسَّسة الانْتِشَار العربيّ، ص٣٩.

[7]) بلبع، **اسْتِنْطَاقُ النَّصِّ ــ تَجَلِّيَاتُ الانْهيَار فِي شِعْر المُتَنَبِّي**، ص٥، (تَقْدِيم).

ــ صُورَةُ الأَنَا السِّيَاسِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

إنَّ ما يستدعي الوقوف على هذه الصُّورة من ظهور الأنا، حفــاوة المُتنبِّــي بالمــضامين السِّياسيَّة، لمطامحه العُليا، على نحوٍ جليلٍ، يستلزم النَّظر في تضاعيف النُّصُوص؛ بغية عرضها في سياقٍ مُتَرَاتِبٍ، يتَّصل بفهمنا لشخصيَّته وَخِطَابه الشِّعْريِّ.

وقد سعى المُتنبِّي إلى إظهار القدرة المعرفيَّة، التي تُؤهِّله للمُمَارَسة السِّياسيَّة؛ بفضل عزمه وَرأيه وَدهائه، فقال لكافور(1):

فَارْمِ بي مَا أَرَدْتَ مِنِّي فَإِنِّــي أَسَدُ الْقَلْــبِ آدَمِيُّ الــرُّوَاء

وَفُؤَادِي مِنَ الْمُلُوكِ وَإِنْ كَــا نَ لِسَانِي يُرَى مِنَ الشُّعَرَاءِ

ويتضمَّن البيتان السَّابقان أساسَيْن مهمَّيْن للمِرَاس السِّياسيِّ؛ يتمثَّلان في قُوَّة القلب وَمَــضاء العزم، وقد استجلب المُتنبِّي للدَّلالة على هذَيْن الأساسَيْن صورتي الأسد(2) وَالمُلُوك؛ دالاً بهمــا على قُوَّة الشَّكِيمة وَمضاء العَزِيمة وَسَدَاد الرَّأي، مع دعوته كــافوراً إلــى اســتكفائه بالمهمَّــة المناسبة؛ ولعلَّها ترتبط بالسِّياسَة في وجهٍ من الوُجُوه، لا سيَّما إذا أخذنا بعين الاعتبار الأبيــات التي أنشدها له في غير مناسبةٍ، مُلَمِّحًا فيها إلى وعده إيَّاه بولايةٍ وَشَرفٍ رَفِيعٍ.

وَقد سعى في هذا السِّيَاق إلى إبراز همِّه الرَّئيسيِّ، ممثَّلاً في طلب المجد، الــذي أظهــره بمثابة الحقِّ الطَّبيعيِّ، مُقدِّما وسيلتي الْجِدِّ وَالثَّوْرة في سبيل تحقيقه، فقال لمَّا مدح مُحمَّــد بــن مُسَاوِر التَّمِيمِيَّ(3):

أَقَلُّ فَعَالِي بَلْهَ أَكْثَــرُهُ مَــجْــدٌ وَذَا الْجِدُّ فِيهِ نِلْتُ أَمْ لَمْ أَنَلْ جَدُّ

سَأَطْلُبُ حَقِّي بِالْقَنَا وَمَــشَايخٍ كَأَنَّهُمُ مِنْ طُولِ مَا الْتَثَمُوا مُرْدُ

...

ولسنا نُبالِغ حين نُعبِّر عن هذا المجد بطموحه السِّياسيِّ؛ فالأنا لا تُقْرَأ هنا إلا فــي ضــوء الدِّيوَان كلِّه، ولهذَيْن البيتَيْن أن يتَّصلا بغيرهما في مواطن عديدةٍ؛ لغاية التَّأكيد على دلالة المجد

---

1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١١٢، (البَيْتان: ٢٣، ٢٤).

2) يُنظَر أيضًا شعره في مَدْح الأَمِير بَدْر بن عمَّار، وَقد شبَّهه فيه بالأسَد؛ وَيُنظَر صُورَة الأسَد في شِعْر المُتنبِّي: المليك، صَلاح الدِّين، (١٩٧٠م)، **صُوَرٌ مِنَ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ**، (ط١)، الخرطوم: الدَّار الــسُّودانيَّة، ص٤٥ ــ ٤٨، (وَصْف الأسَد)؛ وَيُنظَر: الطَّيِّب، د. عبد الله، (١٩٧٧م)، **الطَّبِيعَةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة الإعلام، ص١٥ ــ ٢٠.

3) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٦٤، ٦٥، (البَيْتان: ١، ٢)؛ أَمَّا الأبيات اللاحقة في: ٢: ٦٥؛ فإنَّها تُؤسِّس لنهج المُثقَّف الثَّائِر.

السِّياسيِّ، ثُمَّ إنَّ الحقَّ الذي أراد المُتنبِّي طلبه بِالسِّجَال الثَّوْرِيِّ، يكاد يكون مُلتصِقًا بنهجه الثَّوْرِيِّ العامِّ تجاه المُلُوك، الذي تبدَّى في بابي التَّصادُم المباشر (التَّمَرُّد) وَالعِقَاب؛ ومردُّ ذلك إلى إحساس المُثقَّف العَمِيق؛ بأحقِّيَّته السِّياسيَّة في مُمَارَسة المُلْك، من سائر السَّلاطِين.

وَتأكيدًا على هذا الحقِّ، الذي لا يُنتَزع إلا بالقُوَّة الثَّوْرِيَّة، قال المُتنبِّي في قصيدةٍ رثى بها فاتكًا، مع ذكره مسيره من مِصْرَ، وَشكواه من الحُكَّام وَالنَّاس على حَدٍّ سواء([1]):

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلامِي قوَائِلُ لِي ... ألْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

لقد أتاحت تجربة الشَّاعِر، الممتدَّة إلى رحاب القَصْر السُّلْطانيِّ في مِصْرَ، أن يرفع الشِّعار الثَّوْرِيَّ الذي به تُطْلَبُ سُبُلُ المجد، ذلكم هو شعار القُوَة المُتحقِّقة بالسَّيْف؛ أمَّا القلم الذي أرداه الشَّاعِر مُؤشِّرًا على الإرث الأدبيِّ، الذي ابتناه في رحاب المجالس السُّلْطانيَّة المختلفة، فلم يستجلب له إلا الحَسَد وَالنِّقْمَة وَالذِّلَّة وَالتَّرْحَال.

لكن الشَّاعِر لم يتوقَّف عند هذه الوسيلة الثَّوْرِيَّة، وإنَّما ألحق بها وسيلةً أخرى تستدعي استراتيجيَّة الاستعانة، مُضمِّنًا الخِطَاب الشِّعْرِيَّ عنصر المُباشَرة، فقال في سياق مدحه كافوراً([2]):

وَهَبْتَ عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْ زَمَانِنَا ... وَنَفْسِي عَلَى مِقْدَارِ كَفَّيْكَ تَطْلُبُ

إذَا لَمْ تَنُطْ بِي ضَيْعَةً أوْ وِلايَةً ... فَجُودُكَ يَكْسُونِي وَشُغْلُكَ يَسْلُبُ

آثر المُتنبِّي التَّصْريح المباشر، مُعتلِقًا بالتَّصادُم الضِّمْنيِّ مع كافورٍ؛ فالعطاء الذي كان منعقدًا في أمل المُتنبِّي من لدن كافورٍ، هو كرم الزَّمَان على من شغل أهله بشعره وَصخبه وَحماسته وَفُتُوَّته، وَمطلب الشَّاعِر منوطٌ بهمَّة كافورٍ وكرمه، اللذَيْن كانا محلَّ تشكيكه، لا سيَّما حين صرَّح في البيت التَّالي بأنَّ جود كافورٍ، مُرتبطٌ بنثر الآمال وَالوعود، بضيعةٍ أو ولايةٍ، إلا أنَّه واقعٌ منه في مجال السَّلْب، حين لا يُتْبِعُ الوعود بالأفعال، وقد أجاب كافورٌ في الحال: "لستُ أجسر على توليتك صَيْدا؛ لأنَّك على ما أنت عليه تُحدِّث نفسك بما تُحدِّث، فإن ولَّيْتك صَيْدا من يُطِيقك"([3]).

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢١٤، (البَيْت: ٢٣).

[2]) **نفسه**، ١: ٢١٤، ٢١٥، (البَيْتان: ٢٣، ٢٤).

[3]) الأصْفَهَانِيّ، أبو القَاسِم عبد الله بن عبد الرَّحْمن، (ت بعد ٣٨٠ هـ/بعد ٩٩٠م)، **الْوَاضِحُ فِي مُشْكِلاتِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق: مُحمَّد الطَّاهِر بن عَاشُور)، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشْر، تُونس، ١٩٦٨م، ص١٠.

ولمَّا لم تجلب الاستعانة ما كان قد أمَّله؛ فقد وظَّف استمالة التَّلميح مقرونةً بالوَعِيد الضِّمْنيِّ، من خلال قوله عقب مدح كافورٍ([1]):

وَإِنْ تَأَخَّرَ عَنِّي بَعْضُ مَوْعِدِهِ   فَمَا تَأَخَّرُ آمَالِي وَلا تَهِنُ
هُوَ الْوَفِيُّ وَلَكِنِّي ذَكَرْتُ لَهُ   مَوَدَّةً فَهُوَ يَبْلُوهَا وَيَمْتَحِنُ

أمَّا في شأن الاستمالة التي وظَّفها المُتنبِّي آنفًا، فقد كانت حاضرةً في القصيدة التي كتبها من حبسه، إلى لؤلؤة الْحِمْصِيِّ؛ لغاية استعطافه في منحه الحُرِّيَّة المُؤَمَّلة، وقد دافع المُتنبِّي فيها عن نفسه، مُفَنِّدًا ادِّعاء بعض الوُشَاة([2])، الذين "كانوا قد وشوا به، أنَّه يريد أن يأخذ البلد"([3]).

فَتَأَخُّرُ كافورٍ عنه في وعوده، ليس مُتحقِّقًا في تأخُّر الآمال وَهوانها، وهو إذا يُقدِّم الفكرة بالنَّفْي، فإنَّه يستدعي نقيضها، المُتضمِّن وعيدًا بتحقُّز الآمال؛ لبلوغ الغاية المنشودة، مُستمِيلاً إيَّاه بذكر وفائه، وَمُبرِّرًا تأخُّره باختباره المودَّة التي ذكرها المُتنبِّي له.

وقريبٌ من معنى البيت الأوَّل، مِمَّا يتَّصل بباب طلب المجد بعامَّة، وَالشَّرَف السِّياسيِّ بخاصَّة، قوله([4]):

وَإِنِّي إِذَا بَاشَرْتُ أَمْرًا أُرِيدُهُ   تَدَانَتْ أَقَاصِيهِ وَهَانَ أَشَدُّهُ

وَتزداد وتيرة التَّلميح، حتى تُقارب التَّصْريح، بوعد الولايَة، فيقول الشَّاعِر في قصيدةٍ مدحه فيها، وأنشده إيَّاها، في شوَّال، سنة تسعٍ وَأربعين وَثلاثمائة، وَهي آخر ما أنشده في حضرة كافورٍ([5]):

وَهَلْ نَافِعِي، أَنْ تُرْفَعَ الْحُجْبُ بَيْنَنَا   وَدُونَ الَّذِي أَمَّلْتُ مِنْكَ حِجَابُ
أُقِلُّ سَلامِي حُبَّ مَا خَفَّ عَنْكُمْ   وَأَسْكُتُ كَيْمَا لا يَكُونَ جَوَابُ
وَفِي النَّفْسِ حَاجَاتٌ وَفِيكَ فَطَانَةٌ   سُكُوتِي بَيَانٌ عِنْدَهَا وَخِطَابُ
وَمَا أَنَا بِالْبَاغِي عَلَى الْحُبِّ رِشْوَةً   ضَعِيفٌ هَوًى يُبْغَي عَلَيْهِ ثَوَابُ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٧٢، (البَيْتان: ٢٤، ٢٥).
[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤٤ ــ ٤٩، (قَصِيدة مُكوَّنة من ثمانيةٍ وَعشرين بيتًا).
[3]) **نفسه**، ٢: ٤٩، (الحَاشِية).
[4]) **نفسه**، ٢: ٨٩، (البَيْت: ٣٢).
[5]) **نفسه**، ١: ٢٢٦، ٢٢٧، (الأبيات: ٣٢ ــ ٣٥).

لكنَّه يُصرِّح في موطنٍ آخر، بأنَّه لم ير من كافورٍ سوى الزُّور وَالبُهْتَان وَالمَوَاعِيد الكَاذِبة، فيقول([١]):

لَوْ كَــانَ ذَا الآكِلُ أَزْوَادَنَــا	**ضَيْفًا لأوْسَعْنَاهُ إِحْسَانَــا**
لَكِنَّنَــا فِي الْعَيْنِ، أَضْيَافُــهُ	**يُوْسِعُنَــا زُورًا، وَبُهْتَانَا**
فَلَيْتَهُ خَلَّــى لَنَــا سُبْلَنَــا،	**أَعَانَـــــهُ اللهُ، وَإِيَّانَــــا**

ونجد أنَّ التَّصْريح قد بلغ حَدَّ الهجَاء، المُؤكِّد بُخْل كافورٍ وَامتناعه عن العطاء، لا سيَّما فيما يخصُّ أمر الولايَة، مستدعيًا صورة نواله هذه الولاية، بصورة الطَّائِر الذي يرد كُلَّ ممتنعٍ مِــن الماء؛ كنايةً عن مقدرة المُتنبِّي على استخراج خبء الأشياء، وَمُوظِّفًا في الوقت نفسه مدح الوعد الذي يكون بمثابة الصِّدق؛ ليصل بكافورٍ إلى مرحلة الإدانة، بعدم إتباع الوَعْد بالفِعْــل، حيــث يقول([٢]):

فَإِنْ نِلْتُ مَا أَمَّلْتُ مِنْكَ فَرُبَّــمَا	**شَرِبْتُ بِمَاءٍ، يُعْجِزُ الطَّيْرَ وِرْدُهُ**
وَوَعْدُكَ فِعْلٌ قَبْــلَ وَعْــدٍ لأَنَّهُ	**نَظِيرُ فَعَالِ الصَّادِقِ الْقَوْلِ وَعْدُهُ**

ولمَّا أدرك الخُسْران كلَّه، وكذَّب مَوَاعِيد كافورٍ، قال في هجائه يوم عرفة، قبل مسيره مِــن مِصْرَ بيومٍ واحدٍ، سنة خمسين وَثلاثمائة([٣]):

إِنِّي نَزَلْتُ بِكَذَّابِــينَ ضَــيْفُــهُــمْ	**عَنِ الْقِرَى وَعَنِ التَّرْحَالِ مَحْدُودُ**
جُودُ الرِّجَالِ مِنَ الأَيْدِي وَجُودُهُمُ	**مِنَ اللِّسَانِ، فَلا كَانُوا وَلا الْجُودُ**

وَإن كان كافورٌ قد قدَّر شاعريَّة المُتنبِّي، إلا أنَّه قد وقف في وجه طموحه السِّياسيِّ؛ لبلوغ شهرته الآفاق بوصفه شاعرًا مُبرِّزًا؛ مِمَّا يعني استحالته إلى حالةٍ من الشَّرَف الرَّفِيع، فيما لــو ولاّه إمارة الصَّعِيد أو غيرها؛ ليغدو في إثر ذلك مُنافِسا نِدًّا لكافورٍ([٤]).

وَقد أسهم ذلك لاحقًا؛ في خلق ثَوْرة المُتنبِّي على كافورٍ في القَصِيد، على نحوٍ تجلَّى فيــه تَصادُم التَّمرُّد في أعلى مستوياته، ولم يكن كافورٌ "أهلاً لهذا الهجَاء بما أقلّ هباته، أو بما منــع

[١]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٨٠، (مَقْطوعة ثُلاثيَّة).
[٢]) **نفسه**، ٢: ٩٠، (البَيْتان: ٣٨، ٣٩).
[٣]) **نفسه**، ٢: ١٠١، (البَيْتان: ١١، ١٢).
[٤]) يُنظَر: الْحَدِيدِيّ، د. عبد اللَّطِيف مُحمَّد، (١٩٩٨م)، **بَيْنَ الأَنَا وَالآخَر فِي مَدْحِيَّاتِ الْمُتَنَبِّي ــ رُؤْيَةٌ تَحْلِيلِيَّــةٌ نَقْدِيَّةٌ موزانةٌ**، (ط١)، القَاهِرة: جَامِعَة الأَزْهَر، ص١٤.

الشَّاعِر ولايةً أو ضَيْعَةً، ولكنَّه استحقَّه بما وعد وَمَطَلَ ثُمَّ أخلف؛ فملأ نفس الشَّاعِر الطَّمُوح أملاً، ثُمَّ ذبذبه بين الرَّجَاء وَالخيبة، ثُمَّ أيأسه بعد انتظارٍ طويلٍ. وكان أبو الطَّيِّب يبغي لنفسه مجدًا، وَيُريد أن يُسوِّغ فراق سَيْف الدَّوْلة بما ينال من هذا المجد، وكان يخشى أن يَشمَت به أعداؤُه؛ فكان حرمان كافورٍ إيَّاه هَدْمَ مجدٍ بناه في نفسه، وإثارة نَدَمٍ على فراق ابن حَمْدَان، وإشْمَات أعداءٍ وَحُسَّادٍ طالما ذكرهم في شعره. ثُمَّ زاده غيظًا أنَّ كافورًا حاول أن يُمسِكه عنده وَلم يُيسِّر له الرَّحِيل"([1]).

وَقد عمَّم المُتنبِّي حالة التَّصادُم مع المُلُوك كافَّةً، في قصيدةٍ عبَّرت عن حماسة الصِّبَا؛ وَكرَّس الخِطَاب فيها بلغة التَّصادُم؛ ليصل في المُنتَهى إلى قوله([2]):

وَمَنْ يَبْغِ مَا أَبْغِي مِنَ الْمَجْدِ وَالْعُلا … تَسَاوَى الْمَحَايِي عِنْدَهُ، وَالْمَقَاتِلُ

أَلا لَيْسَت الْحَاجَاتُ إلاّ نُفُوسَكُمْ … وَلَيْسَ لَنَا، إلاّ السُّيُوفُ وَسَائِلُ

فَمَا وَرَدَتْ رُوحَ امْرِئٍ رُوحُهُ لَهُ … وَلا صَدَرَتْ عَنْ بَاخِلٍ وَهُوَ بَاخِلُ

غَثَاثَةُ عَيْشِي أَنْ تَغِثَّ كَرَامَتِي … وَلَيْسَ بِغَثٍّ أَنْ تَغثَّ الْمَآكِلُ

وَلم يكن الخِطَاب في هذا الشَّأن مقصورًا على التَّصادُم، وَإنَّما انطلق لترسيخ حالةٍ مُناقِضةٍ، تتمثَّل في الاتِّحَاد مع مَطَامِح السِّياسيِّ؛ لغاية تحقيق بعضٍ من مآرب الأنا، في طموحها السُّلْطويِّ، وَمِمَّا يتَّصل بذلك، اتِّخاذ المُتنبِّي السِّياسيَّ قدوةً له، فيقول في مدح سَيْف الدَّوْلة، وَذكر إدارته شُؤُون إمارته، بقُوَّة السَّيْف وَالرَّأي([3]):

فَرُبَّ غُلامٍ عَلَّمَ الْمَجْدَ نَفْسَهُ … كَتَعْلِيمِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الطَّعْنَ وَالضَّرْبَا

إذَا الدَّوْلَةُ اسْتَكْفَتْ بِهِ فِي مُلِمَّةٍ … كَفَاهَا فَكَانَ السَّيْفَ وَالْكَفَّ وَالْقَلْبَا

وَقد أُعْجِبَ المُتنبِّي بما رأى من أخلاق الفارس الحَمْدانيِّ، فأوحى له بالمُشاركَة، التي تتضمَّن وجهَيْن من التَّعاضُد المُتبَادل بين الثَّقافيِّ /السِّياسيِّ وَالسُّلْطان، قائلاً([4]):

وَشَرَكْتُ دَوْلَةَ هَاشِمٍ فِي سَيْفِهَا … وَشَقَقْتُ خِيسَ الْمُلْكِ عَنْ رِئْبَالِهِ

عَنْ ذَا الَّذِي حُرِمَ اللُّيُوثُ كَمَالَهُ … يُنْسِي الْفَرِيسَةَ خَوْفَهُ بِجَمَالِهِ

---

[1]) عزَّام، عبد الوَهَّاب، (١٩٥٦م)، **ذِكْرَى أَبِي الطَّيِّبِ بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ**، (ط٢)، مِصْر: دَار المَعَارف، ص١٩٥.
[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٢١٥، ٢١٦، (الأبيات: ١١ ــ ١٤).
[3]) **نفسه**، ١: ١٣١، ١٣٢، (البَيْتان: ١٤، ١٥).
[4]) **نفسه**، ٣: ١٣٥، ١٣٦، (الأبيات: ١٨ ــ ٢٠).

وَتَوَاضَعُ الأُمَرَاءِ حَوْلَ سَرِيرِهِ، وَتُرِي الْمَحَبَّةَ، وَهِيَ مِنْ آكَالِهِ

وَأنشد الشَّاعِر في حضرة جُنْدِ سَيْف الدَّوْلة، لمَّا تهيَّبوا لقاء الرُّوم، المُحتشِدين في جيشٍ قوامه أربعون ألفًا، في السّنَبُوس، سنة أربعين وَثلاثمائة. وبلغ الاتِّحَاد مداه، حين وظَّف المُتنبِّي الخِطَاب الشِّعْريَّ؛ لإذكاء حماسة الجَيْش، قائلاً(١):

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُّونَ أَنَّنَا إذَا مَا تَرَكْنَا أَرْضَهُمْ خَلْفَنَا، عُدْنَا

وَأَنَّا إذَا مَا الْمَوْتُ صَرَّحَ فِي الْوَغَى لَبِسْنَا إِلَى حَاجَاتِنَا الضَّرْبَ وَالطَّعْنَا

فقد نطق الثَّقافيُّ ــ الْمُلِمُّ بأمور السِّياسَة، وَأحوال السَّاسَة ــ برغبة السُّلْطان في إثارة حماسة الجُنْد للمعركة المصيريَّة القَابِلة، مُوظِّفًا "أنَّا"؛ للدَّلالة على الاتِّحَاد الجَمْعِيِّ مع الجيش وَسيِّده.

وَمِمَّا يُماثِل الحالة السَّابِقة، بإخلاص الاتِّحَاد مع الآخر السِّياسيِّ، قصيدته التي قالها في صِبَاه، على لسان بعض التَّنُوخيِّين؛ فهي تُعبِّر عن الالتحام الكامل بين الثَّقافيِّ وَالسِّياسيِّ، الذي نطق على لسان ممدوحه برغائبه الذَّاتيَّة، التي تملَّكته منذ الصِّبَا(٢).

كما بلغ المُتنبِّي مرحلةً من النَّظَر السِّياسيِّ؛ أهَّلته للتَّقْعيد للآخر الحَاكِم؛ إذ بعِشْرة السَّادَة وَمُجالَستهم تتَّسع آفاق الرُّؤْية. قال المُتنبِّي في مدح شُجَاع بن مُحمَّد الطَّائيِّ الْمَنْبِجِيِّ(٣):

وَصُنِ الْحُسَامَ وَلا تُذِلْهُ فَإِنَّهُ يَشْكُو يَمِينَكَ وَالْجَمَاجِمُ تَشْهَدُ

فها هو الشَّاعِر يدعو السَّيِّد الممدوح، إلى كَفِّ القَتْل بإغماد السَّيْف، فليس به وحده تستقيم لصاحب الشَّأن السَّطْوة وَيتحقَّق الْعُلُوُّ، وكأنِّي به يدعو إلى اتِّباع قُوَّة الوَعِيد مع آمَال التَّرْغِيب، بوساطة الرَّأي الحَكِيم الرَّاجِح، في إحسان إدارة العلاقة مع الوَاقِعين في نطاق حُكْم ممدوحه، بحِنْكةٍ وَتبصُّرٍ.

وَليس أدلّ على عُلُوِّ طموح المُتنبِّي من إلحاقه الْمَلَكِيَّة بنفسه؛ فهو ما بقي سالمًا سيسود النَّاس كلَّهم بسَيْف الدَّوْلة، فيكون الْمُلْكُ لله ثُمَّ له، حيث يقول(٤):

---

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٢٠، (البَيْتان: ٤، ٥).
(2) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٢٣٥ ــ ٢٣٩، (مَقْطوعةٌ مُكوَّنَةٌ من تسعة أبياتٍ).
(3) **نفسه**، ٢: ٤٢، (البَيْت: ٣٠).
(4) **نفسه**، ٣: ٢٣٧، (البَيْتان: ٥٥، ٥٦، من الرَّجَز).

إِذَا بَقِيتَ سَالِمًا أَبَا عَلِيّ   فَالْمُلْكُ للهِ الْعَزِيزِ ثُمَّ لِي

وَحتَّى نُجمِل ما مضى؛ لزمنا إدراك القيمة الكُلِّيَّة للتَّحْليل المُوجَز، الذي استبطن المَلامِح الرَّئيسيَّة للأنا السِّياسيَّة عند المُتنبِّي، بصورها المُتعدِّدة، من: إصرارٍ على تملُّك المجد، وَالبلوغ إلى مكامنه، من خلال المعرفة المُجلَّلة بالأهداف السِّياسيَّة، وَالاستعانة، وَالتَّصْريح المُشقَّع بالاستمالة، وَالتَّصْريح المباشر بطلب الولايَة السِّياسيَّة، وَالتَّصادُم المباشر مع السَّادَة وَالمُلُوك، مُعتلِقًا بالحِسِّ الثَّوْريِّ، فضلاً عن صورة التَّحالُف وَالاتِّحاد مع رؤاهم؛ للتَّعْبير عن حالةٍ من الفَرَادَة المَلَكِيَّةِ، التي تتحقَّق بعون الآخر السِّياسيِّ وَنُصرْته، مع اتِّصال هذا كلّه بموقفٍ سياسيٍّ كُلِّيٍّ؛ أوجزه الدُّكتور حَاكِم عبد الرَّحْمن، في صورة "موقفٍ ينبع من عُرُوبته وَعِزَّته، وَرفضه القاطع لاستيلاء العَجَم على مقاليد السُّلْطة في الدَّوْلة العربيَّة، مُعَرِّضًا نفسه لكلِّ أصناف البَطْش وَالسِّجْن وَالتَّنْكيل"([1]).

وإذا ما أردنا الوقوف على الأسباب الدَّاعِية إلى توثُّب المُتنبِّي نحو طلب المجد؛ فقد يتبدَّى الفقر الذي لازمه في مرحلة الطُّفُولة، "وليس الفقر وحده ما حدا المُتنبِّي أن ينزع إلى نزعته السِّياديَّة الطَّامِحة، بل ثمَّة أسبابٌ أخرى، بقدر ما بدت مانعةً من السِّيادَة، كانت دافعةً إليها، ومنها ضِعَةُ نسبه، وما شكَّلته من عقدةٍ نفسيَّةٍ لدى أبي الطَّيِّب، وجرحٍ غائرٍ في أعماقه، ظلَّ يدفعه إلى المجد، وَيُحرِّكه صوب ذُرَا السِّيَادَة"([2])، مع اقتران ذلك بِالفَرْض القسريِّ، فيما يخصُّ النَّسَب وَاللَّقَب، الذي سعى مُنافِسوه إلى الانتقام به منه.

وَيمكن اختزال صورة الأنا الطَّامِحة إلى المجد السِّياسيِّ([3])، من خلال ثلاثة ملامح رئيسيَّةٍ؛ تبدَّت في أوَّلها "الأنَا المُتَعالِية"؛ وذلك في المراحل التي سبقت اتِّصاله بِسَيْف الدَّوْلة، وَظهرت في

---

[1]) عبد الرَّحْمن، **بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَشِكسبير**، ص٢٥٦؛ وَيمكن الاطِّلاع على المُعَالَجة التَّفْصيليَّة في هذا الشَّأن، للدُّكتور حَاكِم عبد الرَّحْمن، يُنظَر: **نفسه**، ص٢٤٢ ــ ٢٥٦.

[2]) إِسْمَاعِيل، سَمِيح مَحْمُود، (٢٠٠٢م)، النَّزْعَةُ السِّيَادِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي، **دِراسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٩(١)، ص٧٢؛ وَلِمَزِيدٍ من الاطِّلاع، يُنظَر: نفسه، ص٧١ ــ ٩٩.

[3]) في صُورَة الأنَا السِّياسيَّة عند المُتنبِّي، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٤١، (البَيْت: ٣، في سِيَاق قوله المُرتَجل؛ لمَّا سأله سَيْف الدَّوْلة إجازة بَيْتٍ من قول أحد الشُّعَرَاء، وَفي البَيْت الثَّالِث، من مَقْطُوعَةٍ ثُلاثِيَّةٍ، طرفٌ من الطُّمُوح السِّياسيِّ للمُتنبِّي)؛ ٢: ٥٤، (البَيْتَان: ٥، ٦، من قَصِيدَةٍ مدح بها عَلِيَّ بن إبْرَاهِيم التَّنُوخِيَّ، وَفيهما صُورَة الأنَا الطَّامِحة للمَجْد السِّياسيِّ)؛ ١: ١٦٤، (مَقْطُوعَةٌ رُبَاعِيَّةٌ، قالها في صِبَاه ارتجالاً، وَقد عذله أَبُو سَعِيد المجَيْمِرِيّ، على تركه لقاء المُلُوك، وَفيها المُثقَّف الثَّائِر على المُلُوك؛ وفق رُؤْيته الذَّاتيَّة بِأحقِّيَّته في المَلَكِيَّةِ)؛ ١: ١٦٤، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثِيَّةٌ، قالها في صِبَاه ارتجالاً لبعض الكلابيِّين وَهم على شَرَابٍ، وَفيها الحِسُّ الثَّوْرِيُّ السِّياسيُّ، الذي أُشيرَ إليه في حَاشِية الدِّيوَان؛ على أَنَّهُ إحدى هَنَوَاتِهِ، التي تدلُّ على بُعْدِ همَّته)؛ ٢: ١٥٤، (مَقْطُوعَةٌ ثُنَائِيَّةٌ، وَقال الشَّاعِر هذَيْن البَيْتَيْن في صِبَاه، وَتبدَّى فيهما تصميم المُتنبِّي على التَّصادُم مع المُلُوك، على نحوٍ مباشرٍ؛ لنيل المَال أو المُلْك)؛ ٤: ١١٦ ــ ١٢١، (من البَيْت الثَّانِي عشر إلى البَيْت الحَادِي وَالثَّلاثين، قالها في صِبَاه، وَفيها صُورَة المُثقَّف الشَّاكِي؛ تمهيدًا للتَّصادُم المباشر مع المُلُوك، في آخر القَصِيدة).

ثانيها "الأنَا المُضْمَرة"، في رحاب سَيْف الدَّوْلة، لمَّا كان مجلسه عامرًا بلفيف الفُقَهاء وَالشُّعَراء وَالحُكَماء، وَبرزت في ثالثها "الأنَا المُنكَسِرة" بعد رحيله عن كافورٍ في مِصْرَ؛ لتحاول "الأنا" التماس طريق الخَلاص، بابتداع المِثال الجديد في الحَاكِم السِّياسيِّ النَّصِير(١)؛ أمَّا "الأنَا" في طَوْر الصِّبَا، التي سبقت هاتيك التَّبدِّيات جميعًا؛ فَـ"تدور في محور الفُرُوسيَّة وَالشَّجَاعة وَالدَّعْوة إلى الثَّوْرة، بل سفك الدِّمَاء أحيانًا"(٢).

وَتمثَّل اتِّجاه المُتنبِّي نحو تملُّك سُلْطة القُوَّة، من خلال استدعاء الاستعانة وَالتَّحالُف مع نهج الثَّوْرة، وفيهما القُوَّة المُعِينة على مُواجَهة الآخر السِّياسيِّ؛ فَـ"الصَّوْت الوَحِيد الذي يسمعه الخِطَاب السُّلطويُّ هو صَوْت القُوَّة، وعندما يسمع هذا الصَّوْت في النِّهَاية، فإنَّ صَوْت السُّلْطة يلوذ بالصَّمْت. قد تُفْلِحُ السُّلْطة في السَّيْطرة على المُثقَّف، بالتَّرْغيب أو التَّرْهيب، الذي قد يصل إلى حَدِّ التَّصْفية الجسديَّة، لكن على المُثقَّف أن يصمد وَأن يُناضِل ..."(٣)، وليس من سبيلٍ إلا اتِّخاذ القُوَّة العسكريَّة؛ لتحقيق الطُّمُوح العَلِيِّ(٤).

وَقد ظهر التَّجْديد في هذا الشَّأن؛ ذلك أنَّ شعر المُتنبِّي "يُمثِّل صاحبه ونفسه؛ فشعره عبارةٌ عن ثَوْرَة رجلٍ سياسيٍّ عربيٍّ يرقب ما يُحِيط به، وَيطرح الرَّجل العربيُّ ما يُؤمِّله وَيُؤمِّل بلوغه في سطوته وَسلوكه وَشَوْكته، وكلّ ما في نفسه من أهدافٍ تُحدِّدها له عُرُوبته وَاعتزازه بها؛ فهو شعرٌ تتنازعه هموم صاحبه وَآماله في أن يجد عربيًّا ذا سُلْطانٍ وَشَوْكَةٍ وَطموح، يُحقِّق له وَلأمَّته ما لا يُطِيقه هو من القضاء على سُلْطان الأعَاجِمِ؛ فهو شعرٌ يُمثِّل ثَوْرة الوجدان الذي حنَّكته التَّجارب؛ وَهو شعرٌ يُمثِّل المُتنبِّي شاعرًا مُحَنَّكًا مُعقَّد المَهارَة في صياغة معانيه وَألفاظه ..."(٥).

---

(1) يُنظَر: الشَّيْخ، حَفِيظَة صَالِح نَاصِر، (شباط١٩٩٦م)، **مَعْنَى الْمَعْنَى عِنْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي بَيْنَ السَّيْفِيَّاتِ وَالْكَافُورِيَّاتِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبد، الأرْدن، ص١٨٦ ــ ٢٣٧، (الفَصْل الخَامِس: أنَا الشَّاعِر)؛ وَسنُشِير في حاشية الآخر السِّيَاسيِّ، إلى مواطن: المِثَال، وَاهتزازه، وَسُقُوطه، وَافتعال البَدِيل في نهج المُتنبِّي.

(2) إبْرَاهِيم، **مُقَدِّمَةُ الْقَصِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، ص٣٧؛ وَلاستجلاء مُعَالَجة البَاحِثة صور الأنَا عند المُتنبِّي، يُنظَر: **نفسه**، ص٣٣ ــ ٤٨، (أنَا التَّعَالِي)؛ ص٤٩ ــ ٥٨، (أنَا العَاشِقة وَبُعْدُها الرَّمْزِيُّ)؛ ص٥٩ ــ ٦٣، (الأنَا وَالزَّمَن).

(3) جِبْرِيل، مُحمَّد، (إبريل٢٠٠١م)، المُثَقَّفُ .. وَالسُّلْطَةُ، **أدَب وَنَقْد**، (١٨٨)، ص٤٢؛ وكان الرَّأي السَّابق في سِيَاق مُعَالَجة الكَاتِب، للرِّسَالة الثَّقافيَّة، الكَائِنة في روَايته: "مِنْ أَوْرَاقِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي".

(4) لقد برع المُتنبِّي في وصف الأمور الإداريَّة، في المَعَارك العَسْكريَّة، التي جرت بين ممدوحيه وَأعدائهم؛ وَهذا يدلُّ على معرفته اليقينيَّة، بأهمِّيَّة القُوَّة العَسْكريَّة، في تدعيم السُّلْطة السِّياسيَّة، يُنظَر: ربابعة، د. حَسَن مُحمَّد، (كَانُون أوَّل١٩٩٧م)، الشُّؤُونُ الإِدَارِيَّةُ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي، **جَرَش للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٢(١)، ص١٣٣ ــ ١٧٢.

(5) عبد الله، **التَّقْلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ**، ص٧٣.

وَتبدَّت عناية المُتنبِّي بالجانب العسكريِّ، من خلال حفاوته بتصوير الحُرُوب؛ وَهــو فَــنٌّ "جديدٌ مُستَحدثٌ، حمل لواءه أبو الطَّيِّب المُتنبِّي؛ فإجاد فيه وَأبدع؛ وَارتفع به إلى شعر المَلاحِم، في أسلوبٍ جزلٍ وَتصويرٍ بارعٍ، ووصفٍ دقيقٍ للحَرْب وَأدواتها وَمواقعها وَالتحــام الفُرْســان وَاشْتِجَار القَنَا وَصَلِيل السُّيُوف، وَأفاض وَأطال في وصف الخيــل وَنعتها بما لم يــسبقه إليــه شاعرٌ"([١]).

وَيمكننا أن نُشِيرَ في الخِتَام، إلى المُقدِّمات الغزليَّة السَّابقة مديحه في مُلُوك زمانه، ولنا في ذلك وجه الإشارة، إلى ارتباط بعض هاتيك اللَّوْحات الشِّعْريَّة، بومضاتٍ من المَذْهب الرَّمْــزيِّ، التي تستلزم التَّوقُّف عندها في درسٍ مُتأنٍّ مُستقلٍّ، ولسنا في هذا الإيجاز مع حضور النَّماذِج، إلا في غاية الدَّلالة من ذلك على رمزيَّة اللَّوْحة الغزليَّة للسِّيَادَة المَلَكِيَّةِ، وَالمجد السَّاطِع فــي عــالم السِّيَاسَة.

وَحسبنا في ذلك انتماء المرأة المُتغزَّل بها إلى السِّيَاق العامِّ؛ فلو "أمعنا النَّظَر في غزله لما استطعنا أن نعرف من هذه المرأة التي يعشقها، والتي يُكرِّس لها جانبًا من شعره، فلــيس فــي أخباره ما يُنبئ أنَّه أحبَّ يومًا، وليس في شعره ذكرٌ لمحبوبٍ يُردِّد اسمه وَيتشوَّق إليه"([٢])، وهذا ينسحب على واقع الصُّور المشتملة بقالب المِثَال؛ أمَّا نقيضها المُبين عن نقده اللاذع للمرأة؛ فهو السِّيَاق المُتَّصل بالمُعَالجة الشِّعْريَّة للنِّطَاق الإنسانيِّ الوَضِيع، وفيه أيضًا من الرَّمْز دلالة تعمــيم الجُزْء على الكُلِّ، في واقعٍ اجتماعيٍّ منحدرٍ، مع عدم إغفالنا إشارات البَحَّاثَة، في شأن بعــض المُقدِّمات ذات الأثر الفكريِّ، على شاكلة النَّهْج القرمطيِّ.

---

[1]) الشَّكْعَة، **فُنُونُ الشِّعْر فِي مُجْتَمَع الحَمْدَانِيِّينَ**، ص٤٢٢.

[2]) نَافِع، د. عبد الفَتَّاح صَالِح، (١٩٨٣م)، **لُغَةُ الحُبِّ فِي شِعْر المُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّان: دَار الفِكْر للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٠٩.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

ــ صُورَةُ الأَنَا الدِّينِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

تجلَّى حُضُور السُّلْطة الدِّينيَّة للأنا، عند مَحْمُود دَرْوِيش، من خلال مكامن رئيسيَّةٍ عامَّــةٍ، أدخلت الشَّاعِر في حالةٍ مُتباينةٍ بين المِثَال وَالدُّون، على ما فيهما من موقفٍ ثقافيٍّ إزاء الخِلافَات العَرَبيَّة الدَّاخليَّة، وَالصِّرَاع مع العدوِّ الغَاصِب، وَالرُّؤْية الشُّمُوليَّة للحَلِّ السِّياسيِّ الدَّائِم.

على أنَّ الإطلالة الدِّينيَّة تُلِحُّ على الحُضُور، في "**طَرِيق دِمَشْق**"، من مَجْمُوعَة "**مُحَاوَلَة رقم ٧**"، التي صدرت سنة (١٩٧٣)م، إذ يقول فيها([1]):

إنِّي خرجتُ من الصَّيْف والسَّيْفِ

إنِّي خرجتُ من المهد واللحدِ

نامت خيولي على شجر الذِّكرياتِ

وَنمتِ على وتر المعجزاتِ

ارتدتني يداكِ نشيدًا إذا أنزلوه على جبل، كان سورة

"ينتصرون" ...

ولا يخفى ما في الكلمة المفتاحيَّة الأخيرة، من إطلالة على الجانب الدِّينيِّ، المُعتلِق بظهور "الأنا" في وحي النَّشِيد، المُنزَّل من عَلٍ إلى جبل البِشَارَة وَالوَحْي وَالنُّور، وفيه البيان الــصَّدَّاح بـــ"**يَنْتَصِرُونَ**"؛ وكأنِّي بها ارتدادة المُثقَّف إلى الوحي الدِّينيِّ، استيحاءً بالتَّناصِّ مع الآي القرآنيِّ، كما ارتأيت وفق اجتهادي الذَّاتيِّ؛ للرَّدِّ على واقعٍ بات مُصطرِعًا بالنِّزَاع الدَّائِر حول "**الْخَرِيطَةِ**"، التي تبدَّى حضورها في القصيدة بمجملها، على نحوٍ يُكرِّس حضورها فــي ذهنيَّــة الــشَّاعِر، وَيُوحِي بتملُّكها بُؤْرة الصِّيَاغة الشِّعْريَّة، للنَّسيج الأخير من الخِطَاب.

وفي الاستيحاء المذكور آنفًا موقفٌ دينيٌّ، تجلَّى بضمير "الأنا"؛ ليبين عــن تــصوُّرَيْن أراد لهما الشَّاعِر أن يصطرعا في رُوعِ المُتلقِّي؛ كيما يتحقَّق الخلاص الأخير؛ فبالعود إلــى قولــه تعالى: ﴿ **وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ (٩١) وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِنْ دُونِ اللهِ هَــلْ**

---

[1]) دَرْوِيش، مَحْمُود، (كَانُون الثَّانِي/يَنَاير٢٠٠٩م)، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، (طَبْعة جَدِيدة، ٢)، بَيْرُوت: رِيَاض الــرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر، ٢: ١٩١.

يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ (٩٣) ﴾(١)، نجد الأنا الدِّينيَّة حاضرةً، في بوح الصُّورة القرآنيَّة، بالرَّمْزيَّة المُستَجلبة إلى نطاق السِّيَاسَة.

إذ إنَّ قَارئ الأشطار الشِّعْريَّة السَّابِقة للتَّصْريح بالتَّنزُّل القرآنيِّ؛ ليستشعر حالة السُّكُون التي واقعها الشَّاعِر و"دِمَشق" على "**شَجَرِ الذِّكْرَيَاتِ**" و"**وَتَرِ الْمُعْجِزَاتِ**"، وَهما بعينهما المُعادِلان الرَّمْزيَّان للضَّعْف العربيِّ، الذي ما زال يسترسل في الصُّمُود على ضفاف أحلام اليَقَظة؛ طالبًا من شطآنها أن تمدَّه بمزيد معجزاتٍ انتهى تبدِّيها العيانيّ في الواقع؛ وَحَقَّ للمُثقَّف أن يستنكر بالرَّمْز، على آلهة شعره، الدَّاخِلين في إطار الحاكميَّة، هذا الخَوَرَ المشهود في الآفاق: "**هَلْ يَنْصُرُونَكُمْ أَوْ يَنْتَصِرُونَ** ؟!"؛ إنكارًا عليهم هزيمة الدَّوَاخِل بانتظار الإعجاز الخَارق للعادة؛ كيما ينتشل العُرُوبة من ضعفها المُقِيم.

ثُمَّ إنَّ التَّناصَّ الوَاعِي مع القرآن الكريم؛ ليُجسِّد حالةً موقفيَّةً أخرى، تتجلَّى في قوله تعالى: ﴿ **وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) ﴾**(٢)؛ وفي ذلك استبطانٌ لموقف المُثقَّف من البَغْي المُستفحِل على مُتبدِّي "الخَريطَة"، بوعد النَّصْر الذي يردُّ كُلَّ باغٍ عنيدٍ.

وَيُجلِّل الحِسُّ الثَّوْريُّ تضاعيف الخِطَاب؛ لِيَعْبُرَ الشَّاعِر إلى ملمحٍ آخر من التَّجلِّي الدِّينيِّ المفقود، وهو الذي افتقر إلى حضوره في ذاكرة الأنا، فيقول(٣):

أنا ساعة الصَّقْر

جئت أقول:

أحاصرهم قاتلاً أو قتيل

أُعِدُّ لهم ما استطعتُ .. وَينشقُّ في جثَّتي قمرُ المرحلةْ

وَأمتشق المقصلةْ

أحاصرهم: قاتلاً أو قتيل

وَأنسى الخلافة في السَّفَر العربيِّ الطَّوِيل

إلى القمح وَالقُدْس وَالمستحيل

...

وما زلنا نلمح مُؤسِّسات الصُّعُود الثَّوْريِّ بالخِطَاب، على سبيلٍ يُعانِق فيه المُثقَّف أُهْزُوجَة الشَّهَادَة، التي باتت مُعتلِقةً بإعداد القُوَّة، المُحِيل إلى الاستلال النَّصِّيِّ الوَاعِي من القرآن الكريم،

---

1) **سُورَةُ الشُّعَرَاءِ**، الآيَات: ٩١ ــ ٩٣.
2) **سُورَةُ الشُّورَى**، الآيَة: ٣٩.
3) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ١٩٢.

المُتَمثِّل في قوله تعالى: ﴿ **وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لا تُظْلَمُونَ (٦٠)** ﴾[1]، وجاءت الفَاعِلِيَّة مُستتِرةً وجوبًا بتقدير "أَنَا"؛ مِمَّا يَشِي بتمثُّل المُثقَّف الوجهة الدِّينيَّة القرآنيَّة، في مُقارَعة الخُصُوم الألدَّاء؛ لتغدو جُثَّته في بوح انشقاق قمر المرحلة، في أسمى مَرَاتِب الشَّهَادَة على "**المقصلة**".

وَيبتني الشَّاعِر من حصاره حصارًا آخر، يُطيق فيه على المُحتَلِّ بخِطَاب الشِّعْر، المُستنِد إلى تأصيل الدِّين، في ترسيخ قُوَّة الإرهاب، على نحوها الإيجابيِّ المُرتبِط بالمُقاوَمَة، وَهي الوَاقِعة في دائرة المُشْكِلِ، غير المُنْمَاز عن الإرْهَاب، في الرُّؤْيَة الدَّوْلِيَّة للمُقَاوَمة الفلسطينيَّة[2]، ثُمَّ يمتدُّ بحصاره ليشمل القَتِيل؛ تأكيدًا منه على انتفاء الانتماء؛ فكلُّهم واقعٌ في دائرة الاغتصاب، من خلال مُواقَعة الفعل النَّاجِز على الأرض المُستَلبة.

وفي وسط هذه اللُّجَّة المُستحِيلة طريقًا مُعبَّدةً بالدِّمَاء، يُدرِك المُثقَّف بموقفه الدِّينيِّ الصَّارِخ، أهمِّيَّة الخِلافَة الإسلاميَّة، باعتبارها وسيلة السُّلْطة الدِّينيَّة، في تحقيق نفوذ السُّلْطة السِّياسيَّة، حينها يُصرِّح دَرْويش بنسيانه إيَّاها، وقد استطال "**السَّفَر**" إلى أسفارٍ طويلةٍ مُتفرِّقةٍ، اتَّجهت كلُّها صوب "**الْقَمْح وَالْقُدْسِ**"، وقد قرأنا بـ"**الْمُسْتَحِيلِ**"؛ تأكيدًا على استحالة العودة إلى الوطن، مع اتِّجاه المُهَجَّرين إلى غير معلومٍ، في المساحة الجغرافيَّة العريضة لعوالم الكون، كما استحالت الخِيَام بناءً مُؤقَّتا، في مُخيَّماتٍ قابعةٍ على مقربةٍ من الوطن؛ مِمَّا يعني أنَّ الشَّاعِر أراد النِّسيان في صورة البناء للمجهول، على جهة "**أُنْسِيَ**".

ولا يسع القَارِئ هنا إلا إدراك مدى الإيقاظ النَّقْديِّ الضِّمْنيِّ، الذي اختزلته هذه الكلمة المفتاحيَّة؛ للدَّلالة على حالةٍ عربيَّةٍ مقيمةٍ، لن تعود بها الخِلافَة إلى سابق القُرُون الخيريَّة الأولى،

---

[1] **سُورَةُ الأَنْفَالِ**، الآيَة: ٦٠.

[2] يُنظَر: فَوْزِي، طَارِق، (٢٠٠٧م)، **عَصْرُ الْمُقَاوَمَةِ ــ الْمَفْهُومُ ــ الأَهْدَافُ ــ الأَسَالِيبُ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الأَحْمَدِيِّ للنَّشْر، ص٢٩٤ ــ ٣٠١، (وَثِيقة مَفْهوم الإِرْهَاب وَالمُقَاوَمة، التي وضعها بعض المُفكِّرين العَرَب، في ٥ دِيسمْبر ٢٠٠١م، بعد هَجَمَات ١١ سِبتمْبر ٢٠٠١م)؛ وَيُنظَر: الزّيديِّين، نَوَّاف مُوسَى، (٢٠٠٨م)، الإِرْهَابُ وَالْمُقَاوَمَةُ فِي ظِلِّ الْقَانُونِ الدَّوْلِيِّ الْعَامِّ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، سِلْسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٣(٥)، ص١٥١ ــ ١٨٤؛ وقد استجلى مجموعةٌ من الباحثين المُقَاوَمة باعتبارها حقًّا مشروعًا، يُنظَر: عزّ الدِّين، د. فَايز، (صَيْف٢٠٠٧م)، الْمُقَاوَمَةُ ــ دِفَاعٌ عَنِ الذَّاتِ "وَكَيْنُونَةِ الأَرْضِ" وَالْوُجُودِ ــ قِرَاءَةٌ فِي: التَّارِيخِ، وَالْوَاقِعِ، وَالآفَاقِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٠)، ص٤١ ــ ٤٤؛ وَحَول حَقِّ المُقَاوَمَة وَالدِّفَاع عن النَّفْس، الذي كفلته الشَّرَائِع وَالمُعَاهَدَات الدَّوْلِيَّة، مع التَّمييز بين المُقَاوَمَة وَالإِرْهَاب، يُنظَر: زكَرِيَّا، د. جَاسِم مُحمَّد، (صَيْف٢٠٠٧م)، حَقُّ الْمُقَاوَمَةِ ــ أَصَالَةُ النَّشْأَةِ وَشَرْعِيَّةُ الاسْتِمْرَارِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٠)، ص٥٤ ــ ٧٨؛ وَبِخُصُوص اتِّصَال الإرادة بِالمُقَاوَمَة، يُنظَر: قَسَّام، يَحْيَى سُلَيْمَان، (صَيْف٢٠٠٧م)، الإِرَادَةُ فِي استراتِيجِيَّةِ الْمُقَاوَمَةِ وَالتَّحْرِيرِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠)، ص١٥٧ ــ ١٦٤.

بما تضمَّنته الوُعُود المسفوحة على مذابح دماء النَّكبات وَالنَّكسات المُتجدِّدة دومًـا، فـي حيـاة الإنسان الفلسطينيِّ بخاصَّة والعربيِّ بعامَّة.

ويغدو استيحاء تجربة الرُّسُلِ ــ على ما في هذه الكلمة من تعبيرٍ معنويٍّ فـضفاضٍ، فـي مذهب دَرْوِيش الشِّعْريِّ؛ بوصفها كلمةً جامعةً لِكُلِّ فكرةٍ سامقةٍ، مُعتلِقةٍ بِسُمُوِّ الإنسان فوق أرض آبائه وَأجداده ــ ملمح إعزازٍ لأصول الحُرِّيَّة وَالعَدَالَة؛ وهنا تكمن رسالة المُثقَّف فـي صـورة الرُّسُل الحَائِرين أمام الرَّماديِّ؛ فيقول([1]):

طريق دمشق

دمشق الطَّريق

وَمُفتَرَق الرُّسُلِ الحَائِرين أمام الرَّماديّ

...

إنَّها رماديَّة الصُّورة حين تشتمل بالسُّمُوِّ وَالدُّون؛ فقد تزامنت المَجْمُوعَة المُتـضمِّنة هـذه القصيدة "**مُحَاوَلَة رقم ٧**"، مع انتصار (**١٩٧٣**)م، الذي لم يكن انتصارًا شـاملاً، عـادت بـه الأراضي العربيَّة المُحتلَّة إلى سِيَادَة دولها، وإنَّما اقتصر على مساحةٍ محدودةٍ في سِينَاء، وهـذا الذي لن يأتي به وعد السَّمَاء، وَما فَتِئَ العرب يُراوحِون أمكنتهم، التي لا يسعهم معهـا سـوى الاحتفاء بتمجيد النَّصْر في استباق التَّقدُّم بنقيضه، على الأرض الدَّاخِلة فـي وطـن العُرُوبـة، والنَّصر ــ حينئذٍ ــ جِدُّ بعيدٍ، ما دامت القوى الطَّامِحة تُعْمِلُ مخالبها باسـتحكام ربيبتهـا فـي المنطقة.

وهذه الصُّورة السَّوْداويَّة، التي قرأها دَرْوِيش في التَّخاذُل العربيِّ بعامَّة، على ما احتشد فيها من حماسة القول القرآنيِّ الفَصْل: "**يَنْتَصِرُون**"؛ لتُعبِّر عن الصُّورة الرَّماديَّة، بالتئام اللَّوْنَيْن، فـي واقعَيْن مُصطَرعَيْن، في نطاق العُرُوبة، التي لن يستقيم حالها إلا بتمايُزهما؛ ليتكشَّف الأبـيض فيهما عن نصرٍ مُشْرِقٍ جَلِيٍّ.

وقد أضحى هذا اللَّوْن داخلاً في إطار المُكوِّنات الكُبْرى، للظَّاهِرة الرَّمْزِيَّة، عند دَرْوِيش؛ إذ نراه مُلاحِقًا إيَّاه من المُبتَدأ حتَّى المُنتهى، ومع حضوره يغدو الـشَّاعِر رَهِـين اليـأس وَالألـم وَالحيرَة، التي أسلمته في سياقاتٍ شعريَّةٍ عديدةٍ إلى الظَّاهرة السُّكُونيَّة، حين يقف على مُفتَـرق المواقف؛ فيغدو حائرًا بين الفِعْل وَعدمه([2]).

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأوْلَى**، ٢: ١٩٤.

[2]) عبَّرت البَاحِثة د. فَاطِمَة جَاسِم عن هذه الظَّاهِرة بـ"ثُنَائيَّة السَّاكِن/ المُتحرِّك"، ضمن دراستها الصُّورَة الفنِّيَّة، في مَجْمُوعة "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"، يُنظَر: جَاسِم، د. فَاطِمَة عِيسَى، (شباط٢٠٠٣م)، الصُّورَةُ الفَنِّيَّةُ فِي مَجْمُوعَـةِ=

وَينطلق الشَّاعِر في رحلةٍ دينيَّةٍ لصيقةٍ بالأثر المسيحيِّ، حين يُقرِّبه من دِمَــشق شــاهدان: العدوُّ ومَوْتُهُ، فيقول([1]):

وصرتُ أرى الشَّام ... ما أقربَ الشَّامَ منِّي

وقد قلتُ شيئًا، وأكملُهُ:

كاهنُ الاعتراف ساومني يادمشقُ

وقال: دمشق بعيدةٌ

فكسَّرتُ كرسيَّهُ، وَصنعتُ من الخشب الجبليِّ صليبي

أراك على بُعْدِ قلبَيْن في جسدٍ واحدٍ

وكنتُ أطلُّ عليك خلال المسامير

كنتِ العقيدةَ

وَكنتُ شهيد العقيدةْ.

وَكنتِ تنامين داخل جرحي

وَفي ساعة الصِّفْر، تَمَّ اللِّقاء

وَبين اللِّقاء وَبين الوداع

أُودِّع موتي ... وَأرحلُ.

ما أجملَ الشَّامَ، لولا الشَّامُ، وَفي الشَّامِ

يبتدئ الزَّمن العربيُّ وينطفئ الزَّمن الهمجيُّ

أنا ساعة الصِّفر دقَّتْ

وَشقَّتْ

خلايا الفراغ على سطح هذا الحصان الكبير الكبير

الحصان المُحاصَر بين المياه

وبين المياه

أُعِدُّ لهم ما استطعتُ

وينشقُّ في جثَّتي قمرٌ ... ساعةُ الصِّفْر دقَّتْ،

وفي جثَّتي حبَّة أنبتت للسَّنابلِ

سبع سنابلَ، في كُلِّ سنبلةٍ ألفُ سنبلةٍ ...

=(أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا) لِمَحْمُود دَرْوِيش، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَــرَب بدِمَــشق، (٣٩٤)، ص١١ ــ ٢٣.

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ١٩٩، ٢٠٠.

هذه جثَّتي .. أفرغوها من القمْح ثُمَّ خذوها إلى الحربِ
كي أنهي الحَرْب بيني وَبيني
خذوها، أحرقوها بأعدائها
خذوها ليتَّسع الفرق بيني وَبين اتِّهامي
وَأمشي أمامي
وَيُولَد في الزَّمَن العربيِّ ... نهار.

لقد حضرت الأنا الدِّينيَّة في مُقابِل الآخر الدِّينيِّ؛ لتشتمل الصُّورة بِكُلِّ دواعي التَّحدِّي وَالمُواجَهة، وقد غدا "**كَاهِنُ الاعْتِرَافِ**" مُعبِّرًا عن حالةٍ سلبيَّةٍ؛ استحالت بها دِمَشق بعيدة المنال، وهي قد قربت من الشَّاعِر قبلاً؛ ومجال السّلبيَّة قائمٌ في الفِعْل المُستلِّ من المُعجَم السِّياسيِّ الأمنيِّ "**سَاوَمَنِي**"؛ أمَّا الفِعْل المُقابِل له، فواقعٌ من الصَّرْف في صنف أفعال المُطاوَعة، على وزن "فعَّل"؛ ليكون التَّكْسير مُعَبِّرًا عن الانتفاضة الثَّوْريَّة، على كُلِّ ما من شأنه إضعاف روح المُقاوَمة في جواه.

وَيصطنع الشَّاعِر منه في الأثر صليبه، الذي غدا مُعادِلاً رمزيًّا "**للمُثقَّف الشَّهيد**"، حين تكسَّرت على عتبات حماسته كُلُّ الأحلام الصُّهيونيَّة الكَاذِبة، وَالصَّلِيب في هذا السِّيَاق جامعٌ لثنائيَّة الوَهْم اليهوديِّ وَالألم المسيحيِّ، وبينهما كان الشَّاعِر يطلُّ من "**خِلالِ الْمَسَامِيرِ**" على المدينة العربيَّة؛ لغاية ترقُّب لقاء القلبَيْن في الجسد العربيِّ الواحد؛ فكانت لُبَّ العَقِيدة، وأضحى حبُّها من أجَلِّ مراتب الإيمان ببارئها، وصار المُثقَّف شهيدها.

وقد تعزَّى مَحْمُود دَرْوِيش، في جميع المَراحِل بالصَّلِيب "(رَمْز العَذَاب ــ رَمْز التَّضْحية ــ رَمْز الصَّبْر وَالجِهَاد ــ رَمْز المُقاوَمة)، الإحساس بالقَيْد وَالأغلال وَالغُرْبة، التي حاول بعضهم أن يُزِيلوها بالوُقُوف على أطلال قُرَاهم الممسوحة المُهدَّمة، ذكريات "أيَّام الهَنَا" قبل النَّكْبة الأولى، انتظار شيء غامض، ذهول لما حدث. لعلَّنا نختصر هذا الشُّعُور، بعنوانٍ لأحد دواوين مَحْمُود دَرْوِيش، كان الشُّعَراء "عَصَافِيرَ بِلا أَجْنِحَةٍ""[1].

وَلَم يزل دَرْوِيش يُمهِّد للزَّمَن العربيِّ الجَدِيد، وَيستلُّ له من نصِّ القرآن أجلَّ آيه؛ وغايته في ذلك استيحاء كُلِّ المُؤثِّرات الدِّينيَّة، في حرب العقيدة المُؤسَّسة على أطماع الصُّهيونيَّة، بالمُقدَّسات اليهوديَّة المزعومة، في فلسطين وقُدْسها.

---

[1]) ملحس، ثُرَيَّا عبد الفَتَّاح، (١٩٧٠م)، **مُقدِّمَةُ الأدَبِ الفِلَسْطِينِيِّ المُعَاصِر فِي المَعْرَكَةِ**، (د. م): (د. ن)، ص١٣، ١٤.

وَالصُّهْيونيَّة من حيث مفهومها المُتَّصِل بما سبق؛ أُخِذَتْ "من (صهيون)، وهو أحد جبال القُدْس، وهي فكرةٌ يهوديَّةٌ، وَدينيَّةٌ، وَسياسيَّةٌ؛ أَمَّا هدفها؛ فهو الاستيلاء على فلسطين، وَتوطين اليهود فيها، وَإعادة تشكيل "هَيْكل سُلَيْمَان" مكان المسجد الأقصى المُبَارك، وقد كانوا يطمحون أن تمتدَّ دولتهم من "الفُرَات إلى النِّيل" ..."([1]).

وَينطق الشَّاعِر حينئذٍ بقوله ﷻ: ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ... ﴾([2])، وتنشقُّ جُثَّته عن قمرٍ مبينٍ ساعة الصِّفْر، وفي دقَّاتها تنتفض الجُثَّة حبَّة قمحٍ "**أَنْبَتَتْ لِلسَّنَابِلِ سَبْعَ سَنَابِلَ، فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ أَلْفُ سُنْبُلَةٍ**"، وهي بعينها الصُّورة القرآنيَّة بمضمونها الإجماليِّ، ممثَّلة في قوله ﷻ: ﴿ **مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٢٦١)** ﴾([3]).

وبذلكم يكون الشَّاعِر قد استحضر صورة المُضاعَفة للسَّنابل، على وجه البِنَاء الرَّقميِّ المُضَاعَف في القرآن الكريم؛ لتحمل في حبَّاتها عامل الإحياء للأرض/ الأمومة، وتكون جُثَّته نهبًا للحرب المصطرعة في دواخله؛ علَّها بلظاها تحرق الأعداء؛ فيتَّسع الفارق بينه وبين اتِّهام التَّخاذُل، وَيتكشَّف الزَّمان العربيُّ عن نهارٍ، تركه الشَّاعِر بلا توصيفٍ؛ كيما يُعطِي للمُتلقِّي فرصة التَّأويل على وجهاتٍ مُتنوِّعةٍ.

وَيمكننا أن نلمح الأثر الدِّينيَّ المسيحيَّ، في صورة العقيدة المُتمثِّلة في الشِّعْر؛ لغاية التَّعْبير عن موقفٍ ثقافيٍّ في القضيَّة السِّياسيَّة الأمِّ، وحينها يتبدَّى الصَّلِيب مثالاً حيًّا على حالة الفِداء، وإن كانت صلبانه قد تعدَّدت في كُنْهِ مادَّتها، فإنَّها ــ بلاريبٍ ــ دليل تمثُّل واعٍ للمَوْروث الدِّينيِّ المسيحيِّ بغير سبيلٍ؛ وقد أشار سعدي أبو شاور إلى صلبان الغَضَب، وَصلبان الألَم، وَصلبان الخَشَب، وَالصَّلْب على النَّار، وَالصَّلْب على الحَجَر([4]).

كما تأثَّر الشَّاعِر ببعض القضايا المُتأصِّلة، في أسس العقيدة المسيحيَّة، من مثل: الخَلاص وابن الله وَيسُوع وَالحياة بعد الموت لمن آمن بالمَسِيح عليه السلام([5]).

---

[1]) قسطنطين، خمار، (كَانُون الأوَّل١٩٦٤)م، **المُوجَزُ فِي تَارِيخ القَضِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَنْشُورات المَكْتب التِّجاريِّ للطِّبَاعَة وَالتَّوْزِيع وَالنَّشْر، ص٣١، ٣٢؛ وَيمكن الاطِّلاع على شَوَاهِد الصُّهيونيَّة، يُنظَر: **نفسه**، ص٣٢، ٣٣.

[2]) **سُورَةُ الأَنْفَالِ**، الآيَة: ٦٠.

[3]) **سُورَةُ البَقَرَةِ**، الآيَة: ٢٦١.

[4]) يُنظَر: أَبُو شَاوَر، سَعْدِي، (٢٠٠٣م)، **تَطوُّرُ الاتِّجَاهِ الوَطَنِيِّ فِي الشِّعْر الفِلَسْطِينِيِّ المُعَاصِرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العربيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٣٩.

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ص٤٠.

أمَّا "**الأثَرُ التَّوْرَاتِيُّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش**"؛ فقد تصدَّى له الـدُّكتور عُمَـر الرّبيحـات، وخلص في ذلك إلى جملةٍ من النَّتائج؛ أهمُّها: "أنَّه قد توحَّد في كثيرٍ من أشعاره مع هذه الرُّمُوز، وجعل منها النَّاطِق الشَّخْصيَّ عن مُعانَاته وَآلامه؛ إذ جعلها تبثُّ أحزانه وَغُرْبته وَصبره وَشكواه على مدى تجربته الشّعْريَّة ..."([1]).

وَوجد دَرْوِيش "في هذه الرُّمُوز وَالشَّخصيَّات ما يُعبِّر عن الذَّات الفلـسطينيَّة أوَّلاً، وَعـن الذَّات الدَّرْويشيَّة ثانيًا؛ وَذلك لأنَّ هذه الشَّخصيَّات وَالرُّمُوز التَّوْراتيَّة، قـد عانـت مـن الظُّلْـم وَالغَطْرسة وَالقَهْر اليهوديِّ الإسرائيليِّ على مدى التَّاريخ في العَهْد القَدِيم، فأخذها الشَّاعِر مثـالاً حيًّا للتَّعْبير عن نفس المعاني في هذا العَصْر، فيُصورِّ من خلالها ظُلْـم اليَهُـود وَغطرسـتهم وَقهرهم للإنسان الفلسطينيِّ اليوم، وَسلبهم لأرضه وَحُرِّيَّته وَإرادته"([2]).

وَللتَّناصِّ أن يحضر، على جهة الاستلال الوَاعِي من المصادر الدِّينيَّة الثَّرَّة، فـي تبـدِّيها الثُّلاثيِّ: الإسلاميِّ وَالمسيحيِّ وَاليهوديِّ، بِطرائق المُباشَرة وَالاستيحاء وَالاحتفاء بـالأثر؛ أمَّـا الأصُول المُسْتَقَاة على ارتدادها للجُذُور الثُّلاثيَّة السَّابقة، فإنَّها غدت حالةً مفتوحةً من الاسـتلال للنُّصُوص وَالشُّخُوص وَالطُّقُوس، فضلاً عن الأماكن التي احتضنت شعائر الدِّيَانَات الـثَّلاث([3])، ([4]).

---

[1]) الرّبيحات، د. عُمَر أحْمَد، (٢٠٠٦م)، **الأثَرُ التَّوْرَاتِيُّ فِي شِـعْرِ مَحْمُـود دَرْوِيـش**، (د. ط)، عمَّـان: دَار اليَازُورِيّ العِلْميَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٥١، (الخَاتِمة).

[2]) **نفسه**، ص٢٥٢؛ وَللاطِّلاع على سَائِر النَّتَائِج، يُنظَر: **نفسه**، ص٢٥١ ــ ٢٥٦، (الخَاتِمة).

[3]) في استحضار الرُّمُوز الدِّينيَّة، عند مَحْمُود دَرْوِيش، وَغيره من الشُّعَرَاء، في وحي انتفاضة الأقـصَى عـام (٢٠٠٠م)، يُنظَر: السُّلْطان، مُحمَّد فُؤَاد دِيب، (يَنَاير ٢٠٠٤م)، استِحْضَارُ الرُّمُوزِ الدِّينِيَّةِ وَتَوْظِيفُهَا فِـي شِـعْرِ انْتِفَاضَةِ الأقْصَى عَام ٢٠٠٠م، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٢(١)، ص١٢٧، ١٢٨، (تَحْليل قَصيدة "مُحمَّد")؛ ص١٢٩ ــ ١٣٢، (تَحْليل قَصيدة "القُرْبَان").

[4]) يمكننا أن نطالع بعض النَّمَاذِج الرَّئيسيَّة، الدَّالَّة على أثر الدِّيانات الثَّلاث، مع حُضُور كثرةٍ كاثرةٍ من الصُّوَر الجزئيَّة، في ثنايا قصائد أخرى؛ يُنظَر في الأثَر الإسلاميِّ: دَرْوِيش، **الأعْمَـالُ الْجَدِيـدَةُ الْكَامِلَـةُ**، ١: ٣٢٠ ــ ٣٢٣، (القَصِيدَة الثَّالثة: "حِبْر الغُرَاب"، من سلسلة "فَضَاء هَابيل"، في مَجْمُوعَة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِـصَانَ وَحِيـدًا"، وَفيها تناصٌّ قرآنيٌّ مضمونيٌّ مع قصَّة قَابيل/ القَاتِل وَهَابيـل/ القَتِيـل)؛ وَيُنظَـر: **نفـسه**، ١: ٣٣٩ ــ ٣٤١، (القَصِيدَة الثَّانية: "كَالنُّون فِي سُورَةِ الرَّحْمَن"، من سلسلة "فَوْضَى عَلَى بَابِ القِيَامَةِ"، في مَجْمُوعَة "لِمَاذَا تَرَكْـتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أنَا الدِّينيُّ، رافع الهمِّ الجَمْعيِّ إلى الله ﷻ)؛ وَيُنظر في الأثَر المـسيحيِّ: دَرْوِيـش، **الأعْمَـالُ الأولَى**، ١: ١٨٠، ١٨١، (القَصِيدَة الثَّانية: "٢ ــ أُغْنِيَةُ حُبٍّ عَلَى الصَّلِيبِ"، من سلسلة "تَحْتَ الشَّبَابِيكِ العَتِيقَةِ ــ إلَى مَدِينَةِ القُدْس"، رمزيَّة الصَّلِيب لحالة الفِدَاء)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٢١٠ ــ ٢١٣، (قَصِيدَة "أُغْنِيَة سَاذَجَة عـن الصَّلِيب الأحْمَر"، وَفيها إيقاظٌ نقديٌّ لوظيفة مُنظَّمة الصَّلِيب الأحْمَر الدَّوليَّة، مع تجسيد المُفَارَقَة اللَّوْنيَّـة، بـين حالتي الفِدَاء وَالضَّيَاع)؛ وَيُنظَر في الأثَر اليَهُوديِّ: دَرْوِيـش، **الأعْمَـالُ الأولَـى**، ١: ٣٠٢ ــ ٣٠٤، (قَـصِيدَة "المَزْمُور الحَادِي وَالخَمْسُون بعد المائة"، من مَجْمُوعَة "العَصَافِير تَمُوتُ فِي الْجَلِيلِ")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٣ ــ ٤٦، (سلسلة "مَزَامِير" المُكوَّنة من أحَدَ عَشَرَ مزمورًا، من مَجْمُوعة "أحبُّكِ أوْ لا أحبُّكِ"، وَفيها تقاطعٌ مع بعـض الملامح الأسطوريَّة)؛ وَيُنظَر: **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٣١١ ــ ٣١٥، (القَصِيدَة الأولَى: "عُودُ إسْـمَاعِيل"، من سلسلة "فَضَاء هَابيل"، في مَجْمُوعَة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الحِصَانَ وَحِيدًا"، وَفيها اختتمت المقاطع السِّتَّة للقَصِيدَة، على سبيل التَّرْنيم الدِّينيِّ اليَهُوديِّ).

وقد تَخِذَ دَرْوِيش الأسطورة، في التَّعْبير عن الظُّهُور الدِّينيِّ للأنا، وَتكفينا هنا الإلماحات النَّابِضة بوحي الصُّورَة. وَمِمَّا يستأهل التَّوقُّف المُتأنِّي في هذا المقام، التَّوْظيف الدِّينيُّ المقصود للأسطورة، بوصفه قيدًا كُلِّيًّا مُعبِّرًا عن صورة الأنا الدِّينيَّة، تجليًّا في الشِّعْر، ومن ذلك قول دَرْوِيش في شأن "أنات"، مُسائِلاً أباه في قصيدة "**حَجَر كَنْعَانيّ في البَحْر المَيِّت**"، من مَجْمُوعَة "**أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، الصَّادِرة سنة (١٩٩٢)م([1]):

... كَمْ مَرَّةً

سَأَمُوتُ فَوْقَ فِرَاشِ امْرَأَةِ الأسَاطِيرِ الَّتِي

تَخْتَارُهَا "آنَاتُ" لِي، فَتَشُبُّ نَارٌ فِي الْغَمَامِ

فالشَّاعِر يُكرِّس في الأشطار السَّابِقة عقيدة الفِدَاء لإلهة الأمُومة "أنات"، لكنَّ جهة الإنكار في الاستفهام المُوجَّه للأب، لم تكن اعتراضًا على حالة الفِدَاء تلك، وإنَّما على الموت اليوميِّ العَبَثِيِّ، الذي بات يُلاحِق الفلسطينيَّ المُهجَّر في المَنَافِي وَالمُخَيَّمات.

وقد عبَّر دَرْوِيش عن الوظيفة الدِّينيَّة للشِّعْر، في التُّرَاث الأسطوريِّ القَدِيم، مُستوحيًا إيَّاها في مقام مُنَاجَاة الأمُومة / الأرض، من خلال قَصِيدَة "**أطوار أنات**"، في مَجْمُوعَة "**لماذا تركت الحصان وحيدًا**"، التي صدرت سنة (١٩٩٥)م، إذ يقول([2]):

الشِّعْرُ سُلَّمُنَا إلَى قمرٍ تُعَلِّقُهُ أناتُ

على حَدِيقتها، كمرآةٍ لعُشَّاقٍ بلا أمَلٍ، وتمضي

في براري نفسها امرأتَيْن لا تتصالحان:

هُنَالِك امرأةٌ تُعِيدُ الماءَ للينبوع،

وَامرأةٌ تقود النَّارَ في الغاباتِ،

وَليس من سبيلٍ إلا التَّصْريح في وحي الأشطار السَّابِقة، بانضوائها تحت الميثولوجيا الأسطوريَّة القديمة؛ حيث تتجلَّى الوظيفة الدِّينيَّة للشِّعْر، بوصف الشَّاعِر رَافِع الهمِّ الجَمْعيِّ إلى الأمومة الكُبْرى "**أنات**"، وَهي من هذا الباب ترسيخ لكنعانيَّة التُّرَاث وَالأرْض، في وجه كُلِّ مُحاوَلات التَّهْوِيد القَائِمة، وقد جاء ذلك كلّه منسوبًا إلى جمعيَّة التَّعْبير عن الفاعليَّة في "**سُلَّمنا**"، وَاستتر الشَّاعِر في تضاعيف التَّعْبير الجَمْعيِّ؛ لتعميق حالةٍ أسمى من تمثُّل النَّماذِج الدِّينيَّة

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٣١٦، ٣١٧.

[2]) دَرْوِيش، مَحْمُود، (كَانُون الثَّانِي/ يَنَاير٢٠٠٩م)، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، (ط١)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر، ١: ٣٥٣.

الأسطوريَّة العُلْيا، في العالم الواقعيِّ؛ حيث الجَمْع المُلتئِم على ألمٍ واحدٍ، بمقصد الخَلاص المُوحَّد.

ثُمَّ إنَّ في المُستَهلِّ استدعاءً لترميزٍ أسطوريٍّ كوكبيٍّ واضح الدَّلالة على "**أنات**"، ذلكم هو القمر، الذي كان موطن ثنائيَّة الاعتقاد عند الشُّعُوب السَّامِيَّة؛ إذ كان رمزا للأمومة الكونيَّة، ثُمَّ "توَّجت الثَّقافة الذَّكريَّة انتصارها بإجلاء عِشتَار عن القمر، وَإعطائها كوكب الزُّهْـرَةِ، ثالِث الأجرام المُنِيرة في السَّمَاء؛ وَصار القمر تَجسِيدًا لإلهٍ مُذكَّرٍ هو الإله "سن" في بلاد الرَّافِدَيْن وَأشباهه في الثَّقافات الأولى"([1]).

كما نلمح في الصُّورة الإجماليَّة إبانةً مهمَّةً عن وجهي الأمومة الرَّئيسيَّيْن؛ المُتمثِّلَيْن في الوَجْه الإخصابيِّ المُشْرِق؛ المُعبِّر عن النَّعِيم؛ وَالوَجْه التَّدْميريِّ المُظْلِم؛ المُعبِّر عن العَذاب المُقِيم، وفي الوَجْه الأوَّل كانت الأمومة "**امْرَأةٌ تُعِيدُ الْمَاءَ لِلْيَنبُوع**"، بينما ظهرت في الوَجْه الآخر "**امْرَأةٌ تَقُودُ النَّارَ فِي الْغَابَاتِ**"، وقد انعكست هذه الثُّنائيَّة على الشَّاعِر، الذي بات رَهِينَ حالتَيْن لامرأتَيْن لا تتصالحان؛ وَهما تُؤشِّران للحَالة الفلسطينيَّة بكليتها، التي عُلِّقت آمالها بين السِّلْم وَالحَرْب.

وَيمضي الشَّاعِر في هذه القصيدة، على وحيٍ من الأسطورة، مُستَلاً من أساطير "**نُزُول عِشْتَار إلى العَالَم السُّفْلي**" مضمونًا، عقد عليه جُلَّ معاني القصيدة، المُعبِّرة عن حالةٍ من التَّناقُض الفعليِّ على مستوى الإلهة، ومن ثمَّ الشَّعْب المُصْطلِي بنيران الحروب، وَالمُكبَّل بوُعُود السَّلام([2]).

وَقد تضمَّن المَوْروث الدِّينيُّ السُّومريُّ، ملمحة "**نُزُول إنَانَا إلى العَالَم السُّفْلِيِّ**"، وَهي حاضرةٌ في الميثولوجيا الكنعانيَّة. وقامت الملحمة على أصلٍ مضمونيٍّ مُتمثِّلٍ في تضحيتها بنُزُولها إلى العالم السُّفْليِّ؛ كيما تحكم "عَالَم المَوْت"؛ مِمَّا أسلم "عَالَم الأحْيَاء" إلى اليَبَاب([3]).

---

1) السَّوَّاح، فِراس، (١٩٩٦م)، **لُغْز عِشْتَار ــ الأُلوهَةُ المُؤنَّثَةُ وَأصُولُ الدِّينِ وَالأسْطُورَةِ**، (ط٦)، دِمَشق: دَار عَلاء الدِّين، ص٩٨؛ وَفي عِبَادة الإله (سن / القَمَر) في بِلاد الرَّافِدَيْن، يُنظَر: دِيلابُورت. ل، (١٩٩٧م)، **بِلادُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ــ الْحَضَارَتَانِ الْبَابِلِيَّةُ وَالآشُورِيَّةُ**، تَرْجَمة: محرم كَمَال، (ط٢)، القَاهِرة: الهَيْئَة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب، ص١٤٢؛ وَلمُطَالعة اجتماع القَمَر بوصفه إلهًا مُذكَّرًا، وَالشَّمْس بوصفها إلهةً مُؤنَّثةً، مع الابن الزُّهْـرَة، في فِكْر عَرَب الجَنُوب، يُنظَر: الحميد، د. جَوَاد مَطَر، (١٩٩٥م)، الإلَهُ الزُّهْرَةُ (الابْنُ) ــ دِرَاسَةٌ فِي الْمِيثُولُوجيا وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْيَمَنِيَّةِ الْقَدِيمَةِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٢٢(٦)، ص٣١٩٣؛ وَحَوْل تَبادُل الذُّكُورة وَالأُنُوثة في أُلوهَةِ الأمِّ الكَوْنيَّة، بين عَرَب الجَنُوب وَعَرَب الشَّمَال، يُنظَر: نيلسن، ديتلف وَآخرون، (١٩٥٨م)، **التَّارِيخُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ**، تَرْجَمة: فُؤَاد حَسَنِين عَلِيّ، مُرَاجَعة: د. زَكِي مُحمَّد حَسَن، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبَة النَّهْضة المِصْرِيَّة، ص٣٣٢.

2) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٣٥٣ ــ ٣٥٦.

3) يُنظَر: نُزُولُ عِشتَار إلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ، تَرْجَمة: سَلْمَان التَّكْريتيّ، **مجلَّة التُّرَاث الشَّعْبِيِّ**، (١١)، ص٥٥ ــ ٦٠؛ وَيُنظَر: عبد الحَكِيم، شَوْقي، (١٩٨٠م)، **الْحِكَايَاتُ الشَّعْبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ــ دِارَسَةٌ نَظَرِيَّةٌ مَيْدَانِيَّةٌ**، (ط١)،=

وأظهرت المقطوعة السَّابِقة الصِّلة الشِّعْريَّة بالأسطورة؛ "إذ ينبع كلاهما من تلك الخبرة الجَمْعيَّة العميقة الغامضة، الآتية من أولى الأفكار وَالتَّصوُّرات، التي راودت ذهن الإنسان البدائيِّ، والتي أنتجت النَّماذِج الأصليَّة الأولى في تاريخ البَشَر"([1]).

أمَّا "أنات مَحْمُود دَرْوِيش في هذه القصيدة؛ هي أنات الكنعانيَّة، وَهي أصل إنَانَا السُّومريَّة، وَعِشْتَار البابليَّة، وهي إيزِيس المِصْريَّة، وَأَفْرُديت الإغريقيَّة ... هي الآلهة الكُلِّيَّة الوحيدة للعصور الأموميَّة، ربَّة كُلِّ شيءٍ، قبل انتصار الذُّكُوريَّة، وَخلق الآلهة المُذكَّرة. أنات ربَّة الطَّبيعة، التي وَلَدَتِ الطَّبيعة، وروحها هي روح الطَّبيعة، أنات المنسجمة مع الطَّبيعة، على عكس آلهة المراحل الذُّكُوريَّة، التي ترى في الإله سيطرةً على الطَّبيعة، وفعلاً غاضبًا لها"([2]).

وقد يستوحي دَرْوِيش من "**التَّكْوين**"، مفصلاً مُهمًّا في قصيدته "**أيَّام الحُبّ السَّبْعَة**"، من مَجْمُوعَة "**لماذا تركت الحصان وحيدًا**"، فيقول في المقطع الثَّالِث([3]):

الخَمِيس: تكوين

وجدتُ نَفْسِيَ في نفسي وخارجها

وَأَنْتِ بَيْنَهُمَا المِرآةُ بينهما ...

تَزُورُكِ الأرضُ أحيانًا لزينتها

وَللصُّعود إلى ما سَبَّبَ الحُلُما.

أمَّا أنَا، فَبوُسْعِي أنْ أكونَ كما

تَرَكْتِني أمس، قُرْبَ الماءِ، مُنْقَسِما

إلى سماءٍ وَأرضٍ. آهِ ... أين هُمَا ؟

إنَّه حنين الاتِّحاد الأوَّل بين السَّمَاء / المُذكَّرة وَالأرض / المُؤنَّثة، في الأمس المُستَوحي اتِّحَادًا فريدًا، يعود به الخِصْب وَالنَّمَاء للعوالم الحياتيَّة كافَّةً([4])، وَيُعِيد الشَّاعِر فيه تشكيل عناصر

=بَيْرُوت: دَار ابن خلدون، ص٧٦؛ وَيُنظَر: القمني، د. سَيِّد، (١٩٩٢م)، **الأَسْطُورَةُ وَالتُّرَاثُ**، (ط١)، القَاهِرة: سِينَا للنَّشْر، ص٥٧.

[1] الحَاجّ صَالِح، د. مُحمَّد إبْرَاهِيم، (١٩٩٩م)، **مَحْمُود دَرْوِيش بَيْنَ الزَّعْتَر وَالصَّبَّار ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ**، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة، ص١٥٤؛ وَيمكن الاطِّلاع على التَّحْليل المِيثُولُوجيِّ للكَاتِب، في صلة شِعْر مَحْمُود دَرْوِيش بالأسْطُورة الأمُوميَّة، يُنظَر: **نفسه**، ص١٥٤ ــ ١٧٨.

[2] **نفسه**، ص١٥٤.

[3] دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ١: ٤١٠.

[4] يُنظَر في الأثَر الإخصابيِّ لِمُحَاكَاة زَوَاج الآلهة: الباش، حَسَن، (١٩٨٨م)، **المِيثُولُوجيا الكَنْعَانِيَّةُ وَالاغْتِصَابُ التَّوْرَاتِيُّ**، (ط١)، دِمَشق: دَار الجَلِيل للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٠٦، ١٠٧.

الصُّورة بأسلوبٍ جديدٍ، مُستدعيًا المُحاكَاة المُثْلى لأسطورة الزَّوَاج الإلهيِّ، فيقول في المقطع الخَامِس(١):

السَّبْت: زواج الحَمَام

أَصْغِي إلى جَسَدي: للنَّحْلِ آلِهَةٌ

وَللصَّهيل رَبَابَاتٌ بلا عَدَدِ

أنَا السَّحَاب، وَأَنْتِ الأرضُ، يُسْنِدُهَا

على السِّياج أنينُ الرَّغْبَةِ الأبديّ

أَصْغِي إلى جَسَدي: للموت فَاكِهَةٌ

وَللحياة حَيَاةٌ لا تُجَدِّدُهَا

إلاّ على جَسَدٍ ...يُصغِي إلى جَسَدِ

وَلَالأنا أن تتبدَّى بلبوسها الأسطوريِّ، على نحو الرَّغبة الأبديَّة، التَّوَّاقة للاتِّحاد الأزليِّ، بين سحائب السَّمَاء وَتُرَاب الأرض؛ حيث الإمطار الذَّكريُّ لأرض الأمومة، من خلال إصغاء الجسد للجسد، الذي به تتجدَّد دَوْرة الرَّبيع الكونيَّة(٢)، ويكون للشَّاعِر بهذا كلّه أن يدلَّ على قيمتي الحُرِّيَّة وَالاستقلال، المُكرَّستَيْن بحضور السَّمَاء وَالأرْض؛ وهو على ذلك يستدعي النَّتيجة الأخيرة للاتِّحاد الأسطوريِّ، في واقع التئامه مع رغائب الجماهير وسيِّدتهم الأرض.

وَيمكن أن نلمح هذا الاحتفاء بالزَّوَاج الإلهيِّ المُقدَّس، على سبيلي التَّصْريح وَالتَّلْميح، مع إيحائيَّةٍ بالغةٍ بالقيمة الجنسيَّة للطَّقْس الإخصابيِّ، على جهة الاتِّحاد الذي يُولِّد الخِصْب الكونيَّ العَمِيم، في غير موطنٍ، من أعمال الشَّاعِر الكَامِلَة.

وَتعتلق الأسطورة بالخيال، على وجهة إبانة الغَامِض، في كشفٍ كاملٍ لنهج المُثقَّف، الذي أراد من خلاله تبيان وجهة الرِّيح، وتتبُّع مساراتها في التَّبدِّيات الزَّمنيَّة المفصليَّة للشِّعْر، بوقع يُواكِب الدِّين؛ من حيث الخلاف الواقع بين الأنبياء وَالشُّعَراء، حول مكمن الاستعارة، وفي ذلكم

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٤١٢.

[2]) شَهدت المِيثُولُوجيا القَدِيمة طُقُوس الأعْيَاد الرَّبيعيَّة، التي تميَّزت بِالاختلاط دون ضَوَابِط؛ لغاية الإيحاء للأَرْض بأن تخرج عن تَحفُّظها في فَصْل الشِّتَاء، يُنظَر: ديورانت، ويل، (١٩٦٥م)، **قِصَّةُ الْحَضَارَةِ**، تَرْجَمَة: زَكِي نَجيب مَحْمُود، (د. ط)، القَاهِرة: الإِدَارَة الثَّقافيَّة، جَامِعَة الدُّوَل العَرَبيَّة، ١: ١١٢؛ كما اعتقد القُدَامى بأثر الاتِّحَاد الذَّكريِّ الأنثويِّ في مجالي البَشَر وَالنَّبَات، في استدعاء قيم الخُصُوبة وَالنَّمَاء؛ فكرَّسوا لذلك ممارساتٍ طقسيَّةً مختلفةً، يُنظَر: النُّوري، د. قَيْس، (١٩٨١م)، **الأَسَاطِيرُ وَعِلْمُ الأَجْنَاسِ**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة التَّعْليم العالي وَالبَحْث العلميّ، ص٧٧ ــ ٨٣، (الفَصْل الثَّالِث: الأساطير الدِّينيَّة ــ المَبْحث الثَّانِي: أساطير الجنس).

يقول دَرْوِيش، في قصيدته "**تِلال مُقدَّسَة**"، من المجموعة الشِّعْريَّة الأخيرة "**لا أُريدُ لهَذِي القَصِيدَة أنْ تَنْتَهِي**"(١):

... كلّ الأساطير

كانت وقوع الخيال على

غامض، وعلى جاذبيَّة سرّ:

إلى أين تمضي بنا الرِّيح ؟ فاختلف

الأنبياء مع الشُّعَراء على وجهة الاستعارة /

وَيلتفت الشَّاعِر بقصديَّةٍ مُطلَقةٍ ــ يُدركها من تتبَّع الخَيْط الدَّقِيق، الذي يربط بين كُلِّ المُعادِلات الموضوعيَّة، في خِطَابه الشِّعْرِيِّ ــ إلى الأسطورة؛ أمَّا قصدنا فينسحب على المرأة / الأمومة/ الأرض، لتتكشَّف تاليًا عن تقليباتها في عالم الميثولوجيا؛ من حيث الإطار الرَّمْزِيّ، الذي جسَّدها في السَّمَاوَات وَالأرْض، برموزٍ نباتيَّةٍ وَحيوانيَّةٍ وَلونيَّةٍ شتَّى، فضلاً عن علاقتها بالزَّبَدِ البَحْري(٢)، وَأساطير التَّخلُّق الأوَّليِّ، للمَشْهد الكونيِّ؛ وصولاً إلى مرحلةٍ من التَّصرِيح المباشر بـ"أناة" وَ"عنات" وَ"إنانا"، وجميعها مُسمَّيات الإلهة الأموميَّة الكُبْرى، إضافةً إلى الطُّقُوس الأسطوريَّة المُرتبطة بها، في مجالات الإخصاب وَالاستسقاء وَالحرب.

وقد يُتوهَّم أنَّ هذه الإشارات تندرج ضمن الآخر الدِّينيِّ فحسب، على سبيلي الحقيقة وَالمجاز، إلا أنَّ مُجرَّد توظيفها في الشِّعْر، على هذا النَّحْو المُتَّصِل، من أُولَى مجموعات الشَّاعِر إلى مُنتَهاها؛ لدليلٌ أكيدٌ على معرفته الدِّينيَّة الأسطوريَّة الوَاسِعة؛ ثُمَّ إنَّهُ ترسيخٌ لأهمِّيَّة توظيف السُّلْطة الدِّينيَّة في منحاها الأسطوريّ؛ لتعميق الوَشِيجَة الوُثْقَى بين الإنسان الفلسطينيِّ وَالأرض / الأمِّ، بِكُلِّ الوسائل الفنِّيَّة المُباحَة، وَالسُّبُل الدِّينيَّة المُتَاحَة.

وَثمَّة ملمحٌ آخر، حقيق بالإبانة، في صورة الأنَا الدِّينيَّة، يتمثَّل في انتهاك المُقَدَّس، مع التَّنْبيه إلى السِّيَاقات الشِّعْرية الخَادِعة في شأنه، وَالذي يمكن الوقوف عنده في هذا المقام، التَّصادُم المباشر بين الشَّاعِر وَالإله، مع إدراكنا غائيَّة توظيف كلمة "الإله"، في نتاج دَرْوِيش الشِّعْرِيِّ، التي تبدَّت ــ في سياقاتٍ كثيرةٍ ــ دالَّةً على الحَاكِميَّة المُتصرِّفة في شُؤُون البِلاد وَالعِبَاد، وهي في الأعمّ رَامِزةٌ لِكُلِّ قوى السَّيْطرة على مسار القضيَّة، لكنَّها اسْتُخدِمت في

---

(1) دَرْوِيش، مَحْمُود، (آذار/ مارس٢٠٠٩م)، **لا أُريدُ لِهَذِي القَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، (ط١)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر، ص١٣٩.

(2) جاء في المِيثُولُوجيا اليونانيَّة؛ أنَّ "أفروديت" هِيَ: "المَوْلُودة من الزَّبَدِ، وَهي حَامِية البَسَاتِين وَالبُسْتانِيِّين وَالعُشَّاق، وَالوَرْد وَالسَّوْسن وَالزَّنْبق وَالنَّرْجِس مُقَدَّسة عندها ..."؛ يُنظَر فِي: غِيربر، هـ. أ، (١٩٧٦م)، **أسَاطِيرُ الإغْرِيق وَالرُّومَان**، تَرْجَمَة: حُسْنِي فَرِيز، (د. ط)، عمَّان: دَائِرَة الثَّقَافَة وَالفُنُون، ص٦٥.

سياقاتٍ أخرى على وجه الحقيقة، مِمَّا يمسُّ المُقدَّس الدِّينيَّ بوجهٍ مِن الوُجُوه، ومنها قول الشَّاعِر([1]):

ولو أستطيع الحديث إلى الرَّبِّ قلت:

إلهي إلهي ! لماذا تَخَلَّيْتَ عنِّي ؟

ولستُ سوى ظلِّ ظلِّك في الأرض،

كيف تَخَلَّيْتَ عنِّي، وَأوقعتني في

فخاخ السُّؤَال: لماذا خلقت البعوض

إلهي إلهي ؟

جاءت هذه الأشطار، ضمن قَرَنٍ شعريٍّ واحدٍ، وَسَمَهُ دَرْوِيش بـ"**مَنْفَى (١) نَهَار الثُّلاثَاء وَالجَوّ صَافٍ**"، الكَائِن في مَجْمُوعَة "**كَزَهْر اللَّوْز، أَوْ أَبْعَد ...**"، وفيه وقفة الشَّاعِر المستجلية واقع القضيَّة الفلسطينيَّة، بما تضمنَّه من عذابات التَّشرُّد في المَنَافِي، خارج الوطن وَداخله، فضلاً عن نتائج العمليَّة السِّلْميَّة، التي بدت أقلَّ من الحدِّ الذي يُلبِّي أدنى مَرَاتِب الطُّمُوح.

وَالمَجْمُوعة على ذلك "رصدٌ تأمليٌّ عميقٌ لماهيَّة الأَنَا، وَمغايرتها مع ذاتها أوَّلاً، وَمع الآخرين ثانيًا، وَدُخُولٌ فيه من الصُّعُوبَات ما فيه، خاصَّة، وَأنَّ المُطَابَقة بين سرديَّة النَّثْر وَإيقاعيَّة الشِّعْر، تتطلَّب دراية طويلة في الكتابة الإبداعيَّة، وَتَمَلُّكًا خَاصًّا لأدوات التَّشْكيل الشِّعْريِّ، من هنا تبدو المُحَاوَلة محفوفةً بأقصى درجات المغامرة وَالتَّجْرِيب"([2]).

وَقد اجترأ الشَّاعِر اجتراءً غير مُسوَّغٍ، على القَدَاسَة الدِّينيَّة، للجَلالة الإلهيَّة، وهو إذ ألغى كُلَّ نطاقات العُبُوديَّة في الخِطَاب، فقد التأم بِسبيل الإنكار، المُؤسَّس مضمونًا في واقع اغتراب الفلسطينيِّ في أوطان العُرُوبة، وَشَتَيت أراضٍ، اصْطُلِحَ مجازًا على تسميتها بِنُوَاةِ الدَّوْلَة الفلسطينيَّة المُرتَقبة؛ فأضحت الغُرْبَة مُلمَّة بالشَّعْب أكمله، في واقع التَّخلِّي الدَّوْليِّ وَالعربيِّ عن إرجاع الحقِّ السَّلِيب.

لذا ألفينا الشَّاعِر في تمظهره العقيديِّ، مُستنكِرًا على "الإله" واقع التَّخلِّي، الذي عايشه وَشعبه ردحًا طويلاً من الزَّمن، مُستدعيًا التَّناصَّ القرآنيَّ الدَّالَّ على القُدْرة الإلهيَّة في الخَلْق، من جهة الوُقُوع في شَرَكِ السُّؤَال: "**لِمَاذَا خَلَقْتَ الْبَعُوضَ ؟**"؛ وفيه تلميحٌ إلى ما قد يستتبع هذه الحالة العميقة من الاغتراب في الأمصار، من التَّخلِّي عن الفلسطينيِّ، في أحلك مراحل القضيَّة ظُلْمةً،

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٢٦٢.

[2]) السّرساوي، مَحْمُود، (آب٢٠٠٦م)، مَحْمُود دَرْوِيش ــ التَّجْرِبَةُ الشِّعْرِيَّةُ ــ المُغَايرةُ وَالنَّقْدُ الغَائِبُ، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشْق، (٤٢٤)، ص٦٧.

وإن لم ينطق الشَّاعِر بهذه الفكرة على سبيل التَّمثُّل، فإنَّه أشار إليها؛ تعبيرًا عن بلوغ الظُّنُون منه ومن كُلِّ فلسطينيٍّ مبلغًا عظيمًا؛ بفعل المُؤامَرات التي طالت الشَّعْب بأكمله.

ويبقى القول القرآنيُّ، مُحتكَم من أراد مُحاكَمة النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، وفق تأصيله الدِّينيِّ، مع تقدير سياقات الخِطَاب، التي تميل في معظم نتاج دَرْوِيش، إلى المَجَاز وَالرَّمْز، فقد قال الباري ﷻ: ﴿ **إِنَّ اللهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ (٢٦)** ﴾(١).

وتُمثِّل اللَّوْحة بمضمونها تناصًّا استرجاعيًّا، مع قصيدة "**إلَهِي لِمَاذَا تَخَلَّيْتَ عَنِّي ؟**"، من مَجْمُوعَة "**ورد أقلّ**"، الصَّادِرة سنة (١٩٨٦)م؛ حيث بدا الشَّاعِر في أقصى مراتب الإنكار، من خلال نهج التَّسْآل، في لُجَّة اغترابه، بعد الرَّحِيل عن حصن المقاومة في بَيْرُوت(٢).

ولَم تكن أعمال دَرْوِيش خاليةً من قبيل السَّابِق، في انتهاك القَدَاسَة الدِّينيَّة، وإنَّما نجد لذلك حضورًا في مواطن عديدةٍ(٣)، وإن جاز لنا تحليلها إجرائيًّا وفق المذهب الرَّمْزِيِّ للشَّاعِر، فإنَّنا لا نلتمس له عذراً في امتهان مفرادت "**الإِلَهِ**" وَ"**اللهِ**" وَ"**الرَّبِّ**"، على هذا النَّحْو، الذي تكفي فيه الإشارة، دون صريح العبارة؛ كيما يتحقَّق مراده في بلاغ الرِّسَالة الثَّقافيَّة، بمضمونها الدِّينيِّ، على أكمل وجهٍ.

هكذا تبدَّى مَحْمُود دَرْوِيش في صورة الأنا الدِّينيَّة، محتفيًا بطرائق المُباشَرة وَالتَّلْمِيح وَالإشارة، للمضامين العقيديَّة، وَالنُّصُوص الدِّينيَّة، وَالشَّعائر الطَّقْسيَّة، وَالمُكوِّنات المَعْبديَّة، في اعتدادٍ مقصودٍ بالدِّيَانات الثَّلاث: الإسْلامِيَّة وَالنَّصْرانيَّة وَاليَهُوديَّة(٤)، في مضامين القصيد؛ لغاية

---

1) **سُورَةُ الْبَقَرَةِ**، الآيَة: ٢٦.

2) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ١٦١.

3) يمكن تتبُّع النَّمَاذِج الدَّالَّة على ذلك في مَوَاطِن عديدةٍ، سَنُورِد بعضها، مع ضرورة توخِّي المَوْضُوعيَّة في قراءة الشِّعْر، المُحتكِم في ميزان دَرْوِيش إلى مُفَارَقة الحَقِيقة وَالمَجَاز، في إطار تعبير الرُّمُوز الدِّينيَّة عن القِيَم السِّياسيَّة، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٢٩٢، ("مَنْفَى٢: ضَبَابٌ كَثِيفٌ عَلَى الْجِسْرِ"، من مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أَوْ أَبْعَد ..."، "**سَأَكْتُبُ: يَا خَالِقَ الْمَوْتِ، دَعْنِي قَلِيلاً ... وَشَأْنِي !**")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٩٣ ــ ٧٩٩، ("أَنْتَ، مُنْذُ الآنَ، غَيْرُكَ"، من "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، وَفيها إطلاق الشَّاعِر أحكامًا بِالتَّكْفير)؛ **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ**، ص٦٦، (قَصِيدة "لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ"، قال الشَّاعِر: "... **إِنِّي خُلِقْتُ عَلَى صُورَةِ اللهِ ثُمَّ مُسِخْتُ إِلَى كَائِنٍ لُغَوِيٍّ وَسَمَّيْتُ آلِهَتِي وَاحِدًا وَاحِدًا**").

4) يُنظَر مُلخَّص دِرَاسَة البَاحِثة سَحَر سَامِي، التي استجلت التَّناصَّ الدِّينيَّ، مع الدِّيانات الثَّلاث، على سبيلي الفَرَادَة وَالتَّمازُج، في: مَجْموعة كُتَّاب، (١٩٩٩م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ الْمُخْتَلِفُ الْحَقِيقِيُّ: دِرَاسَاتٌ وَشَهَادَاتٌ**، (ط١)، عمَّان: دَار الشُّرُوق للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٧٩ ــ ١٠٩، (التَّناصُّ الدِّينيُّ في شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ــ سَحَر سَامِي)؛ وَيمكن الاطِّلاع على بعض اللَّمحات، من تَأثُّر مَحْمُود دَرْوِيش بِالعَقَائِد الدِّينيَّة، يُنظَر: أبو شَاوَر، **تَطَوُّرُ الاتِّجَاهِ الْوَطَنِيِّ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ**، ص٢٩ ــ ٤١؛ وَيُنظَر في التَّناصِّ الدِّينيِّ أيضًا: أَبُو شَرَار، ابْتِسَام مُوسَى عبد الكَرِيم، (٢٠٠٧م)، **التَّنَاصُّ الدِّينِيُّ وَالتَّارِيخِيُّ فِي شِعْرِ "مَحْمُود دَرْوِيش"**، رِسَالة مَاجِسْتِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة الخَلِيل، الخَلِيل، فلسطين، ص٢٤ ــ ٩٦، (الفَصْل الأوَّل: إيحاءَات التَّناصِّ الدِّينيِّ عبر=

التَّعْبير عن موقفه الثَّقافيِّ العامِّ، المُتمثِّل في ضرورة التَّعايُش بين أتباع الدِّيَانات الثَّلاث، وَبيت المَقْدِس وَأكنافه موئلها الأوَّل، وَموطن رسلها وَأنبيائها، مذ تنزَّلت كُتُب السَّمَاء.

وَقد غلَّف الشَّاعِر نتاجه الشِّعْريَّ بالأسطورة، التي استوحت من خلال التَّناصِّ قداسة الأمومة الكُبْرى، بوصفها البديل الرَّمْزيَّ للأرض الفلسطينيَّة المُغتَصبة، ثُمَّ استدعى من عوالمها الرُّمُوز الإنسانيَّة وَالحيوانيَّة وَالنَّباتيَّة وَالكَوْكبيَّة، مُعرِّجًا على الطُّقُوس المُرتبطة بها، من زواج إخصابيٍّ، وَاستسقاءٍ مطريٍّ([1]).

أمَّا الزَّوَاج فكان لغاية مُحَاكَاة الاتِّحَاد الأسطوريِّ القديم، الذي كان مدعاة شُيُوع الخِصْب في حَيَوَاتِ الأرض كافَّةً، مع حضور البدائل التَّكْوينيَّة لها، التي تتجسَّد في الدُّرَّة وَالصَّدَفة وَالبَحْر بزَبَدِهِ.

=شُخُوص القِصَّة الدِّينيَّة)؛ ص٩٧ ــ ١٨٢، (الفَصْل الثَّانِي: مُتفرِّقات التَّناصِّ الدِّينيِّ وَصلتها بِنُصُوص الشَّاعِر)؛ ص٣٢٠، ٣٢١، (الخَاتِمة).

[1]) حضرت الأسْطُورَة بملامحها المختلفة في نتاج دَرْوِيش، وَيمكننا أن نحيل إلى بعض القصائد في هذا الشَّأن، مع التَّنبيه إلى حُضُورها في ثنايا سائر مجموعاته، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٨٢، ١٨٣، (القَصِيدَة الثَّالثة: "٣ ــ خَارج من الأسْطُورَة"، من سلسلة "تَحْتَ الشَّبَابِيكِ الْعَتِيقَةِ ــ إلَى مَدِينَةِ الْقُدْسِ"، في مَجْمُوعَة ""آخِر اللَّيْل"، وَتتضمَّن إشارةً واضحةً إلى معرفة الشَّاعِر الأسطوريَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤٧٩ ــ ٤٨٩، (قَصِيدَة "يَطِيرُ الْحَمَامُ"، من مَجْمُوعَة "حِصَار لِمَدَائِح الْبَحْرِ"، ورد الحَمَام بوصفه رمزًا من رُمُوز الأُمُومة، مع ملامح أسطوريَّةٍ أخرى)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٥٤، (من قَصِيدَة "عِنْدَ أَبْوَابِ الْحِكَايَةِ"، من مَجْمُوعَة "هي أغنية هي أغنية"، رمز الأُمُومة الكونيَّة الأفْعَى، وارتباطها بِالمَاء وَالحَيَاة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١١١، ١١٢، (قَصِيدَة "عَلَى هَذِهِ الأرْضِ"، من مَجْمُوعَة "ورد أقلّ"، الأمّ الكونيَّة، سيِّدة الأرْض وَالحَيَاة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٤٩، ١٥٠، (قَصِيدَة "لديني ... لديني لأعرف"، من مَجْمُوعَة "ورد أقلّ"، مُنَاجَاة للأُمُومة على طريقة الشَّعِيرة الدُّعائيَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٦٣، (قَصِيدَة "ألا تَسْتَطِيعِينَ أنْ تُطْفِئِي قَمَرًا"، من مَجْمُوعَة "ورد أقلّ"، وَفيها الغَزَال الآشوريُّ، رمز الأُمُومة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٦٤، (قَصِيدَة "خَرِيف جَدِيد لِسيِّدة النَّار"، من مَجْمُوعَة "ورد أقلّ"، وَتتضمَّن حُضُورًا لِلأمِّ الكونيَّة، سيِّدة النَّار)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٧٠، ١٧١، (قَصِيدَة "سَمَاء لِبَحْرٍ"، من مَجْمُوعَة "ورد أقلّ"، وَفيها إشارةٌ إلى الاتِّحَاد القَدِيم بين السَّمَاء وَأمواه الأرْض، مع ملمح نصرانيٍّ يختصُّ بِشعيرة الدُّعَاء)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٩١ ــ ٢٠٢، (قَصِيدَة "ربِّ الأيَائِل يا أبي ربِّها"، من مَجْمُوعَة "أرَى مَا أُرِيدُ"، وَنجد فيها ملامح أسطوريَّةً مُتفرِّقةً، في شأن الأمِّ الكونيَّة، بوصفها ربَّة الخُضْرَة، فضلاً عن أسْطُورَة التَّكْوين وَطقس الزَّوَاج وَالإلهَيْن الكنعانيَّيْن: بعل المُذكَّر وَعناة المُؤنَّثة)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٣٥٣ ــ ٣٥٦، (القَصِيدَة الخَامِسة: "أطوار أنات"، من سلسلة "فَوْضَى عَلَى بَابِ الْقِيَامَةِ"، في مَجْمُوعَة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، وَنلمح فيها أطوار أنات وَأدوارها وَوظيفة الشِّعْر العباديَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٥٧ ــ ٣٦١، (القَصِيدَة السَّادِسة "مَصْرَع العَنْقَاء"، من سلسلة " فَوْضَى عَلَى بَاب القِيَامَة"، في مَجْمُوعَة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، وَفي القَصِيدَة إشاراتٌ أسطوريَّةٌ مختلفةٌ، من أهمِّها دعوة الأُنْثَى الشَّاعِر لزواج التَّقَالِيد الزِّراعيَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٩٨، ٥٩٩، (قَصِيدَة "هَدِير الصَّمْت"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَقد استظهرنا فيها ملامح أسطوريَّةً، في حَنِين الشَّهْوَة وَطقس الاتِّحَاد المُقدَّس وَملحمة جلجامش)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٤٢، (من قَصِيدَة "شَال حَرِير"، في مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَفيها إشارةٌ أسطوريَّةٌ إلى عُرْس الزَّوَاج المُقدَّس)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٨١،٦٨٢، (قَصِيدَة "أَغْبِطُ كُلَّ مَا حَوْلَكِ"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَنطالع فيها مُنَاجَاة الأمِّ الكونيَّة وَالحَنِين إلى الاتِّحَاد بها)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٨٣، ٦٨٤، (قَصِيدَة "قَلْبي كَوْكَبًا"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَوردت فيها الأمُّ الكونيَّة ببعض رُمُوزها وَتجسيداتها)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٢٢، ٧٢٣، (قَصِيدَة "وَصْف"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَتحضر فيها الأمُّ الكونيَّة بِتمثالها الأرضيِّ).

بينما شكَّل طقس الاستسقاء منذ عصر الجاهليَّة، وسيلة "استرضاء القوى الخفيَّة، التي تتحكَّم في سقوط المطر"([1])، بوساطة "التَّوسُّل وَالتَّضرُّع وَالتَّذلُّل، وَالبُكَاء، وَالتَّعاويذ، وَالسِّحْر، وَتقـديم القرابين وَالصَّلَوَات"([2]).

وَقد جاء ذلك في سياق التَّناصِّ الأسطوريِّ، الذي يعني "استحضار الشَّاعِر بعض الأساطير القديمة، وَتوظيفها في سياقات قصيدته؛ لتعميق رؤيةٍ مُعاصِرةٍ يراها الشَّاعِر في القـضيَّة التـي يطرحها؛ فيستعين بأسطورةٍ ما تُعزِّز هذه الرُّؤْية، بحيث يأتي هـذا التَّنـاصُّ أو التَّوْظيـف أو الاستعانة بالأسطورة مُنسجِمًا مع سياق القصيدة، وفيه إثراءٌ وَتجديدٌ وَتعميقٌ للأبعـاد الفِكْريَّـة وَالفنِّيَّة فيها"([3]).

---

[1]) النّعيميّ، د. أحْمَد، (١٩٩٥م)، **الأسْطُورَةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ قبْلَ الإِسْـلام**، (ط١)، القَـاهِرة: سِـينَا للنَّـشْر، ص٢٦٥.

[2]) **نفسه**، ص٢٦٥؛ وَللاطِّلاع على التَّجلِّيات الرَّئيسيَّة للاستسقاء في الشِّعْر الجَاهِليِّ، يُنظَر: نفـسه، ص٧١ ــ ١١٠؛ ثُمَّ توقَّف الدُّكتور أَنْوَر أبو سويلم عند المَطَر في الشِّعْر الجَاهِليِّ، من حيث مَوَاضِع وُرُوده، يُنظَر: أبـو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٦م)، مَوَاضِعُ وُرُودِ الْمَطَرِ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَـات**، "سِلْـسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة"، ١(٢)، ص٩ ــ ٤٥؛ وَقد درس قبلاً صُورَة المَطَر، في المُقدِّمة الطَّلليَّة، على نحوٍ رسَّخ حُضُورها في النِّطَاق الدِّينيِّ لِشَعِيرة الاستسقاء، يُنظَر: أبو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٥م)، صُورَةُ الْمَطَـرِ فِي الْوِقْفَةِ الطَّلَلِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالشَّرِيعة، ١٢(٨)، ص٢٠٩ ــ ٢٣٩؛ ثُمَّ إِنَّ النَّار اتَّصلت بِالاستسقاء في درسٍ تحليليٍّ آخر، عرَّج فيه الدُّكتور أَنْوَر أبو سويلم، على استجلاء صُوَر النَّار المختلفـة، فـي الشِّعْر الجَاهِليِّ، يُنظَر: أبو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٨م)، النَّارُ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ١٥(٣)، ص٧٤ ــ ١١١؛ وَكان الدُّكتور نَصْرَتْ عبد الرَّحْمن، قد ألمح إلى ذلك كلِّه، في سياق درسه الأسـبق، يُنظَر: عبد الرَّحْمن، د. نَصْرَتْ، (كَانُون أوَّل١٩٧٩م)، الْمَطَرُ: مَوَاضِعُ وُرُودِهِ فِي جَانِبٍ مِنَ الشِّعْرِ الْجَـاهِلِيِّ، **دِرَاسَات**، العُلُـوم الإنسانيَّـة، ٦(٢)، ص١٠١ ــ ١١٩؛ وَقد صرَّح الدُّكتور نَصْرَتْ عبد الرَّحْمن، في دراسـةٍ لاحقةٍ، بِالعَلاقَة بين الأُمُومة الكَوْنيَّة وَالمَطَر، يُنظَر: عبد الرَّحْمن، د. نَصْرَتْ، (حُزَيْرَان١٩٨٠م)، سَيِّدَةُ الْمَطَـرِ فِي شِعْرِ أَبِي ذُؤَيب الْهُذَلِيِّ، **دِرَاسَات**، "عَدَد مُشْتَرك بين العُلُوم الإنسانيَّة وَالعُلُوم الطَّبيعيَّة"، ٧(١)، ص٩ ــ ٢١.

[3]) الزُّعبي، د. أَحْمَد، (١٩٩٥م)، دَلالاتُ التَّنَاصِّ فِي قَصِيدَةِ "رَايَة القَلْب" لإِبْرَاهِيم نَصْر الله، **دِرَاسَات**، العُلُـوم الإنسانيَّة، ٢٢ ــ أ (٥)، ص٢١٠٩.

ــ صُورَةُ الأَنَا الاجْتِمَاعِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

عمَّق مَحْمُود دَرْوِيش حضوره الاجتماعيَّ، من خلال لوحاتٍ شعريَّةٍ، مُعبِّرة عن السِّيَاقات الاجتماعيَّة، للقضيَّة الفلسطينيَّة، في ظهوره بــ"أنا" / المُفْرَد، وَاعتلائه "أنا" / المَجْمُوع؛ تمــثُّلا من الشَّاعِر لمطامح شعبه، في إبانة الوَجْه العَادِل من الصُّورة، تلك التي لم تُقْرَأ فــي محاضــن الثَّقَافَة العالميَّة، ولم تطلها عين الاستبصار الحَكِيم، من قبل السَّاسَة الغربيِّين وَالعرب.

وَقد ألفينا الظُّهُور الاجتماعيَّ للأنا بصورتها المُفْرَدة، باديًا علــى نحــو التَّمثُّــل للواقــع الفلسطينيِّ، في قصيدة "**بطاقــة هُويَّــة**" ــ من مَجْمُوعَة "**أَوْرَاق الزَّيْتُــون**"، الــصَّادِرة ســنة (١٩٦٤)م ــ التي جاءت للدِّفاع "عن الهُويَّة وَالخُصُوصيَّة، في حدود التَّاريخ وَالجغرافية، إبَّــان التَّواصُل الطَّوْعيِّ مع الآخَر، وَالصُّمُود بوجه التَّوَاصُل المفروض وَمُقاوَمته"([١]).

وَانطلق مَحْمُود دَرْوِيش في قصيدته "مُتحدِّيًا الصَّوْت العُنْصريَّ بقصيدته، التي تحوَّلت إلى النَّشِيد القَوْميِّ للجماهير العربيَّة"([٢])، ([٣])؛ وَبهذا "أصبحت "مُعلَّقته"، سجِّل أَنَا عربيّ، تتردَّد على كُلِّ لسانٍ"([٤]).

ويقول الشَّاعِر في المَقْطع الاستهلاليِّ([٥]):

سَجِّلْ !

أنا عربيّ

وَرقم بطاقتي خمسون ألفْ

وَأطفالي ثمانيةٌ

وَتاسِعُهم ... سيأتي بعد صَيْفْ !

فهل تَغضب ؟

---

[١]) عرسان، **ثقافتُنَا وَالتَّحَدِّي ــ خِطابُنَا وَخِطابُ الْعَصْر**، ص٩٤.

[٢]) القَاسِم، د. نَبِيه، (٢٠٠٣م)، **الْحَرَكَةُ الشِّعْرِيَّةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ فِي بلادِنَا مِنْ خِلال مَجَلَّــةِ "الْجَدِيــدِ" (١٩٥٣ ـــ ١٩٨٥م)**، (ط١)، كفر قرع: دَار الهُدَى، ص٥٢.

[٣]) في العُنْصريَّة الصُّهيونيَّة ضِدَّ الفلسطينيِّين، في الثَّقَافَة وَاللُّغَة وَالتَّعْليم، يُنظَر: مركز "عَدَالَة" لِحُقُوق العَرَب في إِسْرَائِيلَ، (يَنَاير ١٩٩٩م)، العُنْصُرِيَّةُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ، **أَدَب وَنَقْد**، (١٦١)، ص١٤ ــ ٢٣.

[٤]) عليان، د. مُحمَّد شحادة، (١٩٨٧م)، **الْجَانِبُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّــان: دَار الفِكْر للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٤٦٤؛ وَيمكن الاطِّلاع على وقفة البَاحِث عند هذه القَصِيدة، في سياق مُعَالَجتــه أهــمَّ مَلامِح الصُّورَة الاجتماعيَّة، في شِعْر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: **نفسه**، ص٤٦٥ ــ ٤٦٩.

[٥]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٨٠.

وَتُخالِجنا الكلمة المفتاحيَّة للقَصِيدة "**سَجِّل**"؛ بصعود النَّبْرة الخطابيَّة، علــى نحــوٍ يُكــرِّس الصُّمُود الاجتماعيِّ على الأرض، ذلك الذي يرتدُّ في الانتساب العِرْقيِّ إلى الأثْلِ العربيِّ؛ مُؤشِّرًا على العُمْق العربيِّ للقضيَّة برمَّتها، وَاستوحي الشَّاعِر في إثْر ذلــك مــن الرَّقميَّــة، وَقوامهــا "**خَمْسُونَ أَلْفًا**"، جَمْعيَّة هذا الصُّمُود، على نحوٍ ينسحب في واقع الشَّعْب بأكمله.

أمَّا الأطفال فغدوا مُؤطَّرين بملمح مُباهَاة المُحتلِّ ومُضاهَاته، وَهم فــي القــدر المُتحقِّــق "**ثَمَانِيَةٌ**"، "**تَاسِعُهُمْ**" سيُطلُّ على الحياة بعد "**صيفٍ**" من ذلك، وَتحمل التَّتابُعيَّة الرَّقميَّة هنا؛ دلالــة المُواجَهة "الدِّيموغرافيَّة" على أرضٍ، باتت كُلُّ سُبُلها موطن تنازُعٍ بين مُواطِنين مُستلبي الحُقُوق وَالأرْض، وَمُستوْطِنين أُقِرَّ وجودهم في واقع الاستيطان الزَّاحف حول كُلِّ المدائن الفلسطينيَّة.

وَقد سعى كلا الطَّرفَيْن إلى "إثبات وجــوده ماديًّا وَعمليًّــا، وَنفــي وجــــود الطَّـــــرَف المُقابِــل"([1])؛ أمَّا أصل الاستيطان فقد وضعه (هرتزل)؛ مذ "أسَّس الصُّهْيُونيَّة السِّياسيَّة، داعيًــا إلى تنفيذ الهجْرات اليَهُوديَّة، ضمن مُخطَّطٍ استيطانيٍّ واسعٍ، يتمُّ بمساعدة إحدى الدُّوَل الأوروبيَّة الكُبْرى، وَيُمهِّد السَّبيل لإقامة دولةٍ يهوديَّةٍ"([2]).

وَهُيِّئَ للاستيطان أن يتَّخذ جُذُورًا مكينةً في الأرض الفلــسطينيَّة؛ فكــان اختيــار مواقــع المُستوطَنات "مُتطابقًا مع الظَّاهِرات الطّبوغرافيَّة، التي تتميَّز بزيادة تــضرُّس ســطح الأرض، وَالانحدارات الشَّدِيدة؛ لتحقيق أهدافٍ صهيونيَّةٍ توسُّعيَّةٍ"([3])، ([4]).

وكَأنِّي بالشَّاعِر يُوحِي للمُحتلِّ بخِطَاب الصُّمُود، على سبيل الإتيان بالثَّائِرين، مــن رحــم الأرض قبل أرحام نسائها؛ وحينئذٍ يكون "**التَّاسِع**" تقدمةً لمتسلسلةٍ من الثُّوَّار؛ لِمُواجَهة مُحْتَلٍّ لم

---

[1]) الشَّرْقَاوِي، د. فَوَّاز حَامِد، (يونيه٢٠٠٧م)، السُّكَّانُ اليَهُودُ فِي فِلَسْطِينَ ــ دِرَاسَةٌ فِي الصِّرَاعِ السُّكَّانِيِّ خِــلال النِّصْفِ الثَّانِي من ق ٢٠، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢)، ص٦٢٨، (المُقدِّمة).

[2]) مَحْمُود، د. أَمِين عبد الله، (١٩٨٧م)، الصُّهْيُونِيَّةُ فِكْرَة وَدَوْلَة فِي كِتَابَــاتِ أحــد هاعــام، **مُؤْتَــة للبُحُــوث وَالدِّرَاسَات**، ٢(٢)، ص٧٠؛ وَحَوْل أسباب الرَّفْض الفلسطينيِّ للهجْرة اليَهُوديَّة، في بداية القَرْن العشرين، يُنظَر: جرَّار، د. مَرْوَان فَرِيد، (يَنَاير ٢٠١٠م)، دَوَافِعُ رَفْضِ الفِلَسْطِينِيِّينَ لِلْهجْرَةِ اليَهُودِيَّةِ إِلَى فِلَسْطِينَ (قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّــةٌ فِي الْخِطَابِ السِّيَاسِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ ١٩١٨ ــ ١٩٣٠م)، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَــات الإنــسانيَّة، ١٨(١)، ص٦٢٩ ــ ٦٦٣؛ وَعن وَاقِع الهجْرة اليَهُوديَّة، الذي واكب حركة الاستيطان علــى الأرض، يُنظَــر: خمايسي، د. رَاسِم، (١٩٩٣م)، الْهجْرَةُ الْيَهُودِيَّةُ الأَخِيرَةُ وَتَأْثِيرُهَا عَلَى الْفِلَسْطِينِيِّينَ دَاخِــلَ "الْخَــطِّ الأَخْــضَرِ"، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٢/١١(٣ "٣ ــ ٤")، ص٧٥ ــ ٩٨.

[3]) مشتهي، عبد العَظِيم قَدُّورَة، (٢٠٠٢م)، طبوغرافيَّة الْمُسْتَعْمَرَاتِ الاسْتِيطَانِيَّةِ الإِسْــرَائِيلِيَّةِ بِالنِّــسْبَةِ لِمَرَاكِــزِ الْعُمْرَانِ الْفِلَسْطِينِيِّ فِي مُحَافَظَةِ جِنِين، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٠(٢)، ص٢٥٠، (مُقدِّمة).

[4]) للاطِّلاع على وَاقِع الاستيطان الصُّهيونيِّ، منذ مُنتَصف القَرْن العشرين، يُنظَر: المسيري، د. عبد الوَهَّــاب، (٢٠٠٢م)، **الصُّهْيُونِيَّةُ وَالْعُنْفُ ... مِنْ بِدَايَةِ الاسْتِيطَانِ إِلَى انْتِفَاضَةِ الأَقْصَى**، (ط٢)، القَاهِرة: دَار الــشُّرُوق، ص١١٥ ــ ١٣٤، (الفَصْل السَّابِع: الطَّبِيعة العَسْكريــَّة للاستعمار الــصُّهيونيِّ)؛ ص١٧٧ ــ ٢١٨، (الفَــصْل العَاشِر: الاستيطان وَالاقتصاد)؛ ص٢١٩ ــ ٢٤٢، (الفَصْل الحَادِي عشر: الصُّهيونيَّة استعمارٌ إحلاليٌّ)؛ وَفــي الاستيطان الصُّهيونيِّ أيضًا، يُنظَر: تشابمن، كُولن، (٢٠٠٤م)، **أَرْضُ الْمِيعَادِ لِمَنْ ــ الــصِّرَاعُ الْفِلَــسْطِينِيُّ ــ الإِسْرَائِيلِيُّ الْمُسْتَمِرُّ**، (د. ط)، بَيْرُوت: الــشَّرِكة العالميَّــة للكِتَــاب (ش. م. ل)، ص١٠٣ ــ ١١٠، ("٢. ٣": استيطان اليَهُود في الأَرْض)؛ ص١١٠ ــ ١١٧، ("٢. ٤": رُدُود الفِعْل العربيَّة على الاستيطان اليَهُوديِّ).

يفقه يومًا إلا لغة القُوَّة، في خضمّ رقيِّ الحضارة الحديثة، التي لا تحفل إلا بالأرقام؛ فـ"التَّفْكير "الرَّقميّ" هو مرحلةٌ من مراحل تاريخ كُلِّ أمَّةٍ، تُقاربه، أو تصل إليه، بقدر ما تبلغ من الحَضَارَة، وتتزوَّد من الثَّقَافَة"(١).

أمَّا ختام المقطع؛ فيرسلنا إلى حالةٍ أشدّ استرسالاً في عالم الصُّمُود المِثَاليِّ؛ ليصدح الشَّاعِر بخِطَابه في وجه الْمُحْتَلِّ، على معنى التَّحدِّي "**فَهَلْ تَغْضَب ؟**"؛ قَاصِدًا: "**فَلْتَغْضَبْ، ولتُرْسِل في الأرْض كُلَّ دَوَاعِي السُّكُون؛ أمَّا نَحْن فَبَاقُون**"؛ في إيحاءٍ بقمَّة التَّصادُم، المُؤسَّس في السِّيَاق الاجتماعيِّ، للمُحتَلِّ الغَاصِب.

وَيبين المقطع الثَّالِث عن الجَانِب الاجتماعيِّ في الصُّمُود، المُستَوحى في ضوء جُذُور النَّسَب الرَّاسِخ من قديمٍ؛ فيقول الشَّاعِر(٢):

سَجِّلْ !

أنَا عربيّ

أنَا اسمٌ بلا لَقَبِ

صَبُورٌ في بلادٍ كُلُّ ما فيها

يعيش بفَوْرَةِ الغضب

جذوري ..

قبل ميلاد الزَّمَان رستْ

وَقبل تفتُّح الْحِقَبِ

وَقبل السَّرو وَالزَّيْتونْ

.. وقبل ترعرع العشبِ

أبي ... من أسرة المِحْرَاث

لا من سادةٍ نُجُبِ

وَجدِّي كان فلاحًا

بلا حسبٍ ... وَلا نسبٍ !

يُعَلِّمُنِي شموخ النَّفْس قبل قراءة الْكُتُبِ

وبيتي، كوخُ ناطورٍ

من الأعْوَادِ وَالقصَبِ

---

1) عبَّاس، **فِي السِّيَاسَةِ وَالأدَب**، ١: ٢٤.
2) دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٨١، ٨٢.

فهل تُرضِيك منزلتي ؟

أنا اسمٌ بلا لقبِ !

لقد زواج دَرْوِيش بين حالتَيْن من السُّمُوِّ وَالدُّون، وكلاهما في نهجه سُمُوٌّ على واقعٍ مُشتَمِلٍ بالتَّجْريد من الاسم وَاللَّقَب، وَالفلسطينيُّ — حينئذٍ — "**صَبُورٌ فِي بِلادٍ كُلُّ مَا فِيهَا يَعِيشُ بِفَـوْرَةِ الْغَضَب**"؛ إذ إنَّ التَّجْريد الاسميَّ ترميزٌ لحالة أشمل، من تجريد المُحتَلِّ المُواطِن الفلسطينيَّ من حُقُوقه الإنسانيَّة، وَالشَّاعِر يستبدل بهذه الدُّونيَّة التي كرَّسها الاحتلال، سُمُوًّا في ثَوْرة الغَضَب، التي عمَّت كُلَّ ما في البلاد، حتَّى غدت بارودًا مشتعلاً تحت أقدام الغُزَاة.

ولَلجُذُور من خِطَاب الشَّاعِر نصيبٌ وَافِرٌ، في الوقفة المُستجلِية إطاري الزَّمَن وَالإِنْسَان؛ وحينها يغدو الزَّمَن نصرًا اجتماعيًّا؛ في إقراره بِمُكْنَةِ الكنعانيِّين الأوائل، من هذه الأرض، استقرارًا وَحضارةً؛ أَمَّا الإنسان فينضوي تحت دائرةٍ زمنيَّةٍ أكثر ضيقًا، وفيها حضور الأب وَقبلئذٍ الجَدّ، وَهما المُشتغِلان بالفِلاحَة على نهج إعزاز الأرض، وَعِنَاقِهَا بالصَّبْر وَالْكَدِّ؛ لاستجلاب قُوت الصُّمُود عليها.

أمَّا "**الْحَسَبُ**" وَ"**النَّسَبُ**" وَ"**السَّادَةُ النُّجُبُ**"؛ فمفاتيح دلاليَّة، واقعةٌ في مجال النَّقْي الاجتماعيِّ، من نطاق الأنا؛ تكريسًا لحالةٍ أسمى من الرِّفْعة الإنسانيَّة، تتمثَّل في "**شُمُوخ النَّفْس**"، وَهذا هو السِّلاح الاجتماعيُّ؛ المُستحِيل قُوَّةً رادعة للمُحتلِّ؛ لذا رأينا الشَّاعِر يُخْفِي وراء الاستفهام الإنكاريِّ الأخير، كُلَّ دواعي الثَّوْرة وَالغَضَب؛ حيث قال: "**فَهَلْ تُرْضِيكَ مَنْزِلَتِي ؟ أَنَا اسْمٌ بِلا لَقَبِ !**".

وَيرتدُّ الشَّاعِر إلى الذَّات، مبينًا عن سِمَاتها الشَّكْليَّة، المُنتمِية إلى الأُصُول العربيَّة، وَمُؤكِّدا وُجُوده على الأرض بالعُنْوان، فيقول في المَقْطع الرَّابع([1]):

سَجِّلْ !

أَنَا عربيّ

ولَون الشَّعْر فحميٌّ

ولَون العَيْن بنيٌّ

وميزاتي:

على رأسي عقالٌ فوق كوفيَّةٌ

وَكفِّي صلبةٌ كالصَّخْر ...

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولَى**، ١: ٨٢، ٨٣.

تخمشُ من يُلامِسها

وَعنواني:

أنَا من قريةٍ عَزْلاء ... منسيَّةٌ

شوارعها بلا أسماء

وَكل رجالها ... في الحَقْل وَالمَحْجرْ([1]).

فهل تغضبْ ؟

إنَّ ما ذكره دَرْويش من السِّمَات الشَّكْليَّة، وَالصِّفَات الشَّخْصيَّة؛ لكفيلٌ أن يُؤسِّس للثَّبَات على هذه الأرض؛ فضلاً عن توظيفه إيَّاها؛ في تأكيد استحقاق العُرُوبة لها؛ إذ لا مكان لصهيونيٍّ فيها، وقد تناثرت في هذه الأرض من قديمٍ "**قُرًى عَزْلاء**"، اشتغل رجالاتها في الحُقُول وَالمَحَاجِر، وَالشَّاعِر إذ يُعمِّق الانتماء الفلسطينيَّ للأرض؛ فإنَّه يستدعي غضبة المُحتلِّ المُرتدَّة عليه؛ بفعل "**بِلادٍ كُلّ مَا فِيهَا يَعِيشُ بِفَوْرَةِ الْغَضَبِ**"، وَيُوحِي التَّكْرار المَقْصود للاستفهام الخِتَاميِّ في المَقْطع "**فَهَلْ تَغْضَب ؟**"؛ بإرادةٍ مُحتشِدةٍ في دواخل الشَّاعِر؛ مُؤكِّدةٍ على التَّحدِّي وَالمُقَاوَمة.

وكيما يستدعي دَرْويش "**فَوْرَةَ الْغَضَبِ**"؛ ألفيناه يُمهِّد بصورِ السَّلْب، لسَامِق الدَّرْب، فيقول في المَقْطع الخَامِس([2]):

سَجِّلْ

أنَا عربيّ

سُلِبْتُ كروم أجدادي

وَأرضا كنتُ أفلحها

أنَا وَجميعُ أولادي

ولم تترك لنا .. ولكل أحفادي

سوى هذي الصُّخُور ..

فهل ستأخُذُها

حكومتكم ... كما قيلا !؟

---

[1]) أشار الدُّكتور وَلِيد مُنِير في الحَاشِية، إلى الحَذْف الكَائِن وراء هذا السَّطْر الشِّعْريِّ؛ فمن اللافِت "أنَّ الشَّاعِر في أعماله الكَامِلة [المُجلَّد الأوَّل]، بَيْرُوت، الطَّبْعة السَّادِسة، ١٩٨٧م؛ قد حذف هاتَيْن الكلمتَيْن: "**يُحِبُّونَ الشُّيُوعِيَّة**"، من القَصِيدة؛ وَقد يكون لهذا دلالته عند مُقَارَنة القَصِيدة بِكتابتها الأُولَى"؛ يُنظَر في: مُنِير، د. وَلِيد، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، **نَصُّ الْهُوِيَّةِ ــ قِرَاءَةٌ فِي "مَحْمُود دَرْوِيش"**، (ط١)، القَاهِرة: الهَيْئة العَامَّة لِقُصُور الثَّقَافَة، ص١٤، (الحَاشِية).

[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٨٣، ٨٤.

إذن !

سَجِّلْ ... برأس الصَّفْحة الأولى

أنَا لا أكره النَّاسَ

وَلا أسطو على أحد

وَلكنِّي ... إذا ما جعتُ

آكلُ لحم مُغتصِبِي

حذارِ ... حذارِ ... من جوعي

وَمن غضبي !!

إنَّ النَّسَق الاجتماعيَّ هُنَا، بائنٌ في صورتَيْن مهمَّتَيْن، ساقهما الشَّاعِر على سبيل المُقَابَلة بين نمطَيْن من الفِكْر الاجتماعيِّ، المُنفصِلين في نطاق المَقْطع بِـ"**إذْن**"؛ وقد عرضت إحداهما للمُحتلِّ المُستلِب كُرُوم الأجداد، وَأرضا كان "**يَفْلَحُهَا**" الشَّاعِر / المُزَارِع / الإنْسَان الفلسطينيُّ وَجميع أولاده، حتَّى لم يتبق في النِّطَاق المُعَاين سِوَى الصُّخُور، التي ساءل الشَّاعِر المُحتَلَّ بشأنها قائلاً: "**فَهَلْ سَتَأخُذُهَا حُكُومَتُكُمْ كَمَا قِيلا ؟**"، مع معرفته اليقينيَّة بدناءة الفِكْر الصُّهيونيِّ، النَّزَّاع إلى اتِّباع الهَوَى، بسرقة تُرَاث الشُّعُوب وَتاريخها.

وكرَّست الأخرى المِثاليَّة الاجتماعيَّة، في سُمُوِّ المُقَاوِم على مُحتلِّه؛ إذ إنَّ الكراهية وَالسَّطْو ليستا من ديدنه، لكنَّ الثَّوْرة المَشْروعة سلاح الثَّبَات الأخير، الذي عبَّر الشَّاعِر عنه بقوله: "**وَلَكِنِّي إذَا مَا جُعْتُ، آكُلُ لَحْمَ مُغْتَصِبِي، حَذَارِ حَذَارِ مِنْ جُوعِي، وَمِنْ غَضَبِي**"، في أعلى مَرَاتِب التَّحدِّي للصُّهيونيِّ الغَاصِب.

لقد وُلِدَ دَرْوِيش في انطلاقته النَّصِّيَّة السَّابقة "شعريًّا، عندما أبرز من خلف أسوار الاحتلال الصُّهيونيِّ "بِطَاقَة هُوِيَّة"؛ فلفت أنظار العالم العربيِّ، وَالغربيِّ أيضًا، بجسارة موقفه، وَقدرته الفائقة على تشعيره. انبثق مُتفجِّرًا عندما عثر على كيفيَّة قوله، وَكان الموقف نموذجيًّا يجمع بين الخَاصِّ وَالعَامِّ، بين الفَرْديِّ وَالقَوْميِّ، وكانت جماليَّة التَّعْبير عنده مُبتَكرةً نسبيًّا، لا تقتصر على ما شرع في توظيفه الرُّوَّاد الأوَائِل، بل مزج به الطَّابَع الدّراميَّ الحيويَّ، في صدقٍ وَبراءةٍ"([١])، ([٢]).

---

[1]) العنابيّ، د. زهر، (٢٠٠٣م)، **مُوَازَنَةٌ بَيْنَ نِزَار قَبَّانِي وَمَحْمُود دَرْوِيش فِي تَحْلِيلِ خِطَابِ شِعْرِيَّةِ الْحَدَاثِيِّ**، (ط١)، إرْبد: الرُّومانتيك للأبْحَاث وَالدِّرَاسَات، ص٢٠٣.

[2]) في عَلاقَة الهُوِيَّة بالنَّهْضة العربيَّة، يُنظَر: الخضّور، د. جَمَال الدِّين، (يَنَاير١٩٩٩م)، الهُوِيَّة: وَالمَشْرُوعُ النَّهْضَوِيُّ الْعَرَبِيُّ، **أدَب وَنَقْد**، (١٦١)، ص٢٤ ــ ٣٢.

وَحرص الشَّاعِر في "**هُوِيَّتِهِ**"، على إرساء دعائمها([1])، حين كان "سُؤَال ثقافة الهُوِيَّة وارى، عن العيون، أسئلة تختصُّ بهُوِيَّة الثَّقَافَة وَمساراتها، التي يمكن أن يكون النَّصُّ الشِّعْريُّ ذا مركزيَّةٍ منها. ذهب الشِّعْر بعيدًا عن المُقَارَبات الافتراضيَّة؛ ليكون المَسْعى تأريخًا واصفًا لشكلٍ أدبيٍّ"([2]).

وَقد حضرت الذَّات في "**نَصِّ الْهُوِيَّةِ**" "بوصفها تمثيلاً للذَّوَات، التي تشترك معها في تأكيد هُوِيَّتها المفقودة، وَتكتسب (الذَّات القوميَّة) في نَصِّ "مَحْمُود دَرْوِيش" أولويَّتها على (الذَّات الطَّبقيَّة) أو (الذَّات الفرديَّة)"([3])؛ "فهذا الإنسان الذي يتكلَّم في القصيدة، لا يُمثِّل الشَّاعِر وحده، وَإنَّما يُمثِّل الإنسان الفلسطينيَّ، الذي ينتمي إلى القاعدة الواسعة العريضة"([4])، وَهي على هذا تُمثِّل التحام الأنا بالآخر ضمن "الْهُوِيَّة الجَمْعيَّة"([5]).

لقد شاء الشَّاعِر أن يُعبِّر "عن حزنه في حماسةٍ ثائرةٍ، وَفي إطارٍ غنائيٍّ حزينٍ، مُؤَكِّدًا على هُوِيَّتِهِ العربيَّة، بعد أن فقد كُلَّ شيءٍ في أرضه، ولم يعد له حقٌّ في هذه الأرض، وقد سجَّل الشُّعَراء الرُّومانسيُّون الفلسطينيُّون إحساسهم المأساويَّ الحزين، وَأبرزوه في شكلٍ يفيض بالألم وَالحسرة؛ بألم وَحسرة الباحث عن نفسه، حين يُنكِره العالم وَيتركه ضائعًا، لاهثًا وراء أمانيه، صارخًا من أعماقه، مُؤَكِّدًا على هُوِيَّتِهِ المُحمَّلة بالحُزْن"([6]).

وَجاءت هذه القَصِيدَة؛ لِتُعبِّرَ عن تنامي الوعي بهُوِيَّةِ الأَرْض وَأهلها، "في ظِلِّ مواجهةٍ شاملةٍ وَمُعقَّدةٍ، وَعلى جانبٍ ملحوظٍ من المُفَارَقَات مع الآخَر ــ الخَارجيِّ المُختلِف، الذي يسعى لمحو معالمها وَتبديد خصائصها وَطمس قسماتها وَالقضاء على أهلها الأصليِّين، أو "تطهيرها منهم"؛ لتبقى له. وَالآخرِ ــ الدَّاخِليِّ المُؤتلِف، الذي يسعى لإبراز هذه الهُوِيَّة، وَتعميق

---

[1]) سعى مَحْمُود دَرْوِيش منذ زمن إصدار مجموعته الأولى "عصافير بلا أجنحة"، إلى تكوين ملامح هُوِيَّته الاجتماعيَّة، في واقع اللُّجُوء الذي عاناه، وَقد عبَّر عن ذلك أصدق تعبير في قَصِيدَة "كَنْتُ لا أَزَالُ صَغِيرًا ــ قصَّة الطِّفل اللاجئ الذي لا يعرف بلاده"، يُنظَر: دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٦٠م)، **عَصَافِيرُ بلا أَجْنِحَةٍ**، تقديم: د. عبد الرَّحْمن يَاغِي، (د. ط)، عمَّان: مَكْتَبَة عمَّان، ص٤٧ ــ ٥٠.

[2]) الشّلّيح، مُصْطَفى، (دِيسمْبر٢٠٠٤م)، ثَقَافَةُ الْهُوِيَّةِ وَبِنَاءُ النَّقْدِ الْمَعْرِفِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٤)، ص١٦٠.

[3]) مُنِير، **نَصُّ الْهُوِيَّةِ ــ قِرَاءَةٌ فِي "مَحْمُود دَرْوِيش"**، ص١١، ١٢؛ وَيمكن تتبُّع صور "الهُوِيَّة"، بوصفها صورًا مهيمنةً على الشَّاعِر، في مَرَاحِله الأدبيَّة المختلفة، في ثنايا الدِّرَاسَة نفسها.

[4]) خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٣م)، **مَدْخَلٌ لِدِرَاسَةِ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار المَسِيرَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَالطِّبَاعَة، ص٢٤٥؛ وَحَوْل المُؤشِّرات الاجتماعيَّة في تحليل القَصِيدة، يُنظَر: **نفسه**، ص٢٤٤ ــ ٢٤٨.

[5]) يُنظَر في الهُوِيَّة: بنعبد العَالِي، عبد السَّلام، (٢٠٠٥م)، فِي مَسْأَلَةِ الْهُوِيَّةِ .. مِنْ جَدِيدٍ، **ثقَافَات**، تُصدرها كلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (١٣)، ص٨ ــ ١١؛ وَفي أزمة الهُوِيَّة العَرَبيَّة، يُنظَر: غليون، **الْمِحْنَةُ الْعَرَبِيَّةُ: الدَّوْلَةُ ضِدّ الأُمَّةِ**، ص٥٨ ــ ٨١، (ثانيًا: أزمة الهُوِيَّة).

[6]) بركة، نَظْمِي مَحْمُود، (١٩٩٥م)، **الاتِّجَاهُ الرُّومَانسِيُّ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ ــ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ**، (د. ط)، غزَّة: الفَجْر، ص١٥٨.

ملامحها؛ للحفاظ على حَقِّ أهلها فيما استُلِبَ منهم بالقُوَّة الغاشـمة ... ، وَالمهـمُّ، فـي نهايـة المطاف، أنَّنا أمام هُويَّةٍ مصدرها الانتماء إلى هذه الرُّقْعة، قلبًا وَعقلاً، وَمصيرًا مرهونًا بمستقبلٍ مجهولٍ في الحُدُود الدُّنْيَا، وَعضًّا بالنَّواجِذ، وَمُعَانَاةً يوميَّةً، وَتضحيةً مُستمِرَّةً، وَدمـاءً مُرَاقَـةً، وَتحدِّيًا أسطوريًّا، وَمجابهةً غير متكافئةٍ في الحُدُود العُلْيَا"([1])

وَقد اتَّحدت رُؤْيَة مَحْمُود دَرْوِيش مع إِدْوَارد سَعِيد؛ في تأكيد "تشرُّبهما للهُويَّة في علاقتهـا الجدليَّة مع الثَّقَافة، وَالالتزام الأخلاقيِّ للمُثقَّف، وَالكتابة بالمثل كأقوى سلاحٍ لإشهار الحقِّ فـي وجه السُّلْطان. إنَّ نُصُوص سَعِيد وَدَرْوِيش تُجسِّد خطابًا كونيًّا لِهُوِيَّـاتٍ مُتنوِّعـةٍ لا يمكـن أن تُصنَّف في أيقونةٍ مُعيَّنةٍ؛ وَلهذا الأمر؛ فإنَّ الهُويَّة لدى سَعِيد وَدَرْوِيش هي دائمًـا قِـصَّةٌ قيـد التَّأليف. الهُويَّة لديهما طِبَاقِيَّةٌ وَغير ثابتة وَلا مركزيَّة. إنَّ مثل هذا التَّـشْكيل الطِّبَـاقِيِّ للهُويَّـة يفرض على سَعِيد وَدَرْوِيش مسؤوليَّة سَرْد حكاية المُهمَّـشين وَالمُـضطهَدين وَالمُعـذَّبين فـي الأرض، ضِدَّ الهيمنة الثَّقافيَّة وَالإمبرياليَّة"([2])، ([3]).

وَإجمالاً؛ فإنَّ لغة القصيدة انمازت بالبَسَاطَة، وَلم يكن "التَّشبُّث بالبَـسَاطَة اللُّغويَّـة ثمـرة الاحتكاك اليوميِّ المباشر مع سُلطات الاحتلال فحسب، وَلكنَّه أيضًا جزءٌ لا يتجزَّأ من المُعتَقَـد السِّياسيِّ وَالتَّلْمَذَةِ الفنِّيَّة لدى الشُّعَراء، الذين ثاروا على الحَذْلَقَةِ اللُّغويَّة وَالتَّنطُّع البلاغيِّ التَّقليديِّ، وَخصوصًا نِزَار قبَّاني، الذي يُؤكِّد مَحْمُود دَرْوِيش باستمرارٍ بُنوَّته الفنِّيَّة لـه، وَكـذلك مُظفَّـر النّوَّاب، الذي أورثه تلك النَّبْرة الصَّريحة الجَارحة"([4]).

وَيمكن أن نلتفت إلى نمطٍ آخر من التَّعْبير، عن "صورة الأنا الاجتماعيَّة"، حين تتمظهر في صورة "الأنا الجَمْعيَّة"؛ الدَّالَّة على تمثُّل المُستَويات الاجتماعيَّة كافَّةً، في احتفاءٍ أشمل بـالتَّعْبير عن مكنونات كُلِّ فلسطينيٍّ، سواء أكان منضويًا تحت المظلَّة الاجتماعيَّة أم اشتغل بأمور العَسْكر وَالسِّيَاسَة.

وقد لمحنا هذا النمط في مطلع قصيدة "**بَيْرُوت**"، التي "وُلِدت في شِتَاء (١٩٨١)م؛ أي قبـل المعركة بأقلّ من عامٍ. في هذه القصيدة يُلخِّص لنا مَحْمُود دَرْوِيش قصَّة المُعَانَاة التـي عاشـها

---

[1]) اصطِيف، أ. د. عبد النَّبيّ، (أيَّار ٢٠٠٦م)، المُثقَّفُ العَرَبيُّ وَالوَلاءُ الفِلَسْطِينيُّ، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٤٢١)، ص٨، ٩.

[2])

Abu Awdah, Taysir Yusuf. (2009), **The concept of identity in the works of Edward Said and Mahmoud Darwish**, Unpublished Master, Univercity of Jordan, p 81; Can be found on the conclusion: p72 – 74.

[3]) للاطِّلاع على مُعَالَجة إِدْوَارد سَعِيد للإمبرياليَّة، يُنظَر:

Said, **Culture and imperialism**, p159 – 196, (The Pleasures of Imperialism).

[4]) الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (أكتُوبَر ١٩٨٦م/ مارس١٩٨٧م)، خُصُوصيَّةُ الرُّؤْيَا وَالتَّشْكِيل فِـي شِـعْر مَحْمُـود دَرْوِيش، **مجلَّة فُصُول**، ٧(١/٢)، ص١٤٠.

شعبه، الذي لقي من ظلم ذوي القُرْبى أكثر مِمَّا لقي من عداوة الأعداء"([1])؛ لتغدو تأريخًا شعريًّا لمرحلةٍ حاسمةٍ، من جلاء القضيَّة، عن إحدى عواصم العُرُوبــة، إلــى أخــرى اختفــت وراء الصَّحَارَى وَالبِحَار؛ وَهي إن شئنا مقارنتها بما بعدها؛ اســتهلال التَّوْثيــق الــشِّعْريِّ للتَّغْريبــة الفلسطينيَّة الجَدِيدة، بعد النَّكْبة وَنكستها اللاحقة. وفي "جَمْعيَّة الأنا"، بِظهورها الاجتماعيِّ الْكُلِّيِّ، يقول دَرْوِيش([2]):

سبايا نحن في هذا الزَّمَان الرَّخْو
أسْلَمَنَا الغُزَاة إلى أهالينا
فما كدنا نعضُّ الأرضَ حتَّى انقضَّ حامينا
على الأعراس وَالذِّكْرى فوزَّعنا أغانينا على الحُرَّاس
مِنْ ملكٍ إلى عرشٍ
إلى ملكٍ إلى نعشٍ
سبايا نحن في هذا الزَّمَان الرَّخْو
لَمْ نعثرْ على شَبَهٍ نهائيٍّ سوى دمنا
ولَمْ نعثرْ على ما يجعلُ السُّلْطان شعبيّا
ولَمْ نعثرْ على ما يجعلُ السَّجَّان ودِّيّا
ولَمْ نعثرْ على شيء يَدُلُّ على هُوِيَّتِنَا
سوى دمنا الذي يتسلَّق الجدران ...
نُنشدُ خلسةً:

بَيْرُوتُ خيمتُنا
بَيْرُوتُ نجمتُنا

وَيحمل النَّصُّ السَّابق من المُفارَقة مع "**بطاقةِ الْهُوِيَّةِ**"؛ ما يستدعي الوقوف على هذا الحدث المفصليِّ في تاريخ القضيَّة؛ وفيه يتجلَّى الخروج الكبير من "بَيْرُوت"، بضغطٍ صهيونيٍّ أمريكيٍّ، وَمُبارَكةٍ عربيَّةٍ غير مُعلَنةٍ، وَفي الخِطَاب ما يُوحِي بهذا المضمون، مع نقــد الآخــر وَالــذَّات؛ خُلُوصًا إلى تصويرٍ أشمل للجَمْعيَّة الفلسطينيَّة، التي بدت إلى واقع "**السَّبَايَا**" أكثر قربًا، في زمنٍ اتَّسم برخاوة الفِعْل العربيِّ، أمام الخُطُوب الحَاسِمة.

---

[1]) سمرين، د. رَجَا، (١٩٨٣م)، **الشِّعْرُ الْفِلَسْطِينِيُّ فِي مَعْرَكَةِ بَيْرُوت**، (ط١)، الكُويْت: الاتِّحاد العَــامُّ للكُتَّــاب وَالصَّحفيِّين الفلسطينيِّين، ص١٩.
[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ٥٠٦، ٥٠٧.

وَنكاد نقترب من الصُّورة، حين نقع على مفاصلها، وفيها استهلال التَّغْريبة علـى سـبيل السَّرْد الْحِكَائِيِّ؛ وَالرَّاوي على مُنطلق البدء بقوله: "**أسْلَمَنَا الْغُزَاةُ إلَى أهَالِينَا**"، "**فَمَا كِدْنَا نَعَضُّ الأرْضَ حَتَّى انْقَضَّ حَامِينَا**"؛ وفي نسبة الانقضاض إلى الحَامِي، انزياحٌ تركيبيٌّ علـى خلاف المألوف، المُستقرِّ في أذهاننا بشأن العدوِّ[1]، وَهنا يتجلَّى النَّقْد الضِّمْنيُّ للحَامِي العربـيِّ؛ أمَّا مجال انقضاضه فواقعٌ على "**الأعْرَاسِ وَالذِّكْرَى**"؛ وَهي القليل المُتبقِّي مـن إرث شـعب أسـلم بالجُمْلة للتَّشْريد وَالنَّفْي.

وَتأتي ردَّة الفعل على نحوٍ يُرسِّخ النَّقْد الذَّاتيَّ المُلتصِق بالتَّوْصيف، وفيه يتبدَّى كُنْهُ النَّشيد الرَّاصِد سوداويَّة الصُّورَة؛ فمن "**مَلِكٍ عَلَى عَرْشٍ، إلَى مَلِكٍ عَلَى نَعْشٍ**"، تُضْحِي القِيَادة الفلسطينيَّة نهبًا للموت؛ بفعل الخروج المُدوِّي من "بَيْرُوت"؛ لينسج الشَّاعِر نبوءة الاستقبال، انطلاقًا من لحظة التَّسْليم؛ فالتَّنازُل خطوةً يُؤدِّي بالقيادة إلى الدُّون، وَهو ضـربٌ مـن التَّنبُّؤ الكَاشِف للمُستَقبل، ألحَّ دَرْوِيش على حضوره في خِطَابه الأدبيِّ على الدَّوَام.

وَيغدو التَّكْرار مخلصًا حسنًا من النَّشِيد، وفيه ترداد السَّبْي، الذي غدا استنساخًا "للسَّبْي البابليِّ لليَهُود"، يُؤيِّده استنساخه لظاهرة "التِّيه" في دواوينه اللاحقة؛ تبريـرًا منـه للمُمَارَسات الصُّهيونيَّة، التي ترتدُّ إلى عُقَدِ التَّاريخ البَائِد، وَبها أحال الغَاصِب الفلسطينيِّين جميعًا إلى هاتَيْن الظَّاهرتَيْن واقعًا مَعِيشًا.

---

[1]) للاطِّلاع على عَلاقَة الانزياح بِاللُّغَة الشِّعْرِيَّة، يُنظَر: أبطي، عبد الرَّحِيم، (دِيسمْبر٢٠٠٤م)، الانْزِيَاحُ وَاللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٤)، ص٤٥٧ ــ ٤٧٨؛ وَفي الانزياح الدَّلاليِّ، يُنظَر: الرَّواشدة، أُمَيْمَة عبد السَّلام، (٢٠٠٥م)، **شِعْرِيَّةُ الانْزِيَاح ــ دِرَاسَةٌ فِي تَجْرِبَةِ مُحَمَّد عَلِيّ شَمْس الشِّعْرِيَّةِ**، (د. ط)، عمَّان: أَمَانَة عمَّان، ص٥٣ ــ ٥٩، (الفَصْل الأوَّل: الانزياح الدَّلاليُّ "الرَّمْز" ــ مُقدِّمةٌ نظريَّةٌ)؛ وَحَوْل الانزياح، يُنظَر: وغليسي، يُوسُف، (فبراير٢٠٠٨م)، مُصْطَلَحُ [الانْزِيَاح] بَيْنَ ثَابِتِ اللُّغَةِ المِعْيَارِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ وَمُتَغَيِّرَاتِ الْكَلامِ الأسْلُوبِيِّ الْعَرَبِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦٤)، ص١٨٩ ــ ٢١١؛ وَفي مُصْطَلح الانحراف، يُنظَر: ربابعة، أ. د. مُوسَى، (١٩٩٥م)، الانْحِرَافُ مُصْطَلَحًا نَقْدِيًّا، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٠(٤)، ص١٤٣ ــ ١٦٧؛ وَللاطِّلاع على الاستعارة التَّنافُريَّة في الشِّعْر الحَدِيث، مع أُنموذجٍ شعريٍّ لِمَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: قطوس، د. بَسَّام وَربابعة، أ. د. مُوسَى، (١٩٩٤م)، الاسْتِعَارَةُ التَّنَافُرِيَّةُ فِي نَمَاذِجَ مِنَ الشِّعْرِ الْحَدِيثِ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٩(١)، ص٣٣ ــ ٦٧؛ وَفي الاستعارة التَّنافُريَّة أيضًا، يُنظَر: الكُوفَحِيّ، **مِحْنَةُ الْمُبْدِع ــ دِرَاسَاتٌ فِي صِيَاغَةِ اللُّغَةِ الشِّعْرِيَّةِ**، ص٩٦ ــ ٩٨؛ وَفي الانحراف: يُنظَر: الكُوفَحِيّ، خُصُوصِيَّةُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ فِي دِيوَان "طَوَاف المُغَنِّي" لِحَبِيب الزَّيُودِيّ ــ دِرَاسَةٌ فِي ظَاهِرَتَي (التَّنَاصِّ، وَالانْحِرَافِ الأسْلُوبِيِّ)، ص٧، ٨، (تقديمٌ نظريٌّ)؛ وَلِمُطَالَعة الوظيفة البلاغيَّة للانزياح، يُنظَر: شرتح، عِصَام، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، الانْزِيَاحُ وَوَظِيفَتُهُ البَلاغِيَّةُ عِنْدَ بَدَوِيِّ الْجَبَل، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٨)، ص٣٨٦ ــ ٣٨٨، (تمهيدٌ نظريٌّ)؛ وَفي الاستعارة التَّنافُريَّة، وَما يُسمَّى في النَّقْد الحَدِيث بالانحراف الأسلوبيِّ، يُنظَر: ربابعة، أ. د. مُوسَى، (٢٠٠٨م)، **جَمَالِيَّاتُ الأسْلُوبِ وَالتَّلَقِّي ــ دِرَاسَاتٌ تَطْبِيقِيَّةٌ**، (ط١)، عمَّان: دَار جَرِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣ ــ ١٨؛ وَفي باب اتِّصال الانزياح بِالأسلوبيَّات وَاللِّسانيَّات، يُنظَر: أوكَان، عُمَر، (٢٠٠١م)، **اللُّغَةُ وَالْخِطَابُ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء وَبَيْرُوت: أفريقيا الشَّرْق، ص١٦٨ ــ ١٨٠، (أسلوبيَّات الانزياح)؛ وَيُنظَر في المُعَالَجة المُصْطَلحيَّة للانزياح: ويس، أحْمَد مُحمَّد، (يَنَاير/ مارس١٩٩٧م)، الانْزِيَاحُ وَتَعَدُّدُ المُصْطَلَحِ، **عَالَم الفِكْر**، ٢٥(٣)، ص٥٧ ــ ٧٨؛ وَفي مَفْهُوم الانزياح عند جماعة "مو"، يُنظَر: بواجلابن، الحَسَن، (نُوفمبر٢٠٠٨م)، الانْزِيَاحُ الْمَنْطِقِيُّ مِن مَنْظُورِ جَمَاعَةِ "مو"، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٧(٦٧)، ص١٦٣ ــ ١٨٧.

وَيُتْبِعُ الشَّاعِر ذلك بالبناء اللُّغويِّ، القائم على المُتتابِعة الفِعْلِيَّة، المُصدَّرة بالجَازِم "لَمْ"، وَالمتلوَّة بالجارِّ "**عَلَى**"، وفيها من تَجْنيس استهلال الأشطار؛ ما يُحِيلُ إلى تَمَاثُلِ الحالات، التي أراد البَوْح بها في شعره، وَهي واقعةٌ في دائرة غير المُتحقّق؛ فليس من شبيهٍ لدماء الخارجين من الحِصَار؛ وفي ذلك دلالة الاغتراب وَالوحدة؛ أَمَّا سُلْطانهم فلم يُعْثَرْ فيه على وجهٍ يصله بالنِّطَاق الشَّعْبيِّ، على جهتي القبول وَالإعزاز، وَما من مفاتيح سحريَّةٍ تُحِيلُ السَّجَّان من القَسْوة وَالْعُنْفِ، إلى الودِّ وَاللُّطْفِ؛ وَإن بدت "**الْهُوِيَّة**" واضحةً في "بِطَاقَتِهِ الأولَى"؛ فقد أضحت خلوًا من العَلائِم وَالدَّلالات في هذا السِّيَاق، سوى الدِّمَاء الخَارجة من وسط أكوام الرُّكَام.

وَوظَّف الشَّاعِر "**الْهُوِيَّة**" على نحوٍ مبينٍ عظم الفاجعة؛ فهي تتدرج في نطاق "هُوِيَّةِ النَّوْع"؛ من حيث الأثر العامِّ للنَّكبات السَّابقة، وَهي "**الْهُوِيَّةُ**" التي يكون وجودها تابعًا "لوجود الذَّات، وَلكنَّ دلالاتها قائمةٌ على الآخَر"([١])؛ فَـ"الهُوِيَّة الفلسطينيَّة" مُتشكّلةٌ في مُحتَضن الصَّامِدين على الأرض، لكنَّ سائر طبقات المنظومة الاجتماعيَّة، لا تكاد تُفارِق دلالات الاحتلال الواقع من قبل الآخر الصُّهيونيِّ؛ وَبذلكم تكون "الهُوِيَّةُ"؛ من حيث نَوْعها مُختصَّةً بشعبٍ واقعٍ تحت ظلم الاحتلال، مُشرَّدٍ بين الأوطان.

أمَّا "هُوِيَّةُ الدَّوْر" فتجلَّت في مضمون الحدث الواقع في "بَيْرُوت"؛ حيث اعتمدت "في وجودها كُلّيَّةً على الآخَر"([٢])، وَتتجلَّى في هذه "الْهُوِيَّةِ" بين "الذَّات وَالآخَر علاقةٌ تبادليَّةٌ؛ حيث إنَّ التَّوقُّعات الضِّمْنيَّة منهما، تلعب دورًا في صياغة كُلٍّ منهما؛ وَلذلك فإنَّ هذه الهُوِيَّة تفترض بعض أشكال الصِّرَاع؛ فالتَّوقُّع من طرفٍ قد لا يتلاءَم مع التَّوقُّع من الطَّرف الآخَر. كما أنَّ هذه الهُوِيَّة يمكن أن تتطوَّر؛ وذلك بأن تتغيَّر التَّوقُّعات المُتبادَلة نتيجةً لإصرار أحدهما، أو لتغيُّر ثقافتهما المُشترَكة حول التَّوقُّعات بينهما"([٣]).

وَإذا شئنا أن نقرأ ظلال الوقائع الجِسَام على خِطَاب الشَّاعِر؛ ألفيناه مُتَّحِدًا مع الشَّعْب ضمن إطار "الهُوِيَّة الجماعيَّة"؛ وَهي "تُشِيرُ إلى حالةٍ من الحالات التي تتجاوز فيها الهُوِيَّة ذاتها، بحيث تشمل الآخر معها. هذا يتمُّ من خلال عمليَّةٍ معرفيَّةٍ، تُصبح فيها الحُدُود بين الذَّات وَالآخَر مُتميِّعةً، بل في بعض الحالات يتمُّ تجاوز هذه الحُدُود من أصلها ... وَنتيجة وجود هُوِيَّةٍ جماعيَّةٍ؛ أنَّ الفرد يرى أنَّ مصالح الآخر هي من مصالح الذَّات"([٤]).

---

[1]) حَمِيد الدِّين، عبد الله بن مُحمَّد، (٢٠٠٥م)، **الْهُوِيَّةُ فِي بِنْيَةِ النِّظَام الدَّوْلِيِّ**، (ط١)، عمَّان: استراتيجيَّات ثقافيَّة، ص٧٤.

[2]) **نفسه**، ص٧٤.

[3]) **نفسه**، ص٧٤.

[4]) حَمِيد الدِّين، **الْهُوِيَّةُ فِي بِنْيَةِ النِّظَام الدَّوْلِيِّ**، ص٧٤، ٧٥.

لقد اتَّحدت هذه الغايات الكَشْفيَّة، في وحي "الهُويَّة"؛ لِترسيخ ما أقرَّه أَبُو البَقَاء الكفويُّ قبلاً؛ من أَنَّها: "ما به الشَّيء هو هو باعتبار تَحقُّقه يُسمَّى حقيقةً وَذاتًا، وَباعتبار تَشخُّصه"([١])؛ وَعليــه فإنَّ الشَّاعِر قد سعى إلى شَخْصَنَةِ "الهُويَّة" على الأرض؛ بوصفها حقيقةً فلــسطينيَّةً جَمْعيَّــة، لا تقبل التَّنازُل أو التَّفْرِيط.

وقد سعى الشَّاعِر في المُجمَل، من خلال تكريسه انتفاء العُثُور على "**الْهُويَّةِ**"؛ إلى التَّوثُّــب نحو الفِعْل المُولِّد "هُويَّتَهُ" الأصيلة؛ بإثارة مكامن الإحساس نحو "الاسترجاع وَالاستحــضار، لا من أجل الانغلاق على الذَّات بالمُحَافَظَة وَالحِرَاسَة، بل من أجل إعادة البِنَاء وَالتَّــشْكيل، علـــى سبيل الخَلْق وَالتَّوْلِيد"([٢]).

وَيُنشِد الشَّاعِر برفقة الخَارجين خلسة، فليس من سبيلٍ إلى التَّصْريح، في واقع مُشتمِلٍ بعِدَاءِ الإِخَاءِ، وَالمنشود في ذلك استجلاب الأمل إلى الصُّورَة المُجلَّلة بلوني الحُمْرة وَالسَّوَاد، وَحركتي القَصْف وَالتَّدْمير، وَرائحتي البَارُود وَالنَّار([٣])؛ أَمَّا مضمون النَّشِيد المُختَلس في انتظار الرَّحِيل: "**بَيْرُوتُ خَيْمَتُنَا، بَيْرُوتُ نَجْمَتُنَا**"؛ ذلك أَنَّ الكُلَّ العربيَّ([٤])، وَاللَّفِيفَ الدَّوْلِيَّ، قد قرَّرا ســلفًا أن "**لا خَيْمَةَ**" في "بَيْرُوت".

لقد "أدرك مَحْمُود دَرْوِيش، بحسِّه الشِّعْرِيِّ الملهم، أنَّ بَيْرُوتَ نجمتنا الأخيرة، وَأَنَّها آخــر خيمةٍ تظلُّه وَتُظلِّل رجال المُقَاوَمة، ومن هنا جاءت الاستماتة في الدِّفَاع عن بَيْرُوت؛ لأنَّ الشَّاعِر وَأبناء شعبه يُدركون جَيِّدًا ما أعدَّته الأنظمة لهم"([٥]).

---

[1]) أَبُو البَقَاء الكفويّ، أَيُّوب بن مُوسَى الحُسَيْنِيّ، (ت١٠٩٤هـ/ ١٦٨٣م)، **كِتَابُ الْكُلِّيَّاتِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق: عَدْنَان دَرْوِيش وَمُحمَّد المصريّ)، مُؤَسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٩٩٨م، ص١٥٤٠، (فَصْل الهَاء).

[2]) حَرْب، عَلِيّ، (٢٠٠٤م)، **حَدِيثُ النِّهَايَاتِ ــ فُتُوحَاتُ الْعَوْلَمَةِ وَمَآزِقُ الْهُوِيَّةِ**، (ط٢)، الدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العَرَبِيّ، ص١٨٦؛ وَيمكن استجلاء مُعْضِلة الهُويَّة، فـــي الفِكْــر العَرَبِـــيِّ، يُنظَــر: خَلِيــل، د. حَامِــد، (رَبيع١٩٩٨م)، مُشْكِلَةُ الْهُوِيَّةِ فِي الفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَــرَب بدِمَشْق، (٢)، ص٩٠ ــ ٩٦.

[3]) اقترنت النَّار في مذهب دَرْوِيش الشِّعْرِيِّ، بحرب المُقَاوَمَة مع العدوِّ، على نحوٍ ظاهرٍ، على ضدِّيَّة تمظهرها في الشِّعْر، ملحقة بالمُقَاوَمَة أو العدوِّ، وَقد أبان الشَّاعِر دلالة النَّار بقوله تحت عنــوان "نَحْــنُ نُقَاتِــلُ .. وَهُــمْ يُقَامِرُونَ": ".. النَّار هي القَرَار الوَحِيد الذي يُؤَدِّي تنفيذه إلى استرجاع شرفنا الإنسانيِّ من مهانة ربع القَــرْن .. النَّار هي المحكمة الوَحِيدة الجَدِيرة بأن تشرع العَدَالة بيننا وَبين مثل هذا الطِّرَاز من الأعــداء. وَالنَّــار، هي التَّجربة الضَّروريَّة لاختبار معدن هذا الإنسان العَرَبِيِّ، الذي لم يمارس اختباره منذ مُدَّةٍ طويلةٍ فكاد يتوحَّــد في الشَّكِّ ..."؛ يُنظَر في: دَرْوِيش، مَحْمُود، (أَيَّار/مَايُو١٩٧٤م)، **وَدَاعًا أَيَّتُهَا الْحَرْبُ وَدَاعًا أَيُّهَا السَّلامُ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة ــ مركز الأبحاث، ص٥٣.

[4]) لقد مثَّلت هذه المرحلة من تاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة، انتهاكًا مُتَبادلاً لِحُقُوق الإنسان العَرَبِيِّ، وَهذا يندرج فـــي المنظومة السِّياسيَّة العَرَبِيَّة، القائمة على انتهاك الحُرِّيَّات وَالحَيَوات غالبــاً، يُنظَــر: الرّشــدَان، عبــد الفَتَّــاح، (١٩٩٤م)، حُقُوقُ الإِنْسَانِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ: الْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ، **مجلَّة أَبْحَــاث اليَرْمُــوك**، "سِلْــسلة العُلُــوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة"، ١٠(٤)، ص١٨٧.

[5]) سمرين، **الشِّعْرُ الْفِلَسْطِينِيُّ فِي مَعْرَكَةِ بَيْرُوت**، ص٢٠.

ومن هذا كلّه؛ يمكن "أن نُحدِّد بالخُرُوج من بَيْرُوت، تصوُّر دَرْوِيش للمكان في هذه المرحلة؛ وذلك وفق محورَيْن: الأوَّل حين تكون بَيْرُوت جسرًا بين البرِّ وَالبحر، وَعلى هذا الجسر تبدو الخَطِيئة هي الأساس الذي يتعامل به دَرْوِيش مع مُفرَدَات هذا المكان، كما يظهر صراع دَرْوِيش ضِدَّ المَوْج الأُنُوثة ..."([1]).

وَيبقى أن نُشِيرَ إلى صورة الاجتماعيِّ الاشتماليِّ، حين يتسلَّح المُثقَّف بأكثر من سُلْطَةٍ، في مرحلة استحضار الذِّكْرى، على أطلال الحياة المُؤذِنه بقرب الرَّحِيل([2])، وفي ذلك قال دَرْوِيش في "**جِدَارِيَّتِهِ**"([3]):

مَنْ أنَا ؟

أنشيدُ الأناشيد

أم حِكْمَةُ الجامعةِ ؟

وكلانا أنَا ...

وَأنَا شَاعِرٌ

وَمَلِكْ

وَحكيمٌ على حافَّة البئر

لا غيمةٌ في يدي

وَلا أحَدَ عَشَرَ كوكبًا

على معبدي

ضاق بي جَسَدي

ضاق بي أبَدي

وَغدي

جَالِسٌ مثل تاج الغبار

على مقعدي

...

---

[1]) عتوم، مَهَى مَحْمُود، (د. ت)، **تَحَوُّلاتُ الْمَكَان فِي شِعْر مَحْمُود دَرْوِيش ــ مَرْحَلَةُ مَا بَعْدَ بَيْرُوت (١٩٨٣ – ١٩٩٥م)**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبد، الأُرْدن، ص٦؛ وَيمكن التَّوقُّف عند قراءة البَاحِثة تجلِّيات المَكَان، انطلاقًا من حِصَار "بَيْرُوت" الحَاسِم، إلى ما بعده: ص٨ ــ ٢٧، (بَيْرُوت: المَكَان/ الخَطِيئة)؛ ص٢٨ ــ ٣٥، (ثُنَائِيَّات بَيْرُوت المُتحوِّلة بعد البَحْر)؛ ص٣٦ ــ ٦٠، (الخُرُوج إلى المَنْفَى/ خُرُوج الخُرُوج)؛ ص٧٩ ــ ٨٨، (المَشْهَد الأندلسيُّ).

[2]) يُنظَر: يَاغِي، د. عبد الرَّحْمن، (٢٠٠٥م)، **جَولاتٌ فِي النَّقْدِ الأدَبِيِّ**، (ط١)، عمَّان: وزارة الثَّقافَة، ص٢١٣ ــ ٢٢٢، (رحلتان تتقاطعان في القَصِيدة (الدِّيوَان) بالعنوان: "جِدَارِيَّة مَحْمُود دَرْوِيش").

[3]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥١٨.

فقد استملك الشَّاعِر في عمق دلالة الخِطَاب عدَّة سُلطاتٍ؛ إذ هو صاحب السُّلْطة المعرفيَّة لكونه "**شَاعِرًا**"، وَرأس السُّلْطة السِّياسيَّة بوصفه "**مَلِكًا**"، وَمُبتدِع الأنظار الفِكْريَّة باعتباره "**حَكِيمًا**"، وَرَاهِب السُّلْطة الدِّينيَّة في"**مَعْبَدِه**"؛ مِمَّا يعني تمثُّله أربع سُلطاتٍ محوريَّةٍ؛ لتأكيد حضوره في القصيدة على نحوٍ اشتماليٍّ؛ يُرسِّخ انتسابه لهذه السِّيَاقات جميعها، وهو الذي استوحى في ظلالها كُلَّ مراحل القضيَّة، في لجَّة الاغتراب الدَّاخليِّ، الذي عايشه إبَّان (أُوسْلو)، وَإدراكه قُرْب الرَّحِيل الدُّنْيا.

وَيُؤكِّد الشَّاعِر احتفاءَه بالسُّلطات السَّابقة، في موطنٍ لاحقٍ من "**الْجِدَارِيَّةِ**" نفسها، فيقول([1]):

...

عشتُ كما لم يَعِشْ شَاعِرٌ

مَلِكًا وَحكيمًا ...

هَرِمْتُ، سَئِمْتُ من المجدِ

لا شيءَ ينقصني

...

بذلكم اتَّضحت صورة "الأنا الاجتماعيَّة" عند مَحْمُود دَرْوِيش، بوليجتَيْن موضوعيَّتَيْن رئيسيَّتَيْن، هُمَا: الأنا المُفرَدة([2])، وَالأنا الجَمْعيَّة([3])، وَجاءت كلتاهما لقراءة الدَّاخِل الاجتماعيِّ الفلسطينيِّ، بواقعه وَمطامحه وَآماله، مع تعزيز قيم الثَّبَات وَالصُّمُود وَالتَّحدِّي، وَفَضْح المُؤَامَرَات التي حِيكَتْ في الخَفَاء للثَّوْرة الفلسطينيَّة، من داخلها وَخارجها، كما عبَّرت بشكلٍ مباشرٍ عن مواقف المُثقَّف السِّياسيَّة، من القِيَادة الفلسطينيَّة، وَالمُحِيط العربيِّ، وَالمُحتَلِّ الصُّهيونيِّ، وَالحِلْف الدَّوْليِّ.

وَلم يكن دَرْوِيش خِلْوًا من الحُضُور الاشتماليِّ الاجتماعيِّ، على نحو تعدُّد السُّلطات وفق التَّقْسيم السُّلطويِّ الكُلِّيِّ؛ فقد وجدنا من دواعي ذلك في الخِطَاب؛ ما يُؤكِّد حُضُور السُّلطات المعرفيَّة وَالفِكْريَّة وَالسِّياسيَّة وَالدِّينيَّة، مع تنبيهنا إلى أنَّ الشَّاعِر الحكِيم حين كان مَلِكًا؛ فقد أتى

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥٢١.

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٧٨، ٨٨، ("حَنِينٌ إلى الضَّوْءِ"، من مجموعة "أَوْرَاق الزَّيْتُون").

[3]) تبدَّت الأَنَا الجَمْعيَّة في نَمَاذِج كثيرةٍ، سَنُشِير إلى بعضٍ منها، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٢٩٧ ــ ٣٠٩، ("خُطْبَةُ الْهِنْدِيِّ الأَحْمَرِ ــ مَا قَبْلَ الأَخِيرَةِ ــ أَمَامَ الرَّجُلِ الأَبْيَضِ"، من مَجْموعة "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا")؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٢٩٠ ــ ٢٩٣، ("قرويُّون مِنْ غَيْرِ سُوءٍ"، من مَجْموعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا")؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ**، ص١٣ ــ ١٩، ("ههنا، الآن، وهنا الآن"، من "المَجْمُوعَة الأَخِيرَة")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص٥٦ ــ ٦١، ("سِينَارِيُو جَاهِز"، من "المَجْمُوعَة الأَخِيرَة").

ذلك في سياق مُعايَشته هموم القِيَادة السِّياسيَّة، من النَّاحِية الوظيفيَّة، وَقراءته بالــشِّعْر واقعهـــا، وَالإبحار بها نحو نبواءات المُستَقبل؛ ذلك الذي بدا على النَّقِيض مِمَّا ابتناه الشَّاعِر فـــي عهــده الأوَّل، من ديمومة الْحِسِّ الثَّوْرِيِّ المُقاوِم، وَعدم الخُنُوع على مَوَائِد التَّفَاوُض.

ـ صُورَةُ الأَنَا الاقْتِصَادِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

كان دَرْوِيش على صلةٍ بالمَنْحى الاقتصاديِّ، من ناحية تلقّيه المُقدِّمات الأوَّليَّة في "عِلْم الاقْتِصَادِ السِّيَاسِيِّ"، في (مُوسْكُو)، لمدَّة عامٍ واحدٍ، ما لبث بعده أن عاد إلى مِصْرَ؛ ليعمل في صحيفة الأهْرَام اليوميَّة القَاهِرِيَّة؛ ليصدر من ذلك كلّه عن إبانة الموقف الثَّقافيِّ من قضايا شعبه وَأمَّته؛ فلم تكن نظرته للاقتصاد نظرةً مُجرَّدةً، بمعزلٍ عن المُؤثِّرات السِّياسيَّة وَالنَّاتِج الاجتماعيِّ؛ وَإنَّما كانت في صميم قراءة الواقع الفلسطينيِّ وَالعربيِّ وَالدَّوْليِّ.

ولَعلَّ أشدّ اللَّوْحات الشِّعْرِيَّة انتماءً لهذا التَّبدِّي السُّلْطويِّ، في بوح الأنا، ما جاء في قصيدته "**بطَاقة هُوِيَّة**"، فقد قال في المَقْطع الثَّانِي(1):

سَجِّلْ !

أنَا عربيّ

وَأعمل مع رفاق الكَدْح في مَحْجَرْ

وَأطفالي ثمانيةٌ

أسلُّ لهم رغيفَ الخُبْزِ،

وَالأثوابَ وَالدَّفْتَرْ

من الصَّخْر ..

وَلا أتوسَّلُ الصَّدَقاتِ من بَابِكْ

وَلا أصغرْ

أمام بلاط أعتابك

فهل تغضبْ ؟

وَنتوقَّف عند "**بطَاقة هُوِيَّةٍ**" مرَّةً أخرى، بنزعة ظهور الأنا في التَّبدِّي السُّلْطويِّ الاقتصاديِّ؛ لتكتمل ملامح "**الْهُوِيَّةِ**" في بَوْح دَرْوِيش الشِّعْرِيِّ، ولَم يزل خِطَاب الأمر على جهة الاستعلاء، بالنَّبْرة المُدوِّية، في تحدٍّ فريدٍ للمُحتَلِّ الصُّهيونيِّ، بعمق الانتساب للأمَّة العربيَّة؛ وَيكمن ملمح التَّحدِّي في الإطار الاقتصاديِّ؛ الذي يتمثَّل فيه المُثقَّف كُلَّ فلسطينيٍّ، في المُستَوى الاجتماعيِّ.

وَيرسم الشَّاعِر مَلامِح الكَدْح؛ التي أضحت عنوان الفلسطينيِّين في استجلاب قُوت العَيْش، الكفيل بتدعيم الصُّمُود على الأرض، ويغدو مكان العمل "**مَحْجَرًا**"؛ تبدَّت من خلال حجارته

---

1) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٨٠، ٨١.

المُستخرَجة صلابة العاملين وَقسوة عيشهم، وَدَرْويش لم يزل يُلِحُّ على حضور الرَّقم "**ثمَانِيَــةٌ**"؛ مُشِيرًا به إلى عدد أطفاله؛ لترسيخ عامل الصَّدَارَة السُّكَّانيَّة.

وَيستهلُّ الشَّاعِر الخِطَاب الشِّعْريَّ بالفِعْل "**أسلُّ**"؛ المُعبِّر عــن اســتلال "**رغيــف الخُبْــز**" وَ"**الأثواب**" وَ"**الدَّفْتر**"، من مُعَانَاة الكَدْح في مَحْجر الصَّخْر؛ كيما لا تُتَسوَّل لقمــة العــيش علــى أعتاب السُّلْطة الصُّهيونيَّة، أو في أيٍّ من مستوطناتها، وَلا يكون بذلك صَغَارُ الانكسار، على ما في حماسة الشِّعْر من دواعي الانتصار.

وَيأتي النَّفْي السَّابِق فعلي التَّوسُّل وَالصَّغَار، مقرونًا بالبَلاط الصُّهيونيِّ، الذي توسَّل ساسته إذلال الفلسطينيِّين بأموالهم، مذ وَطِئَتْ أقدام غُزَاتهم الأرض وَحتَّى يومنا هذا، ثُمَّ يكون الخِتَــام على نهج المَقْطع الأوَّل، بقول الشَّاعِر: "**فَهَلْ تَغْضَب ؟**"؛ استدعاءً منه لانتفاضةٍ تلحقهــا "**فَــوْرَةُ الْغَضَبِ**".

لقد تبدَّت المُواجَهة بين الفلسطينيِّ الاجتماعيِّ وَالمُحتَلِّ الصُّهيونيِّ، من خــلال المــضمون الاقتصاديِّ، لسُلْطة النُّفُوذ الماليِّ، وفي ذلك المضمون صورتان؛ إحداهما حَاضِرَةٌ؛ تتمثَّــل فــي الفلسطينيِّ الحَاصِل على قُوت أطفاله بالكَدِّ العَظِيم؛ وَالأخرى غائبةٌ مُستَدعاةٌ بحضور نقيضها في الشِّعْر؛ وتتجسَّد في صورة المُحتَلِّ الصُّهيونيِّ، الذي سلب مُقدَّارت الأرض الفلسطينيَّة، وَنهــب ثرواتها، وَسخَّر مَوارِدها الطَّبيعيَّة وَالصِّناعيَّة؛ لخِدْمة اقتصاده، وَتقوية نُفُوذه، هذا النُّفُوذ الذي لم يكن له سُلْطانٌ على المُرْتحِلين صوب الشَّمْس في "**فَوْرَةِ الْغَضَبِ**".

وَجاءت قصيدة "**الرَّماديّ**"، في مَجْمُوعَة "**مُحَاوَلَة رقم ٧**"؛ لتكشف عن ضبابيَّة الــصُّورَة، المُقترنة بما اصْطُلِحَ على تسميته بانتصار عام (١٩٧٣)م؛ ليتــشكَّل "**الرَّمــاديُّ**" مــن امتــزاج سوداويَّة الحَرْب وَالارتحال، مع بياض النَّصْر وَالسَّلام، وفيهما قــال الــشَّاعِر، بعــد زحــف الصَّحْراء عليه، وَالتفافها حول خَاصِرَته(1):

...

ليس لي خلف جبال الرَّمْل آبارٌ من النِّفْط، وَلا صفصافة
مستشرقةْ
كان لي سورةُ "إقرأ" وَقرأتْ ...
كان لي بذرةُ قمح في يدٍ محترقةْ
وَاحترقتْ.
وَلِيَ الآن شتاءٌ من دم يمتصُّه الرَّمْل، وَيُستَخرج

---

1) دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ١٨٧.

مازوتاً . وَأستَدْعَى إلى الحَرْب لكي يصبح سعرُ
النِّفْط أعلى.
قلت: كلاّ !

ولَج مَحْمُود دَرْوِيش الخِطَاب بالسِّلاح الاقتصاديِّ، الذي أبان عن المطامح الماديَّة المُتشكِّلة في رحم المُعَانَاة، وهنا مكمن المُفارَقة؛ فليس من اصطنع من الحُرُوب أداةً لاستجماع فائض غلاء أسعار النفط، كمن ألقى همَّته على أطراف صحراء مُترَاميةٍ، وَنزف دمًا زكيًّا؛ لِـ "**يُستَخرج مازوتا**"، ويستدعى "**إلى الحَرْب لكي يصبح سعرُ النِّفْط أعلى**"([1]).

هكذا أراد المُثقَّف للخِطَاب أن يكشف، وبقدر ما كشف؛ فقد أدار عجلة النَّقْد صوب صَحَارَى العُرُوبة، بمخزونها النِّفْطيِّ العظيم، وَالفلسطينيُّ استُملِك، وصُودِرت قضيَّته، وَبيعَت مُعانَاته، لمصلحة السَّاسَة المُحبِّين المال حُبًّا جَمًّا، كما نزف دمًا رخيصًا، هو "**كَالمَازُوت**" إذا ما قُورِن بالنِّفْط ثمنًا، ذلك الذي غدا سعره أعْلى، وَذووه أنْكى، وَدلالته على الخذلان العربيِّ أقوى.

وَتظهر الصُّورة الاقتصاديَّة للأنا، على نحوٍ رمزيٍّ مُقترنٍ بالسِّيَادة التَّاريخيَّة، على كُلِّ الأحداث؛ إذ لا فاضح لعبوديَّة المُتخاذِلين، وَالمُلُوك الصَّاغِرين، إلا الشَّاعِر المُثقَّف، أمَا وقد وصل التَّخاذُل مداه، وَانتفت المُعارَضة لعبوديَّة السِّياسَة وسَاسَة العَبيد؛ فقد أضحى دوره مُشبَعًا بالتَّزْوير الصَّارِخ للحقائق، حتَّى لكأنَّه زيَّن للسُّلطان سوء عمله، وفي ذلكم صدح الشَّاعر في "**جِدَارِيَّتِهِ**" قائلاً([2]):

وَأنَا أنَا، لا شيء آخَرَ ...
لَسْتُ من أتباع روما السَّاهرينَ
على دُرُوب الْمِلْح. لكنِّي أسَدِّدُ نِسْبَةً
مئويَّةً من مِلْح خبزي مُرْغَمًا، وَأقول

[1]) يمكننا أن نقرن ذلك بما جاء في حواريَّته الكاشفة مع "سرحان"، في شأن حرب حُزَيْرَان، تحت عنوان "الشُّهَدَاءُ يَطْلُبُونَ دَمَهُمْ إذَا ضَاعَ فِي النِّفْطِ": "ــ ولماذا فرحت بالحرب الأخيرة يا "سرحان" ؟

● لأنَّها اختبرت أثمن ما في هذه الأمَّة، وَأثبتت أنَّه صالح.

ــ الدَّم أم النِّفط ؟

● المدافعون عن ضرورة نسيان حُزَيْرَان وَأصحاب حُزَيْرَان ذاتهم هم الذين يشيعون الآن أنَّ النِّفط بطل الحرب. لا، ليس النِّفط بطل الحرب. لا، ليس النِّفط بطل الحرب. الدَّم هو البطل.

ــ ولَكنَّنا خسرنا مزيدًا من الأرض.

● وَربحنا مزيدًا من الإيمان بطاقة التَّحوُّل فينا. صرنا نعرف أنَّ العيب لا يأتي من هذه الطَّاقة الإنسانيَّة. العيب فوق .. في السَّقف. لقد ازداد وُضُوح التَّناقُض. وَالعيب في السَّقف"؛ يُنظَر في: دَرْوِيش، **وَدَاعًا أيَّتُهَا الحَرْبُ وَدَاعًا أيُّهَا السَّلامُ**، ص١٢٧، ١٢٨.

[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥٠٧، ٥٠٨.

للتَّاريخ: زَيِّنْ شاحناتِكَ بالعَبيد وَبالمُلُوك الصَّاغِرين

ومُرَّ ... لا أحَدٌ يقول

الآن: لا.

لقد انتصر الشَّاعِر للملح في كثيرٍ من قصائده، وبدا مُحتفِيًا بتبدِّياته المختلفة، لا سيَّما في ارتباطه بالبَحْر وَزَبَدِهِ؛ ذلك أنَّهما يُشكِّلان المُعادِلَيْن التَّكْوينيَّيْن الرَّئيسيَّيْن للإلهة الأولى "تعامة"([1])، لكنَّه نفى في مُستهلِّ المقطوعة السَّابِقة، انتماءَه للسَّاهِرين على "**دُرُوبِ المِلْح**"، من أتباع "**رُومَا**"؛ مُعَبِّرًا عن عدميَّة الانتماء لحِلْف المِلْح (الصُّهيونيِّ الأمريكيِّ)([2])، الذي مهر بفن الابتياع.

وهنا تكمن الصُّورة الاقتصاديَّة، المُتبدِّية في النِّسبة المِئَويَّة، التي يدفعها الشَّاعِر من مِلْح خبزه راغمًا لا راغبًا؛ لينقلنا إلى مُخاطَبة التَّاريخ على وجه التَّأنيب، داعيًا إيَّاه أن يُزيِّن شاحناته بـ"**عَبيد السَّاسَة**"، وَ"**المُلُوك الصَّاغِرين**"، على أعتاب الرِّضَا الدَّوْليِّ؛ كيما يمرَّ بهم إلى حيث التَّسْليم الأخير؛ فلا أمل في سماع اللاءَات الرَّافِضة، من كُلِّ خَانِعٍ مُستسلِمٍ أبدًا.

وَابتدر الشَّاعِر التَّاريخ بالحِسَاب؛ لعبث ساسته بمِلْح الخُبْز، الذي لم يزل يُسدِّده على حاجته له، نسبًا مِئَويَّةً مُتصاعِدةً، استلبت منه القُوت وَالغِذَاء، وَأجر التَّطْبيب وَالكِسَاء؛ أمَا وقد استحال المِلْح أرضًا؛ فقد أضحت هي الأخرى قابلة للتَّجزئة المِئَويَّة؛ ابتياعًا للسَّلام، على أعتاب الصَّهاينة اللِّئام، ولسان الحال أصدق مُعبِّرٍ عن سوء المآل؛ فالأرض كلُّها لهم، وَليس للمُغْتَصَبة أحلامهم إلا فُتَات سُلْطةٍ وَبَقيَّة آمالٍ.

وَنشير في المُنْتَهَى، إلى أنَّ انتماء الشَّاعِر للحِزْب الشُّيُوعِيِّ، يُعَدُّ ضربًا من تمثُّل الفِكْر الاقصاديِّ، من جهة توزيع مُقدَّرات المُجْتَمَع عى أفراده بِالتَّسَاوِي، فضلاً عن نبذ الفوقيَّة الطَّبقيَّة، وَهذا ما لمحنا طرفًا منه في "**بطاقة هُوِيَّة**"، التي انتصرت للفلسطينيِّ الكَادِح، وَأنكرت على المُحْتَلِّ سلب الهُوِيَّة وَثروات الأرْض([3]).

---

[1]) قامت الأسَاطِير القَديمة، على الاعتقاد بأنَّ الآلهة الأوَائِل هم: "أبسو أبوهم، وَيُمثِّل مِيَاه المُحيطات العَذْبة في جَوْف الأرْض، وَتعامة أمُّهم وَتُمثِّل المِيَاه المَالِحة ..."؛ يُنظَر في: العريبيّ، د. مُحمَّد، (١٩٩٥م)، **الدِّيَانَاتُ الوَضْعيَّةُ المُنْقرِضَةُ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر اللُّبنانيِّ، ص٦٥؛ أمَّا "تعامة أو "تيامات"؛ فهي "إلهة العَمَاء، تُمثِّل المِيَاه المَالِحة في نَشِيد الخَلِيقة البَابليَّة (أنوما إيليش)، وَالاسم تيامات أكَّادِيٌّ وَيعني البَحْر. وَحسب الرِّوَاية الأكَّاديَّة؛ فقد كوَّنت تيامت مع زوجها أبسو قبل الخَلِيقة المُحِيط الأوَّل، وَاختلطت مياه بعضهما البعض"؛ يُنظَر في: نعمة، حَسَن، (١٩٩٤م)، **مِيثُولُوجيَا وَأسَاطِيرُ الشُّعُوبِ القَدِيمَةِ**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر اللُّبنانيِّ، ص١٩١.

[2]) يُنظَر في التَّماثُل الأمريكيِّ الصُّهيونيِّ: حَسَن، د. حُسيْن سرمك، (صَيْف٢٠٠٧م)، فَاجِعَةُ تَعْذِيبِ الأسْرَى العِرَاقِيِّينَ "أبو غريب" أنموذَجًا ــ نَظْرَةٌ نَفْسِيَّةٌ ــ اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي العُدْوَانِيَّةِ الأمْرِيكِيَّةِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠)، ص٢٤٤، ٢٤٥، (٦ ــ نظرةٌ في التَّطابُق الأمريكيِّ الصُّهيونيِّ).

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٨٠ ــ ٨٤.

وَيمكننا في إثر وقفتنا على المَحطَّات الموجزة، في السُّلْطة الاقتصاديَّة للأنــا؛ أن نجمــل ملامح الصُّورَة، التي تبدَّت في نتاج دَرْوِيش، على نحوٍ مُتفرِّقٍ شديد الإيجاز، لكنَّها في مُجملَها تُؤسِّس لملمحَيْن عريضَيْن؛ أكَّد أوَّلهما الثَّبَات في وجه كُلِّ مُحاوَلات الاســتلاب؛ وَفيــه يكــون الاقتصاد مادَّة كَدِّ الفلسطينيِّ لاستجلاب قُوتِه؛ تأكيدًا منه على ديمومة التَّحدِّي وَالمُقاوَمة.

وَيُجسِّد الملمح الثَّانِي الاستغلال، لما اختلج الفلسطينيَّ من آمالٍ، مُقترنًا بــسياقَيْن مُهمَّــيْن؛ اعتلق الأوَّل بالنِّطَاق الخارجيِّ العربيِّ، وفيه تصدير النِّفْطِ بفائض غلاء الأسعار، مع خطٍّ مُوَازٍ لتصدير الحُرُوب إلى الأرض الفلسطينيَّة النَّازِفة، وَاقترن الثَّانِي بالدَّاخِل الــسِّياسيِّ الفلــسطينيِّ، السَّاعِي إلى فُتَات السَّلام، ببيع المِلْح / الأُمُومة / الأَرْض، بنسب مئويَّةٍ؛ ليطال وبال التَّنازُل كُلَّ فلسطينيٍّ، بسداده نسبةً من ملح خبزه([1]).

[1]) لم تُفلِح كُلُّ النَّوَايا الحَسَنَة، التي قدَّمها الجَانِب الفلسطينيُّ، في إقناع الصَّهاينة، بِضرورة السَّلام؛ وَإنَّما وجــدنا مع تَقادُم السَّنَوات على اتِّفَاقيَّة (أُوسْلو)، ضراوةً غير معهودةٍ في القَمْع وَالقَتْل، وَمــن صُــوَرِ القَتْــل اليوميَّــة للفلسطينيِّين؛ تضييق الخِنَاق عليهم في المجال الاقتصاديِّ، من خلال التَّحكُّم فــي المَعَــابِر وَالطُّــرُق وَإغْــرَاق الأَسْوَاق الفلسطينيَّة بِالبِضَاعة الإسرائيليَّة، فضلاً عن حَجْز أموال الضَّرَائِب المُستحقَّة للسُّلْطة الفلسطينيَّة، وَيُعَــدُّ هذا ضربًا مِمَّا يتوافق مع مُرَادِ مَحْمُود دَرْوِيش؛ في تسديد المُوَاطِن الفلسطينيِّ فَاتُورَة السَّلام المَوْهُوم من مِلْــحِ خبزه؛ بِنسبٍ مئويَّةٍ؛ في مستويي: النَّقْد وَمساحة الأَرْض؛ يُنظَر: مِقْدَاد، د. مُحمَّد إِبْرَاهِيم وَالكحلوت، خَالِد عُمَر، (يَنَاير٢٠٠٩م)، وَاقِعُ الإيرَادَاتِ وَالنَّفَقَاتِ الْجَارِيَةِ لِلسُّلْطَةِ الْوَطَنِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي ظِلِّ الْمُعَوِّقَاتِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، **مجلَّة الجَامِعَة الإســلاميَّة**، سِلْسلة دِرَاسَات الإنسانيَّة، ١٧(١)، ص٧٥٣ ــ ٨٠٧؛ ثُمَّ إنَّ الصَّهاينة وَالحِلْــف الغربــيَّ نجحوا في ربط المُوَاطِن العاديِّ وَالسُّلْطة الفلسطينيَّة، بِأجندة المُسَاعَدَات الدَّوْلِيَّة، التي شابتها مَلامِح التَّلكُّؤ مــن الطَّرَف الغربيِّ، وَعدم توظيف المَوَارِد المَالِيَّة بشكلٍ ناجعٍ من الطَّرَف الفلسطينيِّ، يُنظَر: لبــد، عِمَــاد سَــعِيد، (يُونيُو٢٠٠٤م)، تَجْرِبَةُ السُّلْطَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي اسْتِغْلالِ الْمُسَاعَدَاتِ الدَّوْلِيَّةِ (١٩٩٤ ــ ٢٠٠٣م)، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٢(٢)، ص٤٦٧ ــ ٥٠١.

ـــ صُورَةُ الأَنَا الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

أطلَّ مَحْمُود دَرْوِيش علينا بمعرفيَّته، التي كرَّسها من خلال سُلْطة الشِّعْر، وَاستوحى في فضائها سياقاتٍ تتَّصل بها على نحو الرَّصْد أو التَّأْصيل، في مقامي معرفيَّة التَّقْعيد وَموقفيَّة الثَّقَافَة، مُقَدِّمًا نفسه للقارئ على نحو التَّجْرِيد تارةً، وَالمُبَاشَرة تارةً أخرى.

وَالشَّاعِر إذ يُباشِر الخِطَاب بمُؤسَّسات القراءة الجديدة لنصِّه الشِّعْرِيِّ في عهد السَّلام؛ فهو يُواكِب مرحلة التَّكشُّف بعد طويل تقنُّع؛ حيث كانت الأنا في سابق عهدها لصيقةً بالإطار الجَمْعيِّ لا تُغادِره إلا لِمَامًا، لكنَّنا حين ننظر في مُجمَل النِّتاج الأدبيِّ بشعره وَنثره؛ سنُضحِي في إِلْفٍ مع قالبٍ من الحِكْمة الرَّفِيعة، التي تبدَّت في كُلِّ مرحلةٍ بشكلٍ جديدٍ، عزَّزه الشَّاعِر بسائر ما أُوتِيَ من تقنيات القَصِيد.

وَلا بُدَّ لنا أن نقف على أهمِّ الرَّكائِز المعرفيَّة، لسُلْطة الخِطَاب الأدبيِّ، عند شَاعِر الثَّوْرة والفِعْل النِّضَالِيِّ، في وحي التَّحدِّي الشَّعْبيِّ، المُتمخِّض عن انتفاضة (١٩٨٧م)؛ ليُساجِل دَرْوِيش الشَّاعِر الصُّهيونيَّ (نَاتَان زَاخ)، حول سُؤَاله الجريء: "هل يشترط الإسرائيليُّون السَّلام مع الفلسطينيِّين بأن يقع الفلسطينيُّون في غرامنا أوَّلاً ؟ إذا كان الأمر كذلك؛ فإنَّ علينا أن ننتظر طويلاً"([1]).

وَقد عبَّر ذلك عن الوعي الصُّهيونيِّ، الذي فُوجِئ بأنَّ "الشَّعْب الفلسطينيَّ لا يحبُّ الاحتلال، وَلا يحبُّ المُحتلِّين"([2])؛ لتبلغ المُفَاجَأة مرتبةً "جعلت "يديعُوت أحرُونُوت" تضع العنوان التَّالِي: "القَصِيدة تُوحِّد الكنيست"، بعدما قدَّمها رئيس الوُزَراء دليلاً على ضرورة الاستمرار في الاحتلال ..."([3]).

حينها يُعبِّر دَرْوِيش بسُلْطته المعرفيَّة، عن موقفَيْه الثَّقافيِّ وَالسِّياسيِّ، في المُقايَضة المشروعة مع الآخر السِّياسيِّ، الذي اتَّخذ السِّلاح المَعْرفيَّ مُبَرِّرًا لترسيخ الاحتلال، فيقول([4]):

وَليست القَصِيدة إلاَّ ذَريعة
وَلكن، إلى مَتَى ... إلى مَتَى ؟
وَهل في استطاعتنا أن نقترح عليهم هذه المُقايَضة:
أن يُفكِّكوا المُستَوطنات،

---

[1]) دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٩١)م، **عَابِرُونَ فِي كَلامٍ عَابِرٍ**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: دَار توبقال للنَّشْر، ص٥١.
[2]) **نفسه**، ص٥١.
[3]) **نفسه**، ص٥١.
[4]) **نفسه**، ص٥٥.

وَأن نُفكِّك القَصِيدة !

لقد أعطى الشَّاعِر للقَصِيدة ألقها الوظيفيَّ في ميدان المُقاوَمة؛ فهي سلاح المُواجَهة مع الاحتلال، الذي تمظهر في الضَّفَّة الغربيَّة وَقطاع غزَّة بالمُستَوْطنات، وَمادام الاستيطان مُستشريًا في الأرض الفلسطينيَّة، فإنَّ للقَصِيدة أن تُعْمِلَ رصاصة الكلمة في صُدُور الأعداء([١])، إلا أن يعودوا فيعود الشَّاعِر عن التَّصادُم إلى التَّصالُح، الذي لم يكن يومًا مُعتَقدًا رَاسِخًا، في لُبِّ المنظومة الفكريَّة الصُّهيونيَّة.

أمَّا خلاف ذلك؛ في تصيُّد كُلِّ مُبرِّرٍ وَاهٍ لاستمرار الاحتلال؛ فهو الكائن في ديدن السَّاسَة، داخل الكيان الغَاصِب؛ وقد أشار مَحْمُود دَرْوِيش إلى ذلك ــ في سياق حديثه عن مُمارَسات السُّلْطة الصُّهيونيَّة بحقِّ الشُّعَراء الفلسطينيِّين ــ بقوله: "ومن المُفِيد أن نعلم أنَّ التَّحْرِيض على شعرنا ليس من اختصاص الصَّحفيِّين فقط، وَأذكر أنَّ نائب وزير الدِّفَاع السَّابق شمعون بيرس، حين أراد البَرْهَنَة على ضرورة بقاء الحُكْم العسكريِّ على العرب، لم يجد إلا شعرنا سببًا كافيًا لاستمرار الاحتلال"([٢]).

وَقد ظهر النَّمَط المعرفيُّ، في التَّبدِّي السُّلْطويِّ للأنا، بأسلوب التَّجْرِيد، وَجاء ذلك في قصيدة "**قُلْ مَا تَشَاءُ**"، من مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذر عَمَّا فَعَلْت**"، الذي صدر سنة (١٩٩٧م)، وَفيها قال الشَّاعِر([٣]):

قُلْ ما تشاءُ. ضَع النِّقاطَ على الحروفِ.
ضَع الحُرُوفَ مع الحُرُوف لِتُولَدَ الكلماتُ،
غامضةً وَواضحةً، وَيبتدئَ الكلامُ.
ضَع الكلامَ على المَجَاز. ضَع الْمَجَازَ على
الخيال. ضَع الْخَيَالَ على تَلفُّته البعيد.
ضَع البَعِيدَ على البَعِيد ... سَيُولَدُ الإيقاعُ
عند تَشَابُكِ الصُّوَرِ الغريبةِ من لقاء
الواقعيِّ مع الخياليِّ المُشاكِسِ/
هل كَتَبْتَ قصيدةً ؟

---

[١]) أعمل دَرْوِيش قصيدته، في كشف واقع الاستيطان الصُّهيونيِّ لاحقًا، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦٤٣، ٦٤٤، (قَصِيدَة "ما يشبه الخسارة"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة").

[٢]) دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٧١م)، **شَيءٌ عَنِ الْوَطَن**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار العَوْدة، ٢٦٧.

[٣]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٩٩.

كلا !

اشتمل هذا المقطع من القصيدة على لفتاتٍ معرفيَّةٍ مُهمَّةٍ؛ تجلَّى أوَّلها في: "**قُلْ مَا تَـشَاءُ**"؛ وَفي ذلك إشارةٌ إلى استباحة الشَّاعِرِ كُلَّ أساليب القَوْل، وَهو إذ يُقدِّم نمطًا من التَّوْليف الأسلوبيِّ للكلام المنظوم، فالمعنى الذي يُرِيد بعيد المَنَال، إلا إذا قُرِئت القصيدة في وحي المَجْمُوعَة كلِّها، وَهذا الذي سيتَّضح معنا جليًّا في مُنتَهى الوقفة التَّحْليليَّة.

ولَمَّا منح دَرْوِيش نفسه حَقَّ السَّبْك على غير مثالٍ سابقٍ، وضعنا في سِمَات الملامح النَّمطيَّة للنَّظْم الشِّعْريِّ، بصورٍ تحتشد بِالمعرفيَّة، وَتبتني القصيدة خطوةً خطوةً، بوضع النِّقاط على الحُرُوف، وَضمِّ الحُرُوف إلى مثيلاتها لتوليد الكلمات، على نمطَيْن من الأسلوب اللُّغَويِّ، هُمَا: الغُمُوض([1]) وَالوُضُوح.

وَقد قدَّم الشَّاعِر الغُمُوض لاحتفائه به في الغالب الأعمِّ من قصائده، التي تتوقَّر على "مفاتيح أخرى تعمل بمثابة الإشارات، التي تقود إلى استخلاص المعنى المقصود"([2])، بينما جاء الوُضُوح تبعًا لذلك؛ لكونه أقلّ مرتبةً في ميزانه؛ ذلك أنَّه لا يضمُّ مُحفِّزات الصُّعُود بالمُتلقِّي، إلى أعلى مراتب الاستكناه الذِّهنيِّ العَالِي.

---

[1]) للاطِّلاع على دِرَاسَةٍ تحليليَّةٍ، لِخمس قضايا في باب الغُمُوض، عند مَحْمُود دَرْوِيش، ممثَّلة في: الرَّمْز وَالانْزِيَاح وَالفَرَاغات وَالإِيقَاع وَإحالات الضَّمَائِر، يُنظَر: الرَّواشدة، د. سَامِح، (٢٠٠١م)، **إِشْكَالِيَّةُ التَّلَقِّي وَالتَّأْوِيلِ**، (ط١)، عمَّان: مَنْشُورات أَمَانَة عَمَّان الكُبْرى، ص١٣٩ ــ ١٧٨، (التَّعْمِية وَالتَّلقِّي: "مَحْمُود دَرْوِيش نموذجًا")؛ وَيُنظَر في الغُمُوض وَالمُبَاشَرة، في الشِّعْر الفلسطينيِّ بِعامَّة، وَشعر مَحْمُود دَرْوِيش بِخاصَّة: أَبُو إِصْبَع، د. صَالِح، (١٩٧٩م)، **الْحَرَكَةُ الشِّعْرِيَّةُ فِي فِلَسْطِينَ الْمُحْتَلَّةِ مُنْذُ عَامِ ١٩٤٨م حتَّى ١٩٧٥ ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٣٥١ ــ ٣٦٧، (ظَاهِرَة الغُمُوض)؛ ص٣٦٩ ــ ٣٧٩، (التَّعْبِير المباشر)؛ وَيُنظَر: سُلَيْمَان، خَالِد، (أَكْتُوبَر ١٩٨٦م/ مارس ١٩٨٧م)، ظَاهِرَةُ الْغُمُوضِ فِي الشِّعْرِ الْحُرِّ، **مجلَّة فُصُول**، ٧(٢/١)، ص٦٥ ــ ٨٨؛ وَفي مَفَاهِيم الشِّعْر وَالغُمُوض وَالحَدَاثة، يُنظَر: رماني، إِبْرَاهِيم، (إبريل/ سِبتمْبر ١٩٨٧م)، الشِّعْرُ ــ الْغُمُوضُ ــ الْحَدَاثَةُ: دِرَاسَةٌ فِي الْمَفْهُومِ، **مجلَّة فُصُول**، ٧(٤/٣)، ص٨٣ ــ ٩٠؛ وَحَوْل مَفْهُوم الغُمُوض بين الفِكْر وَالفَنِّ، فضلاً عن بَوَاعِث تبدِّيه في الشِّعْرِ، يُنظَر: حجازي، مُحمَّد عبد الوَاحِد، (٢٠٠١م)، **ظَاهِرَةُ الْغُمُوضِ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ**، (ط١)، الإسكندريَّة: دَار الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَة وَالنَّشْر، ص٩ ــ ٧١، (الفَصْل الأوَّل: مُشكِلة الغُمُوض بين الفِكْر وَالفَنِّ)؛ وَفي شأن مُنَاقَشة أَدُونِيس للغُمُوض في الشِّعْر، وَتبريره له، يُنظَر: أَدُونِيس، عَلِيّ أَحْمَد سَعِيد إسبر، (٢٠٠٥م)، **زَمَنُ الشِّعْرِ**، (ط٦)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي، ص١٣ ــ ١٩، (١ ــ غُمُوض)؛ وَيُنظَر: عَبَّاس، مَحْمُود جَابِر، (يُونيُو ٢٠٠٥م)، الإِبْهَامُ فِي شِعْرِ الْحَدَاثَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٦)، ص٣١١ ــ ٣٢٦.

[2]) حنورة، د. مصري عبد الحَمِيد، (١٩٩٨م)، **عِلْمُ نَفْسِ الأَدَبِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار غَرِيب للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٤٥؛ وَحَوْل مَدَى الغُمُوض في الأَدَب وَشُرُوطه، يُنظَر: **نفسه**، ص٤١ ــ ٥٠، (الفَصْل الثَّالِث: الغُمُوض وَمَدَاه في الأَدَب)؛ وَيُنظَر في أنماط الغُمُوض بِعامَّة: إِمْبسُون، وليام، (٢٠٠٠م)، **سَبْعَةُ أَنْمَاطٍ مِنَ الْغُمُوضِ**، تَرْجَمة: صَبْرِي مُحمَّد حَسَن عبد النَّبِيّ، تَصْدِير: مَاهِر شَفِيق فَرِيد، (ط١)، مِصْر: المَجْلِس الأَعْلَى للثَّقَافَة، ص١٧ ــ ١٩؛ ص٩٩؛ ص٢٠١؛ ص٢٥٥؛ ص٢٩٣؛ ص٣٣٠؛ ص٣٥٩ ــ ٣٦٣.

وَالغُمُوض من هذه النَّاحِية، يرتدُّ إلى "الفجوة الواسعة بين ثقافة الشِّعْر وَثقافة القَارِئ؛ وَلأنَّ القَارِئ ــ غالبًا ــ لا يُريد أن يجهد نفسه في تثقيفها بما يُعِينه على اكتناه النُّصُوص الحديثة وَتذوُّقها، وَمن هنا يُتَّهَمُ الشِّعْر الحَدِيث بالغُمُوض، وَأحيانا بالإبهام"([1]).

أمَّا أبرز ملامح الغُمُوض وَالتَّعْمية عند مَحْمُود دَرْوِيش؛ فتتمثَّل في "الرَّمْز وَالانزياح وَالفَرَاغَات وَالإيقاع وَإحالات الضَّمائِر"([2]).

وَعند بدء الكلام، كان لا بُدَّ من اصطناع السِّمَات المُؤثِّرة في كينونة الأدب، من المَجَاز، ثمَّ الخَيَال، الذي يتضمَّن وظيفةً أدبيَّة خلاَّقةً؛ تتجسَّد في الاستشراف التَّأمُّليِّ للوقائع وَالحَيَوات، وَمن ائتلاف هذه الأنظار وَالمضامين، ينطلق الشَّاعِر إلى ضربٍ من التَّخْييل، الذي به يتألَّف الإيقاع الشِّعْريُّ بكلِّيَّته، وَتُمثِّل الصُّوَر الشِّعْريَّة نوعًا من المُزَوَاجة، بين الواقعيِّ الوَاضِح، وَالخياليِّ المُشاكِس، مع حضور الكَثَافة الشِّعْريَّة([3]).

ولم يجئ توصيف الخياليِّ بِـ"**المُشاكِس**" على نحوٍ عبثيٍّ، وَإنَّما جاء مقصودًا لذاته، لا سيَّما إذا أخذنا بعين الاعتبار أنَّ مضامين المَجْمُوعَة، المُتضمِّنة هذه القَصِيدة، مرتبطةً على نحوٍ جليٍّ، بالمُرَاجعة الذَّاتيَّة، وَالتَّقْريع الدَّاخليِّ، فضلاً عن كثرة التَّسْآل؛ الذي يُعزِّز مذهبنا في كونه مُراجَعةً كُبْرى للذَّات / الشَّاعِر وَالدَّاخِل / المُنظَّمة، بعد اتِّضاح فصول المُعطَيات الفعليَّة على الأرض، لعمليَّة السَّلام المزعومة مع الغاصبين؛ مِمَّا يُكرِّس صورةً مُشوَّهةً للواقع المُؤلِم([4])، الذي هو في الوقت نفسه "وقودٌ لتوهُّج الشِّعْر"([5]).

---

[1]) الآغا، وجدان، (شِتَاء٢٠٠٨م)، ظَاهِرَةُ الْغُمُوض فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **جَرَش الثَّقَافيَّة**، (٩/١٠)، ص٤٤.

[2]) رواشدة، د. سَامِح، (١٩٩٩م)، الْغُمُوضُ وَأَثَرُهُ فِي تَلَقِّي النَّصِّ الشِّعْرِيِّ ــ دِرَاسَةٌ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٤(٥)، ص٣٧٣؛ وَيُنظَر: النَّجَّار، د. مُصلِح، (٢٠٠٧م)، **التَّرْكِيبُ اللُّغَوِيُّ لِلصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة، ٧٥ ــ ٧٩، (الشِّعْر بين غُمُوض الصُّورَة وَوُضُوح التَّعْبِير اليَوْمِيِّ).

[3]) يُنظَر في مَفْهوم الشِّعْرِيَّة: الْغزِّيّ، ثَامِر، (مارس٢٠٠٠م)، مَفَاهِيمُ شِعْرِيَّةٌ ــ دَرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٥)، ص٣٧٦ ــ ٣٩٨؛ وَيُنظَر: الرَّواشدة، **شِعْرِيَّةُ الانْزِيَاح ــ دِرَاسَةٌ فِي تَجْرِبَةِ مُحمَّد عليّ شَمْس الشِّعْرِيَّةِ**، ص١١ ــ ٥١، (تَمْهيد: الشِّعْرِيَّة، المَفْهوم وَالحُدُود)؛ وَيُنظَر: المومني، د. قَاسِم، (٢٠٠٢م)، **شِعْرِيَّةُ الشِّعْرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١١ ــ ٥٦، (الفَصْل الأوَّل: الشِّعْرِيَّةُ في الشِّعْرِ، دِرَاسَةٌ مُعَاصِرَةٌ فِي مَادَّةٍ نَقْدِيَّةٍ قَدِيمَةٍ)؛ وَحَوْل عَلاقَة الشِّعْرِيَّة بِالثَّقَافَة، يُنظَر: عِزّ الدِّين، د. حَسَن البَنَّا، (٢٠٠٣م)، **الشِّعْرِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء وَبَيْرُوت: المركز الثَّقَافيّ العَرَبيّ، ص٢٥ ــ ٢٧، (تَمْهِيدٌ فِي الشِّعْرِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ)؛ وَفي التَّفْرِيق بين الشِّعْرِيَّة وَالشَّاعِرِيَّة، يُنظَر: اللّبدي، أَيْمَن، (أغسطس٢٠٠٣م)، **فِي الشِّعْرِيَّةِ وَالشَّاعِرِيَّةِ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُوَيْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ١: ٢٥ ــ ٣٤، (الشِّعْرِيَّة – Poetics)؛ ١: ٣٥ ــ ٣٨، (الشَّاعِرِيَّة – Poetism).

[4]) نقد دَرْوِيش معطيات الاتِّفَاق السِّلميِّ، وَكشف ضآلة مساحة الأراضي الممنوحة للسُّلْطة الفلسطينيَّة، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦٤٥، ٦٤٦، (قَصِيدَة "أَرْض فَضِيحَة"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة").

[5]) عبد الفَتَّاح، د. كاميليا، (٢٠٠٧م)، **الْقَصِيدَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي الْبِنْيَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَطْبوعات الجَامِعيَّة، ص١١٨.

لذا حَقَّ للشَّاعِر ـــ في ختام المقطع ـــ أن يُطلِق في الآفاق تساؤُله المشروع، "**هَـلْ كَتَبْـتُ قَصِيدَةً ؟**"، وَتأتي الإجابة بـ"**كلا**"؛ تأكيدًا على انتفاء الوظائف الشِّعْريَّة؛ من خِطَابه الثَّقافيِّ؛ تلك التي تتمثَّل في الإمتاع الفنِّيِّ، وَالكشف المُعمَّق للظَّواهِر المختلفة، وَالإيقاظ النَّقْـديِّ، وَاسـتيحاء الإبداع، وَالأطروحة الفكريَّـة، وَالرِّسالة القيميَّـة، وصولاً إلى تعميق السُّمُوِّ الاجتماعيِّ.

وَليس المقصود انتفاء هاتيك الوظائف على النَّحْو الْكُلِّيِّ، وَإنَّما تعذَّر عليه تحقيق أثرها، في مُجمَل الرَّسائل الثَّقافيَّة، التي أسَّسها في خِطَابه الشِّعْريِّ، وَاهتدمها القادة على نحوٍ فاضحٍ، فـي خِطَاباتهم السِّياسيَّة المُنهَكة، وَفعلهم المُفرَغ من قيمة الإرادة، بانتباذ كُلِّ القيم النَّبيلة التي أرسـى دعائمها؛ تلك التي تتمثَّل في الثَّبَات وَالصُّمُود وَالتَّحدِّي وَالمُقَاوَمة.

وَيمكن لهذه القصيدة "أن تكون خريطةً شعريَّةً، أو دليلاً للكِتَابة؛ إنَّها تجمـع فـي إهابهـا المُتشابِك، ما تناثر في قصائد كثيرةٍ لمَحْمُود دَرْوِيش، أو ما توزَّع في حواراته، أو أحاديثه. ليس فاعل التَّلفُّظ، أو مُنتِج القَوْل هنا واحدًا؛ فالنَّصُّ ينقسم على قائلَيْن اثنَيْن، إنَّه حوارٌ، أو ما يـشبه الحِوَار، بين ذاتَيْن تتقاسمان، بدورهما، بناء الدَّلالة وَشكلها أيضًا. إنَّ تكثيف الدَّاوَت أو تعـدُّدها في النَّصِّ أو انشطارها، عبر الحِوَار أو تقنية القَرِين، عنصرٌ مُهمٌّ في شِعْريَّـة دَرْوِيـش فـي الغَالِب"([1]).

وَيُقدِّم النَّصُّ الشِّعْريُّ مُفارَقة المَجَاز؛ إذ إنَّه "يجب التَّمْييز بين "الحقيقة في الواقع" وَ"الحقيقة في النَّمُوذَج"؛ لأنَّ المَجَاز إذا فُسِّرَ حرفيًّا سيبدو مُتناقِضًا وفق حقائق الواقع؛ وعلى ذلـك فـإنَّ التَّمْييز بين الحقيقتَيْن، يجب أن يكون في وعي أيِّ نظريَّةٍ عامَّةٍ للفَهْم النَّصِّيِّ"([2])، وَالمَجَاز بذلك "يُعَدُّ أهمَّ المراكز المُهمَّة في تفسير إدراكنا للعالم. كيف نُفكِّر في الأشياء، وَنجعل للعالم معنًـى، وَنصف المُشكِلات التي نُحاول فيما بعد أن نحلَّها ؟"([3])، وهذا داخلٌ ضمن الوظيفة الأدبيَّة فـي استجلاء الوقائع وَالأحداث([4]).

وَيتحرَّك الخَيَال الشِّعْريُّ على نحوٍ مُشاكِسٍ؛ ليصطنع المُبرِّرات المنطقيَّة لهبوط الخِطَـاب الثَّقافيِّ، فيقول([5]):

---

[1] العلاق، عَلِيّ جَعْفَر، (نوفمبر٢٠٠٨م)، بِنْيَةُ النَّصِّ وَفِتْنَةُ المَجَاز فِي بَلاغَةِ القَصِيدَةِ الحَدِيثَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٧(٦٧)، ص٩٥.

[2] صبرة، أحْمَد، (٢٠٠٨م)، المَجَازُ وَرُؤْيَةُ العَالَم، **مُؤْتَة للبُحُـوث وَالدِّرَاسَـات**، سِلْـسلة العُلُـوم الإنـسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ١٧(٦٧)، ص٥٤.

[3] نفسه، ص٦٥؛ وَفي شِعْريَّة المَجَاز، يُنظَر: عَلِيّ، عَلِيّ كَاظِم، (ديسمْبر٢٠٠٣م)، شِعْرِيَّةُ المَجَاز فِي البَلاغَـةِ العَرَبِيَّةِ، **جُذُور**، ٨(١٥)، ص٢٤٤ ـــ ٢٧٧.

[4] يُنظَر: برُوست، مَارسِيل وَآخرون، (١٩٨٨م)، **الحَيَاةُ وَالنَّظِيرُ الأدَبِيُّ**، تَرْجَمة: عَادِل العَامِل، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة، ص٥ ـــ ٧، (مُقدِّمة المُترجِم).

[5] دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ١: ٩٩، ١٠٠.

لعلَّ هناك ملحًا زائدًا أو ناقصًا
في المفردات. لعلَّ حادِثةً أخلَّتْ بالتَّوازُن
في مُعَادَلَةِ الظِّلال. لعلَّ نسرًا
مات في أعلى الجِبَال. لعلَّ أرضَ
الرَّمْز خفَّتْ في الكِنَاية فاستباحتها
الرِّيَاحُ. لعلَّها ثقُلَتْ على ريش الخَيَال.
لعلَّ قلبَكَ لم يُفَكِّرْ جَيِّدًا، وَلعلَّ
فِكْرَكَ لم يُحِسَّ بما يرجُّك. فالقَصِيدة،
زوجةُ الغد وَابْنَةُ المَاضِي، تُخيِّم في
مكانٍ غامضٍ بين الكِتَابة وَالْكَلامِ /
فهل كَتَبْتَ قصيدةً ؟
كلا !

وَيبقى المِلْح مادَّةً أثيرةً حاضرةً في كثرة كاثرةٍ من السِّيَاقات الشِّعْريَّة، وَهو الذي بات حاضرًا في مخيالنا على جهة إعزاز مُكوِّنات الأُمُومة، في تشكُّلها البَحْريِّ الأوَّل من الأمواه المُضمَّخة بالزَّبَد وَالمِلْح، وَالشَّاعِر في وحي ذلك يلتمس المُبرِّرات، التي لم تبد حاسمةً في رأيه، وَإنَّما نثرها وترك لمُتقَلِّيه فرصة التَّأويل المُعضَّد بالقيمة الحُكْميَّة، وفي باب المِلْح يبقى زيادته أو نقصانه في ثنايا الكَلِم عاملاً مُفتَرضًا.

وَعندما ولج الشَّاعِر باب الظِّلال؛ وجدناه يعتلُّ لاختلال توازنها بالحَوادِث الجِسَام، وهي كثيرةٌ مجلجلةٌ، بدءا بالنَّكْبة، وَمُرورا بالنَّكْسة، ثُمَّ الخُرُوج من "بَيْرُوت"، وَانتهاءً بتسليم مفاتيح بيت المقدس؛ ليتأوَّل دَرْوِيش خلل قصيدته بـ "**مَوْت نَسْرٍ ما في أعالي الجِبَال**"، ولعلَّها نُسُورٌ ماتت؛ فاستحالت القضيَّة بغيابهم مُفرَغةً من كُلِّ أسباب الصُّمُود.

ثُمَّ إنَّ تجسيد الرَّمْز في أرضٍ خِصْبَةٍ بالكِنَايات؛ كفيل للقصيدة بأن تنحدر إلى الدُّون، لا سيَّما إذا اعتقدنا بأهمِّيَّتها في إبانة الجوانب المشرقة من الثَّوْرة الفلسطينيَّة، في كفاحها المرير ضدَّ المُحتَلِّ؛ وَلعلَّ ذلك عائدٌ إلى ثقل الخَيَال؛ مِمَّا يهبط بالقصيدة دونًا، إلى خيالٍ ليس من النِّضَال في شيءٍ، من جهة استحالة الشِّعْر إلى وثائق تاريخيَّةٍ، للمراحل المفصليَّة، في الحدث الفلسطينيِّ المعاصر.

وَيُواكِب دَرْوِيش المعرفيَّة، في الاعتلال الأخير، لانتفاء الشِّعْريَّة من القصيد؛ إذ يقحم نطاق الفكر، من سبيل عدم إحساسه بما يصطرع في جوى الشَّاعِر من انفعـالاتٍ، حيـال القـضايا وَالأحداث؛ ولَعلَّه هو، إضافة إلى ما سبق، وقد فقد الشَّاعِر كُلَّ إحساسٍ بالأمل، في رحاب أُفُول شُمُوس المَقَاوَمة، وَانكفاء البنادق إلى أقبيتها المُجلَّلة بالسَّيْطرة الصُّهيونيَّة علـى كُـلِّ سـلاح، وَالقصيدة الحقيقيَّة التي يجب أن تُلْتَمَسَ في ضوء هاتيك النَّقائِص المضمونيَّة، وَالنقائض الفنِّيَّـة، هي المُتَّصلة بالاستقبال على هديٍ من الماضي، وهي اللَّحظة المُصطرعة بدواعي الصُّدُور عن اللاشعور، مع إحساسٍ جليلٍ يُنزلها منزلةً وُسْطَى بين الكِتَابَة وَالكَلام.

وَقد وصل دَرْوِيش إلى النَّتيجة الكُلِّيَّة، لهذه المُرَاجَعة الذَّاتيَّة، المُحتكِمة إلى سبيلي النَّقْد الفنِّيِّ وَالفكريِّ، قائلاً([1]):

إذنْ، ماذا كتبتَ ؟

كَتَبْتُ درسًا جامعيًّا،

وَاعْتَزَلْتُ الشِّعْر منذ عرفتُ

كيمياءَ القصِيدة ... وَاعتزلتْ !

وَيتبدَّى التَّوْظيف الواعي للمونولوج الدَّاخليِّ، عن نتيجة المُرَاجعة الفكريَّة النَّقْديَّة العميقـة، التي أراد لها الشَّاعِر أن تكون وثيقةً مُتضمِّنةً أسباب المُكَاشَفة مع مُتلقِّيه، وَتكون الكتابـة فـي فحوى الإجابة درسًا جامعيًّا صِرْفًا، وَآن لنا أن نفهم مدلولها، على نحوٍ يصلنا بِنتـاج مَحْمُـود دَرْوِيش بعامَّة، وَمَجْمُوعَته المُشَار إليها آنفًا بخاصَّة.

فقد عمد دَرْوِيش في مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذر عَمَّا فَعَلْت**"، إلى إرساء أسس المراجعـة العميقـة، على مستويي الذَّات وَالمُنظَّمة؛ لذا انمازت قصائده بحضور المونولوج، وَالتَّجْريد، وَالانـشطار الضَّمَّيريِّ، من مثل: "**أنَا – هُوَ**" وَ"**أنَا – أنْتَ**"؛ فهو يتلاعب بالضَّمائِر في نطاق الـشِّعْر، بينمـا ينشغل السَّاسَة بالتَّلاعُب في مصير القضيَّة.

ثُمَّ إنَّ التَّجْريد غير مُستَغربٍ في مضمون القصيد، وَقد قام العنوان عليه بدءًا؛ بقراءةٍ تحتمل من أوجه التَّأويل ثلاثةً واضحةً، "مُضمَّنة بعلاماتٍ دالَّةٍ مُشبَعةٍ برؤيةٍ للعالم، يغلب عليها الطَّابَع الإيحائيُّ"([2])؛ يعتلق الأوَّلان بالتَّصادُم وَالعِقَاب، وَيقترن الثَّالِث باسترضاء الـذَّات؛ وَأوَّلهـا: أن يكون الخِطَاب مُوَجَّهًا للذَّات على سبيل التَّجْريد، بمعنى: "لا تَعْتَذر عَمَّا فَعَلْتَهُ أَيُّهَا الشَّاعِرُ"؛ لبنائه

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٠٠.

[2]) حمداوي، د. جَمِيل، (يَنَاير/ مارس١٩٩٧م)، السِّيمُوطِيقَا وَالْعَنْوَنَةُ، **عَالَم الفِكْر**، ٢٥(٣)، ص١٠٠.

في الشِّعْر عالمًا مشتملاً بخيال الأمل المُتمثِّل في المُقَاوَمة، وَهو الذي اهتدمه السَّاسَة على نحـــوٍ غير مُبرَّرٍ، فكأنَّه بالمُتلقِّين قد غرَّر، وَوضعهم في صورة الأمل المُنتهي إلى المأساة.

أمَّا ثانيها؛ فأن يكون الخِطَاب مُوَجَّهًا للسِّياسيِّ الفلسطينيِّ، وَإلفه العربيِّ، بمعنى: "لا تَعْتَذر عَمَّا فَعَلْتَ في مَصِيرِ الْقَضِيَّةِ"؛ فكلُّهم مُشترِكٌ في صياغة فُصُول الهزيمة السِّياسيَّة وَالعـــسكريَّة، وَهذا الجُرْم أكبر من أن يُعْتَذَرَ عنه.

وَثالثها: أن يكون الخِطَاب مُوَجَّهًا للذَّات أيضًا، على سبيل التَّجْريد، بمعنى: "لا تَعْتَذر عَمَّـا فَعَلْتَ، فَالنِّهَايَةُ مِنْ صُنْع السَّاسَة لا مِنْ صُنْعِكَ"، وَفي ذلك بيان كشف الشَّاعِر وَإنارتـــه ســـائر المناطق المعتمة في تفاصيل الصِّرَاع؛ أمَّا الخطأ الجسيم الكائن في التَّسْليم؛ فــشأن الــسِّياسيِّين وحدهم، وهو من هذا الوجه لا يلزمه الاعتذار أبدًا؛ لإقدامه على الفعل المُعبِّر عن رفضه سُقُوط (أوسْلُو)؛ باستقالته من اللَّجْنة التَّنفيذيَّة لمُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة.

وَقد كشف السَّيِّد هَانِي الحَسَن حقيقة هذا الاتِّفَاق، بقوله: "نحن أصحاب وجهة نظرٍ؛ ترى أنَّ قِيَادَة الثَّوْرة الفلسطينيَّة، أخطأت حين دخلت في عمليَّة التَّسْوية، في ظِلِّ التَّوازُن السِّياسيِّ القَـائِم لحظة اتِّخَاذ القَرَار، كما أخطأت في فهم طَبيعة التَّوَازُن القَائِم، وَاعتبرته سلبيًّا للغَايَـــة، وَبنـــت تحليلاتها استنادًا إلى ذلك الخَطَأ"([1]).

وَالأمر نفسه ينطبق على وَاقِع المُفَاوِض الفلسطينيِّ، الذي "ارتكب سلـــسلةً مُتوالِيـــةً مـــن الأخطاء، أثناء المُفَاوَضَات، التي جرت قبل البدء بانطلاق عمليَّة التَّسْوية في مَدْريد، جعلت الوفد الفلسطينيَّ المُفَاوِض، محكومًا سلفًا بنتائج جرى التَّسْليم بها قبل أن تنطلق العمليَّة، كما جعلـــت الوفد الفلسطينيَّ عَاجِزًا عن تغيير مسار أيَّة قضيَّةٍ أثناء سير العمليَّة التَّفاوُضيَّة، بدون سياســـةٍ ذات بُعْدٍ نَوْعِيٍ جَدِيدٍ"([2]).

وَعندما نُدرِك ذلك كلَّه([3])، مع ملمحٍ آخر؛ يتَّصل باحتفائه في هذه المَجْمُوعَـــة؛ بمراجعـــة مفاهيم كثيرةٍ، حتى لقد بدا الجفاف الفنِّيُّ واضحًا في أسلوبه، وَهو من هذا الوجه كتـــب درسًـــا

---

[1] الحَسَن، هَانِي، (١٩٩٣م)، الْمُشَارَكَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ فِي التَّسْوِيَةِ: كَيْفَ تَمَّتْ ... , وكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ٩(١)، ص٢٠٣، (نَصُّ "مَشْرُوع وَثِيقَةٍ للحِوَار"، صدرت عن حَرَكَةِ التَّحْرِيرِ الْوَطَنِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ (فَتْح) ــ العَلاقَات الخَارِجيَّة، وَالتي أعدَّها السَّيِّد هَانِي الحَسَن، عُضْو اللَّجْنة المركزيَّة لِحَرَكَةِ (فَـتْح)، حَـوْلَ الْخَـطِّ السِّياسيِّ وَالمُشَارَكة الفلسطينيَّة في عمليَّة التَّسْوية الرَّاهِنة، وَهي الحَلَقَة (١)، من سِلْسلة "العَوْدة إلى اليَنَابِيع).

[2] نفسه، ص٢٠٣، ٢٠٤.

[3] اتَّصلت المُؤشِّرات الدَّلاليَّة، المَفْتُوحَة على رِحَاب التَّأْوِيل، في فَضَاء العنوان، بِواقع مُنْجَـزِ (أُوسْـلُو)، بعـد سنواتٍ معدودةٍ، أوحت للفلسطينيِّين بِدلائل التَّنصُّل الصُّهيونيِّ، من الاتِّفَاق وَمُتطلَّبَاته، يُنظَر: عرسان، د. عَلِـيّ عقلة، (صَيْف١٩٩٨م)، افْتِتَاحِيَّةُ الْعَدَدِ: اتِّفَاقُ "أُوسلُو" بَعْدَ خَمْسِ سَنَوَاتٍ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرِها اتِّحَـاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣)، ص٥ ــ ١٤.

جامعيًّا نقديًّا معرفيًّا كاشفًا، ولم يقترب من بُؤْرَةِ القصيدة أبدًا، كما هو شأوه في عهد التَّشيد المُجلّل بحماسة الفعل الثَّوْرِيِّ.

وَيجيء الشَّطْران الأخيران؛ كنتيجةٍ منطقيَّةٍ ثانيةٍ لاحقة بسابقتها؛ فقد اعتزل دَرْوِيش الشِّعْر مذ عرف التَّركيبة الكيميائيَّة للقَصِيدة، التي بها تتفاعل الذَّات مع المكتوب، في مُحتَضن تأويل القارئ، على نحوٍ ملتئمٍ، وَهو إذ يُكرِّر التَّصْرِيح بالاعتزال في الخِتَام؛ ليُؤكِّد أنَّ هذا الفعل السّلبيَّ قد لحق بِسُلطاتٍ أخرى، فاقت معرفته الشِّعْريَّة، لتمسَّ صميم سُلْطته الثَّقافيَّة، على نحو ما شهدنا في مجموعاته الشِّعْريَّة اللاحقة.

وَقد تتَّصل معرفيَّة الشَّاعِر بالنَّظر النَّقْديِّ الفاحص في الشِّعْر، على غير مُجامَلَةٍ للذَّات وَالآخر، وَحينها تكون القصيدة بوضوحها مُكْمَنًا لمثلبةٍ، لا بُدَّ لنفيها من الخلل المَاكِر، الذي يعبر إلى فضاء الظّلال التَّخْييليَّة، المُجلّلة بالاستعارة وَالكِنَاية، في غموضٍ مُحَفّزٍ على تملُّك الذِّهنيَّة العالية في شروط القراءة، وقد جاء ذلك في قصيدة "**سَمَاء صَافِية وَحَدِيقة خَضْرَاء**"، من "**أثَر الفَرَاشَةِ**"، وَفي ذلك يقول([1]):

السَّمَاءُ الصَّافِية تفكير بلا فكرة كحديقةٍ
كُلُّها خضراء. قصِيدة لا عيب فيها سوى
إفراطها في الوُضُوح. تفتقر السَّمَاء إلى
غيمة ولو عابرة لتُوقِظ الخَيَال من خَدَر
الأزرق. وَتفتقر الحديقة الخَضْراء إلى
لون آخر، أحمر أو أصفر أو ليلكي،
وَإلى بنات آوى، لكي يحار القَلْب بين الأنواع.
فالجَاهِز خصم الحَافِز. وَالقصِيدة
محتاجة إلى ما يُشبه الخلل المَاكِر لكي
نُصدِّق الشَّاعِر حين يكذب وَيكتب عن حيرة الرُّوح
بين سماء صَافِية وَحديقة
خضراء، فما حاجتنا للشِّعْر إذا قال
الشَّاعِر: إنَّ السَّمَاء صافية. وَإنَّ
الحديقة خضراء ؟

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَة**، ٢: ٧٤٤، ٧٤٥.

وقد عُنِيَ الشّاعِر في القصيدتَيْن التَّاليتَيْن، ببيان بعض الأنظار النَّقديَّة، تلك التي تكفي الإشارة إليها؛ فقد فرَّق في قصيدة "**كلمة واحدة**" بين الشِّعْر وَالنَّثر، في اهتمامٍ واضحٍ بتأسيس النَّظر الأصوليِّ، للجنسَيْن العريضَيْن في الأدَب(١)، ثُمَّ أبان في "**بَيْتِ الْقَصِيدِ**" مفاهيم نقديَّةً عديدةً، من أهمِّها: "**بَيْت القَصِيد**" وَ"**المَعْنَى**" وَ"**الشِّعْر**"(٢).

وَيمكن أن نُؤطِّر معرفيَّة دَرْوِيش بسياقٍ آخر، يتَّصل بالمقام الفِكْريِّ، وَيتجلَّى مُصطلحيًّا في مفردة "الحَكِيم"، وَهي الواردة في سياقٍ عرضنا له سابقًا، مُلتئِمًا بِسُلْطتي الدِّين وَالسِّيَاسَة، وَفيه يقول الشَّاعِر ضمن قصيدته "**الْجِدَارِيَّة**"(٣):

مَنْ أنَا ؟

أنَشِيدُ الأنَاشيد

أم حِكْمَةُ الجامعةِ ؟

وكلانا أنَا ...

وَأنَا شَاعِرٌ

وَمَلِكْ

وَحَكِيمٌ على حافَّة الْبِئْر

...

فليس من تصريحٍ أقوى من الذي أوردنا، في إبانه معرفيَّة دَرْوِيش، من شقي: المعرفة الشِّعْريَّة، وَالحِكْمة الفلسفيَّة(٤)، مع التئامٍ فريدٍ بِسُلْطتي الدِّين وَالسِّيَاسَة، علا بها المُثقَّف جميعًا، وَتعالى على العالمين، لمنطقٍ واحدٍ يُبرِّره الموقف الكُلِّيُّ في "**الْجِدَارِيَّةِ**"؛ بوصفها تجسيدًا للرُّؤْية الثَّقافيَّة للمَاضِي وَالحَاضِر وَالمُستَقبل، في لجَّة السَّلام المزعوم، وَالواقع الفلسطينيِّ وَالعربيِّ المأزوم، من خلال البِنَاء المَلْحميِّ المُعبِّر عن كُلِّيَّاتِ المواقف وَالأنظار؛ فهي "ملحمةٌ تخترق جدار الصَّوْت وَالصَّمْت معًا؛ لتغوص به انطلاقًا من تجربةٍ كيانيَّةٍ وجوديَّةٍ أساسها الإنسان

---

(1) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٧٤٦، ٧٤٧.
(2) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٤٨ ــ ٧٥٠.
(3) **نفسه**، ١: ٥١٨.
(4) حوْل عَلاقَة الشِّعْر بالفلسفة، يُنظَر: الموافي، مُحمَّد عبد العَزِيز، (سبتمْبر ٢٠٠٥م)، جَدَلِيَّةُ الشِّعْر وَالفَلْسَفَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٧)، ص٦١ ــ٩٠؛ وَيُنظَر: زيَّاد، صَالِح، (يُونيُو ٢٠٠٦م)، مِثَالِيَّةُ الشَّاعِرِ الفَيْلَسُوف: الذَّاتُ الحُرَّةُ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٦٠)، ص٣٩٨ ــ ٤٢٤.

الفلسطينيُّ، ولَكن انطلاقًا من تجربةٍ حياتيَّةٍ كُتِبت في لحظة البَيْن بَيْن. بَرْزَخ بين الحَيَاة وَالمَوْت ..."([1])، اقتضت فيه "الألفة مع المَوْت نوعًا من الأنسنة وَالحوار"([2]).

كما قال دَرْوِيش في موطنٍ آخر من القَصِيدة نفسها([3]):

عِشْتُ كما لم يَعِشْ شَاعِرٌ

مَلِكًا وَحَكِيمًا ...

هَرِمْتُ، سَئِمْتُ من الْمَجْدِ

لا شيء ينقصني

ألـهذا إذاً

كلَّما ازداد علمي

تعاظَمَ هَمِّي ؟

...

وَهنا يُؤكِّد الشَّاعِر ما أورده في المقطع الأوَّل، مع بيانٍ مُهمٍّ لِبُلُوغه ذُرْوة المَجْد، التي باتت موطن سأمٍ وكَآبةٍ، وقد استجلب لتبرير ذلك سؤالاً مُتضمِّنًا في فحواه الإجابة، بقوله: "**أَلِهَذَا كُلَّمَا ازْدَادَ عِلْمِي تَعَاظَمَ هَمِّي** ؟"؛ وَفي ذلك مُؤشِّرٌ ذو خطرٍ، على قيمة المعرفة الشِّعْريَّة، المُجلَّلة بالنَّظر الفِكْريِّ النَّاقِد، في تطبيب جراحات الأمم وَالمُجتَمعات، ووضع سُبُل تجاوز المُلِمَّات؛ مِمَّا يُشكِّل عبئًا جسيمًا، على صاحب هذه السُّلْطة الخلاقة، في عالمي المعرفة وَالفكر.

ودَرْوِيش إذا ازداد علمه عظم همُّه؛ لمعرفته الدَّقِيقة بنتائج الخطِّ السِّياسيِّ للثَّوْرة الفلسطينيَّة، وَفيه البَوْن الشَّاسِع بين مرحلة البِدَايَات، وتسليم النِّهَايَات؛ وَهذا ما أسلمه إلى الاصطراع في المستوى الدَّاخليِّ للفِكْر وَالشُّعُور، حتى غدا مغتربًا عن ذاته، مبتعدًا عن أهنى لذَّاته، في حماسة النَّبْرة، وَصعودة الفِكْرة، بما أحدثه السِّياسيُّون من نكسةٍ، لن تلتئم في بنائه الثَّقافيِّ الأسمى.

وَقد تطال المعرفيَّة باب التَّقْليب اللُّغويِّ، للأصول الثُّلاثيَّة لكلمة "**الْحَرْبِ**"، التي استُدعِيت إلى نطاق الشِّعْر، بِمُؤامَرة الحِصَار. وفي "بَيْرُوت" يُقدِّم الشَّاعِر مثالاً على المعرفيَّة العالية، التي تبتني من الْفَجِّ السَّطْحيِّ، دلالاتٍ عميقةً على موقع مُشتقَّات الأصل اللُّغويِّ: "**البَحْر**" وَ"**الحَرْب**"

---

[1]) العمراوي، أحْمَد، (٢٠٠٧م)، **يَقُولُ الشَّاعِرُ ــ دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْر الْحَدِيثِ**، (ط١)، الرِّبَاط: دَار الأَمَان للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٠١؛ وَيمكن مُطَالَعة تَحْليل الكَاتِب لِـ"جِدَارِيَّةِ مَحْمُود دَرْوِيش": ص١٩٧ ــ ٢٢٧، (رَابِعًا: الشِّعْر المَحْمُود ــ قِرَاءَةٌ فِي جِدَارِيَّةِ مَحْمُود دَرْوِيش).

[2]) مُنِير، وَلِيد، الْمَوْتُ الأَلِيفُ أَوْ شِعْرِيَّةُ الْوُجُودِ الْمُلْتَبِس ــ دِرَاسَةٌ فِي "جِدَارِيَّةِ" مَحْمُود دَرْوِيش، **مجلَّة نزوى**، (٥٨)، ص١٦٤.

[3]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥٢١.

وَ"**الحِبْر**" وَ"**الرِّبْح**"، من المُعجَم الفلسطينيِّ؛ وَهي بهذا تجسيدٌ للعُلوِّ المعرفيِّ الفِكْريِّ، من وجهتي: إحكام المعرفة في المُسْتَوى المُعجَميِّ، وَتبدِّي الأثر الفلسفيِّ العميق، في قراءة الثَّقافيِّ كُلَّ مفردةٍ، بغير طريقةٍ([1]).

وَفي وحي الحِصَار البَيْرُوتِيِّ، سجَّل الشَّاعِر في "**مَدِيح الظِّلِّ العَالِي**"، إقبال الشُّعَراء على امتداح القتلى، وَافتضاح القصيدة في وقت الفجر، مع ذكره داعي الافتضاح بالخِيَانة، التي بدا قائمًا عليها، كُلّ من "**تَمُّوز**" وَ"**امرأةٍ**" وَ"**إيقاع**"، في معرفيَّةٍ تُواكِب الموقف الثَّقافيَّ العامَّ، من الأحداث المحتدمة حول حِمَى المُحاصَرين([2])؛ "فأبدع في البَوْح وَالغِنَاء وَالبِنَاء الدّراميِّ، ذي الْحِسِّ الإنسانيِّ الرَّفِيع"([3])؛ إذ قدم "مَحْمُود دَرْويش في ذروة غنائه الملحميِّ، في قصيدته "مَدِيح الظِّلّ العَالِي"، صورةٌ مذهلةٌ لعودة الشُّهَداء"([4]).

وَمِمَّا تجدر الإشارة إليه، نزوع دَرْويش إلى تجنيس أنماطه المعرفيَّة، وَالمقصود هنا مضمون القصيدة؛ إذ إنَّه في قصيدة "**وَيُسْدَلُ السِّتَارُ**" من مَجْمُوعَة "**العَصَافِير تَمُوت في الجَلِيل**"، الصَّادرة سنة (١٩٦٩)م، قد تَخِذَ الجِنْس المسرحيَّ، لتقديم الصُّورَة المعرفيَّة لِلأنَا وَالآخَر، والذي ضُمِّنَ فكرةً مفادها: انكفاءَة المعرفيِّ / المُمثِّل أمام المعرفيِّ / المُخرج، وَهو السِّياسيُّ الصُّهيونيُّ، أو من سار في فلكه من أدعياء الوطنيَّة وَالعُرُوبة، مُختتِمًا القصيدة باعتراف التَّسْلية للمُتلقِّين خلال عشرين سنة خَلَتْ، وَمُعْلِنًا استقالته من عالم النَّشِيد([5]).

وَتتجلَّى قمَّة المعرفيَّة، في نطاقي النَّقْد وَالتَّأريخ الأدبيِّ، من خلال القسم الثَّالِث ــ في مجموعة مقالاته المُختَارة "**حِيرَة العَائِد**"، التي صدرت في حزيران (٢٠٠٧م) ــ الموسوم بـ"**وِلادَة الشِّعْر الْعَسِيرَةِ**"؛ إذ هو ضربٌ من التَّأريخ النَّقْديِّ الأدبيِّ بالنَّثْر المقاليِّ، الذي توقَّف فيه عند: "**مَطَر السَّيَّاب**"([6])، وَ"**هَلْ مَا زَالَ الشِّعْرُ ضَرُورِيًّا ؟**"([7])، وَ"**الشِّعْر بَيْن المَرْكَز**

---

[1] يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ٥٢٠ ــ ٥٢٢.
[2] يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٣٦٦ ــ ٣٧٠.
[3] الكركيّ، أ. د. خَالِد، (١٩٩٨م)، **حَمَاسَةُ الشُّهَدَاءِ ــ رُؤْيَةُ الشَّهَادَةِ وَالشَّهِيدِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ ــ دِرَاسَةٌ وَمُخْتَارَاتٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٧٩.
[4] **نفسه**، ص١١٩.
[5] يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٣٢٠ ــ ٣٢٢.
[6] يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٣: ٣١١ ــ ٣١٦، (شهادة قدَّمها الشَّاعِر في نَدْوَةٍ حَول الذِّكْرى الثَّلاثين لِرَحِيل السَّيَّاب، أقامها مَعْهد العَالَم العَرَبيِّ في بَاريس)، وَلِمُطَالعة قَصِيدة "أُنْشُودَة المَطَر" للسَّيَّاب، يُنظَر: السَّيَّاب، بَدْر شَاكِر، (١٩٧١م)، **دِيوَان بَدْر شَاكِر السَّيَّاب**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار العَوْدة، ص٤٧٤ ــ ٤٨١.
[7] يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣١٧ ــ ٣٢٠، (كَلِمَة الشَّاعِر في اختتام نَدْوَةٍ نَقْديَّةٍ تكريميَّةٍ، في مدينة قفصة التُّونسيَّة ــ ١٩٩٥م).

وَالهَامِش"([1])، وَ"**شَاعِر الجَمِيع**"([2])، وَ"**سَعْدِي في السَّبْعِين**"([3])، وَ"**آخِــر مــرَّة/ أوَّل مــرَّة**"([4])، وَ"**مِهْنَة الشَّاعِر**"([5])، وَ"**الوِلادَة على دفعاتٍ**"([6]).

وَيتجلَّى في هذه المقالات الحِسُّ النَّقْديُّ الواعي بمُتطلَّبات الحَدَاثَة الشِّعْريَّة، من خلال نقــد المُصطلح وَالنَّصِّ، وَسياقاته المُتَّصلة بالقِرَاءة وَالنَّقْد؛ مِمَّا يستأهل استبطان كوامنه، على نحــوٍ يبين عن مَحْمُود دَرْوِيش، بوصفه معرفيًّا ناقدًا.

وَنُنَبِّهُ إلى مفصلٍ مهمٍّ في ميدان السُّلْطة المعرفيَّة للأنا، وَهو فــي هــذا المَنْحــى مُقتــرِنٌ بالأسطورة، وفيه قول الشَّاعِر في قصيدته "**حَلِيب إنَانَا**"([7])، ([8]):

لَكِ التَّوْأمانِ: لك النَّثْرُ وَالشِّعْرُ يَتَّحدان، وَأنتِ

تطيرين من زَمَنٍ نحو آخرَ، سالمةً كاملةً

على هَوْدَجٍ من كواكب قتْلاكِ ـــ حُرَّاسِكِ

الطَّيِّبين

وَهُمْ يحملون سماواتِكِ السَّبْعَ قافلةً قافلةً.

رُعَاةُ خُيُولِكِ بين نخيلِ يَدَيْكِ وَنَهْرَيْكِ يقتربون

مِنَ الماء "أولى الإلهات أكْثَرُهُنَّ امتلاءً

بنا". خالِقٌ عَاشِقٌ يَتَأمَّلُ أفْعَالَهُ، فَيُجَنُّ

بها وَيَحِنُّ إليها: أأفْعَلُ ثانيةً ما فَعَلْتُ ؟

وَكُتَّابُ بَرْقِكِ يحترقون بحِبْرِ السَّمَاء، وَأحْفَادُهُمْ

يَنْشُرُونَ السّنونو على مَوْكِبِ السُّومريَّة ...

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٣: ٣٢١ ـــ ٣٢٣، (كَلِمَة الشَّاعِر في احتفال منحه شَهَادَة دُكتُــورَاة فخريَّة من جَامِعَة لوفَان البلجيكيَّة ـــ ١٩٩٨م).

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٢٥ ـــ ٣٢٨، (الشَّاعِر السُّوريُّ نِزَار قبَّانِي).

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٢٩ ـــ ٣٣١، (الشَّاعِر العِرَاقيُّ سَعْدِي يُوسُف).

[4]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٣٣ ـــ ٣٣٦، (كَلِمَة ألقاها الشَّاعِر في حَفْل التَّوْقيع على "جِدَاريَّة"، الذي أُقِيمَ في رام الله).

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٣٧ ـــ ٣٤٢، (كَلِمَة ألقاها الشَّاعِر في حَفْل التَّوْقيع على مَجْموعته الشِّعْريَّة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ أوْ أبْعَد"، في رام الله).

[6]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٤٣ ـــ ٣٥١، (مُقدِّمة المُخْتَارَات الشِّعْريَّة الصَّادِرة عن دار غاليمار، تحت عنوان "**تَضِيقُ بِنَا الأرْضُ**" ... وَقَصَائِد أُخْرَى).

[7]) لم يقرن دَرْوِيش الحَلِيب بـــ"إنَانَا" عبثًا، وَإنَّما ارتكز إلى المَوْرُوث الدِّينيِّ القَديم؛ فقد عُثِرَ على نُقُوشٍ في مَعْبَد "تَلِّ العَبِيدِ" الأمُوميِّ، تضمَّنت صِلَةً بين الإلهة المَعْبودة وَرمزها البَقَريِّ، مع تركيزها على إدْرَارِهَــا الحَلِيــب، عندما تشتمُّ رَائِحة طِفْلِهَا؛ وَلِهذا قيمة رمزيَّةٌ دينيَّةٌ، يُنظَر في: سوسة، د. أحْمَد، (د. ت)، **تَاريخُ حَــضَارَةِ وَادِي الرَّافِــدَيْن**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة الرَّيِّ العِرَاقيَّة، ١: ١٤٣؛ وَبدت (صُوفيا) في المِيثُولُوجيا الرُّومانيَّــة، وَهــي تُرْضِعُ رجلَيْن جَاثِيَيْن حَلِيب الحِكْمة؛ "وَهكذا يتحوَّل حَلِيب الأمِّ الكُبْرى، الذي رأيناه في أشكالٍ سابقةٍ، ينبثق من ثديها؛ ليسقى الأرْض، وَيُعْطِيَ البَشَر غذاءَهم الأرْضِيَّ، إلى حَلِيب الحِكْمة، الذي يهبهم الغِذَاء الرُّوحيَّ"؛ يُنظَــر في: السَّوَّاح، **لُغْــزُ عِشْــتَار ـــ الألُوهَةُ المُؤَنَّثَةُ وَأصُولُ الدِّينِ وَالأسْطُورَةِ**، ص٢٢٤، ٢٢٥.

8) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٥٧، ٥٨.

صَاعِدَةً كَانَتِ السُّومَرِيَّةُ، أَمْ نَازِلة

وَلسنا نُبالِغ حين نُقِرُّ بمعرفيَّة الشَّاعِر في المجال الأسطوريِّ، وَهو الذي قرن "إِنَانَا" بالإرث الميثولوجيِّ السُّومريِّ؛ ذلك أنَّها عُرِفَتْ بهذا المُسمَّى عند السُّومريِّين، يقابله "عناة" أو "عنات" أو "أنات" عند الكنعانيِّين، ثُمَّ إنَّ المُتتبِّع مضامين الأشطار السَّابقة؛ ليصل وفق مُقَارَنَتها بِديوَان الأساطير، إلى قناعةٍ راسخةٍ؛ بتضمُّنها شبهًا فريدًا؛ للمُنَاجَاة الدِّينيَّة في سُلْطان الإلهة الكونيَّة؛ استعطافًا لرحماتها المائيَّة، مع دعوتها للاتِّحاد المُقدَّس([1])، الذي سنقف عليه في مُنتَهى القصيدة.

وَالذي يُهمُّنا ها هنا توظيف المعرفة بوجهي النَّثر وَالشِّعْر لِـ"**إِنَانَا**" المُقدَّسة؛ تلك التي رُتِّلت في حضرتها التَّراتِيل، ورُفِعت أكفُّ الدُّعاء أمام أصنامها وَالتَّماثِيل، بمنثور الكلام وَمنظومه وَأسمى القرابين([2])؛ مِمَّا يعني تجلِّي مَحْمُود دَرْوِيش بأدبه: شعره وَنثره، في مقام مُنَاجَاة العاشق لعاشقته، وَهِي "إِنَانَا" / الأرض / الوطن، في سياق مُقتَرِنٍ بالأسطورة السُّومريَّة أعظم اقترانٍ.

وَتحتشد القصيدة بالرُّمُوز الأسطوريَّة، وَالملامح الوثنيَّة المعبديَّة([3])، لكنَّنا في وحي هذه الإشارة مَاضُون إلى النِّهاية؛ حيث المُنتَهى الغَائِيُّ لطقس المُنَاجَاة؛ الذي يتمثَّل في "**الزَّفَاف المُقدَّس**"، وَفيه يقول دَرْوِيش([4]):

... فلا بُدَّ لي

مِنْ حِصَانٍ يُلائِمُ هذا الزَّفَاف. وَإِنْ كَانَ

لا بُدَّ من قمرٍ فَلْيَكُنْ عاليًا ... عاليًا

وَمن صُنْعِ بَغْدَادَ، لا عَرَبيًّا وَلا فَارِسِيًّا

---

[1]) يمكن تتبُّع الأسَاطِير التي تأثَّر بها دَرْوِيش، وفق إيقاعها الشِّعْريِّ المُبتَنى في دِيوَان الأسَاطِير، بدراسةٍ مسحيَّةٍ؛ لغاية تحديد مَواطِن الاستلال المُفتَرضَة، تلك التي يعزُّ إجراؤُها في هذ المقام الإشاريِّ، مع حُضُور نُصُوص الكُتُب الثَّلاثة؛ يُنظَر: (١٩٩٦م)، **دِيوَانُ الأسَاطِيرِ ــ الْكِتَابُ الأوَّلُ: أعْطِنِي، أعْطِنِي مَاءَ الْقَلْبِ ــ أنَاشِيد الحُبِّ السُّومَرِيَّة**، نقله إلى العَرَبيَّة وَعلَّق عليه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأشْرَف عليه: أدُونِيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي، ص١٩ ــ ١٠٠، (الفَصْل الأوَّل: مَاء الأرْض وَمَاء القَلْب)؛ ص١٠١ ــ ١٨٤، (الزَّوَاج الإلهيُّ وَأنَاشِيد الحُبِّ)؛ وَيُنظَر: (١٩٩٧م)، **دِيوَانُ الأسَاطِيرِ ــ الْكِتَابُ الثَّانِي: الآلِهَةُ وَالْبَشَرُ**، نقله إلى العَرَبيَّة وَعلَّق عليه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأشرف عليه: أدُونِيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي، ص١٧ ــ ٢١٨، (الفَصْل الأوَّل: البَدْء وَالأُصُول)؛ وَيُنظَر: (١٩٩٩م)، **دِيوَانُ الأسَاطِيرِ ــ الْكِتَابُ الثَّالِثُ: الْحَضَارَةُ وَالسُّلْطَةُ**، نقله إلى العَرَبيَّة وَعلَّق عليه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأشرف عليه: أدُونِيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي، ص٢٤٠ ــ ٢٩٣، (الفَصْل الثَّانِي: السُّلْطَة وَالوَلاء، (٢ ــ ٣): إِنَانَا/ عِشْتَار وَالسُّلْطَة).

[2]) يُنظَر في هذه الطُّقُوس: خَلِيل، د. خَلِيل أَحْمَد، (١٩٩٥م)، **مُعْجَمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الدِّينِيَّةِ (عربي ــ فرنسي ــ إنجليزي)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر اللُّبْنَانيِّ، ص٩٧؛ وَفي التَّرَاتِيل المَعْبَديَّة وَالصَّلَوات الشَّعَائِريَّة، يُنظَر: المَاجِدي، خَزْعَل، (١٩٩٩م)، **الدِّينُ الْمِصْرِيُّ**، (ط١)، عمَّان: دَار الشُّرُوق، ص٢٢٨، ٢٢٩، (التَّرَاتِيل العِبَادِيَّة المُوقَّعة بأوزانٍ شِعْرِيَّةٍ، وَالمُؤدَّاة بمَعْزُوفَاتٍ مُوسِيقِيَّةٍ)؛ ص٢٢٥، (طَرِيقة الصَّلاة اليوميَّة، أَمَام تِمْثَال "إِيزِيس المِصْرِيَّة").

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٥٨ ــ ٦١، (قَصِيدة "حَلِيب إِنَانَا").

[4]) **نفسه**، ٢: ٦٠.

وَلا تَدَّعِيهِ الإلهاتُ من حولنا. ولْيَكُنْ خاليًا
من الذِّكْريات وَخَمْرِ المُلُوك القُدَامى،
لِنُكْمِلَ هذا الزَّفَافَ الْمُقَدَّسَ، نُكْمِلُهُ يَا ابْنَةَ
القمر الأبَديِّ هنا في المكان الذي نَزَّلَتْهُ
يداكِ على طَرَفِ الأرض من شُرْفَةِ الجنَّة الآفلة ! ...

تضمَّنت اللَّوْحة السَّابقة مُؤسِّسات النُّزُوع المعرفيِّ نحو الأسطورة؛ لتُرسِّخ قضيَّةً رئيسيَّةً مُهِمَّةً؛ قوامها الاتِّحَاد مع الإلهة / الأمُومة / الوطن، وَقد استدعى الشَّاعِر لهذه الغاية الصُّور المُستلَّة من المعابد السُّومريَّة؛ حيث كانت تتمُّ طقوس "**الزَّوَاج المُقدَّس**"، بين كبير كهنة المعبد، وَهو في الغالب مَلِكٌ شَاعِرٌ حَكِيمٌ، وَكبيرة كاهنات المعبد؛ مُحَاكَاةً للزَّوَاج الإلهيِّ الأوَّل.

فتحت "اسم الزَّوَاج المُقدَّس، كانت تجري طقوس هذه العادة، في أعياد رأس السَّنة، وَتتمُّ بمُجامَعة كبير الكهنة لكبيرة الكَاهِنات، وَهُمَا عادةً المَلِك وَالمَلِكة، وَكان هذا يجري في غرفةٍ خاصَّةٍ في المعبد"([١])، وفق معتقدٍ قوامه: "كما فعل الآلهة، يفعل البشر؛ فأصبح الزَّوَاج الإلهيُّ المُخْصِبُ من مهامِّ المَلِك؛ من أجل تعميم الخير وَالكثرة على البلاد كافَّةً، وَكان على المَلِك أن يقترن بالإلهة إنَانَا، تُمثِّلها في المعبد أو في القصر امرأةٌ مُختَارةٌ؛ لتكون الحَبيبة"([٢]).

وَهو الذي يمكن أن يُقْرَأ بصورة أشمل في المَجْمُوعَة، الذي احتضنت هذه القصيدة؛ فقد تضمنت مَجْمُوعة "**سَرير الغَريبَة**"، حفاوةً بالغةً بالدَّعوة للاتِّحاد الإخصابيِّ، الذي لا يخلو من الإيحاءات الجنسيَّة، سواء أكان هذا على لسان الشَّاعِر أم في منطوق الأمِّ الأسطوريَّة الكُبْرى، مع حضور الصُّور المُستلَّة من الطُّقوس الوثنيَّة، التي أكَّدتها النُّقُوش التَّصْويريَّة، وَالمُكْتَشَفَات المعبديَّة.

وَالذي وصلنا إليه بعد قراءة المَجْمُوعَة كاملةً، تمثُّل الشَّاعِر الْحِسَّ الإيقاعيَّ، وَالفضاء التَّصْويريَّ، وَالنَّمط الأسلوبيَّ، الكائن في ديوان الأساطير، مِمَّا يمكن دراسته في سياقٍ مُستقلٍّ عن درسنا هذا، في وحي توظيف الشَّاعِر قناع المرأة للأرض / الوطن، وَهو من هذا الوجه مُتَّفِقٌ مع السِّيَاق العامِّ للقِنَاع، في اختيار الشَّاعِر "شخصيَّةً تاريخيَّةً، أو أسطوريَّةً (في الأعمِّ الأشمل)، يتقنَّع بها، وَيختبئ وراءَها"([٣])؛ ترسيخًا لمواقفه الثَّقافيَّة، تجاه مُجريَات الأحداث.

---

[1]) نعمة، **ميثولوجيا وَأسَاطِيرُ الشُّعُوبِ القَدِيمَةِ**، ص٣٦.
2) **دِيوَانُ الأسَاطِير**،٢: ١٥٠.
[3]) عَلِيّ، د. عبد الرِّضَا، (١٩٩٥م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْرِ العَرَبيِّ المُعَاصِرِ ــ القِنَاعُ، التَّوْلِيفُ، الأصُولُ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٨.

ثُمَّ إنَّ الصُّور الكائنة في الأشطار السَّابقة، لا تخلو من القداسة الدِّينيَّة، من باب الاحتفـال بـ"**الزَّواج المُقدَّس**"، في طقسٍ يشمل العَزْف المُوسيقيَّ وَشرب الخُمُور، وَكلاهما مُقدَّسان قداسة المعبودة، المُقدَّمة في قُدْس أقْدَاسِهَا هذه الطُّقُوس.

وَهذا أيضًا ما قامت عليه المَجْمُوعَة كاملةً؛ حيث تضمَّنت تقسيمًا هيكليًّـا، عمـد إلـى رَدِّ العناوين الفرعيَّة لستَّة عناوين رئيسيَّةٍ، وَسَمَ الشَّاعِر كُلَّ واحدٍ منها بـ"سوناتا"([1])، مع إتباعـه برقمه التَّسلسُليِّ في المَجْمُوعَة.

وكأنِّي به يعزف على وتر الأسطورة، بما يُرضِي به الأُمُومة / الأَرْض، التي تخلَّى عنهـا أهلوها، وقد مضت عمليَّة السَّلام بقضم مزيدٍ من الأراضي، التي وُعِدَ بها الفلسطينيُّون، وَمن هنا احتشدت المَجْمُوعَة بالوُقُوف على مُفَارَقة الأمس وَاليوم، وَتشطير الذَّات بين ضميري: أنَا وَأنْتَ، وَالاختباء المُتكرِّر خلف حجابي الظُّلْمة وَالظِّلِّ؛ ليخرج الطَّابَع العامُّ بنمطٍ من الخِطَاب الفلـسفيِّ الفطريِّ، على حساب الإمتاع الفنِّيِّ.

وَقد وجدنا بذور إقبال الشَّاعِر، على إطلاق المسارات المعرفيَّة الجديدة في شعره، ومنهـا الأسطورة، في قصيدة "**الوَرْد وَالقامُوس**"، التي احتضنتها المجموعة الـشِّعْريَّة "**آخِـر اللَّيْـل**"، الصَّادرة إبَّان نكسة (١٩٦٧)م، وفيها بدا دَرْوِيش مُلِحًّا على استدعاء النَّشِيد الجديد، وَمُـصرِّحًا بتملُّكه مفاتيح الأساطير، فقال وَشعره خير بيانٍ([2]):

وليكن.

لا بُدَّ لي ..

لا بُدَّ للشَّاعِر من نَخْبٍ جديدْ

وَأناشيد جديدة

إنَّني أحمل مفتاح الأساطير وَآثار العَبيد

وَأنَا أجتاز سردابًا من النِّسْيان

وَالفلفل، وَالصَّيْف القَدِيم

وَأرى التَّاريخ في هَيْئة شيخ،

يلعب النَّرْد ويَمْتَصُّ النُّجُوم

---

[1]) للاطِّلاع على الأبْعَاد المعنويَّة للسُّونَاتَة، مع مفهومها في السِّيَاق الغربيِّ، وَبُعْدها العربيِّ المُعَاصِـر، يُنظَـر: البازعي، د. سَعْد، (٢٠٠٤م)، **أبْوَابُ القَصِيدَةِ ــ قِرَاءَاتٌ باتِّجَاهِ الشِّعْر**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقـافيّ العَرَبيّ، ص٦٣ ــ ٧٦، (عَلَى سَرِير السُّونَاتة).

[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٨٧، ١٨٨.

وَليكن
لا بُدَّ لي أن أرفض المَوْت،
وَإن كانت أساطيري تموت
إنّني أبحث في الأنقاض عن ضَوء، وَعن شِعْرٍ جديد
آه .. هل أدركت قبل اليوم
إنَّ الحَرْف في القامُوس، يَا حبّي، بليد
كيف تحيا كُلُّ هَذِي الكلمات !
كيف تنمو ؟ .. كيف تكبر ؟
نحن ما زلنا نُغذّيها دموع الذّكْريات
وَاستعارات ... وَسُكَّر !
وَليكن ..
لا بُدَّ لي أن أرفض الوَرْد الذي
يأتي من القاموس، أو ديوان شِعْر
ينبت الوَرْد على سَاعِد فلاّح، وَفي قبضة عَامِل
ينبت الوَرْد على جرح مُقاتِل
وَعلى جبهة صَخْر ..

وتُؤسِّس القصيدة السَّابقة رفض الثّقافيِّ، في تمظهره المعرفيِّ، كُلَّ أسباب المَـوْت، التـي اشتملت بها عواصم المُوَاجَهة، مع الكيان الصُّهيونيِّ الغاصب، رافضًا وِصَاية التَّارِيخ القائم على "**لعب النَّرْد**"، وفيه من الحظِّ الذي لا يخلو من الخُذْلان، وهو الذي أضحى "**لاعِبَ نَرْدٍ**" في نهايات حياته، وقد أردك أنَّها كانت مُقامَرةً كبيرةً للرِّبْح وَالخَسَارَة؛ فإن كان قد خـسر الأرض وَمحبَّـة أمُومتها؛ فلعلّه ربح في الشِّعْر ما يمكن أن يُجلّل السِّياسة بمراجعةٍ مُعمَّقةٍ حكيمـةٍ؛ لـذا ألفينـاه رافضا مع دُنُوِّ المَوْت؛ بناء طريقته الفنّيَّة الجديدة؛ على وَتَرِ المُعَانَاة، مع كونه في أمَسِّ الحاجة إلى شروط التَّعالي بالخِطَاب الشِّعْريِّ؛ لغاية التَّوْجيه الثّقافيِّ، وفق مُعطَيات النَّكْسة الجديدة؛ فلقد "أسفرت الحرب التي شنتها إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ]؛ إلى تفاقم الأوضاع السِّياسيَّة وَحقـوق الإنسان عمَّا كانت عليه"([1]).

([1]) Cattan, Henry, (1969), **Palestine, the Arabs and Israel; the search for justice**, (1st ed.), London: LONGMANS, GREEN AND CO. LTD, P116; For more information:=

وكان مَحْمُود دَرْوِيش في إثر ذلك واعيًا للصُّعُوبة الحقيقيَّة، التي هيمنت على واقع العُرُوبة وَالنِّضَال الفلسطينيِّ، وَقد عبَّر نَايف حواتمة عن هذا الوعي باستلاله كلمات الشَّاعِر المُكرِّسة حتميَّة المَخَاض في القرار الفلسطينيِّ؛ لأنَّه بات لزامًا على الفلسطينيِّين بعد الحرب تحمُّل المسؤوليَّة لأوَّل مَرَّةٍ، فضلاً عن تحديد برنامج النِّضَال الوطنيِّ([1]).

وَقد تكاثرت اللَّوْحات الشِّعْريَّة المقترنة بالسُّلْطة المعرفيَّة للشَّاعِر، على سبيل البَوْح بالأنا، أو التَّجْريد، أو اعتناق أيِّ ضميرٍ من انشطاراته الضَّميريَّة المختلفة، وهي جميعا تندرج في أنساق التَّأسيس للكلمة / الخِطَاب، وَالشِّعْر / الغاية، وَالفِكْر / الرِّسَالة، مُبتنِيًا في فضاءَاتها من المَجَازَات وَالتَّخْييلات أبدعها، في ظِلِّ مساحاتٍ انمازت بالصُّعُود وَالهُبُوط المُتكرِّرَيْن، وفق الأحداث المُزلزِلة في الخطِّ السِّياسيِّ المُوازِي؛ وعليه فقد كانت معرفيَّة دَرْوِيش فِكْرًا ينطق بحِكْمة الثَّقافيِّ، في لجَّة التَّأزُّم السِّياسيِّ([2]).

---

p107 – 115, (SECTION2: Another refugee tragedy), p116 – 132, (SECTION3: The = aftermath of the conflict).

[1]) يُنظَر:

Darwish, Mahmoud, (April1974), **Palestinian Leaders Discuss the New Challenges for the Resistance – Palestine Essays No. 42**, (without ed), Beirut: Palestine Research Center, p13.

[2]) يمكن مُطَالَعة الحالات المعرفيَّة المختلفة في نتاج دَرْوِيش، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٦٢ ـ ٦٤، ("عَنِ الشِّعْرِ"، من مَجْمُوعة "أَوْرَاق الزَّيْتُون"، أَنَا المعرفيُّ وَالوَظِيفة الشِّعْريَّة في ظِلِّ استعار المُقَاوَمة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٨١ ـ ٨٦، ("يَكْتُبُ الرَّاوِي: يَمُوتُ"، من مَجْمُوعة "هِيَ أُغْنِيَةٌ هِيَ أُغْنِيَةٌ"، أَنَا المعرفيُّ الرَّاوِي)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٧٦، ("نُؤَرِّخُ أَيَّامَنَا بِالْفَرَاشِ"، من مَجْمُوعة "وَرْد أَقَلّ"، أَنَا الشَّاعِر المُؤرِّخ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٢٤٧ ـ ٢٦٥، ("الْهُدْهُدُ"، من مَجْمُوعة "أَرَى مَا أُرِيدُ"، أَنَا المعرفيُّ الحكِيم)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٧٥ ـ ٧٧، ("تَنْسَى، كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، أَنَا المعرفيُّ الْحُرُّ)؛ وَيرتبط النَّصُّ السَّابِق بِالنَّصِّ اللاحق، يُنظَر: **نفسه**، ١: ٧٩ ـ ٨١، ("أَمَّا أَنَا، فَأَقُولُ لاسْمِي"، من المَجْمُوعة نفسها، أَنَا المعرفيُّ الطَّامِح إلى الحُرِّيَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٨١ ـ ٣٨٧، ("قَافِيَةٌ مِنْ أَجْلِ الْمُعَلَّقَاتِ"، من مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أَنَا المعرفيُّ المُفكِّر)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٤٤٥، ٤٤٦، (من نَصِّ "جِدَارِيَّة"، أَنَا المعرفيُّ الشَّاعِر وَلغة المَجَاز)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٤٥٥ ـ ٤٥٧، (من نَصِّ "جِدَارِيَّة"، أَنَا المعرفيُّ المسرحيُّ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٤٧٣ ـ ٤٧٥، (من نَصِّ "جِدَارِيَّة"، أَنَا الشَّاعِر الحَكِيم النَّاقِد لذاته)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤٩، (من "سُونَاتَا ٣، أَنَا الشَّاعِر الْمُحِبُّ لعفويَّة النَّثْر وَالصُّورَة الخَفِيَّة بلا قمرٍ للبَلاغَة ...)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٩٧، ١٩٨، ("هَا هِيَ الْكَلِمَاتُ"، من مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ أَوْ أَبْعَد ..."، أَنَا الشَّاعِر المُتوسِّط بين منزلتَيْن، وَقصيدته المُتماهِية بين الحُضُور وَالغِيَاب)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٧٤ ـ ٢٧٦، (من نَصِّ "مَنْفَى (١): نَهَارُ الثَّلاثَاءِ وَالْجَوُّ صَافٍ"، من مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أَوْ أَبْعَد ..."، أَنَا الشَّاعِر في كشفه عن مذهبه الرَّمْزِيِّ)؛ وَيُنظَر: ٢: ٥٦٢، ("مَكْر المَجَاز"، أنا المعرفيُّ وَمَكْر المَجَاز)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٢٩، ٦٣٠، ("خَيَالِيٌّ ... كَلْبُ صَيْدٍ وَفِيٌّ"، من مَجْمُوعة "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، أَنَا الفيزيائيُّ المُنشطِر)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٥١، ٦٥٢، ("رَبِيعٌ سَرِيعٌ"، من مَجْمُوعة "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، أَنَا الشَّاعِر البَاحِث عن رَبِيع الفِكْرة، بأسلوب التَّجْريد)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٧٥، ٦٧٦، ("عَدْوَى"، من مَجْمُوعة "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، أَنَا الشَّاعِر في لحظة المَخَاض الإبداعيِّ، بأسلوب التَّجْريد)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٤٣، ("شَاعِرِي/ آخَرِي"، من مَجْمُوعة "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، أَنَا المعرفيُّ يجلو وظيفة الشِّعر الأُولَى، بأسلوب التَّجْريد)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٤٨ ـ ٧٥٠، ("بَيْتُ الْقَصِيدِ"، من مَجْمُوعة "أَثَرِ الْفَرَاشَةِ"، أَنَا الشَّاعِر، وَأَنَا النَّاقِد، من خلال مُعَالَجته قضايا: بَيْت القَصِيد وَالمَعْنَى وَسُمُوِّ الشَّاعِر وَمَفْهُوم الشِّعْر)؛ وَقد تتجلَّى المعرفيَّة؛ في باب الرَّبْط بين القَصِيدة وَالدِّيوَان؛ على سَبِيل التَّناصِّ العنوانيِّ وَالمضمونيِّ، في وجهتي الاستباق وَالاسترجاع، وَفي سِيَاق الاسترجاع مثلاً، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٥٨ ـ ٦١، ("فِي= =آخِرِ الأَشْيَاءِ"، من مَجْمُوعة "هِيَ أُغْنِيَةٌ هِيَ أُغْنِيَةٌ" (١٩٨٦م)؛ حيث ارتبطت القَصِيدة مع مَجْمُوعة "آخِرِ اللَّيْلِ"

وَيمكننا أن نوجز ما سبق عرضه، في صورة التَّبدِّي المعرفيِّ البَحْتِ، وَالمعرفيِّ المُقتــرِن بالحِكْمة، ثُمَّ إنَّ معرفيَّة الحِكْمة بدت مُغلَّفة بالآراء الفلسفيَّة، التي علا بها الشَّاعِر فــي الآفــاق، مُترجِمًا بشعر الحِكْمة كُلَّ جائلٍ في حلبات السِّياسة، فضلاً عن اتِّصال المعرفيَّة بميــدان النَّقْــد الأدبيِّ.

كما أنَّ المعرفيَّة تأثَّرت بالأحداث السِّياسيَّة، على نحو ما رأينا إبَّان نكسة (١٩٦٧)م؛ ذلــك أنَّ المعرفيَّ انطلق باحثًا عن نمطٍ أسلوبيٍّ جديدٍ للشِّعْر، لعــلَّ أحــد محــاوره، الــذي خُــصَّ بالاستفاضة في مجموعاتٍ شعريَّةٍ كثيرةٍ، الأسطورة؛ تلك التي رأينا حضورها يتعالى مُوازَاةً مع النَّهْج السِّياسيِّ المُنحدِر في (أوسْلُو)، وَما بعدها، مُتوخِّيًا من ظلالها التَّرْميز المُشتمِل بالغُمُوض، الذي لا يفكُّ مغاليقه إلا من تملَّك من الميثولوجيا مفاتيحها، ثُمَّ من بعد، من أغلق باب التَّحْرير، وَارتضى التَّسْليم.

وَاستند مَحْمُود دَرْويش في سُلْطته المعرفيَّة على الشِّعْر في الغالب، بوصفه مُؤثِّرًا رئيــسيًّا في انطلاقته نحو السُّمُوِّ الفكريِّ، لا سيَّما "القوميّ منه، المُعتــزّ بالقوميَّــة العربيَّــة، المُتغنِّــي ببطولاتها وَأمجادها؛ وَلذا نجده شديد الإعجاب بأبي فراس الحَمْدانيِّ وَالمُتنبِّــي مــن الــشُّعَراء القُدَامَى؛ لأنَّه يُعجِبه التَّغنِّي بالثِّقَة بالنَّفْس وَالشُّعُور بالكرامة"([1]).

أمَّا في نطاق الأدَب الحَدِيث؛ "فاطَّلع على التَّيَّارات الأدبيَّة الحَدِيثة، في الــشِّعْر العربــيِّ، كالرُّومانسيَّة وَالواقعيَّة وَالرَّمْزيَّة، وَنتيجة تأثُّره بحركة الشِّعْر الحَدِيث؛ فقد انتقل الــشَّاعِر مــن الرُّومانسيَّة ــ التي طغت على دِيوَانه الأوَّل "عَصَافِير بِلا أَجْنِحَة" ــ إلى الواقعيَّة"([2]).

وَكانت للشَّاعِر "مُطالَعاته الكثيرة لشعر الثَّوْرة العالميِّ، وَخاصَّة منه شــعر الثَّــوْرة، وَأدب الثَّوْرة الرُّوسيَّة، وَبفضل وعيه السِّياسيِّ؛ أصبح يدمج كثيرًا من الأدب وَالسِّياسة، وَيربط بينهما رباطًا مُحكَمًا، بشكلٍ فنِّيٍّ مُتجدِّدٍ، وَمضمونٍ ثوريٍّ راقٍ ... كما تأثَّر مَحْمُود دَرْويش بــشعراء المقاومة العالميِّين، أمثال "نَاظِم حِكْمت" وَ"لُوركَا" وَ"أرَاغُون"، وَيبرز هذا التَّــأثير فــي الاتِّجــاه

(١٩٦٧م)، كما تجلَّى في القَصِيدة الأنَا المعرفيُّ الحَكِيم)؛ وَيمكن استظهار المعرفيَّة؛ في سِيَاق التَّشْكيل البِنَــائيِّ للقَصِيدة، يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٧١ ــ ٧٤، (رُبَاعِيَّات"، من مَجْمُوعة "أوْرَاق الزَّيْتُــون"، وقــد تكوَّنت القَصِيدة من أحَدَ عَشَرَ مقطعًا، تضمَّن كُلٌّ منها أربعة أسطرٍ شعريَّةٍ).

[1]) العنابي، د. زهر، (٢٠٠٤م)، **النَّصُّ الشِّعْرِيُّ المُعَاصِرُ ــ قِرَاءَةٌ وَتَأْوِيلٌ**، (ط١)، إرْبد: الرُّومَانتِيك للأبْحَــاث وَالدِّرَاسَات، ص١٧٣، ١٧٤.

[2]) **نفسه**، ص١٧٤.

الثَّوْرِيِّ المُقاوِم الذي انتهجه، وَفي المعاني الإنسانيَّة التي يحملها شعره"([1])، مع إدراكه من ناحية مُطالَعاته الآداب العالميَّة؛ "ضرورة معرفة أدب الغَرْب، ولَكن دون مسخ الشَّخصيَّة العربيَّة"([2]).

وَهو على تأثُّره بالنَّهْج الحَدِيث؛ ضمَّنَ شعره من قوالب الرَّمْز وَالمَجَاز؛ ما يُـوحِي إلــى ضرورة تتبُّع إشاراته الدَّالَّة، وفق النَّهْج السِّيميائيِّ، حين "يتعامل مع النُّصُوص التي تكون لغتها مبدعةً خالقةً مجازيَّةً، تجتاز وَتعبر، وَتهاجر وَترحل، بين الدَّلالات المختلفة؛ حيث من خلالهـا يستطيع الأدَبَاء إبداع عوالم خاصَّةٍ بهم"([3]).

وعلى هذا فإنَّ الرَّمْز عند مَحْمُود دَرْوِيش "عنصر تفعيلٍ، وَليس تضادًّا، وَلا إلغاءً لمـديات النَّظر أو الاشتغال على عرض مساحة الحَدْس وَالرُّؤْيا وَفهم العالم وَتغيُّـره، أو النَّظـر إليـه بحافزيَّة التَّغْيير وَالتَّثْوير، لا بسُكُونيَّة القدريِّ المُسيَّر"([4])، ([5])؛ وَهذا ما أثار حركةً نقديَّةً واسعةً، موَّارةً بمناهج تحليليَّةٍ متباينةٍ([6]).

وَاختار دَرْوِيش لشعره "شكلاً فَنِّيًّا جديدًا؛ بناه على إيقاعاتٍ مُتنوِّعةٍ، منها الخِطَاب وَالسَّرْد، وَالرَّمْز، وَالحُلْم، وَشِعْر التَّفْعيلة، وَالشِّعْر الحُرّ؛ فوظيفة الفَنِّ عنده تكمن فـي بعـث الوجـدان،

---

[1]) العنابي، **النَّصُّ الشِّعْرِيُّ المُعَاصِرُ ــ قِرَاءَةٌ وَتَأويلٌ**، ص١٧٥.

[2]) عزّ الدِّين، د. يُوسُف، (١٩٨٦م)، **التَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ ــ بَوَاعِثُهُ النَّفْسِيَّةُ وَجُـذُورُهُ الفِكْرِيَّـةُ**، (ط١)، جدَّة: النَّادِي الأدبيّ الثَّقافيّ، ص٢٤٦، ٢٤٧.

[3]) بُو معزة، رَابح، (يُونيُو٢٠٠٥م)، تَحْلِيلُ البِنْيَةِ العَمِيقَةِ لِلنَّصِّ الأدَبِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٦)، ص٢٠٠؛ وَيُنظَر في السِّيميائيَّة: تاوريريت، بَشِير وَحمادي، عبد الله، (سِبتمْبر٢٠٠٥م)، السِّيمِيَائِيَّةُ فِي الْخِطَــابِ النَّقْــدِيِّ المُعَاصِرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٧)، ص٢٠٣ ــ ٢٢٨؛ وَقد ورد البَحْث نفسه، في المجلَّة ذاتها قبــل ذلــك، منسوبًا إلى بَشِير تاوريريت فقط، يُنظَر: (ديسمْبر٢٠٠٤م)، السِّيمِيَائِيَّةُ فِي الخِطَابِ النَّقْدِيِّ المُعَاصِرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٤)، ص١٧٥ ــ ١٩٩.

[4]) الجَزَائِرِيّ، مُحمَّد، (٢٠٠٠م)، **تَخْصِيبُ النَّصِّ: الأسْطُورَةُ ــ السِّيرَةُ الشَّعْبِيَّةُ ــــ الرَّمْــزُ**، (د. ط)، عمَّــان: مَنْشُورات أمَانَة عمَّان الكُبْرى ــ وَطُبع في مَطَابع الدُّسْتور التِّجَاريَّة، ص١٢٣؛ وَيمكن التَّبصُّر في وقفة الكَاتِب المُستجلِية للرَّمْز المُتَّصِل بالأسْطورة، عند مَحْمُود دَرْوِيش، في الكِتَاب نفسه: ص١١٨ ــ ١٣٨؛ وَحَوْل الرَّمْــز وَوظيفته، يُنظَر: خُوجَة، غَالِيَة، (٢٠٠٣م)، **قَلَقُ النَّصِّ ــ مَحَارِقُ الحَدَاثَةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤسَّـسة العَرَبِيَّــة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١١٩ ــ ١٢٢، (انقباض الرَّمْز/ انبساط الأبْعَاد)؛ وَلمُطَالَعة استظهار الرَّمْز، عند مَحْمُود دَرْوِيش، في بعض القَصَائِد، وَمنها قصيدة "أحْمَـــد العَرَبِـــيّ": **نفـسه**، ص١٢٨ ــ ١٣٠، (بَــوْحُ الخَفَــاءِ الدَّرْوِيشِيِّ).

[5]) لاستجلاء الخَصَائِص الفنِّيَّة لشعر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: العــنابي، **النَّصُّ الــشِّعْرِيُّ المُعَاصِــرُ ــ قِــرَاءَةٌ وَتَأويلٌ**، ص٢٠١ ــ ٢٢٧، (الخَصَائِص الفنِّيَّة في النَّصِّ الشِّعْرِيِّ المُعاصِر).

[6]) للاطِّلاع على الدِّرَاسَات النَّقْديَّة، في نتاج مَحْمُود دَرْوِيش الأدبيِّ، منذ عام (١٩٦٠م) حتَّى عــام (٢٠٠٠م)، يُنظَر: عبيد، كَرِيم، (٢٠٠٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش فِي مِرْآةِ النَّقْدِ العَرَبِيِّ المُعَاصِر**، رسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة دِمَشْق، دِمَشْق، سُوريا، ص٢٣٢ ــ ٢٣٤، (خَاتِمَة الدِّرَاسَــة)؛ ص٢٣٥ ــ ٢٤٠، (مُلْحق نُقَّاد مَحْمُــود دَرْوِيش)؛ وَيمكن الاطِّلاع على آراء النُّقَّاد بصورةٍ مُفصَّلةٍ، في مضامين الرِّسَالة نفسها؛ وَلاستظهار آراء النُّقَّاد، في نتاج مَحْمُود دَرْوِيش، من خلال المَوَاقِع الإلكترونيَّة المُخصَّصة للشَّاعِر، يُنظَر: **مَوْقِعُ الــشَّاعِرِ الفِلَــسْطِينِيِّ مَحْمُود دَرْوِيش**، (www.darwish.ps)، (قالوا عن دَرْوِيش)؛ (كتبوا عن دَرْوِيش)؛ وَيُنظَر: **مَوْقِــعُ مَحْمُــود دَرْوِيش**، (www.mahmouddarwish.com)، (مقالاتٌ عن مَحْمُود دَرْوِيــش)؛ وَيُنظـــر: **مَوْقِــعُ مَحْمُــود دَرْوِيش**، (www.mahmoud-darwish.com)، (مَقَالات وَمُدوَّنات الزُّوَّار)؛ وَيُنظَر: **مَوْقِع الشَّاعر مَحْمُــود دَرْوِيش**، (www.darwesh.4fun4.net)، (مَاذا قالُوا).

وَإبراز القيم التي يحملها الإنسان؛ أي التَّرْكيز على الوظيفة الإنسانيَّة للشِّعْر، وَإلحاق الطَّبيعة بالإنسان، وَدمجها بأمانيه وَتطلُّعاته وَتوحُّدها به؛ حيث يغدو الواقع جزءًا من تطلُّعات الإنسان"([١]).

كما "عرف مَحْمُود دَرْوِيش براعة التَّناوُل، وَروعة التَّجْديد الشِّعْرِيِّ؛ حتَّى تغدو القصيدة عنده في شكلها الْفَنِّيِّ، أداة هامَّةً من أدوات الجمال الْفَنِّيِّ، وَالتَّعْبير المبدع عن المضامين، بما فيها من حياةٍ، وَتركيزٍ للصُّور وَالرُّمُوز، وَتكثيف للإيحاءات الشِّعْرِيَّة"([٢])، ([٣]).

كما وظَّف الشَّاعِر أسلوب التَّسْآل الدَّائِم في نطاقات التَّأزُّم؛ ذلك أنَّ التَّساؤُلات "تلعب ــ مع غيرها من الوسائل الفنِّيَّة الأخرى ــ دورًا مُهمًّا في ضبط مسافة التَّوْصيل بين الشَّاعِر وَالقَارِئ وَالمُتلقِّي، وَتمكّنهما ــ على أقلّ تقدير ــ تأويل رُؤْيته بنسبيَّةٍ واضحةٍ"([٤]).

أمَّا النَّثْر فكان حاضرًا في نتاج مَحْمُود دَرْوِيش، على هيئتي النَّثْر الْفَنِّيِّ وَقَصِيدة النَّثْر؛ وَكان يحمل قيمة الإشعاع بالموقف الثَّقافيِّ، من مراحل الثَّوْرة كافَّةً، على مستوى الافتتاحيَّات التي صُدِّرت بها مَجَلَّتَا "شُؤُون فلسطينيَّة" وَ"الكَرْمِل"، وَالقصائد الي تناثرت في مجموعاته المختلفة، بدءًا من مَجْمُوعَة "**أحبُّك أو لا أحبُّك**"، التي صدرت سنة (١٩٧٢)م([٥]).

ثُمَّ كان للنَّثْر أن يتجلَّى في صورة الإبداع المُؤسَّس على التَّفلُّت من نمطيَّة النَّثْر التَّقْليديِّ، من خلال "**يوميَّات الحُزْن العَادِي**"([٦])، التي شكَّلت تجسيدًا لرتابة الرُّؤْية العالميَّة للقضيَّة، مع توقُّف الشَّاعِر عند الأسئلة الكُبْرى.

وكان لِمَحْمُود دَرْوِيش أن يُزاوج بين الشِّعْر وَالنَّثر، كما تبدَّى في مجموعتي: "**في حَضْرَة الغِيَاب**"، الصَّادِرة سنة (٢٠٠٦م)([١])، وَ"**أَثَر الفَرَاشَة**"، الصَّادِرة سنة (٢٠٠٨م)([٢])، على نحوٍ

---

[1]) الشّعار، فوَّاز، (١٩٩٩م)، **الشُّعَرَاءُ الْعَرَبُ**، إشْرَاف: د. إمِيل يَعْقُوب، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الجيل، ٢: ١٩٩.

[2]) **نفسه**، ٢: ١٩٩.

[3]) للتَّعرُّف على تَطوُّر الشَّكْل الْفَنِّيِّ، في شعر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: إبْرَاهِيم، نَاصِر عَلِيّ، (٢٠٠٠م)، **بِنْيَة القَصِيدَةِ فِي شِعْر مَحْمُود دَرْوِيش**، رسَالَة دُكتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأَرْدنيَّة، عمَّان، الأرْدن، ص١٠ ــ ٣٣، (القَصِيدة الغِنَائيَّة)؛ ص٣٤ ــ ٦٧، (القَصِيدة الغِنَائيَّة الدّراميَّة)؛ ص٦٨ ــ ٨٣، (القَصِيدة الغِنَائيَّة المَلْحميَّة).

[4]) حسونة، د. مُحمَّد إسْمَاعِيل، (يَنَاير ٢٠٠٦م)، تَسَاؤُلاتُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٤(١)، ص١٢٧؛ وَيمكن النَّظَر في نَتَائِج البَحْث: ص١٢٧؛ كما يمكن مُطَالَعة الوقفات التَّحْليليَّة لهذه الظَّاهِرة، عند مَحْمُود دَرْوِيش وَشُعَرَاء آخرين، في البَحْث نفسه: ص١١٥ ــ ١٣٠.

[5]) يُنظَر: اليُوسُف، إبْرَاهِيم، فِي الذِّكْرَى الثَّانِيَةِ عَلَى رَحِيلِهِ، **مَحْمُود دَرْوِيش: أَتَعَلَّمُ مِنْ قَصِيدَةِ النَّثْر**، المَوْقِع الإلكترونيّ لمجلَّة الخَلِيج، (www.alkhaleej.ae)، السَّبْت، ٧/ ٨/ ٢٠١٠م؛ وَلاستجلاء نَثْر مَحْمُود دَرْوِيش بتفصيلاته المختلفة، يُنظَر: شَاكِر، تَهَانِي عبد الفَتَّاح، (٢٠٠٣م)، **مَحْمُود دَرْوِيش نَاثِرًا**، رسَالة دُكتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأَرْدنيَّة، عمَّان، الأَرْدن.

[6]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٣: ٣٥٣ ــ ٥٠٢؛ وَيمكن الاطِّلاع على الطَّبْعة الأُولَى من هذه المَجْمُوعَة، يُنظَر: دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٧٣م)، **يَومِيَّاتُ الحُزْنِ العَادِيّ**، (د. ط)، بَيْرُوت: مركز الأبحاث ــ مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة.

مزج فيه بين الذَّاتيِّ وَالجَمْعيِّ؛ لإبانة موقفه الثَّقافيِّ، مع معرفيَّةٍ عاليةٍ، تجمع شعريَّة النَّثْر بنثر الوَزْن.

وَقد سعى الشَّاعِر إلى التَّطْوير الفَنِّيِّ المُؤسَّس وفق سُلْطته المعرفيَّة؛ فَالمراحل الفنِّيَّة التي مَرَّ بها مَحْمُود دَرْوِيش؛ "تُمثِّل تطويرًا مُستمِرًّا لأدواته وَتقنيات استخدامها، وَتجاوزًا دائبًا لتقاليده الفنِّيَّة السَّابقة، حتَّى نستطيع أن نجد للتَّصْنيف الكرونولوجيِّ لشعره دلالته الجماليَّة"([3])، التي تُقْرَأ في ضوء نتاج السَّنَوات الأخيرة، على أنَّها نتيجةٌ تُكرِّس "حالة تَرَفٍ جماليٍّ وَإبداعيٍّ"([4]).

وَلَقد خطا الدُّكتور عَلِيّ الشَّرْع خطوةً جريئةً في مُقارَبة نُصُوص دَرْوِيش، المُشتمِلة على حكمة السَّنَوات الأخيرة من حياته، من جهة الظَّاهِرة التي "تتلخَّص في النَّظَر للوُجُود الإنسانيِّ، باعتباره دورةً مُستمِرَّة الحُضُور وَالغِيَاب. وَتبعًا لرسوخ هذا اللَّوْن في التَّفْكير الشِّعْريِّ، فإنَّ على المُتلقِّي أن يعي الأسلوبيَّة الشِّعْريَّة التي رافقت هذه الظَّاهِرة، أو هذا اللَّوْن من التَّفْكير، وَأن يعي الطَّبيعة التَّخْييليَّة، وَطبيعة اللُّغة الشِّعْريَّة، المُوظَّفة في التَّعْبير عن موضوعات هذه الظَّاهِرة"([5]).

وَأيًّا كان الشَّأن؛ فقد أهَّلت السُّلْطة المعرفيَّة مَحْمُود دَرْوِيش؛ لأن ينال "شهرةً واسعةً، وَاعترافًا عَامًّا؛ بوصفه واحدًا من أعظم الشُّعَراء العرب المعاصرين؛ فهو شاعرٌ على المُستَوى

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٣٥١ ــ ٥٢٧؛ وَقد استعاد الشَّاعِر في نُصُوص هذه المَجْمُوعة أجواء النُّزُوح الأوَّل، بما فيها من مُعَانَاةٍ وَألمٍ، مع حُضُور الأثَر المَلْحِيِّ للأمُومة، وَتتَّسم بخُلوِّها من عنصر العَنْوَنَة، بما يتَّفق مع دافعيَّة الكِتَابَة، المُؤسَّسة في فضَاء تقنية الاستدعاء غير المُقيَّد، ثُمَّ إنَّ بُذُور هذه المَجْمُوعة قد بدأت منذ سابقتها "**كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أوْ أبْعَد** ..."؛ حيث قال دَرْوِيش تحت عنوان "**الآنَ ... فِي المَنْفَى**": "**قُلْ لِلْغِيَابِ: نَقَصتَنِي وَأنَا حَضَرْتُ ... لأكْمِلَكْ !**"، يُنظَر في: **نفسه**، ٢: ١٧١؛ كما قال في عنوانٍ آخر "**هِيَ/ هُوَ**": "**كُلَّمَا اكْتَمَلَ الغِيَابُ حَضَرْتُ** ..."، يُنظَر في: **نفسه**، ٢: ٢٣٨؛ ثُمَّ كان لهذه الفِكْرة أن تُرافِق الشَّاعِر، إلى مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، في مضمون نصِّ "أكْثَر وَأقلّ"، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٧٩، ٦٨٠.

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٢٩ ــ ٨٠٦؛ وَقد مثَّلت المَجْمُوعة يومياتٍ كُتِبَتْ في صيفي (٢٠٠٦)م وَ(٢٠٠٧م)، اللذيْن سبقا صَيْف الرَّحِيل الأخِير في (٢٠٠٨)م، وَفيها رصدٌ توثيقيٌّ لاستمرار مُصَادَرة الهُويَّة الفلسطينيَّة؛ لذا بدأ الشَّاعِر بإماطة اللِّثَام عن بعض رُمُوزه، من مثل: البَحْر وَالإله وَغيرهما، كما بدا ساخرًا من الوَاقِع، مُوجِّهًا سِهَام النَّقْد اللاذع إلى الدَّاخِل الفلسطينيِّ، دون تقديم حُلُولٍ جذريَّةٍ، مع حُضُور التَّنَاقُض على الصَّعِيد الذَّاتيِّ؛ فقد يتمسَّك في موطنٍ بآخر قطرةٍ من الحَيَاة، لكنَّه يبدو في آخر مُستسلِمًا بالكُلِّيَّة للمَوْت، وَتبرز القِيمَة الكُبْرى للتَّناصِّ الدَّاخليِّ، في الإطار البُؤْريِّ للمَجْمُوعة؛ ذلك أنَّنا نلحظ في منتصفها على وجه التَّقْريب، حُضُور عنوان "**أثَر الفَرَاشَة**"؛ مِمَّا يُشكِّل تناصًّا مع عنوان المَجْمُوعة، في مركزيَّةٍ واضحةٍ، جعلت من "**الفَرَاشَة**" أثرًا أضاء للشَّاعِر الحَقَائِق؛ وَإن كان "**أثَر الفَرَاشَة**" قد لازمه في مرحلة المُقَاوَمَة الأولى؛ فقد بدا مُؤتلِقًا معه؛ في ظِلِّ مرحلة المُرَاجَعَة الذَّاتيَّة؛ لِخَطِيئة السَّلام، وَضياع الأرْض، وَاستلاب سُبُل المُقَاوَمَة.

[3]) الجزار، د. مُحمَّد فِكْري، (٢٠٠١م)، **الخِطَابُ الشِّعْرِيُّ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش**، (ط١)، القَاهِرة: إيتراك للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٠٢، (الخَاتِمة)؛ وَيمكن النَّظَر في خُلاصَة نَتَائِج الدِّرَاسَة في الخَاتِمة؛ كما يمكن الاطِّلاع على التَّطْبيق التَّحْليليِّ المباشر، على النُّصُوص الشِّعْريَّة، في تضاعيفها.

[4]) الخيِّر، هَانِي، (٢٠٠٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ رِحْلَةُ عُمُرٍ فِي دُرُوبِ الشِّعْر**، (ط١)، دِمَشق: مُؤسَّسة عَلاء الدِّين للطِّبَاعَة وَالتَّوْزِيع، ص٣١.

[5]) الشَّرْع، د. عَلِيّ، (سِبتمْبر ٢٠٠٠م)، استْرَاتِيجيَّةُ القِرَاءَةِ مَنْهَجٌ نَقْدِيٌّ ــ قَصِيدة مَحْمُود دَرْوِيش: "أنْمَاط عَاجيَّة"، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٧)، ص١٩٨.

العالميِّ، يستحقُّ شعره أن يكون جزءًا من الثَّقَافَة الشِّعْرِيَّة العالميَّة، التي يدرسها طالبو المعرفة الفنِّيَّة في كُلِّ مكانٍ، كجزءٍ من الإبداع الإنسانيِّ الشُّمُوليِّ"([١])، ([٢]).

---

[1]) الخَلِيليّ، عَلِيّ، "اختِيَار وتَقْديم"، (٢٠٠٢م)، **مُخْتَارَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ**، (د. ط)، عمَّان: أَمَانَــة عمَّــان الكُبْرى، ص١٥٢؛ ويَمكن النَّظَر في تَرْجَمة الشَّاعِر: **نفسه**، ص١٥٢، ١٥٣.

[2]) للاطِّلاع على بعض الأنظار النَّقْديَّة، في شِعْر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: عجمي، حَسَن، (٢٠٠٤م)، التَّحْلِيلِيَّــةُ وَالشِّعْرُ الْمُعَاصِرُ، **مجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرَيْن، (٨/٧)، ص٢٨.

ـ صُورَةُ الأَنَا الثَّقَافِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

اتَّسمت الملامح الكُلِّيَّة للسُّلطة الثَّقافيَّة المُتبدِّية في رحاب الأنا، عند مَحْمُود دَرْوِيش، بمُقارَبتها كُلَّ نطاقات القضيَّة؛ إذ ارتحلت مع الرَّصاصة الأُولى، إلى جرح التَّهْجير، وَنفي الهَجِير، وَامتطت صهوة النَّكْسة بتحدِّي الحياة، وَغالبت المَوْت الدَّاهِم في "بَيْرُوت" بحنين الانتماء، للثَّوْرة الزَّاحِفة في كُلِّ الآفاق، مُعتلِيةً سُرُوج الخَيْل في صحاريها، وَمَاخِرَةً في البحر بسَفِينِ أمانيها، وَما الأماني إلا أوهامٌ خادعاتٌ، وَسنواتٌ عجافٌ قاسياتٌ، عايش المُثقَّف السَّلام فيها عيش المكروب، وَبدا منشطرًا في كُلِّ الدُّرُوب؛ فلا فعل السِّياسيِّ الفلسطينيِّ أو العربيِّ يُرضِيه، وَلا الصُّهيونيُّ بوعوده المكذوبة يسترضيه.

وَلعلَّ أُولى المَحطَّات المفصليَّة في حياة المُثقَّف، الحماسة الثَّوْريَّة الملتئمة بواقع النَّفْي، وفي هذا نقرأ من مَجْمُوعَة "**أَوْرَاق الزَّيْتون**"، الصَّادِرة سنة (١٩٦٤)م، "**رِسَالَة من الْمَنْفَى**"، أرسى الشَّاعِر فيها التَّراسُل نمطًا بنائيًّا، وَمضى يُقلِّب فيها بعد التَّحيَّة سنوات الفُرْقة وَالآلام، مُخاطِبًا أمَّه في الخِتَام[١]:

لمن كتبت هذه الأوراق

أيّ بريد ذاهب يحملها ؟

سُدَّت طرق البرِّ وَالبحَار وَالآفاق ..

وَأنت يَا أُمَّاه

وَوالدي، وَإخوتي، وَالأهل، وَالرِّفاق ..

لعلَّكم أحياء

لعلَّكم أموات

لعلَّكم مثلي بلا عنوان

ما قيمة الإنسان

بلا وطن

بلا عَلَمْ

وَدونما عنوان

ما قيمة الإنسان ؟

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٤٧.

وَقد أراد الشَّاعِر بالسُّؤَال الذي امتدَّ لخمسة أشطارٍ، أن يُقَرِّعَ كُلَّ المــشاركين فـــي إيقـــاع الهزيمة، وَأن يُوقِظ في العالميَّة إنسانيَّةً خبيئةً، غُلِّفت بالصَّمْت، وَانقادت لِلجِبْتِ، وَارعوت عـــن الْحَقِّ بالسُّحْتِ، وَالسُّؤَال فحواه استفهاميٌّ، باطنه تقريريٌّ؛ إذ إنَّ الإجابة مُقرَّرةٌ سلفًا مع قـــراءة الكلمات الأولى منه؛ فلا قيمة لإنسانٍ، بلا علمٍ وَلا وطنٍ وَلا عنوانٍ؛ وَأَمَّا الثَّقافيُّ فمنفـــيٌّ كمـــا الشَّعْب، مُعبِّرٌ عن الرِّسَالة المُتوخَّاة من الشِّعْر، بجليل النَّقْد وَالفِكْر، مُجلِّلاً بالرَّفْض المُستحكِم في دائرة التَّحقُّز للفِعْل الثَّوْريِّ القَادِم.

وَلم يزل دَرْوِيش متَّصلاً بالوطن بحبلٍ متينٍ من شاعريَّة الشِّعْر، وَموقفيَّة المُثقَّف، وَكانـــت قصيدته "**عَاشِق من فِلَسْطِين**"، مُستهلَّ المجموعة الشِّعْريَّة، الصَّادِرة ســـنة (١٩٦٦م)، وَالتـــي حملت العنوان نفسه؛ ليكون عتبةً مُهمَّةً في استجلاء الموقع المكين لفلـــسطين مـــن القلـــب([١])؛ وَالعنوان هنا "يتضمَّن فكرة النَّصِّ الرَّئيسة، وَيُتِيح للقَارِئ انتقاء إطارِ مرجعٍ؛ لتأويل المعلومات التي يحويها هذا النَّصُّ"([٢]).

وَقد تبدَّى في هذه القصيدة الحنين العظيم إلى الوطن، الذي انعكس على كُلِّ كائنٍ مُتحقِّـــق الوجود أمام ناظرَيْه؛ وَلَمَّا ألهمته عزَّة الثَّائِر التَّعالي على إثم الخُنُوع؛ ألفيناه يُقسِم بنـــزف الـــدَّم وَرَشْفِ رُضَابِ القُبَل([٣]):

وَأقسم:

من رُمُوش العَيْن سوف أخيط منديلا

وَأنقش فوقه شِعْرًا لِعَيْنَيْكِ

وَاسمًا حين أسقيه فؤادًا ذاب ترتيلا ..

يمدُّ عرائش الأيْكِ ..

سأكتب جملة أغلى من الشُّهَدَاءِ وَالْقُبَلِ:

"**فلسطينيَّةً كانت. وَلَمْ تَزَلِ !**".

---

[١]) يُنظَر: درمش، بَاسِمة، (مَايُو٢٠٠٧م)، عَتَبَاتُ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْـد**، ١٦(٦١)، ص٤١ ـــ ٧٣، (أوَّلاً: العنوان)؛ وَيُنظَر في عَتَبَاتِ النَّصِّ بشكلٍ إجماليٍّ: لحمداني، حميد، (ديسمْبر٢٠٠٢م)، عَتَبَاتُ النَّصِّ الأدَبِيِّ (بَحْثٌ نَظَرِيٌّ)، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٦)، ص٨ ـــ ٥٠.

[٢]) ديشين، أندريه جَاك، (١٩٩١م)، **اسْتِيعَابُ النُّصُوص وَتَأْلِيفُهَا**، تَرْجَمة: هَيْثم لمَع، (ط١)، بَيْروت: المُؤَسَّـسة الجَامِعِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٢.

[٣]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولَى**، ١: ٩٠، ٩١.

ثمَّ يستذكر في نفيه إحساس الولاء، مُستمِيلاً في الأنوثة ألق الوفاء، وَمُرسِّخًا هُويَّتَهَا في "**فلسطينيَّة**" الانتماء، فيقول(١):

...

وَلكنِّي أنَا المنفيُّ خلف السُّور وَالبابِ

خُذِينِي، تحت عَيْنَيْكِ

خُذِينِي، أينما كُنْتِ

خُذِينِي، كيفما كُنْتِ

أردّ إليَّ لون الوَجْه وَالْبَدَنِ

وَضوء القَلْب وَالْعَيْنِ

وَملح الخُبْز وَاللَّحْنِ

وَطعم الأرْض وَالْوَطَنِ !

خُذِينِي تحت عَيْنَيْكِ

خُذِينِي لوحةً زَيْتِيَّةً في كُوخ حَسَرَاتِ

خُذِينِي آيةً من سفر مأساتي

خُذِينِي لعبة ... حجرًا من البَيْت

ليذكر جيلُنا الآتي

مساربه إلى الْبَيْتِ !

فلسطينيَّة العينَيْن وَالْوَشْمِ

فلسطينيَّة الاسْمِ

فلسطينيَّة الأحلام وَالْهَمِّ

فلسطينيَّة المنديل وَالقدمَيْن وَالْجِسْمِ

فلسطينيَّة الكَلِمات وَالصَّمْتِ

فلسطينيَّة الصَّوْتِ

فلسطينيَّة المِيلاد وَالْمَوْتِ

---

(1) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٩٢، ٩٣.

وَحين يحمل المُثقَّف الوطن معه في "**التِّيهِ**" كلماتٍ وَأشعارًا، يصعِّد الحِسُّ الثَّوْريُّ فيه بالغًا حَدَّ الفِدَاء؛ فيقول([١]):

حَمَلْتُكِ في دفاتريَ القديمةِ

نارَ أشعاري

حَمَلْتُكِ زَادَ أسفاري

وَباسمك، صحتُ في الوديانْ:

خُيُولُ الرُّوم ! .. أعرفها

وَإن يتبدَّل الميدان !

خُذُوا حَذَرًا ..

من البَرْق الذي صكَّته أغنيتي على الصَّوَّانْ

أَنَا زَينُ الشَّباب، وَفَارس الفُرْسانْ

أنَا. وَمُحطِّم الأوثان.

حدود الشَّام أزرعها

قصائد تُطلِق العقبان !

وَباسمك، صحت بالأعداءْ:

كلي لحمي إذا ما نمت يا ديدانْ

فبيض النَّمْل لا يلد النُّسُورَ ..

وَبيضة الأفعى

يُخبِّئ قشرُها ثعبانْ !

خُيُولُ الرُّوم .. أعرفها

وَأعرف قبلها أنِّي

أَنَا زين الشَّباب، وَفَارس الفُرْسان !

لقد عبَّر المُثقَّف في المقطع الختاميِّ، عن علاقته الوثيقة بالوطن، تلك التي لا تقبل التَّفاوُض أو المُسَاوَمة، وهو النَّار المُضطرمة في أشعاره، وَزاد المَسِير في أسفاره، وَيكشف الشِّعْر عن موقف دَرْوِيش المُجلَّل بالتَّصادُم؛ أَمَّا وجهته فَـ"**خُيُول الرُّوم**"، تلك التي استجلب لها من صور الرَّدْع العقابيِّ المَوْت وَالتَّدْمير، مُؤَكِّدًا السُّمُوَّ الثَّقافيَّ على الغُزَاة بقوله: "**أَنَا زَين الشَّبَاب،**

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٩٣، ٩٤.

وَفَارِس الفُرْسَان"، وَمُلتمِسًا من صورة "**الثُّعْبَان**" الكائن في "**البَيْضَة**"، مثالاً على سكونٍ يتعبه تحفُّزٌ وَثورةٌ ونِزَالٌ.

وَقد شكَّلت القصيدة السَّابقة؛ بداية تجاوز الشَّاعِر "المُباشَرة، إلى لغةٍ أكثر تعبيرًا عن تشكيلٍ جديدٍ للعلاقات اللُّغويَّة"(١)، وَهذا ينسجم مع الرُّوح الجديدة لشعر الأرض المُحتلَّة، التي استطاع "شُعَراء المُقَاوَمة" من خلالها؛ "أن يُشكِّلوا لغتهم تشكيلاً؛ يُجسِّد رؤيتهم، وَيخلق عالمهم الفَنِّيَّ البديل للواقع المُؤلِم، وَعلى الرّغم من أنَّ هذه الرُّوح تعارف النُّقَّاد عليها، بأنَّها لغة الشِّعْر المُقاوِم؛ لأنَّها في نهاية المطاف تُشكِّل مناخًا توحَّدت فيه اللُّغة وَالرُّؤْية وَالوَاقِع المُمتدُّ على الأسئلة وَالاحتمالات، فإنَّ هذا المناخ يسمح بالتَّنوُّع وَالتَّعدُّد وَالإشراف على تيَّاراتٍ وَاتِّجَاهَاتٍ وَتشكيلاتٍ، تتقاطع مع تيَّاراتٍ وَأجيالٍ أخرى"(٢).

وَلخَّصت القصيدة إحساس مَحْمُود دَرْوِيش منذ البداية؛ إذ إنَّه أحسَّ "بالتَّوحُّد العضويِّ الكامل، الذي يبلغ حَدَّ التَّوحُّد الصُّوفيِّ مع الوطن: القضيَّة وَالطَّبيعة وَالأرض؛ فالأرض جلد عظمه، وَهو في لحمها، وَعلى أهدابه عشبها؛ بهذا الإحساس اندمج شعره بروح المُقَاوَمة وَفِعْلها؛ فأضحى جوهرًا في هذه الرُّوح، وَأصلاً من هذا الفِعْل، وَسلاحًا في ميدان القضيَّة يخوض معركتها، وَلا يكتفي بالحديث عنها فحسب"(٣).

هُمَا صورتا النَّفْي وَالمُقَاوَمة، كما ارتأيناهما في اللَّوْحات الشِّعْريَّة السَّابقة؛ أمَّا الذي يُعضِّدهما في التَّأطير للسُّلْطة الثَّقافيَّة، الوقفة التَّحليليَّة المُتبصِّرة في تصريح المُثقَّف، بوظيفته الكاشفة في تضاعيف الخِطَاب، وَالشِّعْر حينئذٍ ناقدٌ مُسترسِلٌ، في حكمة التَّوازُن بين ما يميز الخَيْط الأبْيض من الخَيْط الأسْود من فجر التَّحرُّر، في واقعٍ مُصطرعٍ باليأس، خيَّم على القصيدة التَّسجيليَّة "**مَدِيح الظِّلّ العَالِي**"، الصَّادِرة سنة (١٩٨٣م)، وَفي ذلك يقول(٤):

نحن البدَايةُ وَالبِدَايةُ وَالبِدَايةُ. كم سَنَةْ
وَأنَا التَّوَازُنُ بين ما يَجِبُ ؟
كُنَّا هُنَاكَ. وَمن هُنَا ستُهاجِر الْعَرَبُ
لعقيدةٍ أخرى. وَتَغْتَرِبُ

---

[1]) السَّعافِين، أ. د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٧م)، **لَهَبُ التَّحَوُّلاتِ ــ دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، دبي: دَار العَالم العَرَبِيِّ للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٧.

[2]) **نفسه**، ص٣٦.

[3]) مَحْمُود، د. حُسْنِي، (١٩٨٤م)، **شِعْرُ الْمُقَاوَمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ ــ دَوْرُهُ وَوَاقِعُهُ فِي عَهْدِ الانْتِدَابِ (الْجُزْءُ الثَّانِي: فِي الأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ من ١٩٤٨م – ١٩٦٧م)**، (د. ط)، الزَّرْقاء وَعمَّان: الوكالة العَرَبِيَّة للتَّوْزِيع، ٢: ١٥٥، ١٥٦.

[4]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ٣٥٥ ــ ٣٥٧.

قصَبٌ هياكلنا

وَعروشنا قصَبُ

في كُلِّ مِئْذَنَةٍ

حاوٍ، وَمغتصبُ

يدعو لأندلس

إن حُوصِرَتْ حَلَبُ.

وَأنَا التَّوَازُنُ بين مَنْ جاءوا وَمَنْ ذهبوا

وَأنَا التَّوَازُنُ بين مَنْ سَلَبُوا وَمَنْ سُلِبُوا

وَأنَا التَّوَازُنُ بين مَنْ صَمَدُوا وَمَنْ هَرَبُوا

وَأنَا التَّوَزُانُ بين ما يَجِبُ:

يَجِبُ الذَّهَابُ إلى اليسارْ

يَجِبُ التَّوَغُّلُ في اليمينْ

يَجِبُ التَّمَتْرُسُ في الوسطْ

يَجِبُ الدِّفَاعُ عن الغلطْ

يَجِبُ التَّشَكُّكُ بالمسارْ

يَجِبُ الْخُرُوجُ من اليقينْ

يَجِبُ الذي يَجِبُ

يَجِبُ انْهِيَارُ الأنظمةْ

يَجِبُ انْتِظَارُ المحكمةْ

.. وَأنَا أحبُّك، سوف أحتاج الحقيقة عندما أحتاج تصليح

الخرائط والخُطَطْ

أحْتَاجُ ما يَجِبُ

يَجِبُ الذي يَجِبُ

أدعو لأندلسٍ

إنْ حُوصِرَتْ حَلَبُ.

وَلَيس آكد من ترسيخ أحقِّيَّة الانتماء للأوطان، سوى امتلاك "**البدَايَــة**"، وَتَــوخَّى الــشَّاعِر لتحقيق هاتيك القيمة، التَّوْكيد اللَّفْظيَّ "للبدَايَة" ثلاثًا، وَتبقى هذه الكلمة بوَّاحةً بانفتاح التَّأْويل على

وجهتَيْن، هُمَا: وجهة بداية الحضور على الأرض الفلسطينيَّة، من خلال الكنعانيِّين، وَوجهة بداية الثَّوْرة الفلسطينيَّة؛ ولَعلَّ الوجهة الثَّانية أقرب إلى مجال الرُّؤْية الشِّعْريَّة، لا سيَّما إذا قُرِنت بقوله تاليًا: "**كَمْ سَنَةً وَأنَا التَّوَازُنُ بَيْنَ مَا يَجِبُ ؟**"؛ في تقديمٍ واضحٍ لوظيفة الثَّقافيِّ؛ القائمة على خلق التَّوازُن بين الوُجُوب وَعدمه.

وَيصف المُثقَّف واقع الثَّوْرة المرتحلة عن الوطن بين مرحلتَيْن؛ اتَّصلت إحداهما بالماضي "**كُنَّا هُنَاك**"؛ من واقع إطلالته على الوطن من بعيدٍ، "**وَمِنْ هُنَا سَتُهَاجِرُ الْعَرَبُ لِعَقِيدَةٍ أُخْرَى**"؛ في قراءةٍ مُعمَّقةٍ للحصار المطبق على المقاومة في "بَيْرُوت".

ولعلَّ كلماته قد جاوزت التَّوْصيف إلى حَدِّ ترسيخ الموقف الثَّقافيِّ؛ من قابل مـآل الكفـاح الفلسطينيِّ؛ إذ إنَّ هجرة العرب إلى عقيدةٍ أخرى تحتمل من التَّأويل وجهَيْن اثنَيْن كذلك؛ يتمثَّـل أوَّلهما في الهجرة من عقيدة الكفاح إلى غيرها، في اغترابٍ جديدٍ، تُعـزِّزه القـراءة الخطِّيَّـة المُتوزانة، مع المسار التَّاريخيِّ، للمقاومة الفلسطينيَّة؛ وَيتجسَّد ثانيهما في هجرة العروبة عن دعم المقاومة النَّبيلة؛ لتراجعها عن أداء دور المُخلِّص من التَّأزُّم البَيْرُوتِيِّ المُكرَّس بالحصار، وَلهـذا الوجه ما يُؤكِّده من الشِّعْر؛ وَفيه قول الشَّاعِر:"**قَصَب هَيَاكِلُنَا، وَعُرُوشُنَا قَصَب**"؛ وَهذان الوجهان يعنيان قدرة الثَّقافيِّ على القراءة التي تُبيح له استقبال الحوادث، بحنكةٍ مُتبصِّرةٍ، تملِّكـه نطـاق التَّنبُّؤ بما هو قَابِلٌ.

وكَيما يُعمِّق الشَّاعِر المعنى الذي أراده في خَوَرِ العروبة، إلى حَدِّ الضَّعْف الشَّدِيد؛ وجـدناه يُطْبِقُ على الخِطَاب بمُؤسِّسات السُّخْرية من موقفها، الذي لا يتَّصل بمكمن الأزمة؛ لذا كان "**فِي كُلِّ مِئْذَنَةٍ حَاوٍ، وَمُغْتَصِب، يَدْعُو لأنْدَلُس، إنْ حُوصِرَتْ حَلَب**".

ولَمَّا كان الواقع مشتملاً بالمتناقضات؛ صرَّح المُثقَّف بالتَّوازُن بين "**مَنْ جَاءوا وَمَنْ ذَهَبُوا**"، وَبين "**مَنْ سَلَبُوا وَمَنْ سُلِبُوا**"، وَبين "**مَنْ صَمَدُوا وَمَنْ هَرَبُوا**"؛ لتتجلَّى في الأثر وظيفة المُوزَانة بين الواجبات الكُبْرى، وَحينها يُقدِّم من شُؤُون العَسْكر ما يُوحِي بضرورة المواجهة، وَهي فـي باطن دلالتها سخريةٌ من دوره الذَّاتيِّ، القائم على خلق التَّوازُنات، وَهو المُستَبعد منها إلى دائرة الفَوْضى العقيمة؛ فيجب "**الذَّهَابُ إلَى الْيسَار**"، وَيجب "**التَّوَغُّلُ فِي الْيَمِين**"، وَيجب "**التَّمَتْرُسُ فِي الْوَسَط**"؛ ولَيست الفوضى هنا إلا شعار الثَّقافيِّ، في مرحلةٍ انتفت فيها هاتيك التَّوازُنات؛ حتَّى لقد غدا واجبًا "**الدِّفَاعُ عَنِ الْغَلَط**"، وَ"**التَّشْكِيكُ بِالْمَسَار**"، وَ"**الْخُرُوجُ مِنَ الْيَقِين**".

وَيختم المُثقَّف المُتتالِية اللُّغويَّة المُصدَّرة بفعل الوجوب، بلزوميَّة "**انْهِيَار الأنْظِمَة**" وَ"**انْتِظَار الْمَحْكَمَة**"؛ مِمَّا يدلُّ على اليأس المطبق على أنفاسه، ذلك الذي لا يمكن نفيه إلا باهتدام البنـاء، وفيه نسفٌ كاملٌ لِكُلِّ القيم الدُّونيَّة، التي قامت عليها أنظمة التَّخاذُل؛ تمهيدًا لمُحَاكَمة الحقيقة في

مهدها، قبل أن تصبح حقائق مُصطبغةً بتدليس الرُّوَاة وَمُصَادَرة السَّاسَة، وَهي التي بدا المُثقَّف في أمَسِّ الحاجة إليها، حين سيعمد إلى "**تَصْلِيح الْخَرَائِط وَالْخُطَط**".

وَيُنهي دَرْويش باستدراك دوره في "**وُجُوبِ مَا يَجِبُ**"؛ لإخراج الثَّوْرة من مكامن هزيمتها، إلى ذُرَى مُكْنَتِهَا وَنصرها، وحينها يصطرع مع الحقيقة، التي فَرَّ منها في رحاب الشِّعْر بالفَوْضى؛ فلا مناص من دعاءٍ "**الأنْدَلُس إنْ حُوصِرت حَلَب**".

أمَّا الفعل فواقع في دائرة الممنوع، وَمناجزته بأيَّة صيغةٍ كانت، ضربٌ من المواجهة مع قريب الدَّم، قبل غريب الأرض وَالوطن، وَهنا تكمن أهمِّيَّة الصُّورَة الكُلِّيَّة للَّوحة الشِّعْريَّة؛ في تقديم فوضى الدَّاخِل الثَّقافيِّ، الذي تبدَّى في الشِّعْر تناقضًا فكريًّا وَمضمونيًّا، مع نسيجٍ من البناء اللُّغويِّ، القائم على المُتتالِيات المُتَّسِمة بإيقاعاتها السَّريعة؛ مِمَّا يعني تأزُّم المُثقَّف إلى حَدِّ انفجار التَّعْبير، على هذه الطَّريقة المُبينة عن رغبته الجامحة في البَوْح، وَقد صُودِرت منه إطلالته الكاشفة على كُلِّ المُتجاذِبات، في الصِّراع الدَّائر بين أقطاب العُرُوبة، الكائنة على مقربةٍ من أطلال الوطن السَّلِيب.

وَقد استحال اليأس وحدةً، كرَّسها الشَّاعِر المُثقَّف من خلال "**عَزْفٍ مُنْفَرِدٍ**"، في مَجْمُوعَة "**هِيَ أغْنِيَةٌ هِيَ أغْنِيَةٌ**"، الصَّادِرة سنة (١٩٨٦م)، قائلاً في المقطع التَّاسِع، المُجسِّد خاتمة القصيدة(¹):

.. وَعَابِر في بلاد النَّاس، لا ذِكْرى
تَرَكْتُ فيها وَلا ذِكْرى حَمَلْتُ لها
كأنَّني لم أكن فيها ولَم أرها.
خَرَجْتُ أدخل أسمائي، فبعثرها
النِّسْيَانُ، وَانْقَسَمَتْ نفسي لتُشهرها.
أمُرُّ بالشَّيء كاللاشيءِ .. لا أجد
الشَّيء الذي يُوجَدْ
من ألف أغْنِيَةٍ حاولت أن أُولَدْ
لو عُدْتُ يومًا إلى نفسي فَهَلْ أجِدُ
النَّفْسَ التي كَانَتِ النَّفْسَ التي كانت ؟
يا ليتني وَلَدُ، يَا ليتني وَلَدُ،
وَالْعَزْفُ مُنْفَرِدُ

¹) دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٣٤.

لقد رسَّخت القصيدة ملمح اليأس عند الشَّاعِر، الذي حاول من خلاله الفرار إلى الماضـــي؛ لمحاولة فهم ما حدث، في ظلال "طُغْيان العُزْلة، وَالبُعْد الفرديِّ، على حساب الصَّوْت الجَمَاعيِّ، وَشاهد ذلك أنَّ كُلَّ مقطوعةٍ تنتهي مُكرِّرةً العبارة نفسها، وَحاملةً النَّزْعة الفرديَّة الخالصة، وسط الزِّحَام الكونيِّ، الذي يستشعر مَحْمُود دَرْوِيش نفسه في خِضَمِّهِ، وَلعلَّ اختتـــام كُـــلّ مقطوعـــةٍ بالعبارة التي شكَّلت العنوان؛ يُثبِت أنَّ للعنوان دورًا بنيويًّا وَدلاليًّا مُهمًّا"([1])؛ إنَّه "**الْعَزْفُ الْمُنْفَرِدُ**" المُعبِّر عن رؤية المُثقَّف لاغترابه الذَّاتيِّ، وَلاغتراب الثَّوْرة عن عُرُوبتها، في ســياق الــرَّقْص الضِّمْنيِّ لنهجها.

وَالتصقت بِالشَّاعِر المُثقَّف صورةٌ مُهِمَّةٌ منذ بواكير السَّلام، تمثَّلت في المنزلة السُّكُونيَّة بين منزلتَيْن، وَفيها تبدَّت القيمة الصِّفْريَّة للالتزام، حتَّى لكأنَّ الشَّاعِر يُراوِح مكانه دونما فعلٍ يُواكِب السُّمُوَّ أو الدُّون، وَمن قبيل ذلك قوله في قصيدة "**لَيْلُك مِــنْ لَيْلِــكِ**"، مــن مَجْمُوعَــة "**سَــرير الغَريبَة**"([2]):

... أنَا هُوَ مَنْ كان يَوْمًا
أنَا، كُلَّمَا عَسْعَسَ اللَّيْلُ فيك حَدَسْتُ
بِمَنْزِلَةِ القلب ما بين مَنْزِلَتَيْنْ: فلا
النَّفْسُ تَرْضَى، وَلا الرُّوحُ تَرْضَى. ...

كما قال في قصيدة "**فِي البَيْت أجْلِس**"، من مَجْمُوعَة "**كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أوْ أبْعَد ...**"([3]):

في البيت أجلس، لا سعيدًا لا حزينًا
بين بين، ولا أبالي إن علمت بأنَّني
حقًّا أنا ... أو لا أحَدْ !

وَفي "**مَكْرِ الْمَجَازِ**"، من مَجْمُوعَة "**أثَرِ الْفَرَاشَةِ**"، أنزل المُثقَّف نفسه منزلة المُتوسِّــط بــين الانتصار وَالخسارة، في إسقاطٍ واضحٍ لناجز السَّلام على أرض الواقع، قائلاً([4]):

...
وَيحملني طائرانْ

---

[1]) الرَّواشدة، **إشْكَالِيَّةُ التَّلَقِّي وَالتَّأْوِيل**، ص٩٩.
[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٣٥، ٣٦.
[3]) **نفسه**، ٢: ٢٠٥.
[4]) **نفسه**، ٢: ٥٦٢.

إلى الجِهَةَ الخاليةَ
من الأوْج وَالهَاوِيَة
لئلا أقول: انتصرتُ
لئلا أقول: خَسِرْتُ الرِّهَانْ !

كما عرَّج على النَّقد الدَّاتيِّ لمُنظَّمة التَّحْرير، ناطقًا بلسانها، في "**وَصَلْنَا مُتَـأخِّرِينَ**"، مـن مجموعة "**أثَر الفَرَاشَةِ**"، فقال(١):

...، فمـاذا ينفعنـا أن نصـل إلـى أيِّ
شيء متأخريـن، حتَّى لـو كان هنـالك
من ينتظرنا على سفح الجَبَل، ويدعـونا
إلى صلاة الشُّكْر لأنَّنا وصلنا سالمين ...
لا مُتفائِلين وَلا مُتشائِمين، لكن مُتأخِّرين !

وَبجَمْعيَّة الأنا، كما في خِطَابه السَّابق، صدر المُثقَّف ــ في قراءتـه الواقـع الفلـسطينيَّ الرَّاهِـن ــ عن قوله في قصيدة "**هَهُنَا، الآن، وَهُنَا الآن**"، من المجموعة الشِّعْريَّة الأخيـرة "**لا أريد لهَذِي القَصِيدَة أن تَنْتَهي**"(٢):

ولَنَا نِصْفُ حيَاةٍ
ولَنَا نِصْفُ مَمَاتٍ
وَمَشَارِيعُ خُلُودٍ ... وَهُويَّة

وَقد عبَّرت هذه الظَّاهِرة عن نوعٍ من التَّناصِّ المضمونيِّ، مع المـذهب الاعتزالـيِّ، فـي العقيدة القائمة على المَنْزِلة بين المنزلتَيْن، وَليس من وجه غرابةٍ في هذا كلِّه، وَالمُثقَّف قد عانى وطأة الأحداث الجِسَام، التي قرأها قبلاً في حصار "بَيْرُوت"، وَمُـؤتَمر الـسَّلام المعقـود فـي (مَدْريد)، ثُمَّ عاين أثرها في صياغة السَّلام، وفق الرُّؤْية الأمريكيَّة الصُّهيونيَّة المُشترَكة؛ فرسَّخ في الشِّعْر إيحاء التَّوجُّس من التَّصْريح بالموقف الثَّقافيِّ، وَعبَّر عن العُزْلة الدَّاتيَّة؛ وَقد أضـحى

---

1) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَة**، ٢: ٥٧٩.
2) دَرْوِيش، **لا أُريدُ لِهَذِي القَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص١٤.

في هذه الحالة الرَّاهِنة، شبيهًا بـ"لاعب النَّرْد"؛ لِوُقُوعه تحت تأثير التَّجاذُب بين واجب الثَّقَافَة وَضغط السِّياسيِّ.

وَمِمَّا يشبه الظَّاهِرة السَّابِقة؛ من حيث الدَّافِع وَالأثر، الانشطار الثَّقافيُّ بين جملةٍ من الضَّمائِر([1])؛ التي بدا المُثقَّف بها غير مُصطلِحٍ مع ذاته، بصراع جسَّدته الالتفاتات المُتنوِّعة بينها، مع اقترانها بظاهرةٍ أخرى لصيقةٍ بمرحلة "**الْجِدَارِيَّةِ**" وَما بعدها، تمثَّلت في استباق الرَّحِيل عن الدُّنْيَا، باستدعاء الرَّحِيل إلى ميدان الشِّعْر، وَرثاء الذَّات قبل أن تترجَّل إلى لحظة الوداع الأخيرة.

وَيمكننا أن نُوجِّه هذا الانشطار إلى صراع "الذَّات العُلْيا"، المُحتضِنة سُمُوَّ المِثال، وَ"الذَّات الدُّنيا"، المُعبِّرة عن دُون الانحدار؛ "أَمَّا "الذَّات العُليا" أو ما فوق الأنا (Le su-moi)؛ فتقوم بدور الرَّقيب على كُلٍّ من "الذَّات الدُّنْيا" وَالـ"ذات"، وَلهذا يُطْلَقُ عليها أحيانا: الضَّمِير. وَهي تُعْنَى بالقيم وَالمثاليَّات، وَمن ثمَّ تُصدِر أحكامها على السُّلُوك، الذي تسمح به الإرادة، حسب ما تتبنَّاه من قيمٍ؛ فالذَّات العُلْيا عبارةٌ عن مجموعة القيم وَالأحكام وَالمقاييس، التي تُستَخدم في الحُكْم على الدَّوافع وَالرَّغبات، وَأنواع السُّلُوك المختلفة"([2]).

وَقد يجمع المُثقَّف في الإضاءة الدَّاخليَّة للواقع الفلسطينيِّ، بين الكشف المُعمَّق لمُعطَيات السَّلام، وَالرُّؤْية الثَّقافيَّة للأهداف الإنسانيَّة السَّامية، من مثل قصيدة "**رُبَاعِيَّات**"، القائمة على البناء الرُّباعيِّ في تشكيلاتها المقطعيَّة، التي بلغت خمسة عشر مقطعًا، وَهي الكائنة في المجموعة الشِّعْريَّة "**أرَى مَا أُرِيد**"، الصَّادِرة سنة (١٩٩٠)م([3]).

وَقد قامت على رُؤْيَةٍ ثقافيَّةٍ ذاتيَّةٍ، لمراده من كُلِّ ما جرى وَما سيجري، وَفيها وقف المُثقَّف على غير حدثٍ، يتعلَّق بِلُبِّ القضيَّة الفلسطينيَّة، مُسبِغًا على الرُّؤْية الشِّعْريَّة سِمَةً إنسانيَّةً شموليَّةً، "حشد فيها عصارةً كاملةً لحنين وَنضال وَتطلُّع الفلسطينيِّين في كُلِّ مكانٍ، بما يمكن أن نطلق عليه حالاتٍ عامَّةً مشحونةً، بثورةٍ غريزيَّةٍ، غير خاضعةٍ لحُدُودٍ زمانيَّةٍ أو مكانيَّةٍ"([4]).

---

[1]) يُنظَر في هذا السِّيَاق: دَرْويش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٥٨٦، ٥٨٧، (قَصِيدَة "ما أنا إلا هو"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة")؛ وَيُنظَر: نفسه، ٢: ٦٠٠، (قَصِيدَة "شخص يطارد نفسه"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة")؛ وَيُنظَر: نفسه، ٢: ٦٠٢ ــ ٦٠٤، (قَصِيدَة "حَنِين إلى نسيانٍ"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَفيها تجلَّى الانشطار الذَّاتيُّ في أعلى مراتبه، إلى حَدِّ مسائلة الشَّاعِر نفسه: "... **هل حصل فصامٌ ما في ذاكرتي ؟ هل انفصل وجودي النَّفْسيّ عن وجودي الفيزيائيّ**").

[2]) صناوي، **مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ اجْتِمَاعِ الأَدَبِ**، ص٢٧١.

[3]) يُنظَر: دَرْويش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ١٨١ ــ ١٩٠.

[4]) حسونة، خَلِيل إِبْرَاهِيم، (٢٠٠٢م)، **الْحَجَرُ الْفِلَسْطِينِيُّ الْفِعْل وَالإِبْدَاع (الانْتِفَاضَةُ وَسُؤَالُ الْقَصِيدَةِ)**، (ط٢)، غزَّة: دار ابن خلدون للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٤٦.

وَيمكن أن نُصرِّح في المُنتَهى، بتعذُّر الإلمام بملامح الصُّورَة الثَّقافيَّة للأنا، في سائر تبدِّياتها الشِّعْرِيَّة([1])، إلا من وجه التَّمْثيل، الذي وقفنا فيه على أهمِّ المحطَّات المفصليَّة فيها، وَفيها المُثقَّف النَّاطِق بأنا المُفْرَد وَأنا المجموع، مُعَبِّرًا عن مواقفه الثَّقافيَّة في ظِلِّ مراحل الاشتمال بالتَّهْجير، وَحماسة الثَّوْرة، وَالنَّفْي، ثُمَّ بداية الانكفاء النِّضاليِّ، المُتبدِّي في حصار "بَيْرُوت"، وَما تلاه من ظواهر التَّوسُّط بين المنزلتَيْن، وَالانشطار الضَّميريِّ، وَرثاء الذَّات الرَّاحلة عن الحياة في الشِّعْر.

ثُمَّ تبدَّت في ملامح السُّلْطة الثَّقافيَّة وظائفها الحيويَّة، التي تتجسَّد في التَّحرُّر، وَإدراك جوهر الأحداث، وَالسَّعْي إلى التَّغْيير، وَالإيقاظ النَّقْديِّ، وَالقراءة الكاشفة للمسار الزَّمنيِّ؛ خلوصًا إلى الثَّوْرة على الذَّات، ثُمَّ الآخَر، بشقَّيْه: النَّظِير وَالنِّدِّ؛ ليحمل الشِّعْر في مضامينه نَسَقَ كُلِّ وظيفةٍ؛

---

[1]) لِمَزِيدٍ من النَّمَاذِج، في صُورَة الأنَا الثَّقافيَّة، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٣٣٨ ــ ٣٤٥، ("أنَا آتٍ إِلَى ظِلِّ عَيْنَيْكِ"، من مَجْمُوعة "حَبِيبَتِي تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَا"، أنَا الثَّقافيُّ المُقَاوِم)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٢٨٣، ٢٨٤، ("مَنْ أنَا بَعْدَ لَيْلِ الْغَرِيبَةِ"، من مَجْمُوعة "أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْكَسِر؛ بفعل السَّلام المَوْهُوم)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥١، ٥٢، ("فِي الْقُدْسِ"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، أنَا الثَّقافيُّ المُخْتلِف، في زمن خَطِيئة السَّلام)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ١٣٥ ــ ١٤١، ("لا كَمَا يَفْعَلُ السَّائِحُ الأجْنَبِيُّ"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْشَطِر)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٢٤ ــ ٣٢٧، ("سنونو التَّتَار"، من مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أنَا الثَّقافيُّ الحَالِم بِالتَّحرُّر)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٦٥ ــ ٣٦٨، ("تَدَابِيرُ شِعْرِيَّةٌ"، من سِلْسلة "غُرْفَة للكَلام مع النَّفْس"، في مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أنَا الثَّقافيُّ وَعلاقته بِالقَصِيدة في مرحلة المُرَاجَعَة الذَّاتيَّة، بعد اتِّفَاق السَّلام)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٩١ ــ ٣٩٥، ("هِيلِين، يَا لَهُ مِنْ مَطَرٍ"، من سِلْسلة "مَطَر فَوْق بُرْج الكَنِيسَة"، في مَجْمُوعة ""لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أنَا الثَّقافيُّ الغَرِيب)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٤٢٥ ــ ٤٢٩، ("مُتَتَالِيَاتٌ لِزَمَنٍ آخَرَ"، من سِلْسلة "أغْلِقُوا الْمَشْهَدَ"، في مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْشَقُّ على ذَاتِه)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٦٥، ١٦٦، ("فَكِّرْ بِغَيْرِكَ"، من مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أوْ أبْعَد ..."، أنَا الثَّقافيُّ الإنسانيُّ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٥٥، ٥٥٦، ("الْغَابَةُ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ الطَّامِح إلى التَّحرُّر من الانْحِدَار)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٧١ ــ ٥٧٣، ("بَقِيَّةُ حَيَاةٍ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ المُشْرِف على المَوْت)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٠٠، ٦٠١، ("شَخْصٌ يُطَارِدُ نَفْسَهُ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْشَطِر على ذَاتِه بِأسلوب التَّجْرِيد)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٠٢ ــ ٦٠٤، ("حَنِينٌ إِلَى النِّسْيَانِ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْشَطِر الطَّامِح لنسيان خَطِيئة السَّلام)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٤٩، ٦٥٠، ("غَيْمَةٌ مُلَوَّنَةٌ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ المُنْكَفِئ على ذَاتِه)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٠٣، ٧٠٤، ("فِي السَّاحَةِ الْخَالِيَةِ"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ المُعْتَرِف بوطأة الحَقِيقة عليه)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧١٦ ــ ٧١٨، ("فِي قُرْطُبَة"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ التَّائِه، في مَرْحَلَة النِّهَايَة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧١٩ ــ ٧٢١، ("فِي مَدْرِيد"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ الْكَوْنِيُّ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٢٧، ٧٢٨، ("صَدَى"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ الْعَبَثِيُّ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٦٠، ٧٦١، ("أعْلَى وَأبْعَد"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ بين الوَعْي وَاللاوَعْي، في مرحلة النِّهَايَة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٧٧، ٧٧٨، ("جِهَةُ الْمَنْفَى"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، أنَا الثَّقافيُّ الْمَنْفِيُّ، من مَنْفَى الخَارِج إلى مَنْفَى الوَطَن)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص٢٥ ــ ٣٤، ("عَلَى مَحَطَّةِ قِطَارٍ سَقَطَ عَنِ الْخَرِيطَةِ"، أنَا الثَّقافيُّ المُصَرِّح بِالحَقِيقة، الدَّاعِي إلى الوحدة الدَّاخِليَّة وَإنهاء الانْقِسَام)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص٩٨ ــ ١٠٠، ("إذَا كَانَ لا بُدَّ"، أنَا الثَّقافيُّ الجَاهِز للسَّلام مع ذَاتِه)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص١٠٧، ١٠٨، ("هَذَا المَسَاء"، أنَا الثَّقافيُّ المُرَمِّم نفسه بلا هدفٍ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص١٠٩ ــ ١١١، ("طَلَلِيَّةُ الْبَرْوَةِ"، أنَا الثَّقافيُّ المُقْتَرِب من الغِيَاب)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص١٥٣، ١٥٤، ("كَلِمَاتٌ"، أنَا الثَّقافيُّ الرَّاحِل عن الكَلِمَات وَالشِّعْر وَالحَيَاة).

تساوُقا مع المرحلة، ضمن النَّسَقِ الثَّقافيِّ العامِّ؛ "وَالنَّسَق حينئذٍ، هو مُضمَرٌ ثقافيٌّ، لا بُدَّ من كشفه"([1]).

وَيلزمنا في هذا السِّيَاق، "النَّظر في الشِّعْر العربيِّ، في إطار الخلفيَّة الثَّقافيَّة، التي لا بُدَّ من أن تتَّجه جهود الباحثين، لإعادة بنائها من جديدٍ، في ضوء ما عُرِفَ من نظريَّات الخِطَاب، وَمن أفكارٍ أسلوبيَّةٍ مُستَحدثةٍ"([2])؛ بغية تثبيت الثَّقافَة في نطاقها الخاصِّ، المُعبِّر عن كينونةٍ مُحدَّدَةٍ، وَهو ما جهد إليه (فُوكُو) قبلاً([3]).

أمَّا الصُّور الرَّئيسيَّة للتَّبدِّي الثَّقافيِّ الْكُلِّيِّ؛ فقد تشكلت ضمن صورٍ عديدةٍ؛ أبانت الملامح الثَّقافيَّة لِمَحْمُود دَرْوِيش، وَالمُثقَّفين الحاضرين في خِطَابه الأدبيِّ، ويلزمنا مع ذلك أن نُشِير إلى الصِّبْغَةِ الثَّقافيَّة التي اشتمل بها المُثقَّف في المدى الزَّمنيِّ لحياته، وَالتي مضت مُتسلسِلةً على النَّحْو الآتي: المُثقَّف الحُرّ، المُثقَّف الثَّائِر، المُثقَّف الشَّهيد، المُثقَّف التَّابِع، المُثقَّف التَّابِع للحَاكِمِ،

---

[1]) الغذامي، عبد الله (٢٠٠٣م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ وَالنَّقْدُ النِّسْوِيُّ، **الْمُؤْتَمَرُ الدَّوْلِيُّ الثَّانِي لِلنَّقْدِ الأدبِيِّ**، النَّقْدُ الأدَبِيُّ عَلَى مَشَارِفِ الْقَرْنِ (٢)، القَاهِرة، نوفمبر ٢٠٠٠م، (ط١)، القَاهِرة: مَطَابِع المَنَار العربيّ، ص١٥؛ وَفي القَضَايَا النَّقْديَّة المُعَاصِرة، من خلال كتابات عبد الله الغذامي وَغيره، يُنظَر: الغذامي، عبد الله مُحمَّد، (١٩٨٠م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ: رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ، **مجلَّة فُصُول**، (٥٩)، ص٤٥ ــ ٥٣؛ وَيُنظَر: إبْرَاهِيم، السَّيِّد (يُونيُو١٩٩٨م)، قَضَايَا النَّقْدِ الأدَبِيِّ الْمُعَاصِرِ فِي كِتَابَاتِ عبد الله الغذامي، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٨)، ص٥٣ ــ ١١٠؛ وَفي استثمار الغذامي المرجعيَّة الغربيَّة، في قِرَاءَة التُّرَاث، يُنظَر: عبد الغَفَّار، مُحمَّد عبد الرَّزَّاق، (سِبتمْبر٢٠٠٠م)، الْغَذَامِيُّ بَيْنَ دريدَا وَالْجُرْجَانِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٧)، ص٢٨٥ ــ ٣٠٥؛ وَلاستجلاء قِرَاءَة الغذامي لِلنَّصِّ التُّرَاثِيِّ، يُنظَر: الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (مارس٢٠٠١م)، قِرَاءَةُ التُّرَاثِ فِي كِتَابِ الْخَطِيئَةِ وَالتَّكْفِيرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص٢٩١ ــ ٣٢٢؛ وَفي مرجعيَّة النَّقْد الثَّقَافيِّ وَغايته، يُنظَر: الزَّهْرَانِيّ، معجب، (مارس٢٠٠١م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ نَظَرِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أمْ مَشْرُوعٌ مُتَجَدِّدٌ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص٣٥٧ ــ ٣٨٠؛ وَبشأن إشكاليَّة النَّقْد الثَّقَافيِّ، يُنظَر: رزْق، صَلاح، (مارس٢٠٠٤م)، إشْكَالِيَّةُ الْمَنْهَجِ فِي النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٣(٥١)، ص٦٤ ــ ٩٤؛ وَيُنظَر في آراء الغذامي حَوْل علاقة السِّيَاسَة بِالشِّعْر: السَّبيل، عبد العَزِيز، (مارس٢٠٠١م)، "الشَّعْرَنَةُ" بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالشِّعْرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص٣٨١ ــ ٣٩٠؛ وَفي خِطَاب الشَّعْرَنَةِ، يُنظَر: الملا، أسَامَة، (مارس٢٠٠١م)، "الغذاميَّةُ ... خِطَابٌ فِي الشَّعْرَنَةِ"، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص٣٩١ ــ ٤٠٣؛ وَحَوْل سِمَات النَّقْد الثَّقَافيِّ، يُنظَر: عزّ الدِّين، د. حَسَن البَنَّا، (مارس٢٠٠١م)، مَلامِحُ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ ــ الْغَذَامِيُّ أنمُوذَجًا، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص٣٣٥ ــ ٣٥٦؛ وَلِمُطَالَعة مشروع الغذامي النَّقْديِّ، يُنظَر: مرتاض، عبد المَلِك، (مارس٢٠٠٢م)، الدُّكْتُور عبد الله الْغَذَامِيّ كَمَا عَرَفْتُهُ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١١(٤٣)، ص١٣٣ ــ ١٥٢؛ وَفي النَّقْدِ الثَّقَافيِّ عند عبد الله الْغَذَامِيِّ، يُنظَر: الوَلِيد، يَحْيَى، (مارس٢٠٠٥م)، مُلاحَظَاتٌ حَوْلَ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ لِعبدِ اللهِ الْغَذَامِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٥)، ص١٥٥ ــ ١٦٦؛ وَعن تَقَاطُع الجَابِريِّ وَالغذاميِّ، يُنظَر: جَبْرِي، إدْرِيس، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، تَقَاطُعُ مَشْرُوعَي الجابريِّ وَالغذاميِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٨)، ص٩٥ ــ ١٣٠؛ وَفي تأصيل النَّقْد الثَّقَافيِّ، يُنظَر: عُمَر، زَرْقَاوِي، (سِبتمْبر٢٠٠٥م)، نحو تَأْصِيلٍ لِمَنْهَجِ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٧)، ص٢٢٩ ــ ٣٣٦؛ وَيُنظَر: الموسَويّ، مُحْسِن جَاسِم، (٢٠٠٥م)، **النَّظَرِيَّةُ وَالنَّقْدُ الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٩ ــ ٢٩، (الفَصْل الأوَّل: النَّظريَّة وَالنَّقْد الثَّقَافيُّ)؛ وَيُنظَر: سَعْد الله، د. مُحمَّد سَالِم، (٢٠٠٧م)، **أنْسَنَةُ النَّصِّ ــ مَسَارَاتٌ مَعْرِفِيَّةٌ مُعَاصِرَةٌ**، (ط١)، عمَّان: جدارا للكِتَاب العالميِّ وَإربد: عَالَم الكُتُب الحَدِيث، ص٥١ ــ ٥٥، (النَّقْد الثَّقَافيُّ: أزْمَةُ مَنْهجٍ أم مِحْنَة عملٍ)؛ ص٥٥ ــ ٥٩، (النَّقْد الثَّقَافيُّ .. مشروعيَّة البَقَاء للأشْمَل).

[2]) إبْرَاهِيم، السَّيِّد، (مارس٢٠٠١م)، قِرَاءَةُ الشِّعْرِ بَيْنَ النَّظَرِيَّةِ الشَّكْلِيَّةِ وَآفَاقِ الاتِّجَاهَاتِ الأسْلُوبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص١٦٦.

[3]) يُنظَر: الرّبيعي، إسْمَاعِيل نُورِي، (يُونيُو٢٠٠٥م)، قِرَاءَةٌ فِي نَقْدِ الْحَدَاثَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٦)، ص١١٨، ١١٩.

المُثقَّف الحَاكِم، المُثقَّف المُنكفِئ، المُثقَّف المُتناقِض، المُثقَّف الرَّاحِل على الصَّعيدَيْن "الخياليِّ" ثُمَّ "الواقعيِّ".

وَقد كان ما سبق، ملتئمًا بالالتزام المُتوخَّى من الأديب المُثقَّف، الذي يتطلَّب "تعمُّقًا في الثَّقَافَة الفلسفيَّة برمَّتها، وَالاجتماعيَّة منها على وجه أخصّ. وَلا شَكَّ أنَّ أوَّل الوسائل لمعرفة المجتمع وَخلق حساسيَّةٍ فيه نحو الثَّقافَة، هي الاندماج مع أفراد المجتمع من حيث "اللُّغة""([1])، تلك التي تبدَّت عند مَحْمُود دَرْوِيش في سياقاتٍ مُتنوِّعة البنَاء؛ تنمُّ عن ثراء المُعجَم الشِّعْريِّ، بِكُلِّ مُعِينات التَّعْبير اللُّغويِّ، عن الرَّسائل الثَّقافيَّة الكُبْرى([2])، المُشبَعة بالرَّمْز وَالتَّخْييل.

وَتوسَّل المُثقَّف لأهدافه العُلْيا، هاتيك اللُّغة الشِّعْريَّة، التي تسمح قراءَتها وفق نهج النَّظر النَّفْسانيِّ، "بمنح النُّصُوص بُعْدًا آخر، وَبملاحظة الكتابة في تكوينها وَاشتغالها"([3])؛ بوصفها مُعِينًا على استجلاء كوامن الأديب المُثقَّف، بما صدر عنه في نَصِّهِ الشِّعْريِّ، من "فاعليَّةٍ تأثيريَّةٍ في نفس القارئ؛ وذلك من خلال عمليَّة المُثِير وَالاستجابة؛ لأنَّ قراءة النَّصِّ تُوقِظ في نفس القارئ مجموعةً من الأسئلة، التي تُستَثار عندما تُصادِف عناصر معيَّنة في هذا النَّصِّ، وَيمكن أن تكون هذه العناصر ماثلةً في موضوع النَّصِّ وَشكله"([4])، ([5]).

وَيستوجب ذلك إدراك عظم واجب المُثقَّف في خلق الوعي النَّاقِد؛ "فالمُثقَّف الذي يبحث عن الحُلُم، خاصَّةً في مجال الفَنِّ، وَالطَّامِح إلى التَّغْيير الجَذْريِّ، وَالذي يُراهِن على المستقبل أكثر مِمَّا يعيش الحاضر، لا يمكن أن يتعايش طويلاً مع المُؤسَّسة السِّياسيَّة، التي تتعامل مع مُعطَياتٍ مختلفةٍ"([6]).

---

[1]) البَدَويّ، د. مُحمَّد عَلِيّ، (٢٠٠٤م)، **عِلْمُ اجْتِمَاع الأدَبِ ــ النَّظَريَّةُ وَالْمَنْهَجُ وَالمَوْضُوعُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَعْرِفة الجَامِعيَّة، ص٨٣؛ وَحَوْل صلة النَّقْد الأدبيِّ بعلم الاجتماع، يُنظَر: دياب، مُحمَّد حَافِظ، (١٩٨٣م)، النَّقْدُ الأدَبيُّ وَعِلْمُ الاجْتِمَاع ــ مُقَدِّمَةٌ نَظَرِيَّةٌ، **مجلَّة فُصُول**، ٤(١)، ص٥٩ ــ ٦٩؛ وَفي إهمال الوَظِيفة الاجتماعيَّة للتَّفْسير الأدبيِّ، يُنظَر: شتاينمتز، هورست، (١٩٨٥م)، حَوْلَ إهْمَالِ الوَظِيفَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ لِلتَّفْسِيرِ فِي دِرَاسَةِ الأدَبِ، تَرْجَمة: مُصْطَفى ريَاض، **مجلَّة فُصُول**، ٥(٣)، ص٦٥ ــ ٧١.

[2]) يمكن مُطالَعة قضيَّة الإبلاغ في الشِّعْر الحَدِيث في: صمّود، حمادي، (سِبتمبر٢٠٠٢م)، مَسْأَلَةُ الإبْلاغِ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٥)، ص٨ ــ ٦٠.

[3]) نويل، چان بيلمان، (١٩٩٧م)، **التَّحْلِيلُ النَّفْسِيُّ للأدَبِ**، تَرْجَمة: حَسَن المودن، (د. ط)، مِصْر: المَجْلِس الأعْلَى للثَّقَافة، ص١٢٣؛ وَيُنظَر: إبْرَاهِيم، السَّيِّد، (ديسمْبر٢٠٠٣م)، التَّحْلِيلُ النَّفْسِيُّ الْمُعَاصِرُ وَدِرَاسَةُ الأدَبِ، **جُذُور**، ٨(١٥)، ص٩٨ ــ ١٤٤.

[4]) ربابعة، أ. د. مُوسَى، (سِبتمْبر٢٠٠٤م)، القِيمَةُ وَقِرَاءَةُ النَّصِّ الأدَبِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٣)، ص١٧٢.

[5]) حَوْل ثُنَائِيَّةِ الإبداع وَالتَّلَقِّي، في الشِّعْر الحَدِيث، يُنظَر: الجوّة، أحْمَد، (مارس٢٠٠٠م)، الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ بَيْنَ الإبْدَاعِ وَالتَّلَقِّي، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٥)، ص٢١٢ ــ ٢٥٦؛ أمَّا في شأن علاقة النَّقْد بنظريَّات التَّلَقِّي، فَيُنظَر: بَرْهَم، لَطِيفَة إبْرَاهِيم، (مارس٢٠٠٠م)، اتِّجَاهَاتُ تَلَقِّي الشِّعْرِ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٥)، ص٢٥٧ ــ ٣٠٦.

[6]) مُنِيف، عبد الرَّحْمن، (٢٠٠٣م)، **بَيْنَ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ**، (ط٣)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العربيّ للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٥٧، (مُثقَّف اليوم ليس شاعر قبيلةٍ).

لقد أدرك مَحْمُود دَرْويش أنَّ الثَّقَافَة "حامل وعيٍ مَعْرفيٍّ وَتاريخيٍّ، وَحامل حقيقةٍ ورسالةٍ عادلةٍ، تريد أن تنقلها من زمن غَطْرَسة القُوَّة وَضعف الْحَقِّ بضعف أهله، إلى زمنٍ تعمل على أن يقوى فيه الْحَقُّ بِقُوَّةِ الوعي الذي يرفع شأن أهله، وَيقيم تقدُّمهم وَتضامنهم؛ زمن تتراجع فيه الغَطْرَسة أمام قُوَّة المنطق وَالعلم وَالوعي وَالإيمان وَالعدل وَالْحَقِّ وَالشَّعب"([1]).

لذا كانت الثَّقَافَة العَرَبيَّة مطالبة "بتعزيز البُعْد القَوْميِّ للقضيَّة الفلسطينيَّة، وَبالرَّدِّ على كُلِّ من يحاول إضعافه وَإلغاءه ؛ فالقضيَّة الفلسطينيَّة كان لها البُعْد القَوْمِيُّ الشَّامِل في كُلِّ مراحلها التَّاريخيَّة؛ لأنَّ فلسطين عربيَّة؛ وَلأنَّ المشروع الصُّهيونيّ يستهدف الأمَّة العَرَبيَّة، وَهكذا ينبغي أن تبقى"([2]).

وَيستلزم ذلك إعداد العُدَّة للمُوَاجَهة الثَّقافيَّة؛ "لأنَّ حرب المَعْرفة وَالثَّقَافَة هي أحد أهمِّ الميادين التي برع فيها الأعداء، وَيعملون فيها بِجِدٍّ وَصَمْتٍ، يسترعي الاهتمام؛ لأنَّهم يدركون قيمة الثَّقَافَة وَخطورتها في الصِّرَاع الشَّامِل مع الصُّهيونيَّة. وَتؤمن الصُّهيونيَّة أنَّ الصِّرَاع الآن صراعٌ ثقافيٌّ تحاول كسبه؛ لأنَّ وُجُودهَا كلَّه سيظلُّ في خطرٍ مهما امتلكت إنْ لم تخترق العَقْل العَرَبيَّ، وَثقافته الوَطَنيَّة القَوْميَّة؛ لذلك تحاول جاهدةً تهديم هذا الحِصْن الأخِير، هذه القلعة الثَّقافيَّة التي تصون الوُجُود العَرَبيَّ، وَتحميه في وجه أساطير الصُّهيونيَّة التَّوْراتيَّة"([3])، ([4]).

---

[1]) عرسان، الاقْتِتَاحِيَّةُ: المُسْتَجداتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْمَوْقِفُ الثَّقَافِيُّ، ص١٢.

[2]) نفسه، ص١٣.

[3]) مَعْرُوف، فَوْزِي، (رَبيع/صَيْف٢٠٠١م)، فِي الْمُوَاجَهَةِ الثَّقَافِيَّةِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (١٤/١٣)، ص١٥١.

[4]) يمكن التماس المَوَاقِف الثَّقافيَّة المختلفة، في حِوَاريَّاتِ وَمَقَالاتِ مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: دَرْوِيش، **شَيءٌ عَنِ الْوَطَنِ**، ص٢١١ ــ ٢٣٨، (هَكَذَا أَعِيشُ وَأُنَاضِلُ فِي إِسْرَائِيلَ)؛ ص٢٣٩ ــ ٢٨٧، (حَيَاتِي .. وَقَضِيَّتِي .. وَشِعْرِي)؛ ص٢٨٨ ــ ٣١٤، (الْقَضِيَّةُ وَشِعْرُ الْقَضِيَّةِ فِي حَدِيثٍ شَخْصِيٍّ)؛ وَيُنظَر في وَاقِع الثَّقَافَة بِعامَّة: طَه، المُتَوكِّل، (أُكتُوبَر٢٠٠٣م)، وَاقِعُ الثَّقَافَةِ فِي فِلَسْطِينَ، **مجلَّة نزوى**، (٣٦)، ص٩٣، (نَحْنُ وَالآخَرُ الْمُسْتَبِدُّ).

ـ صُورَةُ الأنَا السِّيَاسِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

تمثَّل مَحْمُود دَرْوِيش السُّلْطة السِّياسيَّة في غير قصيدةٍ، كرَّست نُـزُوع المُثقَّـف نحوهـا؛ لاستقطاب مُؤثِّرات القُوَّة إلى مضامين الخِطَاب؛ فإن كان قد عبَّر عن هَمِّ الفلسطينيِّ الكادح فـي بدء مسيرة شعره المقاوم؛ فلهذا وجهٌ من الانتماء السِّياسيِّ الشُّيُوعِيِّ يُؤكِّده، وَهـو الـذي دفـع ضريبته في السِّجْنِ ثُمَّ المنفى.

وَيكرَّس انتماؤُه لمُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة في بدء السَّبعينات، مرحلةً جديدةً مـن نـضال السِّياسيِّ الشَّاعِر؛ ليُواكِب تاليًا حوادث الثَّوْرة الجليلة، في عمق نكساتها المُتلاحِقة؛ وصولاً إلـى عُهْدَةِ التَّسْليم في (أوسْلُو)، من خلال قراءته العميقة للفِعْل السِّياسيِّ، وَمُنجَزه الواقعيِّ([1])، بلغـة الشِّعْر، وَحكمة الفِكْر، التي ما أُعطِيها شَاعِرٌ مَلِكٌ حَكِيمٌ إلا وَتعاظم همُّه.

وَقد انطلق الشَّاعِر مُؤَسِّسًا هذا الحضور السِّياسيَّ، من خلال قصيدته "**الحُزْن وَالغَضَب**"، من مَجْمُوعَة "**أوْرَاق الزَّيْتُون**"، الصَّادِرة سنة (١٩٦٤)م؛ إذ إنَّ الخِطَاب الشِّعْريَّ في هذه المرحلـة، ارتبط بانتمائه الشُّيُوعِيِّ.

وَنلتمس في القصيدة ما يستدعي تأثُّرها بالأنظار الحزبيَّة السِّياسيَّة؛ فقـد وظَّـف الـشَّاعِر خِطَاب الرَّفِيق على عادة الشُّعَراء القُدَامَي، لكنَّ توظيف "**الرَّفِيق**" مرَّتَيْن فـي المقطـع الثَّـانِي، سيحملنا ــ بالضَّرورة ــ على انتزاع الدِّعَامَةِ المُؤسِّسة لهذا الخِطَاب الشِّعْريِّ، في رحاب الفكر الشُّيُوعِيِّ، بقيدٍ تعبيريٍّ مُؤكِّدٍ للفكرة؛ يتمثَّل في استفهامه المطلق، في خاتمة المقطع الاسـتهلاليِّ وَالأوَّل وَالثَّالث وَالرّابع: "**فَعَلام لا تَغْضَب ؟**"، ليُجلِّل المُثقَّف ختام القصيدة بموقفه السِّياسيِّ، مـن خلال "**إنَّا**"؛ الدَّالَّة على المُستَوى الجَمْعيِّ، وَفيه يقول([2]):

إنَّا حملنا الحُزْن أعْوَامًا وَما طلع الصَّبَاحْ

وَالحُزْن نَارٌ تُخْمِدُ الأيَّامُ شَهْوَتَهَا،

وَتُوقِظُها الرِّيَاحْ

وَالرِّيح عِنْدَكَ، كيف تُلْجِمُهَا ؟

وَما لَكَ من سِلاحْ

---

[1]) يمكن قِرَاءَة المُنْجَز الوَاقِعِيِّ للعمليَّة السِّلْميَّة سلفًا، من خلال استظهار أُسُس الفِكْـر الـصُّهيونيِّ، فـي شـأن الصِّرَاع مع العَرَب، ثُمَّ في الوُقُوف عند صُوَر الإرْهَاب الصُّهيونيِّ، المُستَمرِّ حتَّى ما بعـد (أوسْـلُو)، يُنظَـر: المسيري، **الصُّهْيُونِيَّةُ وَالْعُنْفُ ... مِنْ بِدَايَةِ الاسْتِيطَانِ إلى انْتِفَاضَـةِ الأقْـصَى**، ص١٥٣ ــ ١٧٥، (الفَـصْل التَّاسِع: الرُّؤْية الصُّهيونيَّة الإسرائيليَّة للصِّرَاع وَالحُكْم الـذَّاتيِّ)؛ ص٣٠٣ ــ ٣٣٤، (الفَـصْل الرَّابـع عـشر: الإرْهَاب الصُّهيونيُّ حتَّى أوسْلو).

[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٦٨.

إلاّ لِقاءُ الرِّيح وَالنِّيرَانِ ..

في وَطَنٍ مُبَاحْ ؟!

إنَّ ما أراد الشَّاعِر أن يُرسِّخه في الأشطار السَّابقة، صادق الدَّلالة على سِمَةٍ رئيسيَّةٍ في الأدَب؛ تتمثَّل في جلال الفكرة، التي تجلَّت في سياقها العامِّ، بخِطَاب الثَّورْة وَالمقاومة، وَأن نحمل الوجهة على غير السِّياسَة؛ فهذا مِمَّا لا يتوافق مع معطيات النَّظر الفاحص؛ وَبيان ذلك في تعبير المُثقَّف عن الحزن، الذي ألمَّ بجمع المنضوين تحت راية العمل السِّياسيِّ وَالثَّوْرِيِّ، دون أن ينفلت عقال اللَّيْل عن صباح الحُرِّيَّة وَالاستقلال، وَقد بدا هذا الحزن في تصوير الشِّعْر نارًا مضطرمةً بتحقُّز الصِّدَام، إلا أنَّه رهين محبسَيْن؛ أوَّلهما تقادُم الأيَّام المُخمِدة نيرانه، وَثانيهما: تيقُّظ الرِّيح دون وجهةٍ.

أمَّا الثَّانِي فيحتفي الشَّاعِر فيه بـ"**الرِّيَاح**"، لكنَّها مُقيَّدةٌ بصدق التَّوجُّه وَصدقيَّة التَّوْجيه، وَقد قال دَرْوِيش في ذلك: "**وَالرِّيحُ عِنْدَكَ، كَيْفَ تُلْجِمُهَا ؟**"؛ فكما أنَّ اللِّجَام يقود الخيل إلى الوجهة التي يبتغيها الفارس الهُمَام، فإنَّ ريح الثَّوْرة لا بُدَّ لها من قيادةٍ سياسيَّةٍ حكيمةٍ، تحسن توجيه الثُّوَّار إلى مكامن النَّصْر المُرتقب، وهي التي لا بُدَّ أن يتساوق عملها في أروقة السِّياسَة العربيَّة وَالدَّوْليَّة، مع مُخطَّطات العَسْكر، الرَّامية إلى إيقاف الزَّحْف الصُّهيونيِّ، وَالحفاظ على الأرض وَالمُقدَّسات، وَتركيع الأهداف السِّياسيَّة العُلْيا للعدوِّ.

ثُمَّ إنَّ اللِّجَام يبدو ظاهر الإيحاء بمعنًى ثانٍ؛ دلالته السِّلاح؛ إذ الثَّوْرة بدونه تكون مُفرَغة من كُلِّ مضمونٍ، وَكيف للثُّوَّار أن يُدِيروا معركةً يتملَّك العدوُّ فيها أعتى أنواع السِّلاح وَأحدثه؛ بفضل الدَّعم المُؤسَّس لغاياتٍ فكريَّةٍ وَدينيَّةٍ، من الرَّاعِية الكُبْرَى للسَّلام / للصِّرَاع العَرَبيِّ الصُّهيونيِّ في الشَّرْق الأوْسط الجديد، وَالشَّاعِر بدا مُصرِّحًا بذلك بقوله: "**وَالرِّيحُ، كَيْفَ تُلْجِمُهَا ؟ ، وَمَا لَكَ مِنْ سِلاحٍ**".

وَيغدو الاستثناء في إثر ذلك، تكريسًا لحالةٍ من المُزاوَجة بين "**الرِّيح**" / ثَوْرة الغَضَب، وَ"**النِّيران**" / استعار المُقَاوَمَة؛ ليلتئما سويًّا في مواجهةٍ مفتوحةٍ مع العدوِّ بكُلِّ سلاحٍ، "**فِي وَطَنٍ مُبَاح !**"، وَالمُثقَّف من هذا الباب يُقدِّم وجهة نظره السِّياسيَّة، المُتمثِّلة في فتح المعركة على جميع مُستَوياتها: الشَّعْبيَّة، وَالعَسْكريَّة النِّظاميَّة، وَالسِّياسيَّة.

وَيندرج في المُستَوى الثَّانِي من الظُّهُور السِّياسيِّ، تبعات انتماء المُثقَّف للحِزْب الشُّيُوعِيِّ، وَالتي تمثَّلت في السِّجْنِ، وَقد رأينا أغانيه في هذا المُستَوى مُشتمِلةً على براعة الرَّمْز، وَمن ذلك

"**أغانِي الأسِير**"، من مَجْمُوعَته "**عَاشِق من فِلَسْطِينَ**"، الصَّادِرة سنة (١٩٦٦)م([1])، وَمِمَّا جاء فيها قوله([2]):

مُفتَّحة، يَا شبابيك حُبِّي

تَمُرُّ المدينة

أَمَامَكِ، عُرْسَ طُغاة

وَمرثاة أمّ حزينة

وَخلف السَّتائِر، أقمارنا

بقايا عفونة

وَزنزانتي .. مُوصَدَة !

إنَّه السِّياسيُّ القَابِع خلف بوَّابة الزّنزانة المُوْصدة بإحكامٍ، وَما من زنازين أشدّ إحكامًا من تلك التي أرادها الصَّهاينة قمعًا للفِكْر وَإشراق الجَسَد، وَأدارها المُعتَقلون بحنكةٍ الفَوْرَة الفِكْريَّة المُعْتمِلة بِالسِّيَاسَة؛ وَمن هذا الباب غدا كُلُّ فلسطينيٍّ في منظور المُحْتَلِّ سياسيًّا، وَليس من جُرْم الانتماء الحزبيِّ تُعَدُّ أسس لوائح الاتِّهام، وَإنَّما حسبه أن يؤمن بالمقاومة نهجًا راسخًا؛ كيما يكون مُؤطَّرًا بالسِّيَاسَة.

وَتبدو المدينة حين تمرُّ على ساكنها روحًا، وَمُفارقها جسدًا، إلى ما وراء القضبان، في ظاهر الأرض وَباطنها، نهبًا للطُّغَاة، الذين احتفلوا وَلا يزالون بتأسيس دولتهم المزعومة، على جراحات شعب تقلَّب مناضلوه بين السُّجُون.

وهنا تكمن المُفارَقة التي ألحَّ الشَّاعِر على حضورها في القصيدة بقوله: "**تَمُرُّ الْمَدِينَة، أَمَامَكِ، عُرْسَ طُغاة، وَمَرْثاةَ أُمٍّ حَزِينَة**"؛ فَـ"**عُرْسُ الطُّغاةِ**" "**مَرْثَاةُ**" أرضٍ بشعبها، وَ"**الأقمَار**" الكائنة خلف "**الأسْتَار**" "**تعفَّنت**" بأجواء الاحتلال المُخيِّم على كُلِّ البلاد، لكنَّ المُثقَّف المُعتلِي عرش السِّيَاسَة يجأر بحبه الدّائم قائلاً: "**مُفَتَّحة، يَا شَبَابِيك حُبِّي ...**"؛ ترسيخًا منه لقيمة الثَّبَات على المحبَّة، وَعدم التَّنازُل عن ثَوْرة الخِطَاب.

وَتُمثِّل القصيدة مرحلة المُلاحَقة الأمنيَّة، من قبل السُّلْطة الصُّهيونيَّة؛ فقد "دخل مَحْمُود دَرْوِيش السُّجُون الإسرائيليَّة بين عامي /١٩٦١ ـــ ١٩٩٦م/ خمس مرَّاتٍ، لأسبابٍ واهيةٍ لا

---

[1]) لاستجلاء بَوَاعِث شِعْر الأسْر عند مَحْمُود دَرْوِيش، وَغيره من الشُّعَرَاء، يُنظَر: العف، د. عبد الخَالِق وَحَنَفِي، أ. مُعَاذ، (يَنَاير٢٠٠٨م)، البَوَاعِثُ المَوْضُوعِيَّةُ فِي شِعْرِ الأسْرَى الفِلَسْطِينِيِّينَ، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلسلة الدِّرَاسَات اللُّغويَّة، ١٦(١)، ص١ ـــ ٤٠.

[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٠١، ١٠٢.

تستحقُّ حجز حرِّيَّته أو تقديمه للقضاء، لكنَّ السُّلطات العسكريَّة الصُّهيونيَّة الحاقدة، كانت تُتابِع نشاطات هذا الشَّاعِر وغيره من المُثقَّفين وَالمُناضِلين باهتمامٍ وَقلقٍ؛ فتُصدِر بحقِّهم العقوبات الظَّالِمة دون مرجعيَّةٍ قانونيَّةٍ؛ من أجل شَلِّ حركة الإرادة الوطنيَّة، وَإشاعة الفزع في القلوب المُؤمِنة باستعادة الكرامة وَالحُقُوق ..."(١)، (٢).

وَيُنهِي دَرْوِيش قصيدته بتأمُّله الغزليِّ في عُيُون محبوبته، ليقول(٣):

مُعلَّقة، يَا عيون الحبيبة

على حَبْل نُورٍ

تكسَّر من مُقْلَتَيْنْ

ألا تعلمين بأنِّي

أسير اثْنتَيْن ؟

جناحاي: أنت وَحُرِيَّتِي

تنامان خلف الضِّفَاف الغريبة

أحبُّكما، هكذا، توأمَيْن !

وَهنا يكون الأسر بفعل قيدَيْن، على سبيل المجاز لا الحقيقة؛ وَقد بدا كائنًا في إجلال الشَّاعِر الأرض / الأمُومة وَالحُرِّيَّة، اللَّتَيْن "**تَنَامَان خَلْف الضِّفَاف الْغَرِيبَة**"، ولَم يزل الشَّاعِر مُصرِّحا بحُبِّهما معًا: "**أحِبُّكُمَا، هَكَذَا، تَوْأمَيْنِ !**"؛ في تعبيرٍ كاملٍ عن موقفه السِّياسيِّ، الرَّافض التَّنازُل عمَّا اختطَّه في نهج المقاومة، حتَّى تتحقَّق الحُرِّيَّة، على المستوى الذَّاتيِّ بخاصَّة، وفي الإطار الشَّعْبيِّ بعامَّة.

وَالأسلوب على هذا التَّأكيد الرَّمْزيِّ السَّابق؛ أثرٌ لِـ"سياسة القمع الصُّهيونيِّ على الأشكال الأدبيَّة، لدى أدباء الأرض المُحتلَّة؛ فشاع الرَّمْز وَتجدَّدت الرُّؤْيا وَتطوَّر الأداء لديهم، هذا ما حصل مثلاً إثر فترة سجن مَحْمُود دَرْوِيش ..."(٤).

وَإجمالاً؛ فإنَّ مَحْمُود دَرْوِيش قد عمد في قصائده ""السِّجْن" وَ"قَالَ المُغنِّي" وَ"أغَانِي الأسير" وَ"بَرْقِيَّة من السِّجْن"، إلى النَّبْرة الغنائيَّة البسيطة المُتفائِلة، في تصويره لمُعانَاته وَمُعانَاة الإنسان

---

(1) الخيِّر، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ رحْلَةُ عُمُرٍ فِي دُرُوبِ الشِّعْر**، ص١٥.

(2) حَوْل مُمَارَسَات السُّلْطة الصُّهيونيَّة ضِدَّ الشُّعَرَاء الفلسطينيِّين، يُنظَر: دَرْوِيش، **شَيءٌ عَنِ الْوَطَنِ**، ص١٩٠ ــ ١٩٩، (وَاقِع الكَاتِب العَرَبيِّ في إسْرَائِيلَ)؛ ص٢٦٢ ــ ٢٦٧، (ضدّ السُّلْطة وَالعَدَميَّة).

(3) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٠٢، ١٠٣.

(4) حمود، د. مَاجِدَة، (١٩٩٧م)، **عَلاقَةُ النَّقْدِ بِالإبْدَاع الأدَبِيِّ**، (د. ط)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة، ص١٨٥.

الفلسطينيِّ عامَّة، داخل سجون الاحتلال، وَتجده في تلك القصائد يُقابِل بين صورتَيْن؛ صـــورة السَّجين الفلسطينيِّ الذي رمز له بالصَّليب وَأكاليل الشَّوْك وَالشَّمْس وَالمُغنِّي ... وَصورة السَّجَّان "العدوّ الصُّهيونيّ"، ورَمز له بالسَّلاسِل وَالسَّوْط وَالجُدْرَان ... وَعلى الرَّغْم من شدَّة المُعانَاة في السِّجْن، إلا أنَّ دَرْوِيش يُصوِّر السَّجين صامدًا ثابتًا على رأيه، لا تُؤثِّر فيه سُجُون الاحتلال، وَلا تنال من عزيمته وسائل التَّعْذيب المختلفة"([١]).

وَعندما تلتقي الأنا مع المجموع، في قراءةٍ ثقافيَّةٍ، تُعبِّر عن رُؤْية الـسِّياسيِّ الفلـسطينيِّ؛ يُضحِي المُثقَّف مُلتئِمًا مع السِّياسيِّ في السُّلْطة نفسها؛ مُجسِّدًا تحدِّياته وَطُمُوحاته، وَفي هذا النَّمط نقع على قصيدة "**سَنَخْرُجُ**"، من مَجْمُوعَة "**هِيَ أغْنِيَة هِيَ أغْنِيَة**"، التي صدرت ســنة (١٩٨٦)م، عقب الخلاص من حصار "بَيْرُوت"، إلى نفيٍ يستلزم خلاصًا جديدًا.

وَلَم يجئ العنوان على هذا النَّحْو إلا تعضيدًا لعنوان المَجْمُوعَــة، مــن جهــة أنَّ المُثقَّــف السِّياسيَّ ابتنى بالعنوان الكُلِّيِّ توكيد إشراق الأغنية من جديدٍ، رغم ما اعتــرى المرحلــة مــن أزماتٍ وَانحداراتٍ، ثُمَّ يأتي العنوان الدَّاخليُّ "**سَنَخْرُجُ**" تبيانًا لحالة الخروج من أردية التَّكــسات السَّابقة، والقصيدة بذلك محاولةٌ لمصالحة الذَّات المنكسرة؛ من خلال القراءة النَّاقِدة، في الصُّورَة المُشوَّهة، وَابتعاث الأمل فيها من جديدٍ، قال الشَّاعِر([٢]):

سنخرجُ،

قلنا: سنخرجُ،

قلنا لكم: سوفَ نخرجُ مِنَّا قليلاً، سنخرجُ مِنَّا

إلى هامش أبيضٍ نتأمَّل مَعْنى الدُّخُولِ وَمَعْنى الخُرُوج

سنخرجُ لِلتَّوِّ. أبَّ أبونا الذي كان فينا إلى أمِّه الْكَلِمَةْ

وَقلنا:

سنخرجُ. فلتفتحوا خطوةً لدمٍ فاضَ عنَّا

وَغطَّى مدافعكم. أوقفوا الطَّائِرَاتِ المُغِيرة خمسَ دقائقَ أخرى

وَكُفُّوا عن الْقصْفِ، بَرًّا وَبَحْرًا، ثلاثَ دقائقَ أخرى

---

[١]) أبو حَمَادَة، د. عَاطِف وَآخرون، (٢٠٠٣م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الأدَبِ الفِلسْطِينِيِّ**، (ط١)، عمَّان: مَنْشُورات جَامِعَة القُدْس المَفْتُوحة في فِلسْطِينَ، ص٦٧.

[٢]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ١٧ ــ ٢٠.

لكي يخرج الخَارجون وَكي يدخلَ الدَّاخِلون ..

سنخرج؛ قلنا سنخرجُ,

فلتتركوا حَيِّزًا للوداع الأخير. سلامٌ علينا, سلامٌ علينا.

سنجمع أعضاءنا في الحَقائِبِ، فلتُوقِفوا القَصْفَ خمسَ دقائقْ

لكي تَغْسِلَ السَّيِّدَاتُ الأنِيقاتُ أثْدَاءَهُنَّ من القُبَلِ السَّابِقهْ.

سنخرج؛

قلنا: سنخرجُ مِنَّا قليلاً .. سنخرجُ مِنَّا

رمينا على حافَّة البَحْر سَاحِلَ أجسادنا, وَانكسرنا

كعاصفة النَّخْلِ, حين انتصرنا عليكم وَحين انتصرنا علينا.

وَزِدْنَا الشَّوارع ظِلاً يُسَمِّي الْمَدِينَة شكلاً لمعنى

يُذَكِّرُ بالأبِ وَالابنِ وَالرُّوح، مهما رحلنا وَمهما ابتعدنا.

سنخرجُ؛ قلنا: سنخرج,

فلتدخلوا في أريحا الْجَدِيدَةِ سَبْعَ لَيَالٍ قِصَارٍ فقط,

فلن تجدوا طِفْلَةً تسرقون ضفيرتها، أو فتًى تسرقون فراشاتِه

وَلن تجدوا حائطًا تكتبون عليه أوامر تنهي عن الزَّنْزلختِ وَعَنَّا

وَلن تجدوا جُثَّةً تحفرون عليها مَزَامِيرَ رحلتكم في الخُرَافةْ

وَلن تجدوا شُرْفَةً كي تُطِلُّوا على الأبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ فينا

وَلن تجدوا شَارِعًا للحراسةْ

وَلن تجدوا ما يَدُلُّ عليكم، وَلن تجدوا ما يَدُلُّ علينا.

خرجنا قُبَيْلَ الْخُرُوج, فلا ترفعوا شارة النَّصْر فوق الْجُثثْ.

هنا نحن. نحن هناك. وَلسنا هناك، وَلسنا هنا.

هنا نحن تحت العناصر. نحن دَمٌ كَامِنٌ في الْهَوَاءِ الذي

تَذْبَحُونَهْ.

سنخرج؛

قلنا: سنخرجُ. فلتقصفوا ظِلَّنَا .. ظِلَّنَا

خُذُوهُ أسِيرًا إلى أمِّهِ الأرْضِ أو علّقوه على شجر الْكَسْتَنَا

تكونون أوْ لا نكون ! ادخلوا وهمكم، وَاحرثوا وهمَنا.

سنخرجُ؛

قلنا: سنخرج من أوّلِ الْبَحْرِ

بعد قتيلٍ، وَخَمْسَةِ جرحى, وَخَمْسِ دَقَائِقْ

وَبعد سقوط الطَّوائِف حول اشتباك الحَدِيد المُدوِّي مع

العائلةْ.

سنخرجُ من كُلِّ بيت رآنا نُدَمِّر دبابةً قُرْبَهُ أو علينا

سنخرجُ من كُلِّ مِتْرٍ، وَمَن كُلِّ يَوْمٍ، كما يخرج البدوُ مِنَّا.

سنخرج؛

قلنا سنخرج مِنَّا قليلاً إلينا: سنخرجُ مِنَّا

إلى بُقْعة البَحْرِ ـــ أبْيَضَ أزْرَقَ ـــ كُنَّا هناك, وكُنَّا هنا.

يدلُّ علينا الغِيَاب الحديديُّ. بيروتُ كانت هناكَ وَكانتْ هنا

وَكُنَّا على رُقعَةِ الْبَرِّ سَاعَةَ حَائِطْ

وَيَوْمَ قرنْفُلْ.

وداعًا، لمن سوف يَأتُونَ من وقتنا صَامِتينْ,

وَمن دمنا واقفينْ، لِنَدْخُلْ

سنخرجُ؛

قلنا: سنخرجُ حين سندخُلْ.

أدار المُثقَّف السِّياسيُّ باللُّغة المُبتَناة على الضَّمير الجَمْعيِّ، بيان الجدليَّة القائمة على ثنائيَّة الخُرُوج وَالدُّخُول، وَقد وردت مفردة "**سَنَخْرُجُ**" تسع عشرة مَرَّةً؛ مِمَّا يدلُّ على تملُّك الحصار وَتبعاته الذَّاكِرة وَالفِكْر النَّاطِق بما فيها؛ فهذا الحدث المُدوِّي، ليس من قبيل ما يُنْسَى، ثُمَّ إنَّ في التَّكْرار على هذا النَّحْو دلالة التَّقْريع، الذي يمسُّ كُلَّ الملتئمين على مشروع النِّضال الفلسطينيِّ، الذي لم يكن يومًا مُنزَّهًا من الأخطاء، حتَّى بحقِّ الأخ العَرَبيِّ.

وَالمُثقَّف بذلك ينتفض على الخُرُوج وَدلائله بمثيله في لغة الشِّعْر؛ وَكأنَّ فيها مزيد بَوْحٍ بوعيدٍ قادمٍ، أرستة النَّقِيضة الكَلِميَّةُ لغةً، من خلال "**لِنَدْخُل**" وَ"**سَنَدْخُل**"؛ أي أنَّ خلاص الثَّوْرة من أزماتها الدَّاخليَّة وَالخارجيَّة، كامنٌ في الدُّخُول الحقيقيِّ، في المواجهة الجديدة، المُحتكِمة إلى حِكْمة العَقْل، في إدارة الصِّرَاع مع المُحتَلِّ، دون تماسٍّ مع الإخوة العرب.

ولَمَّا كان لواقع الخُرُوج وجه صلةٍ بالحالة الإنسانيَّة المشتركة في التَّرْحَال، دون إحراز حقيقة الوُصُول إلى المَجْد المُبْتَغَى، ارتدَّ دَرْوِيش إلى سابق المِثَال، وَفيه المُتنبِّي الذي ما عرف القرار وَنهج الرَّحِيل، حتَّى لكأنَّ "**الرِّيح**" دابَّته، يُوجِّهها "**جَنُوبًا**" أو "**شَمَالا**"، مُستلاً على سبيل التَّناصِّ المضمونيِّ المباشر، لِمدخل نصِّ الخُرُوج، صدر بيت المُتنبِّي: "**عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِي**"([١])، تَمثُّلا لما نظمه أبو الطَّيِّب في سياق مدح بدر بن عمَّار، حيث قال([٢]):

عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيــحَ تَحْتِي   أُوَجِّــهُهَا جَنُوبًا أَوْ شَمَالا

لقد عبَّر نصُّ الخُرُوج عن الانكسار الفلسطينيِّ، وَالعالم العربيُّ عن ذلك غير بعيدٍ؛ فقد "شهدت السَّبعينات وَالثَّمانينات في الوطن العربيِّ، حشدًا لا مثيل له من الانكسارات وَالانهيارات، ابتداءً بالتَّواطُؤ مع العدوِّ الصُّهيونيِّ، إلى الاستذلال أمام الإمبرياليَّة؛ مع طغيان الطَّائفيَّة، وَالنَّعرات الإقليميَّة، إلى هيمنة قيم الشَّرائح الطُّفَيْلِيَّةِ هيمنةً صريحةً ... وَفي مثل هذه السَّاحة لا

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ١٥.
[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٣: ٢٤٩، (البَيْت:١٧).

نستغرب أن هُمِّشت القوى الوطنيَّة، وهُمِّشت القوى الثَّوْريَّة؛ لكيما تسود أنظمةٌ، وتدوم عروشٌ وكراسٍ"([1]).

لكنَّ نبرة الانكسار تلاشت مع انطلاقة انتفاضة الشَّعْب الفلسطينيِّ سنة (١٩٨٧م)؛ فألفينا مَحْمُود دَرْوِيش يدَّثر بـ"نا" الجَمْعيَّة، تعبيرًا عن رؤيةٍ ثقافيَّةٍ سياسيَّةٍ، عنوانها المُواجَهة مع عدوٍّ، لم تزده سنوات التَّمْكين في الأرض المُقدَّسة، إلا ضراوةً وَوحشيَّةً؛ وَلأنَّهم عابرون على الأرض وَالتَّاريخ؛ فقد كانوا في خِطَاب الشَّاعِر "**عَابِرِينَ فِي كَلامٍ عَابِرٍ**"، بوحي التَّصادُم في أعلى درجات المُبَاشَرة، فقال([2]):

...

أيُّها المارُّون بين الكَلِمات العَابِرة

آن أن تنصرفوا

وَتُقِيموا أيْنَما شئتُم ولَكن لا تُقِيموا بَيْنَنَا

آن أن تنصرفوا

ولتموتوا أينما شئتمْ، ولَكن لا تموتوا بيننا

فلنا في أرضنا ما نعملُ

وَلنا المَاضِي هُنَا

وَلنا صَوْت الحَيَاة الأوَّلُ

وَلنا الحَاضِرُ، وَالحَاضِرُ، وَالمُستَقبلُ

وَلنا الدُّنيا هُنَا .. وَالآخِرَة

---

[1]) غزول، فِرْيَال جبوري، (أكتوبَر١٩٨٦م/ مارس ١٩٨٧م)، لُغَةُ الضِّدِّ الجَمِيل فِي شِعْرِ الثَّمَانِينَاتِ، **مجلَّة فُصُول**، ٧(٢/١)، ص١٩٢.

[2]) دَرْوِيش، **عَابِرُونَ فِي كَلامٍ عَابِرٍ**، ص٤٣.

فاخرجوا من أرضِنَا

من بَرِّنَا .. من بَحْرِنَا

من قمْحِنَا .. من مِلْحِنَا .. من جُرْحِنَا

من كُلِّ شيء، وَاخرجوا

من ذِكْرياتِ الذَّاكِرة

أيُّها المَارُّون بين الكَلِمَات العَابرة ! ..

وَهنا يتَّحد دَرْوِيش مع إطاري الشَّعْب وَالقِيَادة، تلك التي تَخِذَتْ من الانتفاضة مُؤَثِّرًا ضاغطًا على أقطاب القُوَّة في السِّيَاسَة الصُّهيونيَّة؛ كيما يُبتَنى السَّلام المنشود في حلقات التَّفاوُض السِّرِّيَّة، على أساسٍ أُريد له أن يكون مكينًا، وَتمخَّض عن حَقٍّ غير مكينٍ، وَالشَّاعِر إذ يُجلِّل خِطَابه بأعتى درجات التَّصادُم المُعبِّرة عن موقفه الثَّقافيِّ؛ بوصفه مُثقَّفًا ثائرًا؛ فإنَّه يُمثِّل رأي القِيَادة السِّيَاسيَّة، وَهو أحد أقطابها الصَّانِعين للقرار الفلسطينيِّ، في اللَّجنة التَّنْفيذيَّة لمُنظَّمة التَّحْرير، وَللشِّعْر هنا أن يتَّحد مع السِّيَاسيِّ في الرُّؤْية وَالهَدَف، بصورةٍ تتَّخذ من حماسة الجماهير بارود التَّحدِّي، بعد سنوات الهِجْرة إلى غير رُؤْيَةٍ وَدونما هَدَفٍ.

وَتتقاطع الثَّقَافَة مع السِّيَاسَة، في إبانة الحَدِّ الوظيفيِّ الذي يقرنهما سويًّا، وَفيه الإنارة الكاشفة كُلَّ الوقائع، التي تمسُّ مُستَقبل الأمَّة وَمصيرها، لذا صرَّح دَرْوِيش في مَجْمُوعَة "**أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، الصَّادِرة سنة (١٩٩٢)م، قائلا: "**أنَا وَاحِدٌ مِنْ مُلُوكِ النِّهَايَةِ**"؛ فكانت القصيدة بيانًا أكيدًا على اعتلاق الثَّقافيِّ بِلُبِّ السِّيَاسَة، إذا ما اعتقدنا بِسُمُوِّهَا المعرفيِّ، وَنظرتها التَّكامُليَّة للأحداث، يقول الشَّاعِر([1]):

... وَأنَا وَاحِدٌ مِنْ مُلُوكِ النِّهَايَة ... أقفِزُ عَنْ
فَرَسي في الشِّتَاءِ الأخِير. أنَا زَفْرَةُ الْعَرَبيِّ الأخيرَةْ
لا أُطِلُّ على الآس فَوْقَ سُطُوح الْبُيُوتِ. وَلا
أتَطَلَّعُ حَوْلِي لِئَلاَّ يَرَانِي هُنَا أحَدٌ كَانَ يَعْرِفُنِي

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٢٧٧، ٢٧٨.

كانَ يَعْرِفُ أنّي صَقَلْتُ رُخَامَ الْكَلام لتَعْبُرَ امْرَأتِي
بُقَعَ الضَّوْءِ حَافِيَةً, لا أطِلُّ عَلَى اللَّيْلِ كَيْ
لا أرَى قَمَرًا كَانَ يُشْعِلُ أسْرارَ غَرْنَاطَةٍ كُلَّهَا
جَسَدًا جَسَدًا. لا أطِلُّ عَلَى الظِّلِّ كَيْ لا أرَى
أحَدًا يَحْمِلُ اسْمِي وَيَرْكُضُ خَلْفِي: خُذِ اسْمَكَ عَنِّي
وَاعْطِنِي فِضَّةَ الْحَوْر. لا أتَلَفَّتُ خَلْفِي لِئَلاَّ
أتَذَكَّرَ أنِّي مَرَرْتُ عَلَى الأرْضِ, لا أرْضَ فِي
هَذِهِ الأرْضِ مُنْذُ تَكَسَّرَ حَوْلِي الزَّمَانُ شَظَايَا شَظَايَا
لَمْ أكُنْ عَاشِقًا كَيْ أصَدِّقَ أنَّ الْمِيَاهَ مَرَايَا،
مِثْلَمَا قُلْتُ لِلأصْدِقَاءِ الْقُدَامَى, وَلا حُبَّ يَشْفَعُ لِي
مُذْ قَبِلْتُ "مُعَاهَدَةَ التِّيهِ" لَمْ يَبْقَ لِي حَاضِرٌ
كَيْ أمُرَّ غَدًا قُرْبَ أمْسِي. سَتَرْفَعُ قَشْتَالَةُ
تَاجَهَا فَوْقَ مِئْذَنَةِ اللهِ. أسْمَعُ خَشْخَشَةً لِلْمَفَاتِيحِ فِي
بَابِ تَارِيخِنَا الذَّهَبِيِّ, وَدَاعًا لِتَارِيخِنَا, هَلْ أنَا
مَنْ سَيُغْلِقُ بَابَ السَّمَاءِ الأخِيرَ ؟ أنَا زَفْرَةُ الْعَرَبِيِّ الأخِيرَةْ

ليس أدلّ على اعتلاق المُثقّف بسُلْطة السِّياسَة، من استهلاله القصيدة بالتَّصْريح المُتَضمِّن بَوْح الْمَلَكِيَّةِ: "**وَأنَا وَاحِدٌ مِنْ مُلُوكِ النِّهَايَةِ**"؛ وَفيه "الحكي الافتتاحيُّ، الذي هو محلُّ ابتداء السَّرْد، وَلحظة الإنباء بكيفيَّات انبثاقه وَتشكُّله، وَفقًا لِخُطَّةٍ فريدةٍ من نوعها"([1])، وَفي هذا الاستهلال "امتدادٌ للمُفارَقة؛ حيث ثنائيَّة الذَّات وَالوطن، وَالقِنَاع وَالشَّاعِر؛ القِنَاع المُتمثِّل في آخر مُلُوك الأندلس ... فالبحث عن الذَّات بعد ضياع الأرض، يُجسِّده السُّؤَال المفارقة السُّؤَال (الأزْمَة)، الذي يجمع بين السَّعْي إلى تحقيق الوجود، وَمظاهر فناء هذا الوجود"([2])؛ مِمَّا يعني إقرار الشَّاعِر بمشاركته الضِّمْنيَّة، في فُصُول التَّسْليم الأخيرة، للأرض وَالإنسان.

وَلتوظيف الجارِّ الذي يُفِيدُ معنى التَّبْعيض "**مِنْ**"؛ دلالة على كثرة المُتلاعِبين في المصير النِّهائيِّ للمُفاوَضات، وَالتَّعْبير بِالْمَلَكِيَّةِ في وحي هذا كلّه لم يأت عبثًا، وَإنَّما أتى من واقع إدراك

[1]) الطّرير، جَلِيلة، (سبتمبر١٩٩٨م)، فِي شِعْرِيَّةِ الْفَاتِحَةِ النَّصِّيَّةِ ــ حَنَّا مينَا نموذجًا، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٨(٢٩)، ص١٤٥.
[2]) الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (يُونيُو٢٠٠٢م)، أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ــ عَلَى آخِرِ الْمَشْهَدِ الأنْدَلُسِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١١(٤٤)، ص٨٢٧.

المُثقَّف مشاركته الضِّمْنيَّة في مشروع التَّسْوية غير العادلة، من شقَّيْن اثنَيْن؛ أوَّلهما: لكونه أحد العاملين في سياق المُنظَّمة، وكُلُّ الملتئمين تحت رايتها مُشتغِلون بالهمِّ السِّياسيِّ، وإن تنوَّعت وظائفهم؛ وثانيهما: سكوته غير المطبق عن المُؤَامَرة التي حِيكَتْ لِمسيرة الثَّوْرَة؛ أمَّا عن كونه غير مطبقٍ؛ فلأنَّه نقد "**مُعَاهَدَةَ الصُّلْح**"، و"**مَلِكَ الاحْتِضَار**" انتقد، مُنكفئًا عقب ذلك لرغبة السِّياسيِّ، في تعديل بعض كَلِمِ القصيدة، كما سيأتي بيان ذلك لاحقًا.

وحتَّى يدلَّ المُثقَّف على انتهاء الدَّوْر البطوليِّ؛ فقد قفز عن فرسه في "**الشِّتَاءِ الأخِير**"، مُستتبِعًا ذلك بتوصيف كينونته في هاتيك اللَّحظات العصيبة، وهو الذي غدا "**زَفْرَةَ الْعَرَبِيِّ الأخِيرَةِ**"، وكُلُّ أنفاس العُرُوبة صائرةٌ إلى زفراتٍ، ما ترجَّل الفُرْسان قَسْرًا بالاغتيال أو طَوْعًا بالتَّنازُل.

وعلى وقع هذا التَّنازُل في ميدان السِّياسَة، بدا المُثقَّف مُنسحِبًا من دائرة الفِعْل الإيجابيِّ، ومُصدِّرًا أفعاله بالنَّفْي القاطع؛ قائلاً: "**لا أُطِلُّ عَلَى الآسِ فَوْقَ سُطُوحِ الْبُيُوتِ**"، و"**لا أَتَطَلَّعُ حَوْلِي لِئَلاَّ يَرَانِي هُنَا أَحَدٌ كَانَ يَعْرِفُنِي ...**"، و"**لا أرَى قَمَرًا كَانَ يُشْعِلُ أَسْرَارَ غَرْنَاطَةَ كُلَّهَا جَسَدًا جَسَدًا**"، و"**لا أُطِلُّ عَلَى الظِّلِّ كَي لا أرَى أحَدًا يَحْمِلُ اسْمِي وَيَرْكُضُ خَلْفِي: خُذِ اسْمَكَ عَنِّي وَاعْطِنِي فِضَّةَ الْحَوْرِ**"، و"**لا أَلْتَفِتُ خَلْفِي لِئَلاَّ أَتَذَكَّرَ أَنِّي مَرَرْتُ عَلَى الأَرْضِ**".

وعلى النَّسَق ذاته يمضي الشَّاعِر في تصدير خِطَابه بالنَّفْي، مع مُزاوَجةٍ بين الجُمَل الاسميَّة والفعليَّة، وفي ذلك كانت المُتتالِية التي نفى فيها أرضيَّة الأرض وكينونة الْحُبِّ، وهو بذلك يُقَرِّعُ الذَّات على المُشاركة في النِّهَاية بغير سبيلٍ.

وتبدأ مُحاكَمتها على النَّحْو الذي تُسْتَجْلَبُ فيه الخَطِيئة، وحينها يغدو الْحُبُّ الذي ضمَّنه أشعاره هباءً منثورًا؛ فلا حُبَّ وقد قَبِلَ، وقبوله هنا تصريحٌ بالموقف السِّياسيِّ؛ أمَّا مجال القبول فواقعٌ على "**مُعَاهَدَةِ التِّيهِ**"؛ وللتَّرْكيب أن يُحِيلَنا إلى الإطار السِّياسيِّ، في كلمته الأولى؛ ويرتدَّ بنا إلى التَّقاطُع التَّاريخيِّ والدِّينيِّ في إبانة "**التِّيه اليهوديِّ**" قديمًا، في كلمته الثَّانِية، ومَرَّةً أخرى يظهر "**التِّيه**" في الشِّعْر، عقابًا صهيونيًّا لِكُلِّ بشريٍّ سكن أرض الشَّعْب المُختَار؛ اجترارًا للتَّاريخ المُحتشِد بالسَّقطات الفَادِحة.

ويُرَكِّبُ المُثقَّف حقول الزَّمن على نحوٍ مُختَزلٍ؛ لينفي من خلالها حضوره فيها جميعًا؛ إذ انتفت كينونته في "**الحَاضِر**"، التي كان سَيُحَلِّقُ بها "**غدًا**"، في فضاء "**الأَمْس**"، ثُمَّ تراه يجتذب من "**الأمس**" مثال الرَّحِيل العظيم عن الأندلس؛ وفي الاستدعاء من لقاء التَّاريخ مع الواقع ما فيه، وحينها تكون "**المِئْذَنَة**" مقامًا يعلوه تاج "**قَشْتَالَة**".

هي إذن مُؤَامَرةٌ كونيَّةٌ بصراعٍ عقيديٍّ، اشتركت فيها قوى العالم المُتحضِّر؛ لاستكمال حُرُوب الصَّلِيب على أعتاب بَيْت المَقْدِس، ليسمع المُثقَّف في الأثر "**خَشْخَشَةَ لِلمَفَاتِيح فِي بَابِ تَارِيخِنَا الذَّهَبِيِّ**"؛ وَلَيس أشدّ وضوحًا من هذا الاعتراف بذهاب التَّارِيخ، وَهو بطولاتٌ انتزعتها سواعد المَاجِدِين في زمن الأُمَّة التَّلِيد.

وَينشغل المُثقَّف بكُلِّيَّته في صياغة السُّؤَال الأخير، قائلاً: "**هَلْ أَنَا مَنْ سَيُغْلِقُ بَابَ السَّمَاءِ الأَخِيرِ ؟**"، وَتأتي الإجابة مُتضمِّنةً تكرار ما صرَّح به سابقًا: "**أَنَا زَفْرَةُ الْعَرَبِيِّ الأَخِيرَة**"؛ وَإن كان لهذا الخِتَام دلالةٌ مُهمَّةٌ؛ فهي المُتمثِّلة في إدراك الشَّاعِر سُمُوَّ وظيفته الثَّقافيَّة، التي قد تعلو السُّلْطة السِّياسيَّة، بِسامق أنظارها، وَصادق استبصارها؛ لذا عَدَّ المُثقَّف نفسه سياسيًّا مَلِكًا، وَانتهى مع المُنتهين إلى الخلاص الدُّونِيِّ، بـ"**مُعَاهَدَةِ التِّيهِ**".

وَما موقف المُثقَّف هنا إلا تعبيرٌ عن إنكاره على ذاته الانسياح في ركب المُنظَّمة، وَالموافقة الضِّمْنيَّة على قراراتها، دون رفضٍ حاسمٍ، وَهنا يتجلَّى "التزام المِثَال" في مُواجَهة الذَّات، وَمُكاشَفة المُتلقِّين بعامَّة، وَالسِّياسيِّين بخاصَّة؛ أَمَّا الوجه النَّقِيض من ذلك؛ فيتبدَّى في الرِّضَا وَالتَّسْليم، الذي يندرج ضمن "التزام الدُّون"، وَبينهما أمورٌ مُحدَثاتٌ، وَصل بها الالتزام حَدَّ "الفَوْضى الانتقائيَّة".

وَلم يكن "اختيار الشَّاعِر لأبي عبد الله الصَّغِير قناعًا، إلا لتأكيد هذا المعنى المُفزِع: النِّهَايَة؛ وَكأنَّ الشَّاعِر ينطلق من يقينٍ يُهيمِن على القصيدة كلِّها: إنَّ كُلَّ تفاصيل حياتنا الآن، عربيًّا وَفلسطينيًّا، لا تُشكِّل إلا مشهد النِّهَايَة المُخِيفة"([1]).

وَللحِكْمة المعرفيَّة الخَلاقة أن ترتبط بالسِّيَاسَة، في منظوم مَحْمُود دَرْوِيش، وَفيها الأنا بصورة المَجْموع، تاركًا في "**أثَرِ الفَرَاشَةِ**" بصمةً مُهمَّةً على عمق رُؤَاهُ السِّياسيَّة، المُقترنة بالأبعاد الفلسفيَّة، بلغة الإيقاظ النَّقْديِّ الكاشف نهج المُنظَّمة في خَطِيئة السَّلام، وَالقول في البدء وَالختام، صريح البَوْح بالنَّتيجة الحُكْميَّة الأخيرة "**وَصَلْنَا مُتَأخِّرِينَ**"، وَفيها يقول([2]):

في مرحلةٍ ما من هَشَاشَةٍ نُسَمِّيها
نضجًا, لا نكون مُتفائِلين وَلا مُتشائِمين.
أقلعنا عن الشَّغَف وَالحَنِين وَعن تسمية
الأشياء بأضدادها, من فرط ما التبس
علينا الأمر بين الشَّكْل وَالجَوْهر, وَدرَّبنا

---

[1]) العلاق، عَلِيّ جَعْفَر، (سبتمبر١٩٩٧م)، بِنْيَةُ القِنَاع: قِرَاءَةٌ فِي قَصِيدَةِ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٥)، ص٨٢؛ وَيمكن الاطِّلاع على جُزْئيَّات التَّحْليل، في البَحْث نفسه: ص٧٣ ــ ١٠٠.
[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٥٧٨، ٥٧٩.

الشُّعُورَ على التَّفْكير الهَــادِئ قبل البَــوْح.
للحِكْمــة أُسلُوبُ الطَّبِيــب في النَّظَــر إلى
الجُرْح. وَإذْ ننظر إلى الــوَرَاء لنعرف أين
نحن مِنَّا وَمن الحَقِيقــة، نسأل: كم ارتكبنا
من الأخطاء ؟ وَهــل وصلنا إلى الحِكْمــة
مُتأخِّرين. لسنــا مُتأكِّــدين من صــواب
الرِّيح، فمــاذا ينفعنــا أن نصــل إلى أيِّ
شيءٍ مُتأخِّرين, حتَّــى لو كــان هُنــالِك
من ينتظرنا على سفح الجبل, وَيدعونــا
إلى صلاة الشُّكْر لأنَّنا وصلنا سَالِمين ...
لا مُتفائِلين وَلا مُتشائِمين, لكن مُتأخِّرين !

لقد رسَّخ المُثقَّف سبيل النَّقْد الدَّاتيِّ لنهج المُنظَّمة، وَاختطَّ بالرَّمْز لغة الحِوَار المُبــدِع مــع حنكة العقل الحَكِيم، ليستهلَّ خِطَابه بتمعُّن المَاضِي، وَفيه المرحلة الموصوفة بــ"**النُّــضْج**"؛ فــي واقعِ المجاملة الخادعة للدَّات.

وَقد بدا الشَّاعِر في مضامين الخِطَاب، أشدَّ صراحةً من السَّاسَة؛ إذ وصف هاتيك المرحلــة بــ"**الْهَشَاشَةِ**"، وَالحالة التي لخَّصت لحظة الفَصْل بين الإقْدَام وَالإحْجَام، كامنةٌ فــي قولــه: "**لا نَكُونُ مُتَفَائِلِينَ، وَلا مُتَشَائِمِينَ**"، وَهي التي تتَّفق مع الظَّاهرة التي بدت عامَّةً في نتاجه، لا سيَّما في المرحلة اللاحقة، التي اصْطُلِح على تسميتها سلامًا، ممثَّلة في الوقوف "**بَيْن بَيْن**"؛ تعبيرًا عن السُّكُون المطبق على لحظة الفِعْل، بين النَّاجِز وَالعَاجِز.

وَلشدَّة ما اعترى "**الْهَشَاشَةَ**" من تردُّد التَّفاؤُل وَاعتوار التَّشاؤُم؛ ألفينا القوم بينهما صَرْعى، كأنَّهم أعجاز نخلٍ خاويةٍ، من الشَّغَف وَالحَنِين وَتسمية الأشياء بأضدادها؛ لِعِلَّةٍ مُقِيمَةٍ في منطوق الفِكْر؛ قوامها التباس الفهم بين كُنْهِ الشَّكْل وَحقيقة الجَوْهر، وَلم يكن من سبيلٍ إلا تدريب الشُّعُور على التَّفْكير الهادئ قبل البَوْح؛ لتكون الخُلاصَات المشتملة بالحِكْمة، أسلوب تطبيب الجُرْح بنظرٍ ثاقبٍ.

وَللمُثقَّف أن يستقطب بالمِثَال حِكْمة الخَيَال، في استكناه المسافة الفاصلة بين الماضين فــي مشروع التَّسْوية وَالحَقِيقة؛ حينها يَجْمُلُ بالمرء أن يغدو شَقَّاقًا؛ لِفَرْطِ ما يبين السُّؤَال عنــه مــن مزيد إجاباتٍ، "**كَمْ ارْتَكَبْنَا مِنْ أخْطَاء ؟ وَهَلْ وَصَلْنَا إلى الْحِكْمَةِ مُتَأَخِّرِينَ ؟**"؛ وَكأنِّي بالإجابــة

ثُقْرَاً في خطٍّ مُوَازٍ مع تأمُّل السُّؤَال، على وجه التَّكْثير؛ فالأخطاء متكاثرةٌ؛ وَبلوغ ذُروة الحِكْمة بات مُتَأَخِّرًا جِدًّا.

وَيُؤكِّد هذا المذهب في تكاثُر الأخطاء، على نحوٍ تنازليٍّ قاتلٍ، ما جَأَرَ به الشَّاعِر، وَهو حَقٌّ مطلقٌ في ضوء السَّنَوات العِجَاف في ظِلٍّ جَدْبِ السَّلام: "**لَسْنَا مُتَأَكِّدِينَ مِنْ صَوَابِ الرِّيح**"؛ وَعدم التَّأكُّد من صوابيَّة نهج الثَّوْرة؛ تأكيدٌ على وقوع الخطأ، الذي يُفْهَمُ الإطلاق فيه، من خلال الاستفهام المُعَزَّز بِسمة التَّقْرير، فضلاً عن الإنكار، وهو ما يُجسِّد مفارقة الواقع المَقْرُوض المَرْفُوض، وَفيه قوله: "**فَمَاذَا يَنْفَعُنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ مُتَأَخِّرِين، حَتَّى لَوْ كَانَ هُنَالِكَ مَنْ يَنْتَظِرُنَا عَلَى سَفْحِ الْجَبَلِ، وَيَدْعُونَا سَالِمِينَ ...**"؛ وَلَعلَّ الواصلين إلى اللانهاية؛ لم يكونوا "**لا مُتَفَائِلِينَ وَلا مُتَشَائِمِينَ، لَكِن مُتَأَخِّرِينَ !**".

وَتلزمنا وقفةٌ إشاريَّةٌ أخيرةٌ، إلى ما ذكره الشَّاعِر في "**الْجِدَارِيَّةِ**"، مع إيرادنا ذلك في باب المعرفيَّة الفكريَّة، وَكان مَحْمُود دَرْوِيش قد قرن بين سُلطات المَعْرِفة وَالمُلْك وَالحِكْمة وَالدِّين في شخصه، قائلاً([1]):

مَنْ أَنَا ؟
أَنَشِيدُ الأَنَاشِيد
أَمْ حِكْمَةُ الْجَامِعَةِ ؟
وكلانا أَنَا ...
وَأَنَا شَاعِرٌ
ومَلِكٌ
وَحَكِيمٌ على حَافَّةِ الْبِئْرِ
لا غيمةٌ في يدي
لا أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا
على معبدي
ضاق بي جَسَدِي
ضاق بي أَبَدِي
وَغَدِي
جَالِسٌ مثل تاج الغُبَار
على مقعدي

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥١٨.

وَقد أكَّد ذلك في موطنٍ لاحقٍ بقوله([1]):

...

عِشْتُ كما لم يَعِشْ شَاعِرٌ

مَلِكًا وَحَكِيمًا

هَرِمْتُ، سَئِمْتُ من الْمَجْدِ

لا شيءَ ينقصني

ألهذا إذاً

كُلَّمَا ازداد عِلْمي

تَعَاظَمَ هَمِّي ؟

وَلم تقتصر الإبانة عن ملامح السُّلْطة السِّياسيَّة على هذه المواطن، وَإنَّما كانت للمُثقَّف إطلالاته المختلفة من هذا الباب، على سبيلي التَّمثُّل الفَرْديِّ وَالجَمْعيِّ([2])، عن وعيٍ مطلقٍ بعظم الدَّوْر المُترتّب عليه في مقام الثَّقَافَة، وَهي التي تطال السِّيَاسَة، في عمق استقرائها للأحداث، وَخلوصها إلى النَّتائِج.

وَمن هنا غدا دَرْويش في كُلِّ مرحلةٍ مُصطبِغًا بسُلْطة الثَّقَافَة السِّياسيَّة، بدءًا بتجلِّيها في انتمائه الحِزْبيِّ الشُّيُوعِيِّ، ثُمَّ دفعه استحقاق ذلك بالسِّجْن، مع الاعتداد بالحِصَار البَيْرُوتِيِّ، في إثارة النَّغمة الجَمْعيَّة للخِطَاب، ليعود المُثقَّف إلى بدء التَّفرُّد في تبدِّي الأنا، وَهو حينئذٍ مُشتمِلٌ بتقريع الذَّات، وَالتماس المُبرِّرات للخَلاص من العَذَابَات؛ بفعل فاجعة الخَطِيئة، وَهي جِدُّ أليمة؛ إنَّها السَّلام في "**تِيهِ**" المُعَاهَدة عن صِدْق السَّلام([3]).

وَكان لإحساس المُثقَّف بقرب الرَّحِيل على أعتاب "**الْجِدَارِيَّةِ**"، أثر اقتران السُّمُوِّ بين المَعْرفة وَالسِّيَاسَة وَالحِكْمة وَالدِّين، على صعيد التَّعالِي، المُقرِّ جلال الوظيفة بموسوعيَّة المَعْرفة وَالعِلْم،

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥٢١.

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ٣٨٦، (من "مَدِيح الظِّلِّ العَالِي"، [قَصِيدَة تسجيليَّة]، "وَأَنَا أَضِيقُ أَمَامَ مَمْلَكَتِي وَتَتَّسِعُ الْمَمَالِكُ فِيَّ ..."، عبَّر دَرْوِيش عن رُؤْيَةٍ سياسيَّةٍ، لِتَضاؤُل النُّفُوذ الفلسطينيِّ على أرض الوَطَن، في ظِلِّ اتِّساع احتلال الآخَر السِّياسيِّ الصُّهيونيِّ)؛ وَيُنظَر: **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٣٥١، (من "أَمْشَاط عَاجِيَّة"، في مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، أَنَا السِّياسيُّ على نحو خَافِتٍ، في مقام المُقَايَضَة وَالتَّفاوُض مع الآلهة/ الحَاكِمِيَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٦٧، (من "مَنْفَى (١): نَهَار الثُّلاثَاء وَالجَوّ صَافٍ"، في مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أَوْ أَبْعَد ..."، أَنَا السِّياسيُّ في إطارٍ رَمْزِيٍّ، يُقدِّم معنى التَّنَازُل عن العَرْش)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٧٨، ٥٧٩، ("وَصَلْنَا مُتَأَخِّرِينَ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، أَنَا السِّياسيُّ النَّاطِق باسم القِيَادَة الفلسطينيَّة).

[3]) يمكن تتبُّع الجَانِب السِّيَاسيِّ، في حياة الشَّاعِر مَحْمُود دَرْوِيش، في: يَاسِين، عبد القَادِر، (٢٠٠٨م)، مَحْمُود دَرْوِيش السِّيَاسِيُّ. في: مِيشَال سَعَادَة، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ عَصِيٌّ عَلَى النِّسْيَانِ**، (ص: ١٣٥ – ١٤٦)، (ط١)، (٢٠٠٩م)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر.

ثُمَّ عاد المُثقَّف إلى الجَمْعيَّة؛ لغاية الكشف عن الحِكْمة التَّائِهة بين التَّفــاؤُل وَالتَّــشاؤُم، عقــب الوُصُول المُتأخِّر إلى مَجْمع الحِكْمة وَلُبِّ فِعْلها.

وَهنا كانت "المنظومات الثَّقافيَّة المعرفيَّة وَالاعتقاديَّة وَالرَّمْزِيَّة تُخفِي إذن مواقف اجتماعيَّة ــ سياسيَّة، وَتُكرِّسها في الوقت نفسه، بقدر ما هي انعكاسٌ لها"([1])؛ "فجداريَّة الوطن تستحــضر كُلَّ التَّناقُضات الضِّدِّيَّة في فضاء القصيدة، حتَّى ليمكن أن يُقَــالَ إنَّهــا مِفْتَــاحٌ أساســيٌّ لفهــم عالمه"([2])؛ ذلك الذي وقفت عليه "**آثَارُ الْفَرَاشَةِ**"، عقب يوميَّات الاصطراع الذَّاتيِّ المُحتدِم، فــي دواخل المُثقَّف السِّياسيِّ.

وَيمكننا أن نستلَّ علاقة الشِّعْريِّ بالسِّياسيِّ، من خلال التَّقاطُع القسريِّ، في تصريح الشَّاعِر أثناء لقاءٍ مفتوحٍ مع الجمهور الفرنسيِّ، حول فِلَــسْطِينَ وَالــشِّعْر وَالــسَّلام، بتــاريخ (٥/ ٥/ ١٩٧٩)م؛ حيث قال: "لا علاقة مع الواقع دون الْمَسِّ بهذا المستوى، الذي هو مستوًى سياســيٌّ، وَلكنَّ الشِّعْر لا يقول سياسةً بشكلٍ مباشرٍ. الشِّعْر يقول عن العلاقة الشَّخصيَّة بالواقع، يُحاوِل أن يُحوِّل الواقع عينه إلى واقعٍ لغويٍّ؛ لذلك فإنَّ مكافحة المُستوى السِّياسيِّ في الشِّعْر، تشبه محاولة البحث عن إنسانٍ بلا ضميرٍ. غير أنَّ ما أُشدِّد عليه تمامًا هو أنَّني لست سياسيًّا بالمعنى الرَّسْمِيِّ للكلمة، لأنَّني أعتبر أنَّ طبيعة العمل الأدبيِّ تتنافى مع طبيعة العمل الرَّسْمِيِّ؛ لذلك فإنَّ الــسُّؤَال حول حركتي بين السِّيَاسَة وَالشِّعْر هو سؤالٌ مجازيٌّ"([3])، يتعلَّــق بطبيعــة المعــارك الفكريَّــة وَالاجتماعيَّة، التي "تدور، مباشرةً، في دائرة المعركة السِّياسيَّة، سواء كانت الــسُّلْطة الطَّــرف الآخر وَالمباشر، وَسواء كان الفكر الرَّجْعِيُّ أو الانتهازيُّ أو الْعَدَمِيُّ محفوفًا بعطف الــسُّلْطة أو تأييدها أو لا يعدو كونه جنديًّا من جُنُودِهَا"([4]).

وَقد وجدنا في وحي ذلك؛ أنَّ شعر المقاومة "قد وجد طريقه من أوَّل يومٍ، وَأضــاء حقــل المعركة المرهقة بإنسانيَّته الخالية من الألوان وَالأصوات، وَحقَّق وحده نصرًا شبه واضحٍ داخل جُدْرَان إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ]. وَلعلَّ مَحْمُود دَرْوِيش الذي (يعيش) في إســرائيل [الكيــان

---

[1]) غليون، د. بُرْهَان، (١٩٨٥م)، **اغْتِيَالُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ ــ مِحْنَةُ الثَّقافةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ السَّلَفِيَّةِ وَالتَّبَعِيَّــةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار التَّنْوير للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، ص٩٩.

[2]) نَصْر الله، فُؤَاد، (٢٠٠٧م)، **تَجَلِّيَاتُ الْعَوْلَمَةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ــ مُقَارَبَةٌ حَــضَارِيَّةٌ أَدَبِيَّــةٌ (١٩٩٥ ــ ٢٠٠٤م)**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الانتشار العربيّ، ص١٥٥؛ وَللوُقُوف على تَحْلِيل الكَاتِب بعض جوانب "الجِدَارِيَّة"، يُنظَر: **نفسه**، ص١٥٥ ــ ١٨٣، (٨ ــ ٤: عَوْلَمَةُ الشَّرِّ، وَثُنَائِيَّــاتُ الإِخْــوَةِ / الأَعْــدَاءِ)؛ وَللاطِّلاع على الظَّواهر الأسلوبيَّة فيها، يُنظَر: القضاة، د. مُحمَّد أَحْمَد، (يُونيُو٢٠٠٩م)، الظَّوَاهِرُ الأَسْلُوبِيَّةُ فِي جِدَارِيَّةِ مَحْمُود دَرْوِيش، **مجلَّة جَامِعَة الشَّارِقة للعُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة**، ٦(٢)، ٢٤٥ ــ ٢٩١.

[3]) مَجْمُوعة كُتَّاب، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ الْمُخْتَلِفُ الْحَقِيقِيُّ: دِرَاسَاتٌ وَشَهَادَاتٌ**، ص٣٤٥.

[4]) دَرْوِيش، **شَيءٌ عَنِ الْوَطَنِ**، ص٢٦٢.

الصُّهيونيّ] نفسها تجسيدٌ حقيقيٌّ لشكل هذا الانتصار؛ (فالحياة مع اليهود) عملٌ مختلفٌ كُلّيَّةً عمَّا تستطيع أن تُحقّقه السِّياسَة العربيَّة تحت كُلِّ الظُّرُوف"([1]).

وَنلمح في الصُّورَة الإجماليَّه لأنا السِّيَاسَة، علاقةً مصطرعةً بين الـذَّات وَالآخَـر؛ فعنـد دَرْوِيش "يدخل الخاصُّ وَالعامُّ في علاقةٍ قلقةٍ دائمةٍ؛ حيث تكون قُوَّة الأوَّل، غير مُتلائِمـةٍ مـع اختبارات الصَّوَاب السِّياسيِّ وَالسِّياسَة، التي يقتضيها الثَّانِي"([2]).

بهذا كلّه تتبدَّى القصيدة الشِّعْريَّة في عالم السِّياسَة؛ بوصفها "سُلْطةً معرفيَّةً مُسَيَّسَةً؛ لتوظيف العُنْف المعنويِّ في قوالب أدبيَّةٍ، تتميَّز بالمقاومة البنَّاءة، تجاه إدارة الأوضاع الاجتماعيَّة. لكـنَّ هذه السُّلْطة تستمدُّ قُوَّتها من كونها اجتماعيَّةً ذات فعاليَّةٍ جَمْعِيَّةٍ، تُوازِن بين الـصِّيَغ الجماليَّـة للكلمة، وَبلا أدنى شَكٍّ فأن تكون الظَّواهِر الثَّقافيَّة في النَّسْغ الهجوميِّ للقصيدة، يستند إلى كـون القصيدة نصًّا سياسيًّا يتعامل باحترامٍ مع الدِّين وَما يتفرَّع عنه، وَالاقتصاد وَالأخلاق وَالتِّجـارة وَالعلم وَالطَّبيعة وَالفلسفة ... إلخ"([3]).

---

[1]) النّيهُوم، **أسْئِلَةٌ ــ مَكْتَبَة النّيهوم ــ سِلْسلة مَقَالات (٢)**، ص١٠٠.

[2]) مَجْمُوعة كُتَّاب، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ الْمُخْتَلِفُ الْحَقِيقِيُّ: دِرَاسَاتٌ وَشَهَادَاتٌ**، ص٢٧٦، (شهاداتٌ على الشَّاعِر ــ تَلاحُم عَسِير للشِّعْر وَالذَّاكِرة الجَمْعيَّة، إدْوَارد سَعِيد، تَرْجَمة: صُبْحِي حَدِيدِي).

[3]) أبُو عوَّاد، إبْرَاهِيم، (٢٠٠٩م)، **مَدْخَلٌ إِلى عِلْمِ اجْتِمَاعِ الْقصِيدَةِ**، (ط١)، عمَّان: دَار اليَازُورِيّ العِلْميَّة للنَّـشْر وَالتَّوْزِيع، ص٧٩، (تَفرُّعات القَصِيدة كسُلْطةٍ سياسيَّةٍ).

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: صُوَرُ الأَنَا السُّلْطويَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

ــ صُورَةُ الأَنَا الدِّينِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

إذا ما عرَّجنا على صُورَة الأنا السُّلْطويَّة، في تبدِّيها الدِّينيِّ؛ ألفينا المُتنبِّي ساعيًا إلى حُضُورها في خِطَابه؛ لغاية الحُصُول على مرتبة السُّمُوِّ في حضرة ممدوحيه، وَهي مع ذلك لم ترق لمستوى الحُضُور السُّلْطويِّ الفَاعِل، مع انتهاك المُحَرَّم الدِّينيِّ، في سياقاتٍ شعريَّةٍ محدودةٍ جِدًّا.

أمَّا مَحْمُود دَرْوِيش؛ فقد بدا أكثر حفاوةً بانتخاب المضامين الدِّينيَّة، المُكرِّسة سُلْطة الخِطَاب الأدبيِّ، في الدِّيَانَات الثَّلاث: الإسْلام وَالمسيحيَّة وَاليهوديَّة، مع اتِّخاذه سُبُلَ المُبَاشَرة وَالتَّلْميح وَالإشَارَة، في استلاله الوَاعِي من الدِّيانات السَّابقة؛ من حيث المَضَامِين العقيديَّة، وَالنُّصُوص الدِّينيَّة، وَالشَّعَائِر الطَّقسيَّة، وَالمُكوِّنات المَعْبديَّة؛ وَالغَاية الكَامِنة وراء ذلك تتمثَّل في التَّعْبير عن موقفه الثَّقافيِّ العامِّ، في ضرورة تحقيق التَّعايُش السِّلْمِيِّ، بين أتباع الدِّيَانَات الثَّلاث، في رحاب المَدِينة المُقدَّسة وَأكنافها، التي شكَّلت مهدًا أصيلاً لها.

كما غلَّف دَرْوِيش نِتَاجه الشِّعْريَّ، من بدايته وَحتَّى نهايته، بالأسْطورة الأُمُوميَّة، التي حضرت فيها "عناة"، بوصفها إلهة الكنعانيِّين، مع تبدِّي رُمُوزها الإنسانيَّة وَالنَّباتيَّة وَالحيوانيَّة وَالكَوْكبيَّة والنَّجْميَّة، فضلاً عن حُضُور الطُّقُوس الأسْطوريَّة المُتعلِّقة بها، من مثل: الزَّوَاج الإلهيِّ المُقدَّس، وَالاستسقاء المَطَريِّ، وَبدائلها التَّكْوينيَّة: كالصَّدَفة بدُرَّتِهَا، وَالبَحْر بزَبَدِهِ؛ مِمَّا ينمُّ عن معرفةٍ عاليةٍ بالأساطير السَّاميَّة القَدِيمة، التي تبدَّت في بعض دواوينه سِفْرًا نَاطِقًا بها، على نحو ما قرأنا في أساطير أكَّاد وَسُومَر؛ وَأصدق تجلِّيات ذلك عنده مَجْمُوعَة "**سَرِير الْغَرِيبَةِ**".

وَلانتهاك القَدَاسة الدِّينيَّة أن يتجلَّى، في التَّوْظيف المُتكرِّر لأسماء الجَلالَة الإلهيَّة "الله" وَ"الرَّبّ" وَ"الإله"، في غير سياقاتها، مع انزلاق الشَّاعِر إلى مُخَاطَبَة الذَّات الإلهيَّة، على نحوٍ مُجانِبٍ لصلة العُبُوديَّة البشريَّة مع الخَالِق ﷻ، مع إدراكنا توظيف بعض هذه المُؤشِّرات الإلهيَّة، ضمن مذهبه الرَّمْزيِّ، في التَّعْبير عن سِيَاقَاتٍ مُتَّصِلَةٍ بالسِّيَاسَة، من قبيل تأليه الحَاكِميَّة.

ـ صُورَةُ الأَنَا الاجْتِمَاعِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

شهدت السُّلْطة الاجتماعيَّة للأنَا عند المُتنبِّي، تَوقُّفًا مُتأنِّيًا، عند ظَوَاهِر اجتماعيَّـــةٍ مُحـــدَّدةٍ؛ لغايتي: التَّنْوير وَالإصْلاح، من خلال رُؤْيته الذَّاتيَّة، مع إرسائه نهج التَّعامُل مع خاصَّة النَّـــاس وَعامَّتهم، وَتخصيصه الغَادِرين بِالعِقَاب الرَّادِع، ممثَّلاً في القَتْل وَالتَّنْكيل؛ وَدلالة هذا كلّه خبرته الاجتماعيَّة وَمهارته الاتِّصاليَّة، التي خصَّ بها ــ في خِطَابه الشِّعْريِّ ــ طبقة السَّاسَة غالبًا، مع اتِّسام صُورَته الاجتماعيَّة بِالشَّكْوى الدَّائِمة من الزَّمَان وَأهله، تلك التي أدخلته في نطاق التَّشاؤُم؛ فانعكست على نظرته الأسريَّة للوَلَد، المُنْمَازَة بِالسَّلْب؛ لما يستجلبه من مَزِيد القَلَق وَالخَوْف.

وَكان أن ظهر المُتنبِّي بِسُلْطته الاجتماعيَّة الاشتماليَّة، من خلال تملُّكه السُّلطات الاجتماعيَّة وَالمَعْرفيَّة الفِكْريَّة وَالسِّياسيَّة. ثُمَّ إنَّ المُفَارَقَات بدت ظاهرةً في ثلاث قضايا مُهمَّةٍ؛ تمثَّل أوَّلها في الفَخْر بِعِفَّته، مع انتهاكه الحَيَاء في بعض هِجَائيَّاته، وَحضرت المُفَارَقتَـــان الأُخْرَيَـــان فـــي توظيفه استراتيجيَّتَيْن وَعلاقتَيْن مُتباعِدتَيْن؛ لتكون استراتيجيَّة التَّعقُّل في مُقابِل العِقَاب، وَعَلاقَـــة التَّصالُح الدَّائِم في مُوَازَاة التَّصادُم المباشر؛ هذا كلُّه وفق منبع السُّلْطة الاجتماعيَّة، المُنطلِقة من دَوَاخِل الأنَا.

أمَّا السُّلْطة الاجتماعيَّة عند درويش؛ فقد ظهرت على نمطَيْن؛ اتَّصل أحدهما بالأنَا المُفْرَدة، وَاتَّجه الآخَر للنُّطْق بِـ"نا" الجَمَاعَة، بغير دَالٍّ ضميريٍّ؛ وَكانت غاية كليهمـــا قـــراءة الـــدَّاخِل الفلسطينيِّ بِآماله وَإحباطاته، وَصُعُوده وَنُكُوصه، كما عزَّز المُثقَّف من خلالهمـــا قـــيم الثَّبَـــات وَالصُّمُود وَالتَّحدِّي، مبينًا في ثناياهما عن موقفه من السُّلْطات السِّياسيَّة: الفلــسطينيَّة وَالعربيَّـــة وَالصُّهيونيَّة وَالعالميَّة.

وَتمثَّل الشَّاعِر السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة، المُتضمِّنة سُلطات: المَعْرفة الفِكْريَّة وَالسِّيَاسَة وَالدِّين، مع ضرورة تفسير ارتباط الشَّاعِر المُثقَّف بِالْمَلَكِيَّةِ السِّياسيَّة، في هذا الإطـــار تحديـــدًا، بِمُعَاصَرته القِيَادة الفلسطينيَّة، وَانضوائه للعمل تحت رايتها، منذ مطلع السَّبعينات؛ مِمَّـــا أهَّلَـــه لِقراءة الوَاقِع السِّياسيِّ الفلسطينيِّ وَالتَّنبُّؤ بِمُستَقبله.

ـــ صُورَةُ الأَنَا الاقْتِصَادِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

حين نوجز لِصُورَة السُّلْطة الاقتصاديَّة في أنَا المُتنبِّي؛ فإنَّنا سنقع على تملُّك المَال جُلَّ اهتمامه؛ لكونه السَّبيل المُوصِل إلى السِّيَادَة وَالمَجْد، مع عدم حفاوته بتملُّك الاستجماع، أو بذل الكَرَامة بالطَّلَب، وَإن بدا التَّلْميح المُقترِب من التَّصْريح أحيانًا، لِلمِنَح وَالعَطَايَا، ديدنه في مدائحه المُوجَّهة إلى السَّاسَة وَالأسْيَادِ، مع مُنَافَسته إيَّاهم في بعض الأحايين على المَال؛ لاعتقاده بأحقِّيَّته في تملُّكه؛ لغاية بُلُوغ المُلْك المُوصِل إلى سَطْوة القُوَّة؛ وَبها يكون له أن ينتقم من العُدَاةِ وَالوُشَاة وَالحُسَّاد، لكنَّ بحثه الدَّائِب عن المَجْد بوسيلة المَال؛ أسلمه إلى حالة التَّرْحَال، التي لم تتبدَّ عن نتيجةٍ ظاهرةٍ.

وَنَلحظ عند مَحْمُود دَرْوِيش، ظُهُور السُّلْطة الاقتصاديَّة للأنَا، على نحوٍ خَافِتٍ، مع تحقيقها قيم الثَّبَات وَالصُّمُود وَالتَّحدِّي، في السِّيَاق الاجتماعيِّ الفلسطينيِّ، السَّاعِي لاكتساب قُوت العَيْش بالْكَدِّ في مُحتَضن الوَطَن، ثُمَّ ليتبدَّى الجَانِب الرِّبْحِيُّ في إطاره السّلبيِّ، مُتَّصِلاً بالدَّاخِل الفلسطينيِّ، من جهة بيع مِلْح الأُمُومة، بثمنٍ بَخْسٍ نسبةٍ مئويَّةٍ، مع تسديد الفلسطينيِّ النِّسبة من مِلْح خُبْزه.

وَحين يتعلَّق التَّبصُّر السُّلطويُّ الاقتصاديُّ، بالإطار العربيِّ؛ فإنَّنا نغدو مع صُورَة تصدير النِّفْطِ إلى الخَارج العالميِّ بسعرٍ عالٍ، مع خَطٍّ مُعاكِسٍ لتصدير الحُرُوب نحو الدَّاخِل الفلسطينيِّ، وَكان هذان التَّشْكيلان بيانًا ثقافيًّا بِسُلْطة الاقتصاد؛ لابتياع المَصَالِح على أنقاض القضيَّة.

أمَّا أنَا مَحْمُود دَرْوِيش الاقتصاديَّة، في هذا كلِّه؛ فكائنةٌ في صِيَاغَة الخِطَاب الشِّعْرِيِّ برُؤْيَةٍ اقتصاديَّةٍ فذَّةٍ، لها أصلٌ في شخص المُثقَّف، الذي درس "الاقتصاد السِّيَاسيَّ"، في (مُوسكُو)، سنة (١٩٧٠)م، ثُمَّ غادرها إلى مِصْرَ بعد عامٍ.

ـ صُورَةُ الأَنَا الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

بدت السُّلْطة المَعْرفيَّة الفِكْريَّة عند المُتنبِّي، في صُورَة التَّعَالِي الذَّاتِيِّ الوَاضِح، التي عقد الشَّاعِر في رحابها المُوَازَنَات المُتَكاثِرة؛ لغاية إلصاق السُّمُوِّ بنفسه، وَإنزال الآخرين من المُتَشَاعِرين المُنْتَحِلِين شعره منزلة الدُّون، في مُفَارَقَة التَّوْظيف الاستراتيجيِّ، للاسترضاء على مُستَوى الذَّات، وَالتَّجْميد العِقَابيِّ للآخَر.

وَقد اتَّصل ذلك بمدائحه في سَيْف الدَّوْلة وَأبي العَشَائِر وَأبي الفَضْل الأنطاكيِّ، التي لم يجاره فيها مُجَارٍ؛ لِقُدْرته على استجلاب الغريب الصَّعْب، وَإحكامه إبداع السَّبْك، بينما تعثَّر الآخرون في السَّهْل، وَكان هؤلاء جميعًا دَاخِلين في نطاق الحُسَّاد، الذين تبدَّوا في غالبيَّة قصائده؛ فكانوا هَاجِس نَقْدِهِ اللاذِع على الدَّوَام.

وَاتَّصلت ببراعته الشِّعْريَّة مُفَارَقَة الْغَرَضِيَّةِ، في تضمُّن المَدْح وَمَضَات الهجَاء، لا سيَّما فيما يخصُّ كافوراً، كما حضرت الأنظار النَّقْديَّة الخَافِتة، التي تصبُّ في باب الانتصار للذَّات، من خلال صلة المُستَوى الشِّعْريِّ بقدر الإِجَازَةِ، وَفساد شعر أهل زمانه.

وَعزَّزت أربع ظواهر سُلْطة الشَّاعِر في هذا المقام؛ وَهي الحِكْمة المُستَدعاة من المَوْروث الإنسانيِّ العامِّ، مع براعة التَّشْكيل وَالرُّؤْية؛ وَالإجَازَة المبينة عن مُقَارَعَة الشُّعَرَاء الآخرين، باختلافٍ في حركة الحَرْف الذي يلي الرَّوِيَّ، وَإبداع في اللُّغة وَالتَّصْوير وَالسَّبْك؛ وَالارتجال الكَاشِف قُدْرة النَّظْم في كُلِّ سياقٍ تتطلَّبه آنيَّة الحَوَادِث وَالمُنَاسَبات؛ وَبَدَاهَة الصِّبَا؛ المُعبِّرة عن حَمَاسة الشَّاعِر في مجالي المَعْرفة وَالفُرُوسيَّة، على ما في الارتجال وَالبداهة من مثلبةٍ عند بعض العُلَمَاء؛ مِمَّا ينمُّ في المُجمَل عن توظيفه السُّلْطة المَعْرفيَّة الفِكْريَّة؛ لترسيخ عُلُوِّهِ في العالمين.

وَتجاوزت سُلْطة مَحْمُود دَرْوِيش المَعْرفيَّة الفِكْريَّة، النِّطَاق المُتجلِّي، عند المُتنبِّي؛ لتتضمَّن حُقُول: المَعْرفة الشِّعْريَّة، وَالبلاغيَّة، وَالنَّقْديَّة، وَالتَّاريخيَّة، وَالأُسْطوريَّة، وَالحِكْمة الفلسفيَّة، بِحُضُور مُتفاوِتٍ بينها جميعًا؛ إذ عُنِيَ بِالكَشْف المَعْرفيِّ في هذه الأُطُر، بما يتَّصل مع مضمون قَصِيده، مُجَسِّدًا في الشِّعْر وظائفه، وَمُعطِيًا للبَلاغَة في الاستِعَارة وَالكِنَاية وَالمَجَاز قُدْرتها الفَائِقة،

على البَرَاعَة تارةً، وَالمُرَاوَغَة تارةً أخرى، ثُمَّ مُكَرِّسًا بعض الأنظار النَّقْدِيَّة، من قبيل ما يتعلَّق باستجلاء مفهوم قَصِيدة النَّثر[1]، إلى خلاف ذلك.

وكان التَّاريخ عدَّته في استلال القَوَالِب المضمونيَّة القَدِيمة، لأبنيته الشِّعْرِيَّة الحَدِيثة؛ لغاية إسقاط الحَالَة التُّرَاثِيَّة؛ على الوَاقِعة المُعَاصِرة، بتوظيف تقنيات: التَّناصّ وَالقِنَاع وَالرَّمْز وَالأسْطَرَة.

وَقد ألفينا درويش مُعانِقًا للأسْطورة الأمُوميَّة، من مُبْتَدأ الرَّحِيل إلى مُنتَهاه، مع تَصاعُد المضامين الأسْطوريَّة حضورًا، وفق خَطٍّ مُعَاكِسٍ لانحدار السَّاسَة في زَمَن السَّلام؛ لتكون الحِكْمة المُدَّغِمَة بِالطَّابَع الفلسفيّ عُلُوَّهُ على سَقَطَاتِ الذَّات وَالآخَر، وَقراءةً أخيرةً لِخُلاصَات المَحَطَّات الحَاسِمة في تاريخ القضيَّة، وَكانت هذه جميعًا تكريسًا منه لِسُلْطته المَعْرفيَّة، السَّاعِية إلى إرساء الوَظَائِف السَّامِقة لِلخِطَاب الأدبيِّ؛ لغاية قراءة المَسِيرة التَّاريخيَّة للثَّوْرة في مراحلها كافَّة؛ وُصُولاً من ذلك كلّه إلى نَقْدِ التَّنْوير وَإصْلاح التَّغْيير.

[1]) حَوْل قَصِيدَة النَّثر، يُنظَر: قطوس، د. بَسَّام، (١٩٩٧م)، قَصِيدَةُ النَّثرِ: قِرَاءَةٌ فِي اتِّسَاقِ النَّصِّ وَانْسِجَامِ الْخِطَابِ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٢(٢)، ص١٢٣ ــ ١٤٨؛ وَفي التَّمَاسِّ بين الشِّعْرِيِّ وَالنَّثْرِيِّ، يُنظَر: عبد الهَادِي، ناول، (مارس١٩٩٧م)، النَّقْدُ وَأَجْنَاسِيَّةُ الإِبْدَاعِ عِنْدَ النُّقَّادِ الْعَرَبِ الْمُعَاصِرِينَ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٢(٢٣)، ص٣٣٩ ــ ٣٦٤؛ وَلاستجلاء المَفْهُوم وَالمَلامِح وَالقَضَايا المُتَّصِلة بِقَصِيدَة النَّثر، يُنظَر: يحياوي، رَشِيد، (مَايُو١٩٩٩م)، قَصِيدَةُ النَّثرِ ــ مُغَالَطَاتُ التَّعْرِيفِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٨(٣٢)، ص٥٤ ــ ٧٨؛ وَيُنظَر: مخافي، حسَن، (إبريل٢٠٠٤م)، الأُسُسُ النَّظَرِيَّةُ لِقَصِيدَةِ النَّثرِ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ (مَرْحَلَة التَّأْسِيس)، **مجلَّة نزوى**، (٣٨)، ص١٢٩ ــ ١٤٥؛ وَيُنظَر: الْحُسَيْنِي، د. مَحْمُود، (يُونيُو١٩٩٩م)، الْحَرَكَةُ الدَّاخِلِيَّةُ فِي قَصِيدَةِ النَّثرِ، **أَدَب وَنَقْد**، (١٦٦)، ص٩٨ ــ ١٠٨؛ وَيُنظَر: بَكْر، أَيْمَن، (أغسطس٢٠٠٢م)، قَصِيدَةُ النَّثرِ: مَلامِحُ جِيلٍ جَدِيدٍ، **أَدَب وَنَقْد**، (٢٠٤)، ص١٠٤ ــ ١٢١؛ وَيُنظَر: الفريجات، عَادِل، (دِيسمْبر٢٠٠٢م)، إِشْكَالاتُ قَصِيدَةِ النَّثرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٦)، ص٣٤٩ ــ ٣٧٢؛ وَيُنظَر: الهويمل، حَسَن بن فَهْد، (يُونيُو٢٠٠٤م)، قَصِيدَةُ النَّثرِ وَإِشْكَالِيَّةُ الشَّكْلِ وَالشَّرْطِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٣(٥٢)، ص٢٧٢ ــ ٣٠٥؛ وَيُنظَر: البازعي، د. سَعْد، (مَايُو٢٠٠٩م)، قَصِيدَةُ النَّثرِ وَعِبءُ الْمَوْرُوثِ: الجَزِيرَة وَالعَالَم، **أَدَب وَنَقْد**، (٢٨٥)، ص٤٥ ــ ٥٥؛ وَفي إشكاليَّة التَّجْنيس الأدبيِّ بعامَّة، يُنظَر: عبد الله، فَتِيحَة، (مارس٢٠٠٥م)، إِشْكَالِيَّةُ تَصْنِيفِ الأَجْنَاسِ الأَدَبِيَّةِ فِي النَّقْدِ الأَدَبِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٥)، ص٣٤٩ ــ ٤٠٠؛ وَعن المُوسِيقَى الدَّاخِلِيَّة وَأزمة قَصِيدَة النَّثر، يُنظَر: اللّبدي، أيْمَن، (يُونيُو٢٠٠٤م)، **الْمُوسِيقَى الدَّاخِلِيَّةُ فِي النَّصِّ الأَدَبِيِّ وَأَزْمَةُ قَصِيدَةِ النَّثْر**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص٢ ــ ١٧.

ــ صُورَةُ الأَنَا الثَّقَافِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

جسَّدت السُّلْطة الثَّقافيَّة عند المُتنبِّي، انتصارًا لِلسُّمُوِّ الذَّاتيِّ، من خلال قراءة الظَّوَاهِر المُلتصِقة به، من مثل: نهجه في طلب المَجْد، وَالتَّعَالِي المَعْرفيِّ الفِكْريِّ، وَالتَّرْحَال الدَّائِم، وَالشَّكْوى، وَالاغْتِرَاب، وفق الرُّؤْية المُكرِّسة فوقيَّة المُتنبِّي، على الوَقَائِع وَالشُّخُوص، المُتبدِّية في نطاق هاتيك الظَّوَاهِر، مع ظُهُور المُفَارَقة فيها؛ ترسيخًا لموقفه الثَّقافيِّ من السُّلطات السِّتِّ بعامَّة، وَالسُّلْطتَيْن السِّيَاسيَّة وَالمَعْرفيَّة بخاصَّة، ضمن مفارقتي: التَّصالُح وَالتَّصادُم، وَالتَّحالُف وَالتَّجْميد العِقَابيِّ.

وَعلى غير الغاية السَّابقة؛ سعى دَرْوِيش إلى توظيف سُلْطته الثَّقافيَّة، من خلال النُّطْق بالضَّمِير الفَرْديِّ وَالجَمْعيِّ؛ لاستجلاء الأحداث الحَاسِمة في مَسِيرة الثَّوْرة الفلسطينيَّة، التي تتمثَّل في التَّهْجير وَحَمَاسَة الثَّوْرة وَالنَّفْي وَالانْكِفَاء، وُصُولاً إلى السَّلام المَوْهوم، مع تبدِّي موقفيَّته المُلتحِمة بالرُّؤْية الجَمْعيَّة، في ظلال الأحداث المُنضوية، ضمن المَحَطَّات المفصليَّة السَّابقة، وَهي: النَّكْبة وَالنَّكْسة وَانتصار (١٩٧٣)م المَجْزوء وَحِصَار "بَيْرُوت" وَاتِّفَاق (أُوسلُو) وَحِصَار رَام الله وَالانشقاق الفلسطينيُّ الدَّاخِليُّ، مع إدراكنا وُضُوح مُدَاهَنة الثَّقافيِّ للسِّيَاسيِّ في مواطن كثيرةٍ.

وَيُفَسَّرُ ذلك في ضوء انتمائه لِمُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة، وَعمله رئيسًا لِتحرير مجلَّة "شُؤُون فلسطينيَّة"، في مرحلة السَّبْعينات، ثُمَّ انتخابه عُضوًا للجنة التَّنْفيذيَّة لِمُنظَّمة التَّحْرير سنة (١٩٨٧)م، وَعمله مُستَشارًا للرَّئِيس يَاسِر عَرَفات، حتَّى استقالته من اللَّجْنة التَّنْفيذيَّة سنة (١٩٩٣)م؛ احتجاجًا على اتِّفَاق (أُوسلُو).

لكنَّ مواقف دَرْوِيش الثَّقافيَّة، من مرحلة التَّسْليم، لم تبد في نطاق المُوَاجَهة المباشرة، وَإنَّما تباينت بين المُبَاشَرة وَالتَّلْميح، مع نُزُوعها إلى الإطار الثَّانِي، من خلال توظيف الرَّمْز [1]

[1] لاستجلاء مَفْهُوم الرَّمْزِيَّة وَأغراضها عند الغَرْب، يُنظَر: كَرَم، أنطوان، (١٩٤٧م)، **الرَّمْزِيَّةُ وَالأَدَبُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان، ص١ ــ ١٣؛ وَحَوْل عَلاقَة الشِّعْر بِالرَّمْز، يُنظَر: نَاصِف، د. مُصْطَفى، (١٩٦٥م)، **مُشْكِلَةُ الْمَعْنَى فِي النَّقْدِ الْحَدِيثِ**، (د. ط)، مِصْر: مَكْتَبة الشَّبَاب، ص٨٨ ــ ١٠٣، (الفَصْل السَّابِع: قِرَاءَة الرَّمْز)؛ وَيُنظَر في مَضْمُون الدِّرَاسَة السَّابِقة: سلوم، تَامِر، (دِيسمْبر١٩٩٧م)، مُشْكِلَةُ الْمَعْنَى فِي النَّقْدِ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٦)، ص٨٩ ــ ١١٦؛ وَحَوْل الرَّمْزِيَّة، يُنظَر: الزَّاهِي، فَرِيد، (مَايُو٢٠٠٧م)، النَّصُّ الأَدَبِيُّ مِنَ الرَّمْزِيَّةِ إِلَى التَّأْوِيلِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**،=

وَالأسْطورة([1]) وَالقِنَاع؛ وَتشكَّلت في هاتيك المرحلة ثلاث ظواهر جديرة بِالدِّرَاسَة؛ تتمثَّـل فـي التَّوسُّط بين المنزلتَيْن، وَالانشطار الضَّمِيريّ، وَرثاء الذَّات المُشْرفَة على الرَّحِيل، وَهي مُؤطَّرَةٌ جميعًا بِمرحلة الانكفاء عن أداء الدَّوْر التَّنْويريِّ الوَاثِق.

أمَّا السِّيَاق العامُّ لِنِتَاج الشَّاعِر المُثقَّف؛ فَيُظْهِرُ ترسيخه وظائف الخِطَاب الأدبـيِّ؛ لِخدمـة المَوْقف الثَّقافيِّ؛ تلك التي تتمثَّل في: في التَّحرُّر، وَإدراك الجَوْهر، وَالتَّغْيير، وَالنَّقْد، وَالكَـشْف؛ خُلُوصًا إلى الثَّوْرة على الأنَا وَالآخَر، مع تبدِّي نماذج المُثقَّفين على الصَّعِيدَيْن: الذَّاتيِّ وَالغَيْريِّ؛ لِتُقَدِّمَ النَّمَاذِجِ الكُلِّيَّة للمُثقَّفين ترجمةً لمسيرته الشَّخْصيَّة، التي ظهرت مُتسلسِلةً في صور: المُثقَّف الحُرِّ، وَالمُثقَّف الثَّائِر، وَالمُثقَّف الشَّهيد، وَالمُثقَّف التَّابع، وَالمُثقَّف التَّابع للحَاكِم، وَالمُثقَّف الحَاكِم، وَالمُثقَّف المُنكفِئ، وَالمُثقَّف المُتَنَاقِض، وَالمُثقَّف الرَّاحِل.

=١٦(٦١)، ص١٧٩ ــ ٢٠٧؛ وَفي الرَّمْز، نقرأ: عبد الرَّحْمن، د. عبد الهَادِي، (١٩٩٤م)، **سِـحْرُ الرَّمْـزِ ــ مُخْتَارَاتٌ فِي الرَّمْزِيَّةِ وَالأسْطُورَةِ**، (ط١)، اللاذقيَّة: دَار الحِوَار للنَّشْر وَالتَّوْزِيـع، ص٩، ١٠، (مُقَارَبَـةٌ فِـي الرَّمْزِيَّةِ)، وَفيما يخصُّ علاقة الصُّورَة بِالرَّمْز، يُنظَر: كندي، مُحمَّد علِيّ، (٢٠٠٣م)، **الرَّمْزُ وَالْقِنَاعُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ (السَّيَّاب وَنَازِك وَالبيَّاتِي)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الكِتَاب الجَدِيد المُتَّحِدة، ص١٧ ــ ٦٠، (التَّمْهيد: الصُّورَة وَالرَّمْز).

[1]) للاطِّلاع على الرَّمْز وَالأسْطُورة، في شعر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: إبْرَاهِيم، **بِنْيَةُ الْقَصِيدَةِ فِي شِعْرِ مَحْمُـود دَرْوِيش**، ص١٤٦ ــ ١٧٠، (المَبْحث الخَامِس من الفَصْل الثَّانِي: الرَّمْز وَالأسْطُورة في شعر مَحْمُود دَرْوِيش)؛ وَفي الرَّمْز عند مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: الزُّعْبي، د. أحْمَد، (٢٠٠٩م)، الشِّعْرُ فِي فِلَـسْطِينَ وَالأرْدُنِّ (١٩٥٠ ــ ٢٠٠٠م). فِي: د. إبْرَاهِيم خَلِيل وَ د. مُحمَّد عبيد الله وَ د. شُكْرِي عَزِيز مَاضِي وَ د. سَمِير قَطَـامِي، مُرَاجَعَـة وَتَقْدِيم: أ. د. صَلاح جرَّار، **مَعَالِمُ الْحَـيَاةِ الأدَبِيَّـةِ فِي فِلَسْطِينَ وَالأرْدُنِّ (١٩٥٠ ــ ٢٠٠٠م)**، (ص: ٩٥ ــ ٢٧٢)، (ط١)، عمَّان: عبد الحَمِيـد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسـة العَرَبِيَّـة للدِّرَاسَـات وَالنَّـشْر، ص١٩٧ ــ ٢٠٢؛ وَبِخُصُوص العَلاقَة بين الشِّعْر وَالأسْطُورة، يُنظَر: نَاصِف، **مُشْكِلَةُ الْمَعْنَى فِي النَّقْدِ الْحَدِيثِ**، ص١٠٤ ــ ١٢٦، (الفَصْل الثَّامِن: الأسْطُورة وَالشِّعْر)؛ وَحَوْل دِرَاسَات (رُولان بَارث) في الأسْطُورة، يُنظَر: الحكمي، عبد الوَهَّاب علِيّ، (مارس١٩٩٧م)، رُولان بَارث، دِرَاسَةٌ فِي تَطَوُّرِ آرَائِهِ فِي نَقْدِ الأدَبِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٦(٢٣)، ص٣٠٨ ــ ٣١٦؛ وَيُنظَر: شعث، د. أحْمَد جَبْر، (٢٠٠٢م)، **الأسْطُورَةُ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، خَان يُونُس: مَكْتَبَة القَادِسيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١ ــ ٣٨، (التَّمْهيد: ١ــ مَفْهُوم الأسْطُورة وَمَوْقِعها في العُلُـوم الحَدِيثة. ٢ ــ الأسْطُورة وَالشِّعْر)؛ وَحَوْل مَفْهُوم الأسْطُورة وَوَظِيفتها، يُنظَر: الْجَزَائِـرِيّ، **تَخْـصِيبُ الـنَّصِّ: الأسْطُورَةُ ــ السِّيرَةُ الشَّعْبِيَّةُ ــ الرَّمْزُ**، ص٢٧ ــ ٣٥، (مِنَصَّةُ التَّأْسِيس، ١ ــ الأسْطُورة: المَفْهُـوم وَالنَّظَـر (اشتغال العَقْلِيِّ وَالتَّارِيخانِيِّ)؛ وَيُنظَر: قوبعة، مُحمَّد، (٢٠٠٠م)، **الرُّومَنْطِيقِيَّةُ وَمَنَابِعُ الْحَدَاثَةِ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ (الرَّابِطَة القَلَمِيَّة أُنْمُوذَجًا)**، (د. ط)، تُونس: جَامِعَة الآدَاب وَالفُنُون وَالعُلُوم الإنسانيَّة ــ كلِّيَّة الآدَاب ــ منوبـة، ص٤٠٦ ــ ٤١٣، (الفَصْل الأوَّل من البَاب الخَامِس: الشِّعْر وَالأسْطُورة).

ـــ صُورَةُ الأَنَا السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

إذا ما أدركنا حُضُور الأنَا السِّياسيَّة عند المُتنبِّي؛ ألفيناها توَّاقةً إلى تملُّكهـا، مـن خـلال استراتيجيَّاتٍ عديدةٍ، رسَّخت معرفيَّتها الفَائِقة بالحَقْل السِّياسيِّ؛ وَالمُتنبِّي لذلك ارتحل طيلة حياته، وَخَصَّ السِّياسيِّين بمعظم مدائحه، مُوَظِّفًا الاسترضاء وَالاستمالة وَالاستعانة؛ ليدعو مـن خـلال التَّحالُف؛ إلى استنفار طاقات الآخر النَّصِير؛ لغاية تحصيل ما رأى أنَّه أحقُّ من مُلُوك زمانه به.

وَهذا ما رأيناه في نطاق الشِّعْر، نقدًا لاذِعًا للمُلُوك جميعهم، ذلـك الـذي ينـدرج ضـمن استراتيجيَّة العِقَاب، على نحو ما تبدَّى من صُورَة تَخاذُلهم، في الدِّفَاع عن حياض الأُمَّـة ضِـدَّ الآخَر الرُّومِيِّ، فضلاً عن الاقتتال الدَّاخِلِيِّ؛ لمآرب المَال وَالسُّلْطة؛ ليصل من هـذا كلِّـه إلـى استحقاق الفَرَادَة الْمَلَكِيَّةِ، القَابلة للتَّحقُّق من خلال النُّصْرة وَالعَوْن.

ولَم تكن السُّلْطة السِّياسيَّة مقصد دَرْوِيش الرَّئيسيَّ، وَإنَّما كانت وسيلة تعبيره عن مُقَاوَمَـة الاحتلال الصُّهيونيِّ، وَفيها نطق بالأنَا المُفْرَدَة وَالأنَا الجَمْعيَّة، فضلاً عن الادِّغَام مع المُنظَّمـة، في ضمير الجَمَاعَة "نَحْنُ"؛ لغاية توحيد السُّلْطتَيْن: الثَّقافيَّة وَالسِّياسيَّة، في تعزيز سُبُلِ الثَّـوْرة، وَهو بذلك كان حريصًا على تكريس الغَايَة النِّضاليَّة، بصرف النَّظَر عن المُسمَّى الحِزْبيِّ الـذي يُكرِّس ذلك.

فقد انتمى إلى الحِزْب الشُّيُوعِيِّ الإسرائيليِّ (راكاح)، في أوائل الـسِّتِّينات، فـي مرحلـة صُمُوده دَاخِل الوَطَن، مع اعتقاله أكثر من مَرَّةٍ عقب ذلك، ثُمَّ انتمـى إلـى مُنظَّمـة التَّحْريـر الفلسطينيَّة، بعد قراره الإقامة في القَاهِرة، وَعدم العَوْدة إلى حَيْفَا، لكنَّ انتخابه عُـضْوًا للجنـة التَّنْفيذيَّة لِمُنظَّمة التَّحْرير سنة (١٩٨٧)م، ثُمَّ عمله مُستَشارًا للرَّئِيس عَرَفَات، قد شـكَّل عَامِـل ضَغْطٍ على موقفه الثَّقافيِّ، من أفعال القِيَادَة السِّياسيَّة، المُنصرفة عن استكمال مشروع الثَّوْرة إلى السِّلْم؛ مِمَّا أسلمه إلى مرحلة المُكَاشَفَة المُستَتبعة بالقَمْع الضِّمْنِيِّ، وَالتَّقْريع الْجَلِيِّ، وَالبحث عـن المُبرِّرات المنطقيَّة لما يجري على أرض الوَاقِع؛ ليصل من خلال مَلَكِيَّتِهِ في "**الْجِدَارِيَّةِ**" إلى "**أَثَرِ الْفَرَاشَةِ**"؛ لالتماس الأَثَر الأخِير، في تَعثُّر المَسِير، مع استحكام الخِطَاب المبين عن اصـطراع الذَّات الفَرْديَّة وَالجَمْعيَّة.

الْفَصْلُ الثَّالِثُ

صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش

الْمَبْحَثُ الأَوَّلُ: صُورُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

ــ صُورَةُ الآخَرِ الدِّينِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

إنَّ المُطالَعة المستفيضة لدِيوَان المُتنبِّي؛ لتصل بنا إلى قناعةٍ راسخةٍ بشأن الآخر الدِّينيِّ، من حيث حضوره الذي تميَّز بالقلَّة، إذا ما قُورِن بالنِّتاج الشِّعْرِيِّ برمَّته، وَهو على ذلك يبين عن صور تكشف السِّمَات المعتلقة بالفِرَق وَالمُعتَقدات، وَالدِّين السِّياسيِّ وَالوظيفيِّ، إضافةً إلى رصد بعض الملامح الإيجابيَّة وَالسّلبيَّة في السُّلُوك الدِّينيِّ.

وَفيما يتَّصل بالفِرَق الدِّينيَّة، أضحت الصُّوفيَّة حاضرةً، من خلال مدح المُتنبِّي أبا عَلِيّ هَارُون بن عبد العزيز الأُورَاجِيَّ الكَاتِب، وَكان من المُتصوِّفة، وَقد أشرنا إلى هذه القصيدة في الصُّورة الدِّينيَّة لأنا المُتنبِّي؛ لغاية الدَّلالة على علمه بالطَّريقة الصُّوفيَّة.

أمَّا الوجه الذي يعوزنا هنا، فصورة الأُورَاجِيّ، التي تماهت بين الحُضُور الاقتصاديِّ وَالفكريِّ، مُشتمِلة في الوجهَيْن على سُمُوِّ التَّميُّز عن الآخرين، الذي تضمَّن مُفارَقة الوداد لأوليائه وَالخصومة مع أعدائه، مع استحضار قيمة ذلك كلّه في شخص الآخر الدِّينيِّ، قال الشَّاعِر([1]):

يُعْطِي فتُعْطَى مِنْ لُهَى يَدِهِ اللُّهَى ... وَتَرَى بِرُؤْيَةِ رَأيِهِ الآرَاءُ

مُتَفَرِّقُ الطَّمْعَيْنِ مُجْتَمِعُ الْقُوَى ... فكَأنَّهُ السَّرَّاءُ وَالضَّرَّاءُ

وَتبدَّت صورة المُتصوِّف، بما تضمَّنته من معاني الهَيْبة وَالعُلوِّ، التي فاق بها الخلائق في الجَمَال وَالشَّرَف، مِمَّا يندرج في باب الخِطَاب المشتمل على التَّأويل الرَّمْزِيِّ، المفتوح على مصراعيه، فقال المُتنبِّي([2]):

لَمْ تُسْمَ يَا هَارُونُ إلاّ بَعْدَمَا اقْـ ... تَرَعَتْ، وَنَازَعَتِ اسْمَكَ الأَسْمَاءُ

فَغَدَوْتَ، وَاسْمُكَ فِيكَ غَيْرُ مُشَارِكٍ ... وَالنَّاسُ فِيمَا فِي يَدَيْكَ سَوَاءُ

لَعَمَمْتَ حَتَّى الْمُدْنُ مِنْكَ مِلاءُ ... وَلَفُتَّ، حَتَّى ذَا الثَّنَاءُ لَفَاءُ

وَلَجُدْتَ حَتَّى كِدْتَ تَبْخَلُ حَائِلاً ... لِلْمُنْتَهَى، وَمِنَ السُّرُورِ بُكَاءُ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٠٥، (البَيْتان: ٢٧، ٢٨).

[2]) **نفسه**، ١: ١٠٧ ــ ١٠٩، (الأبيات: ٣٤ ــ ٤٧).

أَبْدَأتَ شَيْئًا مِنْكَ، يُعْرَفُ بَدْؤُهُ   وَأَعَدْتَ، حَتَّى أنْكِرَ الإبْدَاءُ
فَالْفَخْرُ عَنْ تَقْصِيرِهِ بِكَ نَاكِبٌ   وَالْمَجْدُ مِنْ أنْ تُسْتَزَادَ بَرَاءُ
فَإذَا سُئِلْتَ، فَلا لأنَّكَ مُحْوِجٌ   وَإذَا كُتِمْتَ، وَشَتْ بِكَ الآلاءُ
وَإذَا مُدِحْتَ، فَلا لِتَكْسِبَ رِفْعَةً   لِلشَّاكِرِينَ، عَلَى الإلَهِ ثَنَاءُ
وَإذَا مُطِرْتَ فَلا لأنَّكَ مُجْدِبٌ   يُسْقَى الْخَصِيبُ، وَتُمْطَرُ الدَّأْمَاءُ
لَمْ تَحْكِ نَائِلَكَ السَّحَابُ، وَإنَّمَا   حُمَّتْ بِهِ فَصَبِيبُهَا الرُّحَضَاءُ
لَمْ تَلْقَ هَذَا الْوَجْهَ، شَمْسُ نَهَارِنَا   إلاّ بوَجْهٍ لَيْسَ فِيهِ حَيَاءُ
فَبِأيِّمَا قَدَمٍ، سَعَيْتَ إلَى الْعُلا   أدُمُ الْهِلالِ، لأخْمَصَيْكَ حِذَاءُ
وَلَكَ الزَّمَانُ مِنَ الزَّمَانِ وِقَايَةٌ   وَلَكَ الْحِمَامُ مِنَ الْحِمَامِ فِدَاءُ
لَوْ لَمْ تَكُنْ مِنْ ذَا الْوَرَى ألَّذْ مِنْكَ هُوْ   عَقِمَتْ بِمَوْلِدِ نَسْلِهَا حَوَّاءُ

وَتدخل المقطوعة الشِّعْريَّة السَّابقة، في إطار ظاهرة التَّجْديد عند المُتنبِّي، من ناحية استخدامه "ألوان الثَّقَافَة المختلفة، وَمُصطلحات التَّصوُّف وَأفكاره؛ فصاغ كثيرًا من معانيه صياغةً صوفيَّة، بل إنَّهُ استخدم العبارة الصُّوفيَّة وَشاراتها، وَحكى أساليب المُتصوِّفة ..."([1]).

وَما زلنا في مقام بيان الآخر الدِّينيِّ، مع توجُّهنا إلى انتماء الفِرْقة، وَفيه أبُو القَاسِم طَاهِر بن الحُسيْن العلويُّ، الذي ألحَّ الأمير أبُو مُحمَّد بن طغج على المُتنبِّي في مدحه، وَكان لَهُ ما أراد([2])، وَيمكننا أن نستهلَّ بما يُشِيرُ إلى كرمه وَسخائه وَشجاعته، حيث يقول([3]):

فَتًى، عَلَّمَتْهُ نَفْسُهُ وَجُدُودُهُ   قِرَاعَ الأعَادِي وَابْتِذَالَ الرَّغَائِبِ
فَقَدْ غَيَّبَ الشُّهَّادَ، عَنْ كُلِّ مَوْطِنٍ   وَرَدَّ إلَى أوْطَانِهِ، كُلَّ غَائِبِ

ثُمَّ يُكاشِفنا المُتنبِّي بالأبيات التي تُرسِّخ للصُّورة الدِّينيَّة المعتلقة بالنَّسَب العلويِّ، المُرتَدِّ في جذوره إلى البيت النَّبويِّ الشَّرِيف، وفيها من سُمُوِّ النَّسَب وَعُلُوِّ الهِمَّة وَتناهي الكرم ما فيها([4]):

نَصَرْتَ عَلِيًّا يَا ابْنَهُ، بِبَوَاتِرٍ   مِنَ الْفِعْلِ لا فَلٌّ لَهَا فِي الْمَضَارِبِ

---

[1]) عبد الله، **التَّقْلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ**، ص٧١.
[2]) يُنظَر في مُنَاسَبة هذه القَصِيدة: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٩٣، (الحَاشية).
[3]) **نفسه**، ١: ١٩٧، (البَيْتان: ١٩، ٢٠).
[4]) **نفسه**، ١: ١٩٨ ــ ٢٠٢، (الأبيات: ٢٥ ــ ٤٠، مع حذف بعضها).

وَأَبْهَـرُ آيَـاتِ التِّـهَـامِـيِّ، أَنَّـهُ أَبُـوكَ وَأَجْـدَى مَا لَكُـمْ مِنْ مَنَاقِـبِ
إذَا لَمْ تَكُـنْ نَفْـسُ النَّسِـيبِ كَأَصْلِـهِ فَمَـاذَا الَّـذِي تُغْنِـي كِرَامُ الْمَنَاصِـبِ
وَمَـا قَرُبَـتْ أَشْبَـاهُ قَـوْمٍ أَبَاعِـدٍ وَلا بَعُـدَتْ أَشْبَـاهُ قَـوْمٍ أَقَـارِبِ
إذَا عَلَـوِيٌّ، لَـمْ يَكُـنْ مِثْـلَ طَاهِـرٍ فَمَـا هُـوَ، إلاّ حُجَّـةٌ لِلنَّوَاصِـبِ
يَقُولُـونَ تَأْثِيرُ الْكَوَاكِـبِ فِي الْـوَرَى فَمَـا بَالُـهُ تَأْثِيـرُهُ فِـي الْكَوَاكِـبِ
عَـلا كَتَـدَ الدُّنْيَـا إلَـى كُـلِّ غَـايَةٍ تَسِـيرُ بِـهِ سَـيْرَ الذَّلُـولِ بِرَاكِـبِ
وَحُـقَّ لَـهُ، أنْ يَسْبِقَ النَّاسَ جَالِسًـا وَيُـدْرِكَ مَا لَمْ يُدْرِكُـوا غَيْـرَ طَالِـبِ
وَيُحْـذَى عَرَانِيـنَ الْمُلُـوكِ وَإِنَّـهَا لِمَـنْ قَدَمَيْـهِ فِـي أَجَـلِّ الْمَرَاتِـبِ
يَـدٌ لِلزَّمَـانِ، الْجَمْـعُ بَيْنِـي وَبَيْنَـهُ لِتَفْرِيقِـهِ بَيْنِـي وَبَيْـنَ النَّوَائِـبِ
هُوَ ابْـنُ رَسُـولِ اللهِ وَابْـنُ وَصِيِّـهِ وَشِبْهُهُمَـا، شَبَّهْـتُ بَعْـدَ التَّجَـارُبِ
يَرَى أنَّ مَا مَـا بَـانَ مِنْـكَ لِضَـارِبٍ بِأَقْتَـلَ مِمَّـا بَـانَ مِنْـكَ لِـعَـائِبِ
ألا أيُّهَـا الْمَـالُ الَّـذِي قَـدْ أبَـادَهُ تَعَـزَّ، فَهَـذَا فِعْلُـهُ فِـي الْكَتَـائِبِ
لَعَلَّكَ فِـي وَقْـتٍ شَـغَـلْـتَ فُـؤَادَهُ عَنِ الْجُـودِ أَوْ كَثَّرْتَ جَيْشَ مُحَـارِبِ
حَمَلْتُ إِلَيْهِ مِـنْ لِسَـانِـي حَـدِيقَةً سَقَاهَا الْحِجَي سَقْيَ الرِّيَاضَ السَّحَائِبِ
فَحُيِّيتَ خَيْـرَ ابْنٍ لِخَيْـرِ أبٍ، بِـهَـا لأَشْـرَفِ بَيْتٍ، فِي لُـؤَيِّ بْنِ غَالِـبِ

لقد بدا المُتنبِّي في المقتطفات الشِّعْريَّة السَّابقة مُحتفِيًا بالنَّسَب العلويِّ، على جهة تكريس السُّمُوِّ، ولهذا طرفٌ مِمَّا اتَّصل بالرِّوَايات المُتكاثِرة حول علويَّته، تلك التي كانت مدار معالجة البحَّاثة بالدَّرْس وَالنَّظَر، على نحو ما أشرنا إليه، في صورة التَّجلِّي الدِّينيِّ لِسُلْطة الأنا.

وَيظهر العُمْق الدِّينيُّ للصُّورة، من خلال اختزال المُتنبِّي بُعْدَ الغُفْران، المرتبط بالممدوح وَفرقته، وَهم أشرف النَّاس نسبًا في منظوره؛ لكونهم جميعا يرتدُّون إلى نَسْلِ فَاطِمة الزَّهْـراء، فيقول([1]):

يَبْنِي بِـهِ رَبُّنَا الْمَعَـالِـي كَمَا بِكُـمْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَـا

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٩٣، (البَيْت الثَّانِي، من المَقْطُوعة الأولى).

أَمَّا صدر البَيْت فيتعلَّق بالأمير أبي مُحمَّد بن طغج؛ وَأَمَّا عجزه فواقعٌ في دائرة الممدوح طَاهِر العلويِّ، وَفيه الخِطَاب المُحقّق جَمْعِيَّة فِعْل المَغْفرة "بِكُمْ"؛ وصولاً إلى حالةٍ أسمى للمُجتَمع؛ بفعل إحسان من كانوا على النَّهْج نفسه؛ مِمَّا يُوجِب رضا الرَّبِّ ــ ﷻ ــ عن النَّاس بعامَّة.

وَتضمَّن دِيوَان المُتنبِّي قصيدةً أخرى، حملت بعض الإشارات العلويَّة، في مقام مدح مُحمَّد بن عبيد الله العَلَوِيِّ المشطب، وقد قالها الشَّاعِر في صِبَاه([1]):

خَيْرُ قُرَيْشٍ، أَبًا وَأَمْجَدُهَا ... أَكْثَرُهَا نَائِلاً وَأَجْوَدُهَا

أَطْعَنُهَا بِالْقَنَاةِ أَضْرَبُهَا ... بِالسَّيْفِ جَحَجَاحُهَا مُسَوَّدُهَا

أَفْرَسُهَا فَارِسًا، وَأَطْوَلُهَا ... بَاعًا وَمِغْوَارُهَا وَسَيِّدُهَا

تَاجُ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ، وَبِهِ ... سَمَا لَهَا فَرْعُهَا وَمَحْتِدُهَا

شَمْسُ ضُحَاهَا، هِلالُ لَيْلَتِهَا ... دُرُّ تَقَاصِيرِهَا زَبَرْجَدُهَا

...

قَدْ أَجْمَعَتْ هَذِهِ الْخَلِيقَةُ لِي ... أَنَّكَ يَا ابْنَ النَّبِيِّ أَوْحَدُهَا

وَأَنَّكَ بِالأَمْسِ كُنْتَ مُحْتَلِمًا ... شَيْخَ مَعَدٍّ، وَأَنْتَ أَمْرَدُهَا

وَيتبيَّن في الأبيات السَّابقة من التَّناصِّ مع القصيدة الأولى، ما يُؤكِّده الجانب الدِّينيُّ المضمونيُّ، المعتلق بالنَّسَب الشَّرِيف، المرتدِّ إلى الأب القرشيِّ لؤيِّ بن غالبٍ، وَالممدوح بذلك ابن الرسول الكريم ﷺ؛ ليكون النَّسَب عامل ثراءٍ في إضفاء السُّمُوِّ، على الصُّورة الكُلِّيَّة للممدوح، التي اشتملت على جوانب الفُرُوسية وَالكرم؛ وَحتَّى في مجال النَّسَب الْكُلِّيِّ، الذي يُرسِّخ الانتماء للقوميَّة العربيَّة، ممثَّلة في "معد"، وَالممدوح شيخها مذ كان أمردا.

وَيقف المُتنبِّي على نقيض العلويِّين في الغاية وَالطريقة، من خلال ذكر الخَوارج، مُختزلاً البُعْد العقيديَّ لهم، فيقول في القصيدة التي وقعنا عليها تحليلاً في مدح طَاهِر العلويِّ([2]):

إِذَا عَلَوِيٌّ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ طَاهِرٍ ... فَمَا هُوَ إِلاَّ حُجَّةٌ لِلنَّوَاصِبِ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٢١ ــ ٢٥، (الأبيات:٢١ ــ ٣٧، مع حذف بعضها).
[2]) **نفسه**، ١: ٢٠٠، (البَيْت: ٢٩).

إنَّ طُهْرَ الطَّاهِر العلويِّ، مثلبةٌ على الضدِّ النَّقيض من النَّواصِب؛ فلو لم يكن هــذا شــأنه، لكان حُجَّةً لأشدِّ الخوارج عداءً لعلي بن أبي طالب ﷺ؛ لتشمل الحُجَّة نسبه المُرتدَّ إلى عليٍّ، ثُمَّ إلى بيت الرَّسُول الكريم ﷺ، من طريق فَاطِمة الزَّهْراء.

وَاستدعى المُتنبِّي صورة شِقَاق الخَوارج، في موقف الصُّلْح المعقود بــين كــافورٍ وَابــن الإخشيد مولاه، مُختزلاً مرحلةً من الصِّرَاع التَّاريخيِّ، الممتدِّ بين الجماعات التي اتَّحدت علــى كلمةٍ سواء، ثُمَّ ما لبثت أن تفرَّقت، فدبَّ فيها الخَوَر وَالضَّعْف، وقُضِيَ عليها قــضاءً مُبْرَمًــا، فقال(١):

أَشْمَتَ الْخُلْفُ بِالشُّرَاةِ عِدَاهَا، وَشَفَى رَبَّ فَــارِسٍ مِنْ إِيَادِ

وَظَّف الشَّاعِر في البَيْت السَّابِق استراتيجيَّة العِقَاب، مُستنِدًا إلى التَّناصِّ التَّــاريخيِّ، الــذي يُوصِّف ظَواهِر الشِّقَاق وَالخُصُومة بين ذوي الفِرَق البَاطِلة، وَإحداها الخَوارج، الــذين قــاتلهم المُهَلَّب بن أَبِي صُفْرَةَ ما يقرب من ثلاثين شهرًا، دون أن يُحقِّق نصرًا ظَاهِرًا عليهم، حتَّــى إذا ما دبَّ الخِصَام بينهم، اقتتلوا، وَوَهنت شَوْكتهم، وَتمكَّن المُهَلَّب منهم بعد قتالٍ طويلٍ(٢)، وَكذلك الأمر فيما وقع بين إيادٍ وَكِسْرى فَارس، وَبني اليزيديِّ مع خِلافة المَنْصور، وَطَسْم مــع أختهــا جَدِيس(٣).

ثُمَّ إنَّ إيراد المُصطلح الدِّينيِّ المُقابِل للخَوارج على أنَّهم "الشُّرَاةُ"؛ مقصودٌ في إظهار البُعْــد الدِّينيِّ للخِطَاب، الذي يُكرِّس قيمة التَّشفِّي السَّاخِر منهم؛ فهم الذين اعتقدوا جهلاً أنَّ في خروجهم على خلافة عليٍّ ـــ ﷺ ـــ ضربًا من شِرَاء النَّفْس من الله تعالى، بالقتال في سبيل رفعة دينــه؛ كما يدلُّ على إعزاز الشَّاعِر حالة الشَّرَف العلويِّ، التي يُلْمَحُ مَيْلُ المتنبِّي لها في غيــر ســياق شعريٍّ.

وَيكون المُتنبِّي أكثر وضوحًا، بشأن الحُكْم على الآخر الخَارجيِّ، من خلال مــدح سَــيْف الدَّوْلة، وَذكر استنقاذه أبا وَائِل تَغْلِب بن دَاوُد بن حَمْدَان الْعَدَوِيَّ، من أسر الخَارجيِّ، سنة ســبعٍ وَثلاثين وَثلاثمائة، فيقول(٤):

وَجَيْشَ إِمَامٍ عَــلَــى نَــاقَةٍ صَحِيحِ الإمَامَةِ فِي الْبَاطِلِ

---

1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٩٥، (البَيْت: ٢٠).

2) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٩٥، (الحَاشِية).

3) يمكن الاطِّلاع على التَّناصِّ التَّاريخيِّ الظَّاهِر، في البَيْتَيْن التَّالِيَيْن، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٩٧، ٩٨، (البَيْتان: ٢١، ٢٢).

4) **نفسه**، ٣: ١١٦، (البَيْت: ٢١).

وَقد جاء البَيْت السَّابق في معرض ذكر الشَّاعِر خَيْل سَيْف الدَّوْلــة، التــي لاقــت جــيش الخَارجيِّ، ذلك الذي بُويع بالإمامة في الباطل؛ مِمَّا يعني عداء الثَّقافيِّ للخُرُوج الدِّينيِّ من لــدن "الشُّرَاةُ"، في أشدِّ مراحل التَّاريخ الإسلاميِّ فتنةً، وَلا يخفى ما للطِّبَاق من دلالةٍ على البَوْن الكبير في الرَّأي الدِّينيِّ بين فريقَيْن؛ ارتأى الأوَّل مُوالاته وَأقرَّ بإمامته، وَخرج الآخــر عــن ســابق التَّصوُّر بالتَّجْميد العقابيِّ؛ تأكيدًا على بُطْلان الإمامة في غير سبيل الْحَقِّ وَالإجماع.

وَقد ألحق المُتنبِّي الإمامة بفارس القَصْر السُّلْطانيِّ لبني حَمْدان؛ بقوله([1]):

إمَامَ الْكَتِيبَةِ تُزْهَــى بِــهِ　　　مَكَانَ السِّنَانِ مِنَ الْعَامِلِ

وَتزداد الصُّورَة ترسيخًا لملمح السُّخْرية، حين يُشِيرُ المُتنبِّي إلى ركوب الخَارجيِّ النَّاقَــة، وَإشارته لأصحابه بقتال سَيْف الدَّوْلة([2]):

وَإنِّــي لأعْجَــبُ مِنْ آمِــلٍ　　　قِتَالاً بِكُــمْ عَلَى بَــازِلِ

أقَالَ لَهُ اللهُ: لا تَلْــقَــهُــمْ　　　بِمَاضٍ عَلَى فَرَسٍ حَائِلِ

وَتُقارب صورة الخَارجيِّ، الذي نَجَمَ من بني كِلابٍ بالكوفة ما سبق درسه، وَفيها سير (دِلَيْرَ بْنِ لَشْكَرَوَزٍّ) لقتاله، وَفرار الخَارجيِّ منها قبل وصوله إليها، مع بيان ما وقع في بني كِلابٍ من الهزيمة وَالإذلال([3]).

وَلم يقتصر المُتنبِّي في إبانته عن صور الآخر الدِّينيَّة من باب الفِرَق، وَإنما تعدَّاه لــبعض المُتَعقدات، من مثل ما ذكره في شأن المُقرِّين بالبَعْث، وَالدَّهْرِيِّين، وَأهل المانويَّة؛ أمَّا الفريقــان الأوَّلان؛ فكانا مناط الخِطَاب ساعة انطلق الرِّثَاء في أخت سَيْف الدَّوْلة، المُتوفَّاة في ميَّافــارقين، سنة اثنتَيْن وَخمسين وَثلاثمائة؛ وَعرَّج في خاتمة مرثيَّته على ذكرهما، فقال([4]):

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لا اتِّفَــاقَ لَــهُــمْ　　　إلاَّ عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ

فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَــرْءِ سَــالِــمَةً　　　وَقِيلَ تَشْرَكُ جِسْمَ الْمَرْءِ فِي الْعَطَبِ

وَمَنْ تَفَكَّــرَ فِي الدُّنْيَــا وَمُهْجَــتِــهِ　　　أقَامَهُ الْفِكْــرُ، بَيْنَ الْعَجْزِ وَالتَّعَــبِ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١١٧، (البَيْت: ٣٥).
[2]) **نفسه**، ٣: ١١٧، ١١٨، (البَيْتان: ٣٦، ٣٧).
[3]) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٣ ــ ١٢، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من أربعين بيتًا).
[4]) **نفسه**، ١: ١٥٨، (الأبيات: ٤٢ ــ ٤٤).

لقد أبان الشَّاعِر ــ فيما سبق ــ الخلاف السَّائد حول قضيَّة الهلاك، المعتلقة بشقّي الجَسَد وَالرُّوح، مبينا عن عقيدة الفريقَيْن المُتنازِعَيْن في هذا الشَّأن؛ أَمَّا فريق المُقرِّين بالبَعْث فرأى سلامة الرُّوح من الهلاك الذي طال الجسد، وَجرى الدَّهْرِيُّون في رأيهم على النَّقِيض المُخالِف؛ وَفيه أنَّ الفناء لاحقٌ بالرُّوح وَالجَسَد سويًّا؛ بينما رأى المُتنبِّي في مُفارَقة الدُّنْيا هدمًا لِكُلِّ اللَّذَّات؛ فالمَوْت مصيبةٌ عُظْمَى، لا ينفع معها التَّفكُّر في أيِّ الشِّقَّيْن من مُكوِّنات البشريِّ صائرٌ إلى الهَلاك.

وَتُمثِّل الأبيات السَّابِقة نتيجةً فكريَّةً مُهِمَّةً؛ مُؤدَّاها: "أنَّه ما دام الفِكْر عاملاً فالحياة مُسْتَمِرَّةٌ، وَما دامت نتيجة الفِكْر ــ وَهي إشاعة الإحساس بحالة التَّردُّد بين العَجْز وَالتَّعَب ــ ملحوظةً، فإنَّ دَوْرَةً من دَوْرات الحياة لا بُدَّ واقعة. وَستنتهي هذه الدَّوْرة الجديدة بنفس النَّتِيجة التي انتهت إليها الدَّوْرة القديمة، وَلكنَّ العِبْرة دائمًا بوقوع هــذه الدَّوْرة، وَتطوُّرها، لا بنتيجتها ..."([١]).

وَعندما يتعلَّق الخِطَاب ببيان المُعتَقد، فإنَّ المُتنبِّي يستدعيه في صورة النَّقِيض لحالته المُثْلى، على وجهي الحقيقة والمُدَاجاة؛ أَمَّا الحقيقة فقد عايناها في موقفه المُتحالِف مع سَيْف الدَّوْلَة، لا سيَّما في مقام رثاء أخته المُتوفَّاة؛ لتتجلَّى المُدَاهَنة الثَّقافيَّة للآخر السِّياسيِّ، من خلال المدح المُوَجَّه؛ لِتكسُّب المجد بأيِّ سبيلٍ. قال الشَّاعِر في مدح كافورٍ([٢]):

وكَمْ لِظَــلامِ اللَّيْلِ عِنْدَكَ مِنْ يَــدٍ — **تُخْبِــرُ، أنَّ الْمَانَوِيَّــةَ تَكْــذِبُ**
وَقَاكَ رَدَى الأَعْدَاءِ تَسْرِي إِلَيْهِم — **وَزَارَكَ فِيهِ ذُو الدَّلالِ الْمُحَجَّبِ**

وَبدا التَّناصُّ في البيت الأوَّل حاضرًا، فيما يخصُّ مُعتَقد المانويَّة، القائلين بنسبة الخَيْر إلى النُّور، وَإلحاق الشَّرِّ بالظَّلام([٣])؛ وَغاية ذلكم نفي شَرِّ ظُلْمة ليل كافورٍ، من وجهَيْن نقيضَيْن يُجسِّدان الخيريَّة التَّامَّة؛ خيريَّة الفُرُوسيَّة، التي تُبيح للممدوح التَّنقُّل بين الأعداء في ظُلْمة اللَّيْل، دون الظَّفَر به؛ وَخيريَّة لقاء المحبوب خِلْوًا من الرَّقِيب وَالأحْرَاس.

---

[١]) الرّبيعي، د. مَحْمُود، (١٩٩٧م)، **قِرَاءَةُ الشِّعْر**، (د. ط)، القاهِرة: دَار غَرِيب للطِّبَاعَــة وَالنَّــشْر وَالتَّوْزِيــع، ص٢٨١.

[٢]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢١٢، (البَيْتان: ٥، ٦).

[٣]) يُنظَر: **نفسه**، ١: ٢١٢، (الحَاشِية)؛ وَيُنظَر: نغرين، جيُووَايد، (٢٠٠٥م)، **الزَّنْدَقَةُ: مَانِي وَالْمَانويَّةُ**، نقله إلى العَرَبيَّة وَقدَّم له وَزاده بالمَلاحِق: أ. د. سهيل زكار، (د. ط)، دِمَشق: دَار التَّكْوِين للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٧٦، ٧٧، (استرداد ذرَّات النُّور)؛ وَيمكن التماس هذا المُعتَقد في غير موطنٍ من الكِتَاب نفسه؛ وَيُنظَر في حيــاة (مَــانِي) مُؤسِّس الدِّيَانَة المانويَّة: **نفسه**، ص٣٩ ــ ٦١، (الفَصْل الثَّانِي: حَيَاة مَانِي).

وَمِمَّا يتَّصل بالآخر الدِّينيِّ، ما أرساه المُتنبِّي، من علاقة الدِّين بالجانبَيْن السِّياسيِّ وَالوظيفيِّ؛ ففي الجانب السِّياسيِّ كان الفَاطِميُّون حاضرين، في القصيدة التي مدح بها طَاهِرًا الْعَلَوِيَّ؛ حيث قال(١):

كَذَا الْفَاطِمِيُّونَ النَّدَى فِي بَنَانِهِمْ أَغَرُّ امِّحَاءً مِنْ خُطُوطِ الرَّوَاجِبِ

أُنَاس إِذَا لاقَوْا عِدًى فَكَأَنَّمَا سِلاحُ الَّذِي لاقَوْا غُبَارُ السَّلاهِبِ

رَمَوْا بِنَوَاصِيهَا الْقِسِيَّ فَجِئْنَهَا دَوَامِي الْهَوَادِي سَالِمَاتِ الْجَوَانِبِ

أُولَئِكَ أَحْلَى، مِنْ حَيَاةٍ مُعَادَةٍ وَأَكْثَرُ ذِكْرًا، مِنْ دُهُورِ الشَّبَائِبِ

انتقل الشَّاعِر من الخاصِّ إلى العامِّ، كشأنه في معظم قصائد المديح؛ فبعد أن مدح طَاهِرًا الْعَلَوِيَّ، امتدح الفَاطِميِّين بعامَّة، أولئك الذين ارتدَّ الممدوح إليهم في النَّسَب، مع ضرورة العلم بتميُّز الفَاطِميِّين عن العلويِّين؛ في كون أهل الفريق الأوَّل أولاد فَاطِمة من ولدَيْها الحَسَن وَالحُسيْن؛ أَمَّا أهل الفريق الثَّانِي؛ فهم من ولد عليٍّ؛ ليشملوا بذلك الفَاطِميِّين وَغيرهم(٢).

وَمع كون الصُّورة مُشرقةً بالإيجاب؛ على صعيدي الكَرَم وَالقِتَال؛ فإنَّ أجمل ما يمكن أن يُستَوحى هنا، صورتا عودة الحياة إلى القلوب وَذكر أَيَّام الشَّبَاب، حتَّى لكأنَّهم فاقوهما حسنًا وَبهاءً، وَللصُّورَة بكُلِّيَّتها أن ترسم في مِخْيال القَارئ ملامح الآخر الدِّينيِّ، المُشتمِل بالوظيفة السِّياسيَّة (الدِّين / الدَّوْلة)، على وجه الظُّهُور المُجسَّد من خلال الدَّوْلة الفَاطِميَّة، ذات الوجْهَة الشِّيعيَّة، وَهي التي عايشها المُتنبِّي في عصره.

وَارتبط خِطَاب المُتنبِّي بالعلويِّين، على جهة إنكار صدقيَّة الانتساب إليهم، وَنفيه عن أحد أعدائه المُدَّعين ذلك(٣)، قائلاً(٤):

وَفَارَقْتُ شَرَّ الأَرْضِ أَهْلاً وَتُرْبَةً بِهَا عَلَوِيٌّ جَدُّه غَيْرُ هَاشِمِ

وَنرى الجانب الوظيفيَّ حاضرًا، في الصُّورَة الدِّينيَّة للآخر القَاضِي؛ ليغدو أَبُو الفَضْل أَحْمَد بن عبد الله الأنطاكيُّ محطَّ المدح، في قصيدتَيْن خُصَّتَا به؛ تُمثِّل الأولى وجهًا خالصًا من المدح

---

1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَان الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٩٧، ١٩٨، (الأبيات: ٢١ ــ ٢٤).

2) يُنظَر: **نفسه**، ١: ١٩٧، (الحَاشِية).

3) قال ابن جِنِّيٍّ: شَرُّ الأَرْض: طبريَّة، وَذكر البَرْقُوقِيُّ أنَّ المقصود هنا تربة؛ وَهو رجل ادَّعى نسبه إلى عَلِيٍّ، وليس من ولده، يُنظَر في: **نفسه**، ٤: ١٧٩، (الحَاشِيَة).

4) **نفسه**، ٤: ١٧٩، (البَيْت: ٣٣).

المُجلّل بالمحبَّة وَالمودَّة؛ بينما كانت الثَّانية امتحانًا دينيًّا من قبل المُتنبِّي، لشخص القَاضِي، وَفِكْره الدِّينيِّ.

وَفي السَّبيل الأوَّل، كان للمُتنبِّي أن يقف على بعض الملامح الدِّينيَّة، في شخص الممدوح، ليقول في لوحةٍ مُجلَّلةٍ بالمَهَابَة وَالوَقَار ([1]):

حَتَّى أَبُو الْفَضْلِ بْنُ عَبْدِ اللهِ، رُؤْ ... يَتُهُ الْمُنَـــى وَهِيَ الْمَقَامُ الْهَائِلُ
مَمْطُورَةٌ طُرُقِـــي إِلَيْهَـــا دُونَـــهَا ... مِنْ جُودِهِ فِي كُـــلِّ فَجٍّ وَابِـــلُ
مَحْجُوبَةٌ بِسُـــرَادِقٍ مِـــنْ هَـــيْبَةٍ ... تَثْنِي الأَزِمَّـــةَ، وَالْمَطِيُّ ذَوَامِلُ
للشَّمْسِ فِيـــهِ وَلِلرِّيَاحِ وَلِلسَّحَـــا ... بِ وَلِلْبِحَارِ، وَلِلأُسُـــودِ شَمَائِلُ
وَلَدَيْهِ مِلْعِقْيَـــانِ وَالأَدَبِ الْـــمُـــفَا ... دِ وَمِلْحَيَاةِ، وَمِلْمَمَـــاتِ مَنَاهِلُ
لَوْ لَمْ يُهَبْ لَجَـــبُ الْوُفُودِ حَوَالَـــهُ ... لَسَرَى إِلَيْـــهِ قَطَا الْفَلاةِ النَّاهِلُ
يَدْرِي بِمَـــا بِكَ قَبْـــلَ تُظْهِرُهُ لَـــهُ ... مِنْ ذِهْنِـــهِ، وَيُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ
وَتَرَاهُ مُعْتَرِضًـــا لَهَـــــا وَمُوَلِّـــيًا ... أَحْدَاقُنَـــا وَتَحَـــارُ حِينَ يُقَابِـــلُ
كَلِمَاتُهُ قُضُـــبٌ، وَهُـــنَّ فَوَاصِـــلٌ ... كُلُّ الضَّرَائِبِ، تَحْتَهُـــنَّ مَفَاصِلُ
هَزَمَتْ مَكَارِمُـــهُ الْمَكَـــارِمَ كُلَّهَـــا ... حَتَّـــى كَـــأَنَّ الْمَكْرُمَاتِ قَنَابِـــلُ
وَقَتَلْنَ دَفْـــرًا، وَالدُّهَيْمَ فَمَا تَـــرَى ... أُمُّ الدُّهَيْـــمِ وَأُمُّ دَفْـــــرٍ هَابِـــلُ
عَلاَّمَـــةُ الْعُلَمَـــاءِ وَاللُّـــجُّ الَّـــذِي ... لا يَنْتَهِي وَلِكُـــــلِّ لُـــجٍّ سَاحِلُ
لَوْ طَابَ مَوْلِـــدُ كُـــلِّ حَيٍّ مِثْلَـــهُ، ... وَلَدَ النِّسَـــاءِ وَمَا لَهُـــنَّ قَوَابِلُ
لَوْ بَانَ بِالْكَـــرَمِ الْجَنِـــينُ، بَـــيَانُهُ ... لَدَرَتْ بِـــهِ ذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى الْحَامِلُ
لِيَزِدْ بَنُو الْحَسَنِ الشِّرَافُ تَوَاضُعًا ... هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلامِ مَشَاعِلُ
سَتَرُوا النَّدَى سَتْرَ الْغُرَابِ سِفَادَهُ ... فَبَدَا وَهَلْ يَخْفَى الرَّبَابُ الْهَاطِلُ
جَفَخَتْ، وَهُمْ لا يَجْفَخُونَ بِهَابِهِمْ ... شِيَمٌ عَلَى الْحَسَبِ الأَغَرِّ دَلائِلُ
مُتَشَابِهِي وَرَعِ النُّفُوسِ، كَبِيرُهُمْ ... وَصَغِيرُهُمْ، عَفُّ الإِزَارِ حُلاحِلُ
يَا افْخَرْ فَإِنَّ النَّاسَ فِيكَ ثَلاثَـــةٌ ... مُسْتَعْظِمٌ أَوْ حَاسِدٌ، أَوْ جَاهِـــلُ

...

[1]) المُتنبِّي، شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي، ٣: ٢٧٠ ــ ٢٧٤، (الأبيات: ١٦ ــ ٣٤).

إنَّهَا لوحةٌ شعريَّةٌ تعجُّ بالفضائل، في القاضي الممدوح، صاحب النَّسَب العلويِّ، وَالــشَّرَف الدِّينيِّ؛ وَهي صورة النَّدَى، وَإذلال العِدَا، بكرم الطِّبَاع، وَمضاء النُّفُوس، ولو شئنا أن نُقَلِّبَ في جزئيَّات ما سلف من الأبيات، لفاض البيان عمَّا أبانت دون فضل تبيان؛ فالسَّيِّد الممدوح صاحب "**الْمَقَامِ الْهَائِلِ**"، وَهو "**الْمَحْجُوبُ بِسُرَادِقٍ**"، كما أنَّه يجمع شُؤُون المال وَالأدب، وَيُزاوِج المعرفة بحيثيَّات الحَيَاة وَالمَمَات.

ثُمَّ إنَّ لفراسة المؤمن منه نصيبًا وافرًا؛ إذ إنَّه "**يَدْرِي بِمَا بِكَ قَبْلَ تُظْهِرُهُ لَهُ مِنْ ذِهْنِهِ**"، **كما** "**يُجِيبُ قَبْلَ تُسَائِلُ**"، وَقوله الفَصْل حَكَمٌ بين الحقِّ وَالباطل. أوليس ذلك بمستوفٍ قــدر "**عَلاَّمَــةِ الْعُلَمَاءِ**"؛ بحرها الذي لا تُفارق المعرفة شطآنه، طيِّب المَوْلد وَالمَحْيا؛ وَهــي الــصُّورَة الكُلِّيَّــة بأحسن ما تكون خيالاً وَمعنًى، مُعبِّرة عن قدر الممدوح الذي لا يُضَاهَى، وَعلمه الذي لا يُبَارَى.

وَكيما تُشرق الصُّورَة بالدِّين، في نهج المُتنبِّي، المُلِحِّ على رَدِّ الممدوحين إلى أصولهم، كان "لبني الحَسَن" بن عليٍّ ﷺ، نصيبٌ من المدح الذي ما خرج عن جُود المَال؛ المُشتمِل على كــرم الطِّبَائِع وَالأخلاق، وَ"**وَرَع النُّفُوس**"؛ الدَّالِّ على العِفَّة وَالنُّبْل.

وَنُشِيرُ هنا إلى القصيدة الثَّانِية، التي كانت مدار ابتلاء المُتنبِّي له؛ كيما يستكشف مذهبــه، وَمن أهمِّ ما ورد فيها ــ دالاً على مذهبنا في هذا المَطْلب ــ قوله(1):

كَصِفَاتِ أَوْحَدِنَــا أَبِي الْفَضْــلِ الَّتِــي بَهَرَتْ فَأَنْطَــقَ وَاصِفِيــهِ وَأَفْحَمَــا

...

يَا أَيُّهَا الْمَلَكُ الْمُصَــفَّــى جَــوْهَــرًا مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ أَسْمَى مَنْ سَمَا

نُــورٌ تَظَاهَـــرَ فِيــكَ لاهُوتِـــيَّةً، فَتَكَادُ تَعْلَــمُ عِلْــمَ مَــا لَــنْ يُعْلَــمَا

وَيُهِــمُّ فِيــكَ، إذَا نَطَقْــتَ فَصَــاحَةً مِنْ كُــلِّ عُضْــوٍ مِنْــكَ، أَنْ يَتَكَلَّــمَا

أَنَــا مُبْصِــرٌ، وَأَظُــنُّ أَنِّــي نَــائِمٌ مَنْ كَــانَ يَحْلُــمُ بِالإلَـــهِ فَأَحْلُــمَا

كَبُــرَ الْعِيَــانُ عَلَيَّ، حَــتَّـــى إنَّــهُ صَارَ الْيَقِينُ، مِــنَ الْعِيَــانِ تَوَهُّــمَا

إنَّ القَارِئ المُتمعِّن في الأبيات السَّابقة؛ ليصل إلى قناعةٍ راسخةٍ بحُضُور المبالغــة علــى صعيد سِمَات الممدوح، التي أعجزت وَاصِفيها، وَأفحمت مُحصيها؛ فهو "**الْمَلِكُ الْمُصَفَّى جَوْهَرًا**

---

1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١٠٩ ــ ١١١، (الأبيات: ٩ ــ ١٧، مع حذف بعضها).

مِنْ ذَاتِ ذِي الْمَلَكُوتِ"؛ وَبذا سما نورًا إلهيًّا يجلو به الغيب، وَينطق به كُلُّ عضوٍ فصاحةً قُدْسِيَّةً، فكأنَّه الإله، وَقد أراد المُتنبِّي هنا "أن يُثبِت له الألوهيَّة امتحانًا"([1]).

وَخلا البيت المُعبِّر عن امتحان الشَّاعِر له وَما يليه؛ فإنَّنا نجد صورةً مُشربَةً بالفِكْر الشِّيعيِّ، النَّزَّاع إلى إنزال الأئمة وَالأعيان، منزلة المُصطفَيْن الأخيار، وَإلحاقهم بالنُّورانيِّين الأطهار؛ وَلعلَّ في هذا كفايةً لنا من المعرفة المُؤكَّدة بالعِمَاد الشِّعْريِّ؛ على مدى عِلْم المُتنبِّي بمذاهب الشِّيعة وَالعلويِّين في زمانه؛ مِمَّا مكَّنه من رسم ملامح صورتهم بذكاءٍ بالغٍ؛ فهم بِكُلِّ ما فيهم من الأثر النُّورانيِّ، ليسوا إلا حالةً من حالات السِّيَادة التي امتدحها الشَّاعِر؛ حرصًا منه على تقوية نُفُوذه وَسُلْطانه.

وَيمكن أن نشير إلى أنموذجٍ آخر في القضاء الدِّينيِّ، يتمثَّل في مدح أبي عُبيْد الله مُحمَّد بن عبد الله بن مُحمَّد الخَطِيب الخَصِيبيِّ، وَهو حينئذٍ يتقلَّد القضاء بِأَنْطَاكِيَةَ؛ فالقصيدة بمجملها عرضت للأبعاد الدِّينيَّة وَالاقتصاديَّة للممدوح، مع حضور المُوازَنة بينه وَبين سائر البشر، وَرجحانها لكفَّته بالهَيْبة وَالعَظَمة وَقُوَّة المَنْطِق، التي لم يُؤْتَ أحدٌ قبله مثيلها، وَتجلَّى في هذه القصيدة نهج المُتنبِّي في مدائحه أيّما تجلٍّ، بانتقاله من الخاصِّ / الممدوح إلى العامِّ / الأمْثَل([2]).

وَقد سلك المُتنبِّي السَّبيل ذاته، في مدح أبي الفَرَج أحْمَد بن الحُسيْن القَاضِي الْمَالِكِيِّ، مبينًا عن ملامح سُلْطويَّةٍ عديدةٍ في شخصه، منها الدِّينيَّة وَالفِكْريَّة وَالاجتماعيَّة وَالاقتصاديَّة([3]).

وَلم يكن مضمون القضاء على هذا النَّحْو، المُتمثِّل في إشراق الصُّورَة وَبهائها فحسب، وَإنَّما نجد الأنموذج النَّقِيض لذلك تمامًا، في هجائه القَاضِيَ الذَّهَبِيَّ في صِبَاه، بتوظيفٍ بالغٍ لاستراتيجيَّة العِقَاب، من خلال التَّشْكيك في نسبه؛ لكونه بلا أبٍ، ثُمَّ إنَّه بلا أدَبٍ، وَ"الذَّهَبِيُّ" في ميزان المُتنبِّي ــ وَهو الذي أحسن التَّلاعُب في دقائق اللُّغة ــ لقبٌ مُسْتَلٌّ من ذهاب العَقْل لا من الذَّهَب؛ ليكون في المُنتَهي عارًا على لقبه([4]).

ويُناظِر ما مضى من سُوءِ القَضَاء، في الأنموذج الدِّينيِّ للآخر، ما أشار إليه في سياق وصفه لِحَى الأَيَائِلِ في حالة تسريحها، في مروج "دَشْتِ الأرْزَنِ"، برفقة أبي شُجَاع عَضُد الدَّوْلة، وَتشبيهها بِلِحَى المُحتَالين، الذين يصطادون بهذه الهيئة الدِّينيَّة أموال النَّاس؛ فيخونون أماناتهم وَهم لِملذَّاتهم رَاعُونَ، كما شبَّهها بشبكةٍ ينصبها قُضَاةُ النَّاس؛ لأكل أموال اليَتَامَى

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١١١، (الحَاشِية).

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٢٥٠ ــ ٢٥٨، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنةٌ من اثنَيْن وَأربعين بيتًا).

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٢١ ــ ٢٦، (الأبيات: ١١ ــ ٣٨).

[4]) يُنظَر: **نفسه**، ١: ٢٣٨، (مَقْطُوعَة ثُلاثِيَّة).

بالبَاطِل(١)، في تناصٍ دينيٍّ يستجلب الأثر العِقَابيَّ لإحدى السَّبْع المُوبِقَات، وَفيه قوله ﷻ: ﴿ **إنَّ الَّذِينَ يَأكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا** (١٠) ﴾(٢)، .(٣)

وَيصَّعد المُتنبِّي بالوظيفية الدِّينيَّة للآخر، إلى مقام الحُكْم السُّلْطانيِّ، وَفيه ذكر سَيْف الدَّوْلة ضمن إحدى مدائحه له، مُتَّصلاً بالجانب الدِّينيِّ أظهر اتِّصالٍ، فيقول(٤):

فَأَنْتَ حُسَامُ الْمُلْكِ وَاللهُ ضَارِبٌ وَأَنْتَ لِوَاءُ الدِّينِ وَاللهُ عَاقِدُ

وَقد أورد الشَّاعِر في هذا البيت الوظيفة الدِّينيَّة لإمام المسلمين وَخليفتهم؛ من حيث تملُّك سمات القُوَّة وَالجَلَد والإقدام، المُرْتَبِطة بِجانب الرَّدْع في سُلْطة السِّيَاسَة؛ وَفي ذلك وجهٌ من التَّناصِّ الدِّينيِّ؛ بوسيلة الاستيحاء المَضْمُونيِّ، مع قوله تعالى: ﴿ **فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ** (١٧) ﴾(٥)؛ وَلم يأت التَّناصُّ هنا مباشرًا؛ وهذا وجه إبداعٍ يُحتَسب للشَّاعِر، في استيحاء النُّصُوص، وَتشكيلها بقالبه اللُّغويِّ.

وَيحمل عجز البيت دلالةً خاصَّةً؛ على حالةٍ من السُّمُوِّ السُّلْطانيِّ، في ظِلِّ المُعتَقد الدِّينيِّ الرَّاسِخ، ضمن المنظومة السِّياسيَّة الإسلاميَّة المعتلقة بالخِلافَة، التي بها يكون خليفة المسلمين لواء الله، وَحَامِي حِمَى دينه على الأرض؛ لكونه سيِّد المُستَخْلفين في أمانات الله، وَمُدبِّر شُؤُون المُلْك، وَراعي أحوال الرَّعِيَّة، وَالسَّاهِر على ثُغُور الأمَّة، من كيد أعدائها المُتربِّصين بها الدَّوَائِر.

وَقد كان سَيْف الدَّوْلة ــ في هذا الشَّأن ــ "مُتَغَلِّبًا على حَلَبٍ وَالعَوَاصِمِ وَدِيَار بَكْرٍ؛ فكان يقوم بحمايتها وَدفع العدوِّ عنها، وَكان ولَّى هذه الثُّغُور مولاه نصرًا، فكانا يتناوبان الغزو، وَلكن

---

1) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٦، (البَيْتان: ٣٥، ٣٦).

2) **سُورَةَ النِّسَاء**، الآيَة: ١٠.

3) وردت هذه الكَبيرَة في قوله ﷺ: " "**اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ**". قَالُوا يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ: "**الشِّرْكُ بِاللهِ وَالسِّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إلاَّ بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلاتِ**" "، يُنظَر: في: البُخَارِيِّ، مُحمَّد بن إسْمَاعِيل أَبُو عبدالله الجعفيّ، (ت٢٥٦هــ/٨٧٠م)، **الْجَامِعُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ**، (ط٣)، ٦م، (تَحْقِيق: د. مُصْطَفى دِيب البغا)، دَار ابن كَثِير، اليَمَامَة وَبَيْرُوت، ١٩٨٧م، ٣: ١٠١٧.

4) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٨٠، (البَيْت: ٣٨).

5) **سُورَةَ الأَنْفَال**، الآيَة: ١٧.

لم تكن بهما الكفاية لمقاومة عــدوٍّ كانت الخِلافة الكُبْرى تحتدُّ لــه، وَتهتمُّ أعظـــم الاهتمـــام بأمره"([1]).

وَإنَّ ما ذكرناه آنفًا؛ لهو من الشُّرُوط التي يجب تَوافُرها في الحاكميَّة الإسلاميَّة، اســتدعتها صورة اللِّوَاء المعقود بقدرة الله وَنصرته على البسيطة، فضلاً عن صُورَة سَيْف الدَّوْلــة، فــي مُجمَل دِيوَان المُتنبِّي.

وَنستحضر في هذا المقام صورة ابن العَمِيد، بوصفه مُصلِح فساد أمر النَّاس؛ مُشكِّلا بذلكم إحدى لوحات الحاكميَّة الدِّينيَّة([2]).

وَنصل إلى الوقفة التَّحْليليَّة الأخيرة في هذا المقام، وَفيها استجلاء السُّلُوك الدِّينيِّ للآخر، من وجهتَيْن اثنتَيْن لا ثالث لهما، في المِثَال بعضه، وَالبعض الآخر يرتــدُّ لحالــة الــدُّون، وَتبقــى الحَاكِميَّة حاضرةً في الصُّورَة المِثَاليَّة للآخر مع القَضَاء، وإذا ما أردنا توصيفها بالدِّينيِّة، فلــن نُجانِب الصَّوَاب، ما اعتقدنا بكون الدِّين مَحَلَّ عناية المُتنبِّي؛ بوصفه سُــلْطَةً لاحقــةً بالــسُّلْطة السِّياسيَّة، وَقد تُشرعِنها في بعض الأحيان.

وَلهذه الوجهة أمثلةٌ كثيرةً، يكفي اختزالنا للدَّلالة على اتِّساع ظهورها في الدِّيوَان، من مثل ما ورد في عِفَّة القَاضِي أبي عُبيْد الله الخَطِيب الخَصِيبيِّ، في قوله([3]):

غَضُّ الشَّبَــابِ بَعِيدٌ فَجْرُ لَيْلَتِــهِ مُجَانِبُ الْعَيْنِ لِلْفَحْشَــاءِ وَالْوَسَنِ

أَمَّا في زهده، فقد قال المُتنبِّي في القصيدة نفسها([4]):

ذَا جُودُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دَهْرٍ عَلَى ثِقَةٍ وَزُهْدُ مَنْ لَيْسَ مِنْ دُنْيَاهُ فِي وَطَنِ

وَإذا ما جئنا إلى صورة الحَاكِم، وجدنا سَيْف الدَّوْلة مُتربِّعا في خِطَاب المُتنبِّي، المُكرِّس فيه ملمح العِفَّة؛ لكونه عفيف الفرج مأمونه، لا يقرب الزِّنَا، وَذلك بقوله([5])، ([6]):

---

[1]) الحَسَن، عِيسَى، (٢٠٠٩م)، **الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ــ تَكَامُلُ الْبِنَاءِ الْحَـضَارِيِّ**، (ط١)، عمَّــان: الأهْليَّــة للنَّــشْر وَالتَّوْزيع، ص٣٤٢؛ وَيُنظَر في حالة الثُّغُور الإسلاميَّة، في عهد الخَلِيفة العَبَّاسيِّ المُطِيع لله، وَالتي قــام سَــيْف الدَّوْلة بحمايتها، حتَّى استيلاء مَلِكِ الرُّوم على مَدِينه حَلَب، وَهَزيمة سَيْف الدَّوْلة: **نفسه**، ص٣٤٢ ــ ٣٤٤.

[2]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١١١، ١١٢، (البَيْتَان: ٣٤، ٣٥).

[3]) **نفسه**، ٤: ٢٥٥، (البَيْت: ٢٤).

[4]) **نفسه**، ٤: ٢٥٨، (البَيْت: ٤٠).

[5]) **نفسه**، ٤: ٢٢٦، (البَيْتَان: ١٩، ٢٠، من الرَّجَز).

[6]) يُنظَر في زُهْدِ السُّلْطان: **نفسه**، ١: ١١٠، (البَيْت: ١٢، فخر كافورٍ بالعَلْياء، لا بابتناء المَنَازل وَالمِسْك الذي يستميل قُلُوب النِّسَاء).

عَفِيفَ مَـــا فِـــي ثوْبِـــهِ مَأمُونَـــهُ أَبْيَضَ مَـــا فِي تَاجِـــهِ مَيْمُونَـــهُ

وَرسم الشَّاعِر بصورة السُّيُوف الفاقدة جفونها؛ لاستعمالها أبدًا في القتال، ملمح الزُّهْد فـــي شخص الأمير بَدْر بن عمَّار، الذي كانت الحرب مركز اهتمامه، بينما زَهِدَ في الغَزَل وَالتَّشْبيب، فقال(١):

وَأَمَرُّ مِنْ فَقْدِ الأَحِبَّةِ عِـــنْـــدَهُ فَقْدُ السُّيُوفِ الْفَاقِدَاتِ الأَجْفُنَا

كما حضر الزُّهْد في مدحه أبا بَكْر عَلِيّ بن صَالِح الرّوذبَارِيَّ الكَاتِب؛ ذلك أنَّه زَهِـــدَ فـــي مُغازَلَة النِّسَاء؛ لانشغاله بطلب المَعَالِي، فقال(٢):

شَغَلَتْ قَلْبَهُ حِسَانُ الْمَعَـــالِي عَنْ حِسَانِ الْوُجُوهِ وَالأَعْجَازِ

وَاحتشد للمُتنبِّي في دِيوَانه، قدرٌ من الأمثلة المُعبِّرة عن سُوء المِثَال الدِّينيِّ، وَمن أظهرهـــا قوله في أهل مِصْرَ، لمَّا هجا كافورًا على سبيل الإنكار وَالتَّهكُّم(٣):

أَغَايَةُ الدِّينِ أَنْ تُحْفُوا شَوَارِبَكُـــمْ يَا أُمَّةً ضَحِكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الأُمَمُ

أَلا فَتًى يُورِدُ الْهِنْدِيَّ هَـــامَـــتَـــهُ كَيْمَا تَزُولَ شُكُوكُ النَّاسِ وَالتُّهَمُ

فَإِنَّهُ حُجَّةٌ يُؤْذِي الْقُلُـــوبَ بِـــهَـــا مَنْ دِينُهُ الدَّهْرُ وَالتَّعْطِيلُ وَالْقِدَمُ

مَا أَقْدَرَ اللهَ أَنْ يُخْزِي خَلِـــيقَتَـــهُ وَلا يُصَدِّقَ قَوْمًا فِي الَّذِي زَعَمُوا

وَترتبط السِّيَاسَة بباب الدِّين، على نحوٍ يُحِيلُ إلى التَّكامُل المعرفيِّ، في النِّظَام الإسلاميِّ؛ أمَّا الإنكار على أهل مِصْرَ، في شأن العناية بالمظهر الدِّينيِّ، المُتمثِّل في حَفِّ الشَّوَارِب دون مَحْق المَفْسَدة الكُبْرى (كَافُور)، فهذا مِمَّا يتَّصل بما أسلفنا التَّقْديم له آنفًا، وَالشَّاعِر يُنْكِرُ من خلال ذلك على رعيَّته إقرارهم بأفعاله في الحُكْم دون التَّصدِّي له، داعيًا في البيت التَّالِي إلى الثَّوْرة عليـــه وقتله؛ كيما يزول الشَّكُّ عن العاقل في حِكْمَةِ الله ـــ ﷻ ـــ من حُكْمِهِ؛ وَهذا مـــدعاةٌ لاســـتنبات مفاسد عقيديَّةٍ أخرى، تتعلَّق بالدَّهْريَّة الدَّاهبين إلى قِدَم الدَّهْر، وَالمُعطِّلـــة القـــائلين إنَّ النَّـــاس مُعطَّلون عن صانعٍ يُدبِّرهم؛ لذا كان قتله الحلَّ النَّاجِع لتبديد كُلِّ ظلامات الفِكْر وَالمُعْتَقد وَالرَّأي.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٤٤، (البَيْت: ١٧).
[2]) **نفسه**، ٢: ٢٠٢، (البَيْت: ١٩).
[3]) **نفسه**، ٤: ٢٠٧، (الأبيات: ٥ ـــ ٨).

وَتتأكَّد الصُّورَة النَّاقِصة حُسْن المِثَال، بأصحاب اللِّحَى من مصطادي أرزاق النَّاس، وقُضَاة السُّوء من آكلي أموال اليَتَامَى بالبَاطِل، والتي أشرنا إليها في سياق حديثنا عن الوظيفة القضائيَّة([1]):

لَوْ سُرِّحَتْ فِي عَارِضَيْ مُحْتَالِ — لَعَدَّهَا مِنْ شَبَكَاتِ الْمَالِ

بَيْنَ قُضَاةِ السُّوءِ، وَالأَطْفَالِ — شَبِيهَةِ الإِدْبَارِ، بِالإِقْبَالِ

وَإذا ما اختتمنا النَّظَر في هذه القضيَّة؛ ألفينا أنفسنا على إلفٍ مع صورة الملامح الكُلِّيَّة للآخر الدِّينيِّ عند المُتنبِّي؛ وفيها الآخر المُنتمِي للفِرْقة الدِّينيَّة من المُتصوِّفة أو العلويِّين أو الخَوَارج، ثُمَّ الآخر العقيديِّ، المُفصِح عن فِكْر المؤمنين بالبَعْث، وَالدَّهْريِّين، وَالمانويَّة، وَالمُعطِّلة، وَللدِّين ارتباطٌ واضحٌ بالوظيفة القضائيَّة وَالسُّلْطانيَّة، ناهيك عن السُّلوك الدِّينيِّ على صورتي المِثَال وَسُوئِهِ، في القَضَاء وَالحَاكِميَّة وَغيرهما.

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٦، (البَيْتان: ٣٥، ٣٦).

ــ صُورَةُ الآخَرِ الاجْتِمَاعِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

أكَّد المُتنبِّي عنايته بالمجال الاجتماعيِّ، من خلال قضايا عديدةٍ، تتدرج في سياقات المُستَويات الاجتماعيَّة كافَّةً، وكان له أن يتوقَّف في قصائد كثيرةٍ، على مُكوِّنات السِّمَات الرَّئيسيَّة للآخر الاجتماعيِّ، التي سنعمد إلى رصد معالمها في هذا المقام.

وَمِمَّا استوقفنا في صورة الآخر الاجتماعيَّة، ما جاء في تعزية سَيْف الدَّوْلة، عن عبده (يمَاك) التُّركيِّ، المُتوفَّى في حَلَبٍ، سنة أربعين وَثلاثمائة([1]):

لأبْقَى يمَــاكُ فِي حَشَايَ صَبَابَــةً إلَى كُلِّ تُرْكِيِّ النِّجَــار، جَلِيــبِ
وَمَا كُــلُّ وَجْــهٍ أبْيَضٍ بِمُبَــارَكٍ وَلا كُلُّ جَفْــنٍ ضَيِّــقٍ بِنَجِيــبِ
لَئِنْ ظَهَــرَتْ فِينَــا عَلَيْهِ، كَــآبَةٌ لَقَدْ ظَهَرَتْ فِي حَدِّ كُلِّ قَضِيــبِ
وَفِي كُلِّ قَــوْسٍ كُلَّ يَوْمِ تَنَاضُــلٍ وَفِي كُلِّ طِرْفٍ كُلَّ يَوْمِ رُكُــوبِ
يَعِــزُّ عَــلَــيْهِ أنْ يُخِــلَّ بِعَــادَةٍ وَتَدْعُو لأمْرٍ وَهُوَ غَيْرُ مُجِــيبِ
وَكُنْــتُ إذَا أبْصَرْتُهُ لَــكَ، قَائِمًــا نَظَرْتُ إلَى ذِي لِبْدَتَيْــنِ أدِيــبِ
فَإنْ يَكُنِ الْعِلْقَ النَّفِيــسَ، فَقَدْتَــهُ فَمِنْ كَفِّ مِتْلافٍ، أغَرَّ وَهُــوبِ
كَأنَّ الرَّدَى عَــادٍ عَلَى كُلِّ مَاجِــدٍ إذَا لَمْ يُعَوِّذْ مَجْــدَهُ، بِــعُــيُوبِ
وَلَوْلا أيَادِي الدَّهْرِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَنَا غَفَلْنَا فَلَمْ نَشْعُرْ لَــهُ بِــذُنُــوبِ
وَلَلتَّرْكُ لِلإحْسَــانِ خَيْرٌ لِمُحْسِــنٍ إذَا جَعَلَ الإحْسَانَ، غَيْرَ رَبِيــبِ
وَإنَّ الَّــذِي أمْسَتْ نِزَارٌ، عَبِيــدَهُ غَنِيٌّ عَــنِ اسْتِعْبَــادِهِ لِغَرِيــبِ
كَفَى بِصَفَــاءِ الْوَدِّ، رِقًّــا لِمِثْلِــهِ وَبِالْقُرْبِ مِنْــهُ، مَفْخَــرًا لِلَبِيبِ
فَعُوِّضَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ، الأجْرُ إنَّــهُ أجَــلُّ مُثَابٍ، مِنْ أجَــلِّ مُثِــيبِ

تضمَّنت اللَّوْحة الشِّعْريَّة السَّابِقة تفصيلاً في شأن الآخر الاجتماعيِّ، من غير وجهٍ، وَأهمّ ما يمكن أن نُوجِّه عنايتنا لاستبصاره في هذا الشَّأن، صورة المَمْلوك التُّركيِّ (يماك)، التي استدعى بها المُتنبِّي صورة التُّرْكِ بعامَّة، ثُمَّ قابلها بالعرب جميعهم، من ناحية الولاء الإيجابيِّ، الذي يُقدِّم فُرُوض الوَلاء وَالفِدَاء لِسَيِّدِ الحُكْم؛ دفاعًا عنه، وَحمايةً لدَوْلته.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٢٤ ــ ١٢٦، (الأبيات: ٩ ــ ٢١).

لقد خلَّف رحيل (يمَاك) في قلب المُتنبِّي، صبابة المشتاق إلى كُلِّ من ينتمي إلى الأصل التُّركيِّ؛ حُبًّا للمَمْلوك الرَّاحِل، وَتمجيدًا لقدره من الولاء المفعم بإخلاص الخدمة، لسيِّده سَيْف الدَّوْلة؛ ليأتي النَّقْي التَّشْطيريُّ في البيت التَّالِي، عِمَادًا مُهمًّا في تأكيد سمتي البَرَكة وَالنَّجَابَة، في (يمَاك) المُتوفَّى، الذي أحدث ميلاً في هوى الشَّاعِر نحو الأتراك بعامة، حتَّى وَإن لم يدانوه في الفَضْل.

وكان للمُتنبِّي أن يختزل في عجالةٍ حسن إدارة المُعزَّى به للشَّأن القتاليِّ، بما تملَّك من الشَّجَاعة وَالفُرُوسيَّة وَالإقدام، ثُمَّ إنَّه بين يدي سيِّده، جامعٌ لحالتَيْن من الأدب الرَّفِيع وَالبأس الشَّدِيد، وَأحسن الشَّاعِر سَبْكَ الخِطَاب، ليتضمَّن المدح للسَّيِّد الحَمْدانيِّ؛ حيث جعل من فقد (يمَاك) إشارةً إلى اليد السُّلْطانيَّة، التي ما زالت تتلف الأموال وَتهبها، دون مبالاةٍ بما ذهب منها.

وَيجمل بالشَّاعِر أن ينطق بالوظيفة الأدبيَّة السَّامية، التي تتمثَّل في الكشف المُعمَّق للحياة، من خلال استحضار أثر الدَّهْر على هذه المناسبة الحزينة؛ فالدَّهْر بوسيلة الإماتة أصاب سَيْف الدَّوْلة فيمن أحبَّ، وهو الذي خلا من العُيُوب، التي توجب دهم الموت كُلَّ شريفٍ؛ ليكون موت عبده بمثابة الرُّقْيَةِ له من معايبه.

كما استجلب المُتنبِّي معنى الذَّنْب الدَّهْريِّ بإساءة سَلْب الإماتة، من خلال إحسانه بالجمع بينهم؛ فبالإحسان تُعْرَفُ الإساءة، وكان الأولى بالدَّهْر ألا يُزاوج بينهما؛ لأنَّ ترك الإحسان خير وَأبقى، من عدم إتمامه.

وَيعرض الشَّاعِر في الأبيات الثَّلاثة الأخيرة، لحالةٍ من سُمُوِّ الرِّقِّ المجازيِّ، حين يقصد بذلك الولاء الإيجابيَّ للحَاكِم؛ وفيه اتِّحَاد الطَّبَقات الاجتماعيَّة كافَّةً، مع السُّلْطة السِّياسيَّة؛ لغاية تحقيق رفعة الدَّوْلة وَسِيَادتها، وَسَيْف الدَّوْلة باستعباده نِزَارًا أبا الأشراف من العرب جميعًا، غنيٌّ عن استعباد الغريب التُّرْكيِّ أوغيره؛ مِمَّا يَشِي بالحِسِّ القوميِّ، الذي ابتنى المُتنبِّي في ظلاله كثيرًا من أطروحاته الفكريَّة، وَرسائله القيميَّة.

ثُمَّ إنَّ الشَّاعِر يطرح الرِّقَّ بمفهوم المَجَاز، مع استحضار وسيلته، التي أحسن سَيْف الدَّوْلة توظيفها، من خلال مُصَافَاتِهِ العرب، وَإقباله عليهم بالمودَّة وَالرَّأفة؛ فكأنَّه بذلك استعبدهم وكسب ودَّهم وَولاءَهم؛ وهذا الطَّرْح يُؤسِّس ـــ بلا ريبٍ ـــ لحالةٍ من العلاقة التَّصالُحيَّة، المُشبَعة بدواعي الدَّيْمومة، بين الحَاكِم وَرعيَّته؛ مِمَّا يُجسِّد تأصيلاً للسُّموِّ المُجتَمعيِّ في ظِلِّ السُّلْطان، الذي حرص على الوفاء بمسؤوليَّاته تجاه رعيَّته، على الوجه المُؤمَّل منه.

وَنستطيع أن نكمل اللَّوْحة السَّابِقة، بما ورد في موطنٍ آخر؛ لغاية ترسيخ الفوقيَّة العربيَّة، التي ساد بها سَيْف الدَّوْلة المُلوك، إبَّان نُصْرة العرب له، وَتحالفه معهم، ضمن ارتدادٍ نَسَبيٍّ

مُتَّحِدٍ إلى أصل العُرُوبة "عَدْنَان"، وَهم على فخرهم به، يفخرون بنسبهم إلى سَيْف الدَّوْلة، في مقام الشَّرَف الرَّفِيع([1]):

رَفَعَتْ بِكَ الْعَرَبُ الْعِمَادَ، وَصَيَّرَتْ   قِمَمَ الْمُلُوكِ مَوَاقِـدَ الـنِّـيرَانِ
أَنْسَابُ فَخْرِهِـمُ إِلَيْـكَ وَإِنَّـمَـا   أَنْسَابُ أَصْلِهِـمُ إِلَى عَـدْنَـانِ

وَمن الظَّواهِر الْجتماعيَّة التي رصدها المُتنبِّي، ضمن صورة الآخر، في النِّطَاق القَبَلِيِّ، ما كان من تمرُّد بعض القبائل على السُّلْطة السِّياسيَّة، وَإخضاع الجُيُوش التَّابعة لصاحب الكلمة السُّلْطانيَّة في الدَّوْلة لهم، بوسيلتي القَمْع وَالإِخْضَاع؛ وَقد تكفي الإشارة إلى هذه اللَّوْحات الشِّعْريَّة المُتضمِّنة هذه الملامح، في ترسيخٍ واضحٍ لحضور هذه الظَّاهِرة في ديوان المُتنبِّي([2])، مع احتفائنا بذكر ستَّة أبياتٍ، اختزلت البُعْد الكُلِّيَّ لها، فقال المُتنبِّي حين مدح أبا الفوراس (دِلِّيْرَ بْن لَشْكَرَوَزٍّ) ، سنة ثلاثٍ وَخمسين وَثلاثمائة([3]):

أَرَادَتْ كِـلابٌ أَنْ تَـفُـوزَ بِـدَوْلَةٍ   لِمَنْ تَرَكَتْ رَعْيَ الشُّوَيْهَاتِ وَالإِبْلِ
أَبَى رَبُّهَا أَنْ يَتْرُكَ الْوَحْشَ وَحْدَهَـا   وَأَنْ يُؤْمِنَ الضَّبَّ الْخَبِيثَ مِنَ الأَكْلِ
وَقَـادَ لَهَـا دِلِّيْـرُ كُـلَّ طِـمِـرَّةٍ   تُنِيفُ بِخَدَّيْـهَا سَحُـوقٌ مِنَ النَّخْلِ
وَكُلَّ جَـوَادٍ تَلْطِـمُ الأَرْضَ كَـفُّـهُ   بِأَغْنَى عَنِ النَّعْـلِ الْحَدِيدِ مِنَ النَّعْلِ
فَوَلَّتْ تُرِيـغُ الْغَيْثَ وَالْغَيْثَ خَلَّفَـتْ   وَتَطْلُبُ مَا قَدْ كَـانَ فِي الْيَدِ بِالرِّجْلِ
تُحَاذِرُ هَـزْلَ الْمَـالِ، وَهِيَ ذَلِـيلَةٌ   وَأَشْهَدُ أَنَّ الـذُّلَّ شَـرٌّ، مِنَ الْهَزْلِ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٣٣، (البَيْتان: ٤٦، ٤٧).
[2]) يُنظَر: **نفسه**، ١: ١٤٤ ــ ١٥١، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنةٌ من اثنَيْن وَأربعين بيتًا، في تمرُّد أهل البَادِيَة من بني كلابٍ، على سَيْف الدَّوْلة، وَإخضاعه لهم)؛ ٢: ١٤٣ ــ ١٥٣، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنةٌ من ستَّةٍ وَستِّين بيتًا، في إيقاع سَيْف الدَّوْلة ببني عُقَيْلٍ وَقُشَيْرٍ وَبني العَجْلان وَبني كِلابٍ؛ حين عاثوا في عمله وَخالفوا عليه؛ مع ذكر إجفالهم من بين يدَيْه وَظفره بهم)؛ ٣: ٤٤ ــ ٥٤، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنةٌ من سبعةٍ وَأربعين بيتًا، في ذكر إيقاع سَيْف الدَّوْلة ببني عُقَيْلٍ وَقُشَيْرٍ وَبني العَجْلان وَكِلابٍ؛ لمَّا عاثوا في نواحي أعماله، وَقَصْدِهِ إيَّاهم، وَإهلاك من أهلكه منهم، وَعفوه عمَّن عفا؛ بعد تَضَافُرهم وَتَضَامِّهم عن لقائه، سنة ٣٤٤هـ).
[3]) **نفسه**، ٤: ٨ ــ ١٠، (الأبيات: ٢٤ ــ ٢٩).

وَلا يخفى ما في هذه الأبيات من الإشارة إلى التَّمرُّد، الذي حدث من جهة الخَارجيِّ، المُنتمِي إلى بني كِلابٍ، وَسعي أبي الفَوَارس (دِلَّيْرَ بْنِ لَشْكَرَوَزٍّ) إلى القضاء على هذا التَّمرُّد بالقُوَّة؛ فكانت عاقبتهم الهزيمة وَالذِّلَّة([1]).

وَنقرن بالسَّابق بيتًا شعريًّا واحدًا، اختزل البُعْد القَمْعيَّ لتمرُّد فئتَيْن اجتماعيَّتَيْن، هُمَا العَرَب وَالرُّوم، على يد سَيْف الدَّوْلة، فيقول الشَّاعِر([2]):

فَالْعُرْبُ مِنْهُ مَعَ الْكُدْرِيِّ طَائِرَةٌ   وَالرُّومُ طَائِرَةٌ مِنْهُ مَعَ الْحَجَلِ

إنَّ الحالة التَّقابُليَّة في صورة فرار الطَّيْر؛ لتُؤكِّد فرار الخارجين على حكم سَيْف الدَّوْلة؛ بفعل قُوَّته وَسَطْوته، وَالعَرَب بذلكم تفرُّ مع القَطَا في فلواتها، وَالرُّوم تفرُّ مع الحَجَل في جبالها.

أمَّا الظَّاهِرة الثَّانية التي رُصِدت بعين المُتنبِّي، ثُمَّ انطلقت من فِيهِ شعرًا مُجلَّلاً بالبَيَان؛ فهي صورة الآخر الذي تملَّك غير سُلْطَةٍ سِيَادِيَّةٍ، لتصل إلى أكثر من سُلْطتَيْن على أدنى تقدير، أو خمس سُلطاتٍ على الأكثر، مع الإشارة إلى علاقة السُّلْطة الاقتصاديَّة بهاتيك السُّلطات جميعًا؛ لكونها محطَّ عناية الشَّاعِر؛ بوصفها عامل قُوَّةٍ في تذليل سُبُلِ المَجْد وَالسُّؤْدد.

وَقد آثرنا أن نسم هذا الضَّرْب من الاجتماع السُّلْطويِّ بـ"الاشتماليِّ"؛ لأنَّه يضمُّ أكثر من سُلْطَةٍ، من بين السُّلطات الرَّئيسيَّة السِّتِّ، التي كانت مدار البحث في دراستنا هذه؛ أمَّا إلحاقها في الباب الاجتماعي لظهور الأنا أو الآخر؛ فلكونها منضويةً في التَّقْسيم الهيكليِّ لعلم الاجتماع، الذي يُؤسِّس للتَّراتُب السُّلْطويِّ، في سائر طبقات المُجتَمع.

وَيحضر في هذا السِّيَاق التَّرْكيز السُّلْطويُّ، الذي بدا في مدح المُتنبِّي ابن العَمِيد، بقوله([3]):

أَأَحْزَمَ ذِي لُبٍّ وَأَكْرَمَ ذِي يَدٍ   وَأَشْجَعَ ذِي قَلْبٍ، وَأَرْحَمَ ذِي كَبِدِ

وَأَحْسَنَ مُعْتَمٍّ جُلُوسًا وَرِكْبَةً   عَلَى الْمِنْبَرِ الْعَالِي أَوِ الْفَرَسِ النَّهْدِ

استخدم الشَّاعِر لبناء البيت الأوَّل، تقنية التَّشْطير المُتَوازي؛ ذلك أنَّ الصَّدْر وَالعَجُز تضمَّنا شطرَيْن؛ أبان كُلٌّ منهما سُلْطَةً بعينها؛ فكانت الأشطار الأربعة؛ بمثابة المُعادِلات اللُّغويَّة، للصُّور

---

[1]) للاطِّلاع على القَصيدة كاملة، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٣ ــ ١٢، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من أربعين بيتًا، في مدح أبي الفَوَارس دِلَّيْرَ بْنِ لَشْكَرَوَزٍّ، سنة ثلاثٍ وَخمسين وَثلاثمائةٍ، وَذكر مجيئه إلى الكُوفَة لقتال الخَارجيِّ الذي نجم بها من بني كلابٍ، وَانصراف الخَارجيِّ عن الكُوفَة، قبل وُصُول دِلَّيْرَ إليها)؛ وَيُنظَر أيضًا: ٤: ٩٤ ــ ٩٦، (الأبيات: ٢٣ ــ ٢٨، في ذكر إيقاع سَيْف الدَّوْلة بعمرو بن حَابسٍ وَبني ضَبَّة، سنة إحدى وَعشرين وَثلاثمائةٍ).

[2]) **نفسه**، ٣: ١٥٢، (البَيْت: ٣٠).

[3]) **نفسه**، ٢: ١٢١، (البَيْتَان: ٣٥، ٣٦).

السُّلْطويَّة، الحاضرة في شخص الممدوح ابن العَمِيد؛ لذا كان "**أَحْزَمَ ذِي لُبٍّ**"؛ كناية عن تملُّكه سُلْطة الفِكْر، وَ"**أَكْرَمَ ذِي يَدٍ**"؛ لاستحضاره قيمة السُّلْطة الاقتصاديَّة في استجلاب السِّيَادة، ثُمَّ إنَّه "**أَشْجَعُ ذِي قَلْبٍ**"، إذا ما تعلَّق الأمر بشؤُون الفُرُوسيَّة السِّياسيَّة، وَ"**أَرْحَمُ ذِي كَبِدٍ**"، في سياق السُّلْطة الاجتماعيَّة.

وَجاء البيت الثَّانِي ليُقدِّم إضاءةً سُلْطويَّةً خامسة؛ فهو "**أَحْسَنُ مُعْتَمٍّ جُلُوسًا وَرِكْبَةً**"، وَبِالطَّيِّ وَالنَّشْر، وجَّه المُتنبِّي المعنى في حسن الاعتمام، إلى "**الْمِنْبَرِ الْعَالِي**" أو "**الْفَرَسِ النَّهْدِ**"؛ وفي البيت بيان أكيدٌ للسُّلْطة الدِّينيَّة، فضلا عن المعرفة التي تنسحب على فُنُون الفُرُوسيَّة.

وَهكذا تُفصِح الصُّوَر الإجماليَّة ــ في البيتَيْن الشِّعْريَّيْن ــ عن الموسوعيَّة، هذه القيمة التي تُستَدعي في سياق إلمام ابن العَمِيد، بشؤُون الكتابة في عصره، حتى غدا من مُبرِّزيها، وَهي بحدِّ ذاتها، سُلْطَةٌ تُوجِب على الكاتب تملُّك الموسوعيَّة الثَّقافيَّة؛ بغية الكتابة في مختلف سياقات الْفَنِّ النَّثريِّ؛ لاستجلاب التَّأثير الإيجابيِّ في المُتلقِّين، على اختلاف مشاربهم وَطبقاتهم([1]).

وَحين نُصرِّح هنا بمُصطلح السُّلْطة؛ فإنَّنا نقصد المُؤسِّسات السِّيَاقيَّة في الآخر الاجتماعيِّ، التي تنزع إلى تحقيق سيادته، بوساطة التَّأثير وَالنَّفاذ، من خلال سائر السُّلْطات، وَهي سِتٌّ في كمال مواءَمتها لأصول النَّظريَّة، كما عرضناها، في فصل المِهَاد النَّظريِّ؛ لتلتقي في أخلاق رجلٍ واحدٍ، كان له شأوه في هذه السُّلْطات جميعها.

وَلسنا نُبالِغ باحتشاد القدر الكافي من النَّماذج، في باب الدَّلالة على التئام التَّأثير التَّعاضُديِّ لهذه السُّلْطات، في شخص الممدوح الواحد، وجميعها كامنةٌ في دِيوَان المُتنبِّي، حسبنا أن نُشِيرَ إلى بعضها، مع إقرارنا بأهليَّة الأنموذج السَّابق، على ما فيه من إيجازٍ، في التَّأسيس للآخر الاجتماعيِّ الاشتماليِّ عند المُتنبِّي([2]).

---

[1]) اتَّكَأَ هذا التَّأثِير على التَّلذُّذ الجَمَاليِّ بِاللُّغَة، يُنظَر: حبّ الله، عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **الْمُقَدِّمَةُ فِي نَقْدِ النَّثْرِ الْعَرَبِيِّ ــ مَشْرُوعُ رُؤْيَةٍ جَدِيدَةٍ فِي تقنياتِ الْبَحْثِ وَالْكِتَابَةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الهَادِي للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٥٩.

[2]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٣١ ــ ١٣٨، (الأبيات: ١٤ ــ ٤٥، في سَيْف الدَّوْلة الاجتماعيِّ الاشتماليِّ)؛ ١: ١٦٨ ــ ١٧٥، (الأبيات: ١١ ــ ٣٩، في الْمُغِيثِ بن عَلِيّ بن بِشْر الْعِجْلِيِّ)؛ ١: ٢١٣ ــ ٢١٨، (الأبيات: ١٧ ــ ٤٧، في كَافُورٍ)؛ ١: ٢٧٦ ــ ٢٨٣، (الأبيات: ١٦ ــ ٤٤، في سَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ١٤١، (مَقْطُوعَةٌ من خمسة أبياتٍ، في سَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ١٩٠ ــ ١٩٧، (الأبيات: ١٤ ــ ٤٧، في أبي الفَضْل ابن العَمِيد)؛ ٢: ٢٣١، ٢٣٢، (مَقْطُوعتان ثُلاثِيَّتَانِ، في سَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ٣ ــ ١٢، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من اثنَيْن وَأربعين بيتًا، في سَيْف الدَّوْلة)؛ ٢: ٢٣٢، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثِيَّةٌ، في بَدْر بن عَمَّار)؛ ٢: ٢٤٨ ــ ٢٥٣، (الأبيات: ١٥ ــ ٣١، في عَلِيّ بن أَحْمَد الطَّائِيِّ)؛ ٢: ٢٥٦ ــ ٢٦١، (الأبيات: ١٣ ــ ٤١، في عَلِيّ بن إِبْرَاهِيم التَّنوخيِّ)؛ ٣: ٢١ ــ ٢٦، (الأبيات: ١١ ــ ٣٨، في أبي الفَرَج أَحْمَد بن الحُسيْن القَاضِي المَالِكِيِّ)؛ ٣: ٣٢ ــ ٣٥، (الأبيات: ١٦ ــ ٤٠، في سَيْف الدَّوْلة)؛ ٣: ٧٥ ــ ٨١، (الأبيات: ١٠ ــ ٣٩، في أبي العَشَائِر الحُسيْن بن عَلِيّ بن الحُسيْن بن حَمْدَان العدويِّ)؛ ٣: ٢٢٧ ــ ٢٣١، (الأبيات: ١٣ ــ ٣٧؛ في عبد الرَّحْمَن بن المُبَارَك الأنطاكيِّ)؛ ٤: ١٢٨ ــ ١٣٣، (الأبيات: ١٣ ــ ٣٩، في الحُسيْن بن إِسْحَاق التَّنوخيِّ)؛ ٤: ١٤٤ ــ ١٥٠،=

وَمِمَّا يُؤكِّد المذهب السَّابِق، في اختزال قدرٍ كبيرٍ من السُّلطات، على مستوى البيت الشِّعْريِّ الواحد، قول المُتنبِّي في رثاء مُحمَّد بن إسْحَاق التَّنُوخِيِّ(١):

فِيهِ الْفَصَاحَةُ وَالسَّمَاحَةُ وَالتُّقَى وَالْبَأسُ أجْمَعُ وَالْحِجَى وَالْخِيرُ

إنَّ اتِّصال سياق البيت السَّابِق بمناسبة الرِّثَاء؛ لكفيلٌ باستحضار مناقب الممدوح وَمحامده، وهي التي اختزلها الشَّاعِر في بيتٍ شعريٍّ واحدٍ، وظَّف فيه تقنية المُتتالِية الاسميَّة المُتعاطِفة، دالاً بِكُلِّ كلمةٍ فيها على سُلْطَةٍ بذاتها؛ فـ"**الْفَصَاحَةُ**" قيمةٌ أكيدةٌ في السُّلْطة المعرفيَّة، وَ"**السَّمَاحَةُ**" ملمحٌ رئيسيٌّ في السُّلْطة الاجتماعيَّة، وَ"**التُّقَى**" سِمَةُ السُّلْطة الدِّينيَّة، وَ"**الْبَأسُ**" دِعَامة السُّلْطة السِّياسيَّة، وَ"**الْحِجَى**" ركيزة السُّلْطة الفِكْريَّة، وَ"**الْخَيْرُ**" نتاجٌ لِسُلْطة المال وَالاقتصاد؛ وبذلكم كُنَّ خمسًا، لا يعوزها كمالاً إلى السِّتِّ، إلا افتقار الدَّلالة على البُعْد الثَّقافيِّ.

وَبهذا ينمُّ الرِّثَاء عند المُتنبِّي؛ عن قيمةٍ "تتحدَّد بحسب مكانة المرثيِّ وَمنزلته"(٢)، ليُجسِّد الشَّاعِر "الجوانب الثَّلاثة (الفنِّيَّة وَالشَّخْصيَّة وَالاجتماعيَّة)، وَقد اجتمعت هذه القيم كلُّها، في قصيدته في رثَاء مُحمَّد بن إسْحَاق التَّنُوخِيِّ"(٣).

وَيبقى أن نُوضِّح تجلِّي الآخر الاجتماعيِّ الأعجميِّ، الذي اقترن بنطاقَيْن اثنَيْن؛ أوَّلهما: المُوازَنة بين العَرَب وَالعَجَم، مع ترجيح كفَّة القَوْميَّة العربيَّة؛ وَثانيهما: صورة الآخر الرُّوميِّ المنهزم، في مُقابل سَيْف الدَّوْلة المُنتصِر، والذي أمكننا من إلحاق هذه الصُّورة في سياق درس النُّصُوص الاجتماعيَّة؛ رصدها صورة الانهزام في الإطارَيْن السِّياسيِّ وَالمُجتَمعيِّ.

وَما يُهمُّنا بيانًا هنا، هو انصراف المُتنبِّي إلى عقد المُوازَنة بين العَرَب وَالعَجَم، في قدرٍ حسنٍ من الأبيات الشِّعْريَّة، من أظهرها قوله في باب المُوازَنة الضِّمْنيَّة، لمَّا مدح أبا العَشَائِر، وَهجا ابن كَيَغْلَغ(٤):

أفْعَالُ مَنْ تَلِدُ الْكِرَامُ كَـريمَةٌ وَفَعَالُ مَنْ تَلِدُ الأعَاجِمُ أعْجَمُ

=(الأبيات: ١٨ ــ ٤٣، في الْمُغِيثِ الْعِجْلِيِّ)؛ ٤: ٢٦١ ــ ٢٦٦، (الأبيات: ١٦ ــ ٤١، في أبي سَهْل سَعِيد بن عبيد الله بن عبيد الله بن الحَسَن الأنطاكيِّ).

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٦٥، (البَيْت: ١١).

(2) الْجُهَنِيّ، سَنَد علِيّ صَلاح، (١٤٢٩/١٤٣٠هـ ــ ٢٠٠٨/ ٢٠٠٩م)، **قَصِيدَةُ الرِّثَاءِ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي ــ الرُّؤْيَةُ وَالأدَاةُ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أمّ القُرَى، مَكَّة المُكرَّمَة، السُّعوديَّة، ص١٣٩، (الخَاتِمَة).

(3) **نفسه**، ص١٣٩، (الخَاتِمَة).

(4) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١٩٢، (البَيْت: ٣٦).

وَلَمَّا كانت الأفعال تُشْبِهُ النَّسَب وَالأصْل، كانت الأفعال الكريمة للكِرَام، وَهم وَاقِعون ضمنًا في القوميَّة العربيَّة، وَكانت الأفعال اللَّئِيمة خاصَّةً باللِّئَام، وَالأعاجم عند المُعتَقِدين بعُلُوِّ الجِنْس العربيِّ لِئَامٌ.

وَينسجم ذلك مع مذهب المُتنبِّي؛ فقد تضمَّن شعره "نزعةً عربيَّةً واضحةً، أذكاها تَجوُّله في البداية وَاتِّصاله بسيف الدَّوْلة، وَفقدان الفِكْرة القَوْميَّة في خضم الفُرْس وَالتُّرْك، وَهو في كُلِّ مناسبةٍ، يُذكِّر العَرَب وَيرفعهم فوق العناصر الأعجميَّة، وَيدعو الحمدانيِّين إلى معاملتهم بعطف الأُخوَّة العَرَبيَّة وَرعايتها"([١]).

وَيحدث أن يجري اللِّقَاء بين العُرُوبة والعُجْمة في الخِطَاب، على جهة التَّماثُل الظَّاهِر، مِمَّا يصبُّ في دائرة التَّصالُح الثَّقافيِّ مع السِّيَاسَة، بامتداح المُسَاوَاة الطَّبقيَّة، كما قال([٢]):

تَفَرَّدَ الْعُـرْبُ فِي الدُّنْيَا بِمَحْـتِـدِهِ ... وَشَارَكَ الْعُرْبَ فِي إِحْسَانِهِ الْعَجَمُ

وَأَخْلَـصَ اللهُ لِلإِسْـلامِ نُصْرَتَـه ... وَإِنْ تَقَلَّـبَ فِـي آلائِـهِ الأُمَـمُ

إنَّ التَّماثُل الظَّاهِر في مجمل البيت الشِّعْريِّ الأوَّل، لا يعني حضور نقيضه في تفضيل القوميَّة العربيَّة؛ ففعال سَيْف الدَّوْلة محلُّ فخر العرب جميعًا، وَهذا الذي فاق به الْعَرَبُ الْعَجَمَ؛ أَمَّا عطاؤُه وَإحسانه؛ فقد جرى على العرب وَالعجم جميعًا، وَهذا يندرج في مذهب الشَّاعِر القائم على تمجيد العُرُوبة؛ فما "من شاعرٍ قديمٍ، تغنَّى بالعُرُوبة وَأشاد بالعَرَب، فعل المُتنبِّي"([٣]).

وَلَمَّا كانت الأمم مُشتركةً في إحسانه؛ أضحت نُصْرته خالصةً لدين الإسلام، الذي لا فضل فيه ﴿ **لِعَرَبِيٍّ عَلَى أعْجَمِيٍّ وَلا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلا لأحْمَرَ عَلَى أسْوَدَ وَلا أسْوَدَ عَلَى أحْمَرَ إلا بِالتَّقْوَى** ﴾([٤]).

وَيُجري الشَّاعِر المُوازَنة في السِّيَاق الاجتماعيِّ، لتشمل الأخلاق وَالعادات، مع حضور الحَاكِم في سياق الخِطَاب الشِّعْريِّ، فيقول في سياق تعزية سَيْف الدَّوْلة بأخته الصُّغْرى، وَتسليته بالكُبْرى([١]):

---

[1]) الهَاشِم، جُوزف، (١٩٦٦م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَنُصُوصٌ**، (ط٣)، بَيْرُوت: المَكْتَب التِّجاريّ للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٧٠، ٧١.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٦٩، (البَيْتَان: ٦، ٧).

[3]) الإمْرَانِيّ، **الْمُتَنَبِّي فِي دِرَاسَاتِ الْمُسْتَشْرِقِينَ الْفَرَنْسِيِّينَ**، ص٢١٩؛ وَيمكن الوُقُوف على آراء المُستشرقين الفرنسيِّين، في قضيَّة العُرُوبة عند المُتنبِّي، يُنظَر: **نفسه**، ص٢١٩ ــ ٢٤٢، (الفَصْل الرَّابع من البَاب الثَّاني: قضيَّة العُرُوبَة).

[4]) ابن حَنْبَلٍ، أَبُو عبد الله أَحْمَد بن مُحمَّد (ت٢٤١هـ/٨٥٥م)؛ **مُسْنَدُ الإِمَامِ أَحْمَـدَ بـنِ حَنْبَـلٍ**، (ط٢)، ٥٠ج، (تَحْقِيق: شُعَيْب الأرنؤُوط وَآخرون)، مُؤَسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٩٩٩م، ٣٨: ٤٧٤.

أجِدُ الْحُزْنَ فِيكَ حِفْظًا وَعَقْــلاً　　　وَأرَاهُ فِي الْخَلْق ذُعْرًا وَجَهْلاً

إنَّ المُوازَنة المعقودة في البيت السَّابق، لترتدُّ إلى باب الخُلُق الاجتماعيِّ، وَفيه تفضيل سَيْف الدَّوْلة على سائر الخَلْق في الحُزْن؛ فحُزْن سَيْف الدَّوْلة وفاءٌ وَحفظ مودَّةٍ، وَهو من أعمال العَقْل، وَحسن الأخلاق وَالمَنْطِق؛ وحُزْن الخَلائِق ذُعْرٌ من ألم الفراق، وَجبنٌ منه، وَمزيد جهلٍ به.

وَنعبر في المُنتَهى، إلى الصُّورة الاجتماعيَّة الكُلِّيَّة، للرُّوم المهزومين على يد سَيْف الدَّوْلة، مع استلال القدر اليسير، المُعبِّر عن مضمون الخِطَاب، فيقول الشَّاعِر([2]):

وَأشْقَى بِــلادِ اللهِ مَا الرُّومُ أهْلُهَا　　　بِهَذَا، وَمَا فِيهَــا لِمَجْدِكَ جَاحِــدُ

شَنَنْتَ بِهَا الْغَارَاتِ حَتَّى تَرَكْتَهَــا　　　وَجَفْنُ الَّذِي خَلْفَ الْفَرَنْجَةِ سَاهِدُ

مُخَضَّبَةً وَالْقَــوْمُ صَرْعَى كَأنَّــهَا　　　وَإنْ لَمْ يَكُونُوا سَاجِدِينَ، مَسَاجِدُ

تُنَكِّسُهُمْ، وَالسَّابِقَاتُ جِبَــالُــهُــمْ　　　وَتَطْعَنُ فِيهِمْ، وَالرِّمَــاحُ الْمَكَايِد

وَتَضْرِبُهُمْ هَبْرًا وَقَدْ سَكَنُوا الْكُدَى　　　كَمَا سَكَنَتْ بَطْنَ الثُّرَابِ الأسَاوِدُ

...

فَلَمْ يَبْقَ إلاَّ مَنْ حَمَــاهَا مِنَ الظُّبَا　　　لَمَى شَفَتَيْهَا وَالثُّدِيُّ النَّــوَاهِــدُ

تُبَكِّي عَلَيْهِنَّ الْبَطَارِيقَ فِي الدُّجَى　　　وَهُنَّ لَدَيْنَا، مُلْقَــيَاتٌ كَــوَاسِــدُ

بِذَا قَضَتِ الأيَّــامُ مَا بَيْنَ أهْلِــهَا　　　مَصَائِبُ قَــوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِــدُ

رسم المُتنبِّي صورة الهزيمة الجَمْعيَّة للآخر الرُّومِيِّ، على المُستَوَيَيْن: المُجتَمعيِّ وَالسِّياسيِّ، وَفيها التَّقْتيل وَالذِّلَّة وَالصَّغَار، فضلاً عن السَّبْي الذي طال بنات البَطَاريق.

وَيلحق بتصوير الآخر الاجتماعيِّ المهزوم، ما جرى للكرد على يد عَضُد الدَّوْلة، وفي ذلك قال المُتنبِّي([3]):

وَقَتَّلَ الْكُــرْدَ عَنِ الْقِــتَــالِ　　　حَتَّى اتَّقَتْ بِالْفَرِّ وَالإجْفَــالِ

فَهَــالِــكٌ وَطَـــائِعٌ وَجَــالِي　　　وَاقْتَنَصَ الْفُرْسَانَ، بِالْعَــوَالِي

وَالْعُتُقِ الْمُحْدَثَةِ الــصِّــقَــالِ　　　سَارَ لِصَيْدِ الْوَحْشِ فِي الْجِبَالِ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٧٩، (البَيْت: ٦).

[2]) **نفسه**، ١: ٢٧٧ ــ ٢٧٩، (الأبيات: ٢٠ ــ ٣٣، مع حذف بعضها).

[3]) **نفسه**، ٤: ٢٢، (الأبيات: ٨ ــ ١١).

وَفِي رِقَاقِ الأَرْضِ وَالرِّمَـــالِ عَلَى دِمَاءِ الإِنْسِ وَالأَوْصَـــالِ

لقد وظَّف عَضُد الدَّوْلة كُلَّ طاقته القتاليَّة؛ لغاية إخضاع الكرد؛ وَوصل بهم إلى إحدى ثلاث حالاتٍ: فناء التَّمرُّد وَالمُواجَهة، وَنجاة التَّسْليم وَالطَّاعَة، وَجلاء الذُّلِّ وَالخُسْران؛ وأحدث فـيهم مقتلةً عظيمةً؛ كيما تكون بمثابة الرَّدْع الجَازم؛ وَالغاية صرفهم عن قتاله.

وَنجد في دِيوَان المُتنبِّي حُضُوراً لِنماذج أخرى، فـي شـأن الآخـر الاجتمـاعيِّ، بِـسُبُلِ الإضاءات الكاشفة، وَالاستبصار المُعمَّق للأخلاق وَالمسلكيَّات، وَالإيقاظ النَّاقِد لغايـة التَّنْـوير وَالإِصْلاح([1])، الذي رسخ نُدْرة الفضائل، وَقِلَّة الجدارة، وَالتَّزْييف، وَالانحدار([2]).

وَإنَّنا إذا أردنا إجمال صورة الآخر الاجتماعيَّة، فلا يسعنا إلا وضعها في قيـود الملامـح الرَّئيسيَّة، التي تمسُّ اجتماعيَّة الولاء، وَاجتماعيَّة التَّمرُّد، ثُمَّ إنَّ للانهزام أثرًا بائنًا من جهة تفوُّق الممدوح السِّياسيِّ على غيره، من الفِرَق الدِّينيَّة وَالقوميَّات العِرْقيَّة، وَتملُّكه سلاح الرَّدْع القتاليّ، تجاه كُلِّ صور التَّمرُّد المُجتَمعيِّ.

كما تضمَّنت الصُّورة الكُلِّيَّة ملامح الاجتماعيِّ الاشتماليِّ، الذي ألحق به المُتنبِّي غير سُلْطَةٍ، بلغت في حدِّها الأقصى تمامها، ممثَّلة في سُلطات: الدِّين وَالاجتماع وَالاقتصاد وَالمعرفة وَالثَّقافة وَالسِّياسَة، وتجسَّدت في أدنى مراتبها بِثلاثةٍ فقط، مع إدركنا اعتلاق السُّلْطة الاقتصاديَّة، بِكُـلِّ ممدوحٍ سياسيٍّ أو دينيٍّ أو اجتماعيٍّ أو معرفيٍّ أو ثقافيٍّ على الدَّوام.

ثُمَّ كانت للمُوازَنة ومضاتها المبينة عن إجلال المُتنبِّي القوميَّة العربيَّـة، وَتفـضيله الـسَّيِّد الممدوح على غيره، في السِّيَاق الأخلاقيِّ.

وَالحقيقة التي اتَّصلت بنقد الشَّاعِر سائر الطَّبَقات الاجتماعيَّة؛ تتمثَّل فـي سُـمُوِّ الحركـة الفِكْريَّة، في مقابل الانحطاط الشَّامِل هاتيك الطَّبَقات؛ إذ "كان عصره عصر فسادٍ وَانهيارٍ، كمـا كان عصر نهضةٍ وَازدهارٍ؛ ففي جانبٍ منه انحطاطٌ سياسيٌّ وَاجتماعيٌّ وَخُلُقيٌّ، وَفي جانبٍ آخر تقدُّمٌ علميٌّ وَرقيٌّ فكريٌّ، بل انفتاحٌ ذهنيٌّ على شتَّى المُستَويات؛ أمَّا علَّة هذا التَّبايُن بين الحيـاة اليوميَّة وَالحياة العقليَّة؛ فمردُّها خضوع الواقع السِّياسيِّ لاعتبـاراتٍ آنيَّـةٍ طارئـةٍ، وَارتبـاط

---

[1]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٧٧، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثِيَّةٌ، في صُورَة غلمانه وَتوهُّمه رُؤْيـة مَنَـارَة الجَامِع وَالنَّعَامة وَالنَّخْلة، بعد سُقُوط المَطَر، أثناء السَّفَر ــ صورةٌ اجتماعيَّـةٌ مـشتملةٌ بِالدُّعَابَـة)؛ ٢: ٢١٢، (مَقْطُوعَةٌ رُبَاعِيَّةٌ، في سُؤَال صَدِيق المُتنبِّي أبي ضبيس الشَّاعِر الشَّرَّاب معه وَامتناعه)؛ ٣: ٢٧، ٢٨، (مَقْطُوعَةٌ من ثمانية أبياتٍ، في هِجَاء الغَادِرين، حين أخذ عبده فرسه وَأراد قتله)؛ ٣: ٦٠، (مَقْطُوعَةٌ ثُلاثِيَّةٌ، في احتقـار المُتنبِّي سَائِر الخَلْق، بمن فيهم الأَنْبِياء وَالرُّسُل وَالمَلائِكَة المُقرَّبين، فيما يدخل ضمن دَائِرة انتهاك المُحَرَّم الدِّينيِّ/ الكُفْر، كما قال بذلك الواحديُّ، وَقوله مُثْبَتٌ في حاشية الصَّفْحة نفسها، من شَرْح البَرْقُوقِيِّ).

[2]) يُنظَر: عُثْمَان، وكَنْعَان، **الْمَحْصُولُ الْفِكْرِيُّ لِلْمُتَنَبِّي**، ص١٤٠، ١٤١.

المُعطَيات الثَّقافيَّة بعوامل التَّطوُّر وَالارتقاء؛ فالآنيُّ مُتموِّجٌ لا ثبــات لــه، وَقــانون التَّطــوُّر استمراريَّةٌ لا انكفاء فيها"([1]).

وَقد أكَّد المُتنبِّي من خلال ما سبق؛ أنَّ "الأدَب صورةٌ مُعبِّرةٌ تعبيرًا حقيقيًّا عــن المُجتَمــع الذي يحيا فيه الأدِيب، وَالذي تربَّى في أحضانه منذ نعومة أظفاره، وَقد تفاعــل مــع مُقوِّماتــه المُتباينة"([2]).

---

[1]) اليَازجي، **الْعُرْفُ الطَّيِّبُ فِي شَرْحِ دِيوَانِ أبِي الطَّيِّبِ**، ص٥، (أضواء على سِيرَة المُتنبِّي، بقلم مُحقِّق الكِتَــاب د. عُمَر الطَّبَّاع).

[2]) أسْعَد، يُوسُف مِيخَائِيل، (١٩٨٦م)، **سيكُولُوجيَّةُ الإبْدَاع فِــي الْفَــنِّ وَالأدَبِ**، (د. ط)، الإســكندريَّة: الهَيْئَــة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب، ص٣٩.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الاقتِصَادِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

يُمثِّل الاقتصاد عصب الحَيَوَات الأخرى، بما فيها السِّياسة وَالاجتماع؛ ذلك أنَّه وسيله استجلاب المُؤثِّرات السُّلْطويَّة المختلفة، وَأظهرها القُوَّة وَالتَّأثير وَالشِّدَّة وَالاستحكام؛ لذا ألفينا المُثقَّف حريصًا غاية الحِرْص، على استجلاب السُّلْطة التي تُمثِّل هذا الجانب الحيويَّ، إلى نطاق خِطَابه الشِّعْريِّ؛ بغية استرضاء الممدوح تارةً، وَاستمالته تارةً أخرى؛ ثُمَّ خلوصًا منهما إلى تكريس حالةٍ مُتكامِلةٍ من التَّحالُف المُؤسَّس على الاتِّحَاد؛ ذلك أنَّها شكَّلت إحدى مطامحه، التي بها يحرز المَجْد السَّامِق.

وَكما هو الشَّأن في المطالب السَّابِقَة؛ فالوجهة معقودةٌ هنا على استجلاء صورة الآخر الاقتصاديَّة، بنحوٍ يُؤسِّس الملامح العامَّة لهذه السُّلْطة، في شُخُوص من كانوا محطَّ مدائح المُتنبِّي أو نقده اللاذع.

وَنستهلُّ البيان بالوُقُوف على صورة الممدوح السِّياسيِّ، سيِّد مُجتَمعه القبليِّ، أبي أَحْمَد عُبيْد الله بن يَحْيَى البُحْتريِّ المَنْبِجِيِّ، وَفيه يقول المُتنبِّي([1]):

فَتًى كُلَّ يَوْمٍ تَحْتَوِي نَفْسَ مَالِهِ	**رِمَاحُ الْمَعَالِي لا الرُّدَيْنِيَّةُ السُّمْرُ**
تَبَاعَدَ مَا بَيْنَ السَّحَابِ وَبَيْنَهُ	**فَنَائِلُهَا قَطْرٌ، وَنَائِلُهُ غَمْرُ**
وَلَوْ تَنْزِلُ الدُّنْيَا عَلَى حُكْمِ كَفِّهِ	**لأصْبَحَتِ الدُّنْيَا، وَأَكْثَرُهَا نَزْرُ**
أرَاهُ صَغِيرًا قَدْرَهَا عُظْمُ قَدْرِهِ	**فَمَا لِعَظِيمٍ قَدْرُهُ عِنْدَهُ قَدْرُ**
مَتَى مَا يُشِرْ نَحْوَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهِ	**تَخَرَّ لَهُ الشِّعْرَى، وَيَنْخَسِفُ الْبَدْرُ**
تَرَ الْقَمَرَ الأَرْضِيَّ وَالْمَلِكَ الَّذِي	**لَهُ الْمُلْكُ بَعْدَ اللهِ، وَالْمَجْدُ وَالذِّكْرُ**
كَثِيرُ سُهَادِ الْعَيْنِ مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ	**يُؤَرِّقُهُ، فِيمَا يُشَرِّفُهُ الْفِكْرُ**
لَهُ مِنَنٌ تُفْنِي الثَّنَاءَ كَأَنَّمَا	**بِهِ أَقْسَمَتْ، أَنْ لا يُؤَدَّى لَهَا شُكْرُ**

وَلم تكن الأبيات السَّابِقة في مُباشَرة الصُّورة الاقتصاديَّة للآخر، وهذا الذي قصدناه من إيرادنا إيَّاها دونما حذفٍ أو اجتزاءٍ؛ لغاية الدَّلالة على التحام السُّلْطتَيْن الاقتصاديَّة وَالسِّياسيَّة في ميزان المُتنبِّي، الذي سعى إلى تملُّك المال، سعيه إلى تملُّك قلوب أربابه؛ تمثُّلا منه للحالة السُّلْطانيَّة، في نطاق الممالك العربيَّة، التي زار مجالس مُلُوكها وَسادتها.

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٦١، ١٦٢، (الأبيات: ١٠ ــ ١٧).

وَمِمَّا يدلُّ على كرم الممدوح، غزو رماح المَعَالِي أمواله؛ لتظفر منها في كُلِّ يومٍ بنصيبٍ، وحين يُوزَاى بإمطار السَّمَاء، ترى نائله غَمْرًا، وَنائلها قَطْرًا، وَشتَّان بين الصُّورتَيْن !!

وَيمكن للتَّشْخيص أن يشي تاليًا، بقدرته الفائقة على استفتاح آفاق العطاء أنَّى وُجِدَتْ؛ فلو أطاعت كفُّه الدُّنيا لفارقها؛ أمَّا ذلك كلُّه فنزرٌ يسيرٌ مِمَّا جُبِلَ عليه من حُبِّ الجود وَالكرم؛ لذا استحقَّ أن يتملَّك المهابة، التي بها تتحقَّق سُلْطة الاقتصاد على الخَلائِق؛ فعظم قدره أرْبَى على كُلِّ شيءٍ في الوُجُود.

وَحتَّى تتَّضح صلة الاقتصاد بالسِّيَاسَة، كان لزامًا على المُتنبِّي، أن يبين لنا المعنى السُّلْطويَّ، بقيد السَّيْطرة الكُلِّيَّة، من خلال سقوط "**الشِّعْرَى**" وَانخساف "**الْبَدْر**"، إذا ما أشار الممدوح إلى السَّمَاء بوجهه؛ فهو القمر الأرضيُّ بهاءً وَحسنًا وَإشراقًا، وَهو من بعد المَلِك المُمَجَّد، صاحب الذِّكْر الحَسَن، بعد مُلْكِ الله تعالى.

وَلقد أضحى الفِكْر شرقًا تسهد به عين الممدوح؛ طلبًا لِكُلِّ جليلٍ من المعالي، ومِنَنُهُ التي شملت الخَلائِق، مُحَالٌ أن يبلغ أحد تمام شُكْرها؛ فهو المَلِك المُعلَّى، صاحب الرِّفْعة التي استقامت في المُلْك بفضل الاقتصاد، وَطبائع الجُود التي طالت العِبَاد.

وَقد حرص الشَّاعِر من خلال الأبيات السَّابقة، على استدعاء الاستمالة الضِّمْنيَّة للممدوح؛ بغية الحُصُول على غَمْر كفِّه وَنائل جوده، اللذَيْن ساد بهما نفوس العِبَاد قبل البلاد؛ وَفي وحي من استملك ثُمَّ تملَّك؛ يغدو المُتنبِّي أكثر اقتداءً بهذا النَّهْج في الطَّلَب السَّاعِي إلى التَّمثُّل، ثُمَّ التَّوثُّب لاستحقاقه الأكبر، المُتمثِّل في المُلْكِ.

وَلا يمكننا إغفال الصُّورة المَلَكِيَّةِ المُرتبطة بـ"**الشِّعْرَى**" وَ"**القمَر**"؛ وَفيهما من الأثر الميثولوجيِّ، الذي تمثَّله الشَّاعِر بصورةٍ غير قصديَّةٍ، ما يُشِيرُ إلى الاعتقاد الدِّينيِّ القديم، الذي جسَّد المَلِك في الرُّمُوز السَّماويَّة، وَمنها "**القمَر**".

كما أنَّ الإشارة إلى النُّجُوم تحمل قيمةً مَلَكِيَّةً مهيبةً، مترابطةً بعالم الأسطورة؛ إذ إنَّ المَلِك هو حامل الهمِّ البشريِّ، وَهو المُخلِّص من الهموم الجَمْعيَّة، وَهو الوَاسِطة بين الخلائق وَالآلهة السَّماويَّة، وَالمُتنبِّي رأى في ممدوحه ذلك كلَّه، وَإن لم يكن خِطَابه انسياحًا كاملاً في لُبِّ الأساطير القديمة، وَإنَّما تمثَّل الأثر المُتبقِّي منها، بصورةٍ تُشاكِل بين واقع الاسترحام المَلَكِيِّ للآلهة السَّماويَّة، وَواقع استرحامه هو على أعتاب الممدوح؛ عَلَّ الرِّعاية المَلَكِيَّة تشمله بالعَطَاء وَالنُّصْرة وَالتَّمْكين.

أمَّا الملمح الثَّانِي في صورة الآخر الاقتصاديَّة؛ فيتمثَّل في المُوازَنة بين ممدوحه وَغيره، في جانب العطاء المادِّيِّ، فيقول في سَيْف الدَّوْلة مادحًا إيَّاه([1]):

وَإِنْ جَادَ قَبْلَكَ قومٌ مَضَوْا   فَإِنَّكَ فِي الْكَرَمِ الأَوَّلُ

ولَيس لنا من غايةٍ في اعتساف المعنى، وَهو الواضح المُشرق بالبيان؛ فالكرم سِمَةٌ إنسانيَّةٌ رفيعةٌ، وَهي حَاضِرةٌ في العُصُور كلِّها، بما أجرى الله في خلائقه من كرم العطاء؛ أمَّا السَّابقون الأوَّلون من الكِرَام فجادوا؛ وَأمَّا هو فسبق بجُوده سَبْقهم، وكان أوَّلهم في الكرم وَالإحسان.

وَمِمَّا يسترعي الانتباه هنا، احتشاد البيت بالمُبَالَغة؛ الهادفة إلى تحقيق القدر الكافي من استرضاء الممدوح؛ بغية حُصُول المُثقَّف على كُلِّ مطلوبٍ، ثُمَّ إنَّ من اللافت ما جرت عليه المُوازَنة على نحوٍ تنتفي فيها العَدَالة؛ إذ كيف يُوزَاى سَيْف الدَّوْلة بِكُلِّ من سبقوه في الكرم، وَفيهم من بذل أجلَّ نفائسه في هذا السَّبيل.

لكنَّ المُوازَنة قد تكون مُرْضِيةً من جانب آخر؛ ذلك أنَّ نهج المُتنبِّي في مُوازَناته المختلفة؛ قد تَمَّ إجراؤُه على تفضيل السَّبْق الْكُلِّيِّ، الذي يُضْحِي الْمَرْجُوحُ به قيمةً صِفْرِيَّةً؛ أمَّا وقد ألحق الشَّاعِر بالممدوح سمة "**الأوَّل**"؛ فقد أقرَّ بكرم سابقيه، لكنَّه لم يزل أوَّلهم.

وَوظَّف المُتنبِّي إحدى سمات الأدب الكاشفة، تلك التي تتمثَّل في النَّقْد المُوحِي بتنوير الإصْلاح، وَمجال النَّقْد محصورٌ في العاملين على رأس الاقتصاد في مِصْرَ؛ أمَّا سياقه فهجاء كافورٍ يوم عرفة، قبل مسيره من مِصْرَ بيومٍ واحدٍ، سنة خمسين وَثلاثمائة، وَفي نقده يقول([2]):

أَكُلَّمَا اغْتَالَ عَبْدُ السُّوءِ سَيِّدَهُ   أَوْ خَانَهُ فَلَهُ فِي مِصْرَ تَمْهِيدُ
صَارَ الْخَصِيُّ، إِمَامَ الآبِقِينَ بِهَا   فَالْحُرُّ مسْتَعْبَدٌ، وَالْعَبْدُ مَعْبُودُ
نَامَتْ نَوَاطِيرُ مِصْرٍ عَنْ ثَعَالِبِهَا   فَقَدْ بَشِمْنَ وَمَا تَفْنَى الْعَنَاقِيدُ

وَمَرَّةً أخرى يعتلق الاقتصاد بالسِّياسَة، لكن في مقام سُوء المِثَال؛ فقد أراد الشَّاعِر للأبيات السَّابِقة، أن تتضمَّن أشدَّ مراتب استراتيجيَّة العِقَاب، فضلاً عن تصادُم التَّمرُّد المُوجَّه ضدَّ كافورٍ، وَهو يهجوه في سياق حالة الارتحال الجديدة عن مِصْرَ، التي شكَّلت فَصْلا من فُصُول الاغتراب في آخر حياته.

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٤٤، (البَيْت: ٢٤).
[2]) **نفسه**، ٢: ١٠١، ١٠٢، (الأبيات: ١٥ ــ ١٧).

وَقد صارت مِصْرُ في مُعتَقد المُتنبِّي، ملاذًا آمنًا لِكُلِّ هاربٍ أو قاتلٍ لسيِّده؛ وَهو بذلك يُعرِّض به؛ لقلته الإخشيد، وَاستقلاله بمُلْك مِصْرَ من بعده؛ فأضحى بذلك إمام الآبقين جميعًا؛ لأنَّهم يجرون على مثاله في الغَدْر وَالخِيَانَة.

وَقد أثَّر ذلك كلُّه في الواقع الاقتصاديِّ لِمِصْرَ؛ فقد غفل السِّياسيُّون عن الأراذل القَيِّمين على أقوات النَّاس وَأرزاقهم، في الزُّرُوع وَالثُّمُور وَالكُرُوم، الذين انتهبوا من أموال الشَّعْب قدرًا عظيمًا، مع كثرة المُتبقِّي منها.

وَإذ يُقدِّم الشَّاعِر النَّقْد الفَاحِص للظَّاهِرة؛ فإنَّه يُرسِي لدعامةٍ أساسيَّةٍ في ميدان الحُكْم السِّياسيِّ وَالعمل الاقتصاديِّ؛ فكما أنَّ الاقتصاد نَصِير السِّياسَة؛ فإنَّ السِّياسَة أُسُّ الاقتصاد؛ بصلاحها تصلح أحواله؛ وَبفسادها يستشري الفساد بكُلِّ أركانه؛ وَيغدو المال العامُّ نهبًا للخوَّانين أماناتهم؛ انسجامًا مع حَاكِمٍ أفَّاكٍ أثيمٍ.

وَيلزمنا أن ننبِّه إلى بعض الصُّور المتعلِّقة بالاقتصاد بوجهٍ من الوُجُوه، وَمنها موقف الممدوح عَلِيِّ بن مَنْصُور الحَاجِب، حين مدحه المُتنبِّي بقصيدةٍ كاملةٍ، جاء فيها([1]):

وَدَعَوْهُ مِنْ فَرْطِ السَّخَاءِ مُبَذِّرًا … وَدَعَوْهُ مِنْ غَصْبِ النُّفُوسِ الْغَاصِبَا

هَذَا الَّذِي أفْنَى النُّضَارَ مَوَاهِبًا … وَعِدَاهُ قَتْلاً وَالزَّمَانَ تَجَارِبَا

ثُمَّ قال([2]):

كَالْبَحْرِ يَقْذِفُ لِلْقَرِيبِ جَوَاهِرًا … جُودًا وَيَبْعَثُ لِلْبَعِيدِ سَحَائِبَا

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْؤُهَا … يَغْشَى الْبِلادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبَا

أمُهَجِّنَ الْكُرَمَاءِ وَالْمُزْرِي بِهِمْ … وَتَرُوكَ كُلِّ كَرِيم قَوْمٍ عَاتِبَا

وَقال أيضًا([3]):

وَعَطَاءُ مَالٍ لَوْ عَدَاهُ طَالِبٌ … أنْفَقْتَهُ فِي أنْ تُلاقِيَ طَالِبَا

وَهنا تتجسَّد مُفارَقة المَدْح وَالعَطَاء؛ فقد أخلص المُتنبِّي في تبيان الجانب المُشرق، من السُّلْطة الاقتصاديَّة، التي تملَّكها الممدوح، حتَّى لكأنَّه فاق أهل العطاء، بمنحه الذَّهَب وَالجَوَاهِر،

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٨٠، (البَيْتان: ٢٧، ٢٨).
[2]) **نفسه**، ١: ١٨١، (الأبيات: ٣٢ ــ ٣٤).
[3]) **نفسه**، ١: ١٨٢، (البَيْت: ٣٨).

وَإنفاق المال في البحث عن طالبٍ يُعطِيه، إذا لم يجد طالبًا، لكنَّ المَادِح لم يَجْزِ على هذا كلّه إلا بدينارٍ واحدٍ كما قِيلَ؛ لذا "سُمِّيَتْ بِالدِّينَارِيَّةِ"([1]).

كما نُشِيرُ إلى ظاهرةٍ اقتصاديَّةٍ مُتعلّقةٍ بالآخر، المرتدِّ إلى أثْل الكَرَم وَالجُود؛ لتتجلَّى مدائح المُتنبِّي في الطَّائيِّين، وَمنها مدحه عليَّ بن أحْمَد الطَّائيَّ في صِبَاه([2])، وَمدحه شُجَاعَ بن مُحمَّد الطَّائِي المَنْبِجِيَّ([3]).

وَقد حضرت السُّلْطة الاقتصاديَّة، في قدرٍ كبيرٍ من قصائد المُتنبِّي في ممدوحيه، وَجاءت مُقترنةً بالسُّلطات الأخرى؛ لغايةٍ أكَّدها الشَّاعِر، من خلال استراتيجيَّات: الاستمالة وَالاسترضاء وَالاستعانة؛ تتمثَّل في الحُصُول على هِبَات الممدوح وَعطاياه([4]).

إنَّ إيجازًا بالغًا لصورة الآخر الاقتصاديَّة؛ ليُحِيلنا إلى صورة الكرم الأصيلة، ممزوجةً بمُبالَغات المُتنبِّي؛ التي قصد منها استرضاء الممدوح وَاستمالته؛ تمهيدًا لطلب الاستعانة وَتوجيه الدَّعْوة إلى التَّحالُف.

ثُمَّ إنَّ المُوزَانة في هذه السُّلْطة حاضرةٌ، شأنها شأن السُّلطات الأخرى، بين ممدوح أثيرٍ وَنطاقٍ مجهولٍ؛ لغاية إلحاق سَبْق الجُود، وَأوّليَّة الكَرَم، بساحة الممدوح، في نتيجةٍ نكاد نقرأها بصورةٍ استباقيَّةٍ في مدائح المُتنبِّي.

كما تبدَّى موقف الضِّدِّ المُقابِل جزيل المدح بشحيح العطاء، على شاكلة ما كان في شأن "**الدِّيناريَّة**"، التي بدا ممدوحها ساخرًا قمَّة السُّخْرية من الشَّاعِر، بعطائه الذي مثَّل ضربًا من ضُرُوب الإهانة.

ثُمَّ كانت لمدائح الطَّائيِّين وقفةٌ جليَّةٌ من الشَّاعِر؛ تمثُّلاً لحالةٍ من الإقرار بالمُعتَقد الجَمْعِيِّ، لما استقر في المِخْيال العربيِّ، بكرم الذين ترتدُّ أصولهم إلى "طيء".

وَمهما يكن من أمرٍ؛ فإنَّ ارتباط الاقتصاد بالسِّياسَة، يُقْرَأُ في ضوء اعتقاد المُتنبِّي الرَّاسِخ؛ بأهمِّيَّة السُّلْطة الاقتصاديَّة؛ لتوطيد دعائم الحُكْم المَلَكِيِّ الرَّشِيد، سواء أمسَّ هذا الاعتقاد نطاق ممدوحه، أم اختاره نهجًا خاصًّا في الفِكْر وَالتَّصوُّر؛ لغاية الحُصُول على غاياته العُلْيا.

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٧٥، (الحَاشِية).

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٤٧ ــ ٢٥٣، (الأبيات: ١١ ــ ٣١).

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٢٢٠ ــ ٢٢٥، (الأبيات: ١٠ ــ ٢٩).

[4]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٠٦، (البَيْت: ٩، في سِيَاق مدح ابن العَمِيد وَتهنئته بِعيد النَّيْرُوز، وَفي البَيْت تصريحٌ ببالغ كرمه الماليِّ)؛ ٢: ١٦٩، (البَيْت الثَّالِث، في أبي الحُسيْن بن إبْرَاهِيم)؛ ٢: ١٨٢، ١٨٣، (الأبيات: ١٩ ــ ٢٥، في الأمِير عَلِيّ بن أحْمَد بن عَامِر الأنطاكيِّ)؛ ٤: ١٥٢ ــ ١٥٨، (الأبيات: ١٢ ــ ٣٩، في عُمَر بن سُلَيْمَان الشَّرَابِيِّ)؛ ٤: ١٥٩ ــ ١٦٧، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من ثلاثةٍ وَأربعين بيتًا، في أَبِي الحُسيْن عَلِيّ بن أحْمَد المُرِّيِّ الخُرَاسَانِيِّ)؛ ٤: ٢٢٣، ٢٢٤، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من أَحَدَ عَشَرَ بيتًا، في سَيْف الدَّوْلة).

وَقد انتصر المُتنبِّي للسُّلْطة الاقتصاديَّة، على السُّلْطة العسكريَّة السِّياسيَّة، في شُخُوص ممدوحيه، مع الاهتمام بهما معًا، من خلال إظهاره "مقدرةً على توظيف اليد وَأجزائها الثَّمانية وَالعشرين، في مائةٍ وَتسع صورٍ فَنِّيَّةٍ، في مجالاتٍ شتَّى، وَتجلَّت وظائف اليد كنايةً عن الكرم وَالنِّعَم، أكثر من وظائفها في سُوح الحرب، على شغفه بذكرها، وَتعكس صورةً فَنِّيَّةً مُفصَّلةً تفصيلاً دقيقًا لأجزاء اليد وَحركاتها، وَتُظهر الدِّرَاسة صورًا إبداعيَّةً لحركات اليد في شعره، قَلَّ من وصل إليها من الشُّعَراء"([1]).

[1]) ربابعة، د. حَسَن مُحمَّد، (٢٠٠٦م)، اليَدُ وَدَلالاتُهَا فِي شِعْرِ المُتَنَبِّي، **أبْحَاث اليَرْمُوك**، سِلْسلة الآدَاب وَاللُّغويَّات، ٢٤(٢)، ص١٤٧.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

عُنِيَ المُتنبِّي ببيان صورة الآخر المعرفيَّة الفِكْريَّة، من خلال مجموعةٍ من القصائد المُتناثِرة في دِيوَانه، تلك التي عرَّجت على تكوين المُؤسِّسات العامَّة للصُّورة الكُلِّيَّة، لهذا النَّمط السُّلْطويِّ، من خلال مِرَاسِ المعرفيِّين وَالمُفكِّرين الحُكَمَاء.

وَقد توقَّف المُتنبِّي عند معرفيَّة ابن العَمِيد، فقال([1]):

بِأَبِي وَأُمِّـــي نَاطِقٌ فِي لَفْظِـــهِ ثَمَنٌ تُبَاعُ بِهِ الْقُلُوبُ وَتُشْتَرَى

ثُمَّ قال في القصيدة نفسها([2]):

يَتَكَسَّـبُ الْقَصَـبُ الضَّعِيفُ بِكَفِّـهِ شَرَفًا عَلَى صُمِّ الرِّمَاحِ، وَمَفْخَرَا
وَيَبِينُ فِيمَـا مَسَّ مِنْـهُ، بَنَـانُـهُ تِيهُ الْمُـدِلِّ، فَلَوْ مَشَى لَتَبَخْتَـرَا
يَا مَنْ، إِذَا وَرَدَ الْبِـلادَ كِـتَـابُـهُ قَبْلَ الْجُيُوشِ ثَنَى الْجُيُوشَ تَحَيُّرَا
أَنْتَ الْوَحِيدُ، إِذَا ارْتَكَبْـتَ طَـرِيقَةً وَمَنِ الرَّدِيفُ وَقَدْ رَكِبْتَ غَضَنْفَرَا
قَطَفَ الرِّجَالُ الْقَـوْلَ وَقْتَ نَبَاتِـهِ وَقَطَفْتَ أَنْـتَ الْقَوْلَ، لَمَّا نَـوَّرَا
فَهُوَ الْمُشَيَّعُ بِالْمَسَامِعِ إِنْ مَضَـى وَهُوَ الْمُضَاعَفُ حُسْنُهُ، إِنْ كُرِّرَا
وَإِذَا سَكَـتَّ فَـإِنَّ أَبْلَـغَ خَاطِـبٍ قَلَمٌ لَكَ، اتَّخَـذَ الأَصَابِعَ مِنْبَـرَا
وَرَسَائِلٌ قَطَـعَ الْعُـدَاةُ سِحَاءَهَـا فَرَأَوْا قَنًـا، وَأَسِنَّـةً وَسَنَـوَّرَا
فَدَعَاكَ حُسَّدُكَ الرَّئِيسَ وَأَمْسَكُـوا وَدَعَاكَ خَالِقُكَ الرَّئِيسَ الأَكْبَـرَا

كرَّس الشَّاعِر ـ في البيت الأوَّل ـ أثر اللَّفْظ البليغ، الذي اشترى به ابن العَمِيد قلوب النَّاس، وَقد قبلوه ثمنًا لذلك؛ وفي هذا مُؤشِّرٌ على إلحاق سمة الاستمالة، على نحوٍ يُحقِّق قُوَّةَ التَّأْثير، في باب السُّلْطة المعرفيَّة؛ إذ اللَّفْظ البليغ مُنسجِمٌ مع الْفَنِّ النَّثْرِيِّ، الذي توسَّل التَّأْثير في

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٩١، (البَيْت: ٢١).
[2]) **نفسه**، ٢: ١٩٢ ـ ١٩٤، (الأبيات: ٢٤ ـ ٣٢).

المُتلقين عبر جماليَّات البلاغة العربيَّة، وَالعصر ــ حينئذٍ ــ مرتكز الاهتمام علــى المُحــسِّنات البديعيَّة وَالقيم البلاغيَّة([1]).

وَحقَّق المُتنبِّي المعرفيَّة من وجهٍ آخر، فيه المُوازَنة بين "**الأقلامِ**" وَ"**الرِّمَــاح**"، وَقــد فاقــت الأولَى الأُخرَى فضلاً وَقُوَّةً؛ لالتقاطه إيَّاها بكفِّه حين الكتابة؛ مِمَّا يشي بإدارك الشَّاعِر العَمِيــق، أهمِّيَّة الكلمة في تشريع سُلْطة المعرفة، التي قد تُعِين السِّياسيَّ العسكريَّ في المقام المُنَاسِب.

وَوظَّف الشَّاعِر التَّشْخيص تاليًا؛ ليدلَّ على ملمح تباهي القلم الذي مسَّه ابن العَمِيد ببنانــه؛ وَقد يصل التَّبَاهِي حَدَّ الكِبْر وَالخُيَلاء؛ فأيُّ الأقلام لامس يد الممدوح مُفْتَخِرٌ مُتَبَخْتِرٌ.

وَانتقل المُتنبِّي من النِّطاق العامِّ، المُتمثِّل في بلاغة قلم ابن العَمِيد، إلى المجــال الخــاصِّ، المُعبِّر عن طريقته التي لا تُتَمَثَّلُ بأيِّ حالٍ من الأحوال؛ لابتداعه إيَّاها على نَسَقٍ لُغويٍّ مُحَــدَّدٍ، يُوافِق معرفته السَّابقة غيره من الكُتَّاب، فأيُّهم يُحسِنها وَلم يبلغ من العِلْم مبلغه أو يُوازِي شأوه ! وهذا تأكيدٌ على تملُّك ابن العَمِيد أسلوبًا خاصًّا في الكتابة، صار يُعْرَفُ به دون غيره، رسَّخ فيه قيمةً أساسيَّةً، ضمن السُّلْطة المعرفيَّة.

وَيزداد التَّصْوير ألقًا وَجمالاً، وَمجاله المُعايَن "**النَّبَات**"، وَحركته المُتربِّعة في لُبِّ الــصُّورَة "**القِطَاف**"، وَالقصد الرَّئيسيُّ من الجِنَاس الثُّنائيِّ الاستهلاليِّ البُؤْرِيِّ في **(قطف / القَوْل – وَقطَفْتُ / القوْل)**، إحداث المُوازَنة الجارية في شأن القِطَاف وَزمانه؛ أمَّا الآخرون فقطافهم يــأتي قبــل نضج الثَّمَر، وَيكون قطاف ابن العَمِيد إذا نوَّر النَّبَات؛ كنايةً عن حلاوة لفظه، وَمعسول بيانــه، وَهذا الأمر يتعلَّق بقول الطَّرفَيْن في المنطوق وَالمكتوب؛ وَهــو مُؤَشِّــرٌ على عنايــة المُتنبِّــي بـــ"إظهار البَرَاعَة اللُّغويَّة، في حضرة ابن العَمِيد"([2]).

وَيُؤكِّد الشَّاعِر تاليًا قيمةً إضافيَّةً للسُّلْطة المعرفيَّة؛ فالتَّأثير في المُتلقِّين هو المُبتَغى الكُلِّيُّ من العمليَّة الاتِّصاليَّة، التي تنزع إلى توظيف أنجع وسائل الكتابة انسجامًا مع روح اللُّغة، وَأقطــاب البيان في بلاغتها، فضلاً عن الرُّوح المُعاصِرة، السَّارية بين أصحاب الأقلام الأدبيَّة الرَّفِيعــة؛ وَبهذا الشَّأن كانت أقواله في حُكْم المُشيَّع؛ فالنَّاس يُشيِّعونها أنَّى ذهبت، وَامتدَّ المُقَام بصاحبها، ثُمَّ إنَّ أقوال غيره إذا كُرِّرت مُلَّتْ وَسَقِمَتْ؛ أمَّا أقواله فتزداد حسنًا على حسنٍ، وَيــشتمل بهاؤُهــا

---

[1]) حوْل ارتباط ابن العَميد بمدرسة السَّجْع وَالبَديع، يُنظَر: حجاب، د. مُحمَّد نَبيه، (١٩٦٥م)، **بَلاغَةُ الكُتَّابِ فِــي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ دِراسَةٌ تَحْليلِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ لِتَطوُّرِ الأَسَالِيبِ**، (ط١)، القَاهِرة: المَطْبَعة الفَنِّيَّة الحَديثــة، ص١٦٠ ــ ١٨٢، ("٤" من البَاب الثَّاني: مَدَارِس الكِتَابَة الفَنِّيَّة ــ مدرسة السَّجْع وَالبَديع "ابن العَميد")؛ وَفي مَلامِح مدرســة ابن العَميد، المُرتبطة بالقَصْر السُّلطانيِّ، يُنظَر: وَلِيد، **مَلامِحُ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي قُصُور الْبُــوَيْهِيِّينَ**، ص١٢٥ ــ ١٣٢، (المَدَارِس الأدبيَّة المُرتبطة بالقَصْر: ب ــ مدرسة ابن العَميد).

[2]) **نفسه**، ص١٦٧.

بوضاءَة البهاء، في حالة التَّكْرير؛ وَيبقى سُكُوته آية بلاغةٍ، ينوب عنه فيه قلمـــه المُتَّخـــذ مـــن أصابعه منبرًا.

وَيُشِيرُ الشَّاعِر أخيرًا إلى جنسٍ نثريٍّ ثانٍ، مهر ابن العَمِيد في صياغته بأبدع ما تكون عليه الألفاظ المُؤثِّرة، وَهي في مقام الحُرُوب بمثابة السُّمِّ النَّاقِع، أو السِّلاح الدَّافِع مكر الأعداء؛ لمـــا فيها من نصاعة البيان، وَقُوَّة البلاغة، وَحسن اللَّفْظ، وَسحر التَّأثير؛ وَلذلك أن يكون دلالةً أكيـــدةً على قُوَّة السُّلْطة المعرفيَّة، وَمُوازَاتها للقُوَّتَيْن العسكريَّة وَالسِّياسيَّة، في استرداد الحُقُوق، وَبَـــثِّ الرُّعْب وَالفَزَع في صفوف الأعداء، وَإثارة حماسة النُّصْرة وَالتَّأْييد في قلوب الأولياء؛ لذا أشار المُتنبِّي إلى دعوة حُسَّاده له بـــ"**الرَّئِيس**"، مُلحِقًا به لقب "**الرَّئِيس الأكْبَر**"؛ لما ارتأى مـــن إنعـــام رَبِّ العالمين عليه، في تفضيله على سائر الرُّؤَسَاء.

وَتبدو المعرفيَّة بوضوحٍ في قصيدةٍ أخرى، مدح بها المُتنبِّي أبا بَكْـــر عَلِـــيّ بـــن صَـــالِح الرّوذبَارِيَّ الكَاتِب بدِمَشق، قال فيها([1]):

وكَأنَّ الْفَـــرِيدَ وَالـــدُّرَّ وَالْـــيَا ... قُـــوتَ مِنْ لَفْظِهِ وَسَامَ الرِّكَازِ

وَقال في موطنٍ لاحقٍ([2]):

بَلَّغْتُهُ الْبَلاغَةُ الْجَهْدَ بِالْعَفْوِ ... وَنَـــالَ الإسْهَابَ بالإيجَازِ

إنَّ الفكرة التي أدار المُتنبِّي عليها المعنى في البيتَيْن السَّابِقَيْن، واقعةٌ في مجال البَلاغَة؛ وَقد فصَّل في أوَّلهما؛ ذَاكِرًا حُسْن اللَّفظ وَانتظامه، وَهذا ضربٌ من الاســـتيحاء المعرفـــيِّ للبلاغـــة العربيَّة، بحقولها الرَّئيسيَّة الثَّلاثة، حتَّى لكأنَّ هاتيك الأحجار الكريمة، استمدَّت حسنها من حسن ألفاظ الممدوح الكَاتِب.

ثُمَّ إنَّ في البيت الثَّانِي تصريحًا تامًّا بالقيمة المعرفيَّة البلاغيَّة؛ التي يتجـــسَّد مـــن خلالهـــا مُؤثِّران مُهمَّان في عُمْق الخِطَاب؛ اتَّصل أوَّلهما بنوال المُؤدَّى التَّعْبيريِّ بيسرٍ وَسهولةٍ؛ بفضل ما اغترف من فَنِّ البلاغة علمًا وَتمثُّلاً؛ أمَّا غيره فكان ينال اليَسِير بصعوبةٍ وَمشقَّةٍ. ثُمَّ إنَّ الممدوح تمثَّل الأساس المكين في علم البَلاغَة؛ ذلك الذي يقوم على الإيجاز؛ فهو بإيجازه أبلغ تعبيرًا عن مُرَاده، وَقد نال به ما لم ينله غيره إلا بالإسهاب.

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٢٠٢، (البَيْت: ١٨).

[2]) **نفسه**، ٢: ٢٠٣، (البَيْت: ٢١).

على مثل هذه الشَّاكِلة تبدو القيمة المعرفيَّة البلاغيَّة، في نتاج الرّوذبَارِيِّ، بمؤثِّرَيْن مُهمَّيْن في الخِطَاب؛ تمثُّلا في تملُّك الأسس المهاريَّة، المندرجة في سائر أبواب البَلاغَة، إضافة إلى الإيجاز المُعبِّر بقليل اللَّفْظ عن جليل المعنى؛ مِمَّا يعني حرص المُتنبِّي على بيان السُّلْطة المعرفيَّة، على ما تُشكِّله من تأثيرٍ بلاغيٍّ ظاهرٍ، في إطار منثور الكلام، الذي أحكم كُتَّاب العَصْر العبَّاسيِّ صياغته على نحوٍ بليغ([1]).

وَيقول المُتنبِّي تاليًا([2]):

مَلِكٌ، مُنْشِدُ الْقَرِيضِ لَدَيْهِ	**وَاضِعُ الثَّوْبِ فِي يَدَيْ بَزَّازِ**
وَلَنَا الْقَوْلُ، وَهُوَ أَدْرَى بِفَحْوَا	**هُ وَأَهْدَى فِيهِ إِلَى الإعْجَازِ**
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ	**شُعَرَاءُ كَأَنَّهَا الْخَازِبَازِ**
وَيَرَى أَنَّهُ الْبَصِيرُ بِهَذَا	**وَهُوَ فِي الْعُمْيِ ضَائِعُ الْعُكَّازِ**
كُلُّ شِعْرٍ نَظِيرُ قَائِلِهِ فِيـ	**ـكَ وَعَقْلُ الْمُجِيزِ عَقْلُ الْمُجَازِ**

جاءت الأبيات الخمسة، مُوزَّعة على أربعة أنماطٍ معرفيَّةٍ؛ أبان أوَّلها وَثانيها عن صورتَيْن معرفيَّتَيْن في شخص الممدوح الرّوذبَارِيِّ؛ اعتلقت الصُّورة الأولى بالمعرفة النَّقْديَّة؛ فهو العارف بالشِّعْر وَفُنُونه، وَأحواله من الجَوْدة وَالرَّدَاءَة، معرفة البزَّاز بالثِّيَاب؛ وَاشتملت الصُّورة الثَّانية على المعرفة البلاغيَّة النَّقْديَّة، التي تطال العلم بمغزى الشُّعَراء، وَمواطن الإعجاز، في منظوماتهم الشِّعْريَّة؛ وَهو بذلك امتلك طِبَّ الشِّعْر وَنقده.

أمَّا النَّمط الثَّالِث فيُؤسِّس للأدعياء على مجال النَّقْد، مِمَّن لا يميزون جيِّد الشِّعْر من رديئه، حتَّى إنَّهم ليُجِيزون من يهذون من الشُّعَراء، على شَاكِلة طَنِين الذُّبَاب؛ فهم على غير معرفةٍ بالشِّعْر تُؤهِّلهم لنقده، كالأعمى الذي ضاعت عصاه، وَما عاد يهتدي للطَّرِيق.

وَيُقدِّم النَّمط المعرفيُّ الرَّابع تقاطعًا بين المَادِح وَالمَمْدوح؛ أي بين المُتنبِّي وَالرّوذبَارِيِّ، لكنَّه يستحيل إلى حالةٍ تنسحب على مثالهما بعامَّة؛ فالشِّعْر محكٌّ للمَادِح وَالمَمْدوح معًا؛ وَبيان ذلك أنَّ الشَّاعِر المُجِيد يتموضع في طبقة فُحُول الشُّعَراء، وَالضِّدُّ بالضِّدِّ يلحق، إذا كان ديدنه

---

[1]) في بَلاغَة الكُتَّاب في العَصْر العبَّاسيِّ، وَسماتهم الفَنِّيَّة وَالأسلوبيَّة، يُنظر: الكساسبة، حُسيْن، (١٩٩٨م)، الكُتَّابُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٣(٧)، ص١٨٧ ــ ٢٠١.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٢٠٥، ٢٠٦، (الأبيات: ٣٤ ــ ٣٨).

الرَّداءَة في تقريض الشِّعْر؛ لذا فإنَّ إجازة الشَّاعِر العَارف المُـتقِن، أمـارة المعرفـة النَّقْديَّـة المُتبصِّرة للمَمْدوح المُجيز، وَنقيض ذلك مفهومٌ ضمنًا من السِّيَاق.

وَلنا مَنْدُوحَةٌ في الإشارة إلى أنَّ نفرًا من الكُتَّاب المنتسبين إلى بني اليزيديِّ، الذين أشـار المُتنبِّي إليهم، في سياق عرضه نماذج من التَّاريخ الجاهليِّ وَالإسلاميِّ، حول أثـر الخُـصُومة وَالشِّقَاق في ضعف ذات الشَّوْكة، وَكان ذلك بمناسبة الصُّلْح الذي تَمَّ بين كافورٍ وَابن الإخشيد.

وَقد وثب هؤلاء الكُتَّاب بالبصرة، "وَاستولوا عليها في خلافة المنـصور، وَأخرجـوا ابـن رائقٍ؛ فعظم شأنهم، وَكانوا إخوةً ثلاثةً ــ أبو عبد الله وَأبُو يُوسُف وَأبو الحُسيْن ــ ثُمَّ اختلفـوا، فقتل أكبرهم أوسطهم، فما كان إلا أن خوى نجمهم، وَذهب مُلْكهم، وَهلكوا جميعًا"(١)؛ مِمَّا يـدلُّ على شأو الكُتَّاب في ذلك العصر؛ الذي به ارتقوا بآمالهم، إلى مرتبة نُشْدَانِ الحُكْم السِّياسيِّ.

وَإذا كُنَّا قد توقَّفنا على الآخر المعرفيِّ، في السِّيَاق العربيِّ؛ فإنَّ للأعاجم ظهورًا واضحًا في بعض أشعار المُتنبِّي، من مثل ما ورد في معرض مدح أبي الفَضْل مُحمَّد بـن العَمِيـد، حيـث يقول(٢):

مَنْ مُبْلِـغُ الأعْرَابِ، أنِّي بَعْدَهَـا	**شَاهَدْتُ رَسَطَالِيسَ وَالإسْكَنْـدَرَا**
وَمَلِلْتُ نَحْـرَ عِشَارِهَا فَأضَافَنِـي	**مَنْ يَنْحَرُ الْبِدَرَ النُّضَارَ لِمَنْ قَرَى**
وَسَمِعْتُ بَطْلِيمُوسَ دَارِسَ كُتْبِـهِ	**مُتَمَلِّكًـا مُتَبَدِّيًـا مُتَـحَـضِّـرًا**
وَلَقِيتُ كُـلَّ الْفَاضِلِينَ، كَأنَّـمَـا	**رَدَّ الإلَـهُ نُفُوسَهُمْ وَالأعْصُـرَا**

انتقل الشَّاعِر من مجال الصُّورَة المُشتمِلة على الأعراب وَمنحور إبلهم، إلى ابن العَمِيد الذي نحر "**الْبَدْرَ النُّضَارَ**" قِرَىً لضيفه، وقبل ذلك استدعى المُتنبِّـي، مـن بـاب التَّنـاصِّ العَلَمِـيِّ، "**رَسَطَالِيسَ**" وَ"**الإسْكَنْدَرَ**"؛ فابن العَمِيد شبيههما؛ في علم الأوَّل وَحِكْمته، وَسعة مُلْك الثَّاني وَقُوَّته؛ وَفضلاً عن حضور "**رَسَطَالِيس**"، فقد ألحق الشَّاعِر بالصُّورة الإجماليَّة "**بَطْلِيمُوسَ**"، الذي كـان الممدوح شبيهه أيضًا في المَعْرفة وَالحِكْمة؛ وَجمع بذلك جلالة المُلْك، وَفصاحة البَدْو، وَظَرَافـة الحَضَر.

لقد بدا لقاء المُتنبِّي مع ابن العَمِيد، لقاءً مع الشُّخُوص المُبرِّزين في المَعْرفة وَالحِكْمة، حتَّى من الرُّومَان، وَكأنَّه اختزل في شخص من لقيه، جميع الْقَرَادَاتِ السَّابقة، فـي ميـدان المعرفـة

(1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٩٥، (الحَاشِية).
(2) **نفسه**، ٢: ١٩٥، ١٩٦، (الأبيات: ٣٩ ــ ٤٢).

الإنسانيَّة الرَّفِيعة، التي تعالت عن نطاق المعرفة التَّخصُّصيَّة المُحدَّدة، إلى ميدان الفِكْر الصَّدَّاح بالحِكْمة السَّامِية.

وَنلحظ في السِّيَاق المعرفيِّ، احتفاء المُتنبِّي بذكر المعرفيِّين من الشُّعَراء وَأهل الفصاحة، الذين احتضنهم مجلس سَيْف الدَّوْلة؛ فكانوا برعاية الحضرة السُّلْطانيَّة يتبارون بالشِّعْر، كما امتُحِنت في مجالسه الفَوَارِس وَالخَيْل، بالتَّسابُق وَالتَّجاوُل وَالطِّرَاد؛ فالمعرفة هنا شملت بابَيْن من الشِّعْر وَالفُرُوسيَّة، قال الشَّاعِر([1]):

وَمَيْدَانُ الْفَصَاحَةِ وَالْقَوَافِي وَمُمْتَحَنُ الْفَوَارِسِ وَالْخُيُولِ

وَقد يقف المُتنبِّي طويلاً، عند هذا الملمح من الرِّعَاية السُّلْطانيَّة، لأولِي المعرفة الشِّعْريَّة؛ فقد أنشد سَيْفُ الدَّوْلة مُتمثِّلاً بقول النَّابِغة([2]):

وَلا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

فقال المُتنبِّي مُرتجِلاً([3]):

رَأَيْتُكَ تُوسِعُ الشُّعَرَاءِ نَيْلاً حَدِيثَهُمُ المُوَلَّدَ وَالْقَدِيمَا
فَتُعْطِي مَنْ بَقَى مَالاً جَسِيمًا وَتُعْطِي مَنْ مَضَى شَرَفًا عَظِيمَا
سَمِعْتُكَ مُنْشِدًا، بَيْتَيْ زِيَادٍ نَشِيدًا، مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيمَا
فَمَا أَنْكَرْتُ مَوْضِعَهُ وَلَكِنْ غَبَطْتُ بِذَاكَ، أَعْظُمَهُ الرَّمِيمَا

وَأوَّل ما يمكن أن يُلْمح في الأبيات السَّابِقة، التقاء الأنا مع الآخر في سياق المَعْرِفة؛ فتصنيف المُتنبِّي الشُّعَراء إلى مُوَلَّدِين وَقُدَمَاء([4])، يُعَدّ ضربًا من الإلمام النَّقْديِّ؛ الذي يشي بمعرفةٍ عميقةٍ لمراتب الشُّعَراء وَطبقاتهم، ثُمَّ إنَّ في الأبيات إشارةً إلى ظاهرةٍ معرفيَّةٍ متَّصلةٍ بالتَّكسُّب، على أعتاب المُلُوك وَالأُمَرَاء؛ أمَّا ذكر اسم النَّابِغة صراحةً، مع إلحاقه بضربٍ من النَّقْد الانطباعيِّ غير المُعلَّل، بقوله: "**نَشِيدًا مِثْلَ مُنْشِدِهِ كَرِيما**"؛ فأمارة معرفةٍ بالشَّاعِر وَأخباره،

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ١٥٧، (البَيْت: ٣).
[2]) النَّابِغَة الذُّبْيَانِيّ، زِيَاد بن مُعَاوِية بن ضِباب، (ت١٨ق. هـ/٦٠٥م)، **دِيوَانُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ**، (ط٢)، م١، (تَحْقيق: مُحمَّد أَبُو الفَضْل إِبْرَاهِيم)، دَار المَعَارِف، القَاهِرَة، ١٩٨٥م، ص٤٤؛ وَورد في: **شَرْح دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي لِلْبَرْقُوقِيِّ**، ٤: ٨٨، (البَيْت: ١).
[3]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٨٩، (مَقْطُوعَة رُبَاعِيَّة).
[4]) في شأن القُدَمَاء وَالمُحْدَثِين، يُنظَر: ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ١: ٩٥ ــ ٩٨، (١٣ ــ باب القُدَمَاء وَالمُحْدَثِين).

التي شكّلت في مِخْياله حُكْمًا نقديًّا مُعَمَّمًا، وَهو لذلك قال: "**فَمَا أَنْكَــرْتُ مَوْضِــعَهُ**"، وإن كانــت الغِبْطة بعظيم الشَّرْف الذي نالته روحه، بإنشاد سَيْف الدَّوْلة شعره، واقعةً في نفس المُتنبِّي، على نحوٍ واضحٍ.

كما ارتبط مجلس سَيْف الدَّوْلة في مِخْيال المُتنبِّي، بالحُسَّاد من المعرفيِّين، الذين ما انفكُّــوا يحيكون المُؤامَرات ضِدَّهُ؛ لجليل ما كانوا يرونه من مُؤمَّله في السِّيَادة وَالتَّمْكين، بينمــا ارتــأى المُتنبِّي نفسه فوقهم جميعًا، معرفةً بالشِّعْر وَفنونه وَغريبه وَعويصه(١).

وَقد لخَّص الشَّاعِر هذه الظَّاهِرة، بقوله في قصيدة مدح بها الحُسيْن بن عَلِيّ الهَمَذانيَّ، ذاكرًا حُسَّاده من "**المُتشاعِرين**"، وَمُنزِلاً بهم أشدَّ ألوان العِقَاب(٢):

فَلا زِلْتُ أَلْقَــى الْحَاسِدِينَ بِمِثْلِهَــــا، وَفِي يَدِهِــمْ غَيْظٌ وَفِي يَدِيَ الرِّفْــدُ
وَعِنْــدِي قَبَاطِــيُّ الْهُمَــامِ وَمَــالُــهُ وَعِنْدَهُــمْ مِمَّــا ظَفِرْتُ بِهِ الْجَحْــدُ
يَرُومُونَ شَــأْوِي فِي الْكَــلامِ وَإِنَّمَــا يُحَاكِي الْفَتَى فِيمَا خَلا الْمَنْطِقَ الْقِرْدُ
فَهُمْ فِي جُمُــوعٍ لا يَرَاهَا ابْنُ دَأْيَــةٍ، وَهُمْ فِي ضَجِيجٍ، لا يُحِسُّ بِهَا الْخُلْدُ

ثُمَّ ألفيناه يُصرِّح بـ"**المُتشاعِرين**"؛ دالاً بالكَلِمَة، على التصاق السِّمَة، بِحُسَّاده من الشُّعَراء، عندما مدح الأمير بدر بن عمار، فقال(٣):

أَرَى الْمُتَشَاعِرِينَ غَرُوا بِذَمِّي وَمَنْ ذَا يَحْمَدُ الدَّاءَ الْعُضَالا
وَمَنْ يَكُ، ذَا فَمٍ مُرٍّ مَرِيــضٍ يَجِدْ مُرًّا بِــهِ، الْمَاءَ الزُّلالا
وَقَالُوا هَــلْ يُبَلِّغُكَ الــثُّــرَيَّا فَقُلْتُ نَعَمْ، إِذَا شِئْتُ اسْتِفَالا

وَلَم يكتف المُتنبِّي بما سبق، وَإِنَّما اتَّهم غيره من الــشُّعَراء بــالغشِّ وَالكــذب وَالخــداع، باقتصارهم في مدح سَيْف الدَّوْلة، على اللَّفْظ، دون مُبَاشَرة القِتَال، كما هو حاله، مُعرِّضا بِسَيْف الدَّوْلة؛ لتسوية غيره من الشُّعَراء به في العَطَاء، وَكان الحقّ إنزالهم أقدارهم، التي لم تلحقه في الفَضْل(٤).

---

(1) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٤٢، ٤٣، (الأبيات: ٣٥ ــ ٣٧).
(2) **نفسه**، ٢: ٧٧، ٧٨، (الأبيات: ٣١ ــ ٣٤).
(3) **نفسه**، ٣: ٢٥١، (الأبيات: ٢٩ ــ ٣١).
(4) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٤٣، (الأبيات: ٤٢ ــ ٤٤).

وَيُقارِب المُتنبِّي حقل المعرفيَّة، في الإشارة إلى وكيل الشِّعْر الخاصِّ بممدوحه، عَلِيِّ بن مُحمَّد بن سَيَّار بن مُكْرَم التَّميميِّ، بقوله([1]):

تَيَمَّمَنِي وكِلُكَ مَادِحًا لِي   وَأَنْشَدَنِي مِنَ الشِّعْرِ الْغَرِيبَا

غير أنَّ سياق القراءة يُلزِمنا النَّظَر في الشِّقِّ الثَّانِي من هذه السُّلطة؛ ممثَّلا في سُلْطة الفِكْر وَالحِكْمة، وَقد تجلَّت منسوبةً للآخر في سياقاتٍ عديدةٍ، كرَّست السُّلْطة الفِكْريَّة الجزئيَّة؛ لكونها جزءًا من سُلطاتٍ عديدةٍ، تملَّكها ممدوح المُتنبِّي، وَمثالها المُقتَضب قوله في عَضُد الدَّوْلة([2]):

نَاثِرُهُ نَاثِرُ السُّيُوفِ دَمًا   وَكُلَّ قَولٍ يَقُولُهُ حِكَمَا

هكذا تجلَّت السُّلْطة المَعْرفيَّة الفِكْريَّة في نتاج المُتنبِّي الشِّعْريِّ، من خلال استحضار الآخر المَعْرفيِّ وَالفِكْريِّ([3])؛ في النِّطَاقَيْن العربيِّ وَالأعجميِّ، وَقد كان الكُتَّاب كشأو ابن العَمِيد وَالرّوذبَاريِّ وَأعلام الحُكَمَاء اليونانيِّين حاضرين، في هذه السِّيَاقات جميعًا.

كما ألحق المُتنبِّي هذا النَّمط من السُّلْطة ببعض ممدوحيه؛ بوصفها سلطةً جزئيَّةً؛ ضمن توليفةٍ من السُّلطات المُتكامِلة؛ لغاية إبراز الجانب السُّلْطويِّ الكُلِّيِّ؛ لكون ممدوحه حالةً تُقارِب المِثَال؛ إمَّا على صعيد الاعتقاد الرَّاسِخ بذلك؛ لغاية تمثُّله قُدْوَةً في سبيل المَجْد؛ وَإمَّا على سبيل المُداهَنة، التي لا تخلو من دواعي الاستمالة وَالاسترضاء.

كما عُنِيَ الشَّاعِر بالمُوازَنة المعرفيَّة بينه وَبين غيره، تلك التي تكتمل صورتها في هذا المطلب، بالنَّظر في السِّيَاق المعرفيِّ للأنا، مُرَجِّحًا كفَّة معرفته الشِّعْريَّة ترجيحًا لا يخلو من مديح الذَّات، المُتضمِّن قدرًا وافرًا من المُبَالَغَة، مع توظيف ألوان العِقَاب للآخرين، من الحُسَّاد المعرفيِّين، الذين ألحق بهم على سبيل التَّصْريح سمة "**المُتشاعِرين**"، فضلا عن اتِّهامهم بالانتحال، ثُمَّ بالكذب وَالخداع؛ باقتصارهم على وُعُود اللَّفْظ، دون مُبَاشَرة الفِعْل وَالقِتَال.

وَيبدو أنَّ طرفًا من هذا الضَّرْب الحَانِق على ثُلَّةِ المعرفيِّين، يرتدُّ إلى ما جرى بينه وَبين ابن خالويه من خلافٍ، في مجلس سَيْف الدَّوْلة، "وقد جرت مسألةٌ في اللُّغة تكلَّم فيها ابن خالويه مع أبي الطَّيِّب اللُّغويِّ، وَالمُتنبِّي ساكتٌ، فقال له سَيْف الدَّوْلة: ألا تتكلَّم يا أبا الطَّيِّب، فتكلَّم فيها

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١٩١، (البَيْت: ٣٨).

[2]) **نفسه**، ٤: ٢١٨، (البَيْت: ٣).

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٠٦، (البَيْت: ٨، في سِيَاق مدحه ابن العَمِيد وَتهنئته بعيد النَّيْرُوز، وَفي الشِّقِّ الأوَّل من البَيْت، قوله: "**عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ**"؛ بيان معرفته اللُّغويَّة؛ أَمَّا الشِّقُّ الثَّانِي، ففيه قوله: "**فَلْسَفِيٌّ رَأْيُهُ**"؛ وَهذا كشفٌ عن معرفته الفلسفيَّة)؛ ٢: ٢٤٩ ــ ٢٥٢، (الآخَر المعرفيُّ، في شخص الممدوح عَلِيّ بن أَحْمَد الطَّائِيِّ).

بما قوَّى حجَّة أبي الطَّيِّب اللُّغويِّ، وَضعَّف قول ابن خالويه. فأخرج من كُمِّه مِفْتاحًا حديدًا ليلكُمَ به المُتنبِّي، فقال له المُتنبِّي: اسكت وَيْحَك، فإنَّك أعجميٌّ، وَأصلك خُوزيٌّ(١)، فما لك وَللعربيَّة ؟ فضرب وجه المُتنبِّي بذلك المِفْتَاح، فأسال دمه على وجهه وَثيابه، فغضب المُتنبِّي من ذلك؛ إذ لم ينتصر لـــه سَيْف الدَّوْلة لا قولاً وَلا فعلاً، فكان ذلك أحـــد أسباب فراقـــه سَيْف الدَّوْلة"(٢)، ثُـــمَّ كان للخلاف الحادِّ مع أبي فراس الحَمْدانيِّ، في حضرة سَيْف الدَّوْلة أثر عظيمٌ في نفسه(٣).

---

[1]) **الْخُوزُ:** أهل خُوزستَان وَنَوَاحِي الأَهْوَاز، بين فَارِس وَالبَصْرَة وَوَاسِط، وَيُقَالُ إنَّ معنى الخوز الفعلة، وَيُقَـــالُ إنَّهم ألأم النَّاس وَأسقطهم نفسًا، (نقلاً عن: البَدِيعيّ، يُوسُف (ت١٠٧٣هــ/ ١٦٦٢م)، **الصُّبْحُ الْمُنْبي عَنْ حَيْثِيَّـــةِ الْمُتَنَبِّي**، (ط٣)، م١، (تَحْقِيق: مُصْطَفى السَّقَّا وَمُحمَّد شتا وَعبده زيادة عبده)، دَار المَعَارِف، القَـــاهِرة، ١٩٩٤م، ص٨٧، "الحَاشِية")

[2]) البَدِيعيّ، **الصُّبْحُ الْمُنْبي عَنْ حَيْثِيَّةِ الْمُتَنَبِّي**، ص٨٧.

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ص٨٧ ــ ٩٢.

ــ صُورَةُ الآخَرِ الثَّقافِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

شكَّلت السُّلْطة الثَّقافيَّة ضربًا من الإلمام الشُّمُوليّ، بأُصُول المَعَارِف وَأطراف الفُنُون، مع اتِّخاذها موقفًا حُكْمِيًّا تجاه الشُّخُوص وَالحَيَوات وَالوَقَائِع وَالمسلكيَّات، وَتمرُّسها في مقام النَّقْد المُجلِّل بالتَّنْوير، المُحقِّق غائيَّة الإِصْلاح؛ وَهي بذلكم فاقت المعرفة من حيث الانعتاق من دائرة التَّخصُّص المَحْدود؛ ثُمَّ انماز المُثقَّف عن المُفكِّر بمُجانَبته البرج العاجيَّ الذي تخذه الثَّانِي، ناثرًا حِكْمته على العالمين من عَلٍ، دونما تلمُّسٍ لاحتياجات المُجتَمع وَطُمُوحاته، هذا الذي رأيناه مُنسجِمًا مع منظورنا في الطَّرفَيْن، شخوصًا وَنهجًا وَنتاجًا.

وَيلزمنا الإقرار منذ البدء بقلَّة النَّماذِج، التي يمكن أن تُسَاقَ في هذا الضَّرْب من التَّحْليل؛ وَلم يكن المُثقَّفون نُدْرَةً في زمان المُتنبِّي، على نحو ما كانوا في شعره، وَهذا الذي سنستبطن حقيقة مُؤشِّراته في مُنتَهى هذا المَطْلب.

وَقد عبَّرت حالة ابن العَمِيد، كما أسلفنا في "صورة الآخر المعرفيَّة"، عن إلمامٍ شموليٍّ، في نطاق ثلاثة أضربٍ، ممثَّلة في: الشِّعْر وَالبَلاغَة وَالنَّقْد، بمختلف أفانينها، وَسائر أقانيمها، لكنَّها لم ترق لمقام المُثقَّف، صاحب الكلمة وَالموقف، في السِّيَاق الإنسانيِّ العامِّ، وَإن كانت له إطلالته الواقعة في مقام السِّيَاسَة.

لكنَّنا التمسنا أنموذَجًا آخر يُناغِي الثَّقَافَة في شخص الآخر، وَلا يُعانِقها على وجه التَّمَام، بوصفه "أنموذَجًا ساطعًا لإنسانيَّة الثَّقافَة العربيَّة الإسلاميَّة، وَلشموليَّتها وَازدهارها وَعمقها"([1])، لعلَّه الذي جاء في مناسبة مدح ابن العَمِيد، وَتهنئته بعيد النَّيْرُوز، وَكان قد عاب ــ حينئذٍ ــ قصيدته الرَّائيَّة.

وَلنا أن نستلَّ من النَّصِّ ــ على سعة ما فيه من التَّمْجيد السِّياسيِّ ــ ما يمسُّ قدر الثَّقَافَة في تبدِّي سلطتها؛ فقد قال المُتنبِّي في بيتٍ جامعٍ([2]):

عَرَبِيٌّ لِسَانُهُ، فَلْسَفِيٌّ رَأيُهُ، فَارسِيَّةٌ أعْيَادُهْ

إنَّ نهج المُتنبِّي في رياضة اللُّغة؛ ليتبدَّى في المُتتالِية الاسميَّة؛ حيث يتكوَّن البيت من ثلاث جملٍ اسميَّةٍ، كلُّها مبتدأٌ وَخبرٌ، وَهي تُؤسِّس لثلاث صورٍ سُلْطَوِيَّةٍ، وَنطاقَيْن ثقافيَّيْن عريضَيْن؛

[1]) عمران، د. عبد اللَّطِيف، (٢٠٠٢م)، **الأدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي بَلاطِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ**، (ط١)، دِمَشق: المستشاريَّة الثَّقافيَّة لإيران، ص٦١؛ وَيمكن مُطالَعة ما قِيلَ في ابن العَمِيد من شِعْرٍ، من قبل المُتنبِّي وَغيره، يُنظَر: **نفسه**، ص٦١ ــ ٧٦.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٠٦، (البَيْت: ٨).

أمَّا التَّأسيس فمجاله واقعٌ في سُلطات: المَعْرفة وَالحِكْمة وَالدِّين؛ ليدلَّ الشَّاعِر بـ"**عربيَّة اللِّسَان**" على الأُولى، وَبـ"**فلسفيَّة الرَّأي**" على الثَّانية، وَبـ"**فَارسيَّة الأعْيَاد**" على الثَّالِثة.

وَلا يمكن اعتبار السُّلطات السَّابقة، من مُؤسِّسات النَّهْج الثَّقافيِّ عند ابن العَمِيد، إلا إذا فُهِمَتْ ثلاثتها في ضوء النِّطَاقيْن العريضَيْن المُتمثِّليْن في ثُنَائيَّة الثَّقَافَة: (ثَقَافَة الأَصْل/ الفَارسيَّة)، وَ(ثَقَافَة الفَرْع المُتأصِّل / العربيَّة).

وَلنا فيهما استجلاء أثر الأُولى في الثَّانية، على نحوٍ يَشِي بتكريس المواقف وَالأفكار وَالرُّؤَى، المُستجلَبة من نطاق الأصْل الأوَّل إلى الفَرْع؛ الذي غدا لصاحبه تاليًا بمثابة الأصل الأصيل، وَما قدره في بلاغة التَّخاطُب، المُجسَّدة بالكُتُب وَالرَّسَائِل، إلا دليلٌ مُؤكِّدٌ لذلك.

كما أنَّ الموقف الذي قِيلَتْ فيه القصيدة، فيما يتعلَّق بعيد النَّيْرُوز، وَما جاء في مضمونها من مُقَايَسَةٍ بالسَّاسَانيِّين على نحو التَّفْضيل عليهم؛ ليُمثِّل موقفًا استنطقه المُتنبِّي في ضوء معرفته بابن العَمِيد؛ إذ يُرسِّخ ذلك موقف الممدوح من الحُكْم الفَارسيِّ، على جهة رفضه المُجلَّل بقبول كُلِّ أنظمة الثَّقَافَة العربيَّة، المُتجلِية في كتاباته النَّثْريَّة على نحوٍ فريدٍ، خلا بعضًا من الأمور الاعتقاديَّة الدِّينيَّة، وَأحدها عيد النَّيْرُوز.

وَيُكمِل المُتنبِّي نهج الارتقاء بالممدوح في هذه القصيدة، قائلاً([1]):

أنَا مِنْ شِدَّةِ الْحَيَاءِ عَلِيلٌ	**مَكْرُمَاتُ الْمُعِلِّهِ، عُوَّادُهْ**
مَا كَفَانِي تَقْصِيرُ مَا قُلْتُ فِيهِ	**عَنْ عُلاهُ حَتَّى ثَنَاهُ انْتِقَادُهْ**
إنَّنِي أَصْيَدُ الْبُزَاةِ وَلَكِنَّ	**أَجَلَّ النُّجُومِ لا أَصْطَادُهْ**
رُبَّ مَا لا يُعَبِّرُ اللَّفْظُ عَنْهُ	**وَالَّذِي يُضْمِرُ الْفُؤَادُ، اعْتِقَادُهْ**
مَا تَعَوَّدْتُ أَنْ أَرَى، كَأَبِي الْفَضْلِ	**وَهَذَا الَّذِي أَتَاهُ، اعْتِيَادُهْ**
إنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْغَرِيقِ، لَعُذْرًا	**وَاضِحًا أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُهْ**
لِلنَّدَى الْغَلْبُ إنَّهُ فَاضَ وَالشِّـ	**ـعْرُ عِمَادِي وَابْنُ الْعَمِيدِ عِمَادُهْ**
نَالَ ظَنِّي الأُمُورَ إلاَّ كَرِيمًا	**لَيْسَ لِي نُطْقُهُ وَلا فِيَّ آدُهْ**
ظَالِمُ الْجُودِ كُلَّمَا حَلَّ رَكْبٌ	**سِيمَ أَنْ تَحْمِلَ الْبِحَارَ مَزَادُهْ**
غَمَرَتْنِي فَوَائِدٌ، شَاءَ فِيهَا	**أَنْ يَكُونَ الْكَلامُ مِمَّا أَفَادُهْ**
مَا سَمِعْنَا بِمَنْ أَحَبَّ الْعَطَايَا	**فَاشْتَهَى، أَنْ يَكُونَ فِيهَا فُؤَادُهْ**

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١١٠، ١١١، (الأبيات: ٢١ ــ ٣٢).

خَلَقَ اللهُ أَفْصَحَ النَّاسِ طُرًّا فِي مَكَانٍ أَعْرَابُهُ أَكْرَادُهْ

تُمثِّل اللَّوْحة الشِّعْريَّة السَّابِقة انكسار الثَّقافيِّ أمام المُثقَّف الحَاكِمِ، وَإجراء الشِّعْر بضمير الأنا ليس إلا بيانًا لقدر الآخر في جواه، وقد استهلَّ المُتنبِّي بذكر حيائه الشَّدِيد منه، وَهو إن أخفاه في البيت الأوَّل وراء أستار المَكْرُمَات، فقد صرَّح به في الثَّانِي، مع إيضاح عِلَّةِ الحياء؛ التي تتمثَّل في تقصيره عن الإحاطة بأوصافه، فضلاً عن نقد ابن العَمِيد شعره.

وَإن كان المُتنبِّي للشُّعَراء الآخرين، بمثابة "**الْبَازِيِّ الأصْيَدِ**"، إلا أنَّه لم يكن في مُكْنَتِهِ بلوغ النُّجُوم، التي تربَّع الممدوح عليها سُمُوًّا وَرفعةً، وَعجز الشَّاعِر عن اللَّحاق به في ميدان الفَصَاحَة وَالشِّعْر؛ وذلك لأنَّ نهج الممدوح في استبطان مواطن البلاغة من الكلام فريدٌ، وَهو الذي اعتاد سماع مدائح الشُّعَراء على الدَّوَام، بينما لم يعتد المُتنبِّي على مدح مثيله، وَإن كان من عذرٍ يتَّسع له المقام؛ فهو عدم تمكُّن الغَرِيق من تَعْدَادِ الأمواج.

وَقد أقر الشَّاعِر بالغلبة لابن العَمِيد، في مجالي: النَّدَى وَنَقْد الشِّعْر، وَابن العَمِيد قبل هذا كلّه "**عِمَادُ الشِّعْر**"، الذي لم يَرْقَ علم المُتنبِّي إليه أبدًا، وَللتَّركيب الشِّعْرِيِّ: "**ظَنِّي الأُمُور**"، أن ينقلنا إلى مجالٍ رحيبٍ في التَّعْبير، يمسُّ مفهوم ظاهرة الإلمام المعرفيِّ الشَّامِل؛ الذي يُماثِل الثَّقَافَة في سياقي: الدَّلالَة وَنهج الطَّلَب المعرفيِّ.

وَلَمَّا فاق جُودُه الآخرين، انقلب إلى الظُّلْم، الذي يحمل به الرَّكْب من العَطَايَا ما لا يُطِيقُ، وَمِمَّا حمَّله المُتنبِّي ـــ فضلاً عن الهَدَايَا وَنفائس العَطَايَا ـــ إرشاده إلى صواب القَول وَحسن الكلام، على ما فيه من إخلاص العَطَاء، المُجلَّل بتمنِّي أن يكون قلبه في جُمْلَة عطاياه.

وَيُقدِّم المُتنبِّي ـــ في البيت الأخير ـــ مُفارَقة المكان وَانتماء الثَّقَافَة؛ فهو وَإن كان في مكان "**أَعْرَابُهُ أَكْرَادُه**"؛ أي من الفُرْس، إلا أنَّه كان عربيَّ الهَوَى وَاللِّسَان؛ وَهذه النَّتِيجة التي وقعنا عليها في البيت الأوَّل، الذي سبق هذه المَقْطوعة.

وَفضلاً عن بياننا السَّابِق؛ فلا بُدَّ من إبراز فكرةٍ أساسيَّةٍ، ما زالت كامنةً في تضاعيف الأبيات الشِّعْريَّة، وَتُمثِّل عِمَادَنَا في القول: إنَّ ابن العَمِيد تجلَّى في خِطَاب المُتنبِّي، بقمَّة السُّمُوِّ المِثَالِيِّ، مع إلحاق سمة الموسوعيَّة التي لا يُشَقُّ لها غبارٌ به، لا سيَّما في ميداني الشِّعْر وَالفَصَاحَة؛ وَهي التي دفعت المُتنبِّي إلى الانكسار أمام الوَزِير المُثقَّف؛ إقرارًا منه بعُلُوِّهِ الثَّقافيِّ.

وَمِمَّا تلتقي فيه سُلْطتا المَعْرفة وَالثَّقَافَة في شخص الآخر، ظاهرة الحُسَّاد، التي أرهقت المُتنبِّي على الصَّعِيد النَّفْسيِّ، وَكانت عبئًا على المُتلقِّي في الصَّعِيد الاتِّصاليِّ؛ وَمكمن البيان الذي يُوضِّح ذلك؛ أنَّ مجالس السِّياسيِّين وَالقُضَاة، تضمَّنت ثُلَّةً من نُخْبة المُثقَّفين وَالمعرفيِّين على حَدٍّ

سواءٍ؛ مِمَّا يُفسِّر لنا شكواه الدَّائِمة منهم في حضرة الممدوح؛ لغاية التَّأسيس للاستعانة بالسِّياسيِّ أو الدِّينيِّ على تهميشهم؛ ثُمَّ لشعوره الدَّائِم باستحقاقه الصَّدَارَة عليهم جميعًا([1]).

وَمِمَّا يُمثِّل ظَاهِرة الحَسَد في المُستَويَيْن الثَّقافيِّ وَالسِّياسيِّ، في آنٍ معًا، قوله([2]):

فَإِذَا مَرَّ بِأُذْنَـــيْ حَـــاسِـــدٍ   صَارَ مِمَّنْ كَانَ حَيًّا فَهَلَكْ

فإذا ما سمع أحد الشُّعَراء وَالمُلُوك مدائح المُتنبِّي في سَيْف الدَّوْلة؛ مات من الحـــال؛ لأنَّـــه السَّبَّاق إلى الألفاظ وَالمعاني، التي يعجز الشُّعَراء عن الإتيان بها، ثُمَّ إنَّ فيها من المَحَامِد ما لـــم يُمدَح به مَلِكٌ قط.

وَبلغ المُتنبِّي حَدَّ طلب الاستعانة من سَيْف الدَّوْلة، على إغاظة الحَاسِد بقربه منـــه، مُـــشَبِّهًا الحَاسِد بحالة المُودِّع المُرْتحِل؛ لما فيها من إيلامٍ عظيمٍ للقَلْب، قائلاً([3]):

رُوَيْدَكَ، أَيُّهَا المَلِكُ الْجَلِيلُ   تَـــأَنَّ وَعُـــدَّهُ مِمَّـــا تُنِيلُ

وَجُودَكَ بِالْمُقَامِ، وَلَوْ قَلِيلاً   فَمَا فِيمَا تَجُـــودُ، بِهِ قَلِيلُ

لأَكْبِتَ حَاسِدًا، وَأَرَى عَدُوًّا   كَأَنَّهُمَا وَدَاعُـــكَ وَالرَّحِيلُ

بتلكم الصُّور ظهر الآخر الثَّقافيُّ؛ عزيز المَنَال، نادر المِثَال؛ فقد تَكْثُرُ في المعرفيِّين نماذج المُتنبِّي، إلا أنَّها عزيزةٌ في شأن المُثقَّفين، وَيندر أن نقع على مثالٍ دالٍّ، ما خلا اللَّوْحة الشِّعْريَّة المتَّصلة بابن العَمِيد؛ بوصفها كُلاً مُجتمِعًا، تُقرَأ في ضوء المُعِينات السِّيَاقيَّة، التي أشرنا إليها في حينه، وَباقترانٍ مع غيرها من القصائد.

ثُمَّ إنَّ للحُسَّاد في جملة النُّخَبِ التي تضمَّنتها مجالس ممدوحيه، نصيبًا وافرًا مـــن الـــشِّعْر، وَكُنَّا قد أشرنا إلى بعض النَّمَاذِج في مطلبٍ سابقٍ، وَفيهم الأُدَبَاء وَالشُّعَراء وَالمُتكلِّمون وَالفُقَهاء وَالقُضَاة وَالمُثقَّفون.

---

[1]) إنَّ من أهمِّ أسباب كثرة وُرُود كلمة الحَسَد في شِعْر المُتنبِّي، عند الدُّكتور إبْرَاهِيم عَوَض، نُبُوغه بعد فقرٍ في الصِّبَا؛ أمَّا في شأن إكثاره من ذِكْر الحَسَد في حَقِّ ممدوحيه؛ فَيُجَسِّدُ حرصًا منه على التَّقرُّب إلـــيهم؛ لالتـــذاذهم بذكر تفوُّقهم على أعدائهم؛ يُنظَر: عَوَض، **لُغَةُ الْمُتَنَبِّي**، ص١٢٣، ١٢٤.

[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٨٤، (البَيْت: ٣، من مَقْطُوعَةٍ ثُلاثِيَّةٍ).

[3]) **نفسه**، ٣: ١٠٠، (الأبيات: ١ ـــ ٣).

وَمن يقرأ دِيوَان المُتنبِّي كلَّه(١)، مع ربطٍ ذهنيٍّ لِكُلِّ السُّلطات التي تضمَّنتها قصائده، مقولبةً في السِّياق بضمير الأنا أو بأيٍّ من الدَّوَالِّ الضَّميريَّة على الآخر؛ ليصل إلى رأيٍ تدعمه المُحَاكَمة الشَّامِلة لأشعاره؛ وَمضمونه يُقِرُّ بأنَّ المُتنبِّي احتفى بتوظيف السُّلطات على نحوٍ واسعٍ، لكنَّه اصطدم بالمعرفيِّين، وَفي جملتهم كان المُثقَّفون، مع عدم إيراد المُعِينات الوَصْـفيَّة، على استجلاء الشَّخْصيَّة الثَّقافيَّة؛ مِمَّا يعني عدم حضورها في دِيوَانه، وَكيف تحضر وَالمُتنبِّي بألقه الثَّقَافِيِّ مُتربِّع الأنا، حتَّى في شُخُوص الآخرين، وَإن كان الشَّاعِر رضي المُوَازَنة المُجْحِفة مع الشُّعَراء الآخرين، على سبيل مدح معرفيَّته وَإعلاء شأنها، فإنَّه قصد إلى عدم إيراد النَّظِير/ النِّدِّ الثَّقَافِيِّ؛ انتصارًا منه للأنا بِشُمُوليَّتها الثَّقَافِيَّةِ.

---

[1]) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢٤٥، (البَيْتان: ١٩، ٢٠، وَيمكن من خلالهما استجلاء الصُّورَة الثَّقافيَّة للآخَر، في سِيَاق المَدْح الدَّاخِل في إطار الاعتذار؛ لمَّا تخلَّف المُتنبِّي عن المَسِير مع الأمِير بَدْر بن عمَّار، وكان قد سار إلى السَّاحِل، ثُمَّ عاد إلى طبريَّة؛ وَفي البَيْتَيْن إلحاق سمة المَوْسُوعيَّة الثَّقافيَّة بِالأمِير، التي تُؤهِّله للتَّنبُّؤ بِمُستَقبل الحَوَادِث، كما أنَّ أفهام النَّاس تتقاصر عن إدراك هذا الممدوح، وَهو ما يمكن قراءته في ضوء المُفَارَقة، بين الصُّورَة الثَّقافيَّة الأصِيلة، وَالصُّورَة الثَّقافيَّة المُبْتَدعة).

ــ صُورَةُ الآخَرِ السِّيَاسِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي:

إنَّ ما يمكن استظهاره من دِيوَان المُتنبِّي؛ ليُؤكّد احتشاده بقدرٍ كبيرٍ من الصُّور المُعبِّرة عن الآخر السِّياسيِّ، على اختلاف المُستَويات الطَّبَقيَّة في مجال الحُكْم وَالرِّيَاسَة، وَالذي سينطلق إليه درسنا على نحوٍ مُختَزلٍ؛ يبين الملامح الرَّئيسيَّة للأسس المُكوِّنة جوانب الشَّخصيَّة السِّياسيَّة، كما التقطها المُتنبِّي من ممدوحيه، وهذا أيضًا بابٌ واسعٌ، يمكن في ضوئه، استكناه الدَّوَافِع الدَّاخليَّة للمُتنبِّي، في الاتِّصال بأرباب السِّيَاسَة.

وَنعبر إلى لوحةٍ من أجلِّ ما قرأنا للمُتنبِّي، دلالةً على ملامح الآخر السِّياسيِّ، في اتِّجاهَيْن اثنَيْن؛ ذلك أنَّها تُكرِّس حالتَيْن من الْمَلَكِيَّةِ تتازعتا السِّيَادَة؛ فآلت إلى ممدوح الشَّاعِر عَضُد الدَّوْلة، فقال(1):

مَا بَالُ هَـذِي النُّجُومِ حَائِـرَةً — كَأَنَّهَا الْعُمْـيُ، مَا لَهَا قَائِـدْ
أَوْ عُصْبَةٌ مِـنْ مُلُوكِ نَاحِيَـةٍ — أَبُو شُجَـاعٍ عَلَيْـهِمِ وَاجِـدْ
إنْ هَرَبُوا أُدْرِكُوا وَإنْ وَقَفُـوا — خَشُوا ذَهَابَ الطَّرِيفِ وَالتَّالِدْ
فَهُمْ يُرَجُّونَ، عَفْوَ مُـقْـتَـدِرٍ — مُبَارَكِ الْوَجْـهِ، جَائِدٍ مَاجِـدْ
أَبْلَجَ لَوْ عَـاذَتِ الْحَـمَـامُ بِهِ — مَا خَشِيَتْ رَامِيًا، وَلا صَـائِدْ
أَوْ رَعَتِ الْوَحْشُ، وَهْيَ تَذْكُرُهُ — مَا رَاعَهَـا حَابِلٌ وَلا طَـارِدْ
تُهْدِي لَهُ كُـلُّ سَاعَـةٍ خَبَـرًا — عَنْ جَحْفَلٍ تَحْتَ سَيْفِهِ بَائِـدْ
وَمُوضِعًا فِي فِتَـانِ نَـاجِـيَةٍ — يَحْمِلُ فِي التَّاجِ، هَامَةَ الْعَاقِدْ
يَا عَضُدًا رَبُّـهُ بِـهِ الْعَاضِـدْ — وَسَارِيًا يَبْعَـثُ الْقَطَا الْهَاجِدْ
وَمُمْطِرَ الْمَـوْتِ وَالْحَيَاةِ، مَعًا — وَأَنْتَ لا بَـارِقٌ، وَلا رَاعِـدْ
نِلْتَ وَمَا نِلْتَ مِنْ مَضَرَّةِ وَهْـ — ـشُوذَانَ مَا نَالَ رَأْيُهُ الْفَاسِدْ
يَبْدَأُ مِـنْ كَيْـدِهِ بِـغَـايَتِـهِ، — وَإِنَّمَا الْحَـرْبُ، غَايَةُ الْكَائِدْ
مَاذَا عَلَى مَنْ أَتَى، يُحَارِبُكُـمْ — فَذَمَّ مَا اخْتَـارَ لَوْ أَتَى وَافِدْ
بِلا سِلاحٍ سِـوَى رَجَـائِكُـمْ — فَفَازَ بِالنَّصْرِ، وَانْثَنَى رَاشِدْ
يُقَارِعُ الدَّهْـرَ مَنْ يُقَارِعُكُـمْ — عَلَى مَكَانِ الْمَسُودِ وَالسَّائِدْ

---

1) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٢٣ ــ ١٢٦، (الأبيات: ١٣ ــ ٣٣).

وَلَيْتَ يَوْمَـــيْ فَنَــاءِ عَسْكَرِهِ،	**وَلَمْ تَكُنْ دَانِيًــا، وَلا شَاهِــدْ**
وَلَمْ يَغِــبْ غَائِــبٌ خَلِيفَــتُــهُ	**جَيْشُ أبِيــهِ وَجَدُّهُ الصَّاعِــدْ**
وَكُــلُّ خَطِّيَّـــةٍ، مُــثــقَّــفَةٍ	**يَهَــزُّهَا، مَــارِدٌ عَلَى مَــارِدْ**
سَوَافِكٌ مَــا يَدَعْنَ فَــاصِــلَةً	**بَيْنَ طَرِيِّ الدِّمَاءِ، وَالْجَاسِــدْ**
إذَا الْمَنَايَــا بَــدَتْ فَدَعْوَتُــهَا	**أبْــدِلَ نُونًــا بِدَالِــهِ الْحَائِــدْ**
إذَا دَرَى الْحِصْنُ مَنْ رَمَاهُ بِهَا	**خَرَّ لَهَــا فِي أسَاسِهِ سَاجِــدْ**

وَيصل الشَّاعِر لوحة المرأة بإيراد شكواه من طول اللَّيْل، تناصًّا مع ليــل امــرئ القَــيْس الطَّوِيل([1])، وَكأنَّ النُّجُوم أصابتها حالةٌ العَمَى فليس لها من يقودها، أو كأنَّها عصبةٌ من مُلُــوك النَّواحي المُتفرِّقة، أصابهم نصيبٌ من غضب عَضُد الدَّوْلة، فانقلبوا خَاسِرين؛ وَعلَّة ذلك في أنَّ سطوة الممدوح تطال كُلَّ من يُعَادِيه؛ فكلُّهم واقعٌ في دائرة الرَّجَاء بِــصَفْحِهِ؛ فهــو "**الْمُقْتَــدِرُ**" وَ"**الْجَائِدُ**" و"**الْمَاجِدُ**"، وهو المُؤمِّن غيره، حتَّى من الوَحْش وَالطَّيْر.

وَكيما يتحقَّق للمُتنبِّي إعلاء قدر ممدوحه، على النَّحْو الذي يليق بهيبة مَلَكِيَّتِهِ؛ ألفيناه ينتقــل إلى مجال المُوَاجَهة مع أعدائه المُتفرِّقين، من مُلُوك الدُّوَل، وَأمَرَاء النَّوَاحِي، وَتجيء البشائر إليه تَتْرَى ساعةً في إثر ساعةٍ، عن هلاك جيش من جيوش أعدائه، تحت وقع سيوف جنده، وَأجلُّها قدرًا خبر الظَّفَر بـــ(وَهْشُوذَان) ملك الدَّيْلَم، وَحمل رأسه وَتاجه إليه. وَيمكــن أن نُــسقِط هــذه الصُّورَة على داخل المُتنبِّي؛ لنقرأ من خلالها احتفاءَه بالثَّأر من مُنافِسيه، أو مُنافِسي مُحبِّيه مــن المُلُوك.

وَينطلق الشَّاعِر إلى مجالٍ آخر، يتعلَّق بسياق الحاكميَّة؛ فممدوحه عضدٌ للدَّوْلَــةِ، وَرَبُّـــــه ــ ﷻ ــ عضَّدها به، وَهذا التَّعْضيد لا يتأتَّى دون توافر سِمَاتِ السُّلْطة وَالسِّيَادَة؛ من حيث القُوَّة العسكريَّة الفائقة، وَهي التي لم تُوجَّه إلا إلى أعدائه؛ أمَّا أولياؤُه فيبذل لهم الإحسان؛ فكأنَّه فــي هذه المُزَوَاجَة بين نمطَيْن من التَّعامُل مع الأعْداء وَالأوْلياء، سحابٌ يمطر المَوْت وَالحيَاة، وَقــد قدَّم الشَّاعِر الموت على الحياة؛ تأكيدًا منه على أهمِّيَّة التَّرْهيب قبل التَّرْغيب، وَهذا الذي كـــان

---

[1]) قال امرؤ القَيْس:

ألاَ أيُّهَا اللَّيْــلُ الطَّــوِيْلُ ألاَ انْجَــلِي	**بِصُبْحٍ وَمَا الإصْــبَاحُ مِنْكَ بِأمْثَــلِ**
فَيَــالَكَ مِــنْ لَيْــلٍ كَــأنَّ نُجُوْمَــهُ	**بِأمْرَاسِ كِتَّانٍ، إلَى صُــمِّ جَنْــدَلِ**

ــ ينظر في: امرؤ القَيْس بن حجر بن الحَارِث الكِنْدِيّ، (ت٨٠ ق. هـــ/٥٤٤م)، **الــدِّيوَانُ**، (د. ط)، ١م، دَار صَادِر، بَيْرُوت، (د. ت)، ص٤٩.

سيعمل به المُتنبِّي فيما لو ساد النَّاس؛ إرضاءً لحالة الكَبْت الدَّاخليَّة، التي عايشها منذ صِبَاه وَحتَّى مقتله.

وَينتقل المُتنبِّي تاليًا إلى (وَهْشُوذان)، وما كان من فساد رأيه، الذي أضرَّه فوق مضرَّة هزيمة عَضُد الدَّوْلة له؛ فقد كان الأولى ألا يقاتل حتَّى يستنفذ كُلَّ الوسائل؛ فلو وفد على عَضُد الدَّوْلة مُتَحَلِّيًا بالرَّجَاء؛ لرجع بالغُنْم وَالرَّشَاد، وفي ذلك تعريض بنهج (وَهْشُوذان)؛ الذي ينمُّ عن طيشٍ وَتسرُّعٍ وَجهالةٍ.

وَيغدو الشَّاعِر مُؤصِّلاً لأسس التَّعامُل المَلَكِيِّ، مع الخَارجين على نطاق السِّيَادَة السُّلْطانيَّة؛ فالدَّهْر يُقارِع أعداء عَضُد الدَّوْلة، كُلٌّ حسب مرتبته، رئيسًا كان أو مَرْؤُوسًا؛ مِمَّا يعني دعوته إلى تناسب قُوَّة القَمْع، مع قدر الثَّائِر الخَارج على سِيَادَة الدَّوْلة.

وَمِمَّا ينساق مع النَّمط التَّأصيليِّ السَّابق، توجيه الشَّاعِر عنايته نحو القُوَّة القَمْعيَّة، التي نالها (وَهْشُوذان) وَجيشه؛ فقد فَنِيَ عسكره في يومَيْن، وَعَضُد الدَّوْلة بعيدٌ عن ميدان المعركة؛ فقد ناب عنه جيش أبيه وَسَعْدُهُ، وَالرِّمَاح المُقوَّمة السَّوافِك، بيد الفَارس المَارد، على الفَرَس المِثاليَّة، وَمعه دعاء عسكره أن يجعل الله الحَائِد حَائِنًا؛ حتَّى إنَّ حصن الأعداء ليخرُّ ساجدًا، أمام هيبة عَضُد الدَّوْلة، وَقُوَّة انقضاض خُيُوله وَفُرْسَانه.

وَيكشف المُتنبِّي ــ في الأبيات التَّالية ــ عن الضِّدِّ السِّياسيِّ، وَما آل إليه من الهزيمة وَالصَّغَار، فيقول([1]):

تَسْأَلُ أَهْلَ الْقِلاعِ، عَنْ مَلِكٍ	**قَدْ مَسَخَتْهُ نَعَامَةً شَارِدْ**
تَسْتَوْحِشُ الأَرْضُ أَنْ تَقِرَّ بِهِ	**فَكُلُّهَا مُنْكِرٌ لَهُ، جَاحِدْ**
فَلا مُشَادٌ وَلا مُشِيدٌ حَمَى	**وَلا مَشِيدٌ أَغْنَى وَلا شَائِدْ**
فَاغْتَظْ بِقَوْمٍ وَهْشُوذَ مَا خُلِقُوا	**إلاّ لِغَيْظِ الْعَدُوِّ وَالْحَاسِدْ**
رَأَوْكَ لَمَّا بَلَوْكَ نَابِتَةً	**يَأْكُلُهَا، قَبْلَ أَهْلِهِ الرَّائِدْ**
وَخَلِّ زِيًّا لِمَنْ يُحَقِّقُهُ	**مَا كُلُّ دَامٍ جَبِينُهُ، عَابِدْ**
إنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدِ الأَمِيرُ لِمَا	**لَقِيتَ مِنْهُ فَيُمْنُهُ، عَامِدْ**

لقد ضمَّن المُتنبِّي أبياته أطيافًا من استراتيجيَّة العِقَاب، على يد الممدوح الظَّافِر عَضُد الدَّوْلة، في صورٍ كُلِّيَّةٍ تُؤطِّر للمهزوم المُنحدِر (وَهْشُوذان)، الذي مسخته جُيُوش المَلِك البُوَيْهيِّ

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ١٢٧، ١٢٨، (الأبيات: ٣٥ ــ ٤١).

إلى نعامةٍ، وَأهل القلاع يسألون عن الذي كان مَلِكًا قبل المعركة الفاصلة؛ أمَّـا الأرض فتتكـر موضعه منها؛ كي لا تطأها خُيُول عَضُد الدَّوْلة، وَالخارج المهزوم لم ينتفع بالبِنَاء وَلا بالبَـانِي، في الاحتماء من بطش السَّيِّد الممدوح، الذي اختبره وَرُكْن الدَّوْلة، وَلمَّا وجداه على تلك الحالـة من الضَّعْف، تولَّت طلائع رُكْن الدَّوْلة حربه وَالظَّفَرَ به، دون أن يستأهل الأمر مسيرهما إليـه مَعًا.

وَيصل المُتنبِّي في المُنتَهى إلى أشدِّ مراتب العِقَاب؛ مُرَسِّخًا حقيقةً مُهمَّـةً كـشفت عنهـا المواجهة القتاليَّة؛ مُؤدَّاها أَنَّ زيَّ المُلُوك غير لائقٍ به، وَالأوْلى له تركه لمن هو أحقُّ به منـه، مُنتقِلاً من الخاصِّ إلى العامِّ؛ ليُؤكِّد أَنَّ المَلَكِيَّة الحقَّة لا ترتبط بالزِّيِّ، وَأَنَّ العبـادة الأكيـدة لا تتعلَّق بِكُلِّ من دَمِيَ جبينه؛ فليس كُلُّ من تملَّك هاتَيْن السِّمَتَيْن بِمَلِكٍ أو عَابِدٍ.

وَقد استرسل المُتنبِّي في قصيدةٍ آخرى بوعيد (وَهْشُوذَان)، مُشِيرًا إلى هزيمته على يد رُكْن الدَّوْلة، مُسائِلاً إيَّاه على سبيل الإنكار، إن كان سيستزيد بمواصله تمرُّده، الخِـزْي وَالقَتْـل لـه وَلأصحابه، فقال([1]):

أرَضِيتَ وَهْشُوذَانُ مَا حَكَمَتْ أَمْ تَسْتَزِيدُ لأمِّكَ، الـهَـبَـلُ

ثُمَّ عرَّج الشَّاعِر على الخِزْي المَلَكِيِّ بالفرار، قائلاً في شأنه([2]):

أسْخَى الْمُلُوكِ بِنَقْلِ مَمْلَكَةٍ مَنْ كَادَ عَنْهُ الرَّأسُ يَنْتَقِلُ

وَحتَّى تكتمل الصُّورة، في وحي الاتِّصال الموضوعيِّ مع قصيدةٍ أخرى، آثرنـا أن نقـف على الأبيات المُختزِلة بُعْدَ السُّمُوِّ المَلَكَيِّ في المُنَاسَبة نفسها، المُعتلِقة بهزيمـة (وهْـشُوذَان)، إذ يقول المُتنبِّي لمحبوبته([3]):

مَا كُنْتِ فَاعِلَةً وَضَيْفُـكُـمُ مَلِكُ الْمُلُوكِ وَشَأْنُكِ الْبَخَلُ

أتمَنِّعِينَ قِـرًى، فَتَفْتَضِحِي أَمْ تَبْذُلِينَ لَهُ الَّذِي يَسَـلُ

فأن يُلقِّب الشَّاعِر (فنَّا خسرو) بـ"**مَلِكِ الْمُلُوكِ**"؛ فهذا الذي يندرج في باب الموقف الثَّقـافيِّ من الملكيَّة البويهيَّة، وَفيه قدرٌ من الإجلال، المُتعلِّق بالثَّقافيِّ المُتسارعة خُطَـاهُ نحـو النِّهَايَـة،

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ١٧، (البَيْت: ٣٢).
[2]) **نفسه**، ٤: ١٩، (البَيْت: ٣٩).
[3]) **نفسه**، ٤: ١٤، (البَيْتان: ١٣، ١٤).

وَآماله حينئذٍ قد وصلت غايتها من الرَّجَاءِ، دون أن تبلغ مُكْنَتَهَا في الأَرْجَاءِ، من خلال سيادةٍ ثقافيَّةٍ، في المقام السِّياسيِّ المَلَكِيِّ(١).

أمَّا سياسته فكانت موطن نظر المُتنبِّي الفَاحِص، بقوله(٢):

إنْ لَمْ يَكُنْ مَنْ قَبْلَهُ عَجَزُوا　　　عَمَّا يَسُوسُ بِهِ فقدْ غَفَلُوا
حَتَّى أَتَى الدُّنْيَا ابْنُ بَجْدَتِهَا　　　فَشَكَا إِلَيْهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وَهنا يرى الشَّاعِر في عَضُد الدَّوْلة خير من يسوس الحُكْم، مجريًا المُوازَنة بينه وَبين سابقيه؛ على نحوٍ يُقِرُّ له بالفَضْل في هذا الشَّأن، وَعجزهم عن إدراك سِيرَتِهِ.

وَتكون الغلبة مُعتلِقةً بالغرابة، من وجه عدم استحياء المَغْلوب من غلبة آل بويه؛ لأنَّهم يغلبون كُلَّ أحدٍ(٣):

لا يَسْتَحِي أَحَدٌ، يُقَالُ لَهُ　　　نَضَلُوكَ آلُ بُوَيْهِ، أَوْ فَضَلُوا
قَدَرُوا عَفَوْا وَعَدُوا وَفَوْا سُئِلُوا　　　أَغْنَوْا عَلَوْا أَعْلَوْا وَلَوْا عَدَلُوا

وَلما كانوا الغالبين؛ أضحوا الأجدر بحُكْم الدَّوْلة على هذا النَّحْو، الذي يتضمَّن: عفو القُدْرة، وَوفاء الوَعْد، وَإغناء السَّائِل، وَإعلاء الأوْلياء، وَالعَدْل مع ظُلْم المُخالِفين وَاغترار المُناوئين، وَقد اختزل المُتنبِّي ذلك كلَّه، مُعبِّرا عن موقفه الضِّمْنيِّ من حُكْمهم، في المُتتالِية الفعليَّة، المُنعقِدة في مجال الزَّمَن المَاضِي؛ وَللزَّمن دلالته على أنَّ هذه السِّمَات الحاكميَّة؛ مُقرَّرةٌ راسخةٌ في النِّظَام السِّياسيِّ البويهيِّ.

وَتتجلَّى الموقفيَّة في الإطار الحُكْميِّ الثَّقافيِّ، على نحوٍ يحمل التَّوازِي بين الصَّدْر وَالعَجُز؛ ففي الصَّدْر قهر أبي عَلِيٍّ رُكْن الدَّوْلة للمُلُوك، وَفي العَجُز كمال سُلْطان آل بويه، وَبهما نطق الشَّاعِر قائلاً(٤):

فَأَبُو عَلِيٍّ مَنْ بِهِ قَهَرُوا　　　وَأَبُو شُجَاعٍ مَنْ بِهِ كَمَلُوا

---

(1) توقَّف ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، عند هذه اللَّوْحَة الشِّعْرِيَّة، في سِيَاق معالجته لـ"باب المبدأ وَالخُرُوج وَالنِّهَايَة"، يُنظَر: ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، **العُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْرِ وَآدَابِهِ**، ١: ٢٤٠.

(2) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٤: ١٥، (البَيْتان: ١٧، ١٨).

(3) **نفسه**، ٤: ١٩، (البَيْتان: ٤٣، ٤٤).

(4) **نفسه**، ٤: ٢٠، (البَيْت: ٤٨).

وكيما نكمل بناء الصُّورة الكُلِّيَّة للسِّياسيِّ البويهيِّ؛ حَقَّ علينا أن نُشِيرَ إلى وقوف المُتنبِّي عند سطوة عَضُد الدَّوْلة القتاليَّة، التي طالت الكرد، في مقام ارتحال الشَّاعِر معه لغاية الصَّيْد، في "دَشْتِ الأَرْزَنَ"(١).

وَإن كان الأمر قد جرى في تحليلنا السَّابق، على جهة استكناه العلاقات السِّياسيَّة الدَّاخليَّة؛ فإنَّ للسِّيَاسَة الخارجيَّة أثرها الواضح في شعر المُتنبِّي، وَقد تجلَّى ذلك في قصائده التي مدح بها سَيْف الدَّوْلة، مُعَرِّجًا على توثيق ما اعترى علاقاته التَّصادُميَّة غالبًا، وَالتَّصالُحيَّة المُؤقَّتة أحيانًا، مع الرُّوم، فقال يمدحه، وَيذكر الفِدَاء، الذي طلبه رسول ملك الرُّوم(٢):

لَقَدْ جُدْتَ حَتَّى جُدْتَ فِي كُلِّ مِلَّةٍ ... وَحَتَّى أَتَاكَ الْحَمْدُ، مِنْ كُلِّ مَنْطِقِ
رَأى مَلِكُ الرُّوم، ارْتِيَاحَكَ لِلنَّدَى ... فقامَ مَقَامَ الْمُجْتَدِي الْمُتَمَلِّقِ
وَخَلَّى الرِّمَاحَ السَّمْهَرِيَّةَ صَاغِرًا ... لأَدْرَبَ مِنْهُ، بِالطِّعَانِ وَأَحْذَقِ
وَكَاتَبَ مِنْ أَرْضٍ بَعِيدٍ مَرَامُهَا ... قَرِيبٍ عَلَى خَيْلٍ حَوَالَيْكَ سُبَّقِ
وَقَدْ سَارَ فِي مَسْرَاكَ مِنْهَا رَسُولُهُ ... فَمَا سَارَ، إلاَّ فَوْقَ هَامٍ مُفَلَّقِ
فَلَمَّا دَنَا أَخْفَى عَلَيْهِ مَكَانَهُ ... شُعَاعُ الْحَدِيدِ الْبَارِقِ الْمُتَألِّقِ
وَأَقْبَلَ يَمْشِي فِي الْبِسَاطِ فَمَا دَرَى ... إلَى الْبَحْرِ يَمْشِي أَمْ إلَى الْبَدْرِ يَرْتَقِي
وَلَمْ يَثْنِكَ الأَعْدَاءُ عَنْ مُهَجَاتِهِمْ ... بِمِثْلِ خُضُوعٍ فِي كَلامٍ مُنَمَّقِ
وَكُنْتَ إذَا كَاتَبْتَهُ قَبْلَ هَذِهِ ... كَتَبْتَ إلَيْهِ فِي قَذَالِ الدُّمُسْتُقِ
فَإنْ تُعْطِهِ مِنْكَ الأَمَانَ فَسَائِلٌ ... وَإنْ تُعْطِهِ حَدَّ الْحُسَامِ، فَأَخْلَقِ
وَهَلْ تَرَكَ الْبِيضُ الصَّوَارِمُ مِنْهُمُ ... أَسِيرًا لِفَادٍ، أَوْ رَقِيقًا لِمُعْتِقِ
لَقَدْ وَرَدُوا وِرْدَ الْقَطَا شَفَرَاتِهَا ... وَمَرُّوا عَلَيْهَا، زَرْدَقًا بَعْدَ زَرْدَقِ

إنَّ صورةً هذا شأنها من السُّمُوِّ؛ لجديرةٌ أن تُقرَأ في ضوء العلاقات العربيَّة الرُّوميَّة؛ إذ إنَّها تُوثِّق لمرحلةٍ من مراحل الدِّفَاع عن ديار الإسلام، كما أنَّها تُمثِّل الفوقيَّة العربيَّة على الآخر

(1) يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٢١ ــ ٢٣، (الأبيات: ٦ ــ ١٥).
(2) **نفسه**، ٣: ٤٠ ــ ٤٢، (الأبيات: ٢٣ ــ ٣٤).

الرُّومِيِّ؛ وَهذا الذي جعل المُتنبِّي مُقيَّدًا بالولاء وَالمحبَّة، لسَيْف الدَّوْلة، زمنًا طويلاً، نظم فيه من المَدَائِح، "حتَّى بلغ مقدار ذلك ثلث دِيوَانه"([١]).

كما تعرض الصُّورَة لجانبٍ مُهمٍّ من العلاقة، يتمثَّل في طلب مَلِكِ الرُّوم الأمَان (التَّصالُح المُؤقَّت)، من سَيْف الدَّوْلة؛ وَأيّ دلالةٍ أعمق من هذه، في تأكيد الْعُلُوّ السِّياسيِّ العربيِّ، على الْمَلَكِيَّةِ الأعجميَّة.

لقد كان سَيْف الدَّوْلة صاحب نفس مجبولةٍ على الجُود وَالإحسان؛ حتَّى إنَّهما شملا أهل كُلِّ مِلَّةٍ؛ مِمَّا دفع ملك الرُّوم لطلب الأمان، بإرسال رسوله بالكِتَاب المُنمَّق، مُلْقِيًا السِّلاح، ومُطمِّعًا النَّفْس، في قبول الفارس الحَمْدانيِّ؛ أمَّا رسوله فقد أتى من أرضٍ بعيدةٍ، مُدركًا مع سيِّده الرُّومِيِّ، قُدْرة سَيْف الدَّوْلة على غزوه في أيِّ وقتٍ شاء.

وَكيما تكتمل الصُّورَة المُجلِّلة بالقتْل، بوصفها عنصرًا مُؤثِّرًا في عزيمة الرُّوم على المُوَاجَهة، ألفينا الرَّسُول سائرًا فوق هام القتلي؛ مِمَّا يُشِيرُ إلى عظم أمر المَقْتَلة، التي نفذَّها سَيْف الدَّوْلة بحقِّهم.

وَيرسم المُتنبِّي لسَيْف الدَّوْلة صورةً مَلَكِيَّةً مهيبةً، قوامها قُوَّة العَسْكر وَالسِّلاح؛ فَهو "**الْبَحْرُ**" أو "**الْبَدْرُ**" الذي خَفِيَ مكانه؛ لشدَّة لمعان الأسحلة حَوَالَيْهِ، تلك التي كانت فيما مضى رسوله، بما أجرت من جراحاتٍ في جسد الدُّمستُق قائد الرُّوم؛ فأضحى على قدرٍ من الصَّغَار وَالذِّلَّة، وَكان في موضع رجاء إجابة سُؤْلِهِ عند سَيْف الدَّوْلة، الذي لم يُخيِّب سائلاً قط، وإن بدا قتله أخلق؛ لعظيم فعاله في ثُغُور المسلمين؛ جزاءً وفاقًا، وَما ذلك ببعيدٍ عن الفَارِس الحَمْدانيِّ، الذي أذاق الرُّوم ويلات القَتْل؛ فلم يترك أسيرًا يُفْدَى أو رقيقا يُعْتَقُ؛ لورودهم جميعًا شفرات سُيُوف جنده، كما ترد القَطَا مناهل الماء سِرْبًا في إثر سِرْبٍ؛ وصولاً إلى الفَنَاء.

وَنرى فيما سبق؛ أنَّ التَّصْوير الْفَنِّيَّ بدا مُحتكِمًا إلى المضمون القوميِّ، "وَكانت طبيعة العَصْر تُحتِّم هذا المعنى؛ فسَيْف الدَّوْلة عربيٌّ تغلبيٌّ، وَمعظم جيشه من القبائل العربيَّة التي كانت تضرب في الشَّام، وَالمُعزُّ لدين الله الفَاطِميُّ قرشيٌّ، وَصُيَّابَةُ جيشه من العرب، فكأنَّ العرب هم الذي اضطلعوا بأعباء الصِّرَاع، وَغدوا وقودًا له، وَوجدوا فيه صراعًا بينهم وَبين قوميَّةٍ أخرى تُناصِبهم العداء، وَتُبدِي لهم الكُرْه؛ وَلهذا غدا سَيْف الدَّوْلة في الشِّعْر رمزًا لنضال العَرَب"([٢]).

---

[1]) عنبتاوي، غَازي مُحمَّد، (حُزَيْرَان١٩٦٠م)، **بَلاطُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأثرُهُ فِي الْحَيَاةِ الأدَبِيَّةِ**، رسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان، ص٤٢؛ وَيمكن الاطِّلاع على صُورَة سَيْف الدَّوْلة، من خلال شِعْر المُتنبِّي، في الرِّسَالة نفسها: ص٣٢ ــ ٤٣.

[2]) عبد الرَّحْمن، د. نَصرَتْ، (١٩٧٧م)، **شِعْرُ الصِّرَاع مَع الرُّومِ فِي ضُوءِ التَّاريخ (الْعَصْر العَبَّاسيّ حتَّى نِهَايَة الْقَرْن الرَّابع)**، (ط١)، عمَّان: مَكْتَبة الأقْصَى، ص٢٤٦.

وَلَقد "تجلّت موهبة أبي الطَّيِّب المُتنبِّي، في وَسْم صورة البطولة، لذلك الأمير العربيِّ، سليل الأسرة الحَمْدانيَّة، التي اتَّصف أبناؤُها بالشَّجَاعَة وَالفُرُوسيَّة وَرُوح المُغَامَرة، بالإضافة إلى الكَرَم وَالفَصَاحَة وَالشِّعْر وَالسَّمَاحَة"([1])، ([2]).

وَبصورةٍ إجماليَّةٍ؛ فإنَّ "**رُوميَّات**" المُتنبِّي تُمثِّل "قمَّة العُنْف في الصِّرَاع مع الرُّوم؛ وَلذا غدت موكبًا للقُوَّة، وَحشدًا معنويًّا في تصوير هذه القُوَّة. وَتدور معانيها في ثلاثة أفلاكٍ: أنَّ العَرَب وَعلى رأسهم سَيْف الدَّوْلة لا يُقهَرُون، وَأنَّ الرُّوم مُنهزمُون، وَإن جمعوا الجُيُوش، وَمهما بلغت قُوَّتهم، وَأنَّ سَيْف الدَّوْلة خير أُمَرَاء العرب بطولةً وَسخاءً وَذودًا عن ذِمَارِ الإسلام"([3])؛ لذا استحقَّ أن يُسجِّل المُتنبِّي له هذا المجد، على شكل لوحاتٍ شعريَّةٍ ناطقةٍ، وَهو "الذي نزل بلاطه حينئذٍ، وَلَزمه حتَّى سنة ٣٤٦ هـ ، يُسجِّل وَيُصوِّر ملاحمه الحربيَّة السَّاحِقة للرُّوم سحقًا ذريعًا"([4]).

وَقد ذكر المُتنبِّي النَّهْج السِّياسيَّ لِسَيْف الدَّوْلة، مقرونًا بِسَطْوته العسكريَّة، في شأن علاقته الخارجيَّة مع الرُّوم، وَالدَّاخليَّة مع آل بويه، وَهي علاقاتٌ مُشتمِلةٌ على سمة التَّصادُم المباشر؛ فيقول في قصيدةٍ مدحه فيها، بعد خروجه من مِصْرَ، وَمُفارَقته كافورًا، وَكتب بها من الكُوفة، سنة اثنتَيْن وَخمسين وَثلاثمائة([5]):

لَيْسَ إلاّكَ يَا عَلِيُّ، هُمَامٌ	**سَيْفُهُ دُونَ عِرْضِهِ مَسْلُولُ**
كَيْفَ لا يَأمَنُ الْعِرَاقُ وَمِصْرٌ	**وَسَرَايَاكَ دُونَهَا وَالْخُيُولُ**
لَوْ تَحَرَّفْتَ عَنْ طَرِيقِ الأعَادِي	**رَبَطَ السِّدْرُ، خَيْلَهُمْ وَالنَّخِيلُ**
وَدَرَى مَنْ أعَزَّهُ، الدَّفْعُ عَنْهُ	**فِيهِمَا أنَّهُ الْحَقِيرُ الذَّلِيلُ**

---

[1]) جديتاوي، هَيْثم مُحمَّد قَاسِم، (٢٠٠٦م)، **الْبِنَاءُ الدّرَامِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ بَشَّار بن بُرْدٍ إلَى الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة دُكتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبد، الأُرْدن، ص٢٦٥؛ وَلاستجلاء نَتَائِج الرِّسَالَة، يُنظَر: ص٣٦٢ ــ ٣٦٥، (الخَاتِمة).

[2]) يمكن استجلاء شعر الصِّرَاع مع الرُّوم، في القَرْن الرَّابع الهجْرِيِّ؛ من حيث المَوْضُوع وَالسِّمَات الفنِّيَّة، للشُّعَرَاء المُبرِّزين، وَمنهم المُتنبِّي، يُنظَر: عبد الرَّحْمَن، **شِعْرُ الصِّرَاع مَعَ الرُّومِ فِي ضُوءِ التَّاريخ (الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيّ حَتَّى نِهَايَةِ الْقَرْنِ الرَّابِع)**، ص٢٠٣ ــ ٣٠٠، (الفَصْل الأوَّل من البَاب الثَّالِث: دراسة موضوعيَّة لِشعر الصِّرَاع في القَرْن الرَّابع الهجْريِّ)؛ ص٣٠١ ــ ٣٢٠، (الفَصْل الثَّاني: السِّمَات الفنِّيَّة لِشعر الصِّرَاع في القَرْن الرَّابع الهجْريِّ).

[3]) **نفسه**، ص٣٣١؛ وَلاستجلاء نِتَاج المُتنبِّي الشِّعْرِيِّ، في مَضْمُون الصِّرَاع؛ من حيث بِنَاء القَصِيدَة وَالسِّمَات المعنويَّة وَالأسلوبيَّة وَالتَّصْوير، يُنظَر: **نفسه**، ص٣٢١ ــ ٣٣٩، (الفَصْل الثَّالِث: أهمُّ شُعَرَاء الصِّرَاع في القَرْن الرَّابع ــ أبُو الطَّيِّب المُتنبِّي).

[4]) ضَيْف، د. شَوْقِي، (١٩٨٤م)، **تَاريخُ الأدَبِ الْعَرَبِيِّ (٦) ــ عَصْرُ الدُّوَلِ وَالإِمَارَاتِ ــ مِصْر وَالشَّام**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار المَعَارف، ص٥٠٥؛ وَفي مُوجَز عَلاقَة سَيْف الدَّوْلة التَّصادُميَّة مع الرُّوم، يُنظَر: **نفسه**، ص٥٠٥ ــ ٥٠٧.

[5]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٣: ٢٠٢، ٢٠٣، (الأبيات: ٣٠ ــ ٣٧).

أَنْتَ طُولَ الْحَيَاةِ لِلـــرُّومِ، غَــازٍ ... فَمَتَى الْوَعْدُ أَنْ يَكُونَ الْقُفُـــولُ
وَسِوَى الرُّومِ، خَلْفَ ظَهْرِكَ رُومٌ ... فَعَلى أَيِّ جَانِـبَـيْكَ، تَــمِـيلُ
قَعَدَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَنْ مَسَاعِـيـــ ... ـــكَ وَقَامَتْ بِهَا الْقَنَا وَالنُّصُولُ
مَا الَّذِي عِنْـــدَهُ تُـــدَارُ الْمَنَـــايَا ... كَالَّذِي، عِنْـــدَهُ تُدَارُ الشَّمُـــولُ

وَتكمن أهمِّيَّة الأبيات السَّابقة؛ في بيانها حال سَيْف الدَّوْلة مع الشَّأن الرُّوميِّ الخارجيِّ؛ فقد كان الفَارِسَ الْهُمَامَ الْمُدَافِعَ عن ديار المسلمين، في العِرَاق وَالشَّام وَمِصْرَ؛ فلولا ذود سَيْف الدَّوْلة لكانت هذه البلاد نهبًا للأعداء.

أمَّا في شأن السِّيَاسَة الدَّاخليَّة؛ فعرض المُتنبِّي لأمرٍ يتَّصل بواقعٍ سياسيٍّ، هيمن على المنطقة ردحًا طويلاً من الزَّمَن؛ يتمثَّل في حالة التَّقَهْقُر أمام الآخر الرُّوميِّ، إلا أنَّ سَيْف الدَّوْلة حَدَّ من مطامع الرُّوم وَأمالهم، ولو امتنع عن مُباشَرة تحدِّيهم وَمُواجَهتم؛ لَعَلِمَ آل بويه وكافورٌ دُونيَّة شأنهم، في تخاذُلهم عن مُؤازَرة سَيْف الدَّوْلة وَنُصْرته.

وَيأتي استفهام الشَّاعِر؛ علامة إنكار على هؤلاء ذلَّتهم وَهوانهم؛ عن طلب المَعَالِي؛ بالذَّوْد عن البلاد، مع ضمِّه إيَّاهم ضمن أعداء سَيْف الدَّوْلة، إلا أنَّهم كانوا منه في مَكْمَنٍ ذِي خطرٍ؛ فهم في الخَلْف كَائِنون، وَبنهج الخُلْف مُقتَدون، وَقتالهم بات مطلبًا مُلِحًّا، كما هو الأمر في قتال الرُّوم؛ لاشتداد خطورتهم؛ بسبب الموقع الجغرافيِّ؛ الذي يُؤهِّل للغَدْر وَالوَقِيعة.

وَيكشف هذا المعنى عن التَّناقُض الدَّاخليِّ، الذي عاشه المُتنبِّي في آخر حياته؛ فأين من هذا البيت قصائده التي ذكرناها آنفًا، في تمجيد مُلْكِ رُكْن الدَّوْلة وَعَضُد الدَّوْلة بخاصَّة، وَآل بويه بعامَّة ؟!

وَهذا يعني أنَّ المُتنبِّي كان نَصِير سيِّد زمانه؛ فإذا ما فارقه وَأضحى في رفادة سَيِّدٍ آخر، انتهج نهجًا مختلفًا، في تقليب العلائق بين دائرتي التَّصادُم وَالتَّصالُح، مُؤْثِرًا القريب بالتَّصالُح، وَقاذفًا البعيد بويلات التَّصادُم؛ ثُمَّ إِنَّ في البَيْت الشِّعْريِّ مزيد بيانٍ على محبَّة الشَّاعِر لِسَيْف الدَّوْلة، لا سيَّما في الحِقْبَة الزَّمنيَّة، التي شهدت صراعه المُستمرَّ مع الرُّوم؛ لأنَّ في ذلك تحقيقًا لأمنية المُتنبِّي، في إرساء السِّيَادَة العربيَّة، وَتفوُّق قوميَّتها على أيَّة قوميَّةٍ أخرى.

وَيكون للشَّاعِر بعد ما قدَّم من جليل السِّمَات السُّلْطانيَّة، أن يعقد مُوازَنةً بين سَيْف الدَّوْلة وَبين سائر المُلُوك؛ فلم يبلغ أحدٌ منهم مساعيه، التي قامت بها رماحه وَسيوفه؛ ذلك أنَّ شغله الشَّاغِل قتال الأعداء، وَشغل غيره كائنٌ في اللَّهْو وَالشَّرَاب.

وَلَم تقتصر المُوازَنة عند حَدِّ المُلُوك العَرَب، وَإِنَّما تعدته إلى مُوازَنة سَيْف الدَّوْلة بذي التَّاج الرُّومِيِّ؛ ليتجلَّى المعنى المقصود بسيادة سَيْف الدَّوْلة على سائر الأمْلاكِ، وَفي ذلك يقول مادحًا، في أوَّل ما أنشده إيَّاه، سنة سبعٍ وَثلاثين وَثلاثمائة، عند نُزُوله أنْطَاكِيَّة، وَظفره بحصن (بَرْزُوَيْهِ)، وَكان جالسا تحت مظلَّةٍ من الدِّيبَاج، عليها صورة ملك الرُّوم، وَصور وَحْشٍ وَحَيَوَانٍ([١]):

وَفِي صُورَةِ الرُّومِيِّ ذِي التَّاجِ ذِلَّةٌ ... لأبْلَجَ لا تِيجَانَ إلاّ عَمَائِمُهْ

تُقَبِّلُ أفْوَاهُ الْمُلُوكِ، بِسَاطَهُ ... وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُمُّهُ وَبَرَاجِمُهْ

قِيَامًا لِمَنْ يَشْفِي مِنَ الدَّاءِ كَيُّهُ ... وَمَنْ بَيْنَ أُذْنَيْ كُلِّ قَرْمٍ مَوَاسِمُهْ

لقد كان الشَّاعِر "يرى نفسه في صورة سَيْف الدَّوْلة؛ فعبَّر في حماسة مديحه له عن نزعة الكِفَاح التي تصطرع بين جنبَيْه؛ لهذا كانت حماسته أصيلةً متجاوبةً مع نوازعه وَعواطفه، وَهذا ما لا نكاد نُحِسُّهُ وَنتبيَّنه في سائر أشعار الحماسة، التي اجتذبتها قصائد المديح لدى الشُّعَراء المُتكسِّبين، مُستهدِفة تصوير بطولات السَّادَة الممدوحين، وَاستجلاب رضائهم بهذا التَّصْوير"([٢]).

وَيمكننا إجمال ماسبق؛ في أنَّ المُتنبِّي قد أقام في "رحاب الأمير عشر سنين، وَقال فيه غُرَرَ قصائده وَعُيُونَ شعره، التي بلغت نحو ثلث ما قال في دِيوَانه، وَسجَّل مآثر سَيْف الدَّوْلة وَبطولاته وَانتصاره وَهزيمته وَالضَّرْب وَالطَّعْن وَالأسْر وَالسَّبْي، كما سجَّل الشَّاعِر أحاسيس نفسه، في مشاعرها المختلفة، من انقباضٍ وَانبساطٍ وَاضطرابٍ"([٣]).

وَلَقد "وجد الشَّاعِر في سَيْف الدَّوْلة الأمير الذي ينشده، وَرأى الأمير في المُتنبِّي فتًى أبيًّا جديرًا بصداقته، وَشاعرًا مُجِيدًا خَلِيقًا بتخليد بطولاته وَانتصاراته؛ فكان يصحبه في حِلِّهِ وَترحاله، وَكان يُفضِّله على الشُّعَراء كافَّةً؛ فاستطاع أن يحتلَّ الصَّدَارَة، وَينتزع من الشُّعَراء لِوَاءَ الإِمَارَةِ"([٤]).

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٤٠، ٤١، (الأبيات: ٢٣ ــ ٢٥).

[2]) الجنديّ، د. دَرْوِيش، (١٩٧٠م)، **ظَاهِرَةُ التَّكَسُّبِ وَأَثَرُهَا فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَنَقْدِهِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار نَهْضَة مِصْر للطَّبْع وَالنَّشْر، ص١٥٣، ١٥٤.

[3]) عبد الجَابِر، د. سُعُود مَحْمُود، (١٩٨١م)، **الشِّعْرُ فِي رِحَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الرِّسَالة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٦٩.

[4]) **نفسه**، ص٦٩؛ وَحَوْل محاور علاقة المُتنبِّي مع سَيْف الدَّوْلة، يُنظَر: **نفسه**، ص٦٧ ــ ٧١، (المُتنبِّي وَسَيْف الدَّوْلة)؛ ص٧١ ــ ٧٨، (المُتنبِّي وَفساد أمره مع سَيْف الدَّوْلة).

إنَّ ما ذكرناه آنفًا، في سُلْطتي: عَضُد الدَّوْلة وَسَيْف الدَّوْلة؛ ليُعبِّر عن حالة سُمُوِّ المِثَال في الحُكْم وَالعلاقات السِّياسيَّة، مع سائر الأقطاب السُّلْطويَّة الأخرى؛ أمَّا المَلِك الرُّوميُّ؛ فدالٌّ علـــى سُوءِ المِثَال، في الآخر الأعجميِّ.

وَنضمُّ إليه صورةً آخرى محورها كافورٌ، وَهي التي تضمَّنت مُفارَقة الموقف؛ بين حالتَيْن مُتناقِضتَيْن من الإعْزاز وَالاحْتِقار، في المَدْح وَالهجَاء، كما كانت مدائح المُتنبِّي فيه هجاءً مُبَطَّنًا في بعض المواقف، أو لغاية انتزاع ما وعده به في باب الوِلايَة، الذي أشرنا إلى طرفٍ ظـــاهرٍ منه، في "صورة الأنا السِّياسيَّة".

أمَّا الصُّورة الأولى؛ المُشتمِلة بِالمِثَاليَّة السِّياسيَّة، فلها في دِيوَان المُتنبِّي حضورٌ حـــسنٌ، لا يخلو من بعض الإشارت المبينة عن التَّصادُم الضِّمْنيِّ، وَمِمَّا جاء فيها قوله([1]):

أنْتَ أعْلَى مَـــحَـــلَّةً أنْ تُـــهَـــنَّـــى	**بمَكَانٍ فِي الأرْضِ أوْ فِي السَّمَاءِ**
ولَكَ النَّاسُ وَالْـــبِـــلادُ وَمَـــا يَسْـــ	**ــرَحُ بَيْنَ الْغَــبْــرَاءِ وَالْخَضْرَاءِ**

ثُمَّ أتبع المُتنبِّي ذلك بمدحٍ مُبطَّنٍ بِالذَّمِّ، على معنًى يُفهَم ــ في الإقرار الأخير للشَّاعِر، بعد خروجه من مِصْرَ ــ باحتقار هيئته ولَونه، فقال([2]):

تَفْضَحُ الشَّمْسُ كُلَّمَا ذَرَّتِ الشَّمْـــ	**ـــسُ، بِشَمْسٍ مُنِـــيرةٍ سَـــوْدَاءِ**
إنَّ فِي ثَوْبِـــكَ، الَّذِي الْمَجْدُ فِيـــهِ	**لَضِيَـــاءً يُـــزْرِى بِكُـــلِّ ضِيَـــاءِ**
إنَّمَا الْجِلْدُ مَلْبَسٌ وَابْيِضَاضُ النَّـــ	**ـــفْسِ خَيْرٌ مِنَ ابْيِضَاضِ الْقَبَاءِ**
كَـــرَمٌ فِـــي شَجَاعَـــةٍ وَذَكَـــــاءٌ	**فِي بَهَـــاءٍ، وَقُـــدْرَةٌ فِي وَفَـــاءِ**
مَنْ لِبِيضِ الْمُلُوكِ أنْ تُبْدِلَ اللَّـــوْ	**نَ بِلَوْنِ الأُسْتَـــاذِ وَالسَّحْـــنَـــاءِ**

هكذا تتبدَّى المُفارَقة على صعيد القصيدة الواحدة([3])؛ فالبيتان اللذان سبقا هذه المقطوعـــة، أبانا عن تمجيدٍ فائقٍ لِكافورٍ، بينما احتشدت المقطوعة بالتَّصادُم الضِّمْنيِّ، على جهة الغرضـــيَّة الهجائيَّة، وَإلا فكيف نُفسِّر إشراق كافورٍ بسواده، وَفضحه بهاء الشَّمْس وَضياءَها، الذي لم يزل المُتنبِّي يبتني فيه اللُّغة على قدرٍ مُحكَمٍ من الدَّهَاءِ، حتَّى وصل إلى أمنية المُلُوك، بتبديل جلودهم

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ١١٠، (البَيْتان: ٥، ٦).
[2]) **نفسه**، ١: ١١١، (الأبيات: ١٥ ــ ١٩).
[3]) يُنظَر: الهَاشِم، **أبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَنُصُوصٌ**، ص٤٨ ــ ٥٢، (مدحٌ ذو وجهَيْن).

إلى مثيل لون جلد كافورٍ، إذا لم تكن معرفته بفنون القَوْل وَمكامن اللُّغة وَطبائع النُّفُوس عَلِيَّــةً؛ كيما يتلاعب بممدوحه، إلى هذا القدر الكاشف سُمُوَّ مطمحه الذَّاتيِّ.

وَإنَّ "مُجرَّد التَّفْكير بهذه الشَّمْس السَّوداء تفضح شمس الظَّهيرة، أو بهذه العُيُون التي تقــف رجاءها وَأمانيها من الحياة على الاكتحال بوجه أبي المِسْك، إنَّ مُجرَّد التَّفْكير بذلك يثير بسمةً لا تمتُّ إلى احترام كافورٍ بشيءٍ"([1]).

وَيمضي الشَّاعِر في صياغة أسس الخِطَاب المادح كافوراً الحَاكِم، على نحو السُّمُوِّ المشتمل على السُّخْرية المُبطَّنة، فيقول([2]):

يُدَبِّرُ الْمُلْكَ مِنْ مِصْرٍ إِلَــى عَـدَنٍ   إِلَى الْعِرَاقِ فَأَرْضِ الرُّومِ فَالنُّوبِ

ثُمَّ يقول في نهاية القصيدة نفسها([3]):

حَتَّــى وَصَلْــتُ إِلَى نَفْسٍ مُــحَــجَّــبَةٍ   تَلْقَى النُّفُــوسَ بِفَضْلٍ غَيْرِ مَحْجُــوبِ
فِي جِسْــمِ أَرْوَعَ، صَافِي الْعَقْلِ تُضْحِكُهُ   خَلائِقُ النَّــاسِ، إِضْحَــاكَ الأعَاجِــيبِ
فَالْحَمْــدُ قَبْــلُ لَــهُ وَالْحَمْــدُ بَعْدُ لَــهَا   وَلِلْقَنَــــا وَلإِدْلاجِـــــي وَتَأوِيبِـــــي
وَكَيْفَ أَكْــفُرُ يَا كَافُورُ نِــعْــمَــتَــهَــا   وَقَدْ بَلَغْنَكَ بِي يَا كُــلَّ مَــطْــلُــوبِــي
يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْــغَــانِي بِــتَــسْــمِــيَةٍ   فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ عَنْ وَصْفٍ وَتَلْقِيبِ
أَنْــتَ الْحَبِيــبُ وَلَكِنِّــي أَعُـــوذُ بِــهِ   مِنْ أَنْ أَكُــونَ، مُحِبًّــا غَيْرَ مَحْبُــوبِ

وَرُبَّما أراد القارئ أن يصل هذه الأبيات بباب المدح الظَّاهِر، لكنَّنا ــ في وحــي قراءَتنــا لكافوريَّات المُتنبِّي ــ سنلحقها بباب الخداع الثَّقافيِّ للآخر السِّياسيِّ، من خلال صياغة صــورةٍ مثاليَّةٍ، ظاهرها الرَّحْمة، وَباطنها من قبل فهمنا جُلُّ الإذلال وَالعقاب وَالعذاب.

وَهي من هذا الوَجْه؛ ضربٌ من التَّجْديد عند الشَّاعِر؛ "فهي قصائد تعدو الفهم الظَّاهِر إلــى مرامٍ خفيَّةٍ، وَتكشف قُدْرة المُتنبِّي على الهِجَاء بظاهر المَدْح، وَتدعونا إلى الإحساس بشيءٍ مــن

[1]) الهَاشِم، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَنُصُوصٌ**، ص٤٨، ٤٩.
[2]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٠٦، (البَيْت: ٢٣).
[3]) **نفسه**، ١: ٢١٠، (الأبيات: ٤١ ــ ٤٦).

احتقار الشَّاعِرِ لممدوحه أو السُّخْرية منه وَالعجب من وصوله إلى المُلْك، وسلبه فضل الوُصُول إليه بعلمه وَشجاعته وَاستحقاقه، إنَّما هو القَضَاء وَالقَدَر الذي مكَّنه مِمَّا لم يُجاهِد في سبيله"([1]).

ولَعلَّ أصل ذلك يكمن في قضيَّةٍ جوهريَّةٍ؛ تتعلَّق بوعد كافورٍ له، بمنحه ولايةً أو إمارةً، وَهو ما عالجناه في ظهور المُتنبِّي السِّياسيِّ، الذي لم يزل فيه يلمح له بالوعد تارةً، وَيُصرِّح تارةً أخرى، داعيًا إيَّاه إلى ابتلائه؛ لاختبار كفاءَته وَقدرته؛ فالمُتنبِّي في سنة ستٍّ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، زمن قول القصيدة، لم يكن بعد قد تمكَّن من أن يقحم على كافورٍ دواخله، وَيفهم كُنْهَ تفكيره وَطرائقه؛ لذا بدا في البيت الأول محجوبًا عنه، وَليس المقصود احتجاب المُلُوك عن بلوغ النَّاس مجالسهم؛ لِعُلُوِّ المَرْتبة.

وَعندما نصل بفهمنا السَّابق إلى البيت التَّالِي، سندرك تمام الإدراك ما أراده الشَّاعِر من هُزْءِ كافورٍ بأخلاق النَّاس، وَهو معنى آخر يُقْرَأ في بوح قصائده الهجائيَّة مجتمعةً، بسخريَّته الحادَّة من هيئته.

وَقد تتَّصل الصُّورة بذكر "السِّيَاسَة" صراحةً، في مقام إحسان كافورٍ فنونها، على نحوٍ يُوجِب من غير العارف بدقائقها وَأصولها وقفةً واحدةً؛ لِتَعَلُّم طريقته في إدارة شُؤُون الحُكْم. يقول المُتنبِّي مادحًا إيَّاه، سنة سبع وَأربعين وَثلاثمائةٍ([2]):

إذَا مَنَعَتْ مِنْكَ السِّيَاسَةُ نَفْسَهَا ... فَقِفْ وَقْفَةً قُدَّامَهُ تَتَعَلَّمِ

وَمَرَّةً أخرى يبقى التَّأويل مفتوحًا على مصراعَيْه؛ فأيُّ سياسةٍ يقصد الشَّاعِر في ضوء شِكَايته الضِّمْنيَّة منه، في تخلُّفه عن أداء وعده له بالولايَة ؟! ؛ مِمَّا يُحْمَلُ فيه المعنى على وجهتي الظَّاهِر وَالبَاطِن، وَهما الجديرتان بالدَّرْس، على مستوى المُفارَقة الكُلِّيَّة للخِطَاب، في شعره المَقُول في كافورٍ مدحًا هجائيًّا أو هجاءً مقذعًا.

وَعلى غير النَّهْج السَّابق، يبدو التَّصْريح بالهجاء واضحًا، من خلال انسياح المُتنبِّي ضمن علاقة التَّصادُم المباشر (التَّمرُّد)، مُوَظِّفًا العِقَاب في أقصى درجاته؛ إذ يقول في ضِدِّ ما سلف ذكره، وَفي وحيه تُقْرَأ المُتناقِضات([3]):

حَصَلْتُ بِأَرْضِ مِصْرَ عَلَى عَبِيدٍ ... كَأَنَّ الحُرَّ بَيْنَهُمُ يَتِيمُ

كَأَنَّ الأَسْوَدَ اللابِيَّ فِيهِمْ ... غُرَابٌ حَوْلَهُ، رَخَمٌ وَبُومُ

---

[1] عبد الله، **التَّقْلِيدُ وَالتَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ العَبَّاسِيِّ**، ص٧١.
[2] المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ٤: ١٩٧، (البَيْت: ١٩).
[3] **نفسه**، ٤: ٢٠٨، ٢٠٩، (الأبيات: ٥ ــ ١٠).

أَخِـذْتُ بِمَدْحِـهِ فَرَأَيْتُ لَهْـوًا ... مَقَـالِي، لِلأُحَيْـمِقِ يَا حَلِيـمُ
وَلَمَّا أَنْ هَجَـوْتُ، رَأَيْتُ عِيًّـا ... مَقَالِـي لابْـنِ آوَى يَا لَئِيـمُ
فَهَلْ مِنْ عَـاذِرٍ فِي ذَا وَفِي ذَا ... فَمَدْفُـوعٌ إِلَى السَّقَمِ السَّقِـيمُ
إِذَا أَتَتِ الإِسَـاءَةُ مِـنْ لَئِيـمٍ ... وَلَمْ أَلُمِ الْمُسِيءَ، فَمَنْ أَلُـومُ

استهلَّ الشَّاعِر خِطَابه بالهجَاء، الذي يلزمنا في إبانه وجه الذَّمِّ في مدائحه السابقة؛ وَأظهر ما عُنِيَ به هنا، عبوديَّة كافورٍ وَسواده، وقد بات هذان الأمران مدخله في كشف العلاقة بينهما؛ فهو يُصرِّح بأنَّه مدحه كارهًا لا راغبًا، وَعاد عن هذا النَّهْج لمَّا رأى نفسه مادحًا "**الأُحَيْمِقَ**" بالحِلْم، وَلمَّا هجاه بلؤمه الظَّاهِر، أصبح ذلك "**عِيًّا**" على "**مَقَالِهِ**"؛ لأنَّه في باب ما لا يُحْتَاجُ فيه إلى بيانٍ، طالبًا العُذْر من المُتلقِّي في حالتي المدح وَالهجاء؛ لوقوع ذلك منه في مقام الاضطرار؛ الذي يوجب هجاءَه؛ لفرط إساءَته في حقِّه.

وَلنا أن نتساءَل عن اضطرار المُتنبِّي وَكُنْهِ إساءَة كافورٍ له؛ وَفيهما أنَّ الشَّاعِر لم يكن مضطرًا، وَإنَّما أنزل نفسه منزلة المُضْطَرِّ؛ تفلُّتًا من احتمال عاقبة المديح، الذي كِيلَ للحاكم في زمن الطَّلَب السِّياسيِّ؛ أمَّا إساءَة كافورٍ فلا يمكن فهمها إلا في سياقٍ واحدٍ، يتعلَّق بتجاهُل قدر المُتنبِّي، وَعدم الوفاء بوعوده السِّياسيَّة له، وَهما اللذان لا يمكن له أن يغفلهما، في ضوء اعتقاده بِعُلُوِّ قدره في فنون القول وَمطالب المجد على العالمين.

وَمِمَّا يزيد البيان، في نهج مدح الهجاء، قول المُتنبِّي([1]):

وَتُعْجِبُنِي رِجْـلاكَ، فِي النَّعْلِ إِنَّنِـي ... رَأَيْتُـكَ ذَا نَعْـلٍ إِذَا كُنْـتَ حَافِـيَا
وَإِنَّـكَ لا تَـدْرِي أَلَـوْنُـكَ أَسْـوَدٌ ... مِنَ الْجَهْلِ أَمْ قَدْ صَارَ أَبْيَضَ صَافِيَا
وَيُذْكِرُنِي تَخْيِيطُ كَـعْـبِـكَ شَـقَّـهُ ... وَمَشْيَكَ فِي ثَوْبٍ، مِنَ الزَّيْتِ عَارِيًا
وَلَوْلا فُضُـولُ النَّاسِ جِئْتُكَ مَادِحًـا ... بِمَا كُنْتُ، فِي سِـرِّي بِهِ لَكَ هَاجِيَا
فَأَصْبَحْتُ مَسْـرُورًا بِمَا أَنَا مُنْشِـدٌ ... وَإِنْ كَـانَ بِالإِنْشَادِ هَجْـوُكَ غَالِيَا
فَإِنْ كُنْتَ لا خَيْـرًا أَفَدْتَ فَإِنَّـنِـي ... أَفَدْتُ بِلَحْظِـي مِشْفَرَيْـكَ الْمَلاهِيَا
وَمِثْلُكَ يُؤْتَـى مِنْ بِـلادٍ بَـعِـيدَةٍ ... لِيُضْحِـكَ رَبَّـاتِ الْحِـدَادِ الْبَوَاكِيَا

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٤: ٣١٨، ٣١٩، (الأبيات: ٤ ــ ١٠).

وَهنا يُتَبَيَّنُ مقدار سخرية الشَّاعِر من كافورٍ؛ حين لبس نعلاً؛ فرأى أبو الطَّيِّب قبح الشُّقُوق في رجلَيْه؛ ليمضي في إرساء علاقة التَّصادُم المباشر، وَتوجيه استراتيجيَّة العِقَاب، على نحوٍ أبرز الشَّاعِر فيه سمات العبوديَّة وَالقُبْح، مُتندِّرًا به، على وجهة السُّخْرية وَالاستهزاء، وَلعلَّ السِّمَة الأخيرة تُحِيلُ إلى ما جاء في إحدى مدائحه السَّابقة، بشأن سخرية كافورٍ من هيئة الخلائق؛ لشدَّة حُسْن خِلْقَتِهِ.

وَقد كشف الشَّاعِر في ــ البيتَيْن الرَّابع وَالخَامِس ــ نهجه في مدح كافورٍ، ممثِّلاً في مديح الظَّاهِر وَهجاء البَاطِن، وَلولا فضول النَّاس، لهجاه بما ظَنَّ أنَّه مدحٌ؛ كنايةً عن جهله بفنون القول الشِّعْريِّ، وَهو إن هجاه بما ظنَّه مديحًا، إلا أنَّه رأى في مُجرَّد الإنشاد شيئًا يفوق قدره، الذي يتموضع في الدُّون من ذلك.

وَلم يتبق في هذا المقام إلا أن نُحِيل إلى أبياتٍ من قصيدته، التي مدح فيها كافورًا، في شوَّال، سنة تسعٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، وَهي آخر ما أنشده؛ ففيها البيان الفَصْل لمنهج المُتنبِّي في التَّلاعُب بكافورٍ؛ إذ يقول(١):

وَأَنَّكَ إنْ قُويسْتَ صَحَّفَ قارِىءٌ	**ذِئَابًا وَلَمْ يُخْطِىءْ فَقَالَ ذُبَابُ**
وَإنَّ مَدِيحَ النَّاس، حَقٌّ وَبَاطِلٌ	**وَمَدْحُكَ حَقٌّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ**
إذَا نِلْتُ مِنْكَ الوُدَّ فَالْمَالُ هَيِّنٌ	**وَكُلُّ الّذِي فَوْقَ التُّرَابِ، تُرَابُ**
وَمَا كُنْتُ لَوْلا أنْتَ، إلاَّ مُهَاجِرًا	**لَهُ كُلَّ يَوْمٍ، بَلْدَةٌ وَصِحَابُ**
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إلَيَّ حَبِيبَةً	**فَمَا عَنْكَ لِي إلاَّ إلَيْكَ ذَهَابُ**

وَلعلَّنا نكمل استكشاف ملامح الآخر السِّياسيِّ، بصورةٍ تُكرِّس ظاهرةً أخرى، تتمثَّل في تفرُّد الحَاكِميَّة، تلك التي عاينها في قدرٍ كبيرٍ من مدائحه، في السِّياسيِّين بخاصَّة، وَممدوحيه من جميع الطَّبقات بعامَّة، وَيمكننا أن نختزل هذه الظَّاهِرة، مع إمكانيَّة درسها على نحوٍ مُفصَّلٍ مستقلٍّ، يبين عن سياقاتها، وَيكشف مدلولاتها التَّعْبيريَّة وَالنَّفْسيَّة وَالحضاريَّة عند المُتنبِّي.

وَيمكننا أن نُمثِّل لذلك بقوله في عَضُد الدَّوْلة، في مناسبة تعزيته بعمَّته، وَقد وافتها المنيَّة في بَغْدَادَ(٢):

وَلَمْ أقُلْ مِثْلُكَ أعْنِي بِهِ	**سِوَاكَ يَا فَرْدًا بِلا مُشْبِهِ**

---

[1] المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ١: ٢٢٨، ٢٢٩، (الأبيات: ٣٩ ــ ٤٣).
[2] **نفسه**، ١: ٢٣٨، (البَيْت: ٣٥).

وَمدح المُتنبِّي سَيْف الدَّوْلة، وَهنَّأه بعيد الأضحى، سنة اثنتَيْن وَأربعين وَثلاثمائةٍ، وَقد أنشده في حلَب، وَهما على فرسيهما، قائلاً([١]):

فَذَا الْيَوْمُ فِي الأَيَّامِ مِثْلُكَ فِي الْوَرَى   كَمَا كُنْتَ فِيــهِمْ أَوْحَدًا كَانَ أَوْحَدَا

وَبما أنَّ البيت الشِّعْريَّ، يقع ضمن "**داليَّة**" الشَّاعِر، في مــدح سَــيْف الدَّوْلــة، فــي عيــد الأضحى، سنة اثنتَيْن وَأربعين وَثلاثمائةٍ؛ فإنَّ "هذا البيت نفسه، يشرح لنـــا النِّظـــام الـــسِّياسيَّ وَالاجتماعيَّ الذي يضع منزلة الأمير فوق رعاياه؛ قياسًا على أولويَّة العيد على الأيَّام الأخرى؛ وَبهذا يُنَصَّبُ الأمير على قمَّة السُّلَّم الاجتماعيِّ"([٢]).

كما قال فيه([٣]):

فَلا تَعْجَبَا إنَّ السُّيُوفَ كَثِــيرةٌ   وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدُ

وَقال في قصيدةٍ مدح بها كافورًا، وَأنشده إيَّاها في شوَّال، سنة تسعٍ وَأربعــين وَثلاثمائـــةٍ، وَهي آخر ما أنشده، ولم يلقه بعدها([٤]):

جَرَى الْخُلْفُ إلاّ فِيكَ أَنَّكَ وَاحِدٌ   وَأَنَّكَ لَيْــثٌ وَالْمُــلُــوكُ ذِئَابُ

وَلَمَّا مدح كافورًا قبل ذلك، سنة ستٍّ وَأربعين وَثلاثمائةٍ، قال([٥]):

وَمَا زَالَ أَهْلُ الدَّهْرِ يَشْتَبِهُونَ لِي   إلَيْكَ، فَلَمَّا لُحْــتَ لِي لاحَ فَرْدُهُ

وَقال أيضًا في مدح أبي أيُّوب أَحْمَد بن عِمْرَان([٦]):

ذُكِرَ الأَنَامُ لَنَا فَكَانَ قَصِــيدَةً   كُنْتَ الْبَدِيعَ الْفَرْدَ مِنْ أَبْيَاتِهَا

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٧، (البَيْت: ٢٣).

[2]) ستيتكيفيتش، **أدَبُ السِّيَاسَةِ وَسِيَاسَةُ الأَدَبِ**، ص١١٩؛ وَيمكن الاطِّلاع على تحليل الكَاتِبة "**للدَّاليَّة**" كلِّها فــي: ص١٠٧ ــ ١٢٩.

[3]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ١: ٢٧٦، (البَيْت: ١٦).

[4]) **نفسه**، ١: ٢٢٨، (البَيْت: ٣٨).

[5]) **نفسه**، ٢: ٨٩، (البَيْت: ٣٣).

[6]) **نفسه**، ١: ٢٤٩، (البَيْت: ٣٦).

وَألفيناه يمدح مُحمَّد بن سَيَّار بن مُكْرَم التَّميميّ، بقوله([1]):

مَضَى وَبَنُوهُ وَانْفَرَدْتَ بِفَضْلِهِـمْ   وَأَلْفٌ إذَا مَا جُمِّـعَتْ وَاحِدٌ فَرْدُ

وَللمُتنبِّي وقفة إفرادٍ مع ممدوحه الحُسيْن بن عَلِيّ الهمذانيّ، قال فيها([2]):

وَشَهْوَةَ عَوْدٍ إنَّ جُودَ يَمِينِهِ   ثُنَاءٌ ثُنَاءٌ وَالْجَوَادُ بِهَا فَرْدُ

ولَمَّا ساير أبا مُحمَّد بن طغج، وَهو لا يدري أين يريد، وَدخل كفرديس، قال([3]):

وَإذَا رَجَعْتَ إلَى الْحَقَا   ئِقِ فَهْيَ وَاحِدَةٌ لأَوْحَدْ

وَنراه يمدح شُجَاعَ بن مُحمَّد الطَّائيَّ المَنْبِجِيَّ، قائلاً([4]):

إلَى وَاحِدِ الدُّنْيَا إلَى ابْنِ مُحَمَّدٍ   شُجَاعِ الَّذِي للهِ ثُمَّ لَهُ الْفَضْلُ

وَمن مقام التَّفرُّد([5])، انتقل المُتنبِّي إلى المُفرَد المُقابِل ندَّه أو المَجْموع؛ ليعقد ضَـربًا مـن المُوازَنات بين السِّياسيِّين وَغيرهم؛ استنطاقًا لِسُمُوِّهِمْ، وَتأكيدًا على فضلهم، الذي يسبق شخوصًا بعينهم في بعض الأحيان، وَيتقدَّم على العالمين، ضمن المُقَايَسة المُطلَقة في معظم الأحايين.

وَنجد في هذا الضَّرْب من التَّصْوير السِّياسيِّ للآخر، مُوازَنة بين سَـيْف الدَّوْلـة وَالحُكَّـام المسلمين، فيما يخصُّ نهج الجِهَاد ضِدَّ الرُّوم، مع بيان سبب مُوالاة المُـشركين لِـ"**عَجْـزٍ**" أو "**رَهَبٍ**"، وَمُؤَكِّدًا صدقيَّة عقيدة الوَلاء وَالبَرَاء عند الفَارِس الحَمْدانيِّ، فيقول([6]):

أرَى الْمُسْلِمِينَ مَعَ الْمُشْرِكِيـ   ـنَ إمَّا لِعَجْزٍ وَإمَّا رَهَـبْ
وَأنْتَ مَـعَ اللهِ فِـي جَانِـبٍ   قَلِيلُ الرُّقَـادِ كَثِيرُ التَّعَـبْ
كَأنَّـكَ وَحْـدَكَ وَحَّـدْتَـهُ   وَدَانَ الْبَرِيَّـةُ بِابْـنٍ وَأبْ

---

[1]) المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٧٠، (البَيْت: ٣٠).
[2]) **نفسه**، ٢: ٧٧، (البَيْت: ٣٠).
[3]) **نفسه**، ٢: ٨٠، (البَيْت: ٦).
[4]) **نفسه**، ٣: ٢٢٠، (البَيْت: ١٠).
[5]) في فَرَادَة الحَاكِم، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤١، (البَيْت: ٢٧، في سِيَاق مدح شُجَاع بن مُحمَّـد الطَّـائِيِّ المَنْبِجِـيِّ، وَمُوَازَنته مع قوَّاد الرُّوم).
[6]) **نفسه**، ١: ١٦٣، (الأبيات: ٣٩ ــ ٤١).

وَعندما مدح المُتنبِّي أبا عبادة بن يَحْيَى البُحْتُرِيَّ، قال(١):

لَمَّا وَزَنْتُ بِكَ الدُّنْيَا فَمِلْتَ بِهَـا   وَبِالْوَرَى قَلَّ عِنْدِي كَثْرَةُ الْعَدَدِ

وَقال في مدح سَيْف الدَّوْلة، ذاكرًا نهوضه إلى ثَغْر الْحَدَثِ؛ لمَّا بلغته إحاطة الرُّوم به، في جُمَادَى الأولَى، سنة أربعٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ(٢):

حَالُ أعْدَائِنَا عَظِيمٌ وَسَـيْفُ الدَّ   وْلَةِ ابْنُ السُّيُوفِ أعْظَمُ حَالا

كُلَّمَا أعْجَلُوا النَّذِيرَ، مَسِيرًا   أعْجَلَتْـهُ جِيَادُهُ الإعْـجَـالا

وَقد شكَّل ثَغْرُ الْحَدَثِ، مناسبة انطلاق القول الشِّعْرِيِّ، في غير موقفٍ، على نحو استجلاء المُتنبِّي فروسيَّة سَيْف الدَّوْلة أمام الرُّوم، عند قلعة الحَدَث الحمراء(٣)، وَهي التي "لم تكن عند الشَّاعِر مكانًا مُجَرَّدًا، بل شكَّلت عنده إشكاليَّةً إنسانيَّةً وَنفسيَّةً، لها دلالاتها الثَّقافيَّة، جعلته يبدع في تصويرها وَتصوير الأحداث حولها ..."(٤).

وَيمكن أن نُشيرَ إلى ظاهرةٍ أخرى؛ تجلَّت في إبداء الصُّورَة الحُكْميَّة على دولةٍ بعينها، من خلال التَّصْريح باسمها، أو استجلاب شُخُوصها وَقادتها إلى الخِطَاب الشِّعْرِيِّ؛ بوجهي التَّفصيل وَالاختزال؛ مِمَّا يُعِين على استجلاء موازين القوى، التي سعى المُتنبِّي إلى إرضائها، وَتلك التي لم يحفل باستمالتها، من مثل: الحَمْدانيِّين وَالبويهيِّين(٥)، وَالإخشيديِّين(٦)، وَالعَبَّاسيِّين(٧)، (٨)،

---

[1] المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي** ، ٢: ٥١، (البَيْت: ٦).

[2] **نفسه**، ٣: ١٨٧، (البَيْتان: ٣، ٤).

[3] يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٧١ ــ ٨١، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من سِتَّةٍ وَأربعين بيتًا، في مدح سَيْف الدَّوْلة، وَذكر بنائه ثَغْرَ الْحَدَثِ، سنة ثلاثٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٨٦ ــ ١٩٥، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من خمسةٍ وَأربعين بيتًا، في مدح سَيْف الدَّوْلة، وَذكر نهوضه إلى ثَغْر الْحَدَثِ؛ لمَّا بلغه أنَّ الرُّوم أحاطت به، وَذلك في جُمَادَى الأولَى، سنة أربعٍ وَأربعين وَثلاثمائةٍ).

[4] عبيدات، عَدْنَان مَحْمُود، (٢٠٠٤م)، دَوْرُ الْمَكَانِ فِي تَشْكِيلِ الصُّورَةِ فِي قَصِيدَةِ "عَلَى قَدْرِ أهْلِ الْعَزْمِ" لأبي الطَّيِّب المُتنبِّي ــ دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ أسْلُوبِيَّةٌ، **مُؤْتَة لِلبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٩(٨)، ص١٨٦.

[5] لقد تقدَّم بيانهما في هذا المَطْلب، على نحوٍ مُفَصَّلٍ.

[6] يمكن الاطِّلاع على القَصَائِد التي قالها المُتنبِّي في كَافُورٍ، فضلاً عن قصيدته في الصُّلْح بين ابن الإخشيد وَكَافُور، وَأثره على أركان الدَّوْلة الإخشيديَّة، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، ٢: ٩٢ ــ ٩٨، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من سِتَّةٍ وَثلاثين بيتًا).

[7] ذكر المُتنبِّي بَدْرًا الْخَرْشَنِيَّ أحد قادة الدَّوْلة العَبَّاسيَّة، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٤٧، (البَيْتان: ١٤، ١٥)؛ وَمدح سَيْف الدَّوْلة، وَذكر علاقته بخلافة بني العَبَّاس، وَالذَّوْد عن حِمَاهَا، وَأبان صُورَة الخَلِيفة العَبَّاسيِّ الوَاهِنَة، وَحاجته إلى قُوَّة سَيْف الدَّوْلة، يُنظَر: **نفسه**، ٤: ٥١، ٥٢، (الأبيات: ٣ ــ ٥).

[8] حَوْل الوَاقِع السِّياسيِّ، في حُكْم الخُلَفَاء العَبَّاسيِّين، أثناء حياة المُتنبِّي، يُنظَر: الحَسَن، **الدَّوْلَةُ الْعَبَّاسِيَّةُ ــ تَكَامُلُ الْبِنَاءِ الْحَضَارِيِّ**، ص٢٩٣ ــ ٣٤٦، (من الفَصْل التَّاسع عشر: المُقْتَدِر بِالله، إلى الفَصْل الرَّابع وَالعشرين: المُطِيع لله).

وَالفاطميِّين([1])، مِمَّن تموضعوا في المنطقة العربيَّة، أو في حُدُودها المباشرة؛ أَمَّا الدُّوَل التي تناثرت على تُخُوم البلاد العربيَّة، من الممالك الأعجميَّة، فذكر منها دُوَل: التُّرْك([2])، وَالفُرْس([3])، وَالرُّوم([4]).

وَانصرفت عناية المُتنبِّي إلى أصلٍ من أُصُول الحُكْم السِّياسيِّ، يتمثَّل في الجمع بين ترغيب الأولياء وَترهيب الأعداء، وَقد توقَّفنا عنده في أحد نماذج هذا المطلب، لكنَّه بادٍ في غير موطنٍ من الدِّيوَان، مُرتبطًا بغير سياسيٍّ([5]).

وَمهما يكن من أمرٍ؛ فقد ظهر الآخر السِّياسيُّ على نحوٍ واسعٍ، بوساطة صورٍ رئيسيَّةٍ عديدةٍ، أرست ملامح السِّياسيِّين في منظور المُتنبِّي؛ فقد بدوا على نمطَيْن من العلاقات المُتشابكة؛ هُمَا: التَّصالُح وَالتَّصادُم، ثُمَّ إنَّهما وُجِّها إلى إطارَيْن آخرَيْن: الدَّاخِل وَالخَارِج، وَبين هذه التَّقاطُعات الأربعة؛ رسم الشَّاعِر حقول العلاقات السِّياسيَّة برؤيته الذَّاتيَّة، التي أنزلت أولياءَه المنزلة العَلِيَّة، وَانحدرت بالآخرين المُعادِين، أو الذين لم يُقدِّروا المُتنبِّي حَقَّ قدره، إلى الدُّون.

كما ارتبطت بملامح الآخر السِّياسيِّ ظاهرتان مُهمَّتان، يمكن أن تُدْرَسَا على تخصُّصٍ كاملٍ، في مُستوَى الدِّيوَان كلِّه، هُمَا: فرادة الحَاكِميَّة، وَالمُوازنَة التَّفاضُليَّة؛ أمَّا الأولى فجرت في قدرٍ كبيرٍ من مدائحه بحقِّ ممدوحيه، وَغالبيَّتهم من السِّياسيِّين؛ وَأَمَّا الثَّانِية فعُقِدت على مُستَوى

---

[1]) مدح المُتنبِّي أبا القَاسِم طَاهِر بن الحُسيْن العَلَويَّ، بقَصِيدَةٍ أشرنا إليها في مطلبٍ سابقٍ، وَذكر فيها الفَاطِميِّين بخِطَابٍ عبَّر عن ولائه لهم، يُنظَر: المُتنبِّي، **شَرْحُ دِيوَانِ المُتَنَبِّي**، ١: ١٩٧، ١٩٨، (الأبيات: ٢١ ــ ٢٤).

[2]) أورد المُتنبِّي إشارتَيْن مقتضبتَيْن إلى الأتْرَاك، يُنظَر: **نفسه**، ٤: ١١٩، (البَيْت: ٢٢)؛ ٤: ١٩٨، (البَيْت: ٢٧).

[3]) يمكن استلال موقف المُتنبِّي من الفُرْس بعامَّة، من خلال قصائده المنظومة في عَضُد الدَّوْلة، وَنخصُّ منها ما جاء في: **نفسه**، ٤: ٢٠ ــ ٣٢، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من واحدٍ وَستِّين بيتًا، أنشدها المُتنبِّي في رَجَبٍ، سنة أربعٍ وَخمسين وَثلاثمائةٍ، وَهي السَّنَة التي قُتِلَ فيها، وَقد نظمها لمَّا خرج يتصيَّد مع عَضُد الدَّوْلة، حتَّى وصلا إلى دَشْتِ الأرْزَن، وَهو موضعٌ حسنٌ على عشرة فراسخ من شيراز، وَفيه غَابٌ وَمياهٌ وَمروجٌ)؛ ٤: ٢٨٦ ــ ٢٩١، (الأبيات: ١٩ ــ ٤٨، في صُورَة عَضُد الدَّوْلة وَولدَيْه أبي الفَوَارِس وَأبي دُلَف)؛ ٤: ٣٠١ ــ ٣٠٦، (الأبيات: ٢١ ــ ٤٩، في صُورَة عَضُد الدَّوْلة، ذِي السِّيَادَة على كُلِّ المُلُوك).

[4]) كُنَّا قد أوضحنا بعض مَلامِح الآخَر الرُّوميِّ، في هذا المَطْلب، وَيمكن الاطِّلاع على مزيدٍ من النَّمَاذِج، فيما يلي: **نفسه**، ١: ١٣٣ ــ ١٣٤، (صُورَة هَزيمة الدُّمستُق، وَما أصاب العَذَارَى وَالبَطَارِيقَ وَالقُرَى وَشُعْثَ النَّصَارَى وَالصُّلْبَانَ من ذُلٍّ ... إلخ)؛ ١: ١٦١ ــ ١٦٣، (صُورَة هَزيمة جَيْش الدُّمستُق الكَبير، على يد سَيْف الدَّوْلة)؛ ١: ٢٥٢، ٢٥٣، (صُورَة تهديد الدُّمستُق، وَاستعداد جَيْش سَيْف الدَّوْلة لِمُوَاجَهته، وَتَوجُّهه إلى قلعة سَمَنْدُو "بلغراد" حاليًّا)؛ ٢: ٤ ــ ٦، (الأبيات: ١١ ــ ١٩، في صُورَة الرُّوم الذَّليلة؛ لهزيمتهم على يد سَيْف الدَّوْلة، وَأسر ابن الدُّمستُق، وَفرار والده بعد إصابته، وَقد تكرَّرت هذه الصُّورَة غير مَرَّةٍ في دِيوَانه، في إطار التَّناصِّ الدَّاخِلِيِّ)؛ ٢: ٤١، (البَيْتان: ٢٦، ٢٧، في مُوَازَنَةٍ بين سِيَادَةِ الرُّوم وَسِيَادَةِ شُجَاع بن مُحمَّد الطَّائيِّ؛ بوصفه فردًا جامعًا لما يفوق قُوَّتهم)؛ ٤: ٧٩، ٨٠، (صُورَة ذِلَّةِ الدُّمستُق، وَتفجيعه بابنه وَصِهره)؛ ٤: ٩٧ ــ ١٠٦، (قَصِيدَةٌ مُكَوَّنَةٌ من خمسةٍ وَخمسين بيتًا، في صُورَة ذِلَّةِ الرُّوم، وَحَنْثِ بطريق الرُّوم ابن شُمُشْقِيق بقسمه، على هَزِيمة سَيْف الدَّوْلة، في مُقَابِل صُورَة سُمُوِّ الأخِير وَانتصاره عليه).

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ٣: ١٨٤، (الأبيات: ٣٤ ــ ٣٦، في سِيَاق مدح سَيْف الدَّوْلة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٤: ٩٧، (البَيْت: ٣٤، في سِيَاق مدح سَيْف الدَّوْلة وَآل حَمْدَان)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٤: ٢٠، (البَيْت: ٤٧، في سِيَاق مدحه عَضُد الدَّوْلة، وَذكره وقعة وَهْشُوذان بن مُحمَّد الكرديِّ، وكان والده رُكْن الدَّوْلة قد أنفذ إليه جيشًا من الرَّيِّ؛ فهزمه وَأخذ بلده).

الممدوح المُقابِل ندَّه بحضورٍ خافتٍ، أو بين الممدوح وَمجموع العالمين علـــى نطـــاق واســـع، وَتوسَّط الشَّاعِر في المُقايَسة المرتبطة بالندِّ المُعمَّم، دونما قيدٍ اسميٍّ أو وصفيٍّ.

وَقد أجرى المُتنبِّي الأنظار وَالمواقف الذَّاتيَّة، بشأن السُّلطات الكائنة في زمانـــه،؛ بوصـــفه باحثًا عن المَجْد السِّياسيِّ، مُتوقِّفًا عند أظهرها في النِّطَاق الجغرافيِّ العربيِّ، كسُلْطة الحَمْـــدانيِّين وَبني بويه، فضلاً عن الإخشيديِّين وَالعَبَّاسيِّين وَالفَاطِميِّين، وَالأمر ذاته ينسحب على الـــسُّلطات السِّياسيَّة الواقعة على تُخُوم البلاد العربيَّة، من مثل: الأتراك وَالفارسيِّين وَالرُّومَان، وَقد تباينت آراؤُه فيهم بين الإيجاب وَالسّلب، كما شهدنا تناقُضًا وَمُفارَقاتٍ موقفيَّةً، علـــى صـــعيد الـــسُّلْطة الواحدة، كما هو الحال في موقفه من سُلْطة بني بويه.

وَإجمالاً؛ فإنَّ صورة الآخر السِّياسيَّة ارتبطت بالتَّصادُم، من خلال النَّقْد السِّياسيِّ، الذي أنكر على السَّاسَة ضعفهم وَجبنهم وَذعرهم من المواقف الحاسمة، وَقلَّة عِفَّتهم وَنزاهتهم، وَانـــشغالهم بمطامحهم وَلذَّاتهم، وَوُصُول الأعاجم إلى التَّحكُّم بالعَرَب، وَاحتشاد حاشية المُلُوك بالدَّسَّاسين من مُثِيري الزُّور وَالفِتَن، وَمُدبِّري المُؤَامَرات وَالمِحَن؛ للتَّخلُّص من عظماء الكلمة الشِّعْريَّة أمثاله، إضافةً إلى استشراء الفَسَاد الماليِّ في الطَّبَقة الحَاكِمة، من رأس هرمها إلى أدناها([١]).

لقد كان "أبو الطَّيِّب المُتنبِّي حاقدًا على الخُلَفاء العرب؛ لأنَّهم بضعفهم وَتخاذلهم وَتهـــالكهم على المال وَاللَّذَّات، أفسحوا المجال أمام التُّرْك، وَالفُرْس، وَالدّيْلَم، وَالسَّلاجِقة، للتَّحكُّم في مصير الخلافة العربيَّة، وَاللَّعب بمصير الخُلَفاء وَالمسلمين؛ فأصبح الحُكْم الفعلـــيُّ لأولئـــك الأغـــراب المُتسلِّطين بِقُوَّتهم، الطَّامِسين للهُوِيَّة العربيَّة؛ وَأَمَّا الخُلَفاء العَبَّاسيُّون فلم يبق لهم سوى الاســـم، بعد تفريطهم في حقِّهم السِّياسيِّ وَالدِّينيِّ، وَهذه فرصةٌ استغلَّها الأمَـــراء وَالقُـــوَّاد العـــسكريُّون وَالوُلاة؛ ليستقلَّ كُلٌّ منهم بمنطقة نفوذٍ خاصَّةٍ به، يقتطعها من جسم الدَّوْلة الأمِّ؛ فتمزَّقت الدَّوْلـــة بسبب طمع الوُلاة وَحبِّهم للمال وَالنُّفُوذ، وَكان هذا الوضع السِّياسيُّ المُمـــزَّق يـــؤلم الأحـــرار كالمُتنبِّي وَأمثاله"([٢])؛ الذي غدا مُرتحِلاً في البلاد، باحثًا عن المِثَال في الحَاكِميَّة([٣]).

---

[1]) يُنظَر: عُثْمَان وكَنْعَان، **المَحْصُولُ الْفِكْرِيُّ لِلْمُتَنَبِّي**، ص٢٧٦، ٢٧٧؛ وَفي طبيعة الحَيَاة السِّياسيَّة في عـــصر المُتنبِّي، بما تضمَّنته من ضعف السُّلْطة المركزيَّة للخِلافَة العَبَّاسيَّة، وَتَكاثُر الدُّوَيْلات المنفصلة عن جسم الخِلافَة، وَالاقتتال العَرَبيِّ الدَّاخليِّ على النُّفُوذ، فضلاً عن الخطر الرُّوميِّ الدَّاهِم من ناحية الشَّمَال، يُنظَر: الهَاشِـــم، **أَبُـــو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَنُصُوصٌ**، ص٨ ــ ١٠، (عصره ــ الحَيَاة السِّياسيَّة).

[2]) الشّيخ، **مَعْنَى الْمَعْنَى عِنْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي بَيْنَ السَّيْفِيَّاتِ وَالْكَافُورِيَّاتِ**، ص٥٨.

[3]) في بحث المُتنبِّي، عن صُورَة المِثَال، في الآخَر السِّياسيِّ، يُنظَر: **نفسه**، ص٥٦ ــ ٩٧، (الفَـــصْل الثَّـــانِي: النَّمُوذَج المِثَال ــ سَيْف الدَّوْلة)؛ ص٩٨ ــ ١٣٦، (الفَصْل الثَّالِث: اهتزاز النَّمُوذَج المِثَال وَافتعال نَمُوذَجٍ بـــديلٍ ــ كَافُور)؛ ص١٣٧ ــ ١٨٥، (الفَصْل الرَّابِع: سُقُوط وَهْم المِثَال تلميحًا وَتصريحًا وَعَـــوْدة المِثَـــال ــ عَـــضُد الدَّوْلة)؛ وَحَوْل نهج المُتنبِّي، في العِنَايَة بِصُورَة الإنسان المِثَاليَّة، التي خصَّها بِالمَدَائِح، المبينة عن الحُسْن الْخُلُقِيِّ وَالْخَلْقِيِّ، يُنظَر: الزَّهْرَانِيّ، جُمْعَة بنت سفر سَعِيد، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، **الإِنْسَانُ فِـــي رُؤْيَـــةِ ابْـــنِ الرُّومِـــيِّ وَالْمُتَنَبِّي بَيْنَ الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أُمّ القُرَى، مَكَّة المُكَرَّمَة، السُّعوديَّة، =

وَتمحورت مثاليَّة المُتنبِّي، في إطار مُبتَغاه من الحَاكِميَّة؛ "فقد أراد حاكمه حاكمًا مسلمًا عربيًّا، سليم النَّسَب، شريف المَنْبِتِ، قد طُبِعَ على مكارم الأخلاق، وَهي: الكَرَم وَالشَّجَاعة، وَالإقْدَام في الدِّفَاع عن شَرَف العَرَب وَالمسلمين، كما أنَّه أراده ذكيًّا فَطِنًا، فصيحًا، طلق اللِّسَان كلامه؛ لكثرة ما فيه من بلاغةٍ في المَعْنى وَاللَّفْظ، يقترب إلى حَدِّ الحِكْمة"([1]).

وَلقد "استغلَّ المُتنبِّي عددًا من أغراضه الشِّعْريَّة؛ لخدمة هذا الموضوع؛ فجاءَت صفات الحَاكِم مبثوثةً في قصائد المديح وَالفخر وَالهجاء. وَقد تضمَّنت قصائده الوصفيَّة أيضًا رسمًا مباشرًا وَغير مباشرٍ لصورة الحَاكِم، حتَّى شعر الحِكْمة سُخِّرَ لخدمة ذلك الرَّسْم"([2]).

وَمع اهتمام الشَّاعِر بعطايا الممدوحين، إلا أنَّنا نلمس في مدائحه "أجواء من البُطُولة الإنسانيَّة، وَنلمس رؤيته للإنسان الأمثل، وَقد تجسَّدت البُطُولة وَالفُرُوسيَّة في أسمى معانيها"([3])، ([4]).

وَثمَّة ملمحٌ أخير يستوجب البيان، يتمثَّل في عدم مُدَانَاةِ مدائح المُتنبِّي لِعَضُد الدَّوْلة مدائحه في سَيْف الدَّوْلة؛ من حيث القيمة الأدبيَّة، "وَلا يُعْرَفُ سبب هذا بدقَّةٍ، وَقد يكون الأمر مبعث خلافٍ؛ فلم تكن عطايا سَيْف الدَّوْلة الحَمْدانيِّ أكثر وَأجزل من عطايا عَضُد الدَّوْلة البويهيِّ، وَكان الاثنان على قدرٍ كبيرٍ من الشَّجَاعة وَالبُطُولة، وَحُبِّ الشِّعْر وَالشُّعَراء، وَالعِلْم وَالعُلَماء، لكنَّ معارك سَيْف الدَّوْلة أغلبها كانت ضِدَّ الرُّوم أعداء العُرُوبة وَالإسلام، وَلم تكن معارك عَضُد الدَّوْلة من هذا القَبيل"([5]).

وَلذلك سببٌ آخر؛ "يتَّصل بفارق الزَّمَن في مدح المُتنبِّي كلا الملكَيْن؛ فسيفيَّاته تسبق عضديَّاته بأكثر من عقدٍ من السِّنين، فأغلب مدائحه في عَضُد الدَّوْلة كانت في آخر سنيِّ عمره سنة ٣٥٤هـ، بعد أن أتعبته الأيَّام وَأرهقه التَّرْحَال، وَتسرَّب اليأس وَالقلق إلى نفسه، إذ لم تُجْدِهِ مدحيَّاته الكُبْرى السَّابقة الكثيرة شيئًا، وَلم تُلَبِّ طموحاته؛ لذلك نجد دفق العاطفة في آخر مدحيَّاته

=ص٩٧ ــ ١٩٩، (الفَصْل الثَّانِي: الإنسان في رُؤْية المُتنبِّي مادحًا)؛ وَيمكن استظهار الصُّورَة النَّقِيضَة من ذلك، في الأُطْرُوحَة نفسها: ص٢٤٧ ــ ٢٨٧، (الفَصْل الرَّابع: الإنسان في رُؤْية المُتنبِّي قادحًا).

[1]) الخَطِيب، نَائِلَة أحْمَد عِيسَى، (أيَّار٢٠٠٦م)، **صُورَةُ الْحَاكِمِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِميَّة، الزَّرْقاء، الأرْدن، ص٢٠٥، (الخَاتِمة).

[2]) **نفسه**، ص٢٠٤، (الخَاتِمة)؛ وَلِمُطَالَعة مَحَاور مُهمَّةٍ في صُورَة الحَاكِم، يُنظَر: **نفسه**، ص٧٦ ــ ١٢١، (الفَصْل الثَّانِي: ١ ــ صُورَة الحَاكِم "الرُّؤْيَة")؛ ص١٢٢ ــ ٢٠٣، (الفَصْل الثَّانِي: ٢ ــ صُورَة الحَاكِم "التَّشْكيل الفَنِّيّ").

[3]) نَافِع، **لُغَةُ الْحُبِّ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، ص١٤٦.

[4]) يمكننا أن نستجلي صُورَة الآخَر السِّياسيَّة، من خلال دِرَاسَة العَلاقَة بين المُبْدِع وَالسُّلطة، على نحوٍ كاشفٍ، يُنظَر: المصريّ، عِيسَى عبد الشَّافِي إبْرَاهِيم، (٢٠٠٦م)، **الْعَلاقَةُ بَيْنَ الإبْدَاعِ وَالسُّلْطَةِ فِي شِعْرِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الأوَّلِ ــ دِرَاسَةٌ ثَقَافِيَّةٌ**، رسَالة دُكتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأرْدنيَّة، عمَّان، الأرْدن، ص٣٠١ ــ ٣٠٦، (الخَاتِمة)؛ كما يمكن تتبُّع كثيرٍ من القضايا المُهمَّة، في الرِّسَالة نفسها.

[5]) عمران، **الأدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي بَلاطِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ**، ص٥٠.

فاترًا، وَقد يكون هذا طبيعيًّا؛ فعمر الشَّاعِر في شعره كعمر الإنسان، يبدو أنَّ فيه قُــوَّة الــشَّبَاب وَفُتُور الشَّيْخُوخة"(١).

ثُمَّ إنَّ الشَّاعِر غادر كَنَف عَضُد الدَّوْلة سريعًا، مع وعدٍ بالقُفُول عمَّا قريبٍ، وَتمام الحقيقة في هذا "هو أنَّ فوز المُتنبِّي وَاطمئنانه مُكلَّلٌ باقتران مجده بمجد الأُمَّة، وَخير دليلٍ على هذا قــصر زيارته فارس، على ما لقي فيها من تقديرٍ وَتكريمٍ"(٢).

---

1) عمران، **الأَدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي بَلاطِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ**، ص٥٠، ٥١.
2) **نفسه**، ص٦٠.

الْمَبْحَثُ الثَّانِي: صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

ــ صُورَةُ الآخَرِ الدِّينِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

ينعقد اهتمامنا في بيان الآخر الدِّينيِّ عند مَحْمُود دَرْوِيش، على كينونة الــصُّورَة الكُلِّيَّــة، بملامحها الدَّاخليَّة، وَموقعها من الأسلوب اللُّغويِّ وَالمَذْهب الرَّمْزيِّ، اللذَيْن حَقَّ لهما أن يبينا عن جوانب كاشفةٍ، لما احتشد في مخيال المُثقَّف، في شأن سُلْطة الآخَرِ، عبر منظومة الدِّين.

ولَعلَّ أوَّل ما يمكن التَّوقُّف عنده، صورة الرَّحِيل، الواردة في "**تَأَمُّلاتٍ سَرِيعَةٍ فِــي مَدِينَــةٍ قَدِيمَةٍ وَجَمِيلَةٍ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ الأَبْيَضِ الْمُتَوَسِّطِ**"، من مَجْمُوعَته "**حِــصَار لِمَــدَائِح البَحْــر**"، الصَّادِرة سنة (١٩٨٤)م، حيث يقول([1]):

حين نَعْتَادُ الرَّحِيلْ
مَرَّةً
تُصبح كُلُّ الأَمْكِنَةْ
زَبَدًا نَطْفُو عَلَيهْ
وَنَمِيلْ
كُلَمَّا مالَت بِنَا الرِّيحُ
وَنَعْتَادُ بُكاء الأَحْصِنَةْ
حين نعتاد الرَّحِيلْ
مَرَّةً
تُصبح كُلُّ الأَزْمِنَةْ
لحظةً للقتل.
كم مُتْنَا وكم مُتْنَا,
وَكان الْكَهَنَةْ
خَدَمًا للسَّيْف منذ المَعْبد الأوَّلِ
حَتَّى آخر الثَّوْرات،
وَالْعَاشِقُ عَبْد السَّوْسَنَةْ.

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ٤٦٨، ٤٦٩.

إنَّ في اعتياد الرَّحِيل المُتحقّق بالجلاء عن "بَيْرُوت"؛ لكفيلٌ بإدخال البحر في حصاراتٍ أخرى، حين يصبح الزَّبَد الإلهيُّ شاهدًا على حالة التَّرْحَال إلى الأمكنة كافَّةً، وَالصُّورَة إذ تشتمل على أثر الظُّهُور الدِّينيِّ لِلآخر/ الأمِّ المِثاليَّة الكُبْرى، فإنَّها تتضمَّن كشفًا عن واقع الشَّعْب وَالمُقَاوَمة، وَهما سِيَّان، في ميلهم مع وجهة "**الرِّيح**"؛ وَ"**الرِّيحُ**" في هذا السِّيَاق قُوَّةٌ، هي عينها التي أخرجت المُقاوِمين من "بَيْرُوت" قبلاً.

وَتتجلَّى في إثر ذلك ظاهرةٌ لصيقةٌ بِالتَّرَحُّلِ الدَّائِم، تتمثَّل في بكاء الأحصنة، الرَّامِزة لِقُوَّةِ المُقَاوَمة؛ لتغدو الحالة الفلسطينيَّة بُكَائيَّاتٍ، في هامش البُكَائيَّة الأُولى، على أطلال فلسطين في نكبتها الكُبْرى، وَهذا ــ بلا ريبٍ ــ نتاج الرَّحِيل الذي يضحي به الوطن أرضًا كائنةً خلف بحار الدُّنَا.

وَأن يكون الرَّحِيل مُرادِفًا للقَتْل؛ فهذا الذي يُؤسِّس المُثقَّف من خلاله لِمعنًى جليلٍ، تكون به حياة المرء في رغدٍ، ما لقي قرار السَّكَن في روابي الوطن وَوِهَادِهِ، وَالضِّدُّ بالسَّابق معروفٌ بائنٌ؛ فالرَّحِيل رديف المَوْت النَّفْسيِّ، وَلعلَّ هذا الضَّرْب منه، أشدّ قسوةً على الإنسيِّ من مَوْتٍ زُؤَامٍ.

وَيمضي الشَّاعِر بالخِطَاب إلى حيث نريد، في إبانه الصُّورَة المُتبدِّية للآخَر الدِّينيِّ، وَالمَوْت بدء الفكرة وَقوام نسيجها، القائم على التَّكْثير، بقوله: "**كَمْ مُتْنَا وَكَمْ مُتْنَا**"، وَفي القول زفراتٌ يستشعر القَارِئ وطأتها على دواخل المُثقَّف، السَّاعِي إلى انتباذها بالتَّصْريح لا بالتَّلْميح؛ وَفي المُصرَّح به، يظهر الآخر الدِّينيُّ على سبيل جَمْع "**الْكَهَنَةِ**"؛ أَمَّا الحالة الكاشفة لهم فترعوي إلى زمن العِبَادة الأُولَى؛ حيث المَكْمَن الرَّئيسيُّ للصُّورَة، وَقد كانوا "**خَدَمًا لِلسَّيْفِ**".

وَإنَّ في السَّيْف لقوةً لا تُفَسَّرُ إلا بسطوة السِّياسيِّ، وَليت زمن الخدمة الدُّونية تهاوى مع تقادم الأزمان، وَإنَّما امتدَّ "**حَتَّى آخِرِ الثَّوْرَاتِ**"؛ وَفي ذلك تعزيزٌ لفكرةٍ محوريَّةٍ واحدةٍ؛ تقوم على مُوالاة الآخَر الدِّينيِّ بعامَّة، وَصاحب سُلْطتها الأقوى في المَعْبد بخاصَّة، المُتمثِّل في الكَاهِن الأكْبر، الذي تُجْمِعُ مصادر الميثولوجيا على تملُّكه سُلْطة الدِّين في أعلى مراتبها، وَقد تقترن بالسِّياسة لتبلغ المَلَكِيَّة.

أمَّا الرِّسَالة الفكريَّة للخِطَاب؛ فتبدَّت في اجتماع قوى الدِّين وَالسِّياسة على نفي الفلسطينيِّين إلى ما وراء البحار، وَإنَّه لمعنًى ذو خَطَرٍ، قابل للتَّأويل من وجوهٍ عدَّةٍ؛ أحدها: انتماء المُسمَّى المُصطلحيِّ "الْكَاهِنِ"، لقاموس التَّعبُّد الوثنيِّ، وَفي هذا معنى وثنيَّة رجالات الدِّين للحَاكِميَّة من سبيلي العِبَادة المجازيَّة، وَالتَّمثُّل الصَّارم لتبعيَّتها، دونما مُتحقّقٍ نطقيٍّ أو إرادةٍ فعليَّةٍ.

وَيُقارِب التَّأويل الثَّانِي التئام سُلْطتي الدِّين وَالسِّياسة في شخصٍ واحدٍ، على نحو ما رأينا من تبدِّيهما في الميثولوجيا القديمة، أمَّا وقد افترقتا مُسمًى وَوظيفةً، في عصرنا الحاضر؛ فإنَّهما التأمتا سويًّا لتنفيذ مُخطَّطٍ واحدٍ، يستند فيه القرار السِّياسيُّ إلى ركيزة الدِّين، على المُستَوَيَيْن النَّظريِّ وَالعمليِّ.

وَفي هذا الشَّأن لا بُدَّ من إيضاح الحقيقة التي قام عليها الحِصَار، وَهي اقتلاع المقاومة الكائنة في لُبْنان من جذورها، بدعمٍ من القوى المساندة للصَّهاينة، وَمنها حزب الكَتَائِب([1])، الذي قام على نزعةٍ عنصريَّةٍ مُغلَّفةٍ بإطارٍ مسيحيٍّ، وَأشرف قائده إيلي حبيقة على مذابح صبرا وَشاتيلا([2]).

---

[1]) حوْل دوْر الكَتَائِب في مَجَازر صَبْرَا وَشَاتِيلا، يُنظَر: (شباط/ فبراير١٩٨٣م)، **تَقْرِيرُ لَجْنَةِ كَاهَان حَوْلَ مَجَازِرِ صَبْرَا وَشَاتِيلا**، (ط١)، بَيْرُوت: المركز العربيّ للمَعْلُومَات (ش. م. م)، ص١٩ ــ ٢١، (العَلاقَات الإسرائيليَّة ــ الكَتَائِبيَّة)؛ ص٢١ ــ ٢٨، (الدَّوْر الكَتَائِبيُّ).

[2]) في التَّمْهيد للمَذْبَحة، وَأكَاذِيب المُتورِّطين فيها، يُنظَر: زَيْتُون، صفَاء حُسيْن، (١٩٨٢م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا: الْمَذْبَحَةُ ١٦–١٧–١٨ أيْلُول ١٩٨٢**، (د. ط)، (د. م): (د. ن)، ص٣ ــ ٨، (التَّمْهيد للمَذْبَحة: التَّحرُّكات الإسرائيليَّة، رَحِيل القُوَّة المُتعدِّدة الجِنْسِيَّات، اغتيال بَشِير الجميل، اجْتِيَاح بَيْرُوت الغربيَّة، نُقْطَة التَّجمُّع)؛ ص٣٧ ــ ٤٥، (المُجرِمون وَأكاذيبهم)؛ وَبشأن تفاصيل المَذْبَحة، وَمسؤوليَّتها، وَلجنتَي التَّحْقِيق اللُّبْنَانِيَّة وَالصُّهيونيَّة، يُنظَر: مُحمَّد، عبد الحَفِيظ، (كَانُون أوَّل١٩٨٢م)، **الْمَذْبَحَةُ ــ بَيْرُوت، صَبْرَا وَشَاتِيلا، غَزْو لُبْنَان، وَأطْوَل حَرْبٍ عَرَبِيَّةٍ إسْرَائيلِيَّةٍ بَيْنَ الْفِلَسْطِينِيِّينَ وَاللُّبْنَانِيِّينَ وَإسْرَائِيلَ**، (ط١)، عمَّان: جَرِيدَة أخْبَار الأسْبُوع، ص١١١ ــ ١٢٧، (تَفَاصِيل مَذْبَحة صَبْرَا وَشَاتِيلا وَمَجْزَرة الأيَّام الخَمْسَة في المُخَيَّمَيْن)؛ وَلاستجلاء تفاصيل المَجْزَرة في أيَّامها الأربعة الرَّئيسيَّة، يُنظَر: الأسْمَر، حلمي، (١٩٨٣م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا ــ مَجْزَرَةُ حَضَارَةٍ**، (ط١)، عمَّان: دَار العدويّ للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣ ــ ٢٩، (الفَصْل الثَّانِي: الأربعاء في اليوم الأوَّل للمَجْزَرة ــ مَسْرَح الجَرِيمَة)؛ ص٣١ ــ ٣٩، (الفَصْل الثَّالِث: الخَمِيس ١٦/ أيْلُول ــ اليوم الثَّانِي للمَجْزَرة)؛ ص٤١ ــ ٤٧، (الفَصْل الرَّابِع: الجُمْعَة ١٧ أيْلُول ــ اليوم الثَّالِث للمَجْزَرة)؛ ص٤٩ ــ ٥٢، (الفَصْل الخَامِس: السَّبْت ١٨/ أيْلُول ــ اليوم الأخِير للمَجْزَرة)؛ ص٥٣ ــ ٩٥، (الفَصْل السَّادِس: "شَهَادَات" أثناء المَذْبَحة وَبعدها)؛ وَفي الموضوع نفسه مع استفاضةٍ في التَّفَاصِيل، يُنظَر: الحُوت، بَيَان نويهض، (نيسان/ إبريل٢٠٠٣م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا ــ أيْلُول ١٩٨٢م**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الدِّرَاسَات الفلسطينيَّة، ص٧٥ ــ ١٢٢، (الفَصْل الثَّانِي: الجَيْش الإسرائيليُّ يُطوِّق المَكَان)؛ ص١٢٣ ــ ١٩٨، (الفَصْل الثَّالِث: الخَمِيس ١٦ أيْلُول/ سِبتمْبر ١٩٨٢م)؛ ص١٩٩ ــ ٢٨٥، (الفَصْل الرَّابِع: الجُمْعَة ١٧ أيْلُول/ سِبتمْبر ١٩٨٢م)؛ ص٢٨٦ ــ ٣٥٥، (الفَصْل الخَامِس: السَّبْت ١٨ أيْلُول/ سِبتمْبر ١٩٨٢م)؛ وَيُنظَر: حَمَّاد، مَازِن، (إعْدَاد)، (إبريل/ ١٩٨٣م)، **الْمَذْبَحَةُ ــ صَبْرَا وَشَاتِيلا وَحِصَارُ بَيْرُوت يُونيُو ــ سِبتمْبر ١٩٨٢م ــ (مُصَوَّرٌ تلفزيونيٌّ)**، الإشراف الفنِّيُّ: طَلْعَتْ يُوسُف، (ط١)، (د. م): إصدار طَاهِر الفَرْخ، ص١٥ ــ ١٨، (مَذَابِحُ مُبرمَجَةٌ في إطارٍ منهجيٍّ وَعقائديٍّ)؛ ص٣٢ ــ ٦٠، (من خلال التَّزاوُج الأمريكيِّ الإسرائيليِّ ــ البَيْت الأبْيَض خطَّط للمَجْزَرة)؛ وَيُنظَر: (سِبتمْبر١٩٨٣م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا فِي الذَّاكِرَةِ ــ مَجْمُوعَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنَ النُّصُوصِ وَالصُّوَرِ**، (د. ط)، تُونس: دَار الجَنُوب للنَّشْر، ص٧٣ ــ ٧٦، (ملفٌّ حَوْل مَجَازِر شَاتِيلا وَصَبْرَا)؛ ص٧٧، ٧٨، (شَاتِيلا وَصَبْرَا: بقيَّة الملفِّ)؛ ص٩٣ ــ ٩٨، (التَّقْرير النِّهائيُّ للجنة التَّحْقيق عن الأحداث في مُخَيَّمَي اللاجئين في بَيْرُوت ــ لجنة كَاهَان ــ مُقتَطَفات ــ تَوْصِيَات خِتَامِيَّة)؛ ص١٠٢، ١٠٣، (تَقْرير لجنة التَّحْقِيق الدَّوْليَّة ــ مُقدِّمة رَئِيس اللَّجْنة السَّيِّد سين مك برايد ــ مُقْتَطَفَات)؛ وَيُنظَر: الحَمَد، جوَاد، (إبريل١٩٩٥م)، **الشَّعْبُ الْفِلَسْطِينِيُّ ضَحِيَّةُ الإرْهَابِ وَالْمَذَابِحِ الصُّهْيُونِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: مَرْكز دِرَاسَات الشَّرْق الأوْسَط وَدَار البَشِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٣ ــ ٤٧، (القِسْم الرَّابِع: مَذْبَحة مُخَيَّمَي صَبْرَا وَشَاتِيلا ١٦ ــ ١٨ سِبتمْبر ١٩٨٢م)؛ وَيُنظَر:

Cattan, Henry, (1988), **The Palestine question, London**, (without ed), New York: Croom Helm Ltd, p169 – 199, (The Massacre of Sabra and Chatila).

وَقد شجَّعت هذه النَّزْعة بسطوتها القامعة، تَطاوُل بعض التَّيَّارات الفلسطينيَّة، على السِّيَادة اللُّبنانيَّة، بغير وسيلةٍ؛ أَمَّا مُرَادُنا من هذا كلّه فإسقاط الميثولوجيا على الواقع، من خلال الدَّلالة على تموقع الكَتَائِب اللُّبنانيَّة في صدارة المُستَوى السِّياسيِّ، من خلال التَّعاوُن مع القُوَّة الصُّهيونيَّة في لُبْنان؛ لغاية تسلُّم بشير الجميل منصب الرِّئاسة؛ وَهنا يكمن الملمح الواقعيُّ الأكيد؛ في التئام السُّلْطتَيْن الدِّينيَّة وَالسِّياسيَّة في حزبٍ واحدٍ، وَتحت راية رئيسٍ واحدٍ، شَرْعَنَ المَوْت بعنف الدِّين، الذي هو منه براءٌ.

وَيستحضر دَرْويش صورة الآخر الدِّينيَّة، في سياق بيان حقيقة العَوْدة من المَنَافِي، تلك التي بدت موطن البدء في السِّيَاق الشِّعْريِّ، وَاتَّحدت البداية فيها مع النِّهَايَة؛ لتكريس النَّفْي حتَّى في رُبُوع الوَطَن، في ظِلِّ هشاشة السَّلام المُبتَغى على الأرض.

وَحينها يرعوي المُثقَّف إلى المِثَال الدِّينيِّ في صورة الآخَر، ليحضر "**العَرَّاف**" وَ"**آدم**" عليه السلام، ومن ثمَّ الأنبياء؛ لغايةٍ هدفيَّةٍ واحدةٍ؛ مفادها المُوَزَانة بين هجرة ثورةٍ ما عادت إلا بقليل الزَّاد، لبناء جسم الدَّوْلة الفلسطينيَّة القادمة، وَهجراتٍ أخرى في قديم التَّاريخ، حصدت في منافيها رؤًى فكريَّةً حكيمةً، رسم دَرْويش في ظلالها مزيدًا من الصُّور المشتملة بالدِّين، وَفي ذلك قال الشَّاعِر في قصيدة "**مَأسَاة النَّرْجِس مَلْهَاة الفِضَّة**"([1])، من مَجْمُوعَة "**أَرَى مَا أُرِيد**"، الصَّادِرة سنة (١٩٩٠)م([2]):

...

... وَكَأَنَّهم عادوا كعودة ظِلِّ مئذنة إلى صوت المُؤذِّن في المَغِيبْ
لم تسخر الطُّرُقَاتُ منهم مثلما سخر الغَرِيبُ من الغَرِيبْ
النَّهْر هَاجِسهم, تَلَعْثَمَ أَمْ تَقَدَّمَ، غَاضَ أَمْ فَاضَ النَّهَرْ

يُمهِّد الشَّاعِر التَّقْديم الدِّينيَّ لصورة السُّلْطة في الآخَر، من خلال بيان حقيقة العَوْدة، التي بدأت تتشكَّل ملامحها، مع إطلالة السَّلام بآماله، على الثَّائرين المنفيِّين، وَقد أرادها دَرْويش في مجال التَّصْوير تشبيهًا بلاغيًّا يحمل قيمة العَوْدة الزَّائِفة؛ لتكون عودة ظِلِّ المئذنة لصوت المُؤذِّن لا إليها؛ دليلاً راسخاً على زَيْفِ أحلام العَوْدة، وَالشَّاعِر قد خَبُرَ أخلاق العدوِّ وَطبائعه، بمِرَاسه السِّياسيِّ داخل الوطن وَخارجه، وَهو القائم على الأخذ دون العطاء.

---

[1]) يُنظَر ما أثاره العنوان، من ظلالٍ معنويَّةٍ، عند الدُّكتور سَعْد البازعي: **أَبْوَابُ القَصِيدَةِ ــ قِرَاءَاتٌ باتِّجَاهِ الشِّعْر**، ص٤١ ــ ٤٧، (٤ ــ دَهْشَة الاستبدال في رُؤْيَة دَرْويش).

[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٢٢٦.

وَقد كان ذلك مدعاة سخرية الغريب حقيقةً (المُحتَلّ)، مـن الغريب مجازًا (الفلسطينيّ المَنْفيّ)، وَهو السَّاخِر من كُلِّ مطامح التَّحررُ وَالعَوْدة، وَإقرار القُدْس عاصمةً للدَّوْلَة الفلسطينيَّة المُرتَقبة، بحدود النَّهْر الملتقي مع أشقاء العُرُوبة، الذي يُكرِّس هاجس السِّيَادَة، تلك التي لم تُحَلَّ عقبات مُقوِّماتها في حلقات التَّفاوُض.

وَيقول الشَّاعِر تاليًا([1]):

وَلراية الصّفصاف عَرَّافٌ يُعَلِّقُهَا على ما سال من ذَهَبِ الْقمَرْ

وَيحضر الآخر الدِّينيُّ في إطاره السّلبيِّ، حين يتضمَّن الخِطَاب صورة "**العَرَّاف**"، الذي يُعلِّق راية (الصَّفْصَاف/ الثَّبَات وَالمُقَاوَمَة)، "**عَلَى مَا سَالَ مِنْ ذَهَبِ الْقَمَر**"؛ كنايةً عن تعـذُّر تحقيـق الأهداف العُلْيا؛ فلا يصلح سائل الذَّهَب لأن يُتَّخَذَ للتَّعْليق، ثُمَّ إنَّ رابطة الشَّاعِر وَالمُؤتلِفين فـي الحُلُم الجَمْعيِّ بِالتَّحرُّر، غدت مبتورةً مع (القَمَر / الأرض / الأُمُومة)؛ وَهذا كلُّه ينـدرج فـي السُّخْرية من مشهد السَّلام؛ الذي لم تثمر اتِّفاقاته شيئًا ظاهرًا؛ مِمَّا يـوحي بتكـريس الـشَّاعِر حضوره من خلال الآخر الدِّينيِّ "**العَرَّاف**"، الذي بدا قادرًا على قراءة غيب "**رَايَةِ الصَّفْـصَافِ**" على هذا النَّحْو.

ثُمَّ كان لِـ"**آدم**" ـــ عليه السلام ـــ أن يحضر في الصُّورَة نفسها متبوعًا بالأنبياء، حيث يقول([2]):

.. وَلـهم حكايَتُهُمْ. وَآدَمُ ـــ جَدُّ هجرتهم بكى ندمًا

وَللصَّحراء هَاجَرْ

وَالأنبياء تشرَّدوا في كُلِّ أرض، وَالْحَضَارَةُ هَاجَرَتْ، وَالنَّخْل

هَاجَرْ

لكنَّهم عادوا قوَافِلَ,

أوْ رُؤَى

أوْ فِكْرَةً,

أوْ ذَاكِرَةْ

وَرأوا من الصُّور القديمة فِتْنَةً أوْ مِحْنَةً تكفي لوصف الآخرةْ

هل كَانَتِ الصَّحْرَاءُ تكفي للضَّيَاع الآدَمِيِّ ؟ وَصَبَّ آدَمْ

فِي رَحْمِ زوجته، على مرأى من التُّفَّاح، شَهْدَ الشَّهْوَةِ الأُولَى

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٢٢٦.
[2]) **نفسه**، ٣: ٢٢٦، ٢٢٧.

وَقَاوَمَ
مَوْتَهُ. يحيا ليعبد رَبَّهُ العَالِي، وَيعبد رَبَّهُ العَالِي ليحيا
هل كان أوَّلُ قاتِلٍ ـــ قابيلُ ـــ يعرف أنَّ نَوْمَ أخيه مَوْتْ ؟
هل كان يعرف أنَّهُ لا يعرف الأسماء, بَعْدُ, وَلا اللُّغَةَ
هل كانت امْرَأَةٌ يُغطِّيها قميص التُّوت أوَّلَ خَارِطَةٍ ؟

لقد جاء حضور "**آدم**" ـــ عليه السلام ـــ من باب التَّناصِّ مع الخُرُوج الكونيِّ الأوَّل، من نطاق الجنَّة السَّماويَّة إلى الحَيَاة الأرضيَّة، وَكان قد بكى ندمًا على الخطيئة التي أفضت به إلى ذلك الخُرُوج، وَكذا الأمر فيما يخصُّ الخارجين من الوطن طواعيةً، أو كراهيةً قد تُتَحَمَّلُ بمزيد الصَّبْر وَالصُّمُود، وَملمح الخطيئة بادٍ من خلال بكاء "**جَدِّ هِجْرَتِهِمْ**"؛ ندمًا على ما خلا من الذَّنْب، وَماذا عساه أن يكون ذنب الخارجين، سوى النُّزُول عند سطوة المُحتلِّ، في تمكين الخَوْف من نفوسهم على نحوٍ جليٍّ.

وَاستنَّ الجَدُّ الهِجْرة في كُلِّ أرضٍ؛ فكان المهاجرون وَمنهم الأنبياء صلوات الله وَسلامه عليهم، وَللهجرة أن تكون خيارًا لازمًا، فيما لو خِيفَ على الرِّسالة السَّماويَّة وَأتباعها، من سطوة أعدائها، وَهم كثرٌ، مُتربِّصون بها وَبنبيِّها وَبأتباعها الدَّوَائِر، ثُمَّ إنَّ الحضارات هاجرت من مِصْرٍ إلى آخرَ؛ طلبًا لحُسْن المُستقرِّ وَرغيد المُقَام، وَمع الإنسان هاجر "**النَّخْلُ**" على سبيلي الحَقِيقية وَالمَجَاز، وقد كان من دأب العرب قديمًا الانتجاع بين الأماكن المختلفة؛ طلبًا للكلأ وَالماء، وَغادرت ظُعُنُ الأمومة الحسناوات ديارهنَّ في موكبٍ مهيبٍ، صُوِّرَ في الشِّعْر الجاهليِّ بالنَّخِيل.

وَاستهلَّ الشَّاعِر الخِطَاب تاليًا بـ"**لَكِنَّ**"، على ما في هذا الحرف النَّاصِب من معنى الاستدراك؛ إذ المُهِمُّ واقعٌ فيما بعده؛ وَهو كامنٌ في نتيجة الإيجاب التَّابعة، للصُّورَة السّلبيَّة القَاتِمة؛ ذلك أنَّ الهجرة على صعوبة شأنها للأنبياء وَالبشر جميعًا، كانت مَنْجَاةً من المهالك، التي لم يكن لها دوام الحال، كما سائر المُتبدِّي في هذا النِّطَاق الكونيِّ، المأتمر بأمر الخالق عز وجل، وَقُدِّرَ للمهاجرين العودة إلى ديارهم ظاهرين، وَقد صاروا على خير ما يُرْتَجَى من كثرة العدد، وَسُمُوِّ الفكرة وَالمعتقد، فـ"**عَادُوا قوَافِل أو رُؤًى أو فِكْرة أو ذَاكِرَة**"، احتشدت بمنظومات القيم وَالأخلاق وَالمَعَايش، وَأسهمت في ارتقاء الإنسان إلى ذُرَى العالم القديم.

وَعلى ما في الارتقاء، من سُمُوِّ ظهور الدِّين الإلهيِّ، على سائر شُرُور الأرض وَآفاتها الفِكْريَّة وَالعقيديَّة، فقد عادت صورة الخطيئة الأولى لتُلوِّح في أفق الشِّعْر، وَفيها الصُّورَة القديمة لِـ"**مِحْنَةِ**" الخُرُوج، من مُحتَضن الرِّعَاية الإلهيَّة في جنَّاته، إلى عالم الشَّقَاء الأرضيِّ بعذاباته،

وَهو الكفيل بمعرفة أوصاف "**الآخِرَةِ**"، بما تشتمل عليها من صورة النَّعِيم الأوَّل، الواردة في السِّيَاق القرآنيِّ، وَالتي لا بُدَّ في "**الآخِرَةِ**" من استباقها بالحِسَاب، وَللذين هاجروا طوعًا، أن يحاسبوا أنفسهم قبل أن يحاسبهم التَّاريخ وَربُّ البرية في يومه الموعود، وَالشَّاعِر أحد أولئك، لكنَّه يُلِحُّ على الاختباء وراء الآخر الدِّينيِّ، المذكور على السَّبيل الجَمْعيِّ؛ طالبًا الوُلُوج إلى المُتلقِّي بمعاينه، على نهج الخَفَاء، وَالشِّعْر يفتضحه ما كانت كلماته المُعبِّرة عن دواخله، تنطق بأثر التَّجربة، حِكْمةً تُناغِي المِثَال، بمحاسبة الذَّات، وَالانطلاق بها إلى النَّهْج الأسمى.

وَيأتي سؤال المُثقَّف تاليًا: "**هَلْ كَانَتِ الصَّحْرَاءُ تَكْفِي لِلضَّيَاعِ الآدَمِيِّ ؟**"، وَالمقصد منه إجابةٌ ثاويةٌ في ظاهر كوامنه، وَقد كانت مُتحقِّقةً بالإيجاب، في كفايتها ضياع الآدميِّين، وَهي صحارٍ شاسعاتٌ، غادر الفلسطينيُّ بين كثبانها كُلَّ ثوريَّته، وَنهجه السَّامِق في التَّضْحية وَالفِدَاء، وَما من اقترانٍ بين السُّؤَال وَما تلاه، من العودة إلى السِّيَاق السَّماويِّ، للوُجُود الآدميِّ، على سبيل الاستئناف غير المسبوق بفكرةٍ لصيقةٍ، سوى "**آدم**" عليه السلام، وَصوره اتِّحاده بأنثاه، على مرأى من "**التُّفَّاح**"، الذي شهد "**الشَّهْوة الأُولَى**"، وَعاين "**الخَطِيئة الأُولَى**"؛ وَأن تكون الشَّهْوة خطيئةً؛ فذلك الذي يرتدُّ إلى المُفَارَقة المضمونيَّة([1]).

وَمَرَّةً أخرى نجد في الآخر الدِّينيِّ، في أصل تبدِّيه وَسياق صورته، إسقاطًا مقصودًا على واقع المُهاجِرين عن الأرض بكمال سترها، إلى عري الذُّلِّ وَالخُنُوع على عتبات السَّادَة النُّجَباء، وَبرعاية وكالة موت قضيَّة اللُّجُوء؛ بإغاثة اللاجئين إلى غير عودةٍ.

لكنَّ الصُّورَة الآدميَّة للمُقَاوَمة ظهرت في بدايتها، بمُواجَهة شَظَفِ العَيْش، على وجه البَسِيطة، التي لم يدرك العلم بها أحدٌ، إلا على سبيل المُلاقَحة بين الأرض وَالإنسان، وَغدت الغاية الوُجُوديَّة للآدميِّين منصورةً بقولٍ من لدن حكيمٍ خبيرٍ: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ (٥٦)** ﴾([2])، وَقوله تعالى: ﴿ **وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ**

---

[1]) وَردت آياتٌ قرآنيَّةٌ كريمةٌ، في شأن المَعْصِية البشريَّة الأُولَى، المُتمثِّلة في الأكل من "شَجَرَةِ الْخُلْدِ"، هي: قوله عز وجل: ﴿ **فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ (٢٠) وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ (٢١) فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢٢)** ﴾، (سُورَة الأَعْرَاف، الآيات: ٢٠ ـــ ٢٢)؛ وَقوله تعالى: ﴿ **فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى (١٢٠) فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١) ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى (١٢٢)** ﴾، (سُورَة طه، الآيات: ١٢٠ ـــ ١٢٢).

[2]) **سُورَةُ الذَّارِيَاتِ**، الآيَة: ٥٦.

بَعْـدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًـا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُـونَ بِي شَيْئًا وَمَـنْ كَفَـرَ بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِـكَ هُـمُ الْفَاسِقُونَ (٥٥) ﴾([1]).

وَتوقَّف دَرْوِيش عند عبوديَّة "**آدم**" ــ عليه السلام ــ للباري جل جلاله: "**يَحْيَا لِيَعْبُدَ رَبَّهُ الْعَالِي، وَيَعْبُـدَ رَبَّه الْعَالِي لِيَحْيَا**"، وَقد كرَّر الشَّاعِر الجملة بعينها، في تجنيسٍ ربـاعيٍّ الْكَلِـم، مـع تَبادُلِيَّـة الاستهلال للقُطْبَيْن الأوَّلَيْن من التَّجْنيس "**يَحْيَا**" وَ"**يَعْبد**"؛ وَمقصد التَّكْرير بيان الوجهـة الدِّينيَّـة القائمة على غايةٍ هدفيَّةٍ واضحةٍ؛ أَمَّا الهجْرة الآدميَّة عن أرض النُّبُوَّات؛ فانتهت إلـى منـافٍ؛ اندثرت في قسوتها كُلُّ الغايات النَّبيلة.

وَينطلق الشَّاعِر تاليًا بِالمُتتالِية الاستفهاميَّة؛ لاستكناه تفاصيل دقيقةٍ تخصُّ الحيـاة الأولـى، وفيها أبو البشريَّة حضورًا من خلال ولده "**قابيل**"، وَمكمن الاستفهام كُنْهُ علمه بمعرفته "**توم أخيه على أنَّه المَوْت**"([2])، فضلاً عن كُنْهِ معرفته الذَّاتيَّة عن نفسه حول الفِقه بـ"**الأسماء**" أو "**اللُّغة**"، إضافةً إلى صورة الأنثى المشتملة بورق "**التُّوت**"، وَمدى اعتلاقها بـ"**الخَرِيطة الجغرافيَّة**"، التي لم يقصد الشَّاعِر منها الجسد، بقدر ما أكَّد حضور أُنوثـة الأُمِّ الكُبْـرى، المُجـسَّدة بـالتَّرْميز الأرضيِّ، مِمَّا يندرج في باب الآخر الدِّينيِّ الأسطوريِّ.

وَيرعوي الحُزْن المُقِيم إلى قلب دَرْوِيش، الذي يُزْجِي إلينا كشف حقيقة النُّبُوءَة، مُستحضِرًا للخِطَاب قطبَيْن آخرَيْن، على سبيل تصوير الآخر الدِّينيِّ، فيقول([3]):

لا شَمْسَ تحت الشَّمْس إلاّ نور هذا القلب يخترق الظّلالْ
كم من زَمَانٍ مَرَّ كي يجدوا الْجَوَابَ عن السُّؤَالْ. وَما السُّؤَالْ
إلاّ جَوَابٌ لا سؤال لَهُ. وَكانت تلك أَسْئِلَةُ الرِّمَالِ إلى الرِّمَالْ
نُبُوءَةً في ما يُرَى أو لا يُرَى. جَهْلاً يقول نُبُوءَةً. وَالرَّمْلُ رَمْلُ
وَيُغافِل الصُّوفِيُّ امْرَأةً ليغزل صوفَ عتمتِهِ بلحيته. وَيعلو
جَسَدًا من البلّور. هل للرُّوح أرْدَافٌ وَخَاصِرَةٌ وَظِلٌّ ؟

وَيُلِحُّ المُثقَّف على إبقاء سُلْطته في فواصل الصُّور؛ فَـ"**الشَّمْس تحت الشَّمْس غائبةٌ إلا من نور قلبه الذي يخترق الظّلال**"؛ مِمَّا يُرسِّخ سُلْطته الثَّقافيَّة الْعَلِيَّةِ، القادرة على استكشاف دواخـل

---

[1]) **سُورَةُ النُّور**، الآيَة: ٥٥.

[2]) حَوْل مَفْهُوم المَوْت، يُنظَر: عصلة، د. أَحْمَد بَكْري، (٢٠٠٠م)، **الْمَوْتُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ (١٣٣٦ ــ ١٣٨٧هــ = ١٩١٧ ــ ١٩٦٧م)**، (ط١)، الكُويْت: مَنْشُورات مركز المَخْطُوطات وَالتُّرَاث وَالوَثَـائِق، ص١٥ ــ ٣٠، (تَمْهِيدٌ عَامٌّ).

[3]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٢٢٧.

الأشياء، وَالخُلوص إلى لُبِّ الحقائق، وَمن لُبِّهَا ما يصرع ذوي الألباب؛ لفرط ما أضاعوه من وقتٍ، أولئك الذين مرَّت عليهم أزمانٌ في بحثهم المقيت عن إجابةٍ، "**وَمَا السُّؤَالُ إلاّ جَوَابٌ لا سُؤَالَ لَهُ**"، وَهو ما ذهبنا إليه آنفًا.

ولَعلَّ السُّؤَال الذي ألمح الشَّاعِر إليه ولَم يُصرِّح به، كامنٌ في تضاعيف صورة الرَّحِيل عن العَوْدة؛ وَمقصدنا العَوْدة الحقيقيَّة، التي تحفظ للحُرِّيَّة شمسها الزَّاهِية، وَتنفي من اللَّيالي كُلَّ ظِلٍّ مُقيمٍ على صدور ساكنيه باليأس وَالحرمان، فهل للفلسطينيِّ حَقُّ عَوْدَةٍ ؟ وَإن كان هذا الحقُّ في سياق ما هو قابلٌ، فهل سيكون على شاكلة عودة السَّابِقين إلى مواطنهم ؟ وَهل عادت المُقَاوَمَة إلى غايتها بخلاص الرِّبَاط في الوطن ؟ كُلُّ هاتيك بدت أسئلةً مشروعةً، مُحلِّقةً في فضاء عودة المُثقَّف عن تسآله، إلى إقرار الإجابة في مُحتَضن الاستفهام.

وَيصطنع الشَّاعِر تاليًا ــ في مجال الرُّؤْية التَّصْويريَّة ــ صورةً حركيَّةً مُركَّبةً، في غير محورٍ؛ ليكون المُستهلُّ بِمحور التَّساؤُل المشروع بين الغَاصِب وَالمَغْصوب، وَحينها تكون بين (الرِّمَال / الفلسطينيِّين المنفيِّين) وَ(الرِّمَال / الصَّهاينة المُحتَلِّين)، الذين يتحرَّكون على أرضٍ رمليَّةٍ غير ثابتةٍ، وَهي مغرقتهم إن مهر المُقاوِمون حِرَاكَ النِّزَالِ، على ميدان رحيبٍ من الرِّمَالِ، وَقد تُقرأ الحركة وفق علاقة (الرِّمَال / الفلسطينيِّين) المرتحلين إلى سائر الأقطار، بـ(الرِّمَال / القضيَّة)، في مُحتَضن المَنَافِي؛ التي أصبحت غير ذات قرارٍ؛ لما لحقها من ضَيْمٍ وَحِصَارٍ.

ثُمَّ يُقدِّم الشَّاعِر "**أسئِلَة الرِّمَال للرِّمَال**"، على أنَّها رديفٌ موضوعيٌّ استقباليٌّ لِـ"النُّبُوءَة"؛ التي تُجسِّد الوظيفة الكاشفة للأخطاء؛ لغاية درء مفاسدها وَالسَّعْي لإصلاحها، وَهذا شأن كُلٍّ من اعتنق السُّمُوَّ نهجًا في سُلْطته، سياسيًّا كان أو ثقافيًّا أو دينيًّا، وَبالتَّناقُض يقضي دَرْويش على الفِكْرة في مهدها، قائلاً: "**جَهْلاً يَقُولُ نُبُوءَة**"، وَمن عساه يقول ما قِيلَ إلا شاعرٌ عاش النُّبُوءَة وَصدح بها قبل الفَوْتِ، الذي ضيَّعه السَّاسَة باستعجال تفويته.

وَمِمَّا يسترعي الانتباه هنا، إيراد "**الرِّمَال**" على أنَّهَا مُرادِفةٌ للنُّبُوءَة الكاشفة، وَوجه الشَّبَه بينهما كامنٌ في سرعة انكشاف ما تحت نطاقهما؛ بِفعل "**الرِّيح**" التي تُحَرِّكُ البَصيرة؛ وَهي في الرِّمَال حقيقةٌ؛ أمَّا في النُّبُوءَة فقُوَّةُ الثَّقافيِّ المُقَاوِم.

وَما دامت "**الرِّمال**" تُكاشِف بالحقِّ؛ فلِلصُّوفيِّ أيضًا أن يُكاشِف روحًا بلحيته، وَ"**الرُّوح**" هنا لامرأةٍ، على سبيل توظيف المُتصوِّفة الغَزَل الإلهيَّ، في المُكَاشَفة اليقينيَّة بِالْحُبِّ؛ أمَّا في مجاز الشِّعْر فهي امرأة الأساطير "عِشْتَار"، التي عُرفت عند الكنعانيِّين بغير مسمًّى؛ فهي "عِشْتَار"،

وَ"عثر عانة"، وَ"عناة"، وَ"عَشِيرة"، وَهي: "معبودةٌ كنعانيَّة يُقابلها في بَابِل وَآشُور الإلهة "عِشتَــر" وَ"عِشتَار"، وسُمِّيت في جنوب الجزيرة العربيَّة باسم "عِشتَر" إله مُذكَّر"(١).

وَخلبت المرأة الأسطوريَّة لُبَّ الصُّوفيِّ، الذي "**يَغْزِلُ صُوفَ عَتْمَتِهِ بِلِحْيَتِهِ، وَيَعْلُو جَسَدًا مِنَ الْبِلُّور**"، وَالشَّاعِر ــ حينئذٍ ــ يتنقَّل بالصُّورَة ما بين الحَقِيقة وَالمَجَاز، من خلال سؤاله المفتوح: "**هَلْ للرُّوح أرْدَافٌ وَخَاصِرَةٌ وَظِلٌّ ؟**"؛ وَليس ذلك من السُّؤَال في شيءٍ، وَقد منحنا دَرْوِيش فَــكَّ مغاليق بعض الغُمُوض؛ بتعبير السُّؤَال عن الإجابة؛ أمَّا إذا كانــت الــرُّوح هنــا رُوح الإلهــة الأمُوميَّة؛ فهي كذلك، إن أخذنا بعين الاعتبار رمزيَّة الكَاهِنة الأرضيَّة لها، وَهذا ملمحٌ أسطوريٌّ ثانٍ في اللَّوْحة الشِّعْريَّة برمَّتها.

وَيرتقي الشَّاعِر إلى شُمُوس الحَقِيقة؛ كيما يطاله التَّكْليف الإلهيُّ بالعِبَادة، وَسُؤَال الإجابة مُبتَناه في مضمون الخِطَاب، الذي يزداد قداسةً بِحُضُور ذِي الجَلالَة وَالمَلَكُوت، فيقول(٢):

في الأسر مُتَّسع لِشَمْسِ الشَّكِّ مُذْ صاروا سكارى الباب ــ
حُرِّيَّاتُهُمْ
هي ما تساقط من فضاء الْمُطْلَق المكسور حول خيامهم:
خُوذٌ, صَفِيحٌ, زُرْقَةٌ, إبْرِيقُ مَاءٍ, أسْلِحَةٌ
آثَارُ إنْسَانٍ, غُرَابٌ, سَاعَةٌ رَمْلِيَّةٌ, عشبٌ يُغطِّي مَذْبَحَةْ.
هل نستطيع بناء معبدنا على متر من الدُّنيا .. لِنَعْبُدْ
خَالِق الحَشَرَات وَالأسْمَاء وَالأعْدَاء وَالسِّرِّ الْمُخَبَّأ في ذُبَابَةْ ؟
هل نستطيع إعادة المَاضِي إلى أطراف حَاضِرِنا, لِنَسْجُدْ
فوق صخرتنا لمن كتب الزَّمان على الكِتَاب بلا كِتَابَةْ ؟
هل نستطيع غناء أغنية على حجر سماويٍّ لنصمدْ ؟
للأساطير التي لم نَسْتَطِعْ تغييرها إلاَّ بتأويل السَّحَابَةْ ؟
هل يستطيع بَرِيدُنَا الْمَائِيُّ أن يأتي على منقار هُدْهُدْ
وَيُعِيدَ من سَبَإٍ ؟ رِسَالَتَنَا، لنؤمن بِالْخُرَافَةِ وَالْغَرَابَةْ ؟
.. في التِّيه مُتَّسع لأحصنة تشبُّ من السُّقُوح إلى الأعالي
وَمن السُّقُوح تخرُّ صوب الْقَاع، مُتَّسَعٌ لفرسان يحثُّون اللَّيالي
إنَّ اللَّيالي كُلَّهَا لَيْلٌ. وَإنَّ الموت قَتْلٌ في اللَّيالي

---

1) يُنظَر: نعمة، **مِيثُولُوجيَا وَأسَاطِيرُ الشُّعُوبِ الْقَدِيمَةِ**، ص٢٤٥.
2) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٢٢٧، ٢٢٨.

وَأضحى "**الشَّكُّ**" مشروعًا في خِطَاب المُثقَّف، الذي قرنه بـ"**الشَّمْس**"، في سُطُوع دلالتها على المُرَاجَعة الذَّاتيَّة، وكان له أن يضحي نهجًا في مُتَّسع "**الأسْر**"، خارج الوطن وَداخله، يوم تحسب الثَّائِرين "**سُكَارَى**" وَما هُمْ بِسُكَارَى ولَكنَّ الكَرْب شديدٌ؛ لتصبح الحُرِّيَّة في إثر ذلك كلّه "**مُتَسَاقِطَةً مِنْ فَضَاءٍ مُتَكَسِّرٍ حَوْلَ الْخِيَام**"، على نحوٍ عبثيٍّ، تُكرِّسه فوضويَّة الاستلال الشِّعْريِّ، لِمُفرَداتٍ تنتمي إلى مُستَويات مُعجَميَّةٍ مُتعدِّدةٍ، هِيَ: "**خُوذٌ, صَفِيحٌ, زُرْقَةٌ, إبْرِيقُ مَاءٍ, أسْلِحَةٌ, آثارُ إنْسَانٍ, غُرَابٌ, سَاعَةٌ رَمْلِيَّةٌ, عشبٌ يُغطِّي مَذْبَحَةً**".

وَفي خضمِّ هذا الرُّكَام المُتساقِط، يسترسل الشَّاعِر في إطلاق التَّساؤُلات المُعبِّرة عن الإجابات، وَجميعها تعتلق بالآخر الدِّينيِّ بوجهٍ من الوُجُوه؛ وَكان الله ـ ﷻ ـ مُستهلَّ الحُضُور في قوله: "**هَلْ نَسْتَطِيعُ بِنَاءَ مَعْبَدِنَا عَلَى مِتْرٍ مِنَ الدُّنْيَا .. لِنَعْبُدَ، خَالِقَ الْحَشَرَاتِ وَالأسْمَاءِ وَالأعْدَاءِ وَالسِّرِّ الْمُخَبَّأ فِي ذُبَابَةٍ ؟**".

وَالذي يستحقُّ أن يكون مجال تسآلنا هنا، استفهام الشَّاعِر عن أحقِّية "**بِناء المَعْبد على بعد مترٍ من الدُّنْيا**"، إلا أن نُفْهَمَ الصُّورَة في ضوء المقاطع الأولى من اللَّوْحة، في إشارته إلى حِسَاب الآخرة، أم عساه أراد دُنْيَا المَنافي، المُقتربة من آخرة الحِسَاب، على أرض الوطن.

وَكُلُّ وُجُوه التَّأويل مشروعةٌ؛ ما شرَّع المُثقَّف لنفسه الغُمُوض الذي غلَّف اللَّوْحة بمجملها؛ وَقد تجلَّى في السُّؤَال السَّابق؛ طرفٌ من الملمح العقيديِّ الذَّاتيِّ، المُتَّصل بالإعجاز الْخَلْقِيِّ، المُشَار إليه على سبيل التَّناصِّ الإشاريِّ، من خلال مفردة "**الذُّبَابَةِ**"([1]).

وَينسجم السُّؤَال الثَّاني مع الأوَّل، في إبانة الجانب الإلهيِّ للتَّقْدير الشَّامِل كُلَّ المغيبات، وفيه جلال من "**كَتَبَ الزَّمَانَ عَلَى الْكِتَابِ بِلا كِتَابَةٍ**"؛ فهو "**اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ**"؛ وفق سُؤَال الشَّاعِر حول كون إعادة الماضي إلى أطراف الحاضر أمرًا داخلاً في دائرة الاستطاعة، بقدرةٍ ربانيَّةٍ، تستوجب من الثَّائِرين سُجُود الشَّاكِرين ربَّهم على نعمائه، فوق الصَّخْرة المُقدَّسة، على الأرض التي حفظت قداسة النُّبُوَّات في مهدها.

وَالإجابة التي يمكن استخلاصها من السُّؤَالَيْن السَّابقَيْن، كائنةٌ بالإيجاب، على نحو تحقُّق استدراك الواقع الثَّوْريِّ، المُنحدِر إلى الدُّون، بالإقبال على سلام الاستسلام، إلى استعادة ألق الصُّورَة النِّضَاليَّة، المُنطلِقة في رحاب الماضي، بعزيمة الرِّجَال الصَّادِقين الأوفياء.

أمَّا السُّؤَال الثَّالِث؛ فيتبدَّى فيه الحُضُور الأسطوريُّ للأمومة، في "**أغْنِيَةِ الْحَجَرِ السَّمَاوِيِّ**"؛ وَما الحجر إلا صورةٌ وثنيَّةٌ لحُضُورٍ إلهيٍّ، بدأ رمزًا للانتفاضة الفلسطينيَّة، ثُمَّ أضحى رمزًا

---

[1]) تُمثِّل "**الذُّبَابَةُ**" استدعاءً إشاريًّا لقوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ (٧٣)** ﴾، (**سُورَة الحَجّ**، الآيَة: ٧٣).

أدبيًّا مُحتشِدًا بِالأسْطَرَةِ([1])، ليكون "**الصُّمُودُ للأسَاطِير**"، على وجه الائتلاف بأثرهـا الإيجـابيِّ، وَالصُّمُود في وجه شُرُورها المحدقة بِكُلِّ نطاقات الآثمين على وجه البَسِيطة، وَهي التي كانـت في مُكْنَةِ التَّغْيير بِــ"**تَأويلِ السَّحَابَةِ**"، هذه التي كانت في لُبِّ الأساطير نفسها، يدًا رحيمةً تُغـدِق على البشر الأوفياء مزيد النِّعَم وَالآلاء، وَالإجابة الكائنة في مضمون السُّؤَال لا بُـدَّ وَأن تُقْـرَأَ بالإيجاب؛ إذ إنَّ إمطار السَّحَابة مقرونٌ بتقدمات الثَّائِرين للأرض / الأُمُومة.

وَيدخل السُّؤَال الرَّابع إطار الغرائبيَّة، من جهة التَّناصِّ الدِّينيِّ التَّاريخيِّ، مع قصَّة هُدْهُـدِ سُلَيْمَان عليه السلام، وَحينها يكون "**الْبَرِيدُ الْمَائِيُّ**" ــ الذي كان رسول مُعَانَاة الفلسطينيِّين المُنتقِلين من منفًى إلى آخر عبر البِحَار ــ مَكْمَنَ سُؤَال الشَّاعِر، حول قدرته على الإتيان بالعَرْش السُّلْطانيِّ؛ المُشِير إلى جانب الظُّهُور السِّياسيِّ على الأرض الفلسطينيَّة، على منقار الْهُدْهُدِ الذي كان رسول سُلَيْمَان ــ عليه السلام ــ إلى بَلْقِيس([2]).

وَمَرَّةً أخرى نجد أنفسنا أمام التَّناصِّ الدِّينيِّ التَّاريخيِّ، المُتمثِّل في "**التِّيه**" اليَهُـوديِّ، علـى نحو معكوسٍ، عاني فيه الفلسطينيُّون من آثاره في الأرضين، وَاستلاله مقصودٌ للدَّلالـة علـى "**الْمُتَّسَع**"؛ وَما هو إلا خيارات القِيَادة الثَّوْريَّة في أحصنتها، التي قد "**تشبُّ مِـنَ الـسُّفُوح إلَـى الأعَالِي**"، وَقد تأتي حركتها على النَّقِيض، "**مِنَ السُّفُوح تَخِرُّ صَوْبَ الْقَاع**"؛ أي أنَّ أمامها أحـد سبيلَيْن؛ إمَّا الارتقاء بالغَايَة وَالنَّهْج؛ وَإمَّا الانحدار إلى الدُّون.

وَنرى في "**التِّيهِ**" "**مُتَّسَعًا**" آخر، ماثلاً في الفُرْسان الذي "**يَحثُّونَ اللَّيَالِي**"، وَأن تكون "**اللَّيَالِي كُلُّهَا لَيْلاً**"؛ فهو الذي يمكن فهمه في الجملة التَّالِية، من أنَّ "**الْمَوْتَ قَتْلٌ فِي اللَّيَالِي**"، وَما دامـت الإيجابيَّة مُعتلِقةً بالنِّطَاقَيْن الاسميِّ وَالفِعْليِّ "**مُتَّسَع**" وَ"**يَحثُّون**"؛ فإنَّ لليالي أن تكـون مُحتَـضن التَّخلُّق الثَّوْريِّ لبُذُور المُقَاوَمة القادمة؛ فمكمن السِّرِّ في حَيَوَاتِ الأشياء نزَّاع إلـى البـدء مـن الظُّلمات، وَ"**الْمَوْتُ**" وَ"**الْقَتْلُ**" المعتلقان بسِرِّ ظلمة اللَّيْل، سبيلا نماء الثَّوْرة القَابلة.

إنَّ لهذه اللَّوْحة أن تُعَدَّ من أهم اللَّوْحات الدِّينيَّة، التي تُقْرَأُ في دواخلها صورة الآخر الدِّينيَّة: "**المُؤذِّن**"، وَ"**العَرَّاف**"، وَ"**آدم**" عليه السلام، وَ"**الأنبياء**"، وَ"**الصُّوفِيّ**"، وَ"**الله**" جل جلاله، وَ"**الأُمُومـة الكونيَّـة**"،

---

[1]) يُنظَر: المناصرة، حُسيْن، (يُونيُو ٢٠٠٤م)، الْحَجَرُ بَيْنَ التَّرْمِيزِ وَالأسْطَرَةِ، **عَلامَـات فِـي النَّقْـد**، ١٣(٥٢)، ص٥٠٠.

[2]) قال تعالى: ﴿ **وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ (٢٠) لأعَذِّبَنَّهُ عَـذَابًا شَـدِيدًا أَوْ لأذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ (٢١) فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِـينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ (٢٣) وَجَـدْتُهَا وَقَوْمَهَـا يَـسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لا يَهْتَـدُونَ (٢٤) أَلاَّ يَـسْجُدُوا للهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) اللهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُـوَ رَبُّ الْعَـرْشِ الْعَظِيمِ (٢٦) قَالَ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٧) اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَـانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ (٢٨) ...** ﴾، (**سُورَة النَّمل**، الآيات: ٢٠ ــ ٢٨).

وَ"**سُلَيْمَان**" عليه السلام، مع تضمُّنها عقدًا متَّصلاً من صورة الأنا الدِّينيَّة، في ظلال هذه المضامين العريضة.

وَيسعنا أن نتوقَّف أخيرًا مع الأسطورة؛ لِبيان صورة الآخر الدِّينيَّة، التي تتمثَّل في الأُمُومة الكونيَّة، على نحو ما نلمح في الأساطير القديمة، التي أفردت للإلهة "عناة" الشِّعْر وَالحِكَاية وَالطَّقس، وَفي ذلك يقول الشَّاعِر في "**جِدَاريَّتِهِ**"([1]):

كُلَّما يَمَّمْتُ وجهي شَطْرَ آلهتي،

هنالك، في بلاد الأرجوان أضاءني

قمَرٌ تُطَوِّقُهُ عناةُ، عناةُ سَيِّدَةُ

الْكِنَايَةِ فِي الْحِكَايَةِ. لم تكن تبكي على

أحَدِ، وَلَكِنْ مِنْ مَفَاتِنِهَا بَكَتْ:

هَلْ كُلُّ هذا السِّحْرِ لِي وَحْدِي

أمَا مِنْ شَاعِرٍ عِنْدِي

يُقَاسِمُنِي فَرَاغَ التَّخْتِ فِي مَجْدِي ؟

وَيَقْطِفُ مِنْ سياج أُنُوثَتِي

ما فَاضَ من وَرْدي ؟

أمَا مِنْ شَاعِرٍ يُغْوِي

حَلِيبَ اللَّيل في نَهْدِي؟

أنَا الأُولَى

أنَا الأُخرَى

وَحَدِّي زاد عن حَدِّي

وَبعدي تَرْكُضُ الْغِزْلانُ في الكلمات

لا قبلي ... ولا بعدي/

وَلَيس من سبيلٍ إلا التقاط الأفكار الرَّئيسيَّة في النَّصِّ على عجالةٍ، وَفيه التَّناصُّ الدِّينيُّ الأسلوبيُّ مع القرآن الكريم، في شأن أمر الله نبيِّه مُحمَّدًا ــ ﷺ ــ أن يولِّي وجهه شطر المسجد

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٥٠٤، ٥٠٥.

الحرام(١)؛ فالشَّاعِر يمَّم وجهه نحو آلهته في "**بلاد الأرجوان**"؛ حيث أقام الفينيقيُّون في "عكَّا، صُور (الصَّخْرة)، صَيْدا، بَيْرُوت، بيبلوس (جبيل)، سميرا، أرواد، أوجاريت (رأس شمرا الحاليَّة بالقرب من لاوديسيا؛ أي اللاذقيَّة)"(٢).

وَالفينيقيُّون على ذلك يرتدُّون إلى الأصل الكنعانيِّ، خلا أنَّهم سكنوا هاتيك المواقع، وَمن ثمَّ اكتسبوا الاسم من اللَّوْن الأحْمَر؛ حيث "يرتبط أصل الكلمة (Phenike') = فينيقيَّة، بكلمة (Phoinix) = أحمر؛ فالكلمة ترتبط بما اشتهرت به مدن السَّاحِل القَدِيم، وَبخاصَّة صَيْدا وَصُور من صناعة القماش الأرجوانيِّ الأحْمَر وَالتِّجارَة به، وَترد كلمة (Ponikija) (بونيقية) في كنوسوس (كريت) للدَّلالة على اللَّوْن الأحْمَر"(٣).

وَيُمثِّل هذا سعي دَرْوِيش إلى ترسيخ أسبقيَّة الحُضُور التَّارِيخيِّ، على الأرض العربيَّة، من خلال الأساطير، كما أنَّه في خفاء المضمون الأسطوريِّ، يلمح إلى العِتَاب الثَّقافيِّ للسِّياسيِّ العربيِّ، الذي اهتدم أحلام الثَّوْرة في "حِصَار بَيْرُوت"، مع ارتداد الفريقَيْن إلى أصل سَامِيٍّ واحدٍ.

وَقد أطَّر الشَّاعِر الفضاء المكانيَّ بـ"**هُنَالِكَ**"؛ آكد أسماء الإشارة دلالةً على البُعْد الجغرافيِّ بين الأرض / الأمِّ وَالمَنْفِيِّ وراء البحَار، وَهو الذي رسم في "**جِدَارِيَّتِهِ**" صورةً جمعت الأقانيم الزَّمنيَّة الثَّلاثة: المَاضِي وَالحَاضِر وَالمُستَقبل، وَللمكان الذي عايش جنباته أن يُطوَّق بالتَّبدِّي الكوكبيِّ للإلهة "**عناة**"، على سبيل الإشارة المستخلبة فضاء الرُّوح وَالوجدان.

وَكيف لا تكون على هذا النَّحْو وَهي "**عناة**"؛ "**سَيِّدَةُ الْكِنَايَةِ فِي الْحِكَايَةِ**"؛ وَلعلَّ هذه العبارة من أكثر العبارات تركيزًا، في صورة الآخر الدِّينيَّة؛ لكونها تختزل منظومة الميثولوجيا، التي قام عليها النِّتَاج الأدبيُّ لِدَرْوِيش، من مبتدئه إلى منتهاه؛ فَالأمُّ الكُبْرى سيِّدة الكِنَاية عن الأرض، في حكاية المُقَاوَمَة وَالأسْر وَالحِصَار وَالمَنَافِي وَالسَّلام الخَانِع وَسجن الدَّاخِل.

---

(1) ورد لك في: قوله ﷻ: ﴿ **قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٤٤)** ﴾، (سُورَة البَقَرَة، الآية: ١٤٤)؛ وَقوله ﷻ: ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (١٤٩)** ﴾، (سُورَة البَقَرَة، الآية: ١٤٩)؛ وَقوله ﷻ: ﴿ **وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥٠)** ﴾، (سُورَة البَقَرَة، الآية: ١٥٠).

(2) لانجر، وليم، (د. ت)، **مَوْسُوعَةُ تَارِيخ الْعَالَم**، تَرْجَمة: د. مُحمَّد مُصْطَفى زِيَادَة، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبَة النَّهْضَة المِصْرِيَّة، ١: ٧٢.

(3) فزارات، د. مُحمَّد حَرْب، (١٩٨٨م)، السَّاحِلُ السُّورِيُّ بَيْنَ البَرِّ وَالبَحْر أوْ مِنَ الأسْطُورَةِ إِلى التَّارِيخ، **مجلَّة التُّرَاث العَرَبيّ**، اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، دِمَشق، (٣٣)، ص٧١.

وَقد عمد الشَّاعِر إلى أسلوب الحِكَاية على لسانها، في ضربٍ من التَّناصِّ الأسلوبيِّ الإشاريِّ، مع ما جاء في ديوان الأساطير القَدِيمة؛ حيث الأنُوثة الطَّاغِية، التَّوَّاقة للاتَّحاد بالآخر الذَّكريِّ؛ لغاية إحداث الخِصْب الكونيِّ، وَفي الخِطَاب ما يسعف على استدارك هذه المعاني جميعًا، مع ضرورة استذكار دور الشَّاعِر / الكَاهِن، في أداء هذا الطَّقْس العباديِّ، المُتمثِّل في الزَّواج الإلهيِّ المُقدَّس.

وَنشير إلى ما تضمَّنه آخر النَّصِّ من الرَّمْزيَّة الحيوانيَّة، للأُمُومة الكونيَّة، ممثَّلة في "**الغـزلان**"، التي لا يخفى على المُتفحِّص في التَّاريخ الدِّينيِّ القَدِيم قداستها؛ لما حوته معابد الرَّبَّة الكونيَّة، من نقوشها التَّصْويريَّة، وَتماثيلها المَعْبديَّة([1]).

وَالذي يمكن أن نلمح إليه في هذا المقام، إيجازنا الإشاريُّ إلى احتفاء مَحْمُود دَرْوِيش بالتُّرَاث الأسطوريِّ الخاصِّ بالأُمُومة الكونيَّة، في سياق عرضنا لـ"صورة الأنا الدِّينيَّة"، وَفيها احتفاؤُه بها على سبيل المُنَاجَاة التي تتَّصل بألوهيَّتها، ثُمَّ بعقد المُشَاكَلة الرَّمْزيَّة بينها وَبين الأرض، مع إيراد رُمُوزها، من عالم الإنْسَان وَالنَّبَات وَالحَيَوان وَالطَّيْر، وَإفراد مساحةٍ حسنةٍ لِلَّوْحات الخاصَّة بالطُّقُوس المَعْبديَّة الجنسيَّة، التي عبَّرت عن الزَّوَاج المُقَدَّس؛ بوصفه وسيلة استرضاء الآلهة، من خلال مُحَاكَاة تخلُّقها الأوَّل، باتِّحاد الأرض مع السَّمَاء.

كما أنَّ لطقوس الاستسقاء نسيجًا مُحكَمًا داخل الخَلْق الفَنِّيِّ للصُّوَر الشِّعْريَّة، في وجهتي الإمطار الجنسيِّ المُخصِب أو الإمطار السَّماويِّ على القَفْر المُجْدِب، مع الإشارت المختلفة لمُكوِّنات التَّخلُّق الأوَّليِّ من المَاء الأجَاج وَالبَحْر، وَالمُكوِّنات المَعْبديَّة من تماثيل وَدُمًى([2]) وَجرارٍ مُقدَّسةٍ([3])، كما كان للقصص الأسطوريَّة المُتعلِّقة بالأُمِّ الكونيَّة وجودٌ ظاهرٌ في شعر دَرْوِيش، من قبيل "**نُزُول عِشْتَار إِلَى الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ**".

---

[1]) تمتَّعت الغَزَالَة بِقداسةٍ، في الفِكْر الدِّينيِّ المِصْريِّ؛ بوصفها رمزًا للخُصُوبة وَالحَيَاة، وَكانت طُقُوس صيدها تتمُّ لغاياتٍ دينيَّةٍ، يُنظَر: العَابِد، مَحْمُود سَلِيم، (١٩٣٤م)، **مَبَادِئُ التَّارِيخ الْقَدِيم**، (د. ط)، عَكَّا: المَطْبَعة الوطنيَّة، ص٢٥؛ كما صوَّر الفَنَّان المِصْريُّ القَدِيم ذبح المَلِك لها؛ إرضاءً للأُمِّ الكَوْنيَّة، وَهي تجلس على عرشها الملكيِّ، يُنظَر: الشَّايب، زُهَيْر، (١٩٨٨م)، **وَصْفُ مِصْرَ**، (ط١)، القَاهِرة: مَكْتَبَة مَدْبُولِي، ١: ١٠١؛ وَحَوْل قَدَاسَة الغَزَالَة في الفِكْر الدِّينيِّ الجَاهِليِّ، يُنظَر: الجَاحِظ، أَبُو عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **كِتَابُ الْحَيَوَانِ**، ط٣، (تَحْقِيق وَشَرْح: عبد السَّلام هَارُون)، دَار الكِتَاب العربيّ، بَيْرُوت، ١٩٦٩م، ١: ١٨؛ ٣: ١٩٢؛ وَيُنظَر: شكَر، شَاكِر هَادِي، (١٩٨٥م)، **الْحَيَوَانُ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَكْتَبَة النَّهْضة العَرَبيَّة وَعَالَم الكُتُب، ٢: ٢٨٠؛ وَيُنظَر: عَجِينَة، د. مُحمَّد، (١٩٩٤م)، **مَوْسُوعَةُ أَسَاطِيرِ الْعَرَبِ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَدَلالاتِهَا**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفَارَابِي، ١: ١٩٥؛ ١: ٣٠٩.

[2]) حَوْل طَرِيقَة تشكيل تَمَاثِيل عِشْتَار، يُنظَر: السَّوَّاح، **لُغْزُ عِشْتَار ــ الأُلُوهَةُ الْمُؤَنَّثَةُ وَأُصُولُ الدِّينِ وَالأُسْطُورَةِ** ، ص٥٠، ٥١.

[3]) في قَدَاسَة الجِرَار المَعْبديَّة، بوصفها تمثيلاً فخاريًّا لجسد عِشْتَار المُخْصِب، يُنظَر: **نفسه**، ص٤٩؛ وَبشأن ارتباطها بِالطُّقُوس الرَّمْزيَّة للمَوْت، يُنظَر: **نفسه**، ص٤٩.

إنَّ "المُعالَجة الإحصائيَّة لأعمال دَرْويش أو بعض دواوينه؛ تُقرِّبنا إلى معرفة مُـؤثِّرات حقيقة وجود الظَّاهِرة الأسطوريَّة في الشِّعْر الفلسطينيِّ بعامَّة، ولَيس في شعره فحسب"([1])؛ تلـك التي تتمثَّل في: التَّعْبير عن جوهر القضايا الإنسانيَّة كـالمَوْت وَالانبعـاث، وَمأسـاة الإنـسان المُعاصِر في صراعه مع الظُّلْم، وَالقلق الرُّوحيِّ([2]).

وَيمكن التماس الحُضُور التَّصْويريِّ المُعبِّر عن الآخر الدِّينيِّ، في نتاج مَحْمُـود دَرْويـش الأدبيِّ، وَمن ذلك ما جاء في قصيدة "**الْهُدْهُدِ**"؛ التي تُمثِّل لوحةً رحيبةً للاستقطاب التَّـصْويريِّ الدِّينيِّ([3])، فضلاً عن تقنيع الآخر الصُّهيونيِّ المُحتلِّ قناع "**الشَّيْطان**"، مِمَّا يتَّصل بالوجه الـدِّينيِّ في ظهوره المنماز بِالشَّرِّ([4]).

هكذا تبدَّت الصُّورَة السُّلْطويَّة للآخر الدِّينيِّ، على سبيل اقترانها بالقراءة الثَّقافيَّة، للإطلالـة السِّياسيَّة، على واقع الثَّوْرة، وَرُسُلها الثُّوَّار، السَّائِحين في مَنَافِي الأرض؛ بحثًا عن مُتَّكَأٍ جديـدٍ لمسيرة المُقَاوَمَة، بِخِطابٍ لايخلو في كثيرٍ من الأحيان، من الظُّهُور الجَمْعيِّ لضمير التَّكلُّم، وَمن هنا اقترنت صورة الآخر الدِّينيَّة، بالسُّلْطة السِّياسيَّة، في قرنٍ واحدٍ، عبَّر عن عدائه المـستحكم للثَّوْرة، بحكم المَوْت المُعمَّم على سبيل الكثرة.

وَظهر النَّمط التَّصْويريُّ للآخر الدِّينيِّ، بنهج انفتاح اللَّوْحة على أقطابهـا المختلفـة، فـي عصرنة القديم؛ لغاية إسقاط خلاصة التَّاريخ الدِّينيِّ، على الواقع السِّياسيِّ المُعاصِر للفلسطينيِّين، مع احتفاء دَرْويش بِرُمُوزٍ دينيَّةٍ كرَّست حُضُور الآخر ضمنيًّا، من مثل الْهُدْهُدِ، المترابط بِسُلْطة النَّبيِّ سُلَيْمَان عليه السلام.

كما كان القِنَاع باديًا، في سياق استجلاب أظهر صور الشَّرِّ، في النِّطَاق الدِّينيِّ؛ للدَّلالة على الاحتلال الصُّهيونيِّ؛ لتتجلَّى صُورَة "**الشَّيْطان**".

وَكان للأُمُومة الكونيَّة حُضُورٌ عظيمٌ في هذا المُستَوى([5])، من خلال قـصص أسـاطيرها وَرُمُوزها وَطُقُوسها وَمُكوِّناتها التَّخلُّقيَّة وَآثارها المَعْبديَّة، فضلاً عن مـسمَّياتها المختلفـة، فـي الحَضَارَات السَّامِيَّة القَدِيمة.

---

[1]) شعث، **الأسْطورَةُ فِي الشِّعْرِ الْفِلِسْطِينِيِّ المُعَاصِر**، ص٥٠.

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ص٣٩٤، ٣٩٥، (الخَاتِمَة)؛ وَيمكن الاطِّلاع على القِرَاءَات النَّقْديَّة المُتَنَاثِرة حَوْل الأسْـطُورة، في بعض قَصَائِد مَحْمُود دَرْويش، في الدِّرَاسَة نفسها.

[3]) يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولى**، ٣: ٢٤٧ ــ ٢٦٥، (قَصِيدَة "الْهُدْهُدِ"، من مَجْمُوعَة "أرَى مَا أُريدُ").

[4]) يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦١٣، ٦١٤، (قَصِيدَة "رُوتِين"، من مَجْمُوعَة "أثَر الفَرَاشَة").

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٨٣، ٦٨٤، ("قلْبي كَوْكَبًا"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، صُورَة الأُمُومة الكَوْنيَّة، برمزهـا الكَوْكبيِّ، وَتجسيدها الحَجَرِيِّ، وَرحماتها المَائِيَّة).

ـ صُورَةُ الآخَرِ الاجْتِمَاعِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

لقد عبَّر شَاعِر التَّغْريبة الفلسطينيَّة، عن السِّيَاق الاجتماعيِّ أصدق تعبيرٍ، مُجمِلاً إيَّاه في الإطار الْكُلِّيِّ، بصورة السُّلْطة المؤسَّسة في ظِلِّ الثَّبَات، صمُودًا مُبَدِّدًا لِظلامات المُحتَلِّ، كما أبان عن الضدِّ، في صورة الحُلُم الصُّهيونيِّ، الذي أباح لمطامح الغُرَباء، أن تستحيل واقعًا بهجْرة أصحاب الأرض الأصَلاء.

ونَلتمس في قَصِيدَة "**الْجِسْر**"، من مَجْمُوعَة "**حَبِيبَتِي تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَا**"، الصَّادِرة سنة (١٩٧٠)م، ظهورًا جليًّا للآخر الاجتماعيِّ المَثِيل، الذي تجلَّى في صورة العَائِدين، بعد غياب النَّكْبة، ورَحِيل النَّكْسة.

ولَلقصيدة دلالتها في بَوْح المَجْمُوعَة؛ بنُهُوض الحَبِيبة / الأمِّ / الأرْض بعد سُبَاتِ النَّكْسة، وبِخِطَابٍ مُستَهلٍّ باجتماع الرُّؤَى، يقول الشَّاعِر[1]:

مشيًا على الأقدام,
أو زحفًا على الأيدي نعودُ
قالوا ..
وكان الصَّخْر يضمر

والسَّمَاءُ يَدًا تَقُودُ ..

لم يعرفوا أنَّ الطَّريق إلى الطَّريق
دَمٌ, ومَصيدة, وبيدُ
كُلُّ القوافل قبلهم غاصت,
وكان النَّهر يبصق ضفَّتَيْه
قطعًا من اللَّحم المُفتَّت,
في وُجُوه العَائِدين

ويَبتدئ دَرْوِيش قصيدته بذكر آلة المَسِير، ولا آلة إلا "**الأقْدَامُ**" أو "**زَحْفًا عَلَى الأيْدِي**"؛ والْبُغْيَةُ ملتئمةٌ في قلوب جمعٍ هتفت هواجسهم سَـ"**نَعُودُ**"، وكيما يكتمل نهج الحِكَاية على

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٣٦٦.

ألسنتهم، روى الشَّاعِر قولهم مشتملاً بالمَجَاز: "**وَكَانَ الصَّخْرُ يضمر، وَالسَّمَاءُ يَدًا تَقُودُ**"، مع تدخُّله في التَّوْصيف السَّرْديِّ، لمعرفتهم الظَّنِّيَّة حول الطَّريق؛ فمعرفتهم بـ"**الطَّرِيقِ إِلَى الطَّرِيقِ**" منتفيةٌ؛ من جهة أنَّها محفوفةٌ بالمهالك؛ وفيها "**دَمٌ، وَمَصيدة، وَبيد**".

أمَّا القوافل السَّابِقة؛ فقد "**غَاصَتْ**" في النَّهْر، الذي كان "**يَبْصقُ ضِفَّتَيْه، قِطَعًا مِنَ اللَّحْمِ الْمُفَتَّت، فِي وُجُوهِ الْعَائِدِين**"؛ مِمَّا يدلُّ على أنَّ العَوْدة كانت في نطاق المُستحِيل؛ بفعل ما أُحِيطت به حُدُود الوطن من المهالك الأمنيَّة المختلفة.

لقد أشاعت القصيدة أجواء المَوْت الْمَجَّانيِّ عند "**الْجِسْر**"، لكنَّ الشَّاعِر "لا ينوح وَلا يبكي وَلا يستسلم وَلا ييأس؛ فالمُستَقبل الأخضر يبدو واضحًا في شعره، اتَّخذ الحَاضِر جسرًا؛ ليعبر به نحو الغد، لقد انتهت مرحلة اليأس في شعره، وَتعالى على الجِرَاح، وكان ذلك من آثار حرب حُزَيْران؛ إذ إنَّ الشِّعْر انطلق نحو الأمل ناسيًا الحَاضِر وَآلامه"([1]).

وَيمضي دَرْوِيش بعد التَّمْهيد السَّابق إلى نطاق الحِكَاية، المُستهلِّ بالسَّرْد، ثُمَّ الوَصْف المُتداخِل مع الحِوَار، فيقول([2]):

كانوا ثلاثة عَائِدين:

شيخ, وَابنته، وَجنديٌّ قديم

يقفون عند الجِسْر ..

(كان الجِسْر نَعْسَانًا, وكان اللَّيل قُبَّعَةً.

وَبعد دقائق يَصِلون, هل في البيت ماء ؟

وَتحسَّس المفتاح ثُمَّ تلا من القرآن آية ...)

قال الشَّيخ مُنْتَعِشًا: وكم من منزلٍ في الأرض

يألفه الفتَى

قالت: وَلكنَّ المنازل يا أبي أطْلالُ !

فأجاب: تبنيها يَدَانِ ...

وَلم يتمَّ حديثه, إذ صاح صوتٌ في الطَّريق: تعالوا !

وَتلته طقطقة البنادق ..

لَنْ يَمُرَّ العَائِدون

حرس الحُدُود مُرَابِطٌ

---

[1]) البلاصي، د. أَحْمَد يُوسُف، (٢٠٠٩م)، **الْحَنِينُ وَالْغُرْبَةُ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار كُنُوز المَعْرِفة العِلْميَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣٧.

[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٣٦٧، ٣٦٨.

يحمي الحُدُود من الحَنين

(أمرٌ بإطلاق الرَّصاص على الذي يجتاز
هذا الجِسْر. هذا الْجِسْرُ مقصلةُ الذي رفض
التَّسوُّل تحت ظِلِّ وكالة الغَوْث الْجَدِيدَهْ.
وَالموت بالمجَّان تحت الذُّلِّ وَالأمطار, من
يَرْفُضْهُ يُقْتَلْ عند هذا الجِسْر، هذا الْجِسْرُ
مقصلة الذي مازال يحلم بالوطن)

وَقد اختار الشَّاعِر شُخُوص حكايته على نحوٍ مُعبِّرٍ؛ فَــ"**كَانُوا ثَلاثَةَ عَائِدِينَ: شَيْخ، وَابْنَته، وَجُنْديٌّ قدِيم**"، في توليفةٍ مُنتَخبةٍ من طبقات الشَّعْب الفلسطينيِّ؛ فَــ"**الشَّيْخُ**" يُمثِّل حِكْمة الــسِّنين، وَ"**ابْنَتُهُ**" تُجسِّد حماسة الشَّبَاب في جِنْس الأنُوثة، وَ"**الْجُنْدِيُّ الْقدِيمُ**" يُكرِّس حُــضُور المُقــاوِمين، على سبيلٍ لا يَشِي بِالثَّبَات، بالفرار من إيقاع الضَّرَبات الموجعة لِعَسْكر العدوِّ، وكلُّهم وقفوا قبالة "**الْجِسْر**" يرقبون الوطن الكائن في نطاق المُعايَن.

ثُمَّ يلج الشَّاعِر باب التَّوْصيف المُعضَّد بالحِوَار؛ أمَّا التَّوْصيف ففي شأن "**الْجِسْر**" وَ"**اللَّيْــل**" وَ"**الْعَائِدِينَ**"؛ إذ "**كَانَ الْجِسْرُ نَعْسَانًا، وكَانَ اللَّيْلُ قُبَّعَةً. وبَعْدَ دَقائِقَ يَصِلُون ...**"، وَيلجأ التَّوْصيف إلى اقتحام الحِوَار، حين ينطلق من الشَّيْخ سُؤَال الماء: "**هَلْ فِي الْبَيْتِ مَاء ؟**"؛ دلالةً على مــشقَّة الرَّحِيل من جهةٍ، وَاستلاب العدوِّ مُقوِّمات الحَيَاة من جهةٍ أخرى([1])؛ ليتحسَّس تاليًا "**المِفْتَاح ثُــمَّ تَلا مِنَ القُرْآن آيَة ...**".

وَيصدح الخِطَاب بِحِكْمة التَّناصِّ، على لسان الشَّيْخ، في عــشق المنــزل الأوَّل، وَمَــصدر الاستلال أبُو تمَّامٍ، حين قال([2]):

كَمْ مَنْزِلٍ فِي الأَرْضِ يَعْشَقُهُ الْفَتَى   وَحَنِينُــهُ أَبَــــدًا لأَوَّلِ مَنْــزِلِ

وَما مُقاطَعة "**ابْنَتِهِ**" إلا إضاءةٌ كاشفةٌ واقع الدِّيَار، بقولها: "**وَلَكِنَّ الْمَنَازِل يَا أبِي أطْلال !**"، ثُمَّ تكون الإضاءة الأدبيَّة، لما كمن في نفوس الفلسطينيِّين جميعًا: "**تَبْنِيهَا يَدَان ...**"، وَهو لم يــزل

---

[1]) أضحت الأطماع الصُّهيونيَّة جليةً في حَرَب المِيَاه؛ إذ استلبت مياه نهرَي الأرْدن وَاليَرْمُوك، وَاعتــدت علــى المِيَاة اللُّبنانيَّة، وَسرقت مِيَاه الضَّفَّة الغربيَّة وَقِطَاع غزَّة، وَما زالت تطمع في مياه النِّيــل، يُنظَــر: البيــاتي، د. عَدْنَان هَزَّاع، (خَرِيف/ شِتَاء٢٠٠٢م)، أطْمَاعُ إِسْرَائيلَ فِي الْمِيَاهِ الْعَرَبِيَّةِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العرَب بِدِمَشق، (١٧)، ص١٧٦ ــ ١٨٥.

[2]) أبُو تمَّام، حَبِيب بن أوْس بن الحَارِث الطَّائِيّ، (ت٢٣١هــ/٨٤٥م)، **دِيــوَانُ أبِــي تَمَّــامٍ بِــشَرْحِ الْخَطِيــبِ التَّبْرِيزِيِّ**، (ط٣)، ٤م، (تَحْقِيق: مُحمَّد عبده عَزَّام)، دَار المَعَارِف، القَاهِرة، ١٩٨٣م، ٤: ٢٥٣.

يتحسَّس"**الْمِفْتَاحَ**"، على أثرِ من قراءة الآية الكريمة، لتشتمل الصُّورَة الشِّعْريَّة بالفِعْـل الطَّلبـيِّ الآمِرِ "**تَعَالَوْا**"، متلوًا بـ"**طَقْطَقَة البَنَادِق**"، وَهنا يحضر العَسْكر بكامل سطوتهم؛ فَـ"**لَـنْ يَمُـرَّ العَائِدُون**"، وَليت هذا الشِّعَار الصُّهيونيَّ توقَّف عند هاتيك المرحلة، وَإنَّما ألفيناه في كُلِّ مُنَاسَبات السَّلام، مع خجل السَّاسَة المُنافِحين عن المشروع الوطنيِّ، في الدِّفَاع عن "حَـقِّ العَـوْدة" بِكُـلِّ ثمينِ، حتَّى حاضرنا هذا([1]).

وَينقلنا الشَّاعِر إلى أكثر اللَّحظات كشفًا، عن واقع التَّحدِّي مع العَوْدة، فَـ"**حَـرَسُ الْحُـدُودِ مُرَابِطٌ، يَحْمِي الْحُدُودَ مِنَ الْحَنِينِ**"، وَللمُفَارَقة أن تتجلَّى في واقع هذه القُوَّة العسكريَّة المُهمَّة في الجيش الصُّهيونيِّ؛ إذ إنَّ جُلَّ قُوَّتها مبنيةٌ على الجُنُود العَرَب، مـن ذوي الانتمـاء الـدُّرْزيِّ، وَتاريخها مشهودٌ في شدَّة القمع للانتفاضات الشَّعْبيَّة، في سنيِّ ما قبل السَّلام المزعوم وَما بعده.

وَحين تتجلَّى القسوة، يُمثِّل "القَتْلُ" لغة القَمْع، لِكُلِّ الذين اجتاحهم الحَنِين، وَحَرَس الحُدُود قد أمر "**بإطْلاق الرَّصَاص عَلَى الذِي يَجْتَاز هَذَا الجِسْر**"؛ ليخلص الخِطَاب إلى النَّتِيجـة الحُكْميَّـة: "**هَذَا الْجِسْرُ مقصلةُ الذِي رفض التَّسوُّل تَحْتَ ظِلِّ وكَالَة الغَوْث الجَدِيدَة**"؛ في إيقاظٍ نقديٍّ مُهِـمٍّ لوظيفة "وكالة الغَوْث الدَّوْليَّة"؛ التي سعت القوى العالميَّة من ورائها، لِتحويل الشَّعْب الفلسطينيِّ، إلى التَّسوُّل على أعتاب الحُقُوق المشروعة، وَهي التي دارت حولها تساؤُلات التَّـشْكيك، فـي وظيفتها التَّخْديريَّة، في ظِلِّ إطباق القُطْب الأوحد المُتحالِف مع الصُّهيونيَّة، على أنفاس المُنَظَّمة الأمميَّة.

وَتأكيدًا على الدَّوْر التَّنْويريِّ الكاشف "**لِلْجِسْر**"، نرى الشَّاعِر يحفل بالإضاءَة الكُلِّيَّة للمَوْت، فَـ"**المَوْت بِالمَجَّان تحت الذُّلِّ وَالأَمْطَار، مَنْ يَرْفُضْهُ يُقْتَلْ عِنْدَ هَذَا الجِسْر، هَذَا الجِسْرُ مِقْـصَلَة الذِي مَا زَالَ يَحلُم بالوطَن**"، في بيانٍ واضحٍ، لا يلزم معه إلا تأمُّل إيقاع الشِّعْر؛ فـي تكـريس نُكُوص السَّاسَة؛ بانتفاء "حَقِّ العَوْدة"([2]).

---

[1]) يُنظَر في ضعف دور المُفَاوِض العَرَبيِّ، في تدعيم الحُضُور الدَّوْليِّ لِقضيَّة اللاجئين: المَشَايِخ، مُحمَّد، (رَبيع/ صَيْف٢٠٠١م)، اللاجِئُونَ وَالنَّازِحُونَ الْفِلَسْطِينِيُّونَ .. وَالْمَسِيرَةُ السِّلْمِيَّةُ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَـاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١٤/١٣)، ص٢١٥ ــ ٢٢٨؛ وَيُنظَر: عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (خَرِيف٢٠٠٤م)، حَـقُّ الْعَوْدَةِ بَيْنَ الْقَرَارِ ١٩٤ وَوَثِيقَةِ جنيف، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَـرَب بِدِمَـشق، (٢٠)، ص٧ ــ ٥٠.

[2]) كشف مَحْمُود دَرْوِيش رؤيته لحقِّ العَوْدَة، مع نقده السَّاسَة الذين انزلقوا بهذا الحقِّ نحو الهَاوِيَة، مـن خـلال استعارة القالب القرآنيِّ وَالتَّاريخيِّ، لِعقاب الله آدم ــ عليه السلام ــ بِالخُرُوج من الجَنَّة، يُنظَـر: دَرْوِيـش، **الأَعْمَـالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٧٣٣، (قَصِيدَة "حقّ العَوْدَة إلى الجَنَّة"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة").

وَتتبدَّى العلاقة التَّصادُميَّة، بين الفلسطينيِّ الأعْزل، وَالجُنْديِّ المُدجَّج بسلاح القوى العالميَّة؛ لتتكشَّف الحقيقة القَمْعيَّة في الفِكْر الصُّهيونيِّ، عن قتل الإنسان المُحتضِن فِكْر الرَّحِيل عن هزائم الفرار وَالانكفاء، وَفي ذلك يسترسل الشَّاعِر في الإبانة، قائلاً([1]):

الطَّلْقةُ الأولى أزاحت عن جَبين اللَّيل
قُبَّعَة الظَّلام
وَالطَّلْقة الأخرى ..
أصابت قلب جنديٍّ قديم
وَالشَّيخ يأخذ كَفَّ ابنته وَيتلو
هَمْسًا من القُرْآن سُورَةْ
وَبلهجة كالحلم قال:
ــ عينا حَبيبَتِيَ الصَّغِيرَةْ,
لِيَ, يا جنود, ووجهها القَمْحيُّ لي
لا تقتلوها, وَاقتلوني
(كانت مياه النَّهر أغزر ... فالذين
رفضوا هناك الموت بالمجَّان أعطوا النَّهر لَوْنًا آخَراً.
وَالجِسْر, حين يصير تمثالاً, سيُصبَغ ــ دون
ريب ــ بالظَّهيرة وَالدِّماء وَخُضْرة الموت
المُفاجِئ).
.. وَبرغم أنَّ القتل كالتَّدْخين ..
لَكِنَّ الجُنُود "الطَّيِّبين",
الطَّالِعين على فهارس دَفْتَرٍ ..
قذفته أمعاء السِّنين,
لم يقتلوا الاثنَيْن ..
كان الشَّيخ يسقط في مياه النَّهر ..
وَالبنتُ التي صارت يَتِيمَةً
كانت مُمزَّقة الثِّياب,
وَطار عطر الياسمين

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٣٦٨، ٣٦٩.

عن صدرها العاري الذي
ملأته رائحة الْجَرِيمَةْ

وَقد ظهر لنا في السِّيَاق الشِّعْرِيِّ السَّابق، ما يغني عن مزيد التَّفْصيل وَالبَيَان؛ لنصل إلى لحظة الخِتَام، وفيها عودٌ على بدءٍ، بقول الشَّاعِر في حقيقة "**الطَّريق إِلَى الطَّريق**"([1]):

وَعاد النَّهر يبصق ضفَّتَيْه
قطعًا من اللَّحْم المُفتَّت
.. في وُجُوه العَائدين
لم يعرفوا أنَّ الطَّريق إلى الطَّريق
دم وَمصيدة. وَلم يعرف أحد
شَيْئًا عن النَّهر الذي
يمتصُّ لحم النَّازحين
(وَالجِسْر يكبر كُلَّ يومٍ كالطَّريق,
وَهجرة الدَّم في مياه النَّهر تنحت من حصى
الوَادِي تَمَاثِيلاً لها لون النُّجُوم, ولسعة الذِّكْرى,
وَطعم الْحُبِّ حين يصير أكثر من عِبَادَةْ)

وَيمكن قراءة واقع العَوْدة في المنظومة الفكريَّة الاجتماعيَّة، من خلال قصائد عديدةٍ، أظهرها قصيدة "**طُوبَى لِشَيْءٍ لَمْ يَصِلْ**"، من مَجْمُوعَة "**مُحَاوَلَة رقم ٧**"، التي صدرت سنة (١٩٧٣)م، في توافقٍ واضحٍ مع انتصار (٧٣)م؛ وَفي ذلك إطلالة المُثقَّف بحِكْمته النَّاقِدة نطاق الوَاقِع، فلم يصل هذا الشَّيء المُسمَّى عبثًا انتصارًا، إلى استعادة الأرض العربيَّة كاملةً، كما أشرنا إلى ذلك في غير موطنٍ.

وَنلمح في القصيدة اتِّحَادًا مع الرُّؤْية المُجتمعيَّة، في قراءةٍ مُحكَمةٍ لواقع العَوْدة، في سياق السِّياسة الصُّهيونيَّة وَالعربيَّة؛ أمَّا المُبتَدأ فلازمةٌ مقطعيَّةٌ كاملةٌ تكرَّرت ثلاث مرَّاتٍ، في مُبتَدأ النَّصِّ وَوسطه وَمُنتَهاه، على سبيل الخُلاصَة السَّاطِعة بالحقيقة، التي ابتغى الشَّاعِر من خلالها تقريع من شاركوا في انتفاء "حَقِّ الْعَوْدَةِ".

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولَى**، ١: ٣٦٩، ٣٧٠.

وَتبقى عنايتنا هنا مُنصبَّةً على الإيراد التَّوْصيفيِّ للخِطَاب، دون التَّحْليل النَّاقِد، وَالنَّصُّ في غاية وضوحه دالٌّ على مُبتَغَانا، حيث يقول الشَّاعِر([1]):

هذا هو الْعُرْسُ الذي لا ينتهي

في سَاحَةٍ لا تنتهي

في لَيْلَةٍ لا تنتهي

هذا هو الْعُرْسُ الفلسطينيُّ

لا يصل الحَبيبُ إلى الحَبيبْ

إلاّ شَهيدًا أوْ شَرِيدَا

وَحين تلتئم الصُّورَة بالمشهد الكونيِّ، على جلال "**السَّقْح**" وَ"**الْبَحْــر**" وَ"**الــنَّجْم**" وَ"**الأرْض**"؛ تعبيرًا عن مرحلة "التِّيه" لشعبٍ بأكمله، وَأحدهم مَحْمُود دَرْوِيش، المُنتمِي إلـــى حقـــل رؤاهـــم الجَمْعيَّة؛ يكون للشَّاعِر أن يقول([2]):

السَّقْحُ أكبر من سَوَاعِدِهِمْ

وَلَكِنْ ..

حاولوا أن يصعدوا

وَالبحر أبعد من مراحلهم

وَلَكِنْ ..

حاولوا أن يعبروا

وَالنَّجْمُ أقرب من منازلهم

وَلَكِنْ ..

حاولوا أن يفرحوا

وَالأرض أضْيَقُ من تصوُّرهم

وَلَكِنْ ..

حاولوا أن يحلموا

طوبى لشئ غامض !

طوبى لشئ لم يَصِلْ

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ١٥٧؛ وَقد تكرَّر المَقْطع مع تغييرٍ طفيفٍ، يُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٦٢؛ ٢: ١٦٥.

[2]) **نفسه**، ٢: ١٦٠ ــ ١٦٢.

فكّوا طلاسمه وَمزَّقهم
فَأرَّخْتُ البداية من خُطَاهم

وَانتميت إلى رُؤَاهم
آه .. يا أشياء ! كوني مُبْهَمَةً
لنكون أوضح منك
أفْلَسَتِ الْحَوَاسّ وَأصْبَحَتْ قَيْدًا على أحلامنا
وَعلى حُدُودِ القُدْسِ،
أفلست الحواسّ, وَحاسَّةُ الدَّم أينعت فيهم
وَقَادتْهم إلى الوَجْه البَعِيد
هربت حبيبتهم إلى أسوارها وَغُزَاتها
فتمرَّدوا
وَتوحَّدوا
في رمْشها المسروق من أجفانهم
وَتسلَّقوا جدران هذا الْعَصْر
دقُّوا حائط المَنْفى
أقاموا من سلاسلهم سَلالِمْ
ليُقَبِّلوا أقدامها
فاكْتَظَّ شَعْبٌ في أصابعهم خَوَاتِمْ

وَيلتمس الشَّاعِر أداء وظيفته الكاشفة؛ لتبين عن مستور الموقف العربيِّ، من العَــوْدة إلـــى الوطن، وفق تناصٍّ ملحوظٍ مع السِّيرَة النَّبويَّة، يتمثَّل في (عام الحُزْن / عـــام النَّكْبـــة / عـــام النَّكْسة)؛ الذي جلب للشَّعْب كُلَّ جراحات المَنَافِي، فيقول([1]):

ــ من أي عامٍ جاء هذا الحُزْن ؟
ــ من سَنَةٍ فلسطينيَّةٍ لا تنتهي
وَتَشَابَهَتْ كُلُّ الشُّهُور, تشابه المَوْتى
وَما حملوا خرائط أو رسومًا أو أغاني للوطن

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ١٦٢، ١٦٣.

حملوا مقابرهم ..
وَساروا في مهمَّتهم
وَسرنا في جنازتهم
وكان العالم العربيُّ أضيق من تَوابيت الرُّجُوع.
أنراك يا وطني
لأنَّ عيونهم رَسَمَتْكَ رُؤْيَا .. لا قضيَّةٌ !
أنراك يا وطني
لأنَّ صدورهم مأوى عصافير الجَليل وَماء وجه الْمَجْدَلِيَّةْ !
أنراك يا وطني
لأنَّ أصابع الشُّهَداء تحملنا إلى صَفَدٍ
صلاةً .. أو هُوِيَّةْ
ماذا تريد الآن مِنَّا
ماذا تريد ؟
خذهم بلا أجْرٍ
وَوزِّعهم على بيَّارة جاعت
لَعَلَّ الخُضْرة انقرضت هناك ..
الشَّيْءُ .. أم هُمْ ؟
إنَّ جثَّة حَارسٍ صَمَّامُ هاوية التَّردِّي ــ
(هكذا صار الشِّعَار، وَهكذا قالوا)
وَمرحلةٌ بأكملها أفَاقتْ ــ ذات حلم ــ
من تدحرجها على بطن الهَزيمة، (هكذا ماتوا)
وَهذا الشَّيْءُ .. هذا الشَّيْءُ بين الْبَحْرِ
وَالمُدُن اللَّقِيطة سَاحِلٌ لم يتَّسع إلاَّ لموتانا،
وَمرُّوا فيه كالغرباء (ننساهم على مهل)
وَهذا الشَّيء .. هذا الشَّيء بين الْبَحْرِ
وَالمُدُن اللَّقِيطة حَارسٌ تعبت يداه من الإشَارَةِ.
لم يصل أحَدٌ وَمرُّوا من يديه الآن
فَاتَّسَعَتْ يَدَاهُ

كُلُّ شيء ينتهي من أجل هذا الْعُرْسِ ..
مرحلة بأكملها أفاقت ــ ذات مَوْتٍ ــ
من تدحرجها على بطن الْهَزِيمَةَ ..

الشئُ..أم هُمْ ؟
يدخلون الآن في ذرات بعضم

هذا هو العُرْس الفلسطينيُّ، الذي امتدَّ في نتاج الشَّاعِر إلى قَصِيدَة "**تِلْكَ صُورَتُهَا وَهَذا انْتِحَارُ الْعَاشِقِ**"، الصَّادِرة سنة (١٩٧٥)م، وَقد جسَّد الشَّاعِر البِنَاء الْكُلِّيِّ في صورة قصيدةٍ واحدةٍ؛ لِيُعَبِّرَ من خلال نفسها الطَّوِيل، عن عناية الشَّاعِر المُثقَّف بالمُرَاجَعة المُطوَّلة مع الذَّات([1]).

وَقد عمد درويش في هذه القَصِيدَة إلى "استعمال عددٍ من الضَّمَائِر المُتنوِّعة بين مُخَاطَبٍ وَغَائِبٍ وَمُتَكَلِّمٍ، وَيُوظِّفها في سبيل خدمة وحدة الشُّعُور العامِّ الجَمْعِيِّ، للإنسان المُشرَّد الْمَنْفِيِّ من وطنه فلسطين؛ بفعل الاحتلال الصُّهيونيِّ لـه؛ فالشَّاعِر المُغنِّي يتحدَّث هنا باسم الشَّعْب الفلسطينيِّ المُمَزَّق وَالمُهَان، بعد أن خسر أرضه وَوُجُوده، وَجميع هذه الضَّمَائِر وغيرها تتَّحد في النِّهَايَة التراجيديَّة لمأساة النُّزُوح، وَتتداخل في شخصيَّة الشَّاعِر الرَّمْزِيَّة، التي تُعَبِّرُ عن الواحد الكُلِّ، وَتُمَثِّلُ نموذج "البَطَل المُنَاضِل""([2]).

وَيُضحِي العُرْس "**أَعْرَاسًا**"، في المَجْمُوعَة الصَّادِرة سنة (١٩٧٧)م، من خلال قصيدة "**الأَرْض**"، التي وإن اشتملت على صورة الأنا المُتقنِّعة في الصَّدْح الشِّعْرِيِّ، بالموقف الثَّوْرِيِّ، إلا أنَّها احتفت بالصُّورَة الاجتماعيَّة للفلسطينيِّ، في سائر أقطاب مُعَانَاته، التي تنازعته في الدَّاخِل وَالخَارِج، ابتناءً على حَدَثٍ جَلَلٍ؛ تمثَّل في ارتقاء الشَّهيدات الخَمْس([3]).

وَلم يكن للمَنَافِي أن تنتهي من حياة الفلسطينيِّين؛ فهم "**لا يَنْظُرُونَ وَرَاءَهُمْ لِيُوَدِّعُوا مَنْفَى، فَإِنَّ أَمَامَهُمْ مَنْفَى** ..."([4])، وَكان ذلك عقب عمليَّة التَّسْوية للمَنَافِي، بأسلوبٍ بدت السُّلْطة

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولى**، ٢: ٢٠١ ــ ٢٣٦.

[2]) السَّكَاف، مَمْدُوح، (تشرين الثَّانِي٢٠٠٦م)، دِرَاسَةُ نَوْعِيَّةٌ فِي ضَمَائِرِ قَصِيدَةِ مَحْمُود دَرْوِيش "تِلْكَ صُورَتُهَا وَهَذَا انْتِحَارُ الْعَاشِقِ"، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الْكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٤٢٧)، ص١٠٣؛ وَيمكن استجلاء هذه الضَّمَائِر في البَحْث نفسه: ص١٠٣ ــ ١٠٨.

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولى**، ٢: ٢٨٣ ــ ٢٩٩؛ وَيمكن في مقابل ذلك الاطِّلاع على صُورَة الأَرْض ببعدها الدِّينيِّ، في الأَدَب الصُّهيونيِّ، يُنظَر: الصَّوَّاف، مُحمَّد تَوْفِيق، (أَيَّار٢٠٠٦م)، الْبُعْدُ الدِّينِيُّ لِصُورَةِ الأَرْضِ فِي الأَدَبِ الصُّهيُونِيِّ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٤٢١)، ص٣٧ ــ ٥١.

[4]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٦١.

الصُّهيونيَّة فيه أكثر تحضُّرًا، بابتناء دواعيه في دَاخِل المدائن الفلسطينيَّة، التي عُزِلَ بعضها عن بعضٍ، وَفي ذلك نجد التَّجلِّي المُركَّز للنَّفْي المُلازم كُلَّ الفلسطينيِّين؛ فهم بادون على حالتهم تلك، في قصيدة "**لا يَنْظُرُونَ وَرَاءَهُمْ**"، من مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ**".

ولَعلَّ في حِكْمة دَرْويش التَّأمُّليَّة؛ قدرًا من التَّبصُّر في طبيعة الصِّرَاع على الأرض؛ "فالصِّرَاع الدِّيموغرافيُّ الذي تميل الكفَّة فيه للعَرَب باستمرارٍ؛ هو الذي يُخِيفُ إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ]، وَيدفعها إلى العمل المحموم من أجل توازنه وَالتَّفوُّق عليه، مُتَّبعةً في ذلك شتَّى الأساليب"([1]).

وَتتَّضح الإبانة الرَّابطة بين النَّفْي خارج الوطن وَداخله، في مُطوَّلة دَرْويش الثَّانِية بعد "**الْجِدَارِيَّةِ**"، ممثَّلة في "**حَالَةِ حِصَارٍ**"، التي كشفت عن أسلوبٍ جديدٍ للشَّاعِر، توخَّى فيه اللَّوْحات الشِّعْريَّة القصيرة غير المُترابطة؛ بما تُوحِيه من فوضويَّة الصُّورَة على أرض الوَاقِع؛ تلك التي تجلَّت باجتياح القُوَّات الصُّهيونيَّة سائر المُدُن الفلسطينيَّة، في ذُرْوَة انتفاضة الأقصى، المُنطلِقة سنة (٢٠٠٠)م.

وَينمُّ هذا النَّمَط البِنَائيُّ، عن الحالة النَّفْسيَّة القلقة، التي عانت من التَّرقُّب المُنْهَك لنتائج الحِصَار، ولا يخفى على أحدٍ، ما لهذه الحالة من تأثيرٍ؛ في صعوبة إيجاد الرَّوَابط المنطقيَّة بين الأشياء؛ حيث تأثَّر دَرْوِيش بصور الاغتيال وَالاعتقال اليوميَّة، أمام مرأى العالم أجمعه، وَما الشِّعْر عن هذا كلّه ببعيدٍ، لا سيَّما إذا أخذنا بعين الاعتبار صلته القويَّة بالوَاقِع، من جهات الكَشْف وَالإِبَانَة وَالإِيقَاظ.

وَمِمَّا تنماز به "**حَالَة حِصَار**"، انفتاح الدَّلالة من خلال لعبة المُفَارَقة؛ فَـ"عبر تداعياتٍ من الفِعْل السَّرْديِّ المُحَاصَر بشجن الغِنَاء وَمرارة السُّخْرية، تُؤثِّث "حَالَةُ حِصَارٍ" لِمَحْمُود دَرْوِيش وجودها الشِّعْريَّ المُنفتِح، الذي توخَّى تشتيت الدَّلالة من خلال احتراف لعبة المُفَارَقة، وَليست لعبة المُفَارَقة ترفًا لُغويًّا يلهو بالمُفْرَدَات المُتضادَّة، وَلكنَّها تشخيصٌ ساخرٌ للشَّرْخ المهول بين الوَاقِع وَالمِثَال؛ الوَاقِع المُحَاصَر وَالمِثَال المُصَادَر"([2]).

وَقد أحال الواقع المفروض على الأرض الفلسطينيَّة؛ الحِصَار إلى حِصَارَاتٍ مُتكاثِرةٍ، من خلال جِدَار الفَصْل العُنْصريِّ؛ الذي أدَّى باكتماله إلى "فَصْل المُدُن الفلسطينيَّة عن بعضها،

---

[1]) الرّفُوع، د. فَيْصَل، (١٩٩٧م)، الصِّرَاعُ الْعَرَبِيُّ ــ الإِسْرَائِيلِيُّ دِيمغرَافِيًّا، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٢(٤)، ص٣٢٧.

[2]) عَبَّاسِي، عبد القَادِر، (٢٠٠٦/٢٠٠٧م)، **انْفِتَاحُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ الْحَدِيثِ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ**، رسَالَة مَاجستير غير مَنْشُورة، جَامِعَة الحَاجّ لخضر، باتنة، الجَزَائِر، ص٦٣؛ وَيمكن مُطَالَعَة تحليل البَاحِث للمَقْطع الاستهلاليِّ، من "حَالَةِ حِصَارٍ"، في الأُطْرُوحة نفسها: ص٦٣ ــ ٦٥.

فعزلها داخل (كانتونات)؛ بهدف تمزيق التَّواصُل وَالألْفة بين أبناء الشَّعْب الفلسطينيِّ من جهـــةٍ؛ وَبهدف إرغامهم على مغادرة أراضيهم بطريقةٍ غير مباشرةٍ"([1]).

وَقد كرَّس الشَّاعِر ــ في إحدى لوحات الحِصَار ــ ملمح الوحدة، في ظِلِّ المَنْفَى المجازيِّ داخل الوطن، فقال([2]):

وحيدون، نحن وحيدون حتَّى الثّمالة،
لولا زياراتُ قوْسِ قُزَحْ

□

هل نُسِيءُ إلى أحَدٍ ؟ هل نُسِيءُ إلى
بَلَدٍ، لو أُصِبْنَا، ولو من بَعِيدٍ،
ولو مَرَّةً، برذاذ الْفَرَحْ ؟

□

الحصارُ هو الانتظار
هو الانتظارُ على سُلَّمٍ مَائِلٍ وَسَطَ الْعَاصِفَةْ

□

وَفضلاً عن المعنى الظَّاهِر لِمُفرَدة "**الحِصَار**"؛ فقد رفدتنا بـــ"دلالاتٍ أخرى قد يكون بُرُوزها وَأهمِّيَّتها محلَّ خلافٍ، لكنَّها مِمَّا يستدعيه العمل الإبداعيُّ وَيستحقُّ الوقوف عنده؛ ففي مقـــاطع النَّصِّ (وَقد يرى البعض أنَّها قصائد قصيرةٌ) حصاراتٌ مُتعدِّدةٌ، منها ما يُطـــوِّق العـــدوَّ الـــذي يفرض الحِصَار؛ من حيث هو عدوّ، وَمنها ما يُطوِّق دَرْوِيش نفسه؛ من حيث هو شَاعِر، وَمنها ما يُطوِّقنا نحن؛ من حيث نحن قُرَّاء "يعرفون" دَرْوِيش؛ فيكون نصُّ "حَالَة حِـــصَار" مـــن هـــذه النَّاحِية دعوةً للتَّأمُّل في دلالات الحِصَار؛ إذ تُدَرِّجُ الأصعدة كلُّها من الإنسانيِّ / النِّضاليِّ إلـــى الثَّقافيِّ إلى الإبداعيِّ"([3]).

وَلِلشَّاعِر وجهةٌ شعريَّةٌ أخرى، تضمَّنتها قصيدة "**خُطْبَةُ "الْهِنْدِيِّ الأحْمَرِ" ـــ مَا قَبْلَ الأخِيرَةِ ـــ أَمَامَ الرَّجُلِ الأبْيَضِ**"، من مَجْمُوعَة "**أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، التي صدرت سنة (١٩٩٢)م؛ وَفيهـــا

---

[1]) عياش، د. عَدْنَان حُسيْن، (يُونيُو٢٠٠٩م)، جِدَارُ الْفَصْلِ الْعُنْصُرِيُّ الصُّهْيُونِيُّ ــ آثَارُهُ السَّلْبِيَّةُ عَلَى أَرَاضِـــي مُحَافَظَةِ سلْفِيت، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٧(٢)، ص٢١٦، (المُقدِّمة)؛ وَيُنظَر: أبُو الرُّبّ، د. مَحْمُود، (نِيسَان٢٠٠٥م)، الآثَارُ الاقتِصَادِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ الْمُبَاشِرَة لِلْجِدَارِ الْعُنْصُرِيِّ الْفَاصِـــلِ عَلَـــى الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ، **مجلَّة جَامِعَة الْقُدْس المَفْتُوحَة للأَبْحَاث وَالدِّرَاسَات**، (٥)، ص٢٥٧ ــ ٢٩٠.

[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٢٠٠.

[3]) البازعيّ، **أَبْوَابُ الْقَصِيدَةِ ـــ قِرَاءَاتٌ بِاتِّجَاهِ الشِّعْرِ**، ص٥٧؛ وَيُنظَر استجلاء دلالات النَّصِّ الكُلِّيَّة في الكِتَاب نفسه: ص٥٧ ــ ٦٢.

أحكم الشَّاعِر مغاليق الخِطَاب على "**السَّيِّد الأبْيَض**"، إلى حَدِّ ظُهُور رسالة الخِطَاب بالتَّقْريع، من خلال المُوَازَنة بين "**شَعْبِ المَوْتَى**" و"**شَعْبِ الأحْيَاءِ**".

كما توقَّف دَرْوِيش عند جلال الفِكْرة، المُتجلِّية في اللَّوْحة الشِّعْريَّة، بِشُمُول الهَاوية، مُستوقِفًا الأرض لِلْجَأر بِحَقِّهما، ثُمَّ مُحتفِيًا ببيان مآل حالة المَوْت المُخيِّمة على الشَّعْب الفلسطينيِّ بِشُرُوط السَّلام، وَفي ذلك يقول([1]):

٦ ـــ

...

هُنَالِكَ مَوْتَى وَمُسْتَوْطَنَاتٌ، ومَوْتَى وَبولدوزراتٌ، وَمَوْتَى
وَمُسْتَشْفَيَاتٌ، وَمَوْتَى وَشَاشَاتُ رادار تَرْصُدُ مَوْتَى
يَمُوتُونَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ فِي الْحَيَاةِ، وَتَرْصُدُ مَوْتَى
يَعِيشُونَ بَعْدَ الْمَمَاتِ، ومَوْتَى يُرَبُّونَ وَحْشَ الْحَضَارَاتِ مَوْتا،
وَمَوْتَى يَمُوتُونَ كَيْ يَحْمِلُوا الأَرْضَ فَوْقَ الرُّفَات ...

إِلَى أَيْنَ، يَا سَيِّدَ الْبِيض، تَأْخُذُ شَعْبِي، ... وَشَعْبَك ؟
إلَى أَيِّ هَاوِيَةٍ يَأْخُذُ الأَرْضَ هَذَا الرُّوبُوتُ الْمُدَجَّجُ بِالطَّائِرَات
وَحَامِلَةِ الطَّائِرَاتِ، إِلَى أَيِّ هَاوِيَةٍ رَحْبَةٍ تَصْعَدُون ؟
لَكُمْ مَا تَشَاؤُونَ: رُومَا الْجَدِيدَةُ، إِسْبَارْطَةُ التِّكنولوجيا
وَ
أيديولوجيا الجُنُون،
وَنَحْنُ، سَنَهْرُبُ مِنْ زَمَنٍ لَمْ نُهَيِّئْ لَهُ، بَعْدُ، هَاجِسَنَا
سَنَمْضِي إِلَى وَطَنِ الطَّيْرِ سِرْبًا مِنَ الْبَشَرِ السَّابِقِين
نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا مِنْ حَصَى أَرْضِنَا، مِنْ ثُقُوبِ الْغُيُوم
نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا، مِنْ كَلامِ النُّجُومِ نُطِلُّ عَلَى أَرْضِنَا
مِنْ هَوَاءِ الْبُحَيْرَاتِ، مِنْ زَغَبِ الذُّرَةِ الْهَشِّ، مِن
زَهْرَةِ الْقَبْرِ، مِنْ وَرَقِ الْحَوْرِ، مِنْ كُلِّ شَيْء
يُحَاصِرُكُمْ، أَيُّهَا الْبِيضُ، مَوْتَى يَمُوتُونَ، مَوْتَى
يَعِيشُونَ، مَوْتَى يَعُودُونَ، مَوْتَى يَبُوحُونَ بِالسِّرِّ،

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٣٠٧ ـــ ٣٠٩.

فَلْتُمْهِلُوا الأَرْضَ حَتَّى تَقُولَ الْحَقِيقَةَ، كلَّ الْحَقِيقَة،
عَنْكُمْ
وَعَنَّا ...
وَعَنَّا
وَعَنْكُمْ !

٧ ــ
هُنَالِكَ مَوْتَى يَنَامُونَ فِي غُرَفٍ سَوْفَ تَبْنُونَهَا
هُنَالِكَ مَوْتَى يَزُورُونَ مَاضِيَهُمْ فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَهْدِمُون
هُنَالِكَ مَوْتَى يَمُرُّونَ فَوْقَ الْجُسُورِ الَّتِي سَوْفَ تَبْنُونَهَا
هُنَالِكَ مَوْتَى يُضِيئُونَ لَيْلَ الْفَرَاشَاتِ، مَوْتَى
يَجِيئُونَ فَجْرًا لكي يَشْرَبُوا شَايَهُمْ مَعَكُمْ، هَادِئِين
كَمَا تَرَكَتْهُمْ بَنَادِقُكُمْ، فَاتْرُكُوا يَا ضُيُوفَ الْمَكَان
مَقَاعِدَ خَالِيَةً لِلْمُضِيفِينَ .. كي يَقْرَؤُوا
عَلَيْكُمْ شُرُوطَ السَّلامِ مَعَ ... الْمَيِّتِين !

وَمِمَّا يتَّصل بسياق السُّلْطة الاجتماعيَّة، في تمثُّلها للهُمُوم الإنسانيَّة، قصيدة "**عَنْ إنْسَان**"، من مَجْمُوعَة "**أَوْرَاق الزَّيْتُون**"([1])، "وَعلى الرَّغْم من أنَّ دَرْوِيش يتحدَّث في هذه القصيدة عن مأساة اللُّجُوء وَالتَّشرُّد الفلسطينيِّ؛ فإنَّه يتحدَّث عن هذا اللاجئ بوصفه إنسانًا تعرَّض للظُّلْم وَالاحتلال وَالطَّرد؛ وَبالتَّالِي ينبغي الدِّفَاع عن حُقُوقه، من منطلق كونه إنسانًا أيضًا"([2]).

وَقد قدَّمت القَصِيدة بُعْدًا رمزيًّا عميقًا؛ يتمثَّل في تحمُّل اللاجئ الفلسطينيِّ شُرُور الصُّهيونيَّة، في نقمتها على الحَرْق النَّازيِّ لليَهُود في ألمانيا، على شاكلة احتمال مسيحيي (رُومَـا)، عاقبة نَزَوَات (نيرون)، الذي أحرق (رُومَا) دون مبالاةٍ([3]).

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٢٠، ٢١.

[2]) النّعيمِيّ، د. أَحْمَد، (٢٠٠٨م)، **الآفَاقُ الإِنْسَانِيَّةُ فِي الأَدَبِ وَالْفِكْر**، (د. ط)، عمَّان: دَار اليَازُورِيّ العِلْمِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٦٩؛ وَيُنظَر في تَحْلِيل قَصِيدَة "عَنْ إِنْسَانٍ": بركة، **الاتِّجَاهُ الرُّومَانسِيُّ فِي الشِّعْر الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِر ــ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ**، ص٢٠٣، ٢٠٤.

[3]) يُنظَر: الظَّاهِر، د. نَعِيم إِبْرَاهِيم صَالِح وَالخَطِيب، د. عِمَاد عَلِيّ سَلِيم أَحْمَد، (يَنَاير٢٠٠٨م)، الأَبْعَادُ السِّيَاسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ لِلْقِصَّةِ الْمَحْكِيَّةِ عَنِ الإِنْسَان "دِرَاسَةٌ مُقَارِنَةٌ بَيْنَ مَحْمُود دَرْوِيش وَمُنَى وَفِيق"، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٦(١)، ص٢٥٠؛ وَللاطِّلاع على تحليل قَصِيدَة "عَنْ إنْسَانٍ"، يُنظَر: نفسه، ص٢٤٩ ــ ٢٥٣.

وَتجدر الإشارة إلى أنَّ من أهَمِّ اللَّوْحات الشِّعْريَّة صلةً، بإطار البَيَان الاجتماعيِّ لأثر السُّلْطة، قَصِيدة "**إلَى أمِّي**"(١)، من مَجْمُوعَة "**عَاشِق مِنْ فِلَسْطِين**"، ووجه الاقتران بينها وَبين السُّلْطة؛ كامنٌ في الأثر المُتمثِّل بقوَّة التَّأثير وَالسَّطْوة، على نحو الإيجاب.

وَيمكن بيان ذلك بأنَّ الأمُومة بسياقَيْها الحقيقيِّ وَالمجازيِّ، داخلان في إطار تبعيَّة الشَّاعِر الكُلِّيَّة لآمالها، وَالمُفَارَقة التي يُقدِّمها النَّصُّ الشِّعْريُّ قريبةٌ من الذي ذكرناه آنفًا؛ فقد تكون الأمُّ المقصودة أمَّ الشَّاعِر، التي تحرَّق شوقًا للقائها، بعد رَحِيل المَنَافِي، وَقد تكون الأمَّ المِثاليَّة الكُبْرى، التي اقترنت بشعر مَحْمُود دَرْوِيش، على نحوٍ فريدٍ(٢).

كما اتَّحد الهمُّ الفلسطينيُّ مع العراقيِّ في مَجْمُوعَة "**أثَر الفَرَاشَة**"، من خلال قَصِيدة "**لَيْل العِرَاق الطَّوِيل**"، التي جسَّدت صفحاتٍ مُختَارةً، من يوميَّاتٍ كُتِبَتْ بين صَيْف (٢٠٠٦)م وَصَيْف (٢٠٠٧)م، وَكانت مُوجَّهةً للإطار المعرفيِّ، المُتمثِّل في الشَّاعِر وَالمُتَرجِم العراقيِّ سَعْدِي يُوسُف، الذي عانى البُعْد عن الوطن بالإقامة في (لندن)، منذ أواخر التِّسعينات، وَتجلَّت في القَصِيدة صورة العراقيِّ القَتِيل على نحوٍ مُؤثِّرٍ، في كشفٍ مُعمَّقٍ للحَالَة العراقيَّة، وَلها من وجه الصِّلَة مع مُعَانَاة الفلسطينيِّين نصيبٌ وافرٌ(٣).

وَثمَّة حضورٌ مُهمٌّ للسُّلْطة الاجتماعيَّة، في صورتها الاشتماليَّة؛ حيث تبدى الشَّاعِر نِزَار قبَّانِي، في واقع تملُّكه السُّلْطة السِّياسيَّة؛ لكونه دبلوماسيًّا، وَسُلْطة المَعْرِفة؛ بوصفه شاعرًا ناشرًا، فضلاً عن سُلْطته الثَّقافيَّة؛ باعتباره صاحب مواقف مُتعلِّقة بالنِّطَاق الإنسانيِّ العامِّ، ذلكم جميعه نطقت به قصيدة "**فِي بَيْتِ نِزَار قبَّانِي**"، من المَجْمُوعَة الأخِيرَة "**لا أرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِي**"(٤).

كما كان لِمَحْمُود دَرْوِيش "**مَوْعِد مَع إمِيل حَبِيبِي**"، في المَجْمُوعَة الأخِيرَة أيضًا(٥)، وَهو الذي جمع بين الأدَب وَالصّحَافة، فضلاً عن اشتغاله بالسِّيَاسَة، من خلال الحِزْب الشُّيُوعِيِّ الفلسطينيِّ؛ لِيُجسِّد بذلك السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة، وَإن انصرفت عناية دَرْوِيش إلى تَجْلِيَةِ الجانبَيْن المعرفيِّ وَالثَّقافيِّ فيه، دون غيرهما.

---

[1]) يُنظَر: الزُّعْبيّ، الشِّعْرُ فِي فِلَسْطِينَ وَالأرْدُنِّ (١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠م). فِي: د. إبْرَاهِيم خَلِيل وَ د. مُحمَّد عبيد الله وَ د. شُكْرِي عَزِيز مَاضِي وَ د. سَمِير قَطامِي، مُرَاجَعة وَتَقْدِيم: أ. د. صَلاح جَرَّار، **مَعَالِمُ الْحَيَاةِ الأدَبيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ وَالأرْدُنِّ (١٩٥٠ ـ ٢٠٠٠م)**، ص١٤٣، ١٤٤.

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٠٦، ١٠٧؛ وَيمكن أن نقرن هذه القَصِيدَة المذكورة بقَصِيدَة "إلى أمِّي ـ من لاجِئ في لُبْنَان"، من مَجْمُوعَة "عَصَافِير بلا أجْنِحَة"، يُنظَر: دَرْوِيش، **عَصَافِير بلا أجْنِحَة**، ص٧٤، ٧٥.

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٧١٣ ـ ٧١٥.

[4]) يُنظَر: دَرْوِيش، **لا أرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص١١٥ ـ ١١٧.

[5]) يُنظَر: **نفسه**، ص١١٢ ـ ١١٤.

وَلَم يقتصر الأمر في مجال الاشتمال السُّلْطويّ على الحَدِيث، وَإِنَّما سُبِقَ بِالقَدِيم، في قَصِيدَة "**من رُوميَّات أبي فِرَاس الحَمْدَانيّ**"، من مَجْمُوعَة "**لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا**"([1])؛ حيث احتفى دَرْوِيش باستيحاء الصَّدَى الثَّقافيّ لأبي فِرَاس، مع ضرورة إدراكنا اشتماله على سُلطات المَعْرِفَة الشِّعريَّة وَالمَوْقِف الثَّقافيّ وَالولايَة السِّياسيَّة؛ عندما أوكل إليه ابن عمِّه سَيْف الدَّوْلة حُكْمَ مَنْبِج؛ فأحسن إدارتها وَالذَّوْد عنها.

وَتكفي الإطلالة على نتاج مَحْمُود دَرْوِيش الأدبيّ؛ ليتكشَّف لنا ظهور السُّلْطة الاجتماعيَّة على نحوٍ واسعٍ، شمل البيان الإنسانيَّ لِكُلِّ المِحَن وَالآلام، التي عاناها الإطار الشَّعْبيُّ، المنضوي تحت راية السُّلْطة الاجتماعيَّة، بسبيلٍ يُكرِّس الصُّمُود وَالثَّبَات، في وجه كُلِّ المُخطَّطات السَّاعِية إلى تَهْوِيد الأرض([2])، وَنفي الإنسان([3]).

وَتكمن خُلاصَة السُّلْطة الاجتماعيَّة؛ في تكريس قيم الثَّبَات وَالصُّمُود وَالتَّحدِّي؛ للسُّلْطة السِّياسيَّة الصُّهيونيَّة، التي عرض لها مَحْمُود دَرْوِيش، في سياق تصوير العَائِدين على ضِفَاف نهر المَوْت، أسفل الجِسْر المُترِبط بمآسي النَّفْي وَأَحلام العَوْدة، وَغدا المَوْت عرسًا مُرتبطًا

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٣٦٩ ــ ٣٧١.

[2]) يمكن اتِّخاذ مَدِينة القُدْس مثالاً على هذا التَّهْوِيد الصَّارِخ، قبل اتِّفَاق (أُوسْلُو) وَبعده، يُنظَر: الزّرو، نَوَّاف جَوْدَتْ، (١٩٩١م)، **الْقُدْسُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ مُخَطَّطَاتِ التَّهْوِيدِ الصُّهْيُونِيَّةِ وَمَسِيرَةِ النِّضَالِ وَالتَّصَدِّي الْفِلَسْطِينِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: دَار الخَوَاجَا للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٢٩ ــ ٦٢، (الفَصْل الثَّانِي: مُخطَّطات التَّفْرِيغ وَالتَّهْوِيد الإسرائيليَّة في القُدْس العَرَبِيَّة)؛ ص٦٣ ــ ٨٢، (الفَصْل الثَّالِث: الانتهاكات الإسرائيليَّة في القُدْس العَرَبِيَّة)؛ ص١١٣ ــ ١٤٢، (الفَصْل الخَامِس: مَذْبَحة الإثْنين الأسْوَد في بَاحَة الأقْصَى المُبَارَك وَرُدُود الفِعْل المختلفة على المَذْبَحة)؛ وَيُنظَر: فتوح، د. سُلَيْمَان مُحيي الدِّين، (١٩٩٧)م، **الْيَهُودُ وَالْقُدْسُ ــ دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّةٌ للادِّعَاءَاتِ الصُّهْيُونِيَّةِ وَمُمَارَسَاتِهَا فِي الْمَدِينَةِ**، تَقْدِيم: أ. د. شَوْقِي عَطَا الله الجَمَل، (د. ط)، القَاهِرَة: مَكْتَبَة زَهْرَاء الشَّرْق، ص٦٥ ــ ١١٨، (الفَصْل الثَّالِث: الخطوات الإسرائيليَّة العَمَلِيَّة لِتهويد المَدِينة)؛ وَيُنظَر: أبو حلو، د. مسلم، (تشرين أوَّل٢٠٠٢م)، سِيَاسَاتُ التَّهْوِيدِ الدِّيمُوغرَافِيِّ وَالْجُغْرَافِيِّ لِمَدِينَةِ الْقُدْسِ، **مجلَّة جَامِعَة الْقُدْس الْمَفْتُوحَة للأَبْحَاث وَالدِّرَاسَات**، (١)، ص٩٢ ــ ١٣٤؛ وَيُنظَر: زَغْلُول، لُطْفِي، (إبريل٢٠٠٥م)، **الْقُدْس ــ حَقٌّ وراءه مطالبٌ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُوَيْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص٢٠ ــ ٢٧، (ثانيًا: الاستيطان)؛ وَيُنظَر: أبُو حَسَّان، فَادِي، (صَيْف٢٠٠٧م)، تَهْوِيدُ الْقُدْسِ "أرْض أكْثَر، سُكَّان أقَلّ"، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٠)، ص٢٥٩ ــ ٢٧٥.

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٢٠، ٢١، ("عَنْ إِنْسَانٍ"، من مَجْمُوعة "أوْرَاق الزَّيْتُون"، الآخَر الاجتماعيُّ الفلسطينيُّ اللاجئ وَالمُعْتَقل)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٢٦ ــ ٣١، ("وَعَادَ .. فِي كَفَنٍ"، من مَجْمُوعة "أوْرَاق الزَّيْتُون"، الآخَر الاجتماعيُّ العَائِد الشَّهيد)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٨٩، ٩٠، ("لا شَيءَ يُعْجِبُنِي"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، الآخَر الاجتماعيُّ المَثِيل: المُسَافِر وَالسَّائِق وَالسَّيِّدة وَالجَامِعيُّ وَالجُنْديُّ، في إطارٍ من الرَّمْزِيَّة، للعلاقة بين المُجْتَمع الفلسطينيِّ وَالقِيَادَة السِّياسيَّة، في واقع تكشُّف السَّلام عن إنجازٍ هزيلٍ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٦٣، ٦٤، ("لَمْ يَسْأَلُوا: مَاذَا وَرَاءَ الْمَوْتِ"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، الآخَر الاجتماعيُّ النَّظِير، ممثَّلاً في النَّسِيج المَعْرفيِّ وَالسِّياسيِّ الفلسطينيِّ، المُؤَرَّق بِهُمُوم القضيَّة وَالشَّعْب)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٦٥، ٦٦، ("قَتْلَى وَمَجْهُولُونَ"، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، الآخَر الاجتماعيُّ الفلسطينيُّ، الذي يتمثَّل في القَتِيل المَجْهُول)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣١١ ــ ٣١٥، ("عُودُ إِسْمَاعِيلَ"، من مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، الآخَر الفلسطينيُّ الغَرِيب في داره)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٥٤١، ٥٤٢، ("الْبِنْتُ/ الصَّرْخَةُ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، الطِّفْلة هُدَى تبكي أهلها، الذين قتلتهم قَذَائِف البَوَارِج الصُّهيونيَّة، على شَاطِئ غَزَّة).

بالفلسطينيِّين جميعًا، ثُمَّ استحال إلى "**أَعْرَاسٍ**"، مع ارتقاء الرَّاحِلِين صوب السَّمَاء، في عُلُوِّ ألـــق الشَّهَادة.

وَاحتفى دَرْوِيش بالكشف المُعمَّق لعلاقة العرب بظاهرة المَنَافِي، التي لاحقت الفلـــسطينيِّين أينما حلُّوا، وَلم يقتصر استبصار النَّقْي على الارتحال الثَّوْرِيِّ بين النَّكْبة وَالنَّكْسة، وَالنَّصر الذي لم يصل إلى شيءٍ، وَالخُرُوج من "بَيْرُوت" بعد حصارها المُنهك، وَإنمَّا تعدَّاه إلى نطاق الـــدَّاخِل الفلسطينيِّ؛ حيث المنافي الجَاثِمة على صدور مدائن تأتمر بوَّاباتها بـــإمرة الحَـــاكِم العـــسكريِّ الصُّهيونيِّ؛ لتتمثَّل الذُّرْوة في حِصَارَاتٍ ضُرِبَتْ حول المدنيِّين الْعُزْلِ من كُلِّ شـــيءٍ، إلا مـــن سلاح الثَّبَات وَالتَّصدِّي.

وَقد استبان لنا من خلال عرضنا لِسُلْطة الآخر الاجتماعيَّة، تمثُّل مَحْمُـــود دَرْوِيـــش للهـــمِّ الجَمْعيِّ، على سبيل الاتِّحَاد مع المطامح الكُبْرى وَالرُّؤَى العُلْيا، ثُمَّ إنَّ باب الكشف المبين عـــن استباق الحدث بصدق حِكْمة النُّبُوءَة ــ في قراءة المُثقَّف الحَكِيم لمسير الخطِّ السِّياسيِّ ــ واضح التَّبدِّي في قصائده الشِّعْرِيَّة، التي أُرِيدَ لها أن تكون لوحاتٍ كاشفةً للـــسَّاسَة، الـــوَاهِمين بِخِـــدَاع السَّلام البَصَرِيِّ على الخَرَائِط المكذوبة.

وَكانت في إثر ذلك تقريعًا مُتضمِّنًا امتعاض الشَّاعِر المُثقَّف، من رحيل الثُّوَّار عن ثورتهم، إلى منافي الدَّاخِل وَالخَارِج، دونما عودةٍ إلى المبدأ قبل الوطن؛ وَهذا كلُّه ينمُّ عن عناية المُثقَّـــف بتأصيل الرُّؤْية الثَّقَافيَّة لِـــ"حَقِّ الْعَوْدَةِ"، المُستَلب من جميع حِوَارَات السَّلام الـــسَّابِقة وَاللاحِقَـــة؛ لِتُعَبِّرَ الصُّورة الاجتماعيَّة عن المَوْقف الثَّقافيِّ؛ من سائر مسلكيَّات السُّلْطة السِّياسيَّة.

ثُمَّ كان للشَّاعِر أن يقف على الأُمُومة بوجهَيْها الحقيقيِّ وَالمجازيِّ، على جلال خطرها في كلا الوجهَيْن؛ من حيث التَّأثير المُتوخَّى منها في السِّيَاق الاجتماعيِّ بعامَّة، ثُمَّ قرن بـــين الهـــمِّ الفلسطينيِّ وَالهمِّ العراقيِّ، على تَشاكُل ملامح الألم، وَصور النَّفْي وَالقتل اليوميَّة، مع تبيانٍ مُهمٍّ للسُّلْطة الاجتماعيَّة في طابعها الاشتماليِّ، حين تَخِذَ دَرْوِيش من الشَّاعِر نِزَار قبَّانِي مثالاً مُعَبِّراً، عن تَكامُل سُلطات المَعْرفة وَالثَّقَافة وَالسِّيَاسَة.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الاقْتِصَادِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

إنَّ النَّاظِرِ في صورة السُّلْطة الاقتصاديَّة للآخَر؛ ليستجلي انحسارها إلى حَدِّ التَّلاشِي، مقارنةً بِاللَّوْحات المُبِينة عن السُّلطات الأخرى، خلا أنَّنا نكاد نلتمس خُيُوط السُّلْطة الاقتصاديَّة، على نحوٍ مُقترِنٍ بالرُّؤْية الثَّقافيَّة للمَحَافِل السِّياسيَّة، التي تقلَّبت فيها القضيَّة الفلسطينيَّة بين صُعُودٍ وَهُبُوطٍ.

وَاتَّضح نطاق السُّلْطة الاقتصاديَّة، على نحوٍ مُرتبِطٍ بالسِّيَاسَة، في قَصِيدة "**بَيْرُوت**"، من مَجْمُوعَة "**حِصَار لِمَدَائِح البَحْر**"، التي صدرت سنة (١٩٨٤)م، وقد تضمَّنت استحضارًا واعيًا لمعظم التَّجلِّيات السُّلْطويَّة في الذَّات وَالآخَر، وَفي سياقنا الاقتصاديِّ، يقول دَرْوِيش([1]):

بَيْرُوت ـ أسواقٌ على البَحرِ

اقتصادٌ يهدم الإنتاجَ

كي يبني المَطاعِمِ وَالفَنادِقَ ...

...

وَيصوغ الشَّاعِر "**بَيْرُوت**"، في سُلْطة أهلها المُتَّجِهين صوب الاقتصاد؛ من خلال أسواقٍ مفتوحةٍ، على الإطلالة البحريَّة الفَسِيحة؛ مِمَّا يُكرِّس ملمحًا اقتصاديًّا داعمًا للاقتصاد البَيْرُوتِيِّ.

لكنَّ السِّيَاق ينتقل من الإيجاب إلى السّلب، من خلال كشف طبيعة هذا الاقتصاد؛ ذلك أنَّه يقوم على اهتدام الإنتاج؛ بغية ابتناء المطاعم وَالفنادق؛ ولَهذا القَوْل وميضٌ مشتملٌ بعالمي الاقتصاد وَالسِّيَاسَة؛ ففي المَنْحى الاقتصاديِّ بدت "بَيْرُوت" ساعيةً إلى نفض غبار المعارك عنها؛ كيما تبني اقتصاد السِّيَاحَة باستغلال الطَّبيعة اللُّبنانيَّة على الوجه الأكمل.

ولَيس من معنًى يُؤكِّد السّلبيَّة في هذا الملمح، إلا اقتران هذه الرُّؤْية الاقتصاديَّة بما قام عليه الاقتصاد العربيُّ بعامَّة، من العناية باستجلاب المنتوجات، من بلدان العالم كافَّةً، مع إغفال التَّأسيس لاقتصادٍ مُحْكَم الأركان، قائمٍ على الإنتاج وَالتَّطْوير.

وَنلمح في ظِلِّ الصُّور الاقتصاديَّة، ملمح الاستبصار الثَّقافيِّ للنِّطَاق السِّياسيِّ، وَفيه الموقف الثَّقافيُّ المُصطرِع بالمُتناقِضات، إبَّان خُرُوج الثَّوْرة من أزقَّة "بَيْرُوت" المسكونة برائحة البَارُود وَالمَوْت؛ فَـ"بَيْرُوت" في خضمِّ ذلك ساعيةً إلى تكريس سُلْطتها السِّياسيَّة، وَمَن ثمَّ الاقتصاديَّة؛ بنبذ كُلِّ أسباب الدَّمَار؛ وَأحدها المُقَاوَمة التي استجلبت الحِصَار؛ فأنتجت لها صورةً حُبْلَى بسائر

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٢: ٥٢١.

مُقوِّمات الانهيار، وَما هاتيك إلا بما كسبت أيدي السَّاسَة المُتخاذِلين، وَبعض المسلكيَّات الفَوْقيَّة، للتَّنْظيمات الثَّوْريَّة، التي كان عصيًّا عليها استيعاب تَقادُم السَّنَوات في المَنْفي القابع على أطراف الوطن، دونما نصرٍ عربيٍّ حاسمٍ.

وَيُرسِّخ دَرْويش صورة الإعراض البَيْرُوتيِّ عن ذكر ثُوَّارها، وَهي التي احتضنتهم سنواتٍ طويلة؛ لتتبدَّى السُّلْطة الاقتصاديَّة للسَّاسَة الجُدُد، وَفي ذلك يقول([1]):

دارتْ علينا وَاستدارتْ. أدبرتْ وَاستدبرتْ
هل غيمةٌ أخرى تخون النَّاظِرين إليك يا بَيْرُوت ؟
هندسةٌ تُلائِمُ شهوة الفئة الجديدة
طحلبِ الأيَّام بين المدِّ وَالجزر
النِّفاياتِ التي طارت من الطَّبقات نحو العَرْش ...
هندسة التَّحلُّل وَالتَّشكُّل
وَاختلاط السَّائِرين على الرَّصيف عشيَّةَ الزِّلزال ...
دارتْ وَاستدارتْ
هندسيَّتها خطوطُ العالم الآتي إلى السُّوق الجديدة
يُشترَى وَيُبَاع. يعلو ثُمَّ يهبط مثل أسعار الدُّولار
وَأونصةِ الذَّهب التي تعلو وَتهبط وفق أسعار الدَّم الشَّرقيِّ
لا ... بَيْرُوتُ بوصلةُ المُحارِب ...
نأخذُ الأولاد نحو البحر كي يثقوا بنا ...
مَلِكٌ هو المَلِك الجديد ...
وَصوتُ فيروزَ الْمُوَزَّعُ بالتَّساوي بين طائفتَيْن
يُرشِدِنا إلى ما يجعل الأعداء عائلةً
وَلبنانَ انتظارًا بين مرحلتَيْن من تاريخنا الدَّمويِّ

لقد أثخنت "بَيْرُوت" الشَّاعِر بجراحات الإعراض؛ فرأيناه مُتقلِّبا بين فعلَيْن، في وزنَيْن صرفيَّيْن، في قوله: "**دَارَتْ عَلَيْنَا وَاسْتَدَارَتْ. أَدْبَرَتْ وَاسْتَدْبَرَتْ**"، وَما الصُّعُود بالفعل من وزنه الصَّرْفيِّ "فَعَلَ" إلى "اسْتَفْعَلَ"؛ إلا دليل تصاعد النَّبْرة الخطابيَّة الحَانِقة، على ما كان من إخراج المُقَاوَمَة بِقُوَّةِ الضَّغْط اللُّبنانيِّ وَالدَّوْليِّ.

---

[1]) دَرْويش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ٥٢٢، ٥٢٣.

كما يُكرِّس الفِعْلان لمرحلتَيْن من الحِصَار؛ مرحلة الضَّغْط بالقَصْف وَقطع الإمدادات، التي تخيَّر لها من نطاق المعجم فعلي: "**دَارَتْ**" وَ"**اسْتَدَارَتْ**"، ثُمَّ مرحلة قطع الصِّلَة بين المُقَاوَمَة وَأوليائها؛ وَهذا يُؤكِّد صياغة الصَّهاينة أسس السِّياسة اللُّبنانيَّة، بتوافقٍ كاملٍ مع حزب الكَتَائِب.

وَحتَّى يتجمَّل دَرْويش بالصَّبْر على كرب المُقَاوَمَة العَظِيم، تراه يُقْدِمُ على مُساءَلة "بَيْرُوت"، عن إمكانية خيانة غيمةٍ أخرى جمع النَّاظِرين إليها، بقوله: "**هَلْ غَيْمَةٌ أُخْرَى تَخُونُ النَّاظِرِينَ إِلَيْكِ يَا بَيْرُوت ؟**"، مُتَّجِهًا بموطن الألم إلى الأمُومة، وَمُشَكِّكًا في عقيدته الأرضيَّة المُبتَناة في ظلال الأسْطورة؛ لوقوعه تحت وطأة الصَّدْمة الأنْكَى؛ في حياتيه الثَّقافيَّة وَالسِّياسيَّة، حتَّى لكأنَّ جهات الأرض وَالسَّمَاء لم تسع ألمه؛ فبدا مُدركًا دقائق المُؤَامَرة التي أسلمته لِمُلِمَّتِهِ، مع عدم تحقُّق مُعِينات تلقِّي الصَّدْمة على نحو الاستيعاب، الذي يتجسَّد تاليًا بقرار النَّفْس وَسُكُون الرُّوح.

وَيُشكِّل الشَّاعِر الصُّورَة على نحوٍ مُتَّصِلٍ بالمَجَاز، وَفيها "**هَنْدَسَةٌ ثُلاثِيُّ شَهْوَةِ الْفِئَةِ الْجَدِيدَةِ**"، وَما من عمادٍ أقوى بيانًا مِمَّا سبق؛ في التَّأكيد على حُلُول النِّظَام البَيْرُوتِيِّ الجَدِيد، وفق شهوات الفِئَة الجَدِيدة، التي لم تخل من وجه شُبْهَةٍ بصلةٍ سريَّةٍ أو علنيَّةٍ، مع الكيان الغَاصِب.

وَ"**لِلطُّحْلُبِ**" في عالم السِّيَاسَة فعلٌ مُتجسِّدٌ "**بَيْنَ الْمَدِّ وَالْجَزْرِ**"، وَعندما يتحقَّق "**الْمَدُّ**" فستظهر صورة "**النِّفَايَاتِ التِي طَارَتْ مِنَ الطَّبَقَات نحو العَرْش ...**"، وَليس من تَصادُمٍ ضمنيٍّ، مع النِّظَام السُّلْطويِّ الجديد، أكثر تجلِّيًا من هذا، الذي قرأنا فيه مزيد العِقَاب، وَفيه بيان "**الهَنْدَسَة**" الواردة سابقًا؛ فهي جامعةٌ "**لِلتَّحَلُّلِ وَالتَّشَكُّلِ**"؛ مِمَّا يعني تفكيك الجُغْرافيا السِّياسيَّة اللُّبنانيَّة؛ لإعادة تشكيلها وفق رُؤْية الأسياد الجُدُد، مع "**اخْتِلاط السَّائِرِين عَلَى الرَّصِيف عَشِيَّة الزِّلْزَال ...**"؛ وَللاختلاط أن يُدلِّل لنا ــ وفق النَّتائِج السَّابِقة ــ على تَمازُج قوى الخَلاص مع عُيُون الأنظمة السِّياسيَّة في شارعٍ واحدٍ، شهد زلزلة السَّاعَة بكربها العَظِيم.

وَقد بدا ما سبق؛ تَقْدِمَةً لما سيتلو من بيان الواقع السِّياسيِّ، برُؤْية السُّلْطة الاقتصاديَّة، في رمزيَّةٍ أَلِفْنَا فيها استقطاب مَحْمُود دَرْويش تَغْليف السُّلْطة بأخرى؛ كي يستقيم له التَّعْبير عن رأيه بحُرِّيَّةٍ من لا حُرِّيَّةَ له، مُستهلاً البَيَان بـ"**دَارَتْ وَاسْتَدَارَتْ**"، ليأتي تاليًا فِعْل "**الْهَنْدَسَةِ**" وفق "**الخُطُوط العَالَميَّة**"، الآتية إلى "**السُّوق الجَدِيدَة**".

إنَّها "بَيْرُوت"، وفيها من ملامح الاقتصاد، أظهر دلالات النِّخَاسَة لِبني البشر؛ مع رَدِّ الفِعْل وَأثره إلى الضِّدِّ العالميِّ، الذي شكَّل خرائطها وفق الرَّغبات الاقتصاديَّة / السِّياسيَّة الجَدِيدة، لِـ"**يُشْتَرَى وَيُبَاع. يَعْلُو ثُمَّ يَهْبط مثل أسْعَار الدُّولار، وَأونْصَةِ الذَّهَب التي تَعْلُو وَتَهْبط وفق أسْعَار الدَّمِ الشَّرْقيِّ**".

وَهنا تتجسَّد الرَّغبة الثَّقافيَّة، في قراءة الواقع السِّياسيِّ، المُـؤثِّر فـي منحـى الاقتـصاد، باستجلاب الحُرُوب إلى مناطق التِّجَارَة؛ كيما تخدم مصالح القوى العالميَّة الظَّاهِرة، وفق عُلُـوِّ أسعار الدُّولار وَالذَّهَب وَهُبُوطهما؛ بناءً على مُنجَزَات المعركة على الأرض، وَمقـدار هبـوط أسعار الدَّم الشَّرْقِيِّ إلى الدُّون، التي بها يصَّعد الصَّهاينة وَراعيهم الأمريكـيُّ، إلـى الـصَّدَارَة الاقتصاديَّة، هذا كلُّه في وجهٍ واحدٍ من القراءة.

أمَّا الوجه الآخر للتَّأويل؛ فمُشتمِلٌ بأستار الرَّمْزِيَّة، على نحوٍ يجعل من الدَّم الشَّرْقِيِّ شـبيها في ميزان السَّاسَة بأسعار الدُّولار وَالذَّهَب عُلُوًّا وَهُبُوطًا، وَإن كان الشَّاعِر قد أسـلم الـصُّورَة ضمنيًّا إلى الدُّون؛ فقد علا المُتآمِرون وَعَتَوْا عُتُوًّا كبيرًا.

حينها يصرخ الشَّاعِر بصدق الانتماء إلى "بَيْرُوت" في زمنها المَجِيد: "**لا ... بَيْرُوت بوصلَةُ المُحَارِب ...**"، ثُمَّ يُبرِّر للقِيَادة الفلسطينيَّة قبولها التَّسْليم بواقع الجَلاء، بقوله: "**تَأخُذُ الأوْلاد نحـو البَحْر كَيْ يَثِقُوا بِنَـا ...**"؛ وَالثِّقَة هنا مُؤشِّرٌ على مُجَامَلة الثَّقافيِّ للسِّياسيِّ، وَتبعيَّةٌ جزئيَّةٌ مُوجَّهةٌ له، التمست لخُرُوجه مُبرِّر ثِقَةِ أبناء الثَّوْرة في الرُّؤْية القِيَاديَّة، المُضطلِعة بواجب حِمَاية مشروع النِّضَال الفلسطينيِّ.

ثُمَّ يكون للشَّاعِر أن يقرأ صورة الوضع اللُّبنانيِّ برمَّته؛ إذ إنَّ الأرْض وَالـسَّمَاء وَالجِبَـال وَالوِهَاد، حتَّى "**صَوْت فَيْرُوز**"، وُزِّعَتْ جميعًا "**بِالتَّسَاوِي بَيْنَ طَائِفَتَيْن**": مسلمةٍ وَمسيحيَّةٍ، وَهـو واقع يرشد المُثقَّف إلى "**مَا يَجْعَلُ الأعْدَاءَ عَائِلَةً**"؛ ذلك أنَّ لُبْنَانَ انْتِظَارٌ "**بَيْنَ مَرْحَلَتَيْنِ مِنْ تَارِيخِنَا الدَّمَوِيِّ**"؛ في إشارةٍ واضحةٍ إلى الحَرْب الأهليَّة، ثُمَّ حِصَار "بَيْرُوت"، المـسبوق بمـذابح تَـلِّ الزَّعْتَر وَصَبْرَا وَشَاتِيلا.

هكذا بدا دَرْوِيش مُحتفِيًا بِالسُّلْطة الاقتصاديَّة؛ لتأكيد دلالـةٍ معنويَّـةٍ، اسـتجلبتها الـسُّلْطة السِّياسيَّة، وفق هَنْدَسة الشَّكْل الجَدِيد لِـ"بَيْرُوت"، القائم على صُعُود الأعداء؛ بِهُبُوط أسعار دِمَاء الأولياء، في رُؤْيَةٍ لا تخلو من قَدْحٍ مُبطَّن للقِيَادة اللُّبنانيَّة، وَمُجامَلةٍ مُبرَّرة للقِيَادة الفلسطينيَّة.

وَيُظْهِرُ دَرْوِيش أسلحته النَّقْديَّة، في رُؤَاه الثَّقافيَّة، التي لم تخـل مـن حُـضُور الـسُّلْطة الاقتصاديَّة، في قَصِيدة "**خُطْبَةِ "الْهِنْدِيِّ الأحْمَر" ــ مَا قَبْلَ الأخِيرَةِ ــ أمَامَ الرَّجُلِ الأبْيَضِ**"، مـن مَجْمُوعَة "**أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، وَفيها النَّقْد وَالإيقَاظ الكاشف في أعلى تجلِّياته؛ إذ تُمثِّل المَجْمُوعَـة قراءةً لِفُصُول السُّقُوط الأخِيرة، تناصًّا مع التَّارِيخ، في ذِكْرى الوُقُـوف "**عَلَـى آخِـرِ الْمَـشْهَدِ الأنْدَلُسِيِّ**"([1]).

[1]) للاطِّلاع على دلالات المَجْمُوعَة، في تَحوُّلات الشِّعْر المُقَاوِم، يُنظَر: الشَّنْطِي، أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ــ عَلَى آخِـرِ الْمَشْهَدِ الأنْدَلُسِيِّ، ص٨١٥ ــ ٨٤٧.

وَلَقد أكَّد العنوان الفرعيُّ رَحِيل الثَّوْرة عن مبادئها، التي رُدِّدَتْ في كُلِّ محفلٍ وَمُقَامٍ، من خلال استدعاء "أمجاد الأندلس وَمأساته، إلى واقعه، فاستنطقها وَاستوعب دُرُوبها، وَاستلهمها بصدقٍ، في كتاباته، كما لم يستلهم أيَّة مأساةٍ أخرى، حتَّى إنَّه أفصح، في أكثر من مناسبةٍ، أنَّه على هذه الحالة النَّفْسيَّة، من عمق التَّجربة في الإبداع، ما دام صدق المُعَانَاة هو مبعث العمل الفَنِّيِّ وَسنده"([١]).

أمَّا العنوان الرَّئيسيُّ؛ فكان له التَّناصُّ الدَّاخليُّ، مع قَصِيدة "**أنَا يُوسُفُ يَا أبِي**"([٢])؛ وَلعلَّه تناصٌّ استرجاعيٌّ مقصودٌ؛ من جهة تحميل العرب مسؤوليَّة التَّوجُّه إلى موائد السَّلام، على نهجٍ مُشْتَمِلٍ بالاستسلام([٣]).

وَقد احتشدت المَجْمُوعَة على وجه العُمُوم، بجمعيَّة التَّوْظيف الضَّميريِّ لِـ"نَحْنُ"؛ وَفيها دلالة سُقُوط حِلْفِ الثَّوْرة، وَبُرُوز حِلْفِ التَّسْوية؛ لأنَّه ما فتئ ينقد وَيُراجِع، وَيُقرِّع ذاته الملتحمة بالإطار الجَمْعيِّ الفلسطينيِّ، في سياق السُّلْطتَيْن الاجتماعيَّة وَالسِّياسيَّة.

أمَّا "**خُطْبَةُ الْهِنْدِيِّ الأحْمَرِ ــ مَا قَبْلَ الأخِيرَةِ ــ أمَامَ الرَّجُلِ الأبْيَضِ**"، فواقعةٌ في السِّيَاق الذي سبق التَّسْوية النِّهائيَّة، في عهد (أوسْلو)، المفرغ من أيَّة قيمةٍ للعُهُود، وَالمُوقَّع في (١٣ سِبتمْبر/ أيلُول، من سنة ١٩٩٣)م؛ وَهي على ذلك لم تخل من تقنيتي التَّناصِّ وَالقِنَاع، على مُستَوى الحالة الأمريكيَّة، في استلاب حُقُوق "**الهُنُود الحُمْر**" الشَّرعيَّة، في أرض آبائهم وَأجدادهم؛ فكان الحدث برمَّته استدعاءً لحُكْم التَّاريخ الصَّادِق، وَكان الأعداء / الأصدقاء هنديًّا مسلوب الأرض وَالفِكْر وَالمُعتَقد، وَرجلاً أبيض مُغتصِبًا للأرض، سارقًا للتَّاريخ، مُرِيقًا لِدماء الأبرياء بغير وجه حَقٍّ.

وَلنا أن نقرأ المقطع السَّادِس من الخُطْبة، وَفيه بيان حالة الدِّفَاع الأخيرة، بلغةٍ جَمْعِيَّةٍ مُعبِّرةٍ عن السِّيَاق الاجتماعيِّ، مقرونة بالسُّلْطة الاقتصاديَّة على نحو الإشارة العَابِرة، حيث يقول دَرْوِيش([٤]):

٦ ــ

سَيَمْضِي زَمَانٌ طَوِيلٌ لِيُصْبِحَ حَاضِرُنَا مَاضِيًا مِثْلَنَا

---

[1]) الجعيدي، د. مُحمَّد عبد الله، (٢٠٠٢م)، **أعِنْدَكُمْ نَبَأٌ ؟ اسْتِدْعَاءُ الأنْدَلُس ــ الأدَبُ الفِلَسْطِينِيُّ الحَدِيثُ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الهَادِي للطِّبَاعة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٧٤.

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ١٥٩.

[3]) حَوْل السَّلام بصيغته الجَدِيدة، التي تُوَائِمُ رَغَائِبَ المُحتَلِّ، يُنظَر:

Cattan, Henry, (June1971), **The Palestine problem in a nutshell**, (without ed), Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center, p27, 28, (Peace Without Justice); p28, 29, (A New Formula for Peace).

[4]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٣٠٦، ٣٠٧.

سَنَمْضِي إِلَى حَتْفِنَا، أَوَّلاً، سَنُدَافِعُ عَنْ شَجَرٍ نَرْتَدِيه
وَعَنْ جَرَسِ اللَّيْلِ، عَنْ قَمَرٍ، فَوْقَ أَكْوَاخِنَا نَشْتَهِيه
وَعَنْ طَيْشِ غِزْلانِنَا سَنُدَافِعُ، عَنْ طِينِ فَخَّارِنَا سَنُدَافِعُ
وَعَنْ رِيشِنَا فِي جَنَاحِ الأَغَانِي الأَخِيرَةِ. عَمَّا قَلِيل
تُقِيمُونَ عَالَمَكُمْ فَوْقَ عَالَمِنَا: مِنْ مَقَابِرِنَا تَفْتَحُونَ الطَّرِيق
إِلَى الْقَمَرِ الاصْطِنَاعِيِّ. هَذَا زَمَانُ الصِّنَاعات. هَذَا
زَمَانُ الْمَعَادِنِ، مِنْ قِطْعَةِ الْفَحْمِ تَبْزُغُ شَمْبَانيَا الأَقوِيَاءْ ...

لقد أضحى الخِطَاب مُلتئِمًا بالتَّشاؤُم، في وجهةٍ نزعت إلى التَّوْصيف المُـدَّغِم مـع النَّقْـد الضِّمْنِيِّ للذَّات / الجمَاعة، من خلال قول الشَّاعِر: "**سَيَمْضِي زَمَانٌ طَوِيلٌ لِيُصْبحَ حَاضِرُنَا مَاضِيًا مِثْلَنَا، سَنَمْضِي إِلَى حَتْفِنَا**"؛ مِمَّا يعني تأسيسه لانتفاء الزَّمَن الحَاضِر من الحِقْبة الثَّوْرِيَّة، باستباق مُضِيِّهِ، كما مضت من الثَّوْرة أحلامها وَآمالها الزَّكيَّة، على سبيل الاستقبال المُعـضَّد باعتـداد المُثقَّف، بالكشف المستقبليِّ لِمَصِير القضيَّة.

وَأن يمضي الخِطَاب على جهة الدِّفَاع بوجه الاستقبال، "**سَنُدَافِعُ**"، مُكَرَّرًا ثلاث مَرَّاتٍ؛ فهو الذي يمكن تفسيره في ضوء مُقَاوَمة سائر مشاريع النُّكُوص، عن حقيقة الْحَقِّ إلى زَيْفِ التَّنازُل، إلا أن يُحْكَمَ التَّمعُّن في مُؤسَّسات نقل الخِطَاب إلى نقيضه الضِّدِّ، من التزام الدُّون، في التَّـسْليم بإرادة السَّاسَة، وَقد عزموا أمرهم غير آبهين بأنظار المُثقَّف الاستقباليَّة؛ ذلك أنَّ الـشَّاعِر بـدا مُنشغِلاً بالدِّفَاع عن فروعٍ لا ترقى إلى خطر الأصُول، بقوله: "**سَنُدَافِعُ عَنْ شَجَرٍ نَرْتَدِيهِ، وَعَنْ جَرَسِ اللَّيْلِ، عَنْ قَمَرٍ، فَوْقَ أَكْوَاخِنَا نَشْتَهِيهِ**"، دون الاستبسال في الدِّفَاع عن أصـل الأُمُومـة الوطنيَّة، وَهو الذي يمكن أن يُستَجلى بمقابلة شعر دَرْوِيش بعضه ببعضٍ، في مرحلتي التَّـسْوية وَما قبلها.

ثُمَّ إنَّ الشَّاعِر سيدافع عن "**طَيْش الغِزْلان**"، التي ألهمته صوابيَّة الهَدَف السَّامِي للمُقَاوَمَة، في زمن الثَّوْرة التَّلِيد، برمزيَّتها للأُمُومة الكونيَّة، إلا أنَّها اتَّسمت بالطَّيْش في التَّرْكيـب الإضـافيِّ، الذي يُمثِّل حالةً طارئةً على تاريخ الثَّوْرة الفلسطينيَّة، وَهو كذلكم سيدافع عن "**طِين الفَخَّار**"، وَهل كان الطِّين إلا صخرةً أو أرضًا راسخةً في تصوير الشِّعْر، وَصُمُود الثُّوَّار على الثَّغْر؛ أما وقـد استحالت الأرض بصخرها الصَّلْد في مَحَاجِر "**الهُوِيَّة**" طِينًا؛ فإنَّ للثَّوْرة أن تمضي إلى الفَنَـاء، وَقد ابتنت على الطِّين وطنًا بغير مُؤسَّسات السِّيَادَة وَالدَّوْلة.

وَتدلُّ رَخَاوَة الصُّورَة هنا؛ على رَخَاوَة المُفَاوِض الفلسطينيِّ، وَقبوله بـإملاءات السَّادَة النُّجُبِ !! وَحينها يغدو المُثقَّف ناطقًا باسم جَمْع الثَّائِرين: "**سَنُدَافِعُ عَنْ رِيشِنَا فِي جَنَاحِ الأَغَانِي الأَخِيرَةِ**"؛ وَإنَّها حَقًّا لأغانيه الأخيرة، التي اشتملت على ومضات الإحساس بالهمِّ النِّضَاليِّ وَالوَطَنيِّ وَالقَوْميِّ؛ أَمَّا ما تلا ذلك؛ فَمُسَاجَلاتٌ بين الذَّات / دَرْوِيش، وَالذَّات / المُنظَّمة، لا تخلو من التَّقْريع وَالنَّدَم وَالاغْتِرَاب.

وَ"**عَمَّا قَلِيلٍ**"؛ سيتَّخذ دَرْوِيش من العالم الجَدِيد، وليجة خِطَابه المعتلق بالاقتصاد إشاريًّا؛ ليقول: "**تُقِيمُونَ عَالَمَكُمْ فَوْقَ عَالَمِنَا**"؛ مِمَّا يعني أَنَّ شَرْعَنَة الاحتلال بوهم السَّلام؛ أنكى من الاحتلال في واقع حقب المُقَاوَمة، حينها سيبنون على أشلاء الدَّوْلة الممنوحة على مَضَضٍ، دعائم دولتهم القويَّة، وَقد آن للاستيطان أن يُطوِّق زحف المُدُن الفلسطينيَّة، وَآن لنا أن نحمي أمننا بأمان شرذمةٍ مُستَقدمةٍ من ملفوظ حُثَالات شُعُوب الدُّنْيا؛ ليكون الفلسطينيُّ حارسًا أمينًا لدولةٍ غير أمينةٍ على روحه، وَقد أحدثت في الشَّعْب مقاتل عظيمةً، عقب سلامٍ أثقل مُعجَم العربيَّة، بتأويلاته الاشتقاقيَّة، قبل أن يجثم على العُرُوبة بهيمنته المُطلَقة.

وَلِكُنْهِ هذا العالم فلسفته الخاصَّة، وفق رؤية الشَّاعِر، حيث يقول: "**مِنْ مَقَابِرِنَا تَفْتَحُونَ الطَّرِيقَ إِلَى الْقَمَرِ الاصْطِنَاعِيِّ**"؛ في إشارةٍ إلى الفوقيَّة المعرفيَّة؛ فهذا "**زَمَانُ الصِّنَاعَاتِ. هَذَا زَمَانُ الْمَعَادِنِ، مِنْ قِطْعَةِ الْفَحْمِ تَبْزُغُ شَمْبَانيَا الأَقْوِيَاءِ** ...".

وَدَرْوِيش إذ يلج بالصُّورَة كلِّها إلى عالم الاقتصاد؛ فهو يصدر عن وعيٍ مُطْلَقٍ، بقرارة ما يُؤكِّده في تكرير الوجه الإشاري إلى الزَّمَان، مُضافًا إلى "**الصِّنَاعَات**" وَ"**المَعَادِن**"؛ مُعمِّقًا في الضِّمْن استلاب العدوِّ مُقدَّرات الاقتصاد الفلسطينيِّ، فضلاً عن "**المَقَابِر**" / الأَرْض، وَقد غدت فلسطين كلُّها مقابر للأحياء السَّابِقين الأموات إلى قتلٍ يوميٍّ مُهينٍ.

أَمَّا "**الفَحْم**"؛ فَمُؤشِّر الكَدْح وَالكَادِحين، وَمنه يستلُّ الأقوياء دفء رغيد العيش، مُحتفِلين بفوقيَّة الطَّبَقة الْعَلِيَّةِ، وَهم الذين اختِيرُوا "**شَعْبَ**" الله دون شُعُوب الدُّنْيا، وَنسوا "**تِيهًا**" اختُصُّوا به في العالمين؛ جزاءً نكالاً بسوء ما كسبت أيديهم؛ ليُدخِلوا العالم في متاهات: الانتقام العبثيِّ، وَالفوضى الأخلاقيَّة، وَالسَّيْطرة الاقتصاديَّة، وَاستنزاف طاقات الكَادِحين من شُعُوب الأرض.

وَليكن ما تبدَّى من الاقتصاد صورةً مُمَهِّدَةً بِالسِّيَاسَة؛ لتُعبِّر بكُلِّيَّتها عن لُبِّهَا، المُتضمِّن سيادة المُحتلِّ على الأرض، بما احتضنت من ثمين معادنها، وجميعها نَهْبٌ لمن انتهب من قبل تاريخ الحَضَارَة، في منطقة لفظتهم إلى عبث "**التِّيهِ**" في الصَّحْراء.

إنَّ ما ظهر لنا في النِّطَاق الاقتصاديِّ، لِسُلْطة النَّقْد وَالذَّهَب؛ لجديرٌ أن يُفْهَمَ في نتاج دَرْوِيش الأدبيِّ، على أنَّهُ قراءةٌ مُعمَّقةٌ للواقع السِّياسيِّ، على ندرة حضوره، وفق وظائف الأدَب، المُكرِّسة قيم: الإيقَاظ النَّقْديِّ، وَالاستبصار الكَشْفيِّ، وَالتَّنبُّؤ الاستقباليِّ.

وكَان لنا أن نقف على أنموذجَيْن حقيقَيْن بالإبانة؛ استجلينا في أوَّلهما أثر الحِصَار البَيْرُوتِيِّ، في تكوين ملامح صورة الاقتصاد بالهَنْدَسة الجَدِيدة، من لدن أُولِي النِّظَام العالميِّ الجَدِيد([1])، وَأدعيائهم في المنطقة العربيَّة؛ وَاستنطقنا في ثانيهما ملامح النَّهْب الصُّهيونيِّ لِمُقوِّمات اقتصاد السُّلْطة النَّاشِئة، المُتمخِّضة عن قناعة الرِّضَا بقليل الأرض، في (أوسلُو).

---

[1]) في تأثير النِّظَام العالميِّ الجَدِيد، على النِّظَام العربيِّ، يُنظر: الرّشدَان، عبد الفَتَّاح، (١٩٩٣م)، النِّظَامُ الدَّوْلِيُّ الْجَدِيدُ وَتَأْثِيرُهُ عَلَى النِّظَامِ الْعَرَبِيِّ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ٩(١)، ص٩٥ ـ ١١٦.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

أطَّر مَحْمُود دَرْوِيش، من خلال تصوير ملامح السُّلْطة المعرفيَّة للآخَر، لنمطَيْن اثنَيْن؛ كرَّسا حضور الآخر المَثِيل، وَضدِّه الدَّخِيل، وَعبَّرت إطلالته على النِّطَاقات المعرفيَّة تعاليه في هذا المجال؛ إذ المعرفيُّون داخلون في نطاق حِكْمته الشِّعْريَّة، فكرةً أو مضمونًا، من خلال مُعالَجته أبرز القضايا النَّقْديَّة، مع تصويره ملامح الآخر المعرفيِّ في تبدِّيه الضِّدِّيِّ.

وَحتَّى نقف على لُبِّ الصُّورَة المعرفيَّة لِسُلْطة الآخَر؛ حَقَّ لنا استظهار "**الْكَلِمَةِ**"، الكائنة في مَجْمُوعَة "**أوْرَاق الزَّيْتُون**"، الصَّادِرة سنة (١٩٦٤)م، وَفيها يقول(1):

الشَّاعِر العربيُّ محرومٌ
دمُ الصَّحْراء يغلي في نشيدِهْ
وَقوافل الشَّوق العِطَاشْ
أبدًا تُسافِر في حُدُودِهْ
وَالحلوة السَّمْراء في صدف البحَار !

الشَّاعِر العربيُّ محرومٌ
تعوَّد أن يموت بسيف صمتهْ
أَلْقِيَ على عينَيْه كُلُّ السِّرّ
قال: غدًا ستفهمها عيوني
وَأنَا تركت لك الكلام على عيوني
لَكِنْ, أظنُّكِ ما فهمتِ !

استهلَّ دَرْوِيش خِطَابه السَّابق بالتَّقْرير التَّوْصيفيِّ، لواقع الشَّاعِر العربيِّ، وَهو أحدهم؛ فشاعر العُرُوبة أينما ذهب "**مَحْرُومٌ**"، وَللحِرْمان أن يتصدَّر مقطعي القَصِيدة، على نحوٍ يبين عناية الشَّاعِر به، بوصفه حقيقةً راسخةً كاشفة للوَاقِع.

وَينقلنا المقطع الأول إلى نطاق هذا الحِرْمان؛ فَـ"**دَمُ الصَّحْرَاءِ يَغْلِي فِي نَشِيدِهِ**"، وَ"**قوَافِلُ الشَّوق الْعِطَاشِ أَبَدًا تُسَافِرُ عَلَى حُدُودِهِ**"، وَ"**الْحُلْوَةُ السَّمْرَاءُ فِي صَدَفِ الْبَحْر**"؛ لتُعبِّر هذه التَّراكيب عن مُجمَل القُيُود المُستلِبة حُرِّيَّته، وَفيها انتفاء الجَأْر بحقائق القضيَّة، فضلاً عن كشف

---

(1) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٥٦.

مفاصلها الحَاسِمة، حتَّى إنَّ "**دَمَ الصَّحْرَاءِ**"، المُتمثِّل في جراحات الرَّحِيل إلى المَنَافِي، لم تزل حركة غليانه تشهد ببيان وجه الْحَقِّ في الظَّاهِرة وَحُلُولها، دون جرأةٍ ظاهرةٍ، كما أنَّ "**قَوَافِلَ النُّوق**" بدت مسافرةً في "**حُدُودِهِ**"، وَهي المُتعطِّشة إلى الحقيقة الكائنة في الشِّعْر، تلك التي سافرت في مضمونه، على سبيل التَّلميح لا التَّصْريح؛ أمَّا "**الْحُلْوَةُ السَّمْرَاءُ**" / الأرض، ربَّة الشُّعُوب القديمة؛ فهي المُختبئة في "**صَدَفِ الْبِحَارِ**"، ولم يكشف لنا الشَّاعِر في قصيدته عن مطامحه العُلْيا.

إنَّ ما يُبيحُ لنا قراءة المقطع الأول على هذا الوجه، إقرار دَرْوِيش أنَّ الشَّاعِر العربيَّ قد "**تَعَوَّدَ أَنْ يَمُوتَ بِسَيْفِ صَمْتِهِ**"، وَقد "**أَلْقَى عَلَى عَيْنَيْهِ كُلَّ السِّرِّ**"؛ فهو غير قادر على البَوْح بما يجول في دواخله، وإلا فيمكن قراءة المقطع نفسه، في صورةٍ معتلقةٍ بالشَّاعِر العربيِّ، على وجه البحث في "**الصَّحَارَي**"، بـ"**النُّوق الْعِطَاشِ**"، عن الأُمُومة الكونيَّة، المُخبَّأة في "**صَدَفِ الْبِحَارِ**"؛ مِمَّا يعني أنَّه محرومٌ من الاتِّحاد بامرأته المِثَاليَّة.

وَهذا استدعاءٌ حكيمٌ لصورة الرَّحِيل في الشِّعْر الجاهليِّ، على سبيل قطع المَهَالِك وَالقِفَار؛ التماسًا لركب الأُمُومة الرَّاحِل؛ أمَّا "**الْحُلْوَةُ السَّمْرَاءُ**"؛ فكانت دُرَّةً في شعر امرئ القَيْس، وهي واقعةٌ يحفظها، داخل الصَّدَفة البحريَّة، في نطاقِ "**غَيْرِ مُحَلَّلِ**"، وَفي ذلك يقول([١]):

كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ

وَيقول الشَّاعِر العربيُّ في إثر إلقاء السِّرِّ على عينَيْه: "**غَدًا سَتَفْهَمُهَا عُيُونِي، وَأَنَا تَرَكْت لك الْكَلامَ عَلَى عُيُونِي، لَكِن، أَظُنُّكِ مَا فَهِمْتِ !**"؛ ليُدلِّل على استحالة هذا "**السِّرِّ**" إلى أسرارٍ، في ظِلِّ معهود القَمْع العربيِّ؛ وَليكون "**الْغَدُ**" مجالاً زمنيًّا قابلاً للإيحاء بما ستفهمه العُيُون، وَالإيحاء الكامن في الشِّعْر بعد ذلك بانتفاء الفَهْم؛ مُؤكِّدًا على الحِرْمان بعدم تحقُّق الرِّسَالة، للأُمُومة الكونيَّة الخَالِدة، ممثَّلة في الأَرْض / الوَطَن.

وَلعلَّ في اللَّوْحة إسقاطًا للحالة الشِّعْريَّة العربيَّة القَدِيمة، المُتجسِّدة أبدًا في صورة الحِرْمان من لقاء الحبيب، على حالة الشَّاعِر المُعاصِر، لا سيَّما المنضوي تحت راية المُقَاوَمَة، في حرمان التَّواصُل مع الأُمُومة / الأَرْض، على نحوٍ يُجسِّد الالتحام في الشِّعْر وَالوَاقِع؛ وَهو ما استحال إلى صورةٍ منفيَّةٍ من خِطَابه؛ لكثرة سِيَاطِ الرَّقَابة المسلطة على رقاب المُصرِّحين بالحُرِّيَّة.

---

[1]) امرؤ القَيْس، **الدِّيوَانُ**، ص٤٣.

وَقَرِيب مِمَّا جاء في القَصِيدَة السَّابِقة، اتَّحَاد دَرْوِيش مع المعــرفيِّين الفلــسطينيِّين؛ لإبانــة الاضطهاد الذي طال الكلمة، في رحاب الأرض المحتلَّة، من لدن الغاصب الصُّهيونيِّ، فقال في قَصِيدَة "**أغنية ليست خضراء من بلادي**"، من مَجْمُوعَة "**عصافير بلا أجنحة**"([1]):

في بلادي ...

مقبرات النُّور وَالنُّوَّار

ينبوع الحداد

حرفنا مضطهد الألوان،

مغلولاً ينادي !

خنقوه ! عصروا منه لهيبه

جرَّدوه من إطارات العُذُوبة

ضغطوه فاحترق !

وَانفلق !

...

وَإذا كانت عناية الشَّاعِر مُنصَبَّةً ــ فيما خلا ذكره ــ على المُلقِي، فإنَّ للمُتلقِّــي حــضورًا مُهمًّا في "**حَالَة حِصَار**"، التي جسَّدت الفوضويَّة المشهديَّة؛ تبعًا لعبثيَّة المَشْهد اليوميِّ الجاري في الأرض المُحتلَّة، وَفي ذلك يقول الشَّاعِر([2]):

[إلى قارئ:] لا تثقْ بالقصيدةِ،

بِنْتِ الغِيَاب،

فلا هِيَ حَدْسٌ

ولا هِيَ فِكْرٌ

ولَكنَّها حاسَّة الهاويةٌ

□

الكتابة جَرْوٌ صغيرٌ يَعَضُّ الْعَدَمْ

الكتابة تجرحُ من دون دَمْ

---

[1]) دَرْوِيش، **عَصَافِيرُ بِلا أجْنِحَةٍ**، ص٤٣.
[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٢٥١.

وَللوُضُوح أن يتجلّى في مُستهلِّ المقطع، بتوجُّه الشّاعِر المُثقّف نحو الآخَر المعرفيِّ؛ بوصفه قارئًا للشِّعْر، على اختلاف غايات القراءة، ومنها القراءة النّاقِدة المُتبصِّرة في ومضاته الكاشفة، وَهذه إحدى أهَمِّ إضاءَات دَرْويش في زمن النّقي داخل جُدْران الوَطَن؛ إذ الطّلب المقرون بالنّهي، مُرَاده القَارئ، في دعوته إيّاه إلى عدم الثّقَة بالقَصيدة: "**لا تَثِقْ بِالْقَصِيدَةِ**".

ذلك أنَّ النَّصَّ الشِّعْريَّ "نسيجٌ يتكوَّن من خُيُوط المرجعيَّة التّاريخيَّة وَالمُمَارَسات الاجتماعيَّة وَالدَّلالات اللُّغويَّة. النَّصُّ نسيجٌ مُتداخِلٌ، يدفع إلى شبكاته القَارئ، الذي هو جزءٌ من النَّسيج الاجتماعيِّ؛ ليُساهِم بقراءَته في تأويل ما سكت عنه النَّصُّ"([١]).

لقد تجلّت في الخِطَاب؛ قصديَّة الشّاعِر إلى ما توارى خلف أستار النَّصِّ، وَعندما "يصمت النَّصُّ، وَتلتفُّ خُيُوطه على نسيجها، هنا يشرع القَارئ في تأوُّل ما سكت عنه "النَّصُّ". إنَّ اللامنظور وَاللاعيني، سوف يتجلّى بفعل الحُضُور المُفتَرض للقَارئ، وَفاعليَّة القَارئ وَالمَقْرُوء"([٢]).

ولَم يكن الخِطَاب خِلْوًا من التَّوْصيف اللاحق؛ باعتباره تفسيرًا لِكُنْهِ هذه القَصيدة، وَهي "**بِنْتُ الْغِيَابِ**"؛ وَيبين التَّرْكيب السَّابق عن موقفٍ ثقافيٍّ سياسيٍّ، من المرحلة التي رافقت عمليَّة الإبداع الشِّعْريِّ؛ فالغِيَاب مقروءٌ على غير وجهٍ، قد تلتقي جميعها في مظنَّة الأدِيب من خِطَابه، وَقد يكون على إلفٍ مع أحد هاتيك الوُجُوه.

وَهي ثلاثة وجوهٍ، في منظور اجتهادنا؛ أمَّا الأوَّل؛ فمُؤشِّرٌ على غِيَاب الأحلام النَّبيلة، لِمَسيرة الثَّوْرة الماضية، في حِقَبِ الزَّمَن البَائِدة؛ وَأمَّا الثَّاني؛ فدلالة الغِيَاب عن الوَطَن في دَاخِله؛ وَأمَّا الثّالِث؛ ففيه معنى غِيَاب دَرْويش عن ذاته الأولى، المُلتئِمة بالهمِّ الجَمْعيِّ الفلسطينيِّ؛ وَللغِيَاب في جميعها أن يكون مدعاةً لمرارة الأسى التي شملت الخِطَاب بِكُلِّيَّتِهِ.

وَيعود الشّاعِر تاليًا لبيانٍ ثانٍ حول القَصيدة، غير الموثوق بها، تلك التي اتَّسمت بكينونتها في نطاق الغِيَاب؛ "**فَلا هِيَ حَدْسٌ، وَلا هِيَ فِكْرٌ** ..."؛ وَ"**الحَدْس**" داخلٌ في حَيِّز صَادِق الإحساس الدَّاخليِّ للشّاعِر، الذي قال في قصيدته "**عَلَى مَحَطَّةِ قِطَارٍ سَقَطَ عَنِ الْخَرِيطَةِ**": "**كُلُّ مَا فِي الأَمْرِ أَنِّي لا أُصَدِّقُ غَيْرَ حَدْسِي**"([٣]).

---

[1]) باعشن، لمْيَاء، (مارس٢٠٠١م)، نَظَريَّاتٌ فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩)، ص١٢٢.

[2]) عيد، رَجَاء، (ديسمْبر١٩٩٨م)، مَا وَرَاءَ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٨(٣٠)، ص١٨٠؛ وَيُنظَر في سُلْطتي القَارئ وَالنَّصِّ: التَّميمِيّ، عَزيز، (يُوليُو٢٠٠٣م)، **مَنْظُومَةُ الْقِرَاءَةِ ــ دِرَاسَاتٌ وَقِرَاءَاتٌ نَقْدِيَّةٌ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص٨ ــ ١٢، (٢ ــ سُلْطة القَارئ)؛ ص١٣ ــ ١٧، (٣ ــ سُلْطة النَّصِّ).

[3]) دَرْويش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ**، ص٣٤.

وَللشَّاعِر المُثقَّف أن يُعْمِلَ أحاسيسه في نطاق الشِّعْر؛ ليتجلَّى وفق صبغته الذَّاتيَّة؛ أسلوبًا وَمضمونًا ورِسَالةً؛ أمَّا أن تكون القَصِيدة خاليةً من هذا "**الحَدْس**"؛ فدلالةٌ أكيدةٌ على عدم صدقيَّة القَصِيدة؛ وَبالتَّالِي انتفاء الثِّقَة بها.

وَهي بانضوائها تحت مرحلة السِّلْم؛ لتُرسِّخ تأكيد عدم الموثوقيَّة بالتَّقي؛ لتلج سياق التَّوْضيح المباشر، الذي يكشف عن موقف المُثقَّف من ذاته وَمن مُنظَّمته وَمن المرحلة، وَفيها الاستهلال بالاستدراك على وجهة قوله: "**وَلَكنَّهَا حَاسَّةُ الْهَاوِيَةِ**"؛ فقد ارتأى حَدْس الشَّاعِر في القَصِيدة المُجلَّلة بِكُلِّ صُوَر المَوْت وَالحِصَار انحدارًا أكيدًا نحو "**الهَاوِية**"، التي بدت في سياق التَّعْبير الشِّعْريِّ، مُتحقِّقة الحُضُور في الواقع؛ فقد هوى الشَّاعِر بتسليمه السِّياسيَّ دقَّة الحُكْم، دون احتكامٍ إلى النَّقْد الصَّرِيح الوَاضِح، كما هَوَتْ المُنظَّمة باعترافها بالكَيَان الذي غصب الأرض، وَاغتصب العِرْض، وَخاض في دماء القتلى بسلاح السَّيِّد الأَبْيَض.

حينها يُعْنَى الشَّاعِر بتوضيح المَفْهوم، من خلال التَّصْوير الفَنِّيِّ، الذي يُقدِّم الكِتَابَة على أنَّها: "**جَرْوٌ صَغِيرٌ يَعَضُّ الْعَدَمَ**"؛ من وجه ديمومة تنبيهها إلى المواقف الحَاسِمة، دون التفات السِّياسيِّ لها، وهي بصوتها الخَافِت ضعيفة الأثر في المُتلقِّين جميعًا؛ إذ إنَّها "**تَعَضُّ الْعَدَمَ**"؛ في إشارةٍ إلى النَّدَم، على معدوم المُقَاوَمة وَتَحدِّي الألم؛ وَالكِتَابَة على ذلك وسيلة إيقاظٍ نقديٍّ لمواطن الخَلَل في النِّظَام أو الحَالَة أو الحَدَث.

كما كانت الكِتَابَة في لغة المَجَاز "**تَجْرَحُ مِنْ دُونِ دَمٍ**"؛ ففعلها فعل الجَرْح السَّاعِي إلى التَّعْديل، من غير إضرارٍ جسديٍّ، وَإنَّما مجالها الرُّوح، وَغايتها الفِكْر، وَبينهما تغدو الحَقِيقة مَكْمَنًا للتَّأنيب الذي يُستَدعى بِالكِتَابَة؛ خلاصًا من واقعٍ أليمٍ؛ وَنشدانًا لأملٍ مُقِيمٍ.

وَما يُهِمُّنَا من هذا كلِّه، ارتباط معرفيَّة سُلْطة القَارئ بسُلْطة الشَّاعِر، من خلال كشف الشَّاعِر بعض مُعِينات قراءة لوحاته الشِّعْريَّة، وفق المرحلة الزَّمنيَّة، الجَاثِمة على صُدُور الفلسطينيِّين جميعًا.

وَيمكن أن نفهم صورة الغِيَاب، في المقطع السَّابق، بآخر لاحقٍ، قال دَرْويش فيه(1):

إذا مَرِضَ الْحُبُّ عَالَجْتُهُ

بالرِّياضة وَالسُّخرية

وَبِفَصْلِ المُغنِّي عن ... الأغنية

□

الحِصَار يُحوِّلني من مُغَنٍ إلى ...

---

1) دَرْويش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٢٥٠.

□

وَما "**مَرَضُ الْحُبِّ**" هنا إلا اعتلال الحَالَة السِّياسيَّة، وَمن ثمَّ الثَّقافيَّة، في النِّظَام الفلسطينيِّ الجَدِيد، حينها يُعالِج الشَّاعِر حُبَّهُ المَرِيض، بالانشغال عنه في الرِّيَاضة وَالسُّخْرية، ثُمَّ "**يَفْصِلُ الْمُغَنِّيَ عَنِ الأُغْنِيَةِ**"؛ تأكيدًا على انتفاء دوره الشِّعْرِيِّ الكَاشِف.

وَكيما يزيد الصُّورة وضوحًا؛ رسَّخ انعكاس الحِصَار على شاعريَّته، بقوله: "**الْحِصَارُ يُحَوِّلُنِي مِنْ مُغَنٍ إِلَى ... وَتَرٍ سَادِسٍ فِي الْكَمَانْ**"؛ وَهذا يدلُّ على انتهاء وظيفته الشِّعْريَّة السَّامِقة؛ إذ إنَّ غناء الزَّمَن السَّالِف انتهى بسلام الدُّون إلى العَدَميَّة، وَهو الوجه المُستَلُّ فكرةً، من تشبيهه نفسه إبَّان التَّحوُّل الجذريِّ في خِطَابه الشِّعْرِيِّ، بـ"**وَتَرٍ سَادِسٍ فِي كَمَانٍ**"، ليس له من الأوتار إلا أربعةٌ.

لقد باتت السِّيَاقَات الشِّعْريَّة السَّابِقة مُلتصِقةً بالآخَر النَّظِير؛ أمَّا الضِّدُّ؛ فكائنٌ في قصيدة "**يَوْمِيَّاتِ جُرْحٍ فِلَسْطِينِيٍّ**"، من مَجْمُوعَة "**حَبِيبَتِي تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَا**"، من خلال "**عَالِمِ الآثَار**" الصُّهيونيِّ[1]:

ـ ٢٢ ـ

عَالِمُ الآثار مشغول بتحليل الحجارةْ
إنَّه يبحث عن عينَيْه في ردم الأساطير
لكي يُثبت أنِّي:
عابر في الدَّرب لا عينان لي !
لا حرف في سفْر الحضارةْ !
وَأنا أغرس أشجاري, على مهلي,
وَعن حُبِّي أغنِّي !

وَتكشف اللَّوْحة بمجملها، عن دور الآخَر الصُّهيونيِّ، ممثَّلا في "**عَالِمِ الآثَار**"، السَّاعِي إلى اختلاق مُؤسِّسات الوُجُود التَّاريخيِّ للصَّهاينة، على الأرض الكنعانيَّة، وَمدينتها المُقدَّسة[2]، على

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٣٦٤.

[2]) أمَّا الشَّاعِر؛ فقد رسَّخ حُضُور المَدِينة المُقدَّسة في شعره؛ رَدًّا على التَّزْيِيف الصُّهيونيِّ، يُنظَر: الخَبَّاص، د. عبد الله عوَض، (١٩٩٠م)، **الْقُدْسُ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ فِي فِلَسْطِينَ وَالأُرْدُنِّ فِي الْقَرْنِ الْعِشْرِين (١٩٠٠ ـ ١٩٨٤م) فِي الشِّعْرِ وَالْقِصَصِ وَالرِّوَايَةِ وَالْمَسْرَحِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: عبدالله عَوَض عبد الله الخَبَّاص،=

سبيل التَّزْييف المُتعمَّد للحَقَائِق، في خضمِّ اتِّحَاد دَرْويش مع الآخَر الثَّقافيِّ "فَدْوَى طُوقَان"([1])، في نطاق الحِلْف المَعْرفيِّ الثَّقافيِّ، المُصطلَح على تسميته بِـــ"شُعَرَاءِ الْمُقَاوَمَةِ".

وَقد بدا "**عَالِمُ الآثَار**" مشغولاً بتحليل الحِجَارة، التي زُيِّفَتْ بقدر يتَّسق مع الرِّوَاية الصُّهيونيَّة للتَّاريخ: "**إِنَّهُ يَبْحَثُ عَنْ عَيْنَيْهِ فِي رَدْمِ الأَسَاطِيرِ**"؛ فلا سبيل أمام الأساطير التي تُخالِف زَيْفَهُ، إلا البحث عن البُهْتَان المنظور بعَيْنَيْهِ، على جهة المُبَالَغة في ابتناء الرِّوَايَة من خلال الآثار المُزَيَّفة، التي تتَّفق وَنظرته لميزان أحقِّيَّة تملُّك الحَضَارَة وَالأَرْض، في مخزون الأساطير القديمة، وَهي التي شهدت حركةً موَّارةً، بِالمُعتَقد الدِّينيِّ وَالتَّفوُّق التِّجاريِّ وَالتَّنْظيم الاجتمــاعيِّ، فــي ســياقٍ حضاريٍّ شَامِلٍ.

وَتغدو غاية البحث؛ في نفي انتماء الفلسطينيِّ؛ إلى أرض الحَضَارَة الكنعانيَّة، وَحينئذٍ يكون الشَّاعِر على عنايةٍ كاملةٍ، بالكَشْف المبين عن الغاية الكُبْرى، للمعرفيِّ الصُّهيونيِّ، في تــشكيل نسيج الحِكَاية المُتَساوِقة مع إرثه المُدَّعى؛ قائلاً: "**لِكَيْ يُثْبِتَ أَنِّي: عَابِرٌ فِي الدَّرْبِ لا عَيْنَان لِي ! لا حَرْف فِي سِفْرِ الحَضَارَةِ**"؛ وَيُؤكِّد النَّفْي اللُّغويُّ هنا وسيلة السُّلْطة المعرفيَّة الصُّهيونيَّة، فــي تدعيم موقف السُّلْطة السِّيَاسيَّة؛ لاقتلاع الوُجُود الفلسطينيِّ من أرضه الأُمِّ، في إســقاطٍ واضـــح

=ص٣٠٨، (القِسْم الأوَّل: ببيليوغرافيا الشِّعْر)؛ وَقد سعى الصَّهَاينة إلى طَمْــسِ الهُوِيَّــة التُّرَاثِيَّــة الفلــسطينيَّة وَتَهْوِيدها، من خلال التَّزْييف المُتعمَّد للحقَائِق التَّاريخيَّة وَالأثريَّة، بيد أنَّ المُكتَشَفات الأثريَّة ردَّت زَيْفَ أكاذيبهم، يُنظَر: عبد اللَّطِيف، مَازِن، (٢٠٠٨م)، الْمُكْتَشَفَاتُ الأَثَرِيَّةُ وَدَوْرُهَا فِي مُوَاجَهَــةِ مُحَــاوَلاتِ طَمْــسِ التُّــرَاثِ الْفِلَسْطِينِيِّ وَتَهْوِيدِهِ، **مجلَّة جَامِعَة الخَلِيل للبُحُوث**، ٣(٢)، ص١ ـــ ٢٠.

[1]) حَوْل ارتباط الأدبيِّ بِالسِّياسيِّ، في استجلاء المَوْقف الثَّقافيِّ، لِفَدْوَى طُوقَان، يُنظَــر: العجلــونيّ، د. نَــايف، (١٩٩٥م)، السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ لِفَدْوَى طُوقَان: الشَّخْصِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ وَالأَدَبِيُّ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَــات**، ١٠(٤)، ٨٩ ـــ ١٠٥؛ وَفي ظَاهِرَة البَوْح عند فَدْوَى طُوقَان، مِمَّا يندرج ضمن أَدَبِ الاعتراف، يُنظَر: أَبُو شَرِيفَة، عبد القَادِر، (٢٠٠٠م)، الاعْتِرَافُ وَالْبَوْحُ فِي رِحْلَةِ فَدْوَى طُوقَان، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٥(٨)، ص٦٣ ـــ ٨٦؛ وَفي شعر فَدْوَى طُوقَان، يُنظَر: بَكَّار، د. يُوسُف، (٢٠٠٤م)، **فَــدْوَى طُوقــان ـــ دِرَاسَــةٌ وَمُخْتَــارَاتٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المَنَاهِل للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣ ـــ ٨٥، (القِسْم الأوَّل: الدِّرَاسَات)؛ وَيمكن مُطَالَعة بعض الدِّرَاسَات، في الجانبَيْن الشَّخْصيِّ وَالشِّعْريِّ، لِفَدْوَى طُوقَان: النَّابلسِيّ، شَاكِر، (١٩٨٥م)، **فَــدْوَى تَــشْتَبِكُ مَــعَ الشِّعْرِ ـــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ لِشِعْرِ الشَّاعِرَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فَدْوَى طُوقان**، (ط٢)، جدَّة: الدَّار السُّعوديَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيــع، ص١١ ـــ ٣٢، (فَدْوَى طُوقَان وَالشِّعْر العَرَبيُّ الحَدِيث)؛ ص٦٧ ـــ ٨٤، (اليقظة وَالشِّعْر الــسِّياسيُّ)؛ وَيُنظَــر: طَه، المُتَوَكِّل، (٢٠٠٤م)، **قِرَاءَةُ الْمَحْذُوفِ ـــ قصائِدُ لَمْ تَنْشُرْهَا فَدْوَى طُوقان**، (ط١)، رام الله: دَار الــشُّرُوق؛ وَيُنظَر المَوْضُوع نفسه: طَه، المُتَوَكِّل، (إبريل٢٠٠٤م)، قِرَاءَةُ المَحْذُوفِ ـــ قَصَائِدُ لَمْ تَنْشُرْهَا فَــدْوَى طُوقَــان، **مجلَّة نزوى**، (٣٨)، ص٧٦ ـــ ٩٢؛ وَيُنظَر: الأَسَد، أ. د. نَاصِر الدِّين، (٢٠٠٦م)، شَاعِرَا فِلَــسْطِينَ إِبْــرَاهِيم وَفَدْوَى طُوقَان، **ندوتان نُظِّمَتا من مُؤَسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان**، عمَّان، مُؤَسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان، ندوة إِبْرَاهِيم طُوقَان: السَّبْت (٢٤/ ٩/ ٢٠٠٥)م، ندوة فَدْوَى طُوقَان: السَّبْت (١٧/ ١/ ٢٠٠٤)م، عمَّان: مُؤَسَّسة عبد الحَمِيــد شُومَــان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّســة العَرَبيَّــة للدِّرَاسَات وَالنَّــشْر، ص١٢٣ ـــ ٢٠١، (فَــدْوَى طُوقَــان: شَــاعِرة فِلَسْطِينَ)؛ وَعن رُؤْية فَدْوَى طُوقَان للحَضَارَة الغَرْبيَّة، يُنظَر: الشَّيخ، خَلِيل، (كَانُون أوَّل١٩٩٨م)، رُؤْيَةُ فَــدْوَى طُوقَان لِلْحَضَارَةِ الْغَرْبِيَّةِ ـــ دِرَاسَةٌ فِي جَدَلِ الشِّعْرِ وَالسِّيرَةِ، **جَرَش للبُحُوث وَالدِّرَاسَــات**، ٣(١)، ص٩ ـــ ٣٤؛ وَفي الدَّوْر السِّيَاسيِّ للمرأة الفلسطينيَّة بعامَّة، يُنظَر: النَّقشبنديّ، بَارِعَة، (٢٠٠٥م)، الــدَّوْرُ الــسِّيَاسِيُّ لِلْمَــرْأَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي السِّلْمِ وَالْحَرْبِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(١)، ص١٢٨ ـــ ١٣٩.

لواقع المنظومة الاجتماعيَّة الصُّهيونيَّة([1])، من افتقارٍ إلى قرار الأصُول في الأرض؛ لكون الصَّهاينة عابري سبيلٍ، فضلاً عن انتفاء حُضُور المعطيات الحضاريَّة بشيءٍ يدلُّ على قيمة وُجُودهم.

وَيُواجِه الشَّاعِر المعرفيَّة الصُّهيونيَّة بسُلْطته المعرفيَّة؛ وَفيها الرَّمْز المُحِيل إلى غَرْس الأشجار على مَهْلٍ، تلك التي شكَّلت حُضُور الأمُومة، في التَّرْميزات الأرضيَّة النَّباتيَّة، كما كانت عامل استحضار إنماء صورة الانتماء، لأرض الآباء؛ لذا بدا الأمر كلُّه مرتبطًا بزمنٍ مُتَمَهِّلٍ، وَللشَّاعِر في إثر ذلك، أن يُواصِل غناءَه للحُبِّ، الذي أرقه منذ البداية، مُعْمِلاً في التَّعْبير تناصَّ التَّأمُّل، في موقف نُهُوض الحَبيبة من نومها، وَكان قد رسَّخ ذلك في عنوان المَجْمُوعَة.

لقد تجلَّت فَرَادَةُ الرَّمْز فيما سبق؛ إذ يمكننا "تصوُّر عالم الآثار يُنقِّب بين رُكَامِ التَّاريخ؛ ليثبت وجوده وَينفي وجود العربيِّ الأصيل في الوطن. وَعالم الآثار هذا يحاول أن يُؤصِّل وجوده في أرض فلسطين، مُوهِمًا العالم بأنَّ العرب ليسوا إلا عابرين، وَدُخَلاء على هذه الأرض. وَلكي ينفي الشَّاعِر حَقَّ هذا الْعَالِمِ الأثَرِيِّ ـ الكَيَان الصُّهيونيِّ ـ فإنَّه يجعله يبحث عن عينَيْه ـ وسيلة الرُّؤْية ـ بين الأساطير؛ ليوحي بأنَّ الكَيَان الصُّهيونيَّ تاريخيًّا وَواقعيًّا، ليس

---

[1]) إنَّ مُوَاجَهة مَحْمُود دَرْوِيش المَعْرِفيَّة لِعَالِمِ الآثار الصُّهيونيِّ؛ لترتدُّ إلى معرفته الوَاقِعِيَّة بنهج الحَرَكَة الصُّهيونيَّة؛ السَّاعِي بِالعَمَل الدَّؤُوب؛ إلى تحقيق مآربه على المستويَيْن: الإقليميِّ وَالدَّوْلِيِّ؛ وَفي الخَطَر الصُّهيونيِّ على الوَطَن العَرَبيِّ، من خلال نِظَام الشَّرْق الأوْسَط، يُنظر: حُسيْن، د. غَازِي، (شِتَاء ١٩٩٧م)، التَّصَوُّرَاتُ وَالْمُخَطَّطَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ لِلشَّرْق أوْسَطِيَّة وَمَخَاطِرُهَا عَلَى الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١)، ص١١١ ــ ١٣٠؛ وَحَوْل المَفَاهِيم الأساسيَّة للصُّهيونيَّة، يُنظَر: علوش، نَاجِي، (شِتَاء١٩٩٧م)، الصُّهْيُونِيَّةُ: الْمَفَاهِيمُ الأسَاسِيَّةُ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١)، ص١٧٠ ــ ١٨٢؛ وَيُنظَر في نهج الصُّهيونيَّة السِّياسيِّ وَالتَّنْظيميِّ، في وَاقِع اغتصاب الأرْض العَرَبيَّة: المسيري، د. عبد الوَهَّاب، (٢٠٠١م)، **الصُّهْيُونِيَّةُ وَالنَّازِيَّةُ وَنِهَايَةُ التَّارِيخ**، تَقْدِيم: أ. مُحمَّد حَسَنِين هَيْكَل، (ط٣)، القَاهِرة: دَار الشُّرُوق، ص١٢٧ ــ ١٧٣، (الفَصْل الثَّالِث: التَّعاوُن بين أعضاء الجَمَاعَات اليَهُوديَّة وَالنَّازِيِّين)؛ وَيُنظَر: يَسِين، السَّيِّد، (٢٠٠١)م، **الأُسْطُورَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ وَالانْتِفَاضَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: ميريت للنَّشْر وَالمَعْلُومات، ص١٥ ــ ٥٢، (البَاب الأوَّل: مَفْهُوم الذَّات الصُّهيونيَّة بين الأُسْطُورة وَالوَاقِع)؛ ص٥٣ ــ ١٢٦، (البَاب الثَّانِي: الفِكْر العَرَبيُّ وَالصُّهيونيَّة)؛ وَيُنظَر: شَاحَاق، إسرَائِيل وَآخرون، (٢٠٠٣م)، **الْقَلَمُ الْجَرِيءُ ــ مُفَكِّرُونَ غَرْبِيُّونَ وَيَهُودٌ انْتَقَدُوا الصَّهَاينَة**، تَرْجَمة وَتَقْدِيم: البَرَّاق عبد الهَادِي رِضَا، (د. ط)، مِصْر: المَجْلِس الأعْلَى للثَّقَافَة، ص٨٧ ــ ٩٩، (ثانيًا: المُخَادَعة الصُّهيونيَّة ــ ولبر سنسور)؛ ص١٠١ ــ ١٥١، (ثالثًا: الإرهاب الصُّهيونيُّ المُقدَّس: دراسةٌ تعتمد على يوميَّات مُوشِي شَارت، وَمَخْطُوطَاتٍ أخرى، لِيفِيَا رُوكَاش)؛ وَيُنظَر: تشابمن، **أرْضُ الْمِيعَادِ لِمَنْ ــ الصِّرَاعُ الْفِلَسْطِينِيُّ ــ الإسْرَائِيلِيُّ الْمُسْتَمِرُّ**، ص٨٣ ــ ١٠٣، ("٢. ٢": الصُّهيونيَّة)؛ وَيُنظَر: الشَّرْقَاوِيّ، د. فَوَّاز حَامِد، (يَنَاير٢٠٠٧م)، نَهْجُ الصُّهْيُونِيَّةِ فِي الْعَمَلِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّنْظِيمِيِّ، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٥(١)، ص٣١٧ ــ ٣٤٨؛ وَعن نجاح اليَهُود في تحقيق السَّطْوة وَالتَّفوُّق، يُنظَر: بَابللِي، إبْرَاهِيم، (فبراير/ شباط٢٠٠٦م)، **أسَالِيبُ الْيَهُودِ فِي تَحْقِيقِ أهْدَافِهِمْ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص٥ ــ ١٦، (رابعًا: ما هو سبب تَفوُّق اليَهُود ؟)؛ وَيُنظَر:

(1970), **Christians, Zionism and Palestine: a selection of articles and statements on the religious and political aspects of the Palestine problem**, (without ed), Beirut: The Institute for Palestine Studies, p3 – 66, (ZIONISTS AND THE BIBLE).

إلا أسطورةً كاذبةً مصيرها الزَّوَال، وَيظلُّ هو صاحب الأرض، ثابت الصِّلة بها، حينما يــزرع أشجاره ــ بثقةٍ فيها ــ على مَهْلٍ، وَيُغَنِّي عن حُبِّهِ لهذا الموطن، وكأنَّ ما يقوله عَالِمُ الآثــار لا يعنيه؛ لأنَّه كلامٌ هراءٌ"([1]).

وَمِمَّا يدلُّ على أهمِّيَّة الكُشُوفات الأثريَّة، في العَقِيدة الصُّهيونيَّة، تَوقُّف (نورمان بنتــويش) على "رُومانسيَّة الآثار الفلسطينيَّة"، في مبحثٍ كاملٍ([2])؛ خلص فيــه إلــى افتقارهــا للرَّوْعــة، وَالاستمراريَّة، وَالانسجام مع النَّهْضة الحاليَّة([3]).

وَهو على ذلك يُؤسِّس للوُجُود الصُّهيونيِّ على أرض المِيعَاد، انطلاقًا من قاعدةٍ مفادهـــا: "إذا دست المَاضِي بقدمَيْك؛ فلا يمكن للمُستَقبل أن يقف"([4])، وذلك في كتابه "وَفَــاء فــي أرْض المِيعَاد ١٩١٧ ــ ١٩٣٧م".

وَقد أسَّس المقطع الشِّعْريُّ بعمقٍ، لعقيدة التَّزْييف الصُّهيونيَّة، التــي تجلَّــت فــي النِّطَــاق المعرفيِّ الأدبيِّ أيضًا؛ فقد أثار الأدَبَاء اليَهُود من خلال "الموضوعات التي تناولوها في أشعارهم وَرواياتهم، التَّعلُّق بفلسطين وَماضي اليَهُود فيها، وَهو ما اتُّفِقَ عليه بأنَّه كان بمثابة "الصُّهيونيَّة الأدبيَّة"، التي سبقت "الصُّهيونيَّة السِّياسيَّة"، وَمهَّدت للكثيرين من اليَهُود؛ لقبول طموحاتها فيمــا بعد"([5]).

وَإنَّ من يخوض في دراسة الأدَب الصُّهيونيِّ؛ سيدرك "أنَّه أدبٌ سياسيٌّ حتَّى قبــل تبلــور الفِكْرة الصُّهيونيَّة سياسيًّا، وَهي باعتمادها على التَّوْراة، تأخذ منها حِسًّا (شــوفينيًّا) اســتعلائيًّا، عدوانيًّا، استيطانيًّا، تعــزف على أوتــار الدِّين اليَهُوديِّ، بعــد تــشويهه وَمــسخه؛ لخدمـــة أغراضها"([6]).

---

[1]) أبُو إِصْبَع، **الْحَرَكَــةُ الشِّعْرِيَّــةُ فِي فِلَسْطِــينَ الْمُحْتَلَّــةِ مُنْذُ عَامِ ١٩٤٨م حَتَّى ١٩٧٥ ــ دِرَاسَــةٌ نَقْدِيَّــةٌ**، ص١٥٩.

[2]) يُنظَر:

Bentwich, Norman , (1976), **Fulfilment in the Promised Land**, **1917-1937**, (2ed), USA: Hyperion reprint edition, p157 – 178.

[3]) يُنظَر: **نفسه**، ص١٧٨.

[4]) يُنظَر: **نفسه**، ص١٥٧.

[5]) علام، د. عُمَر عبد العَلِيّ، (٢٠٠٥م)، **الأُسْطُورَةُ الزَّائِفَةُ ــ رَحِيلُ الصُّهْيُونِيَّةِ وَالْبَحْثُ عَنْ بَدِيلٍ (دِرَاسَةٌ فِي الأَدَبِ الإِسْرَائِيلِيِّ)**، (ط١)، القَاهِرة: دَار العُلُوم للنَّشْر وَالتَّوْزيع، ص٥، (مُقدِّمــة الكِتَــاب)؛ وَلِمُطَالَعــة نَتَــائِج الدِّرَاسَة، يُنظَر: ص٢٦٠ ــ ٢٦٢، (الخَاتِمَة)؛ وَفي الزَّيْف الصُّهيونيِّ، في المَجَال الأدَبِيِّ، يُنظَر: الــشَّامِي، د. رَشَاد عبد الله، (١٩٨٨م)، **الْفِلَسْطِينِيُّونَ وَالإِحْسَاسُ الزَّائِفُ بِالذَّنْبِ فِي الأَدَبِ الإِسْرَائِيلِيِّ**، (ط١)، بَيْــرُوت: دَار المُستَقبل العَرَبِيّ، ص٧ ــ ١٤، (مُقدِّمة المُؤلِّف).

[6]) أبو زريق، فُؤَاد سَلِيم، (٢٠٠٠م)، **الأَدَبُ الصُّهْيُونِيُّ وَتَضْلِيــلُ الرَّأْيِ الْعَــامِّ ــ دِرَاسَــةٌ**، (د. ط)، دِمَــشق: مَنْشُورات اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، ص٧، (تَمْهِيد).

وَنلاحظ كذلك "أنَّ الأدَب الصُّهيونيَّ قال بالحرب، وَأنَّه لا يرغب بالسَّلام الكَامِل وَالشَّامِل وَالعَادِل، بناءً على مرجعيَّة مَدْريد وَالشَّرْعيَّة الدَّوْليَّة، وَنلاحظ أيضًا أنَّ الأدِيب الصُّهيونيَّ مُلْتَزِمٌ تمامًا بالقرارات السِّياسيَّة ... فعندما يقول هذا (الأدَب) بالحَرْب، وَأَنَّهُ ضِدّ السَّلام؛ يكون هذا نَاتِج قرارٍ سياسيٍّ، في الكَيَان المزعوم؛ فالعلاقة مُتعدِّية رياضيًّا؛ مفادها أنَّ السُّلْطة السِّياسيَّة في الكَيَان الصُّهيونيِّ، لا تُريدُ السَّلام، وَلَكنَّها تُسوِّف وَتُماطِل لتغيير الوَاقِع على الأرض، وَتُحقِّق مكاسب على حساب الشَّعْب العربيِّ وَالْحَقِّ وَالْعَدْل"([١]).

وَقد تجري الوجهة بصورةٍ معاكسةٍ، حين يستند السِّياسيُّ إلى المعرفيِّ؛ لِتبرير استمراريَّة الاحتلال، وَهو ما تجلَّى لنا، في سياق معالجتنا، لما أثاره سُؤَال الشَّاعِر الصُّهيونيِّ (ناتان زاخ)، في الوعي السِّياسيِّ؛ حتَّى غدا رئيس الوُزَرَاء مُستنِدًا إلى السُّؤَال، المُرسِّخ كراهية الفلسطينيِّين للاحتلال؛ لغاية الإصرار على تثبيت أركان احتلاله، فما كان من دَرْويش إلا الرَّدّ على البُرْهَان المعرفيِّ للسُّلْطة السِّياسيَّة الصُّهيونيَّة، ببيانٍ كاشفٍ لوظيفة الشِّعْر في رحاب المُقَاوَمَة، ممثَّلة في المُوَاجَهَة وَالتَّحدِّي؛ لإخضاع "**هِسْتِيريَا الْقَصِيدَةِ**"، عند الآخَر المعرفيِّ الصُّهيونيِّ([٢]).

إنَّ المُتتبِّع لخِطَاب دَرْويش الشِّعْريِّ؛ ليضحي في حالةٍ من الإلف التَّامِّ، مع سياق التَّبدِّي السُّلْطويِّ، للآخَر المعرفيِّ، على نحوٍ يشمل سائر المَعَارف، وَإن بدا أكثر احتفاءً بالمعرفيَّة الأدبيَّة بعامَّة، وَالشِّعْريَّة بخاصَّة([٣])، فضلاً عن النَّقْديَّة([٤]) وَالتَّاريخيَّة([١])، والموسيقيَّة([٢]).

---

[1]) أبو زريق، **الأدَبُ الصُّهْيُونِيُّ وَتَضْلِيلُ الرَّأْيِ الْعَامِّ ــ دِرَاسَة**، ص١٧٣، (إضَاءَة).

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **عَابِرُونَ فِي كَلامٍ عَابِرٍ**، ص٥١ ــ ٥٥، (هِسْتِيريَا القَصِيدَة).

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ٢٤٣ ــ ٢٥٥، ("كَانَ مَا سَوْفَ يَكُونُ، إلَى رَاشِد حُسيْن"، من مَجْمُوعة "أعْرَاس"، الآخَر المعرفيُّ الشَّاعِر رَاشِد حُسيْن (ت١٩٧٧م)، من رُوَّاد شُعَرَاء المُقَاوَمة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢٧٨ ــ ٢٨٢، ("قَصِيدَةُ الْخُبْزِ" (إلى إبْرَاهِيم مَرْزُوق)، من مَجْمُوعة "أعْرَاس"، الشَّاعِر المِصْرِيُّ إبْرَاهِيم مَرْزُوق (ت١٨٨٦م))؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٢١ ــ ٣٣٠، ("سَنَخْتَارُ سُوفُوكلِيس"، من مَجْمُوعة "أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"، سُوفُوكلِيس (ت٤٠٥ق. م)، وَهو من أعظم كُتَّاب التّراجيديا الإغريقيَّة)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ٤٢٨، (من "مُتَتَالِيَات لِزَمَنٍ آخَرَ"، في مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، القَارِئ النَّاقِد على نحوٍ مُوجَزٍ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٣٣٩، (من "مَنْفَى (٤): طِبَاق [إلى إدْوَارد سَعِيد]، في مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أوْ أبْعَد ..."، المُفكِّر وَالفيلسوف)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٦٥، ٦٦٦، (الطَّرِيقُ إلَى "أيْـنَ" [إلى سركُون بُولص]، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، الشَّاعِر العراقيُّ سركُون بُولص (ت٢٠٠٧م)، وَقد توجَّه إلى بَيْرُوت عبر الصَّحْرَاء سيرًا على الأقدام، وَهو بذلك شبيه دَرْوِيش، من جهة رحيله هو الآخَر صوب بَيْرُوت سيرًا على الأقدام، ثُمَّ إنَّهما تنقَّلا بين المَنَافِي)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧١٧، ٧١٨، ("فِي قُرْطُبَة"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، الشَّاعِر ابن زَيْدُون وَالشَّاعِرة وَلاَّدَة وَالشَّاعِر وَالكَاتِب العالميُّ دِيريك ولكُوت، الذي حصل على جَائِزَة نُوبِل للآدَاب سنة (١٩٩٢م))؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧١٩ ــ ٧٢١، ("فِي مَدْرِيد"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، الشَّاعِر الكنديُّ/ الأمريكيُّ مَارك سترَاند)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٧٤ ــ ٧٧٦، ("فِي سكُوغُوس" (غابةٌ من أشجار البتُولا وَالصَّنَوْبَرِ وَالحور وَالكَرَز وَالسَّرْوِ، من ضَوَاحِي ستُوكهُولم)، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، الرِّوَائِيُّ وَالشَّاعِر الكُرْدِيُّ سَلِيم بَرَكَات)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٧٩ ــ ٧٨١، ("بُولِيفَار سَان ــ جِيرمَان"، من مَجْمُوعة "أثَر الفَرَاشَة"، القَاصُّ وَالرِّوَائِيُّ الفرنسيُّ جُورج شتَاينر، وَالمُخْرِج البريطانيُّ پيتر برُوك، وَالشَّاعِر الفَارِسيُّ المُتَصوِّف فَرِيد الدِّين العَطَّار وَأرسطُوفَان).

[4]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦٣٣، ٦٣٤، ("اغتيال"، من مَجْمُوعَة "أثَر الفراشة"، النُّقَّاد في مُوَاجَهَة قَصِيدَة مَحْمُود دَرْوِيش).

وَكيما تتبدَّى السُّلْطة المعرفيَّة في الآخَر، على نحوٍ مُوجَزٍ، تلزمنا الإحاطة بمضامين اللَّوْحات الشِّعْريَّة في هذا الشَّأن؛ تلك التي أبانت عن سُلْطة الآخر الشَّاعِر، الخَاضِعة للرَّقابة الاجتماعيَّة وَالسِّياسيَّة، وَسُلْطة المعرفيِّ القَارئ، في كشف دَرْوِيش له، عن بعض مفاتيح قراءة نتاجه الأدبيِّ، وفق المرحلة العبثيَّة الثَّالية تَسْوية السَّلام، وَهي ــ بلا ريبٍ ــ مُعِيناتٌ إشاريَّةٌ لوسائل استبصاريَّةٍ حديثةٍ، في قراءة عهده الجَدِيد، ولم تخل هذه اللَّوْحة من النَّقْد الذَّاتيِّ، بشأن النِّتَاج الشِّعْريِّ، ثُمَّ الموقف الثَّقافيِّ من الهَاوِيَة.

كما تأتَّى للشَّاعِر الوُقُوف على الآخَر المعرفيِّ الصُّهيونيِّ، ممثَّلا في "**عَالِم الآثَار**"([٣])، مع حرصه على حُضُور معرفيَّته في مقابل الآخر النِّدِّ؛ على سبيل انتباذ تزييفه للحقائق، وفق وجهته الفِكْريَّة وَالعقيديَّة.

ثُمَّ كان لِدَرْوِيش أن يقرن ذاته بِحُضُور المعرفيِّين الآخرين، في النِّطَاق الأدبيِّ العامِّ، وَفي الإنتاج الشِّعْريِّ على وجه الخُصُوص، وَهذا النَّهْج كان دعامته في الاتِّحَاد بِالمعرفيِّين النَّاهِلِين من الأُصُول الثَّقافيَّة الكُبْرى نفسها، وَفيهم الفلسطينيُّ([٤]) وَالعربيُّ([٥]) وَالعالميُّ([٦])، وَهو ماضٍ على ذات السَّبِيل، إذا ما اقترن حضوره بالآخر الضِّدِّ، في قصديَّةٍ توخَّت مُوَاجَهة المطامح المعرفيَّة الدَّخِيلة، التي سعت إلى نقض حُقُوق الفلسطينيِّين، بحياةٍ كريمةٍ، على أرضٍ أثيرةٍ.

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦٢٥، ٦٢٦، ("صَنَادِيق فَارِغَة"، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، نقد المُؤرِّخين الأجَانِب؛ لصمتهم عن كشف الحَقِيقَة).

[2]) يُنظَر: دَرْوِيش، **عَصَافِيرُ بلا أَجْنِحَةٍ**، ص٥٥ ــ ٥٧، (قَصِيدَة "أغنية كبيرة إلى فَيْرُوز"، من مَجْمُوعَة "عصافير بلا أجنحة")؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٦٨٥، ٦٨٦، ("مَوَاعِيد سرِّيَّة"، المُؤلِّف المُوسِيقِيُّ الكلاسيكيُّ البولنديُّ (فردريك شوپان)، (ت١٨٤٩م)، وَقد انمازت أعماله "مَازُورِكَا، البولنديَّات، ليليَّات"، بِالرُّومانسيَّة وَالرِّقَّة وَالكآبة أحيانًا).

[3]) مِمَّا يتَّسق مع صُورَة عَالِم الآثار الصُّهيونيِّ، صُورَة لُصُوص المَدَافِن، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ١٥١، ("لُصُوصُ الْمَدَافِنِ"، من مَجْمُوعة "وَرْد أَقَلّ").

[4]) توقَّف مَحْمُود دَرْوِيش عند معرفيَّة فَدْوَى طُوقَان؛ من حيث طبيعة شعرها المُتَسَاوِقة مع أحداث القضيَّة الفلسطينيَّة، لا سيَّما نَكْسَة (٦٧)م، ضمن مقالةٍ موسومةٍ بِـ"**فَدْوَى**"، في مَجْمُوعة مقالاته المُخْتَارَة "**حِيرَة العَائِد**"، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٣: ٢٦٧ ــ ٢٧٠.

[5]) عرض دَرْوِيش للآخَر المعرفيِّ العَرَبيِّ السَّيَّاب، وَوَقف على خَصَائِص أدبه، وَموقعه من الشِّعْر العَرَبيِّ الحَدِيث، في مقالته "**مَطَر السَّيَّابِ**"، ضمن مَجْمُوعته النَّثْريَّة "**حِيرَة العَائِد**"، يُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣١١ ــ ٣١٦، (شَهَادَةٌ قدَّمها الشَّاعِر في نَدْوَةٍ حَوْل الذِّكْرى الثَّلاثِين لرحيل السَّيَّاب، أقامها مَعْهَد العالم العَرَبيِّ في بَارِيس)، وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٢٥ ــ ٣٢٧، ("شَاعِرُ الْجَمِيعِ"، الشَّاعِر السُّوريُّ نِزَار قَبَّانِي)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٣٢٩ ــ ٣٣١، ("سَعْدِي فِي السَّبْعِين"، الشَّاعِر العِرَاقيُّ سَعْدِي يُوسُف).

[6]) تأثَّر مَحْمُود دَرْوِيش ببعض الأنظار النَّقْديَّة للنُّقَّاد وَالشُّعَرَاء العالميِّين، وَمثال ذلك يُنظَر في: **نفسه**، ٣: ٣٣٠، ٣٣١، (مَقَالَة "سَعْدِي في السَّبْعين"؛ حيث بدا دَرْوِيش مُتأثِّرًا بِأنظار النَّاقِد الأمريكيِّ (هَارُود بلُوم)، وَالشَّاعِر وَالكَاتِب وَالدِّبلوماسيِّ المكسيكيِّ (أُوكتَافْيُو بَاز)؛ كما استذكر آخرين في: **نفسه**، ٢: ٧١٩ ــ ٧٢١، ("فِي مَدْرِيد"، الشَّاعِر الكنديُّ مَارك سترَاند، فضلاً عن لُورْكَا وَألبرتِي وَخيمينيث وَسلفَادُور دَالِي وَالفيلسوف نِيتشه)

ــ صُورَةُ الآخَرِ الثَّقافِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

شهدت سُلْطة الآخَر الثَّقافيَّة اهتمامًا كبيرًا من مَحْمُود دَرْوِيش، على نحو ما استظهرنا داخل دواوينه من حُضُورٍ فاعلٍ لها، وَقد تكشَّف الخِطَاب الشِّعْرِيُّ، عن حالة من المُلاقَحَة الثَّقافيَّة بين الذَّات وَالآخَر؛ فَحُضُور الآخَر مدعاةٌ لِحُضُوره في معظم قصائده، التي تضمَّنت تصويرًا ملمحيًّا لآخَر الثَّقافَة وَالموقف وَالمبدأ.

وَعندما نلج إلى صُورَة الآخَر الثَّقافيَّة، فإنَّنا نجد حضورها كائنًا في دواخل الأنا، على سبيل الالتحام الهدفيِّ الوَاحِد، وَفيها يبرز الآخر من خلال رُؤْية دَرْوِيش لمواقفه الثَّقافيَّة الكُبْرى، المُؤطَّرة بسياق القضيَّة.

وَمن قبيل ذلك، ما شهدناه في قَصِيدة "**أسَمِّيكَ نَرْجِسَةً حَوْلَ قَلْبِي**"، المُهدَاة إلى سَمِيح القَاسِمِ، من مَجْمُوعَة "**هِيَ أغْنِية هِيَ أغْنِيَة**"، وَفيها يقف الشَّاعِر على "**دَوَائِر حَوْلَ الدَّوَائِر**"، التي غلَّفت مصير القضيَّة بالغُمُوض، ثُمَّ يبين عن اتِّحَاده مع سَمِيح القَاسِمِ في الحُلُم، الذي كشف عن حيثيَّاته، بقوله([1]):

دوائرُ حول الدَّوَائِرِ، دعني أفَسِّرْ لكَ الحادثةْ
حلمتُ، كما كُنْتَ تحلم، أنَّ حزيران أقسى الشُّهورْ
وَأنَّ الكلام الذي يتكرَّرُ فينا لكي نتبعهْ
هو الكارثةْ
حلمتُ، كما كنتَ تحلمُ، أنَّ البحيرات زرقاءُ خلف يديَّ
وَخلفَ يديكْ
وَأنَّ الطَّريق المُعاكِسَ أقربُ مِنِّي إليَّ، وَأقربُ منكَ إليكْ،
وَأنَّ لحُرِّيَّتي رمزَ تمُّوزَ وَالزَّوبعةْ.
حلمتُ فَطِرْتُ لأدخل، ثانيةً، في الجُذُورْ
وغبتُ لأحْضِرَ كُلَّ هدايا اللُّغةْ
إليكْ ..
وَكدتُ أعود قُبَيْلَ انبثاق الفراقْ
وَلكنَّ حادثةَ الوهم تَمَّتْ، وَتَمَّ احتراقُ البُرَاقْ
على شارعٍ عَجَّ بالحَالِمين،

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٨٨، ٨٩.

وَبالرِّحلة الثَّالثة

□

إذا ضَلَّت الرُّوحُ خارجَها

ضَلَّلَتْ روحَ داخلها.

□

لقد تبدَّى الحُلم في الخيال التَّصْويريِّ، على نحوٍ مُتَّحِدٍ مع الآخَر، في تكــراريْن مُهمَّــيْن، بقوله: "**حلمتُ، كَمَا كُنْتَ تَحْلُمُ**"، وَفيهما بيان التقاء الذَّات مع الآخَر الثَّقافيِّ، وَهُمَا واقعــان فــي الرُّؤْية الذَّاتيَّة لِدَرْوِيش: "**دَعْنِي أفسِّر لكَ الْحَادِثَةَ**"؛ أمَّا اللِّقَاء الأوَّل؛ فلحُزَيْرَان منه نصيبٌ، حين اشتمل على قسوةٍ فاقت جميع الشُّهُور، وهو الذي تضمَّن مُفَارَقة قسوة المَــوْت وَمخــاض ولادة الحياة القَابِلة.

وَتجسَّد اللِّقَاء الثَّانِي؛ في نطاق الكلام المُتكرِّر في شعرَيْهما، على نحوٍ يــستجلب الكَارِثــة، وَكيف للكَارِثة أن تتحقَّق، إذا لم تكن قراءةً جَمْعِيَّةً لنَكْسة حُزَيْرَان، وَما بعدها مــن الانتــصار المَجْزوء، ثمَّ الرَّحِيل عن عاصمة الثُّوَّار "بَيْرُوت"؛ ليُوحِي الجَلاء الأخِيــر بالنَّتــائِج الكارثيَّــة المُترتِّبة على التَّنازُل أمام العدوِّ، وَهو الذي غدا تنازلاتٍ مجحفة، بحَقِّ البُطُولات المُسَطَّرة بدماء الشُّهَدَاء.

أمَّا العِنَاق الثَّالِث؛ المُصدَّر بتكرار التَّوافُق في الحُلُم السَّاير، وَوُقُوع الحَافِر على الحَــافِر؛ فكينونتة البُحَيْرات الزَّرْقاء خلف يديْهما؛ وَفي الحُلُمَيْن المُتَّحديْن؛ نُبُــوءَةٌ اســترجاعيَّةٌ؛ بقــرارٍ مُؤَقَّتٍ؛ في بلد ما بعد رحيل البِحَار؛ وَلعلَّها تُونس؛ التي ألقى الثَّائِرون فيها عصا التَّرْحَال حتَّى حينٍ، إلا أنَّ التَّصْغير المُستَوحى منه تضاؤُل صُورَة البَحْر إبَّان الوُصُول؛ كفيلٌ بمنحنا معنًــى آخر في رحاب الأمُومة، لا سيَّما إذا ربطنا الصُّورَة بحُلُمٍ مشتملٍ على التَّشاؤُم، وَفيها اســتدبار البُحَيْرَات المائيَّة، إحدى آلاء الإلهة الكونيَّة؛ مِمَّا يعني انتفاء الخيريَّــة مــن الخــطِّ التَّــاريخيِّ للمُقَاوَمَة، إلى رجعةٍ مشروطةٍ بعدم التَّنازُل.

وَللأحلام أن تبدو في سياق الخِطَاب، كما بدت في حُلُم المُثقَّف، كشفًا منيرًا للدَّرْب، وَفــي ذلك تصريح الشَّاعِر: "**أنَّ الطَّرِيقَ الْمُعَاكِسَ أقْرَبُ مِنِّي إلَيَّ، وَأقْرَبُ مِنْكَ إلَيْكَ**"؛ وَهــذا مُؤشِّــرٌ داعمٌ لاستدبار القضيَّة لا استقبالها، كما كان الحال في الزَّمَن النِّضاليِّ التَّلِيد.

ثمَّ تغدو الحُرِّيَّة قيد أمرَيْن مُهمَّيْن، هُمَا: "**رَمْزُ تَمُّوز وَالزَّوْبَعَة**"؛ وَفي رمز "**تمُّوز**" إشارةٌ إلى خِصْب الحَيَاة؛ ذلك أنَّه المُقابل الذَّكريُّ لِــ"عِشْتَار"، في الحَضَارَة الأكَّاديَّــة وَالبابليَّــة؛ فقد كان "أعظم عُشَّاقِهَا شهرةً هو دمُّوزي (Damuzi)؛ وَيعني اسمه المخلص أو المُؤمِن الحَقّ، وَهو أحد

صور الإله الأكَّادِيِّ تمُّوز (Tammuz)، الذي يتربَّع على عرش الزِّرَاعَـةِ"(١)؛ بينما تُمثِّل "**الزَّوْبَعَةُ**" فِعْلَ التَّغْيير، العَاصِف بِكُلِّ المُتناقِضَات.

وَمن "**تمُّوز وَالزَّوْبَعة**"، يبتني الشَّاعِر الأمل في حُلمه التَّالِي؛ لِيُحلِّق في فضاء الأصُول المُؤصَّلَة في سابق التَّضْحية وَالفِدَاء، وَلِيُجسِّد في الغِيَاب عاملاً مُسانِدًا للصُّورَة المُشرِقة بالأمَل، حين يُطِلُّ على إلفه سَمِيح القَاسِم بِـ"**كُلِّ هَدَايَا اللُّغَةِ**".

وَبلغةٍ لا تخلو من الغُمُوض، يُرمِّز الشَّاعِر الخِطَاب بدواعي القراءة الذَّاتيَّة، لمسيرة الغِنَاء الوطنيَّة، في رحاب المُقَاوَمَة البَاسِلَة، وَقد قارب العَوْدة "**قَبْلَ انْبِثَاقِ الْفِرَاق، وَلَكِنَّ حَادِثَةَ الْوَهْمِ تَمَّتْ، وَتَمَّ احْتِرَاقُ الْبُرَاق**"؛ وَلعلَّ العَوْدة هنا مقصودةٌ في العَوْدة الوَاقِعيَّة للوَطَن، وَمن ثمَّ العَوْدة المجازيَّة إلى الثَّوْرة، في إنشاد الشِّعْر، وَما من عائقٍ أشدّ قسوةً في منع العَوْدة المنشودة، من تمام الوَهْم، الذي كان بمثابة الحَادِث الطَّارئ، لا الأصيل المُتجذِّر، وَهو الذي غدا الشَّاعِر به ذاهلاً، في قصائده التي تلت الخُرُوج الأخِير من "بَيْرُوت"؛ وَبه "**احْتَرَقَ الْبُرَاقُ**"؛ رمز القُوَّة وَالاختراق، لِسائر نطاقات التَّحدِّي، مع الكِيَان الغَاصِب.

وَيزيد الشَّاعِر بيانًا؛ بتحديد مكان الوَهْم المُنتهي إلى الاحتراق، "**عَلَى شَارِعٍ عَجَّ بِالْحَالِمِين**"؛ في تعبيرٍ لا يخلو من احتشاد الاتِّحَاد الجَمْعيِّ، على الحُلُم الوطنيِّ، بِالتَّحرُّر وَالعَوْدة، لكنَّ الحُلُم غدا مصطرعًا مع نقيضه، الذي يتمثَّل في الارتحال، وَالحَالِمون هم أبطال "**الرِّحْلَةِ الثَّالِثَةِ**"، بعد رحلتي النَّكْبة وَالنَّكْسة.

وَيقرن الشَّاعِر بين السِّيَاق الخَارجيِّ الْحَدَثِيِّ وَالإطار الدَّاخِلِيِّ الرُّوحيِّ؛ من جهة انعكاس الْمُلِمَّاتِ عليها، ثمَّ بضلال الدَّاخِل تبعًا لضَلال الخَارج، بناءً على تمثُّل الرُّوح النَّهْج الذي يُوافِق سبيل الثُّوَّار؛ فَـ"**إِذَا ضَلَّتْ الرُّوحُ خَارِجَهَا، ضَلَّلَتْ رُوحَ دَاخِلِهَا**"، مع تكرار الشَّاعِر هذَيْن الشَّطْرَيْن، عقب المقطع التَّالِي.

وَتتجلَّى في المقطع الثَّانِي أنظار الآخر الثَّقافيَّة، من خلال "أنَا" الشَّاعِر، إذ يقول(٢):

أسمِّيك نرجسةً حول قلبيَ

لو كان قلبي معكْ،

وَأودعتُهُ خَشَبَ السّنديانِ،

لكنتُ قطعتُ الطَّريقَ بموتٍ أقلَّ ...

---

1) إمَام، أ. د. إمَام عبد الفَتَّاح، (١٩٩٥)، **مُعْجَمُ دِيَانَاتِ وَأَسَاطِيرِ الْعَالَم**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة مَدْبُولي، ٢: ١٨٧؛ وَيُنظَر في رمزيَّة "تمُّوز" لأسْطورة المَوْت وَالانْبِعَاث: عَوَض، رِيتَّا، (آذار١٩٧٤م)، **أسْطُورَةُ الْمَوْتِ وَالانْبِعَاثِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، رسَالة مَاجستير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان، ص٢٨ ــ ٣٣.

2) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٨٩ ــ ٩١.

أما من وراءٍ ؟ أما من أمامٍ ؟ أما من صعود ؟

أما من هبوط ؟

أما آن للفارس الحُرِّ أن يتوسَّدَ ظِلاًّ

وَأن يشتري قبرَهُ قبل أن ينفدَ القفرُ. ماذا دهانا

أما كان من حقّنا أن نُصَدِّقَ امرأةً واحدةْ

وَأسطورة واحدةْ ؟

حرامٌ علينا مُكاشَفةُ الذّات. هل ترقص الباسادوبلي

وَتعبر في شارع المومساتْ ؟

أما كان من حَقّنا أن نُواصِل ذاك الضحكْ

وكَسْرَ الزُّجاجاتِ في شارع اللّيل حين يموتُ الْمَلِكْ ؟

لنا الذّكرياتُ، وَللغزو ترجمةُ الذّكرياتِ إلى أسلحةْ

وَمُستَوطناتْ.

أما زلت تؤمن أنَّ القصائد أقوى من الطّائِرَاتْ ؟

إذن، كيف لم يستطع امرؤُ القَيْسِ فينا مواجهة المذبحة ؟

سؤالي غلطْ

لأنَّ جروحي صحيحةْ

وَنطقي صحيحٌ، وَحبري صحيحٌ، وَروحي فضيحةْ.

أما كان من حَقّنا أن نُكرِّس للخيل بعضَ القصائد قبلَ انتحار القريحة ؟

سؤالي غلطْ

لأنّي نمطْ

وَبعد دقائقَ أشربُ نخبي وَنخبكَ من أجل عامٍ سعيدٍ جديدٍ

جديدٍ

سعيدٍ

جديدٍ سعيدْ

□

إذا ضلّت الرُّوحُ خارجَها

ضلّلَتْ روحَ داخِلِها.

رسَّخ المقطع السَّابق، حُضُور صُورَة الآخر الثَّقافيَّة، وَفي مُستهلّها تصويرٌ مُحتشِدٌ بِالخِصْب وَالجَمَال، أكَّدهما الشَّاعِر بقوله: "**أُسَمِّيكَ نَرْجِسَةً حَوْلَ قَلْبِي**"؛ فَـ"**النَّرْجِسُ**" ينمو بعد نُزُول أمطار الشِّتَاء؛ وَفي ذلك دلالة خِصْبٍ روحيٍّ، كما أنَّ أشهر ألوانه الأبْيَض؛ المُعبِّر عن الطُّهْر وَالنَّقَاء، وَهو أمرٌ مطلوبٌ في زمنٍ نَكَصَتْ فيه هذه القيم السَّامِية، فضلاً عن الأصْفَر؛ الذي يُعَدُّ لون الإثارة العصبيَّة؛ وَفيه قيمة التَّنْبيه بغية التَّصْويب؛ وَ"**لِلنَّرْجِسِ**" بذلك قيمةٌ لونيَّةٌ، منسجمةٌ غاية الانسجام مع مرحلة اليَأس وَالتَّشاؤُم، التي خيَّمت على المُثقَّفين بخاصَّة، وَالثُّوَّار بعامَّة، عقب الارتحال عن "بَيْرُوت".

وَتبرز القيمة الثَّانِية في الالتئام بين الأنَا وَالآخَر، من باب الاتِّحَاد، وَفيها إعانة المُضِيِّ في الطَّرِيق "**بِمَوْتٍ أقَلّ**"؛ مِمَّا يدلُّ على عظيم قدر سَمِيح القَاسِم في مجموع "شُعَرَاءِ المُقَاوَمَةِ".

ثُمَّ يصوغ دَرْويش المُتتالِية الاستفهاميَّة المُصدَّرة بِـ"**أمَا**"؛ وَفيها عبثيَّةٌ منسجمةٌ مع حال الشُّعَرَاء وَالثَّائرين، في تلك الحِقْبة الزَّمَنيَّة، طالت نِطَاقات: "**الوَرَاءِ**" وَ"**الأمَامِ**" وَ"**الصُّعُودِ**" وَ"**الهُبُوطِ**".

ثُمَّ يكون "**الفَارِسُ الحُرُّ**" بُؤْرة السُّؤَال الجَدِيد: "**أمَا آنَ لِلفَارِسِ الحُرِّ أنْ يَتَوَسَّدَ ظِلاً، وَأنْ يَشْتَرِيَ قَبْرَهُ قَبْلَ أنْ يَنفدَ الفَقْرُ**"، وَبذلكم يُعبِّر الشَّاعِر عن معنييْن نقيضَيْن؛ يتمثَّل أوَّلهما في إيجابيَّة راحة الثَّائِر، بعد عظيم مشقَّةٍ في ميادين القِتَال، وَالالتئام مع مصير بُسَطاء الشَّعْب، المسحوقين تحت نيران آلة الحَرْب الصُّهيونيَّة؛ ثُمَّ كان في المعنى الثَّانِي نقيضٌ مقصودٌ؛ لغاية الإيقاظ النَّقْديِّ للمُثقَّفين من جهةٍ، وَالسَّاسَة من جهةٍ أخرى، داعيًا إلى توسُّد الظِّلِّ، وَاستحضار صُورَة القَبْر؛ وَهما يُعبِّران عن فقر الصُّورَة بدواعي الأمل؛ فلا أمل في مُعَانَقَة الظِّلال، وَالاستكانة إلى المَوْت؛ راحةٌ من كُلِّ شَرٍّ.

وَتتكشَّف عناية "شُعَرَاءِ المُقَاوَمَةِ" بالأسْطُورة، من خلال سُؤَال الشَّاعِر عن أحقِّيَّة تصديق "**امْرَأةٍ وَاحِدَةٍ وَأسْطُورَةٍ وَاحِدَةٍ**"، أم عساها منحت جسدها للرَّاقِصين معها "**الباسادوبلي**"، عَابِرةً "**شَارِعَ المُومسات**"، وَهنا يكمن الاصطراع الدَّاخِليُّ؛ المُتبدِّي في الشِّعْر شَكًّا بالمرأة التي عانقت أساطيره، وَما بين سؤالي الاعتقاد وَالشَّكِّ، أطلق الشَّاعِر كشفًا مُهمًّا، بُنِيَتْ عليه الشَّخصيَّة العربيَّة على وجه العُمُوم، وَشخصيَّة المُقاوِم المُلتحِق بركب الثَّوْرة على وجه الخُصُوص؛ فَـ"**حَرَامٌ عَلَيْنَا مُكَاشَفَةُ الذَّاتِ**"؛ وَهو ما أسلم الثَّوْرة بفصائلها إلى مُدَاهَنة القَادَة، دون نقدٍ ذاتيٍّ مُتبصِّرٍ في واقع الانحدار؛ كيما يُنتَزع مشروع المُقَاوَمَة من الفَنَاء، وَيتصدَّر المُوَاجَهة المصيريَّة مع المُحتَلِّ.

وَيمضي الشَّاعِر في أسئلته للآخَر المُثقَّف، وَفي جديدها استحقاق مُواصلَة "**الضَّحِكِ وَكَسْرِ الزُّجَاجَاتِ فِي شَارِعِ اللَّيْلِ حِينَ يَمُوتُ الْمَلِكُ**"؛ في تلميحٍ لا يخلو من سرمديَّة الحَاكِميَّة؛ في الميزَان الثَّقافيِّ العربيِّ؛ لذا ساءَل الشَّاعِر إلفه عن الحَقِّ الثَّقافيِّ، بتملُّك فرحة التَّحرُّر من أسْمَال الْمَلَكِيَّةِ، المُنتزعة مَنَابِرَ الحُرِّيَّة.

ثُمَّ يكشف دَرْوِيش عن مجال المُثقَّفين وَالغُزَاة؛ أمَّا الفَرِيق الأوَّل المُتصدِّر موكب الأمَّة، الزَّاحِف إلى أمجاد المَاضِي؛ فيغدو كُلٌّ من فيه نَهْبًا للذِّكْريات، مُتوسِّلين لها جُلَّ آمالهم، وَمُحلِّقين في بَوْحِهَا بأحلامهم؛ ليصدر أرباب الفَرِيق الآخر عن "**تَرْجَمَةِ الذِّكْرَيَاتِ إِلَى أَسْلِحَةٍ وَمُسْتَوْطَنَاتٍ**".

وَيغدو السُّؤَال التَّالِي أكثر مُبَاشَرَةً، في استجلاء الشَّاعِر لفكر الثَّقافيِّ، بقوله: "**أَمَا زِلْتَ تُؤْمِنُ أَنَّ الْقَصَائِدَ أَقْوَى مِنَ الطَّائِرَاتِ ؟**"، في اعتقادٍ راسخٍ، تشكَّل في مِخْيال مَحْمُود دَرْوِيش حول موقف سَمِيح القَاسِمِ، من الكَلِمة / القَصِيدة، التي تفوق بقُوَّتها سطوة سلاح العَسْكر، وَأقواها سيطرةً الطَّائِرَات.

أمَّا الذي يليه، وَهو المُتجسِّد في تَوالِي التَّسْآل؛ فيظهر فيه المُثقَّف الحَاكِم "**امْرُؤ الْقَيْس**" من جهة "**مُوَاجَهَةِ الْمَذْبَحَةِ**"، مُستَتْبِعًا بإقرارٍ حَاسِمٍ: "**سُؤَالِي غَلَطٌ؛ لأنَّ جُرُوحِي صَحِيحَةٌ، وَنُطْقِي صَحِيحٌ، وَحِبْرِي صَحِيحٌ، وَرُوحِي فَضِيحَةٌ**"؛ مِمَّا يعني افتضاح روحه بإخراج كوامن الدَّاخِلِ؛ من تَصارُع المُتناقِضات في الواقع السِّياسيِّ للقضيَّة.

ثُمَّ بدا دَرْوِيش أكثر إشراقًا بالتَّفاؤُل، باقتدار القَصِيد على إذكاء فُرُوسيَّة الثُّوَّار، في سُؤَاله التَّالِي: "**أَمَا مِنْ حَقِّنَا أَنْ نُكَرِّسَ لِلْخَيْلِ بَعْضَ الْقَصَائِدِ قَبْلَ انْتِحَارِ الْقَرِيحَةِ ؟**"؛ وَيتَّضح تاليًا البَرِيق الخَادِع لهذا التَّفاؤُل، من خلال حُكْمِهِ الذَّاتيِّ: "**سُؤَالِي غَلَطٌ؛ لأنِّي نَمَطٌ**"، وَما من قَيْدٍ يمنع التَّأويل المفتوح علَى مصراعي "**النَّمَطِ**"؛ وَفي الجملة نمطيَّة المَوْقف المُنْسَاح في الإطار الجَمْعيِّ، في بينونة التَّناقُضات الصَّارِخة بمعاني الألَم وَالأمَل؛ وَإقراره ذلك مُرَادٌ ابتغى من خلاله ثَوْرَةً، على كُلِّ نَمَطٍ استحال إلى نُكُوصٍ وَهزيمةٍ وَتقريعٍ، دون أن يحمل في تضاعيفه بشائر أملٍ جَدِيدٍ.

وَيمكن أن نذكر في نهاية التَّساؤُلات المُتكاثِرة، ما تُمثِّلُهُ من استبطانٍ لِنهج سَمِيح القَاسِم، وَمواقفه الثَّقافيَّة المختلفة، وَهي التي ظهرت في أسئلةٍ، صَدَحَ مضمونها بإيجاب التَّوافُق، علَى موقفٍ فكريٍّ واحدٍ، من كُلِّ القضايا المُحتدِمة تَصادُمًا في وَاقِعِ الصِّرَاع.

وَسعى الشَّاعِر في مُنتَهى المقطع إلى اصطناع الأمَل: "**وَبَعْدَ دَقَائِقَ أَشْرَبُ نَخْبِي وَنَخْبَكَ مِنْ أَجْلِ عَامٍ سَعِيدٍ جَدِيدٍ، جَدِيدٍ، سَعِيدٍ، جَدِيدٍ وَسَعِيدٍ**"، وَما من أمَلٍ في العبارات المُتوالِية، التي سعت إلى ترسيخ الجِدَّة وَالسَّعَادة على صعيد اللُّغَة، في عامٍ لم يأت بـ"**جَدِيدٍ سَعِيدٍ**"، وَإلا فما

حاجة الشَّاعِر إلى تَكْرَار هذا التَّركيب مرَّتَيْن؛ مَرَّة على سبيل التَّشْطير، وَمَرَّة من خلال التَّوْليف، إلا أن تكون غايته نفي ديمومة اليَأس، بالجِدَّة المُستَلبة من كُلِّ جَدِيدٍ، وَنبذ الحُزْن، بالسَّعَادة المُفرَغة من سائر قيم السَّعَادة؛ لتغدو الرُّوح على سَابق ضَلالِها؛ في الخَارج وَالدَّاخِل.

وَيفتضح الشَّاعِر مُرَاده من لُوَثَةِ التَّسْآل، مع التقاء النَّهْج الثَّقافيِّ الْمُتَّحِدِ بالآخَر في الآمال، وَفيه أملٌ قَائِمٌ على أَلَمٍ سَابِقٍ؛ إذ الخِطَاب مُصَدَّرٌ بـ"**سَنَكْتُبُ**"، على سبيل الاستقبال المُتخفِّف من أوْزَار المَاضِي، مع إعطاء الكلمة صدارة الفِعْل، في التَّخفُّف من "**التَّلَوُّثِ وَالأَسْئِلَةِ**"، وَالتَّخْفيف "**عَنِ النَّاسِ سَادِيَّةَ الْعَصْرِ وَالإِخْوَةِ ــ الْقَتَلَةِ**"، قائلاً([1]):

سنكتب. لا شيء يثبتُ أنَّ الزَّمانَ طويلُ اللِّسانِ

سوى الكلمات التي لا تَصُدُّ سوى موتِ

صاحبها

فقُلها

وَقُلْها

وَخَفِّفْ عن القلبِ بعضَ التَّلوُّثِ وَالأسئلةْ

وقُلْها

وَخَفِّفْ عن النَّاس ساديَّةَ العصرِ وَالأخوةِ ــ الْقَتَلَةْ

سنكتب من غير قافيةٍ أو وطنْ

لأنَّ الكتابة تثبت أنِّي أُحِبُّكْ،

وَأنَّ لأُمِّي حقًّا بقلبكْ

وَأنَّ يديك يدايَ، وَقلبيَ قلبُكْ !

وَنظم دَرْوِيش في المُثقَّف الفلسطينيِّ؛ ما ينمُّ عن اتِّحَادٍ موقفيٍّ معه، في صلةٍ واضحةٍ بالنَّهْج الأسلوبيِّ لِلقَصِيدة السَّابِقة؛ فقد أهدى الشَّاعِر قَصِيدَة "**يَوْمِيَّاتِ جُرْحٍ فِلَسْطِينِيٍّ**"، من مَجْمُوعَة "**حَبِيبَتِي تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَا**"، إلى "**فَدْوَى طُوقان**".

وَتبدَّت في المقطعَيْن الأوَّلَيْن منها، وظيفة الشِّعْر في ظِلِّ الصِّرَاع مع الغَاصِب الصُّهيونيِّ، ممثَّلة في شَرَفِ النِّزَالِ، مع تقييد ذلك بالإطار الزَّمنيِّ، الممتدِّ من النَّكْبة إلى النَّكْسة. يقول الشَّاعِر([2]):

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٩٢.
[2]) **نفسه**، ١: ٣٥٦، ٣٥٧.

ــ ١ ــ

نحن في حِلٍّ من التّذكار

فالكرمل فينا

وَعلى أهدابنا عشب الجليلِ

لا تقولي: ليتنا نركض كالنَّهر إليها،

لا تقولي !

نحن في لحم بلادي .. وَهي فينا !

ــ ٢ ــ

لم نكن قبلَ حزيرانَ كأفراخ الحمام

ولذا، لم يتفتَّتْ حبُّنا بين السَّلاسلْ

نحن يا أُختاه، من عشرين عام

نحن لا نكتب أشعارًا،

وَلكنَّا نُقاتِل

وَالذي يمكن ملاحظته في البِنَاء العامِّ للقَصِيدَة، استيحاء الشَّاعِر حَمَاسة الفِعْل، من الاتّحَاد مع الآخر المَثِيل، في خندقٍ ثقافيٍّ واحدٍ؛ عبَّر عن غائيَّة الشِّعْر؛ في ترسيخ ظَاهِرة النِّضَال، من خلال بناءٍ استند إلى أربعةٍ وَعشرين مقطعًا، وَفيها وجه صلةٍ بالسَّنوات التي مضت على النَّكْبة، حين صُدُور المَجْمُوعَة المُحتضِنة هذه القَصِيدَة، على وجه التَّقْريب.

وَنجد لِـ"**فَدْوَى طُوقان**" حضورًا آخر في نطاق النَّثْر؛ إذ توقَّف دَرْويش في إحدى مقالاته المُختَارة، ضمن مجموعته النَّثْريَّة "**حِيرَة العَائِد**"، على نهج الشَّاعِرة وَطبيعة شِعْرها، وفق مُؤثِّرات الكِفَاح الفلسطينيِّ، مِمَّا يندرج في إطار الموقف الثَّقافيِّ للأَدِيب، مع احتفائه بالآخَر المعرفيِّ "**القَارِئ**" وَ"**النَّاقِد**"، وَكشفه عن بعض الأنظار النَّقْديَّة، وَإشارته إلى الغُمُوض في الشِّعْر([1]).

وَقد خرج مَحْمُود دَرْويش عن الإطار المحلِّيِّ إلى العربيِّ، من خلال الإهداءَات المُوجَّهة إلى الشُّعَرَاء حينًا، وَذكرهم في سياق حِوَار الفِكْر وَالمَوْقف حينًا آخر؛ مِمَّا يعني احتلالهم قدرًا عظيمًا من دائرة الشُّعُور الوجدانيِّ، وَالتَّمثُّل المعرفيِّ.

---

[1]) يُنظَر: دَرْويش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٣: ٢٦٧ ــ ٢٧٠، (فَدْوَى).

وَيُمَثِّلُ الإهداء "عتبةً نَصِّيَّةً لا تنفصل دلالتها عن دلالة العنوان، أو اسم المُؤلِّف، أو غيرها من عتبات النَّصِّ؛ فهي عبارةٌ عن إشاراتٍ دلاليَّةٍ، ذات خاصيَّةٍ مُوازيةٍ لخاصِّيَّة العنوان، أو النَّصِّ، أو المُؤلِّف"([1]).

وَمن هؤلاء بَدْر شَاكِر السَّيَّاب، الذي استدعته ذَاكِرة الشَّاعِر، في قَصِيدة "**أتذكَّر السَّيَّاب**"، من مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ**"، وَقد جاء في مُستهلِّها([2]):

أَتَذَكَّرُ السَّيَّابَ، يصرخُ في الخليج سُدَىً:

"**عِراقُ، عراقُ، ليس سوى العراق ...**"

وَلا يردُّ سوى الصَّدَى.

بدأ الشَّاعِر قصيدته بالجُمْلة المحوريَّة: "**أتذكَّر السَّيَّاب**"، التي أحالته إلى سائر مُعِينات استذكاره، لا سيَّما فيما يخصُّ القَوَاسِم المُشتَركة بين المُثقَّفَيْن، في الرُّؤَى وَالمَوَاقِف، وَقد تكرَّر هذا الاستهلال تسع مرَّاتٍ، على مُستَوى القَصِيدة كاملةً، في بناءٍ مقطعيٍّ واضحٍ، على أساسٍ من أصالة المُثقَّف العراقيِّ، في الذَّاكِرة الفلسطينيَّة.

وَلِلعِرَاق وجه شبهٍ مع فلسطين؛ في لُبِّ الصِّرَاع وَمَكْمَن الألَم وَحجم المُؤَامَرة؛ أمَّا غُزَاة العِرَاق؛ فهم الذين صاغوا قبلاً مُؤَامَرات الغَصْب وَالتَّقْسيم([3])، من زمن الانتداب البريطانيِّ([4])،

---

[1]) درمش، عَتَبَاتُ النَّصِّ، ص٧٦؛ وَيُنظَر في المَوْضُوع نفسه: المنادي، أحْمَد، (مَايُو٢٠٠٧م)، النَّصُّ المُوَازِي: آفَاقُ المَعْنَى خَارِجَ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦١)، ص١٣٩ ــ ١٥٦.

[2]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٥.

[3]) لِتتبُّع مَرَاحِل المُؤَامَرة العالميَّة على فِلَسْطِينَ، يُنظَر: جَاد الحَقّ، يُوسُف، (خَرِيف٢٠٠٨م)، مِنْ وَعْدِ بلفُور إِلَى قَرَار التَّقْسِيم وَالمَشْرُوع القَوْمِيِّ وَالمُؤَامَرَةِ عَلَى فِلَسْطِينَ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٢)، ص١١٥ ــ ١٢٠.

[4]) لقد أسهم الانتداب البريطانيُّ، في تدعيم أُسُس الوُجُود الصُّهيونيِّ، في فِلَسْطِينَ وَالمنطقة، يُنظَر: تشابمن، **أَرْضُ المِيعَادِ لِمَنْ ــ الصِّرَاعُ الفِلَسْطِينِيُّ ــ الإسْرَائِيلِيُّ المُستَمِر**، ص١١٧ ــ ١٢٦، ("٢. ٥": دَوْر بريطانيا وَوُعُودُها لليَهُود وَالعَرَب)؛ وَيُنظَر: سُرُور، د. عبد النَّاصِر، (يَنَاير٢٠٠٦م)، العَلاقَاتُ الأمْنِيَّةُ بَيْنَ الانْتِدَابِ وَالصُّهْيُونِيَّةِ وَتَدَاعِيَاتُهَا عَلَى دِيمُغرَافِيَّةِ فِلَسْطِينَ خِلالَ ثَوْرَةِ (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩)م، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٤(١)، ص٢١٣ ــ ٢٣٢؛ وَمن أمثلة الإسهامات القِيَاديَّة، في دعم الوُجُود الصُّهيونيِّ، الكابتن البريطانيّ (أورد وينغيت)، المَوْلُود في أسكتلندا، وَالذي كان شغوفًا بالكِتَاب المُقدَّس لاسيَّما المَزَامير، كما ساهم في مُوَاجَهَة الثَّوْرَة الفلسطينيَّة الكُبْرَى (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩م)، يُنظَر: السِّنوَار، د. زَكَرِيَّا إبْرَاهِيم، (يونيه٢٠٠٧م)، أورد وينغيت، وَدَوْرُهُ فِي تَطْوِيرِ القُدرَاتِ العَسْكَرِيَّةِ الصُّهْيُونِيَّةِ، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢)، ص٢٨٧ ــ ٣١٦؛ أمَّا عن مُبرِّرات هذا الدَّعم؛ فيمكن اختزالها في الموقف البريطانيِّ المُعْلَن منذ مطلع القَرْن العشرين، ممثَّلاً في وعد بلفُور المَشْؤُوم، بإقامة وطنٍ قوميٍّ للشَّعْب اليَهُوديِّ في فِلَسْطِينَ، يُنظَر:

Cattan, **The Palestine question**, p10 – 16, (The Balfour Declaration)

ــ وَيُنظَر:

Cattan, **The Palestine problem in a nutshell**, p10, 11.

وَحتَّى عهد التَّسْليم، ولَلثُلاثيَّة البريطانيَّة الأمريكيَّة الصُّهيونيَّة، نصيبٌ وافرٌ من التَّآمُر على بلد الرَّافِدَيْن، وَتقسيمه إبَّان العهد الجَدِيد من الاحتلال، في ألفيَّة التَّحضُّر الإنسانيِّ الثَّالِثة.

غير أنَّ استدعاء التَّناصِّ المباشر مع قصيدته "**غَريب عَلَى الخَلِيج**"، هو ما فجَّر الشِّعْر لغةً مُصطرعةً مع نِطَاقات الشُّعُور بِالمَصِير المُشتَرك، وَقد تجلى فيه عَوِيل الرِّيح عليه، حين غدا مُقتربًا من كُلِّ مُؤشِّرات الرَّحِيل، "**عِرَاق، عِرَاق، لَيْس سِوَى العِرَاق** ..."(١)، في صورةٍ اختلجت قَسَمَاتُهَا بِحُزْن ترقُّب الوَطَن من بعيدٍ، وَهو الذي ناجاه من شَاطِئ الكويت، قبل الرَّحِيل بزمنٍ يسيرٍ، أثناء إقامته فيها لغاية العلاج، وَما رَدَّ على عَوِيل المَوْج "**سِوَى الصَّدَى**".

وَيطرح الشَّاعِر من خلال هذا التَّناصِّ الوَاعِي المباشر، قضيَّة الاغتراب عن الوَطَن، ببعدٍ جغرافيٍّ، ليس في لغة الأرقام بذي شأنٍ، وَدَرْوِيش على المسافة نفسها فيما بعد حُكْم السُّلْطة الوطنيَّة؛ إذ إنَّ إقامته في رام الله، لم تغن عنه من الغُرْبة شيئًا؛ فَحَيْفَا بِبَرْوَتِهَا لا تبعد عنه سوى مسير ساعةٍ من الزَّمَن؛ وَيتجسَّد الملمح الثَّقافيُّ هنا؛ من خلال المحبَّة العَظِيمة للوطن، المتجلية عِنَاقًا للأرض في حالتي الحَيَاة وَالمَوْت؛ وَللموقف هنا أن يُكرِّس قيم الانتماء وَالولاء، وَحُبِّ الشَّعْب، وَتمثُّل هُمُومه الجَمْعِيَّة.

وَيلتقي دَرْوِيش مع السَّيَّاب، في فضاء المرأة الأسطورية الكُبْرى، التي أورثتهما مَعًا الأرْض وَالمَنْفى، فيقول(٢):

أَتَذكَّرُ السَّيَّابَ، في هذا الفضاء السُّومريِّ
تغلَّبتْ أنثى على عُقْم السّديمِ
وَأَوْرَثَتْنَا الأرضَ وَالمَنْفى مَعًا

وَيتوقَّف الشَّاعِر تاليًا، عند ملمحٍ نقديٍّ، مُوَازٍ للحَرَكة الأدبيَّة، في عهدها الحَدِيث، مُصرِّحًا بموقفه النَّقْديِّ، من واقع المُتَابَعة المستجلية نتاج الأدَب وَآثار الأُدَبَاء؛ وَفيه أوَّليَّة الشِّعْر الحَدِيث في العِرَاق، بِكُلِّ ما يحمل من قيم التَّغْيير الإيقاعيِّ وَالمضمونيِّ، وَالسِّمَات الفنِّيَّة العامَّة، على ما في ذلك من خلاف النُّقَّاد بين السَّيَّاب وَنَازك المَلائِكة وغيرهما، في صَدَارة السَّبْق، غير أنَّهما عِرَاقيَّان، وَلِدَرْوِيش أن يحتفي بولادة الشِّعْر في العِرَاق، قائلاً(٣):

أَتذَكَّرُ السَّيَّابَ ... إنَّ الشِّعْرَ يُولَدُ في العراق

---

(1) يُنظَر: السَّيَّاب، **دِيوَان بَدْر شَاكِر السَّيَّاب**، ص٣١٨؛ وَيمكن الاطِّلاع على قَصِيدَة "غَرِيب عَلَى الخَلِيج" كاملةً، في: **نفسه**، ص٣١٧ ــ ٣٢٣.

(2) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٥.

(3) **نفسه**، ١: ١٢٥.

فَكُنْ عِرَاقِيًّا لتُصبح شاعرًا يا صاحبي !

وَرفض السَّيَّاب الواقع الاجتماعيَّ وَالسِّياسيَّ في حينه، ضمن رُؤْيته الثَّقافيَّة للحَالَة العِرَاقيَّة؛ فلم يحفل بالخُلُود، وَلا نظر إلى القِيَامة التَّالِية للمَوْت، وَهو الذي لم يتجاوز عمره، حين حضرته الوفاه في الكويت، ثمانيةً وَثلاثين عامًا، وَفي ذلك يقول دَرْوِيش([1]):

أَتَذْكَّرُ السَّيَّابَ، لم يَجِدِ الحياةَ كما
تخيَّل بين دجلةَ وَالفُراتِ، فلم يُفكِّر
مثلَ جلجامشْ بأعشاب الخُلُودِ،
وَلم يُفكِّر بالقِيَامة بعدها ...

وَاستدعى الشَّاعِر التَّناصَّ المباشر، على النَّحْو الإشاريِّ، إلى ملحمة جلجامش، التي روت "قصَّة المَلِك البَطَل جلجامش، الذي سعى بِكُلِّ ما يلتهب في داخله من رغبةٍ في الخُلُــود، إلــى تحقيق حياةٍ أبديَّةٍ؛ فعاد من رحلاته إلى المَجْهول وَقد خابت آماله، وَأشرقت الحقيقة التــي لــم يستطع نقضها: وَهي أنَّ الإنسان وُلِدَ ليموت"([2]).

وَدرويش إذ يُجسِّد بتَطوُّره الشَّخصيِّ؛ الانتقال من "الفرديَّة الفوضويَّة، إلى الفرديَّة الجماعيَّة المُنظَّمة، وَمن الاهتمام بالمَصِير الخاصِّ، إلى العِنَاية بالمَصِير الإنسانيِّ، إنَّما يُحدِّد المَسَار الذي يُحرِّر الأفراد وَيربطهم في آنٍ مَعًا، في مَسِيرة الإنسانيَّة الكُبْرى، نحو معرفة الــذَّات وَمعرفــة الكَوْن وَ... خِلافَة الله ..."([3])، ([4]).

ثُمَّ يكون البُعْد الثَّقافيُّ الثَّالِث، في تبدِّي الآخَر / السَّيَّاب، بتنــاصٍّ إشــاريٍّ مــع شَــرَائِع حمورابي، سَادِس مُلُوك بَابِل، فضلاً عن تناصٍّ إشاريٍّ دينيٍّ إلى المَذْهب الصُّوفيِّ، وَلهما مَعًــا أن يُشكِّلا موقفًا ثقافيًّا في الحَيَاة، وَمع اقتراب المَمَات، فيقول دَرْوِيش([5]):

أَتَذْكَّرُ السَّيَّابَ. يأخذُ عن حمورابي

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٥.

[2]) عَوَض، **أَسْطُورَةُ الْمَوْتِ وَالانْبِعَاثِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، ص٢٥.

[3]) السَّوَّاح، فِرَاس، (٢٠٠٢م)، **جلجامش ــ مَلْحَمَةُ الرَّافِدَيْنِ الْخَالِدَةُ**، (ط٢)، دِمَشق: مَنْشُورات عَــلاء الــدِّين، ص٢٣٩؛ وَحَوْل الرِّسَالَة الفلسفيَّة وَالأخلاقيَّة للمَلْحَمَة، يُنظَر: **نفسه**، ص٢٣٧ ــ ٢٦٦، (٧ ــ معنى المَلْحَمَــة وَرسالتها الفلسفيَّة وَالأخلاقيَّة).

[4]) يُنظَر: حُسْنِي، د. مُحمَّد خَلِيفَة حَسَن، (١٩٩٧م)، **الأَسْطُورَةُ وَالتَّارِيخُ فِي التُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ الْقَدِيمِ ــ دِرَاسَــةٌ فِي مَلْحَمَةِ جلجــامش**، (د. ط)، القَاهِرة: عَيْن للدِّرَاسَات وَالبُحُوث الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّــة، ص٦٧، ٦٨، (٤ ــ جلجامش إله العالم السُّفْليِّ)؛ وَيمكن تَتبُّع مختلف القَضَايَا المتعلِّقة بــ"ملحمة جلجامش" في الكِتَاب نفسه.

[5]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٦.

الشَّرَائِعَ كي يُغَطِّي سَوْءَةً،
وَيسير نحو ضريحه مُتصوِّفًا.

إنَّ وجه الشَّبَه بين شَرَائِع حمورابي، وَمَا استوحاه السَّيَّاب في فضائها، تضمَّنتها النِّطَاقات الكونيَّة المُتعلِّقة بحياة الإنسان؛ لغايةٍ وظيفيَّةٍ هادفةٍ إلى تنظيم سُبُلِ المَعَاش، وَالسَّيَّاب اجترأ على قراءة الوَاقِع، وَاجتلاب فكر الشَّرَائِع؛ كيما يغطي سَوْءَة واقعٍ مفرغٍ من مثال الشَّريعة البابليَّة الأولى.

ثُمَّ إنَّهُ غدا مُنطلِقًا إلى المَوْت، غير آبهٍ بزُخْرُف الحَيَاة، على نحو ما نقرأ في سُلُوك المُتصوِّفة من التَّزهُّد، وَلِلتَّزهُّد هنا معنيان اثنان؛ يتعلَّق أحدهما بإدراك حتميَّة المَوْت؛ مِمَّا يُولِّدُ رغبةً جامحةً في الانصراف عن الملذَّات؛ وَيُجسِّد الآخر التَّأمُّل العَمِيق في سائر مناحي الحَيَاة، بوجهةٍ فكريَّةٍ تُحِيل إلى تزهُّد المُثقَّف، في شهوات السُّلْطة المُنحدِرة إلى الدُّون، فضلاً عن الخَوْض في غِمَارِ الظُّنُون.

وَيغدو "**هَذَيَانُ الْحُمَّى**"؛ وسيلة كشفٍ لِحجم التَّساوُق العربيِّ؛ مع الأهداف الأمريكيَّة في المنطقة، وَلِلعِرَاق وَفلسطين من أثر المُؤَامَرة نَصِيبٌ وَافِرٌ، كرَّسها دَرْويش في سطوة (هُولاكُو)، المُستَجلب إلى الشِّعْر، من خلال التَّناصِّ الإشاريِّ، على المُستَوِيَيْن الْعَلَمِيِّ وَالْحَدَثِيِّ التَّارِيخِيِّ([1]):
أَتَذكَّرُ السَّيَّابَ، حين أصَابُ بالحُمَّى
وَأهذى: إخوتي كانوا يُعِدُّونَ الْعَشَاءَ
لجيش هولاكو، ولا خَدَمٌ سِوَاهُمْ ... إخوتي !

لقد جسَّد التَّناصُّ التَّاريخيُّ، في ذكر جَيْش (هُولاكُو)؛ إشارةً "تُحِيل إلى شكلٍ من أشكال إعادة التَّاريخ نفسه في العَصْر الحَاضِر؛ فاحتلال الأمس، وَضياع فلسطين، وَهُوِيَّة الأمَّة وَأمجادها في عصر الانكسارات وَالهَزَائِم اليوم، مثل ضياعها في زمن الصَّليبيِّين وَالتَّتَار قديمًا، لكنَّ هذا الضَّيَاع، وَهذا الانكسار، وَهذا السُّقُوط؛ يحمل في طيَّاته بُذُور زواله وَنهايته وَانكساراته، مثلما حملها في الزَّمَن المَاضِي"([2]).

---
[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٦.
[2]) العنابيّ، **مُوَازَنَةٌ بَيْنَ نِزَار قَبَّانِي وَمَحْمُود دَرْوِيش فِي تَحْلِيل خِطَابِ شِعْرِيَّةِ الْحَدَاثِيِّ**، ص١٦٩.

وَيتجسَّد الموقف الثَّقافيُّ، في سَادِس إطلالات دَرْوِيش الخفيَّة، وَفيها اتِّحاد القَائِل وَالمقُــول فيه، على حُلُم مُصَافَحة الغِيَاب، الذي بدا ظاهرةً ملتصقةً بكليْهما، وَمن ثمَّ بِالــشَّعبَيْن العِرَاقــيِّ وَالفلسطينيِّ([1]):

أتَذْكُرُ السَّيَّابَ، لم نَحْلُمْ بما لا
يستحقُّ النَّحْلُ من قُوتٍ. وَلم نحلم
بأكثرَ من يدَيْن صغيرتَيْن تصافحان غيابنا.

وَاللافت للنَّظَر في الصُّوَر السَّابِقة، تَضمّنها ذكر "**الْيَدَيْن**"؛ في إحالةٍ إلى التَّشبُّث بــدواعي الحُضُور على أرض الوَطَن، حتَّى لو كانتا "**صَغِيرَتَيْن**"، فضلاً عن ذكر المُفَارَقة اللُّغويَّة، المُتمثّلة في التَّنافُر الإسناديِّ "**تُصَافِحَانِ غِيَابَنَا**".

وَيشتمل الخِطَاب على ملمح الغُمُوض؛ ليدلَّ دَرْوِيش من خلاله على معنيَيْن منفتحَيْن علــى دائرة التَّأويل، وَفيه قوله([2]):

أتَذْكُرُ السَّيَّابَ. حدَّادون موتَى ينهضون
من القُبُور وَيصنعون قيودنا.

وَيمكننا أن نحمل المعنى على وجهتَيْن؛ تمثَّلت الأولى في تعبير كلمة "**الْحَدَّادِينَ**" عن بُسَطاء العامَّة، من ذَوِي الكَدْح، في سبيل استجلاب القُوت، وَهم في مَجَاز الشِّعْر "**مَوْتَى يَنْهَضُونَ مِــنَ الْقُبُور**"؛ لغاية مُحَاسَبة المُثقَّفَيْن على تَخاذُلهما، عن الاصطبار في درب الحُرِّيَّة، وَالمُنَافَحة دون آمالهم؛ فَــ"**يَصْنَعُونَ قُيُودَ**" الحُلُم السَّابِق، وَكأنَّ الاغترابَ كاشفٌ للذَّاتِ نقدَ دَاخِلها، فــي مجــال مُقَارَبة المطامح الإنسانيَّة الكُبْرى.

وَللوجهة الثَّانِية أن تتَّصل بالسَّادَة؛ لما أوحت به كلمة "**الْحَدَّادِينَ**" من دواعي القُــوَّة، وَهــم "**مَوْتَى**" الضَّمِير وَالشُّعُور، وَيكون نُهُوضهم من "**مَقَابِر**" التَّاريخ، حيث لا شيء إلا سواد الرُّؤْية، وَظلال العَمَالة في الخَفَاء، وَهم على ذلك "**يَصْنَعُونَ قُيُودَ**" حُرِّيَّــةِ المُثقَّــف؛ للحــدِّ مــن دوره الاجتماعيِّ الشُّمُولِيِّ.

وَقد آن للخِطَاب أن يُرسِّخ في سُمُوِّ الفِكْرة الأخيرة، نبرته الطَّاغِية بِثنــائيَّتي "**التَّجْرِبَــةِ**" / "**الْمَنْفَى**"، وَ"**الحَيَاة**" / "**المَوْت**"، بقوله([1]):

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَة**، ١: ١٢٦.
[2]) **نفسه**، ١: ١٢٦.

أَتَذكَّرُ السَّيَّابَ. إنَّ الشِّعْرَ تجربَةٌ وَمنفى،
توأمان. وَنحن لم نَحْلُمْ بأكثر من
حياة كالحياةِ، وَأن نموت على طريقتنا:
"**عِراقُ**
"**عراقُ**
" **ليس سوى العراقْ ...**"

إنَّ جلال الفِكْرة في المُنتَهى، كَاشِفٌ لكنهي الشِّعْر وَالحُلُم، في عقيدة المُثقَّفَيْن المُلتقِيَيْن على نسيج الفِكْر وَالمَوْقف حتَّى النِّهَايَة؛ أمَّا الشِّعْر؛ فَـ"**تَجْرِبَةٌ وَمَنْفَى**"، وَ"**لِلتَّجْرِبَةِ**" أن تصطرع بالتَّغْيير في رُبُوع الوَطَن، ثمَّ يكون "**الْمَنْفَى**" عقاب الثَّقافيِّ على موقف الإصلاح؛ وَأمَّا "**الْحَيَاةُ**"؛ فقد غدت مُفرَغةً من القيمة الفُضْلى "**لِلْحَيَاةِ**"؛ حين تنتهي بأسمى الغايات في "**الْمَوْتِ عَلَى طَرِيقَتِنَا**"، وَبالطَّريقة تكتمل حلقات الموقف الثَّقافيِّ، المُعبِّر عن محطَّات التَّجاذُب مع الأرْض وَالإنْسان؛ خُلُوصًا إلى المُنتَهى الذي جسَّد قيم السُّمُوِّ وَالتَّضْحية وَالفِدَاء.

وَقد شكَّلت قَصِيدة "**أتذكَّر السَّيَّاب**"، مُنطلَقًا محوريًّا، في مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ**"؛ حيث بدأ الشَّاعِر المُثقَّف رحلة الفرار إلى التَّجارُب الثَّقافيَّة وَالمعرفيَّة، على الصَّعيدَيْن: الإقليميِّ وَالعالميِّ، باحثًا عن ذاته في أفكارها وَأطروحاتها، وَهم الطَّليعيُّون في حَيَواتهم المعرفيَّة الثَّقافيَّة.

وَيُلْحَظُ توجُّهه صوب شُعَراء وَمُثقَّفين من ثلاث فئات؛ فِئَةٍ كانت على شاكلته، من اعتناق الفِكْر الشُّيُوعيِّ، أو النَّهْج الاشتراكيِّ، من مثل ما جاء في قَصِيدته "**كَحَادِثَةٍ غَامِضَةٍ**"، التي استحضر فيها الشَّاعِر التشيليَّ (پابلو نيرودا)، (ت١٩٧٣م)(٢)، وَالشَّاعِر اليونانيَّ (يانيس ريتسوس)، (ت١٩٩٠م)، وَهما المُتأثِّران في حياتهما، بالقالب الثَّوْريِّ للفِكْر الاشتراكيِّ، في تحريك الأُطُر الثَّقافيَّة؛ من أجل النِّضَال في سبيل الحُرِّيَّة وَالعَدَالَة(٣).

أمَّا الفِئَة الثَّانية؛ فقد التقت معه في قوميَّته العربيَّة، وكانت بدعواها الفِكْريَّة، محطَّ اضطهاد الحَاكِميَّة، من مثل: "أمل دنقل"، المنظومة في ذِكْراه قَصِيدَة "**بَيْت من الشِّعْر/ بَيْت الجَنُوبيّ**"(٤).

وَشكَّلت الفِئَة الثَّالِثة؛ ارتدادًا عرقيًّا إلى العُجْمة المختلطة بِالعُرُوبة، من قبيل ما شهدنا في قَصِيدته "**لَيْسَ لِلْكُرْدِيِّ إلا الرِّيحُ**"، التي استهلَّها بالإهداء للشَّاعِر وَالرِّوائيِّ الكُرْديِّ "**سَلِيم بَرَكَات**"،

---

(1) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٢٦.
(2) يُنظَر: شَاوُول، بُول، "تَرْجَمة وَتَقْدِيم"، (يُوليُو٢٠٠٤م)، مِئَوِيَّةُ الشَّاعِر التشيلِيِّ بَابلُو نيرُودَا، **مجلَّة نزوى**، (٣٩)، ص١٧٧ – ١٩٢.
(3) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٥٣ ـ ١٦٠.
(4) يُنظَر: **نفسه**، ١: ١٤٣ ـ ١٥١.

وَكانت أمْثُولةً على التَّقاطُع المعرفيِّ الثَّقافيِّ، في بيان الملامح المُشتَركة لتجربة الرَّحِيــل، بــين المَنَافِي البَعِيدة عن أرض الوَطَن([1])، كما نجد حضورًا آخر لِـ"**سَلِيم بَرَكَات**"، ضمن نصِّ "**فِــي سكُوغُوس**"، من مجموعة "**أثَر الْفَرَاشَةِ**"([2]).

كما نلمس ظَاهِرة اللُّجُوء إلى الآخر الثَّقافيِّ؛ بفعل التَّأزُّم الدَّاخِلِيِّ الحــادِّ، فــي مَجْمُوعَتــه الأخِيرَة "**لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**"، من خلال وقفته مع الآخر المعرفيِّ، ذِي البُعْد الثَّقافيِّ الموقفيِّ؛ لغاية استدعاء قرب الرَّحِيل؛ فكان له "**مَوْعِدٌ مَع إمِيل حَبِيبي**"، (ت١٩٩٦م)، وَهو على ذات العقيدة الفِكْرِيَّة لِمَحْمُود دَرْوِيش؛ فقد كان مُنتمِيًا للحِزْب الشُّيُوعِيِّ الفلسطينيِّ([3])، كما وقــف "**فِي بَيْتِ نِزَار قبَّانِي**" وقفةً، استهلَّها بالنَّمَط الأسلوبيِّ نفسه، الذي عَنْوَنَ به قَصِيدته المُهدَاة إلــى "أمل دنقل"، قائلاً: "**بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ ــ بَيْتُ الدِّمَشْقِيِّ**"([4])، على سبيل التَّناصِّ الدَّاخِلِيِّ.

وَيمكننا أن نقف على التَّبدِّي العالميِّ، للآخَر الثَّقافيِّ، من خلال مَثِيل دَرْوِيش، فــي الفِكْــر التَّنْويريِّ، ذلكم هو (لُورْكَا)، صَاحِب المعرفة الفنِّيَّة الفذَّة، في مجالات الشِّعْر وَالمَسْرح وَالرَّسْــم وَالتَّأليف المُوسِيقيِّ وَالعَزْف، ثُمَّ صَاحِب الكلمة الموقفيَّة السَّاحِرة، في نطاق تجلِّيــات الأحــداث المُتسارعة في عصره، بين قطبي الاشتراكيِّين وَالثُّوَّار الوطنيِّين، الذين اغتالوه سنة (١٩٣٦)م، وَلَم يتجاوز عمره حينئذٍ ثمانيةً وَثلاثين عامًا.

وَقد استلهم دَرْوِيش حُضُور (لُورْكَا)، في مَجْمُوعَته "**أوْرَاق الزَّيْتُون**"، من جهة تمثيله إطار المرحلة التي رفع الشَّاعِر فيها شِعَار الشَّهَادة، وَسار على النَّهْج اليَسَاريِّ، من خلال انتمائه إلى الحِزْب الشُّيوعيِّ الإسرائيليِّ (راكاح)، سنة (١٩٦١)م، وَعمله مُحَرِّرًا لصحيفته.

وَسعى الشَّاعِر في هذه القَصِيدة، إلى الاحتفاء بالخِطَاب المزلزل، للمُثقَّف المُتنوِّر، بأساليب التَّأثير السَّاحِرة ألباب المُتلقِّين؛ لتفعل كلماته في العالمين ما لم يفعله أعتى السِّلاح؛ خُلُوصا إلــى شهادة السُّمُوِّ عن الحُقُوق الإنسانيَّة السَّامِية، ممثَّلة في مبادئ الْحَقِّ وَالعَدَالَــة وَالحُرِّيَّــة، التــي ستتكشَّف يومًا عن غَدِ التَّحرُّر من قُيُود العُبُوديَّة وَالخُنُوع، وَللقَصِيدة أن تُعبِّر عن هذه المعــاني جميعها. قال مَحْمُود دَرْوِيش([5]):

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٦١ ــ ١٦٩.

[2]) يُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٧٤ ــ ٧٧٦.

[3]) يُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص١١٢ ــ ١١٤؛ وَإحالتنا إليه في التَّجلِّي الثَّقافيِّ للآخَر، لا تنفي انتماءه للآخَر الاجتماعيِّ الاشتماليِّ؛ إذ إنَّه سياسيٌّ؛ من جهة كونه منتميًا للحِزْب الشُّيُوعِيِّ الفلــسطينيِّ، وَهو معرفيٌّ؛ لكونه أديبًا وَصحفيًّا، كما يمكننا أن نعدَّه ضمن ثُلَّةِ المُثقَّفين؛ لِصُدُوره عن مواقف ثقافيَّــةٍ؛ تمــسُّ القَضَايَا الإنسانيَّة الكُبْرَى.

[4]) يُنظَر: **نفــسه**، ص١١٥ ــ ١١٧؛ وَما ذكرناه آنفًا، عن إمِيل حَبِيبي، ينطبق على نِزَار قَبَّانِي، وَكُنَّا قد أحلنــا إليه في سياق الآخَر الاجتماعيِّ الاشتماليِّ.

[5]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٧٥ ــ ٧٧.

عفوَ زهر الدَّم, يا لوركا, وَشمس في يَدَيْكْ
وَصليب يرتدي نار قصيدة.
أجمل الفُرْسان في اللَّيل ... يحجُّون إليك
بشهيد .. وَشهيدة

*

هكذا الشَّاعِر, زلزال .. وَإعصار مياه
وَرياح, إن زأر
يهمس الشَّارع للشَّارع, قد مرَّت خُطاه
فتطاير يا حجر !

*

هكذا الشَّاعر، موسيقى، وَترتيل صلاة
وَنسيم، إن همسْ
يأخذ الحسناء في لين إله !
وله الأقمار عش، إن جلس !

*

لم تزل إسبانيا أتعس أمّ
أرخت الشّعر على أكتافها
وَعلى أغصان زيتون المساء المدلهمّ
علّقت أسيافها !

*

عازف الجيتار في اللَّيل يجوب الطُّرقات
وَيُغنّي في الخفاء
وَبأشعارك يا لوركا, يلمُّ الصَّدقات
من عيون البُؤَساء !

*

العيون السُّود في إسبانيا, تنظر شزرا
وَحديث الحبِّ أبكمْ
يحفر الشَّاعِر في كفَّيه قبرا

إن تكلّم !

*

نسي النِّسيان أن يمشي على ضوء دمك
فاكتست بالدَّم أزهارُ القمر
أنبل الأسياف ... حرفٌ من فمك
عن أناشيد الغجر !

*

آخر الأخبار من مدريد، أنَّ الجُرْح قال:
شبع الصَّابر صبرا !
أعدموا غوليان في اللَّيل, وَزهرُ البرتقال
لم يزل ينشر عطرا.

*

أجمل الأخبار من مدريد،
ما يأتي غدا

وَمِمَّا يستأهل التَّوقُّف في هذا البَيَان، "**رِحْلَةُ الْمُتَنَبِّي إِلَى مِصْرَ**"، مِن مَجْمُوعَة "**حِصَار لِمَدَائِح البَحْر**"، التي صدرت سنة (١٩٨٤)م؛ وَلعلَّها رحلته إلى القَاهِرة؛ أَمَّا دافعنا لاستجلاء هذه القَصيدة؛ فيتمثَّل في كشفها عن حقيقة اللِّقَاء الثَّقافيِّ، بين المُثقَّفَيْن المُنضويَيْن في إطارَيْن زمنيَّيْن متباعدَيْن، مع إدراكنا لحقيقة توظيف دَرْوِيش تقنية القِنَاع؛ للاختفاء خلف شخصيَّة المُتنبِّي؛ كيما يتحقَّق له التَّصْرِيح بِالرُّؤْيَة وَالمَوْقف.

وَتُعَدُّ هذه القَصِيدة من "دُرَى قصائد الشِّعْر العربيِّ الحَدِيث، في استخدام تقنية القِنَاع؛ إذ يتماهى الشَّاعِر مع صَوْت المُتنبِّي كُلِّيًا، في حال الحِصَار العربيِّ، مُتمثِّلاً في حِصَار المُقَاوَمَة الفلسطينيَّة، التي تُضاعِف الاستكانة العربيَّة فاجعيَّتها"([١])، وَقد بدا ذلكم في قول الشَّاعِر([٢]):

...

وَالقرمطيُّ أنَا، وَلكنَّ الرِّفاق هناك في حَلَبٍ
أضاعوني وَضاعوا

---

[1]) أبو هيف، د. عبد الله، (٢٠٠٤م)، **قِنَاعُ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص١٧٢، ١٧٣.
[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٢: ٤٢٨.

وَالرُّومُ حول الضَّاد ينتشرون
وَالفقراء تحت الضَّاد ينتحبون
وَالأضدادُ يجمعهم شراعٌ وَاحِدٌ
وَأنَا المُسافِرُ بينهم. وَأنَا الْحِصَارُ. أنَا القلاعُ
أنا ما أريد وَلا أريد
أنَا الهدايةُ وَالضَّياعُ
وَتَشَابُهُ الأسماء فوق السُلَّم الملكيِّ
لولا أنَّ كافورًا خدَّاعُ

وَتُعَدُّ "**رِحْلَةُ الْمُتَنَبِّي / دَرْوِيش إِلَى مِصْرَ**" "نموذجًا عاليًا للقَصِيدة التي ترتقي بالرَّمْز التَّاريخيِّ على كثافةٍ شُمُوليَّةٍ، وَتُحقِّق تداخلاً دقيقًا بين الأزمنة وَالأصوات، مُبتعِدةً عن التَّضْمين النَّصِّيِّ، وَجَاعِلةً الرَّمْز مِرْآةً للحَقِيقة ..."([1]).

وَقد اتَّضح من خلال ذلك؛ "أنَّ الذَّاتيَّ وَالشِّعْريَّ، وَالوطنيَّ الفلسطينيَّ، وَالتَّاريخيَّ العربيَّ، تلتقي في قَصِيدة مَحْمُود دَرْوِيش، هذه التي تأخذ صورة الغِنَاء بصوت أبي الطَّيِّب المُتقاطِع أو المُنسجِم مع صَوْت دَرْوِيش ..."([2])؛ وَهذا يُظْهِرُ "قدرة دَرْوِيش على استيعاب تجربة أبي الطَّيِّب بأبعادها المختلفة: الذَّاتيَّة وَالقَوْميَّة وَالإنسانيَّة، في ذلك الزَّمَان القَاحِلِ إلا من سَيْف الدَّوْلة، وَهذا الزَّمَان قاحلٌ وَلا سَيْف دَوْلة"([3]).

وَقد قامت "**الرِّحْلَةُ**" على "إحداث حواريَّةٍ بين المَاضِي وَالحَاضِر، كانت ذاته مُتقنِّعة بالمُتنبِّي، وَاستطاع الشَّاعِر أن يتوقَّف عند تداعياتٍ كثيرةٍ مُتعلِّقةٍ بالمُتنبِّي، تسلَّلت إلى النَّصِّ؛ حتَّى أصبحت تُشكِّل لحمة النَّصِّ وَسَدَاه ..."([4]).

كما عبَّر التَّقنُّع برمَّته؛ عن حالة التَّماثُل بين الشَّاعِرَيْن؛ "فكلاهما خرج من الشَّام (بَيْرُوت/ حَلَب) مُتَّجِهَيْن إلى الجَنُوب (تُونس/ مِصْر)، وَالمَنَافِذ التي سُدَّت في وجه المُتنبِّي الذي لم يستطع الرُّجُوع إلى الوَطَن/ العِرَاق؛ لأنَّه هجا البويهيِّين، ليست بعيدةً عن المَنَافِذ التي سُدَّت في وجه

---

[1]) الكركيّ، أ. د. خَالِد، (٢٠٠٩م)، **الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ ــ صُورَةُ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقَافة، ص١٧٠.
[2]) الكركيّ، أ. د. خَالِد، (١٩٨٩م)، **الرُّمُوزُ التُّرَاثِيَّةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الجِيل وَعمَّان: مَكْتَبة الرَّائِد العِلْميَّة، ص٢٣٧، ٢٣٨.
[3]) **نفسه**، ص٢٣٥.
[4]) ربابعة، أ. د. مُوسَى، (مَايُو ٢٠٠٠م)، تَجَلِّيَاتُ الْمُتَنَبِّي فِي نُصُوصٍ مِنَ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٦)، ص٢٩٦، ٢٩٧.

دَرْوِيش الفلسطينيِّ، وَكلاهما مُشَرَّدٌ دائم التَّرْحَال، لا يستقرُّ على حالٍ من القَلَق، وَيُعانِي وضعًا سياسيًّا وَاجتماعيًّا مُشابهًا لوضع الآخَر إلى حَدٍّ كبيرٍ"([1]).

ثُمَّ إنَّ المُتنبِّي، "الذي لم يُحقِّق طُمُوحه من الرَّحِيل بين الأمكنة المُتعدِّدة، حيث عاد إلى التِّيه في آفاق الحُلُم، ممثَّلاً في القَصِيدة، هو ذاته مَحْمُود دَرْوِيش، الذي عاد إلى مُمَارَسة الغِنَاء بديلاً وَأملا لم يبق سواه"([2]).

وَإذا كان "رِفَاق المُتنبِّي في بلاط سَيْف الدَّوْلة الحَمْداني، سببًا في رحيله بدسائسهم المستمرَّة، وَتآمرهم، فإنَّ وَاقِع الشَّاعِر مَحْمُود دَرْوِيش الرَّاهِن، وَظُرُوف المرحلة التَّاريخيَّة، تتماثل تقريبًا في إطارها العامِّ مع تجربة المُتنبِّي. ليس هذا فحسب، بل إنَّ التَّجربة على المُستَوى القَوْميِّ تتماثل"([3]).

وَيكفينا هنا "أن ننظر في نَصِّ "رِحْلَةِ الْمُتَنَبِّي إلى مِصْرَ"؛ حتَّى يتبيَّن لنا أنَّ علاقة النَّصِّ المُبدَع (نَصّ دَرْوِيش)، بِالنَّصِّ المرجعيِّ (نَصّ المُتنبِّي وَتغريبته)، لا يمكن أن تُقرَأ على أنَّها نوعٌ من التَّضْمين، وَلا يمكن أن تُقرَأ من جهة كونها ضربًا من التَّناص؛ لأنَّ الكِتَابَة هنا، تفتح لها مجرًى في مناخاتٍ أخرى، وَأقاليم أخرى؛ فهي لا تتَّكئ على نَصٍّ مرجعيٍّ وَتشرع في التَّنَامِي مُحتذِيةً بِمُنجَزه الفَنِّيِّ، بل تستكشف ذلك القَدِيم، وَتُصغِي إلى نداء المُتوحِّش فيه ..."([4])؛ وكان حقيقًا بنا وفق ذلك "أن نقارن بين تجربته، لحظة كتابة (رحلة المُتنبِّي إلى مِصْر) وَتجربة المُتنبِّي مع سَيْف الدَّوْلة وَكافور؛ فكلا التَّجربتَيْن تتقاربان"([5]).

وَلَقد كشف نَصُّ دَرْوِيش "ما يجعل في الكِتَابَة فِعْلَ هَدْمٍ للمُتَعاليات، وَتدميرٍ للمُطْلَقات، وَإعادة إنتاجٍ للذَّات وَأصقاعها من حَنِينٍ إلى عالمٍ لا إكراه فيه، وَليس فيه ممنوعاتٌ أو مُحرَّماتٌ، عالم غوايةٍ وَغبطةٍ وَلَذَّةٍ، عالم يتناقض مع مُتطلَّبات المدينة وَالاجتماع؛ لأنَّه يقوم على

---

[1]) يَعْقُوب، د. نَاصِر، (٢٠٠٨م)، قَصِيدَةُ الْقِنَاع: قِرَاءَةٌ فِي قَصِيدَةِ "رِحْلَةِ الْمُتَنَبِّي إِلَى مِصْرَ" لِمَحْمُود دَرْوِيش، **مجلَّة جَامِعَة دِمَشْق**، ٢٤(٣/٤)، ص٢٥٩؛ وَيُنظَر البَحْث كاملاً: ص٢٤٩ ــ ٣٠٤.

[2]) الشَّنْطي، خُصُوصِيَّةُ الرُّؤْيَا وَالتَّشْكِيلِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش، ص١٤٨.

[3]) نفسه، ص١٤٨؛ وَيمكن مُطَالَعة استجلاء الكَاتِب دلالات القِنَاع، في البَحْث نفسه: ص١٤٨، ١٤٩.

[4]) اليُوسُفِيّ، مُحمَّد لُطْفِي، (يَنَاير١٩٩٦م)، أَسْئِلَةُ الشِّعْرِ وَمُغَالَطَاتُ الْحَدَاثَةِ، **مجلَّة نزوى**، (٥)، ص٧٤.

[5]) الأَسْطَة، د. عَادِل، **مَحْمُود دَرْوِيش وَالْمُتَنَبِّي**، (www.diwanalarab.com)، دِيوَان العَرَب، مجلَّة أدبيَّة فكريَّة ثقافيَّة اجتماعيَّة، ١٠ شباط (فبراير)، ٢٠٠٩م؛ وَيمكن تتبُّع أوجه التَّقارُب في تجربتي الشَّاعرَيْن ضمن المقالة نفسها؛ كما يمكن مُطَالَعَتها في: مَوْقِع الشَّاعِر مَحْمُود دَرْوِيش، (www.mahmouddarweesh.org)، قسم النَّقْد الأدبيّ، بتاريخ الإثنين, ٢٥ مَايُو/أَيَّار ٢٠٠٩م؛ وَحَوْل العَلاقَة بين مَحْمُود دَرْوِيش وَالْمُتَنَبِّي، يُنظَر: الصَّفَدِيّ، بَيَان، **مَحْمُود دَرْوِيش عَلَى خُطَى الْمُتَنَبِّي**، (www.alquds.co.uk)، القُدْس العربيّ، بِتاريخ الخَمِيس ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩م، (الأرْشِيف)؛ وَيمكن الاطِّلاع على المقالة نفسها في: الصَّفَدِيّ، بَيَان، **مَحْمُود دَرْوِيش عَلَى خُطَى الْمُتَنَبِّي**، (www.al-arabeya.net)، العَرَبيَّة للصّحَافَة، بِتاريخ السَّبْت ٢٠٠٩/٥/٣٠ (مَقَالات، قسم مَحْمُود دَرْوِيش، المَقَالَة ١٢).

الخُرُوج الدَّائِم من الأليف إلى المُتوحِّش، وَمن النِّظَام إلى الفَوْضى؛ لذلك يصلنا صَوْت المُتنبِّـــي في نَصِّ دَرْوِيش وَهو يستبدل المُطلَق بِالذَّات"(١)، (٢).

وَيمكن تفسير حُضُور أبي الطَّيِّب المُتنبِّي، في الـــشِّعْر الحَـــدِيث؛ بـــأنَّ "مـــسألة اســـتلهام الشَّخصيَّات التُّراثيَّة، هي أحد الأشكال الأكثر رُقِيًّا من النَّاحِية الفَنِّيَّة، للتَّعامُل مع التُّرَاث"(٣)، وَقد كان المُتنبِّي "الشَّخصيَّة التُّرَاثيَّة الأكثر حضورًا وَاستدعاءً، في الشِّعْر الحَدِيث؛ لما يجد الشُّعَراء في شعره المَاضِي حاضرًا يُعايشونه، وَرُؤْيَةً تخترق الزَّمَان؛ لتحتضنهم وَتكـــون ملاذهـــم فـــي أبعادها الوُجُوديَّة وَالاغترابيَّة وَالإشكاليَّة، حتَّى إنَّ شُعَراء الحَدَاثة أمثـــال دَرْوِيـــش وَأدُونِـــيس يعتبرونه حداثيًّا مثلهم، وَمُؤَسِّسًا للحَدَاثة الشِّعْريَّة، كما اعتبره الكلاسيكيُّون إمامهم، الـــذي بـــه يقتدون، وَعنه لا يتقدَّمون"(٤).

وَإجمالاً؛ فإنَّه عندما يتَّصل الأمر باستدعاء الشَّخصيَّات التُّرَاثيَّة ضمن تقنية القِنَاع؛ فإنَّ ذلك يرتدُّ إلى "تضييق الخِنَاق على حُرِّيَّةِ التَّعْبير في الوَطَن العربيِّ؛ بالإضافة إلى الـــدَّافِع القَـــوْميِّ، الكَامِن وراء استحضار الكثير من شعرائنا لتلك الشَّخصيَّات؛ كردِّ فعلٍ على ما تعرَّض وَيتعرَّض له الوَطَن العربيُّ، من احتلالٍ وَتقسيمٍ وَنهب ثرواتٍ وَما إلى ذلك ..."(٥)، (٦).

---

[1]) اليُوسُفِيّ، أَسْئِلَةُ الشِّعْرِ وَمُغَالَطَاتُ الْحَدَاثَةِ، ص٧٤.

[2]) التقى مَحْمُود دَرْوِيش مع المُتنبِّي، في غير سياقٍ، من أعماله الكاملة، علـــى ســـبيل التَّنـــاصِّ الإشـــاريِّ أو المضمونيِّ، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ١٥، (مَدْخَل قَصِيدَة "سنخرج"، من مَجْمُوعَة "هي أغنيـــة هـــي أغنية"، وَفيه تناصٌّ مضمونيٌّ مباشرٌ مع شعر المُتنبِّي، "**عَلَى قَلَقٍ كَأَنَّ الرِّيحَ تَحْتِـــي** ..." "**المُتَنَبِّـــي**")؛ وَيُنظَـــر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٥٦٣، (من قَصِيدَة "البَعُوضَة"، في مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، وَقـــال فيهـــا: "**البَعُوضَة ... وَلا تزور إلاّ في الظَّلام كَحُمَّى المُتنبِّي**")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٥٠، (من "بَيْـــت القَـــصِيد"، فـــي مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، قال دَرْوِيش في المَقْطَع التَّاسِع: "**أمشي بين أبيات هُومِيرُوس وَالمُتنبِّي وَشيكـــسبير ... أمشي وَأتعثَّر كَنَادلٍ مُتدرِّبٍ في حفلةٍ ملكيَّةٍ !**").

[3]) زين الدِّين، ثائِر، (١٩٩٩م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ ــ دِرَاسَـــةٌ**، (د. ط)، دِمَـــشق: مَنْشُورات اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب، ص٧، (المَدْخَل)؛ وَيُنظَر مُلخَّص قِرَاءَة فَوْزِي مَعْرُوف لهذا الكِتَاب: مَعْـــرُوف، فَوْزِي، (أَيَّار ٢٠٠٠م)، أَشْكَالُ حُضُورِ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٤٩)، ص١٤١ ــ ١٤٧.

[4]) الخباز، مُحمَّد، (دِيسمبْر٢٠٠٧م)، مُوَاصَفَاتُ الْقَصِيدَةِ الْجَمِيلَةِ لَدَى شُعَرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ، **جُذُور**، ١١(٢٥)، ص٢٨٩.

[5]) زين الدِّين، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ ــ دِرَاسَـــةٌ**، ص٧، (المَدْخَل)؛ وَيُنظَر في تنـــاصِّ الشَّاعِر اليمنيِّ عبد الله البردونيّ، مع المُتنبِّي، في قَصِيدته "وَرْدَة مـــن دم المُتنبِّـــي": شـــبلول، أَحْمَـــد فَـــضْل، (١٩٨٤م)، **أَصْوَاتٌ مِنَ الشِّعْـــرِ الْمُعَاصِـــرِ**، (ط١)، الإسكندريَّة: دَار المَطْبُوعات الجَدِيـــدة، ١: ١٠٧ ــ ١٢٠؛ وَيُنظَر في تناصِّ أمل دنقل، مع شعر المُتنبِّي وَشخصيَّته: العشيري، مَحْمُود أَحْمَد، (مَايُو٢٠٠٧م)، الشِّعْرُ بَـــيْنَ سُلْطَةِ الْمُبْدِعِ وَسُلْطَةِ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٦(٦١)، ص٣١٩ ــ ٣٤٣.

[6]) لاستجلاء بَوَاكِير مَفْهُوم القِنَاع، في الإطارَيْن الغربيِّ وَالعربيِّ، إضافةً إلى النَّمْذَجَةِ الشِّعْريَّة، يُنظَـــر: ثَـــامِر، فَاضِل، (١٩٨٧م)، **مَدَارَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي إِشْكَالِيَّةِ النَّقْدِ وَالْحَدَاثَةِ وَالإِبْدَاعِ**، (ط١)، بَغْدَاد: دَار الشُّؤُون الثَّقافيَّة العَامَّة "آفَاق عربيَّة"، ص٢٥٠ ــ ٢٧٩، (القِنَاع الدّراميُّ وَالشِّعْر)؛ وَيُنظَر في تَارِيخ القِنَاع وَمَفْهُومه وَحُدُوده وَاقترابه من الرَّمْز وَالمِرْآة: الرَّوَاشدة، د. سَامِح، (١٩٩٥م)، **الْقِنَاعُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِي (دِرَاسَةٌ فِي النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيـــق)**، (ط١)، إِرْبد: مَطْبَعة كَنْعَان، ص٩ ــ ٢١؛ وَيُنظَر: كندي، **الرَّمْزُ وَالْقِنَاعُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَـــدِيثِ (الـــسَّيَّاب وَنَازِك وَالبَيَّاتِي)**، ص٦٣ ــ ٩٧، (الفَصْل الأوَّل من البَاب الأوَّل "التَّأْصِيل النَّظَرِيُّ": مَفْهُوم القِنَاع وَمَاهيَّتـــه)؛=

وَتجدر الإشارة إلى تضمُّن أعمال دَرْوِيش قدرًا من النَّمَاذِج، التي تظهر فيها صُورَة الآخَر الثَّقافيَّة، على نحوٍ مُعبِّرٍ([1])؛ لِتُشكِّل مع ما مضى تحليله وَتوصيفه وَعرضه، عقدًا واحدًا في بيان "الصُّورَة الكُلِّيَّة للآخَر الثَّقافيِّ"، انطلاقًا من عدم المُبَاشَرة، أو بِالتَّصْرِيح، وَحين يتَّخـذ مَحْمُـود دَرْوِيش نهج التَّلْميح المضمونيِّ؛ فإنَّه ينطلق من ذاته إلى الآخَر؛ مِمَّا لا يسعنا معه سوى التَّتبُّع الدَّقِيق لمكامن الخِطَاب، فضلاً عن اقتفاء آثر الآخَر الثَّقافيِّ، في كُلِّ مقطعٍ شعريٍّ؛ بغية إضاءَة المساحات المُشبَعة بظلال الآخَر.

وَعندما يكون التَّصْرِيح باديًا، في تشكيل المضمون الشِّعْرِيِّ، فإنَّ للأسلوب المُؤسَّس وفـق نطاقات اللُّغَة وَالبَلاغَة وَالفِكْر؛ نسيجًا مُعَبِّرًا عن رُؤَى المُثقَّف وَمواقفه، وَفي هذا النَّهْج وَسـابقه يبدو الشَّاعِر حريصًا على استدعاء النَّمَاذِج الثَّقافيَّة لغاياتٍ جليلةٍ، تأكَّدت وفق أُسُـس: السُّمُوِّ الثَّقافيِّ، وَالقَرَابة الوَطَنيَّة، وَالتَّشاكُل العِرْقيِّ، وَالتَّماثُل المَوْقفيِّ، وَالتَّـوزاي الحيـاتيِّ، وَاللِّقَـاء الحِزْبيِّ في الإطار الاشتراكيِّ.

أمَّا من حيث الأطر الجغرافيَّة الرَّئيسيَّة؛ فاستدعى الشَّاعِر المُثقَّـفَ الفلسطينيَّ وَالمُثقَّـف الإقليميَّ بشقَّيْه العربيِّ وَالأعجميِّ، وَالمُثقَّف العالميَّ، مع حُضُور الجانب النِّسْويِّ، في الإبـداع الثَّقافيِّ، مُتجلِّيًا في المُقَارَبة الوطنيَّة، مع حِلْفِ "شُعَرَاءِ المُقَاوَمَةِ"، وَإحداهم "فَدْوَى طُوقَان".

وَختام الاختزال السَّابق، ما وقعنا عليه من نماذج دَرْوِيش، في الآخَر الثَّقافيِّ، التي تُلامِس باب التَّجْنيس الأدبيِّ، وَالتَّخصُّص المعرفيِّ، وَفيها تظهر أجناس: الشِّعْر وَالمَسْرح وَالرِّوَاية، في شُخُوص مُثقَّفِيه، فضلاً عن المعرفيَّة المُوسِيقيَّة وَغيرها، في إطارٍ مُشتمِلٍ على موقـفٍ مُحـدَّدٍ، تجاه قضايا رئيسيَّةٍ تتَّصل بعالم الإنْسان، وَمُجْمَل مطامحه الكُبْرى.

=ص٩٩ ــ ١٣٢، (الفَصْل الثَّانِي: أنْوَاع القِـنَاع وَمَصَـادِره)؛ ص١٣٤ ــ ١٧٥، (الفَصْل الثَّالِـث: أسْـبَاب القِنَاع وَأغْرَاضه)؛ وَعن تجلِّي بِنْيَةِ القِنَاع فـي الـشِّعْر العَرَبِـيِّ المُعَاصِـر، يُنظَـر: المُوسَـى، د. خَلِيـل، (نِيسَان١٩٩٩م)، بِنْيَةُ الْقِنَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٣٦)، ص٥٦ ــ ٧٦.

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٤٣ ــ ١٥١، ("بَيْتٌ مِنَ الشِّعْرِ/ بَيْتُ الْجَنُوبِيِّ" [في ذِكْرَى أمل دنقل]، من مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، الشَّاعِر المِصْرِيُّ القَوْمِيُّ أمل دنقل (ت١٩٨٣م))؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٦٩ ــ ٣٧١، ("مِنْ رُومِيَّاتِ أَبِي فِرَاس الْحَمْدَانِيِّ"، في مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، صدَى الآخَـر الثَّقافيِّ، ممثَّلاً في أبي فِرَاس الحَمْداني)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٢١٩ ــ ٢٢١، ("لا أعْرِفُ الشَّخْصَ الْغَرِيبَ"، مـن مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أَوْ أَبْعَد ..."، أنَا الثَّقافيُّ في صُورَة الآخَر الثَّقافيِّ المَيِّـتِ؛ لمـا يُعانيـه الـشَّاعِر مـن الاغتراب؛ بفعل "**خَطَأٍ كَبِيرٍ فِي الْقَصِيدَةِ**")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٣٢٩ ــ ٣٤٩، ("مَنْفَى (٤): طِبَاق [إلـى إدْوَارد سَعِيد]"، من مَجْمُوعة "كَزَهْرِ اللَّوْزِ، أَوْ أَبْعَد ..."، إدْوَارد سَعِيد)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٧٦٤، ٧٦٥، ("فِي مَرْكَـبٍ عَلَى النِّيلِ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، نَجِيب مَحْفُوظ).

ـ صُورَةُ الآخَرِ السِّيَاسِيَّةُ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش:

عُدَّتِ السِّيَاسَة زمام السُّلطات الأخرى، في مجالات التَّنْظيم وَالقُوَّة وَالفَاعِلِيَّة، وَبها يتحقَّق ظهورها في العالمين أنظارًا وَمواقف؛ لذا كان من حِنْكة الشَّاعِر المُثقَّف، أن يُشكّل ملامح السِّياسيِّ وفق رُؤَاه الثَّقافيَّة، بنهجٍ تلزمه فيه الموضوعيَّة، تلك التي لامسها دَرْوِيش حينًا، وَانعتق منها حينًا آخر، وفق دوافع العلاقات البُؤْرِيَّة الثَّلاث: التَّبعيَّة، بنوعَيْها: التَّأثُّريِّ وَالكُلِّيِّ، وَالتَّصالُحيَّة، بِشقَّيْها: المُؤقَّت وَالدَّائِم، وَالتَّصادُميَّة، بِقُطْبَيْها: الضِّمْنِيِّ وَالمباشر (التَّمرُّد)؛ وَهو بذلك اعتنق السِّيَاسَة بِكُلِّ دواعيها التَّنْظيريَّة، ليتبدَّى "الآخَر" من منظور "الأنَا"، وفق الموقف الكُلِّيِّ للمُثقَّف، تجاه دَوَائِر السِّيَاسَة الفلسطينيَّة وَالعربيَّة وَالصُّهيونيَّة وَالدَّوْليَّة.

وَتَخِذَ مَحْمُود دَرْوِيش سبيل الرَّمْزيَّة في مضمون الخِطَاب، وَأضاء في "**مَأسَاةِ النَّرْجِسِ مَلْهَاةِ الْفِضَّةِ**"، من مَجْمُوعَة "**أرى مَا أُرِيدُ**"، التي صدرت سنة (١٩٩٠)م، فُصُول البِشَارَة الأخِيرة ! في السُّقوط الأخِير ! على سِيَاج النَّصْر المزعوم، وَمُؤتَمر (مَدْرِيد) لم يزل في انعقادٍ، وَالعَائِدون يحلمون بالوُصُول إلى المجهول، فقال([1]):

.. كانوا يرجعُونَ

وَيحلمون بأنَّهم وصلوا

لأنَّ البحر ينزل عن أصابعهم وَعن أكتاف موتاهم

وَكانوا يشهدون، فُجَاءَةً: ريحانة البطل المُسجَّى فوق خطوته الأخيرة:

أهنا يموت على مُسدَّسه وَسُنْدُسِهِ وَعَتْبَتِهِ الأخيرةْ ؟

أهنا يموت هنا ؟ هنا وَالآن في شمس الظَّهيرةْ

وَالآن, هَزَّت إصبعاه بشارةِ النَّصْر الأخيرةْ

بوَّابةَ البيتِ القديم, وَهَزَّ أسوار الجزيرةْ.

الآن سَدَّدَ آخِرَ الخطوات نحو الباب .. وَاختتم المَسِيرةْ

برجوع موتانا. وَنَامَ البحرُ تحت نوافذ الدُّور الصَّغيرةْ

...

وَيُظْهِرُ الشَّاعِر المُثقَّف أسلحته النَّقْديَّة، المُتضمِّنة سلاح التَّصادُم الضِّمْنيِّ حينًا، وَالمباشر حينًا آخر، في إطار تصويره للآخر السِّياسيِّ، بسُلْطته المُنحدِرة إلى الدُّون، وَفي هذا نقرأ مُفَارَقة

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ٢٤٢.

التَّبعيَّة والتَّمرُّد، وَالشَّاعِر حينئذٍ عضوٌ أصيلٌ في اللَّجْنة التَّنْفيذيَّة لِمُنظَّمة التَّحْرِيـر، وَمستـشارٌ لِرئيس السُّلْطة الفلسطينيَّة.

لقد كانت "مَدْرِيد نقطة تحوُّلٍ في الصِّرَاع العربيِّ ــ الإسـرائيليِّ؛ إذ لـم يقبـل العَـرَب وَالفلسطينيُّون بحقيقة وُجُود إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ] فحسب، في مرحلةٍ من تاريخ العالم تتَّسم بزوال الاستعمار، وَلكنَّهم قبلوا أيضًا بشرعيَّتها كدولةٍ، حتَّى قبل أن تعترف لهم إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ] بأنَّها تحتلُّ أرضهم. وَكحدثٍ لم يسبق له مثيلٌ في تاريخ المُفَاوَضات، فـإنَّ إحجـام إسرائيل [الكيان الصُّهيونيّ] عن هذا الاعتراف بالاحتلال، هو الذي عطَّل المُفَاوَضـات خـلال اثنَيْن وَعشرين شهرًا من الرَّسميَّات الفَارغة المُحتَوى"([١]).

وَأثمر المَسْعى الأمريكيُّ ــ الإسرائيليُّ لاحقًا؛ عن انهيار "موقف القِيَادة الفلسطينيَّة تحـت وطأة كثافة الضُّغُوط المُمَارَسة، وَكانت النَّتِيجة توقيع اتِّفاق "إعلان المَبَادِئ". وَكانـت المُفَارَقـة الكُبْرى في التَّوْقيع على هذا الاتِّفاق، الذي يضع الأسس لحلِّ القضيَّة الوطنيَّة؛ أنَّه جاء في نهاية المطاف لاعتباراتٍ سياسيَّةٍ ضيِّقةٍ؛ فَتحسُّب القِيَادة الفلسطينيَّة في تُونس، من إمكانيَّات الاسـتثناء وَالعزل، وَاعتمادها على التَّأييد المصلحيِّ الآنيِّ وَالضَّيِّق، للجُزْء الرَّازح تحت الاحـتلال مـن الشَّعْب الفلسطينيِّ، الذي يرى في أيَّة تسويةٍ تحسُّنًا لأوضاعه الذَّاتيَّة؛ أدَّى بها إلى الدُّخُول فـي مُغَامرةٍ تشتري من خلالها الحَاضِر، عن طريق رهن المُستَقبل السِّياسيِّ الفلسطينيِّ، بِحُدُود مـا يسمح به المُخطَّط الأمريكيُّ ــ الإسرائيليُّ؛ لترتيب أوضاع المنطقة وإخراج "الشَّرْق الأوْسـط الجَدِيد""([٢]).

وَقد جرى ذلك وفق الرُّؤْية المُتَّسِقة مع "الحِقْبة الإسرائيليَّة"([٣])، تلك التي تستلزم تجديد الفِكْر العربيِّ؛ لتكون الأمَّة قادرةً على المُشَارَكة "بِالفِعْل في صُنْع السَّلام، سلام التَّرَاضِي، وَلَيس سلام الإِذْعَان"([٤]).

وَقد عبَّر إِدْوَارد سَعِيد عن شُعُوره الذَّاتيِّ، إزاء التَّنَازُلات التَّاريخيَّة، قائلاً: "شعرت مـرارًا أنَّ مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة، تصرَّفت بإهمالٍ، عندما لم تعلن تفاصيل مباحثاتها مع الولايـات

---

[1]) عروري، نَصِير، (شِتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَاقُ الفِلَسْطِينيُّ الإِسْـرَائِيلِيُّ وَالإِدَارَةُ الأَمْرِيكِيَّـةُ، **قِـرَاءَات سِيَاسِـيَّة**، ١٣(١)، ص١٢؛ وَقد أثَّر هذا الاتِّفَاق على الفلسطينيِّين دَاخِل الخطِّ الأَخْضَر، يُنظر: خمايسي، الهِجْرَةُ اليَهُودِيَّـةُ الأخِيرَةُ وَتَأثِيرُهَا عَلَى الفِلَسْطِينيِّين دَاخَلَ "الخَطِّ الأَخْضَر"، ص٧٢ ــ ٨٣.

[2]) الجرباوي، عَلِيّ، (شِتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَـاقُ الفِلَسْطِيـنِيُّ ــ الإِسْرَائِيـلِيُّ: تَحْلِيلٌ وَتَقْوِيمٌ، **قِرَاءَات سِيَاسِـيَّة**، ١٣(١)، ص٤٧.

[3]) هَيْكَل، مُحمَّد حَسَنِين، (شِتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَاقُ الفِلَسْطِينِيُّ ــ الإِسْرَائِيلِيُّ: الخَلْفِيَّاتُ، وَالإِشْـكَالِيَّاتُ، وَالنَّتَـائِجُ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٣(١)، ص٧١.

[4]) نفسه، ٧١.

المُتَّحِدة الأمريكيَّة في تُونس؛ كي يستطيع النَّاس أن يروا قلَّة ما حصلنا عليه، مقابل تنازُلاتنا التَّاريخيَّة"([1]).

وتنطق حِكْمة دَرْويش تاليًا: "**لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ، وَالثَّلْجُ أَسْوَدُ**"، في مَجْمُوعَته المبنية على توافق "**أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، وقد استهلَّ الشَّاعِر مقطعي قَصِيدته، بالمِفْتاح النَّقْديِّ للخِطَاب: "**لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ**"، فقال في المقطع الأوَّل([2]):

لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ، وَالثَّلْجُ أَسْوَدُ فَوْقَ مَدِينَتِنَا
لَمْ نَعُدْ قَادِرِينَ عَلَى الْيَأسِ أَكْثَرَ مِمَّا يَئِسْنَا،
وَالنِّهَايَةُ تَمْشِي إِلَى السُّورِ وَاثِقَةً مِنْ خُطَاهَا
فَوْقَ هَذَا الْبَلاطِ الْمُبَلَّلِ بِالدَّمْعِ، وَاثِقَةً مِنْ خُطَاهَا
مَنْ سَيُنْزِلُ أَعْلامَنَا: نَحْنُ، أَمْ هُمْ ؟ وَمَنْ
سَوْفَ يَتْلُو عَلَيْنَا "مُعَاهَدَةَ الْيَأسِ"، يَا مَلِكَ الاحْتِضَارِ ؟
كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لَنَا سَلَفًا، مَنْ سَيَنْزِعُ أَسْمَاءَنَا
عَنْ هُوِيَّتِنَا: أَنْتَ أَمْ هُمْ ؟ وَمَنْ سَوْفَ يَزْرَعُ فِينَا
خُطْبَةَ التِّيهِ: "لَمْ نَسْتَطِعْ أَنْ نَفُكَّ الْحِصَارِ
فَلْنُسَلِّمْ مَفَاتِيحَ فِرْدَوْسِنَا لِرَسُولِ السَّلامِ، وَنَنْجُو ..."
لِلْحَقِيقَةِ وَجْهَانِ، كَانَ الشِّعَارُ الْمُقَدَّسُ سَيْفًا لَنَا
وَعَلَيْنَا، فَمَاذَا فَعَلْتَ بِقَلْعَتِنَا قَبْلَ هَذَا النَّهَارِ ؟
لَمْ تُقَاتِلْ لأَنَّكَ تَخْشَى الشَّهَادَةَ، لَكِنَّ عَرْشَكَ نَعْشُكْ
فَاحْمِلِ النَّعْشَ كَيْ تَحْفَظَ الْعَرْشَ، يَا مَلِكَ الانْتِظَارِ
إِنَّ هَذَا الرَّحِيلَ سَيَتْرُكُنَا حُفْنَةً مِنْ غُبَارِ ...
مَنْ سَيَدْفِنُ أَيَّامَنَا بَعْدَنَا: أَنْتَ ... أَمْ هُمْ ؟ وَمَنْ
سَوْفَ يَرْفَعُ رَايَاتِهِمْ فَوْقَ أَسْوَارِنَا: أَنْتَ ... أَمْ
فَارِسٌ يَائِسٌ ؟ مَنْ يُعَلِّقُ أَجْرَاسَهُمْ فَوْقَ رِحْلَتِنَا
أَنْتَ ... أَمْ حَارِسٌ بَائِسٌ ؟ كُلُّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لَنَا

---

[1]) فسواناثان، غَاورِي، (٢٠٠٨م)، **السُّلْطَةُ وَالسِّيَاسَةُ وَالثَّقَافَةُ ــ حِوَارَاتٌ مَع إِدْوَارد سَعِيد**، (ط١)، بَيْــرُوت: دَار الآدَاب للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٩٣؛ وَفي تَفاعُل المُثقَّف العربيِّ إدْوَارد سَعِيد، مع قَضَايَا الوَطَن وَالأُمَّة، يُنظَر: يُوسُف، د. أيْمَن طَلال وَصَافِي، د. خَالِد مُحمَّد، (يونيه٢٠٠٧م)، **التَّفَاعُلُ الإِيجَابِيُّ بَيْنَ الْمُثَقَّفِ الْعَرَبِيِّ وَقَضَايَا الْوَطَنِ وَالأُمَّةِ: إِدْوَارد سَعِيد وَالقَضِيَّة الفلسطينيَّة أُنموذَجًا**، **مجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢)، ص٣١٧ ــ ٣٤٤.

[2]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ٣: ٢٨١.

فَلِمَاذَا تُطِيلُ النِّهَايَةَ، يَا مَلِكَ الاحْتِضَارْ ؟

يصل الشَّاعِر هنا إلى "**الْيَأْس**"؛ المُحِيل إلى التَّخبُّط في مهاوي السُّقُوط، مُجلِّلاً المشهد بِمُفَارَقة اللَّوْن الثَّلْجيِّ، المُستحِيل إلى سوادٍ، فيه من الدَّوْر البلاغيِّ، انتماءً إلى "منطقة إنتاج الدَّلالة أو المعنى داخل النَّصِّ"([1])؛ لتعلن "**النِّهَايَةُ**" فصل المَلْحَمة الأخِير، فوق بلاطٍ شهد بُكائيَّة الوداع لِحُلُم القضيَّة، وَدماء الشُّهَداء، وَجراحاتٍ نازفةٍ في المدى، وَأسرى لم تزل قُيُودهم شاهدًا على سَرْمَدِيَّةِ الصِّراع.

وَلِلمَرَّة الأولى يُضحِي السُّقُوط ثِقَةً في الخُطَا، التي لم تعد إلاَّ سُلْطةً تدور في فَلَكِ سَيِّد السُّلْطة العالميَّة، وَليس أشدّ مرارةً من انقضاء عهد المُقَاوَمَة، التي عانقت شُمُوسها أفق المَغِيب، بعد أن أزِفَ رحيل فجر التَّضْحيات الزَّكيَّة، وَغدا هو الآخر مُنسَاحًا في رغبة السَّيِّد بالسُّقُوط، وَالعلم رمز الشَّرَف وَعزَّة الوطن وَإبائه على موعد مع السُّقُوط الكَبير.

أمَّا هذا كلُّه؛ فبات مُؤكَّدًا حُصُوله، بينما كان الشَّاعِر مُنْهَمِكًا في صياغة السُّؤَال غير الأخير: "**مَنْ سَيُنْزِلُ أعْلامَنَا: نَحْنُ أمْ هُمْ ؟**"، وَ(**مُعَاهَدَةُ الصُّلْح**) رهينة الأيدي المُلطَّخة بالدِّمَاء، تلك التي صاغت من قبل صُكُوك الغُفْرَان، وَمِيثَاق حُقُوق الإنسان، لا عجب فالأمران سِيَّان، ولم يزل يَعْتَوِرُ ذاكرتنا النِّسْيان، فكيف لِدَعِيِّ الإنسانيَّة أن يزعم الوحدانيَّة المُطلَقة، وَفوقه شَرَائِع السَّمَاء وَجبروت الله ؟! إلاَّ أن تكون هذه فوقيَّة المُستبدِّ الآيل هو أيضًا للسُّقُوط.

وَيتساءَل الشَّاعِر مَرَّةً أخرى، بألمٍ يعتصر مُهْجة الفُؤَاد، في بُكائيَّة الرَّحِيل الأخِير عن الثَّوْرة: "**مَنْ سَوْفَ يَتْلُوْ عَلَيْنَا (مُعَاهَدَةَ الْيَأْس) يَا مَلِكَ الاحْتِضَار ؟**"، وَهل يكون لِلْمُحْتَضَر مُلْكٌ وَسِيَادَةٌ ؟! وَكيف له أن يأذن في تلاوة العَهْد، الذي لم يقرأ حتَّى سُطُور السُّقُوط فيه ؟ لكنَّ كُلَّ شيءٍ "**مُعَدٌّ سَلَفًا**".

وَيتبدَّى تاليًا سُؤَال الشَّاعِر، الذي يُشِيع في المدى رهبة القَمْع وَالحِرْمان، وَما دام الكُلُّ في رحيلٍ، فلترحل "**الهُوِيَّة**" عن قُلُوب من كانت لهم القضيَّة عَرُوسًا وَتجارةً، "**مَنْ سَيَنْزِعُ أسْمَاءَنَا عَنْ هُوِيَّتِنَا: أنْتَ أمْ هُمْ ؟**"؛ ليعود بنا السِّيَاق الشِّعْريُّ إلى زمن "**الْهُوِيَّةِ**"؛ ذات الرَّقْم الصَّعْب، حين صَدَحَ الشَّاعِر في عُمْق الصُّمُود، بِفَوْح مِسْكِ الشَّهادة؛ تكريسًا لمفهوم "**الْهُوِيَّةِ**" الإنسان.

أمَّا السُّؤَال في قلب قسوة السُّؤَال؛ فيصبح أكبر من أيِّ سُؤَالٍ آخر: "**أنْتَ أمْ هُمْ ؟**"، وَكأنَّ سُلْطة المُثقَّف، تتبصَّر بِفَرَاستها قَادِم خُطَا الأيَّام، من خلال "الأسئلة الكُبْرى، التي يزدوج فيها

---

[1]) القرعان، فَايز عَارِف، (٢٠٠٨م)، الأَلْوَانُ وَدَوْرُهَا البَلاغِيُّ فِي إِنْتَاجِ الدَّلالَةِ "شِعْر حَيْدَر مَحْمُود نموذجًا"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٥(٣)، ص٤٠٥؛ وَيُنظَر تَقْدِيم البَحْث نفسه: ص٤٠٥ ـــ ٤٠٨، (المُقدِّمة).

محور التَّجْريد وَالتَّحْديد؛ فتهزُّ اليَقِين، وَتُجسِّد فجائعيَّة الموقف"([1])، وَتبين عن وظيفة البَلاغ في غاية البَلاغَة، للخِطَاب المُشبَع بِحِكْمة الفيلسوف، المُتبصِّر في وقع النِّهَايَة([2]).

وَيمكننا أن نتساءَل في عمق التَّسْآل، وَهل كان دَرْويش سبَّاقا للتَّنبُّؤ بِنُكُوص السُّلْطة في ملفِّ حُقُوق الإنسان ؟ أمَّا أن يُبيح له قربه من موقع القِيَادة قراءة النُّفُوس، وَاستكناه الخَبَايَا؛ فهذا مِمَّا يرد في ميزان الأديب بخير حسبانٍ، وَتُضحِي خُطْبَة "التِّيـه" ــ في المُحصِّلة ــ خطاباتٍ تُلْقَى على منابرَ لم تعرف يومًا سوى لحن الهَزِيمة وَالانكسار.

وَبهذا كلِّه يصل الشَّاعِر إلى الاستسلام للقدر المحتوم، وَكأنَّ الزَّمن يُسابق الخُطَا إلى غير عودةٍ، وَخير ما يُسجَّل للمرء موقفًا في زمن التَّفْريطِ، "**تَسْلِيمُ الْمَفَاتِيح**"، كما سُلِّمت من قبل مفاتيح مدائن كثيرةٍ، لا ضير فالسُّقُوط يُعِيد نفسه، وَتكاد الظُّنُون تصل بالشَّاعِر إلى محفل النَّجَاة، لكن أنَّى ينجو من حُكْم التَّاريخ ؟!

وَتُكرِّس المقاطع التَّالية ــ في ظاهرها ــ نبرةً استسلاميَّةً، طغت في واقع مُعَاهَدة الرَّحِيل عن المُقَاوَمَة، حتَّى أصبح الشَّاعِر أحد محاورها، وَإن ظهر في نطاق الشِّعر مُسائِلاً لائمًا، فليس من عذرٍ يُبيح له الفرار، إنَّه استسلام الشَّاعِر أمام استبداد السِّياسيِّ، مُجَلَّلاً بالسُّخرية النَّاقِدة مشهد التَّسْليم برمَّته.

وَالحقُّ الذي لا بُدَّ من الإقرار به هنا، صدق النُّبُوءَة؛ فَمَلِكُهَا الْمُحْتَضَرُ لم يُقاتِل؛ مع إدراكه أنَّ "**الْعَرْشَ**" طريق "**النَّعْش**"؛ فليس لِسُلْطةٍ وليدةٍ (سُلْطة أُوسلُو)، تحتكم بأمر سُلْطةٍ عَتِيدةٍ (السُّلْطة الصُّهيونيَّة)، أن تخرج عن طَوْع السُّلْطة التَّليدة ! (السُّلْطة الأمريكيَّة)؛ وَتغدو التَّصفية الجسديَّة، فيما لو تعذَّر على القائد إجادة فَنِّ التَّنازُل، مسألة وقتٍ فحسب.

لقد نطق "مجنون التُّراب" بلا ترابٍ، يستمدُّ منه الأصل وَالامتداد؛ فقد أصبح ترابه "**حَفْنَـةً مِنْ غُبَارٍ**"، وَهذا ما جنته الأيدي المشبوهة بصِنَاعة السَّلام، لِيُعِدَّ للمَوْت عدَّته الأخِيرة، وَالْمَيِّـتُ هذه المرَّة هي "**الأيَّام**"، التي ألحَّ الشَّاعِر على حُضُورها اللَّفظيِّ، مسندة إلى الضَّمِير الجَمْعيِّ "**نا**"؛ للدَّلالة على أمرَيْن مهمَّيْن، هُمَا: أنَّ الشَّاعِر لم يزل يتوهَّم النُّطْق بضمير الشَّعب المُقـاوِم، وَأنَّ بناءً شامخ الأركان، لم تزل المُقَاوَمة تَبْتَنِي بصبرها دعائمه، سقط في مهاوي خَطِيئة السَّلام.

فلتُدفَن "**الأيَّام**" إذن، وَلتُدفَن معها أيضًا جِرَاحات القلب الرَّاعِفة، لكن "**مَنْ سَـيَدْفِنُ أيَّامَنَـا بَعْدَنَا: أنْتَ أمْ هُمْ ؟**"، أمَّا "**هُمْ**" فقد اعتادوا دفن أحلامنا، وَتعهَّدوا كبرياءَنا بالقَتْل وَالدَّمار، وَأمَّـا

---

[1]) الشَّنْطي، أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ــ عَلَى آخِرِ الْمَشْهَدِ الأَنْدَلُسِيِّ، ص٨٣٧.

[2]) في بَلاغَة السُّؤَال على وجه العُمُوم، يُنظَر: الخطابيّ، عزّ الدِّين وَكثير، إدْريـس، (يُونيُـو١٩٩٨م)، بَلاغَـةُ السُّؤَالِ وَسُؤَالُ البَلاغَةِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٨)، ص٣٣١ ــ ٣٦٢.

"**أَنْتَ**" فقد شربت مع آخر كأسٍ في مائدة التَّفاوُض، جُرْعة المَوْت الأخِيرة، فَلْتَكُنْ سَــوْطًا علـــى سَوْطٍ، أو آلة قتلٍ جديدةٍ، كُلُّ الأشياء بدت خانعةً، "**فَلِمَاذَا تُطِيلُ النِّهَايَةَ، يَا مَلِكَ الاحْتِضَارِ ؟**".

وَيُقَدِّم النَّصُّ الصُّورَةَ الكُلِّيَّة للسَّوَاد، الذي جلَّل المشهد الثَّلْجيَّ، فوق مدينة اليَأس وَالــدُّمُوع وَالوَدَاع الأخِير، وَتُعزِّز هذه القيم المعنويَّة، "من مدى فَاعِلِيَّة الظُّلْم وَالخِيَانة، التي يتبنَّاها الرَّمْز المُوحِي لدى دَرْوِيش "**مَلِك الاحْتِضَار**"، الذي سَيُسَلِّمُ مفاتيح البلاد كما سلَّمها الآخرون"([1]).

لكنَّنا نقرأ في تداعيات القَصِيدة؛ ما يمكن أن يُشِيرَ إلى تبعيَّة المُثقَّف للحَاكِمِ؛ فقــد "أثــارت غضب السَّيِّد يَاسِرِ عَرَفَات، رَئِيس اللَّجْنة التَّنفيذيَّة لِــ م. ت. ف في حينه، وَأنَّــه تبعًــا لــذلك؛ استدعى الشَّاعِرِ الذي كان يُقِيمُ في بَارِيس؛ ليستفسر منـــه عمَّا يقصده في القَصِيدة"([2])، وقـــد "أبدى الشَّاعِرِ استعداده لحذف كلماتٍ من القَصِيدة وَاستبدالها بأخرى ... وَهذا مـــا أقـــدم عليـــه دَرْوِيش فيما بعد. وَهكذا يرضخ الثَّقافيُّ لِلسِّيَاسيِّ"([3]).

وَيُعبِّر هذا عن ظَاهِرة التَّبعيَّة، التي يستلزمها المَوْقع؛ "فقد أجرى الــشَّاعِرِ نفــسه بعــض التَّغْيِيرات على قصائده، وَقاده إلى هذا الموقع الذي أصبح فيه"([4]).

وَيُثِيرُ التَّغْيِير "عدَّة إشكالاتٍ، أهمُّها:

أوَّلاً: تبعيَّة الأدِيب للسِّيَاسيِّ وَالرُّضُوخ لأوامره.

ثانيًا: تخلِّي الشَّاعِرِ عن مواقفه، وَالتَّراجُع عمَّا يراه وَيعتقده؛ وَيقوده الرُّضُوخ إلى تعزيز ظَاهِرة الشَّاعِرِ التَّابِع، وَتقويض ظَاهِرة الشَّاعِرِ الشَّهِيد، الشَّاعِرِ المُلتزِم بِالكَلِمَة ... .

ثالثًا: وَيتحوَّل الأدِيب هنا، إلى سياسيٍّ يتعامل مع الرَّاهِنِ؛ فيتغاضى عــن الحَقِيقــة، وَيتجاهــل ذكرها، وَلا يجرؤ على إشهارها؛ وَذلك من أجل تيسير أموره، وَهو الحلقة الأضعف في عـــالمٍ يقمع فيه السِّيَاسيُّ كُلَّ من يُخالِفـــه الرَّأي مُباشَرَةً؛ وَهكـــذا يرضخ من لا يملك سوى الكَلِمَـــات إلى من يملك المُسدَّس وَالمَال ..."([5]).

وَليس من شَكٍّ في "أنَّ شعر مَحْمُود دَرْوِيش لا يخلو من التَّنَاقُض، في القَصِيدة الوَاحِدة، أو فيما بين قصيدةٍ وَأخرى، وَحالةٍ وَسواها، مع محاولة الانضباط (أو الضَّبْط) الــصَّارِم؛ لإلـــزام

---

1) الخوالدة، فَتْحِي رزق، (٢٠٠٦م)، **تَحْلِيلُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ ــ ثُنَائِيَّةُ الاتِّسَاق وَالانْسِجَام فِي دِيوَان "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"**، (ط١)، عمَّان: أَزْمِنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١٣٨.

2) الأسْطَة، د. عَادِل، (تشرين أوَّل١٩٩٧م)، إشْكَالِيَّةُ الشَّاعِرِ وَالسِّيَاسِيِّ فِي الأدَبِ الفِلَسْطِينِيِّ ــ مَحْمُود دَرْوِيش نموذجًا، **مجلَّة كَنْعَان**، (٨٧)، ص٨١.

3) نفسه، ص٨١.

4) الأسْطَة، د. عَادِل، (٢٠٠٠م)، **سُؤَالُ الْهُوِيَّةِ ــ فِلِسطِينِيَّةُ الأَدَبِ وَالأَدِيبِ**، (ط١)، رَام الله: دَار الشُّرُوق للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص٣٨؛ وَقد أشار الدُّكتور عَادِل الأسطة، إلى مُعَالَجته هذه القضيَّة، في دراستَيْه: "ظَواهِر سلبيَّة فـــي مَسِيرة مَحْمُود دَرْوِيش الشِّعْرِيَّة"، وَ"إشكاليَّة الشَّاعِرِ وَالسِّيَاسيّ في الأدَب الفلسطينيِّ: مَحْمُود دَرْوِيش نموذجًـــا"؛ يُنظَر: **نفسه**، ص٣٨.

5) الأسْطَة، إشْكَالِيَّةُ الشَّاعِرِ وَالسِّيَاسِيِّ فِي الأدَبِ الفِلَسْطِينِيِّ ــ مَحْمُود دَرْوِيش نموذجًا، ص٨٢.

الشَّاعِر فيه برؤية السِّياسيِّ؛ ففي أكثر من موقعٍ؛ يمكن للقَارئ المُتمعِّن في شعر دَرْوِيش؛ أن يلحظ حالات انفعال الشَّاعِر فيه؛ وَارتفاع صوته؛ في نبرته الغَاضِبة؛ ثُمَّ نجد السِّياسيَّ يُحاول ترميم ما اقترفه الشَّاعِر ... وَقِسْ على ذلك بعض النَّبرات الغَاضِبة المُنفلِتة، وَالتي تبرز في أثناء قصائده المُنضبطة، في إطار رؤيةٍ سياسيَّةٍ (سنكتشف بسهولةٍ أنَّها مُستَقاةٌ من برنامج مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة، في طَوْرها التَّسْوويِّ، وَمُوظَّفةٌ في خدمته)"([1]).

وَلعلَّ ما سبق بحثه؛ يُؤكِّد حقيقةً مفادها: أنَّ "القَصِيدة الجيِّدة، هي النُّسْخة الأولَى، التي ليس لها نسخةٌ ثانيةٌ سابقةٌ لها أو لاحقةٌ بها؛ يعني أنَّها زمانٌ وحيدٌ هاربٌ من كُلِّ الأزْمِنة .. وَوقتٌ خُصُوصيٌّ مُنفصِلٌ عن كُلِّ الوقت العامِّ"([2]).

وَيمكن استجلاء مُفَارَقة التَّمرُّد المُسالِم، في ضوء ملامح صُورَة الآخَر السِّياسيَّة؛ حيث واقع الصِّرَاع الدَّاخِلي، بين سُلْطتَيْن مُتنافِرتَيْن، في رام الله وَغزَّة؛ بفعل الانقسام الفلسطينيِّ، على هامش النَّكْبة الجَدِيدة، في العَشْريَّة الأولَى من الألفيَّة الثَّالِثة؛ فقد بدا الشَّاعِر مُتمرِّدًا مُسالِمًا في الوقت نفسه، في نتاج المرحلة السَّابِقة، تجاه السُّلْطة التي غضَّت الطَّرف عنه حينًا، وَنبَّهته إلى جسامة الخَوْض في حِمَى السِّيَاسَة في أحايين كثيرةٍ.

لكنَّه تمرَّد أخيرًا، وَانفلت عِقَالُ الشِّعْر منه؛ طعنًا في سُلْطة غزَّة، وَإذعانًا لِسُلْطة رام الله، وَمثلما انقسم الوطن على ذاته، انشطر الشَّاعِر إلى مُتوازيتَيْن ضدِّيَّتَيْن، يُوحِي نقض الأولَى بتمجيدٍ ضمنيٍّ للثَّانِية، وَيقول الشَّاعِر في قَصِيدة "**أنْتَ مُنْذُ الآنَ غَيْرُكَ**"([3]):

هَلْ كَانَ عَلَيْنَا أنْ نَسْقُطَ مِنْ عُلُوٍّ شَاهِقٍ،

وَنَرَى دمَنَا عَلَى أيْدِينَا ... لِنُدْرِكَ أنَّنَا لَسْنَا

مَلائِكَةً كَمَا كُنَّا نَظُنُّ ؟

□

وَهَلْ كَانَ عَلَيْنَا أيْضًا أنْ نَكْشِفَ عَنْ عَوْرَاتِنَا

أمَامَ الْمَلأ، كَي لاَ تَبْقَى حَقِيقَتُنَا عَذْرَاء ؟

□

[1]) أشْقَر، أحْمَد، (٢٠٠٥م)، **التَّوْرَاتِيَّاتُ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش مِنَ الْمُقَاوَمَةِ إِلَى التَّسْوِيَةِ**، (ط١)، دِمَشق: قدمس للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، ص١١.

[2]) قَبَّانِي، نِزَار، (١٩٧٥م)، **الْكِتَابَةُ عَمَلٌ انْقِلابِيٌّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَنْشُورَات نِزَار قَبَّانِي، ص٧؛ وَيمكن أن يُقَارَنَ رأي نزار قبَّاني، بما جاء في قَصِيدَة "السَّطْر الثَّانِي" لِمَحْمُود دَرْوِيش، من مَجْمُوعَة "أثر الفراشة"، بناءً على تصريح دَرْوِيش بِأبُوَّةِ نزارٍ له، وَفيها عرض للمُفَارَقة بين السَّطْر الأوَّل، وَهو "**هِبَةُ الْغَيْبِ لِلْمَوْهِبَةِ**"، وَالسَّطْر الثَّانِي، الذي "**لا يُوهَبُ، بل يُصْنَعُ بِكَفَاءَةِ تَرْوِيضِ اللامَرْئِيِّ**"، يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٧٥٨، ٧٥٩.

[3]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ٢: ٧٩٣ ــ ٧٩٥.

كَــمْ كَذَبْنَــا حِينَ قُلْنَــا: نَحْــنُ اسْتِثْنَــاء !

□

أنْ تُصَــدِّقَ نَفْسَــكَ أَسْــوَأُ مِنْ أنْ تَكْــذِبَ
عَلَى غَيْرِك !

□

أنْ نَكُونَ وَدُودِينَ مَع مَنْ يَكْرَهُونَنَا، وَقُسَاةً
مَع مَنْ يُحِبُّونَنَا ــ تِلْكَ هِيَ دُونِيَّةُ الْمُتَعَالِي،
وَغَطْرَسَةُ الْوَضِيع !

□

أَيُّهَا الْمَاضِي ! لاَ تُغَيِّرْنَا كُلَّمَا ابْتَعَدْنَا عَنْك !

أَيُّهَا الْمُسْتَقْبَــلُ ! لاَ تَسْأَلْنَــا: مَنْ أَنْتُــمْ ؟
وَمَاذَا تُرِيدُونَ مِنِّي ؟ فَنَحْنُ أَيْضًا لاَ نَعْرِف.

أَيُّهَا الْحَاضِرُ ! تَحَمَّلْنَا قَلِيلاً، فَلَسْنَا سِوى
عَابِرِي سَبِيلٍ ثُقَلاءِ الظِّلّ !

□

الْهُوِيَّةُ هِيَ: مَا نُورِثُ لاَ مَا نَرِثُ. مَا نَخْتَرِعُ
لاَ مَا نَتَذَكَّرُ. الْهُوِيَّــةُ هِــيَ فَسَــادُ الْمِــرْآةِ
التِي يَجِبُ أنْ نَكْسِرَهَا كُلَّمَا أعْجَبَتْنَا الصُّورَة !

□

تَقَنَّعَ وَتَشَجَّــعَ، وَقَتَلَ أُمَّــهُ ... لأَنَّهَا هِيَ مَا
تَيَسَّــرَ لَــهُ مِنَ الطَّرَائِــدِ ... وَلأَنَّ جُنْدِيَّــةً
أَوْقَفَتْهُ (...)

□

لَوْلاَ الْحَيَاءُ وَالظَّلاَمُ، لَزُرْتُ غَزَّةَ، دُونَ أنْ أعْرِفَ الطَّرِيقَ إلَى بَيْتِ أبِي سُفْيَانَ الْجَدِيدِ، وَلاَ اسْمَ النَّبِيِّ الْجَدِيدِ !([1]).

□

لَوْلاَ أنَّ مُحَمَّـدًا هُوَ خَاتمُ الأنْبِيَاءِ، لَصَارَ
لِكُلِّ عِصَابَةٍ نَبِيٌّ، وَلِكُلِّ صَحَابِيٍّ مِيلِيشْيَا !

□

أعْجَبَنَا حُزَيْرَانُ فِيْ ذِكْرَاهُ الأرْبَعِين: إنْ لَمْ
نَجِدْ مَنْ يَهْزِمُنَـا ثانِيَـةً هَزَمْنَـا أنْفُسَنَـا
بِأيْدِينَا ... لِئَلا نَنْسَى !

□

مَهْمَا نَظَرْتَ فِيْ عَيْنَيَّ، فَلَنْ تَجِـدَ نَظْرَتِي
هُنَاكَ. خَطَفَتْهَا فَضِيحَةَ !

هكذا بدا دَرْوِيش في تمرُّده الجَدِيد، على من أفرزتهم ديمقراطيَّة السـيِّد الأمريكـيِّ !([2])، وَليست أجواء الاقتتال الدَّاخليِّ عنَّا ببعيدةٍ؛ فمنشؤها مجموعةٌ من السُّلطات المحلِّيَّة وَالعالميَّة، يوم أن تبنَّت مُخطَّطًا؛ لتقويض حُكُومةٍ لم تتشكَّل وزارتها بعد.

وَحقيقة الأمر في كُنْهِ الرُّؤْية الفنِّيَّة، تكمن في أنَّ الشَّاعِر اقتـرب مـن "لغـة التَّـصْوير الإعلاميِّ، وَالتَّقْطيع البصريِّ السِّينمائيِّ المشهديِّ، الذي يُجسِّد الأشياء في مقاطع متواليةٍ بـشكلٍ مظلومٍ دراميًّا، مُنسجِمًا مع حالة التَّصْعيد الدّراميِّ، في الوَاقِع وَالمَـشَاعِر وَالأحَاسِـيس لديـه، وَبالتَّالي فإنَّ لغة دَرْوِيش الحاليَّة في قصيدته هذه، تصل إلى مُستَويات اتِّصاليَّةٍ عاليةٍ"([3]).

---

[1]) خلت الأعْمَال الجَدِيدة من هذا الشَّطْـر، بينما ورد في: مَوْقِـع بِـلاد ــ مُدَوَّنَـة مَكْتُـوب (www.bilad-13.maktoobblog.com)، بِتَارِيخ: الأربعاء، ٢٠ حُزَيْرَان، ٢٠٠٧م.

[2]) في الدِّكتاتوريَّة المُقنَّعة بِالدِّيمقراطيَّة، يُنظَر: الحياصات، أحْمَـد، (٢٠٠٦م)، **أفْكَـار وَآرَاء**، (ط١)، عمَّـان: مَطَابِع الدُّستور التِّجَارِيَّة، ص٤٦؛ وَقد شهدت اتِّجاهات الجُمْهُور الفلسطينيِّ ميلاً واضـحًا نحـو الدِّيمقراطيَّـة السِّياسيَّة، لا سيَّما بعد مضي سنواتٍ عديدةٍ، على وُعُود أمريكا وَالكيان الصُّهيونيِّ، بإقامة الدَّوْلـة، دون أدنـى بارقة أملٍ، مع الأخذ بعين الاعتبار نُموّ الذِّهْنِيَّة الفلسطينيَّة، تجاه الاستقلال السِّياسيِّ الكَامِل، يُنظَـر: ميعـاري، مَحْمُود، (٢٠٠١م)، اتِّجَاهَاتُ الْجُمْهُورِ الْفِلَسْطِينِيِّ نَحْوَ الدِّيمقراطِيَّةِ السِّيَاسِيَّةِ، **دِرَاسَـات**، "العُلُـوم الاجتماعيَّـة وَالإنسانيَّة"، ٢٨(١)، ص٥٠ ــ ٧١.

[3]) مشارقـة، تَيْسِـير: **نَقْـدٌ بَصَـرِيٌّ لِلأدَبِ ــ أنْتَ مُنْذُ الآنَ غَـيْرك لِمَحْمُـود دَرْوِيـش**، نقـلاً عـن المَوْقِـع الإلكـترونيِّ: (www.mashareqa-maktoobblog.com).

أمَّا من حيث الرِّسَالة المضمونيَّة؛ فقد وقف جُوزيف مسعد، أستاذ السِّيَاسَة وَالفِكْر العربـــيِّ، في جَامِعـــة (كولومـــبيا)، في (نيويورك)، على هذه القَصِيدة، مُنطلِقًا في فضاء النَّقْد المُستنِد إلى ردَّة الفِعْل؛ ليلوم الشَّاعِر على تمجيده قُوَّةً سياسيَّةً مُحدَّدةً، وَهجائه أخرى، بلغـــةٍ لا تخلـــو مـــن تجريح الشُّخُوص وَالقوى؛ مثَّلت خُلاصَتها سخريةً من واقع تنكُّــر القـــوى العالميَّـــة، لنتـــائج الدّيمقراطيَّة الفلسطينيَّة؛ لعدم انسجامها مع نزواتها([١]).

وَالحقُّ الذي يُستشفُّ من هاتيك السُّطُور؛ ينطق بالمُحَابَاة التـــي ألحقـــت الـــشَّاعِر بركـــب السُّلْطة، وَهو الذي لزمه أن يُوحِّد وَلا يُفرِّق، وَيُخطِّئ كُلَّ من قارف ذنب السَّفْكِ على اخـــتلاف المَنْهجيَّة وَالشِّعَار؛ أمَّا أن يتَّسم الشِّعْر بالنَّقْد الجَارح، وَيمتاح النَّقْد في ظلاله قَدْحًا مُضادًّا؛ فهـــذا الذي يُجانِب الصَّوَاب، في ميزان موضوعيَّة الرُّؤْيَة وَالقِرَاءة، دونما تبرئةٍ أو تجريمٍ، لا سيَّما إذا اعتلق الأمر بتضحياتٍ حركيَّةٍ وَشخصيَّةٍ.

وَلأنَّ التَّمرُّد سمة المرحلة، يغدو الشَّاعِر ثائِرًا على نفسه، في الطَّلليَّة الفلسطينيَّة، بعد أشهرٍ من السُّقُوط المُدوِّي، في عالم المُحَابَاة السِّياسيَّة؛ لتغدو طلليَّته الشِّعْريَّة الجَدِيـــدة خالـــدةً، خُلُـــود المعنى الإنسانيِّ الرَّفِيع، المُتجذِّر في "**مَحَطَّةِ القِطَار**"، التي أبـــت الرَّحِيـــل عـــن الأرض، وَإن غادرتها الخَرِيطة: "**عَلَىْ مَحَطَّةِ قِطارٍ سَقَطَ عَنِ الْخَرِيطةِ**"([٢]).

وَيتجلَّى في العنوان، الموقف الرَّافِض لِكُلِّ سياسات الاحتلال، في طَمْس "**الْهُوِيَّـــةِ**"، التـــي تشكَّلت في منظور الشَّاعِر من خلال الطَّلَل البَائِد، الذي ائتلف بقيم النَّمَاء وَالحَيَاة، في غير سياقٍ لونيٍّ وَنباتيٍّ وَحيوانيٍّ، وَغدت هذه الضِّدِّيَّة تجلِّيًا للضِّدِّيَّة المَاثِلة في السِّيَاسَة العالميَّة، التي أبـــت إلاَّ أن تكون مزدوجة المعياريَّة، في التَّعامُل مع القضيَّة، في عمرها السِّتِّين.

وَما دامت فلسطين قلب "**الخَرِيطة**"، فلا أقلّ من مداد العَطَاء الـــشِّعْريِّ؛ لتـــسجيل الكَلِمَـــة المَوْقف، التي اختزلت مسافة السُّقُوط العالميِّ الكَبير، في قمَّة الخُنُوع للمـــشروع الـــصُّهيونيِّ، القَاضِي بطَمْس المعالم، وَمحو التَّاريخ من ذاكرةٍ، باتت هي الأخرى تحتكم للتَّاريخ من منظـــور السَّيِّد الأمريكيِّ، حتَّى أضحت معالم "**الخَرِيطة**"، في محافل السِّيَاسَة العالميَّة، مُؤتلِفةً بنجمة دَعِيٍّ الأرض الكنعانيَّة؛ فلا كنعانيَّة إلاَّ في نطاق الكلمة الشِّعْريَّة الصَّدَّاحة بالحقِّ، ومـــا عـــدا ذلـــك تُرَّهَاتٍ، مآلها حُكْم النِّسيان.

---

[1] يُنظَر: مسعـــد، جُوزيـــف: **نِـــدَاءٌ إلَى مَحْمُـــود دَرْوِيـــش**، صَحِيفَـــة الأخبـــــار الإلكترونيَّـــــة، عـــــدد الإثنين، ٢١ نيسان، ٢٠٠٨م، (www.al-akbar.com).

[2] يُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ**، ص٢٥ ـــ ٣٤؛ وقد نُشِرَ نصُّ القـــصيدة فـــي: مَحْمُـــود دَرْوِيش: **عَلَى مَحَطَّةِ قِطَارٍ سَقَطَ عَنِ الْخَرِيطَةِ**، صَحِيفَة الدُّستور، عدد الأحَد، ١٣ جُمَادَى الأولى ١٤٢٩ هــــ، المُوَافِق ١٨ أيَّار ٢٠٠٨م، ص٣٣.

وَفضلاً عن الوَظيفة الثَّقافيَّة، التي أرادها الشَّاعِر إحكامًا لنسيج الخِطَاب الفِكْريِّ السَّامِي، فقد قلَّب في صفحات الوَظِيفة الوطنيَّة، وَعاد إلى رأس الصَّفْحة الأولى، كما كان في زمن "**الْهُوِيَّةِ**"؛ فغدت سياقاته التَّعْبيريَّة، في فضاء المُعْجَم الشِّعْرِيِّ، وَالتَّصْوير الْفَنِّيِّ، تعبيراً عن حالة الانقسام الثُّنائيِّ على أرض الوَاقِع، في الضَّفَّة الغربيَّة وَغزَّة، حتَّى إنَّنا نلمح "**اليَمَامَة**" وَنظيرتها، وَ"**السَّرْوَة**" وَأختها، وُصُولاً إلى احتفاء "**السَّائِحة**" بتصوير مشهدَيْن مُتناقِضَيْن؛ تعبيرًا عن التَّناقُض، الذي كرَّسه الخِلاف الفلسطينيُّ الدَّاخِلِيُّ.

وَيَجْأرُ الشَّاعِر بالحَقِيقة السَّاطِعة، في المقطع الخَامِس، قائلاً([1]):

وَقَفْتُ عَلَى الْمَحَطَّةِ فِيْ الغُرُوبِ: ألاَ تَزَالُ
هُنَالِكَ امْرَأتَانِ فِيْ امْرَأةٍ تُلَمِّعُ فَخْذَهَا بِالْبَرْق ؟
أسْطُوريَّتَانِ ــ عَدُوَّتَانِ ــ صَدِيقَتَانِ، وَتَوْأمَانِ
عَلَى سُطُوح الرِّيح. وَاحِدَةٌ تُغَازِلُنِي. وَثَانِيَةٌ
تُقَاتِلُنِي ؟ وَهَلْ كَسَرَ الدَّمُ الْمَسْفُوكُ سَيْفًا
وَاحِدًا لأقُولَ: إنَّ إلَهَتِي الأولَى مَعِي ؟

وَلَيس أدلّ على صِرَاع الشَّاعِر الدَّاخِلِيِّ؛ من حال "**امرأتَيْن أسطوريَّتَيْن عدوَّتَيْن صديقتَيْن**"؛ أمَّا العَدَاوَة فَقُدِّمَتْ تقريبا للواقع الذي آلَ إليه الإخوة المُصْطَرِعون؛ وَأمَّا الْغَزَلُ فشأن السُّلْطة التي استمالته إلى كنف رعايتها حينًا وَوبَّخته حينًا آخر، بينما بدا هجاء الأخرى، حالةً من القِتَال المُوجَّه إلى الشَّاعِر، وَيجيء النَّقْد لكلتَيْهما، حين يتساءَل دَرْويش، قائلاً: "**وَهَلْ كَسَرَ الدَّمُ الْمَسْفُوكُ سَيْفًا وَاحِدًا لأقُولَ: إنَّ إلَهَتِي الأولَى مَعِي ؟**".

وَيُلِحُّ الشَّاعِر على استحضار قيمة الْوَحْدَةِ، من خلال تصوير واقع الاختلاف، الذي أسقط "**مَحَطَّةَ الْقِطَارِ عَنِ الْخَرِيطَةِ**"؛ فمرَّت الذِّكْرى دون أن تُذْكَرَ؛ وَلَم تعد للخِطَاب الأوَّل: "**أنْتَ مُنْذُ الآنَ غَيْرُكَ**"، قيمةٌ، في ميزان الشِّعْر النَّاطِق بِحِكْمة الثَّقَافَة وَنبض المُثَقَّف؛ فغدا الخُسْران مُلتصِقًا بِكُلٍّ من "**أشعلَ النِّيرَان في قلْب الخَرِيطَة**".

أمَّا وَقد أضحى الكُلُّ ماضيًا، فليس من سبيلٍ إلاَّ أن نأتلف "**أنَا وَأنْتَ**"؛ لنكون في "**الْغَدِ وَاحِدًا**"؛ لِيُتَابِعَ "الفَنَّان الذي تحرَّر بخاتمةٍ، ذات طَابَع إلزاميٍّ بَحْتٍ، في موضع آخر، العمل على إنهاء مالم ينهه"([1])، يقول الشَّاعِر([2]):

[1]) دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص٢٧، ٢٨.

أَنْتَ أَنْتَ وَلَوْ خَسِرْتَ. أَنَا وَأَنْتَ اثْنَان
فِي الْمَاضِي، وَفِي الْغَدِ وَاحِدٌ. مَرَّ الْقِطَارُ
وَلَمْ نَكُنْ يَقِظَيْن، فَانْهَضْ كَامِلاً مُتَفَائِلاً، لاَ
تَنْتَظِرْ أَحَدًا سِوَاكَ هُنَا، هُنَا سَقَطَ الْقِطَارُ
عَنِ الْخَرِيطَةِ فِيْ مُنْتَصَفِ الطَّرِيق السَّاحِلِيِّ.
وَشَبَّتِ النِّيرَانُ فِيْ قَلْبِ الْخَرِيطَةِ، ثُمَّ أَطْفَأَهَا
الشِّتَاءُ وَقَدْ تَأَخَّرَ. كَمْ كَبُرْنَا كَمْ كَبُرْنَا
قَبْلَ عَوْدَتِنَا إِلَى أَسْمَائِنَا الأُولَى

وَيُوَاكِبُ دَرْوِيش مُحَاوَلات المُصَالَحة الخَجُولة، بين الفريقَيْن المُتنازِعَيْن، التي لم تكن سوى خطاباتٍ مشرقة، بكلماتٍ تستحيل دُمُوعًا عَصِيَّةً، في عالم "**الْمَجَاز**"، الذي لم يحفل بالدِّمَاء النَّازفة، في مواقعةٍ غير حقيقيَّةٍ لجوهر القضيَّة، حتَّى (الْقِيَامَةُ: الثَّوْرة وَالنُّهُوض وَالتَّحْرِير)؛ غَدَتْ ثقيلةً على ألسنةٍ؛ احتفت بِشتَّى دَوَاعِي الخِلاف، يقول الشَّاعِر[3]:

هُنَاكَ مَوْتَى يُوْقِدُونَ النَّارَ حَوْلَ قُبُورِهِمْ.
وَهُنَاكَ أَحْيَاءٌ يُعِدُّونَ الْعَشَاءَ لِضَيْفِهِمْ.
وَهُنَاكَ مَا يَكْفِي مِنَ الْكَلِمَاتِ كَي يَعْلُوَ الْمَجَاز
عَلَىْ الْوَقَائِعِ. كُلَّمَا اعْتَمَّ الْمَكَانُ أَضَاءَه
قَمَرٌ نُحَاسِيٌّ وَوَسَّعَهُ. أَنَا ضَيْفٌ عَلَى نَفْسِي.
سَتُحْرِجُنِي ضِيَافَتُهَا وَتُبْهِجُنِي: فَأَشْرَقُ بِالْكَلاَم
وَتَشْرَقُ الْكَلِمَاتُ بِالدَّمْعِ الْعَصِيِّ. وَيَشْرَبُ الْمَوْتَى
مَعَ الأَحْيَاءِ نعْنَاعَ الْخُلُود، وَلاَ يُطِيلُونَ
الْحَدِيثَ عَنِ الْقِيَامَةِ

حينها يغدو (**لاَ قِطَارَ هُنَاكَ**)؛ لأنَّ لا نَكْبة تفوق جَلِيل النَّكْبة الوَاقِعة، ثُمَّ إنَّ أحدًا لن (**يَنْتَظِرَ الْقِطَارَ**)؛ فالكلُّ مُنشغِلٌ بِحُكْمِهِ، مُنكفِئٌ على ذاته، يُعِدُّ الْعُدَّةَ للقِتَال.

---

[1]) بلانشو، مُوريس، (٢٠٠١م)، **الْفُسْحَةُ الأَدَبِيَّةُ ــ دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ**، تَرْجَمَة: جُورج سَالِم، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة، ص٨.
[2]) دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أَنْ تَنْتَهِيَ**، ص٣١.
[3]) **نفسه**، ص٣٢، ٣٣.

وَقبل الرَّحِيل المُفاجِئ، أعلن دَرْوِيش الكلمة الأخيرة، التي بدا فيها مُنْهَكًا وَمُنْهَمِكًا في صِيَاغة خِطَاب الثَّبَات الأخِير، رغم كُلِّ التَّناقُضات وَالسَّقَطَات وَالنِّزَاعات وَالأَنَّات وَالجِرَاحَات؛ تَرَاجُعًا عن انحيازه السَّابِق لِسُلْطة (أوسْلُو)، وَإصرارًا على أن يكونَ لسانَ كُلِّ فلسطينيٍّ أشرق قلبه بِالمُقَاوَمَة وَالْوَحْدَةِ، قَائِلاً: "لَمْ أزَلْ حَيًّا".

وَقد احتضن نتاج الشَّاعِر، حُضُور الآخر السِّيَاسيِّ الفلسطينيِّ الحِزْبيِّ، الذي اتَّفق معه في الرُّؤْية المبنية على الفِكْر الشُّيُوعِيِّ، من خلال استدعاء سُلَيْمَان النّجاب (ت٢٠٠١م) ــ عضو اللَّجْنة التَّنْفيذيَّة لِمُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة ــ في قصيدتَيْن، تموضعتا في مَجْمُوعَتَيْن مختلفتَيْن، على ما بينهما من مساحةٍ زمنيَّةٍ فاصلةٍ، تُقارب عشر سنواتٍ؛ وَهُمَا: قَصِيدة "**رَجُل وَخُشْف فِي الحَدِيقَة**"، من مَجْمُوعَة "**لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ**"(١)، وَقَصِيدة "**فِي رَام الله**"، من مَجْمُوعَة "**لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**"(٢)، وَقد صُدِّرتا بعد العنوان، بذكر الإهْدَاء، المُوجَّه إلى سُلَيْمَان النّجاب.

وَبدا الشَّاعِر مُلِحًّا على استحضاره، في أزماته الرُّوحيَّة العَمِيقة؛ بفعل أخطاء السَّاسَة، مُستلهِمًا وُجُوده في القَصِيدة الأُولَى، قبل وفاته بأربع سنواتٍ؛ حين تأزَّم الدَّاخِل الثَّقافيُّ بِخَطِيئة السَّلام وَآثارها، كما استحضره في قصائده الأخيرة، بعد وفاته، وَهي التي طُبِعَتْ في مَجْمُوعَةٍ واحدةٍ، بعد وفاة دَرْوِيش أيضًا، وَفيها تكريسٌ لِصُورَة الأنَا الثَّقافيَّة المُتأهِّبة للرَّحِيل، من خلال السِّياسيِّ النَّظِير، وَلا يخفى على المُتبصِّر في القصيدتَيْن؛ تضمُّنهما بعضًا من أوجه التَّناصِّ الدَّاخِلِيِّ، وَالقَوَاسِمِ المضمونيَّة المُشتَركة.

وَعُنِيَ دَرْوِيش بإبانة ملامح السُّلْطة السِّياسيَّة للآخر العربيِّ، وَمن أبرز القصائد التي أظهرت مُوَاجَهة ضمنيَّة مع السَّاسَة العَرَب، على وجه العُمُوم، قَصِيدة "**أنَا يُوسُفُ يَا أبِي**"، من مَجْمُوعَة "**وَرْد أقَلّ**"، الصَّادِرة سنة (١٩٨٦)م.

وَقد أصرَّ دَرْوِيش من خلالها، على التَّصْرِيح بنقد السُّلْطات العربيَّة، في استيحاءٍ واضح لقصَّة "يُوسُفَ" ــ عليه السلام ــ مع إخوته، من خلال التَّقنُّع به، وَهو الذي قد جال في العَوَاصِم العربيَّة؛ فما وجد سوى التَّصْفيق وَالدُّمُوع؛ هذا على المُستَوى الشَّعْبيِّ؛ أمَّا أولياء العُرُوش؛ فقد قرأ كُلَّ خياناتهم في ظَهْر الغَيْب، وَصمتًا لم يحفل في جلجلة الخِطَابَات إلاَّ بالتَّنْديد وَبشدَّةٍ، فقال(٣):

أنَا يُوسُف يَا أبِي. يَا أبي، إخْوَتي لا يُحِبُّونَنِي،لاَ يُرِيدُونَنِي

(1) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ١: ٦٩ ــ ٧١.
(2) يُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِي**، ص١١٨ ــ ١٢٢.
(3) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ٣: ١٥٩.

بَيْنَهُم يَا أَبِي. يَعْتَدُونَ عَلَيَّ وَيَرْمُونَنِي بِالْحَصَى وَالْكَـــلامِ. يُرِيدُونَنِي أَنْ أَمُوتَ لِكَيْ يَمدَحُونِي. وَهُمْ أَوْصَدُوا بَابَ بَيْتِكَ دُونِي. وَهُمْ طَرَدُونِي مِنَ الْحَقْلِ. هُمْ سَمَّمُـــوا عِنَبِي يَا أَبِي. وَهُمْ حَطَّمُوا لُعَبِي يَا أَبِي. حِينَ مَرَّ النَّسِيمُ وَلاعَبَ شَعْــرِي غَارُوا وَثَارُوا عَلَيْكَ، فَمَاذَا صَنَعْتُ لَهُمْ يَا أَبِي ؟ الْفَرَاشَاتُ حَطَّتْ عَلَى كَتِفِيَّ، وَمَالَتْ عَلَيَّ السَّنَابِلُ، وَالطَّيْرُ حطَّتْ على رَاحَتَيَّ. فَمَاذا فعَلْتُ أنا يَا أَبِي، ولماذَا أنَا ؟ أَنتَ سَمَّيْتَنِـــي يُوسُفًا، وَهُمُو أَوْقعُونيَ فِي الْجُبِّ، وَاتَّهَمُوا الذِّئْبَ؛ وَالذِّئْبُ أَرْحمُ مِنْ إخْوَتِي .. أَبَتِ ! هَلْ جَنَيْتُ عَلَى أَحَدٍ عِنْدما قُلْتُ إنِّي: رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكبًا، وَالشَّمْسَ وَالقمَرَ، رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينْ.

إنَّ صُورَةَ السُّلْطة العربيَّة، في القَصِيدة السَّابِقة، مرتبطةٌ بواقع دَرْوِيش السِّياسيِّ، وَنتاجــه الشِّعْريِّ، بعد الخُرُوج الكَبير من "بَيْرُوت"، الذي أنهى حُضُور مُؤسِّسات الثِّقَة بالعَرَب في داخله؛ حتَّى لقد بدا مُصطرعًا مع المنظومة السِّياسيَّة العربيَّة بكلِّيَّتها، في غير سياقٍ، يُنبئ عنه الشِّعْر؛ من خلال التَّصادُم المُوحِي بِاغتراب الثَّائِر في مسيرة النِّضَال.

وَهو الوَاقِع الذي استدعى له التَّناصَّ القرآنيَّ وَالدِّينيَّ التَّارِيخيَّ، مــن خـــلال الاســتعارة المضمونيَّة لقصَّة يُوسُف ــ عليه السلام ــ مع إخوته([1])، التي تُعَدُّ من باب التَّناصِّ المضمونيِّ، الــذي شُكِّل بتقنيَّة القِنَاع، في وحي الرُّؤْية الشِّعريَّة لِمَحْمُود دَرْوِيش، "الأكثر غزارةً وَاستيعابًا وَتوظيفا لتقنية التَّناصِّ، بشكلٍ عميقٍ مُنسجِمٍ مُؤثِّرٍ في القَصِيدة الحَدِيثة"([2]).

وَلأنَّ القَارِئ "يُدْرِكُ أنَّ غرض الشَّاعِر لا يمكن أن يكون توثيقيًّا أو تسجيليًّا أو اجترار رؤيةٍ تاريخيَّةٍ، فإنَّه يُدْرِكُ أنَّ هذا النَّصَّ، يحمل من خلال لعبة التَّناصِّ، أكثر مِمَّا يبدو أنَّه يحمله؛ إذ ما أشبه اليوم بِالبَارِحة، وَما أشبه يُوسُف الذي رماه إخوته في الْجُبِّ وَاتَّهموا الذِّئب بقتله، بِالشَّاعِر،

---

[1]) يُنظَر: أَبُو شَــرَار، **التَّنَاصُّ الدِّينِـــيُّ وَالتَّارِيخِـــيُّ فِي شِعْــر "مَحْمُـــود دَرْوِيش"**، ص٤٦ ــ ٦٠، (يُوسُف ــ عليه السلام ــ مجالاً خِصْبًا لتمثيل التَّجربة الحياتيَّة).

[2]) الزُّعبي، د. أَحْمَد، (٢٠٠٩م)، الشِّعْرُ فِي فِلَسْطِينَ وَالأَرْدُنِّ (١٩٥٠ ــ ٢٠٠٠م). فِي: د. إِبْرَاهِيم خَلِيل وَ د. مُحمَّد عبيد الله وَ د. شُكْرِي عَزِيز مَاضِي وَ د. سَمِير قطامِي، مُرَاجَعة وَتَقْدِيم: أ. د. صَلَاح جرَّار، **مَعَالِمُ الْحَيَاةِ الأَدَبِيَّةِ فِي فِلَسْطِينَ وَالأُرْدن (١٩٥٠ ــ ٢٠٠٠م)**، ص٢٢٩.

أو بمن يُقدِّم الشَّاعِر إفادته عنه من إنسانٍ فلسطينيٍّ أَوْهَمَهُ إخوته أو أوهموا أباه بــرغبتهم فــي مُصَاحَبته وَحِمَايَته، ثُمَّ قاموا برميه في الْجُبِّ، وَاتَّهموا الذِّئب / العدوَّ بقتله"([1]).

إنَّ غائيَّة التَّضْمين القرآنيِّ هنا؛ مَاثِلَةٌ في "إثبات حقيقةٍ مهمَّةٍ، وَهي فضح المواقــف التــي تغدر بشعبه. وَقد وجد في قصَّة يُوسُف وَإخوته، كما جاءَت في القُرْآن الكَريم، رموزًا يُعبِّر بها عن علاقة الشَّعْب الفلسطينيِّ بأُمَّته؛ إذ إنَّ يُوسُف هو الشَّعْب الفلسطينيُّ، وَأُمَّتــه العربيَّــة هــم إخوته، وَكما كانت علاقة يُوسُف بإخوته، كانت علاقة الشَّعْب الفلسطينيِّ بأُمَّته، قد يرمي مَحْمُود دَرْوِيش، إلى أنَّ العلاقة قد تُصبح طبيعيَّةً في المُستَقبل، مثلما أصبحت العلاقة طبيعيَّةً بين يُوسُف وَإخوته، بعد أن مكَّن الله له في الأرض"([2]).

وَيحمل التَّضادُّ في ضَمَائِر البِنَاء الشِّعْريِّ للقَصِيدة؛ دلالتي السّلْب وَالإيجاب؛ أَمَّــا الأولــى فتتمثّل في "مُحَاوَلَة الإخوة قتله؛ فهذا يعني أنَّ الذَّات تُخطِّط لتدمير الذَّات، وَبمعنى آخــر فــإنَّ الذَّات تسعى إلى الانتحار ــ أي الذَّات العربيَّة، يتجسَّد ذلك في ضدِّيَّة الضَّمَائِر أَنَا ــ هُمْ؛ أَمَّــا الجَانِب الإيجابيُّ فهو تَجاوُز الوَاقِع المَرير، الذي سيعيشه يُوسُف داخــل البِئْر كذاتٍ وَمجمــوع ..."([3]).

وَلَقد رسَّخ القِنَاع الشِّعْريُّ في القَصِيدة السَّابِقة؛ "توق الشَّاعِر العربيِّ المُعاصِر؛ للبحث عن هُوِيَّتِهِ، وَالمُتطلِّع إلى تَجاوُز وَاقِعه المُعتِم، وَمَأساة حياته، التي يبدو معها وَقد أُلْقِيَ في قاع جُبٍّ عميقٍ بلا قرارٍ"([4]).

وَخُلاصَة الأمر؛ تتمثّل في "أنَّ بدايات ظُهُور تَقاطُع شعــر دَرْوِيش مع سُورَة يُوسُــف ــ ﷺ ــ عَائِدةٌ إلى حِصَار بَيْرُوت عام (١٩٨٢)م، وَأَنَّ حَالَة الحِصَار تلك؛ كانت الــسَّبَب فــي وعي الشَّاعِر بعلاقة التَّشابُه، التي جمعت بين يُوسُف ــ ﷺ ــ في البِئْر، حين ألقــاه إخوتــه، وَالفلسطينيّ الذي ألقاه إخوته في بِئْر الحِصَار، في "بَيْرُوت"؛ وَلَذا ظهر التَّناصُّ مع سُورَة يُوسُف في تلك المرحلة حادًّا جليًّا مُؤلِمًا"([5]).

---

[1]) جَابِر، نَاصِر يُوسُف إبْرَاهِيم، (٢٠٠٠م)، **المُفَارَقَةُ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ ــ مَحْمُود دَرْوِيش، أَمَل دنقل، سَعْدِي يُوسُف، نموذجًا**، رسَالَة دُكتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأَرْدنيَّة، عمَّان، الأَرْدن، ص٢٩٠.

[2]) الدِّيك، نَادِي سَارِي، (١٩٩٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ الشِّعْرُ وَالقَضِيَّةُ**، (ط١)، عمَّان: دَار الكَرْمِــل، ص٨٧، ٨٨.

[3]) حَمْزَة، حُسيْن، (٢٠٠١م)، **مُرَاوَغَةُ النَّصِّ ــ دِرَاسَاتٌ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيــش**، (د. ط)، حَيْفَا: مَكْتَبَة كُــلِّ شَيءٍ، ص٢٢، ٢٣؛ وَيُنظَر تعليق الدّكتور إبْرَاهيم خليل حَوْل الكِتَاب السَّابق: خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٧م)، **فِي دَائِرَةِ الضَّوءِ ــ شَخْصِيَّاتٌ وَتَرَاجِمُ أَدَبِيَّةٌ**، (ط١)، عمَّان: أَمَانَة عمَّان الكُبْرى، ص٣١٦ ــ ٣٢١.

[4]) بسيسو، عبد الرَّحْمن، (١٩٩٩م)، **قَصِيدَةُ القِنَاعِ فِي الشِّعْرِ العَرَبِيِّ المُعَاصِــرِ**، (ط١)، بَيْــرُوت: المُؤَسَّــسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر، ص٢٦٩.

[5]) الجبر، **تَحَوُّلاتُ التَّنَاصِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ــ تَرَائِي سُورَة يُوسُف نموذجًا**، ص١٨٩، (الخَاتِمة).

كما ارتبط الحَاكِم العربيُّ، في مِخْيال الشَّاعِر، بالدّكتاتوريَّة؛ فلقد "كتب مَحْمُـود دَرْوِيـش خُطَب الدّكتاتور المَوْزُونة([1])؛ لِيُعَبِّرَ من خلالها عن سُخْريته من الدّكتاتور العربيِّ، ولَكنَّـه لـم يكتبها إلا بعد أن اطّلع على أدَب أمريكا اللاتينيَّة، الذي نُشِرَ في سبعينيَّات هذا القَرْن، وكانـت فكرة الدّكتَاتُور في نُصُوصه بارزةً بُرُوزًا وَاضِحًا ..."([2]).

ولَم تكن وجهة دَرْوِيش مُقتصِرةً على السَّاسَة العَرب بعامَّة، وإنَّما خصَّص للقَـرَادة بابًـا احتفى فيه بمن وافقه فِكْرًا، في حِسِّهِ المُقَاوِم للغَطْرسة الصُّهيونيَّة وَالعالميَّـة؛ فكانـت قَـصِيدة "**الرَّجُل ذو الظِّلِّ الأخْضَر**"، من مَجْمُوعَة "**حَبِيبَتِي تَنْهَضُ مِنْ نَوْمِهَـا**"، التـي صـدرت سـنة (١٩٧٠)، مُؤسَّسةً على تَفاؤُل الشَّاعِر بوُعُود السِّياسيِّ العربيِّ؛ لاستعادة الأمجاد البَائِدة.

وَقد جاءت القَصِيدة؛ لِتُخَلِّدَ ذِكْرى جَمَال عبد النَّاصِر؛ فالشَّاعِر يقول في خَاتِمتها، مع أهمِّيَّة سائر مَقَاطِعها، في إبانة صُورَته السُّلْطويَّة([3]):

ولَست نبيًّا
ولَكنَّ ظلّك أخضر ..
نعيش معك
نسير معك
نجوع معك
وَحين تموت
نحاول ألاَّ نموت معك
ففوق ضريحك ينبت قمحٌ جديد
وَينزل ماء جديد
وَأنت ترانا
نسير
نسير
نسير.

---

[1]) للوُقُوف على نَصِّ القَصِيدَة، يُنظَر: دَرْوِيش، مَحْمُود، (www.adab.com)، المَوْسُـوعَة العَالَميَّـة للـشِّعْر العَرَبيِّ، (قسم فلسطين، مَحْمُـود دَرْوِيـش، خُطَـب الـدّكتَاتُور المَوْزُونَـة)؛ ويُنظَـر: دَرْوِيـش، مَحْمُـود، (www.aleftody.info)، مَوْقِع مجلّة ألف، أُضِيفَتْ بتاريخ ١١/ ٣/ ٢٠٠٩م، (شِعْر مُعَاصِر، خُطَب الدّكتاتُور المَوْزُونَة)؛ ويُنظَر: **مَوْقِع الشَّاعر مَحْمُود دَرْوِيش**، (www.darwesh.4fun4.net)، أُضِيفَتْ بتاريخ الـسَّبْت ١٨/ ٤/ ٢٠٠٩م، (قسم شعر).

[2]) الأسْطَة، **سُؤَالُ الْهُوِيَّةِ ــ فِلسطينيَّةُ الأدَبِ وَالأدِيبِ**، ص٤٩.

[3]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٣٧٧.

وَإذا ما أردنا الوُلُوج إلى صُورَة السِّياسيِّ في ظُهُورها العامِّ، المُرتبِط بالسُّلْطة الصُّهيونيَّة، وفق الكشف الخَافِت؛ تبدَّت لنا قَصِيدة "**الأُغْنِيَة وَالسُّلْطان**"، من مَجْمُوعَة "**آخِر اللَّيْل**"، الصَّادِرة سنة (١٩٦٧)، التي شهدت بداية نَمْذَجَةِ الشَّاعِر لِصُورَة الآخَر اليَهُوديِّ([1])، ولَعنوان المَجْمُوعَة مع تاريخ الإصدار توافقٌ مُؤكَّدٌ، في ظِلِّ نَكْسة حُزَيْرَان (٦٧)([2]).

وَقد شكَّل العنوان رؤيةً إيجابيَّةً للنَّكْسة؛ إذ جعل منها خَاتِمة ليل الاحتلال وَالظُّلْم وَالخُنُوع وَالهَزِيمة؛ تمهيدًا لِحُلُول إصباح النَّصْر وَالتَّحرُّر؛ أَمَّا القَصِيدة فقد جاءت في خِتَام المَجْمُوعَة؛ لتدلَّ على أمرَيْن مهمَّيْن؛ أوَّلهما: ردّ الأثر النَّاجِم عن نُكُوص العَسْكر أمام الصَّهاينة إلى السَّاسَة؛ وَثانيهما: احتشاد المُثقَّف بقدرٍ من الغَضَب المُتَصاعِد في المَجْمُوعَة؛ ليتجلَّى في دُرْوَته نهايةً مُشتمِلةً بالمُوَاجَهة الكَاشِفة حقيقةَ موقف السِّياسيِّ، من أنظار الثَّقافيِّ.

أَمَّا عنوان القَصِيدة؛ فقد قام على مُوَازَنَةٍ بين "**الأُغْنِيَةِ**": سُلْطة الشَّاعِر المُثقَّف، رَسُول الكَلِمَة المُتبصِّرة بِحِكْمة الرُّؤْية الإنسانيَّة، وَ"**السُّلْطانِ**": رأس السُّلْطة السِّياسيَّة، وَصَاحِب الأمر وَالسَّطْوة وَالنَّفَاذ، في باب الفِعْل المُؤثِّر، على ما في التَّرْكيب من تقديم "**الأُغْنِيَةِ**" ذكرًا على "**المُغَنِّي**"، وَمن ثمَّ تقديمها ترتيبًا على "**السُّلْطانِ**".

فاختيار "**الأُغْنِيَةِ**" مقصودٌ في وحي التَّرْميز لنتاج الشَّاعِر المُثقَّف، الذي يتضمَّن مواقفه العلائقيَّة مع السُّلْطة السِّياسيَّة؛ وَهي على ذلك مكمن التَّصالُح أو التَّصادُم أو التَّبعيَّة؛ بوصفها عَامِلاً مُؤَثِّرًا في طبيعة العَلاقَة؛ أَمَّا تقديم "**الأُغْنِيَةِ**" على "**السُّلْطانِ**"؛ ففيه انتصارٌ لِسُلْطة المُثقَّف، على سُلْطة السِّياسيِّ.

وَيكون المُبتَدأ بإنكار الشَّاعِر مُقَاوَمة السُّلْطان وَأعوانه "**لِلأُغْنِيَةِ**"، وَتعذيبها وَحبسها، مبينًا عن وَظَائفها الجَلِيلة، في استبصار مُجرَيات المَرْحلة، قائلاً([3]):

لم تكن أكثر من وصفٍ .. لميلاد المطرْ

وَمناديل من البرق الذي يُشعِل أسرار الشَّجرْ

فلماذا قاوموها ؟

حين قالت إنَّ شيئًا غير هذا الماء

يجري في النَّهَرْ ؟

---

[1]) يُنظَر: خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (١٩٩٩م)، صُورَةُ الآخَرِ فِي ثُلاثِيَّةِ أَحْمَد حَرْب، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٤(٥)، ص١٢.

[2]) عن الدُّرُوس المَرِيرة لِحَرْبِ (١٩٦٧م)، نقرأ: مُرَاد، مُحمَّد عَدْنَان، (صَيْف٢٠٠٧م)، الدُّرُوسُ وَالْعِبَرُ مِنَ الصِّرَاعِ الْعَرَبِيِّ ــ الصُّهْيُونِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠)، ص٨٣ ــ ٨٥، (دُرُوس وذِكْرَيات ٥ حُزَيْرَان ١٩٦٧م المَرِيرَة)؛ ص٨٥ ــ ٨٧، (حَرْب ١٩٦٧م في سِلْسلة الكَوَارِث التَّاريخيَّة التي لحقت بالشَّعْب العَرَبيِّ)؛ ص٩٣ ــ ٩٧، (دور القوى الاستعماريَّة في خلق إسْرَائيلَ وَنتائج حَرْب (٦٧)).

[3]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولَى**، ١: ٢٥٥، ٢٥٦.

وَحصى الوادي تماثيلُ، وَأشياء أُخَرْ

ولماذا عذَّبوها

حين قالت إنَّ في الغابة أسرارًا

وَسكِّينًا على صدر القمرْ

وَدم البلبل مهدورٌ على ذاك الحجرْ ؟

ولماذا حبسوها

حين قالت: وطني حبل عرق

وَعلى قنطرة الميدان إنسان يموت

وَظلام يحترق ؟

إنَّ في المقطع السَّابق تصريحًا بأمرَيْن مهمَّيْن، في طبيعة الوَظِيفة الأدبيَّة الخَلاّقَة؛ يتجلَّى أوَّلهما في توصيف مجريات الوَاقِع؛ بينما ينزع الثَّاني إلى كشف الظَّوَاهِر المُرافِقة للقضيَّة بعمقٍ.

أمَّا بشأن التَّوْصيف؛ فلم تأت القَصِيدة إلا على "**مِيلادِ المَطَر**" وَإشعال البَرْق "**أسْرَارَ الشَّجَر**"، وَهل هذان إلا أمران جليلان في الأدَب، حين يتَّجه بموضوعيَّة العَرْض التَّوْصيفيِّ للقَارئ؛ فيبني عليها قراءةً أخرى، تتَّخذ من سياق الفِعْل بُؤْرة التَّحرُّك، نحو الاعتمال بكُلِّ دَوَاعِي المِيلاد وَالاشتعال، وَهُمَا الكفيلان بخلاص فلسطين وَشعبها من دَنَس الاحتلال.

وَقد اتَّضح الكَشْف التَّنْويريُّ لأسرار المرحلة، من خلال ثلاثة مسالك سُلْطويَّةٍ؛ سعى السَّاسَة بها إلى تهميش أثر القَصِيدة، من خلال "**مُقَاوَمَتِهَا**" وَ"**تَعْذِيبِهَا**" وَ"**حَبْسِهَا**"، وَقد غدت ثلاثتها بُؤَرًا مُهِمَّةً في الأسئلة المُكرِّسة إنكار الثَّقافيِّ سُلُوك الحَاكِم.

وَيغدو الإنكار عامل إبانة المضمون الكَشْفيِّ لِلخِطَاب؛ فقد أبان إنكار مُقَاوَمَة القَصِيدة مضمون الكَشْف النَّقْديِّ، من خلال تتبُّع مجرى النَّهْر، وَفيه شيءٌ يجري ما خلا المَاء، وَ"**حَصَى الوَادِي**" كانت "**تَمَاثِيل، وَأشْيَاء أُخَر**"؛ مِمَّا يعني حُضُور خَلَلٍ ذِي خَطَرٍ، في مجرى القضيَّة برمَّتها.

وَكان إنكار تعذيب القَصِيدة عاملاً مُوَضِّحًا لِنقدها المُتبصِّر، حين "**قَالَتْ إنَّ فِي الْغَابَةِ أسْرَارًا، وَسِكِّينًا عَلَى صَدْرِ الْقَمَر، وَدَم الْبُلْبُلِ مَهْدُورٌ عَلَى ذَاكَ الْحَجَر**"، وَلا يخفى على مُتلقِّي هذه الومضات الشِّعْريَّة؛ ما فيها من إحالاتٍ للشَّكِّ بطبيعة المَسَار وَنتائجه؛ ليتبدَّى الإنكار الثَّالِث بحبس "**الأُغْنِيَةِ**"، وَهي القَائِلة: "**وَطَنِي حَبْلُ عَرَقٍ، وَعَلَى قَنْطَرَةِ المَيْدَانِ إنْسَانٌ يَمُوتُ، وَظَلامٌ**

يَحْتَرِقُ"؛ وَالذي يُؤسِّس المقطع له الرَّقَابَة السِّياسيَّة الصَّارمة؛ على رَسَائِل "**الأغْنِيَةِ**"، حتَّى وَإن نزعت إلى الرَّمْز والتَّعْمِيَةِ، في تَوْصيف ملامح الأثر النَّاجِم عن نُكُوص السِّيَاسَة.

وَينزع الشَّاعِر إلى البِنَاء التَّبادُليِّ، بين أربعة مقاطع؛ كرَّست حِوَاريَّة منطق الثَّقافيِّ الحكِيم، مع غَضَب "**السُّلْطان**" المُقِيم، على استهلالٍ بِالغَضَب المَتْبُوع بالرَّدِّ؛ وَفيه بيان أثر "**الأغْنِيَةِ**" على "**السُّلْطَانِ**"، بما افتضحت من أسرار سِيَاسته، قائلاً في المقطع الأوَّل([1]):

غَضِبَ السُّلْطان

وَالسُّلْطان مخلوق خياليّ

قال: إنَّ العيب في المِرْآة،

فليخلد إلى الصَّمْت مُغنِّيكم، وَعرشي

سوف يمتدّ

من النِّيل إلى نهر الفُرَات !

أسجنوا هذي القصِيدة

غرفة التَّوقيف

خير من نشيد .. وَجريدةْ

لقد أبان المقطع الشِّعْريُّ السَّابق عن غَضْبَةِ "**السُّلْطَانِ**"، الذي بدا "**مَخْلُوقا خَيَالِيًّا**"، وَلِلخَيَال أن يُقْرَأ في ظِلال غرابة التَّوْصيف؛ على أنَّه أثر الأفعال المُلتصِقة به، على نحو غير لاحقٍ بِالمَألوف المُعْتَاد؛ أمَّا وَقد أغضبت "**الأغْنِيَةُ**" "**السُّلْطَانَ**"؛ فإنَّها بلا ــ ريبٍ ــ ستفضح سِرَّهُ المُقِيم في ظِلال المَوْت وَالقَهْر، التي ألحقها بشعبٍ تصدَّره في الحُضُور على الأرض بِسبق الحَضَارة، وَتبدِّي أثَر العِمَارَة، وَ"**لِلسُّلْطَانِ**" أن يَرُدَّ العَيْب إلى المِرآة؛ مِمَّا يُنْبِئُ عن وَظِيفة "**الأغْنِيَةِ**"؛ بوصفها مِرْآةً كَاشِفَةً لِحَقِيقة الاحتلال.

وَليس من سبيلٍ أمام "**السُّلْطَانِ**"، في مُوَاجَهة الثَّقافيِّ، سوى الاحتكام إلى عِقَاب الصَّمْت، وَافتضاح سِرِّهِ بنفسه؛ ذلك الذي يقوم على ابتناء دَوْلة الظَّلام، على ضِفَاف عَوَاصِم الثَّقَافَة وَالنُّور، من "**النِّيلِ إلَى نَهْرِ الفُرَاتِ**"؛ ليتكشَّف القِنَاع الصُّهيونيُّ عن مَطَامِحه الدُّونِيَّة، في إحكام السَّيْطرة على شُعُوب العُرُوبة، وَغَصْب أراضيها وَحضارتها بِالقوَّة.

وَتكون الوَسِيلة النَّاجِعة لإحكام الصَّمْت، في فضاء خِطَاب الثَّقَافَة بـ"**سجنِ القصِيدَة**"، وَما المَسْجُون إلا صاحبها المُستنِير بحِكْمة القَوْل في فضاء الفَنِّ، لغةً مُبْحِرَةً في نِطَاق السِّيَاسَة بِكُلِّ نقدٍ جليلٍ، وَيكون القَمْع سَبِيل انتزاع الحُرِّيَّة؛ فَـ"**غُرْفَةُ التَّوْقِيفِ، خَيْرٌ مِنْ نَشِيدٍ .. وَجَرِيدَةٍ**".

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٢٥٦.

وَيُواجِه المُثقَّف صَلَفَ "**السُّلْطَانِ**" بخبر "**الرِّيح**"، ليقول([1]):

أخبروا السُّلْطان،

أنَّ الرِّيح لا تجرحها ضربة سيفٍ

وَغيوم الصَّيْف لا تسقي

على جدرانه أعشاب صَيْفٍ

وَملايين من الأشجار

تخضرُّ على راحة حرفٍ !

وَيُعمِّق استهلال المقطع الطَّابَع الدّراميَّ في القَصيدة، من خلال قول الشَّاعِر: "**أَخْبِـرُوا السُّلْطَانَ**"، وَفيها دلالة التَّراسُل القَوْليِّ عن بُعْدٍ، في بَوْحٍ يشي وفق نهاية المقطع السَّابِق له، بكينونته خلف قُضْبان السِّجْن؛ لِيُؤَكِّدَ الخِطَاب بمجمله مُوَاجَهة دَرْويش للكَيَان الصُّهيونيِّ، وَلِكُلِّ "**سُلْطَانٍ**" غَاصِبٍ، في ظِلِّ تَعرُّضه للاعتقال أكثر من مَرَّةٍ، في سنوات السِّتِّينات من القَرْن السَّابِق، مع استعارة القالب المكانيِّ؛ للدَّلالة على حالتَيْن مُتماثِلتَيْن؛ يبدو التَّاريخ في الأولَى، عامل ثراءٍ في إسقاط حِكْمة المَوْقف، على التَّجربة الذَّاتيَّة للثَّانية؛ وَفي المضمون المُستلِّ من قديمٍ، المُرَاسَلات التي تمَّت بين حَاكِميَّة مِصْرَ وَيُوسُف عليه السلام؛ لتفسير حلم "**السُّلْطَانِ**"؛ المُنبئ عن مُستَقبل البلاد؛ وَالغاية إحكام الصُّورَة في دائرة التَّمثُّل الوَاعِي للتُّرَاث؛ المبين عن نصر حَقِيقة الرِّسَالة على نَكَال "**السُّلْطَان**".

ثُمَّ تُجسِّد "**الرِّيحُ**" قُوَّة المُقَاوَمة، التي "**لا تَجْرَحُهَا ضَرْبَةُ سَيْفٍ**"؛ في دلالةٍ على اتِّقاد الثَّوْرة بفعل الضَّرَبات لا ضعفها؛ أمَّا صُورَة "**السُّلْطَانِ**" فاعتلقت بِـ"**الصَّيْف**"؛ كنايةً عن جَفَافِها من مُعطَيات الصُّمُود أمام تحدِّي الثُّوَّار، وَلسانهم النَّاطِق بالحِكْمة في شخص المُثقَّف؛ لذا فإنَّ "**غُيُومَ الصَّيْفِ لا تَسْقِي عَلَى جُدْرَانِهِ أَعْشَابَ صَيْفٍ**"؛ لتتجلَّى المُفَارَقة التَّصْويريَّة في إثر ذلك؛ فَـ"**مَلايين مِنَ الأَشْجَارِ تَخْضَرُّ عَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ**"؛ تأكيدًا على دور الكَلِمَة في إنماء قيم الحَيَاة الثَّوْريَّة، على أنقاض الظِّلال السُّلْطانيَّة.

وَيُعاوِد الغَضَب "**السُّلْطَانَ**"؛ ليصَّعد في نبرة الوَعِيد بأمر القَتْل، فيقول الشَّاعِر([2]):

غضب السُّلْطَانُ، وَالسُّلْطَانُ في كُلِّ الصُّوَر

---

[1]) دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، ١: ٢٥٦، ٢٥٧.

[2]) **نفسه**، ١: ٢٥٧.

وَعلى ظهر بطاقات البريد

كالمزامير نَقِيٌّ وَعلى جبهته وشم العبيد،

ثُمَّ نادى .. وَأمر:

أقتلوا هذي القصيدةْ

ساحة الإعدام ديوان الأناشيد العَنِيدة !

وَيُكرِّس دَرْوِيش في المقطع السَّابِق تمجيد "**السُّلْطَانِ**"، من قِبَلِ زبانيته وَأعوانه؛ فَـ"**السُّلْطَانُ فِي كُلِّ الصُّوَرِ وَعَلَى ظَهْرِ بِطَاقَاتِ الْبَرِيدِ**"؛ وَفي ذلك مُؤَشِّرٌ على انصراف الصَّهاينة؛ إلى العناية الكاملة بتزييف سائر الحَقَائِق على الأرض، من خلال ترسيخ الملمح التَّأصيليِّ لتاريخ الحَرَكَة الصُّهيونيَّة، في شُخُوص رجالاتها، الظَّاهِرة صورهم في بِطَاقات البَريد وَفِئَات العملة النَّقديَّة الوَرقيَّة؛ وَهذا نوعٌ من تكريس السِّيَادَة على أرضٍ اختِيرَت لهم وطنًا، وَما كانت كذلك أبدًا.

وَتتبدَّى سِمَة النَّقَاوَة في "**السُّلْطَانِ**"؛ على معهود، ما أشاع اليَهُود، من نقاوة الفِكْر العقيديِّ في "**مَزَامِيرِ دَاود**"، وَهم الذين حرَّفوا كُتُب السَّمَاء، بما فيها "**الزَّبُور**"، كما وظَّفوها في غير ما وُضِعَتْ له من سحرٍ وَغيره؛ مِمَّا يعني سخرية الشَّاعِر من ادِّعاء "**السُّلْطَانِ**" نقاوةً؛ اشتمل واقعها على سِمَات المَكْر وَالدَّهَاء وَالخُبْث.

وَتطال السُّخْرية "**السُّلْطَانَ**" في نطاق العُبُوديَّة؛ فأن يكون "**عَلَى وَجْهِهِ وَشْمُ الْعَبِيدِ**"، فهذا يُمثِّل السُّخْرية من تمثُّله الدِّينيِّ لزَيْف المُعتَقد به، مع تأكُّد التَّغْيير الذي طال الكِتَاب الدِّينيَّ المُقدَّس، إلا أن نُقرَأ في وجهٍ آخر، مُعَضِّدٍ لما سبق؛ وَفيه "**عُبُودِيَّةُ**" الانتماء للفِكْر الصُّهيونيِّ، وَإن كان على بَاطِلٍ.

وَقبل هذَيْن الوجهَيْن، لا بُدَّ من استحضار الوجه التَّقْليديِّ للقِرَاءة؛ القَائِل بردِّ عُبُوديَّته إلى قديم التَّاريخ؛ حيث السَّبْي البابليُّ لليَهُود، الذي شكَّل مع عقدة "الهُولُوكُوست" دافع إثبات حَقِّ الوُجُود اليَهُوديِّ بِكُلِّ وسيلةٍ؛ استعادت معها الصُّهيونيَّة صُوَر الأَسْر وَالقَتْل بمثيلاتها في نطاق الشَّعْب الفلسطينيِّ، وَيمكن أن نُشيرَ هنا إلى ما تُوحِي به الصُّورَة من التَّناصِّ مع قَصِيدة "**وَشْم العَبِيد**"، من مَجْمُوعَة "**عَاشِق مِن فِلَسْطِينَ**"([1])، لا سيَّما في مقطعها الثَّانِي.

وَتكتمل فُصُول العِقَاب السِّياسيِّ، من لدن الآخَر الصُّهيونيِّ، على نحوٍ مُشتمِلٍ بأسلوبيَّة السَّرْد الحِكَائيِّ؛ وَفيه النِّدَاء المتلوُّ بالأمر النَّافِذ: "**أقْتلوا هَذي القَصِيدَة، سَاحَة الإعْدَام دِيوَان الأَنَاشِيد العَنِيدَة !**"؛ وهذا بيانٌ لحَقِيقة السُّلْطة الصُّهيونيَّة؛ في تَعامُلها مع مُعَارِضيها؛ إذ المَوْت

[1]) يُنظر: دَرْوِيش، **الأَعْمَالُ الأولَى**، ١: ١١٨، ١١٩.

سبيل الحِفَاظ على أمن الدَّوْلة المزعومة، من المنضوين تحت راية الثَّورة، في الإطارَيْن السِّياسيِّ العَسْكريِّ وَالثَّقافيِّ.

أمَّا وَقد أضحت الكَلِمَة سلاحًا مزلزلاً لأركان الكَيَان الغَاصِب؛ فقد تكاثرت ساحات الإعدام داخل الوطن وَخارجه؛ وَأضحى المُثقَّف على رأس قائمة الاغتيال؛ في دَوْلةٍ قامت على فِكْر الإرهاب وَنهج العِصَابَات !!([1]).

لقد مثَّلت القَصِيدة السَّابقة الأيديولوجيَّة الصُّهيونيَّة، القَائِمة على "إذابة التَّعدُّد وَالتَّنوُّع في وحدةٍ مُنسجمةٍ؛ حيث يصبح الشَّعْب كلُّه امتدادًا للزَّعِيم، أو تكرارًا له إلى ما لا نهايةٍ. الحَاكِم الدّكتاتوريُّ يُقدِّم مثالاً تطبيقيًّا بَالِغ الدِّقَّة؛ فهو في المُمَارَسة العمليَّة مع سياسةٍ واضحةٍ في إلغاء كُلِّ تَنَوُّع"([2]).

وَلم يترك المُثقَّف لغَضْبة السِّياسيِّ أن تسترسل، في عُلُوٍّ كَاشِفٍ لِهزيمة الرُّوح وَالفِكْر، فقال في رَسَائِل الْكَلِمِ([3]):

أخبروا السُّلْطان،
أنَّ البرق لا يُحْبَسُ في عُودِ ذُرَهْ
للأغاني منطق الشَّمْس، وَتاريخ الجداول
وَلها طبع الزَّلازل
وَالأغاني كجذور الشَّجرهْ
فإذا ماتت بأرضٍ،
أزهرت في كُلِّ أرضْ

هكذا تبدَّى النَّفَس الثَّوْريُّ؛ رَدًّا على سَطْوة القَتْل وَالتَّغْييب؛ لتحضر بُرُوق الوَمِيض الأوَّل لِـ"**مِيلادِ الْمَطَر**"، شاهدًا على ما "**لِلأغَانِي مِنْ مَنْطِقِ الشَّمْس**"، في النُّور وَالبَهَاء؛ فحقائقها كَاشِفةٌ لزَيْف المُحتَلِّ وَبُهْتَانه؛ وَهي الكَفِيلة بإشعال بَارُود الثَّوْرة؛ كيما تحترق الأرض تحت أقدام الغُزَاة.

---

[1]) شكَّل الكَيَان الصُّهيونيُّ عدَّة أذرعٍ لِمُلاحَقَة السِّياسيِّين وَالمُثقَّفين الفلسطينيِّين وَالعَرَب، وَمن أكثرها جُرْأةً على اختراق الأمْن العربيِّ بخاصَّة وَالعالميِّ بعامَّة، المُوسَاد، يُشاهَد: اليزل، سَامِح سَيْف، (ضَابط سَابق في المُخَابَرَات المِصْريَّة)؛ وَ أبو داود، مُحمَّد عودة، (أحد مُخطِّطي وَمُنفِّذي عمليَّة مُيونيخ)؛ وَ أبو فَخْر، صَقْر، (كَاتِب وَمُتخصِّص في الشُّؤُون الفلسطينيَّة)، **المُوسَادُ قَلْعَةُ التَّجَسُّس الإسْرَائِيلِيَّةُ**، بَرْنَامج "الملفّ"، تَقْديم: سَامِي كليب، قَنَاة الجَزِيرة، قَطَر، الجُمْعَة ٢٠١٠/٤/٩م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

[2]) هَلسَا، **الْهَارِبُونَ مِنَ الْحُرِّيَّةِ**، ص١٨٨.

[3]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٢٥٧.

ثُمَّ إنَّ للأغَانِي "**طَبْعَ الْجَدَاوِلِ**"، في رقَّة انسيابــها، وَقيمة إحيائــها، ولَها ــ فــضلاً عــن ذلكما ــ "**طَبْعُ الزَّلازِلِ**"، في قُوَّة التَّدْمير، وَهي "**كَجُذُورِ الشَّجَرَةِ، فَإِذَا مَاتَتْ بِأرْضٍ، أزْهَرَتْ فِي كُلِّ أرْضٍ**"؛ وَفي ذلك دلالة على قمَّة التَّحدِّي الثَّقافيِّ للسِّياسيِّ، بنور الثَّوْرة المُستحِيلة نيران قُوَّةٍ وَمُقَاوَمَةٍ وَغَضَبٍ.

وَيُكرِّس الشَّاعِر ما انتهي إليه، من إنارة سُبُل الثَّوْرة، بالكَلِمَة المُعبِّرة، من خــلال مُعَانَقَــة "**الأغْنِيَةِ**" زُرْقَة البَحْر، الرَّامِز للأمُومة الأرضيَّة؛ لتستحيل بطمس "**السُّلْطَانِ**" جمرةً، ثُمَّ تــضحي في مُحَاوَلَة حبسها "**ثَوْرَةً**"؛ وَتتكشَّف اللَّوْحة في المُنتَهى؛ عن أثر القَمْع السُّلْطانيِّ؛ في الخِطَــاب الثَّقافيِّ؛ بترسيخ الصُّمُود المُجلَّل بهُبُوب العَاصِفة، وفي ذلك يختم الشَّاعِر قــصيدته بــالمقطعَيْن الآتِيَيْن([1]):

كانت الأغنية الزَّرْقاء فكرةْ
حاول السُّلْطان أن يطمسها
فغدت ميلاد جمرةْ !
كانت الأغنية الحَمْراء جمرةْ
حاول السُّلْطان أن يحبسها
فإذا بالنَّار ثورةْ !

*

كان صوت الدَّم مغموسًا بلون العَاصِفةْ
وَحصى الميدان أفواه جروح راعفةْ
وَأنا أضحك مفتونًا بميلاد الرِّياح
عندما قاومني السُّلْطَانُ
أمسكت بمفتاح الصَّبَاح
وَتلمَّست طريقي بقناديل الجراحْ
آه كم كنت مُصِيبًا
عندما كرَّست قلبي
لنداء العاصفةْ
فلتهبَّ العاصفةْ !
وَلتهبَّ العاصفةْ !

---

[1]) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٢٥٧، ٢٥٨.

وَمِمَّا يتَّصل بالقَصِيدة السَّابِقة، في مُعَالَجة صُورَة الآخَر السِّيَاسيَّة، في الانتماء الصُّهيونيِّ، من خلال إيراد الهدف الكُلِّيِّ، للطُّمُوح اليَهُودي، بحِكَاية دَرْوِيش على نسج خيالهم: "**وَالنِّيلُ يَسْكُبُ فِي الْفُرَاتِ**"(١)، من قَصِيدة "**صَوْت وَسَوْط**"(٢)، في مَجْمُوعَة "**عَاشِق مِن فِلَسْطِينَ**".

وَيكون الخِطَاب أكثر التصاقًا بعموميَّة المُعَالَجة الشِّعْريَّة للاحتلال، من خلال حُضُور الآخرين، المُعتلقِين بالسِّيَاسَة، على وجه التَّرْميز دون التَّصْريح، في وَاقِع استلاب أُنوثة الأمِّ / الأرْض، في "**نَشِيدٍ مَا**"، اشتملت عليه مَجْمُوعَة "**أوْرَاق الزَّيْتُون**"، شكَّل مُنتَهاه تحدِّيًا لِحُضُور الآخرين، من خلال قُبْلَةِ الاتِّحَاد، وَفي ذلكم يقول دَرْوِيش(٣):

عَسَلٌ شفاهكِ, وَاليدانْ
كأسا خمور ..
للآخرين ..

الدَّوح مروحةٌ, وَحرشُ السّنديانْ
مشط صغير
للآخرين ..
وَحرير صدرك, وَالنَّدى، وَالأقحوانْ
فرش وثير
للآخرين ..

وَأنا على أسوارك السَّوْداء سَاهِدْ
عَطَشُ الرِّمالِ أنَا .. وَأعصابُ المواقدْ !
من يُوصِدُ الأبوابَ دوني ؟
أيّ طاغية وَمَاردْ !!
سأحبُّ شهدكِ ..
رغم أنَّ الشَّهْدَ يُسكَب في كؤوس الآخرين
يا نحلةً
ما قبَّلَتْ إلاّ شفاه الياسمينْ !

---

[1]) يُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ١٠٠.
[2]) يُنظَر: **نفسه**، ١: ٩٨ ــ ١٠٠.
[3]) **نفسه**، ١: ١٨.

وَقد حملت القَصِيدة الطَّابَع التَّصْويريَّ؛ إذ إنَّ "أُولَى المُلاحَظَات التي يمكن تسجيلها؛ هي أنَّ هذه القَصِيدة تتكوَّن من سبعة عشر سطرًا شعريًّا، تتضمَّن ثلاث عشرة صورةً شعريَّةً؛ أي بنسبةٍ مئويَّةٍ قدرها ٧٦,٥%، وَهي نسبة تزيد قليلاً عن ثلاث صورٍ شعريَّةٍ، لِكُلِّ أربعة سُطُورٍ شعريَّةٍ"(١).

وَنلمح في شعر دَرْوِيش تصوير القُوَّة العسكريَّة؛ بوصفها دعامةً أساسيَّةً للسُّلْطة السِّياسيَّة، من خلال خِطَاب التَّحدِّي المُوجَّه "**إلَى الْقاتِلِ**"، في "**حَالَة حِصَار**"، بقوله(٢):

[إلى قاتِلٍ:] لو تَأمَّلْتَ وجه الضَّحيَّة
وَفَكَّرْتَ، كُنْتَ تَذَكَّرْتَ أمَّكَ في غُرْفَةِ
الْغَاز، كُنْتَ تَحَرَّرْتَ من حِكْمَةِ الْبُنْدُقِيَّةْ
وَغَيَّرْتَ رَأيَكَ: ما هكذا تُسْتَعَادُ الْهُوِيَّة !

وَلَمَّا عانى الشَّاعِر من حالة السُّكُون، التي تجسَّدت في الموقف المُتوسِّط "بَيْن بَيْن"، في واقعٍ مُشتمِلٍ بالانشطار الضَّمِيريِّ، انطلق في قَصِيدة "**فِي الْبَيْتِ أجْلِسُ**"، من مَجْمُوعَة "**كَزَهْرِ اللَّوْزِ أوْ أبْعَد**"، وَاصِفًا وحدته، وَهو المُغترب في وطنٍ مُقَيَّدٍ بِشتَّى أنواع الحِصَار، وَمُستدعِيًا للصُّورَة الشِّعْريَّة الآخَر السِّياسيَّ "**الإمبراطور**"؛ في مُؤَشِّرٍ يمكن قراءته وفق النَّهْج الرَّمْزيِّ؛ في سيِّد السِّيَاسَة العالميَّة؛ وَلعلَّها سُلْطة "**الْبَيْتِ الأبْيَض**"؛ المُتربِّعة على عَرْش السِّيَادَة الكونيَّة، فقال(٣):

الأمبراطورُ السَّعِيدُ يداعبُ اليومَ الكلابَ،
وَيشرب الشَّمبانيا في ملتقى نَهْدَين من
عاج ... وَيَسْبَحُ في الزَّبَدْ

الأمبراطور الوَحِيدُ اليوم في قيلولةٍ،
مثلي وَمثلك، لا يُفَكِّرُ بالقيامة ... فهيَ
مُلْكُ يَمِينِهِ، هِيَ وَالحقيقةُ وَالأبدْ !

وَلا يفوتنا هنا أن نُشيرَ إلى "**خُطْبَةِ "الْهِنْدِيِّ الأحْمَر" ــ مَا قَبْلَ الأخِيرَةِ ــ أمَامَ الرَّجُل الأبْيَض**"، الكَائِنة في مَجْمُوعَة "**أحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا**"، التي صدرت سنة (١٩٩٢)م، قبل عامٍ واحدٍ

---

(1) النَّجَّار، **التَّرْكِيبُ اللُّغَويُّ لِلصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش**، ص١٠٨.
(2) دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٩٧؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ١٩٨، (إلى قاتلٍ آخر).
(3) **نفسه**، ٢: ٢٠٣، ٢٠٤.

من توقيع اتِّفاقيَّة (أوسلُو)، وَالتي ضمَّنها الشَّاعِر العَقِيدة الاستعماريَّة الأمريكيَّة، فــي اســتلاب حُقُوق الهُنُود الحُمْر؛ للدَّلالة على استلاب المُحتَلّ الصُّهيونيِّ؛ حُقُوق الشَّعْب الفلــسطينيِّ، فــي الأرْض وَالمُقدَّسات، بأسلوبٍ لا يخلو من أثر القِنَاع([1]).

كما وظَّف دَرْويش تقنية القِنَاع في الآخَر؛ لغاية إبانه الوَجْه القَبيح للسِّيَاسَة الأمريكيَّــة([2])، في صُورَةٍ تُمثِّل الرُّؤْية الجَمْعيَّة للآخَر السِّياسيِّ؛ مُجسَّدة في استلاب الشُّعُوب حُرِّيَّتها وَأمنهــا، وَحينها يكون الإمبراطور الرُّومانيُّ (نيرون) (ت٦٨م)، حَاضِرًا في قلــب القَــصِيدة وَقَوَالِــب تصويرها([3])، من خلال: "**حَرِيق لُبْنَان**" وَ"**حَرِيق الْعِرَاق**" وَ"**حَرِيق فِلَسْطِين**" وَ"**حَرِيــق الْعَــالَم**"، وَالسَّيِّد الأمريكيُّ / (**نيرون**) نَاظِرٌ مُرتقِبٌ هلاك العالمين، في غطرسةٍ، لم يهشد التَّاريخ الحَدِيث لها مثيلاً.

وَهنا يتجلَّى مكمن القِنَاع في شخص الآخَر؛ باستعادة القَدِيم؛ الذي يتمثَّل في صُورَة (**نيرون**) المُتجبِّر، الذي أثخن مُقرَّبيهِ وَمُعَارضِيهِ قتلاً بسبيل الاغتيال؛ للــتَّخلُّص مــن شــبح المُنَافَــسة السِّياسيَّة، ثُمَّ حرق (**رُومَا**)؛ لغاية بنائها من جديدٍ؛ مِمَّا أهلك الحَرْث وَالنَّسْل.

وَيكون مُنتَهى المُوَاجَهات الدَّمويَّة بينه وَبين مُعَارضِيهِ بالانتحار؛ وَفي ذلكم نبوءَة دَرْويــش بانتحار النِّظَام السِّياسيِّ الأمريكيِّ، على مذابح ديمقراطيَّته المُقنَّعة بالدّكتاتوريَّة، وَالمُتجلِّية أخيرًا في الحُرُوب الصَّليبيَّة، كما نطق سهوًا خِطَاب سيِّدها !!! ؛ الذي تغنَّى بنشر السَّلام / المَــوْت، على حساب قُوت البُسَطاء، وَفوق جُثَث الأبرياء.

وَيمكننا أن نتَّجه لإيراد المقطعَيْن الأخيرَيْن، المُتَّصلَيْن بـــ"**حَرِيق فِلَسْطِين**" وَ"**حَرِيق الْعَالَم**"؛ لتدعيم الأنظار السَّابِقة، على ما في القَصِيدة كلِّها، من أهمِّيَّة قُصْوى، يقول الشَّاعِر([4]):

وَماذا يـــدور في بال نيـــرون، وَهو يتفرَّج على
حريق فلسطين ؟ يُبهجه أن يُدرج اسمه في قائمة
الأنبياء نبيًّا لم يؤمن به أحد من قبل ... نبيًّا
للقتل كلَّفه الله بتصحيح الأخطاء التي لا حصر

---

[1]) يُنظر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولى**، ٣: ٢٩٣ ــ ٣٠٩.

[2]) يُنظَر في هذا الشَّأن: أبُو زَكَرِيَّا، يَحْيَى، (سبتمْبر٢٠٠٣م)، **الغَارَةُ الأمْريكيَّةُ الكُبْرَى عَلَى العَــالَمِ الإسْــلامِيِّ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net)، ص١٠، ١١، (٣ ــ أمريكــا سَتُدَمِّرُ النِّظَام الدَّوْلِيَّ وَالسَّلام العالميَّ)؛ ص١٢، ١٣، (٤ ــ أمريكا وَمَنطق استعباد الشُّعُوب).

[3]) يُمثِّل استدعاء مَحْمُود دَرْويش لشخصيَّة (نيرون)، وَمَدِينة (رُومَا)؛ تناصًّا استرجاعيًّا مع قَصَائِد مختلفةٍ، يمكن تتبُّعها بدءًا ببَوَاكِير نِتَاجه الشِّعْريِّ، في قَصِيدة "عَنْ إنْسَانٍ"؛ لتكوين صُورَةٍ مُتَكَامِلَةٍ عن التَّوْظيف الفَنِّــيِّ عبــر تقنيتي القِنَاع وَالرَّمْز؛ لإبانه مَلامِح الآخَر المُستَبدِّ / الصُّهيونيِّ الأمريكيِّ، يُنظَر: دَرْويش، **الأعْمَالُ الأولــى**، ١: ٢١، (قَصِيدة "عَنْ إنْسَانٍ"، من مَجْمُوعَة "أوْرَاق الزَّيْتُون"، الصَّادِر عام ١٩٦٤م).

[4]) دَرْويش، **الأعْمَالُ الجَدِيدَةُ الكَامِلَةُ**، ٢: ٥٥٤.

لها في الكُتبِ السَّماوية: أنَا أيضًا كليمُ الله !

وَماذا يدور في بال نيرون وَهو يتفرَّج على
حريق العالم ؟ "أنَا صاحب القيامة". ثُمَّ يطلب
من الكامـــيرا وقف التَّصْوير؛ لأنَّه لا يريـــد
لأحد أن يري النَّـــار المشتعلة في أصابعـــه،
عند نهايــــة هذا الفيلم الأميركي الطَّويـــل !

وَلَم تكن الإطالة مُبتَغانا في رحاب هذا العنوان، غير أنَّ تكاثر النَّمَاذِج المنضوية في إطاره؛ كفيلةٌ باستجلابنا أدلَّها على صُورَة الملامح الرَّئيسيَّة للآخَر السِّياسيِّ، وَإن بدا في نتاج مَحْمُـــود دَرْوِيش من شعر السَّاسَة، ما نعوز فيه مزيد تفصيلٍ وَبيانٍ([1])، إلا أنَّنا ماضون إلى اختزال مـــا وقعنا عليه من نماذج سَابِقةٍ، تبصُّرًا وَتحليلاً؛ وَفيها تبدِّي السَّاسَة بسائر أُطُرهم الإقليميَّة، بـــدءًا

[1]) لِمَزيدٍ من الاطِّلاع، يُنظَر النَّمَاذِج الآتية: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الأولَى**، ١: ٦٥ ــ ٦٨، ("الْحُزْنُ وَالْغَضَبُ"، مـــن مَجْمُوعة "أَوْرَاق الزَّيْتُون"، السِّياسيُّ الرَّفِيـــق في الحِـــزْب الشُّيُـــوعِيِّ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٨٠ ــ ٨٤، ("بِطَاقَةُ هُوِيَّةٍ"، من مَجْمُوعة "أَوْرَاق الزَّيْتُون"، السُّلْطة السِّياسيَّة العَسْكريَّة الـــصُّهيونيَّة)؛ وَيُنظَـــر: **نفـــسه**، ١: ٢٧٤ ــ ٢٧٨، ("آهِ ... عبد الله"، من مَجْمُوعة "العَصَافِير تَمُوتُ فِي الْجَلِيلِ"، الآخَر السِّياسيُّ الـــوَالِي وَأداتـــه التَّنْفيذيَّـــة الشُّرطيّ الجَلاّد)؛ وَيُنظر: **نفسه**، ١: ٢٨٥ ــ ٢٩١، (" ريتَّا ... أحِبِّينِي"، من مَجْمُوعة "العَصَافِير تَمُـــوتُ فِـــي الْجَلِيلِ"، الخَلِيفَة وَالشُّرطيُّ، فضلاً عن حُضُور البَرْلَمَان)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ١٢٦ ــ ١٣٥، ("الْخُـــرُوجُ مِـــنْ سَاحِلِ الْمُتَوَسِّطِ"، من مَجْمُوعة "مُحَاوَلَة رقم ٧"، السِّياسيُّون العَرَب في صُورَة الخِلافَة، وَهم الوَاقِعُون في دَائِـــرَة نقد الشَّاعِر)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٣٣٩، (من "مَدِيح الظِّلّ العَالِي [قَصِيدَة تسجيليَّة]، القِيَادَة السِّياسيَّة الفلـــسطينيَّة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٣: ٢٤٩، (من "الهُدْهُد"، في مَجْمُوعة "أرَى مَا أُرِيدُ"، القِيَادَة الـــسِّياسيَّة الفلـــسطينيَّة)؛ وَيُنظَـــر: **نفسه**، ٣: ٢٩٣ ــ ٣٠٩، ("خُطْبَةُ الْهِنْدِيِّ الأحْمَرِ ــ مَا قَبْلَ الأخِيرَةِ ــ أَمَامَ الرَّجُلِ الأبْيَضِ"، من مَجْمُوعة "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"، السِّياسيُّ الصُّهيونيُّ بِالقِنَاع الأمريكيِّ)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، ١: ١٥٦، (من نَصٍّ "كَحَادِثَةٍ غَامِضَةٍ"، في مَجْمُوعة "لا تَعْتَذِرْ عَمَّا فَعَلْتَ"، الآخَر السِّياسيُّ الغَازِي)؛ وَيُنظَر: **نفـــسه**، ١: ١٨٢، (من "حَالَةِ حِصَارٍ"، القَائِد الفلسطينيُّ المُشْرِف على الشَّهَادَة)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ١: ٣٢٠ ــ ٣٢٣، ("حِبْرُ الْغُرَابِ"، من مَجْمُوعة " لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، الآخَر السِّياسيُّ القَاتِل في صُورَة قَابِيل)؛ وَيُنظَر: **نفـــسه**، ١: ٣٢٤ ــ ٣٢٧، ("سنونو التَّتَار"، من مَجْمُوعة "لِمَاذَا تَرَكْتَ الْحِصَانَ وَحِيدًا"، التَّتَار الغُزَاة/ الصَّهاينة)؛ وَيُنظَر: **نفـــسه**، ٢: ٥٥١، ٥٥٢، ("الْعَدُوُّ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، الآخَر الصُّهيونيُّ القَاتِل، في اجتيـــاح لُبْنَـــان (١٩٨٢م)، بِأساليب تكنولوجيَّةٍ حديثةٍ)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٠٧، ٦٠٨، ("الْجِدَارُ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَـــة"، الـــسِّياسيُّ العَسْكريُّ الصُّهيونيُّ الخَائِف مِمَّا يُدبِّره الفلسطينيُّون خلف الجِدَار)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٠٩، ٦١٠، ("شَـــرِيعَةُ الْخَوْفِ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، السِّياسيُّ الصُّهيونيُّ السَّاعِي إلى تحقيق أمنه، على قَاعِـــدَة: "الخَـــوْف، لا العَدْل، هو أَسَاس المُلْك")؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦١٥، ٦١٦، ("بُنْدُقِيَّةٌ وكَفَنٌ"، مـــن مَجْمُوعـــة "أَثَـــر الفَرَاشَـــة"، السِّياسيُّون الفلسطينيُّون المُتصارِعون على السِّيَادَة في الـــدَّاخِل)؛ وَيُنظَـــر: **نفـــسه**، ٢: ٦١٩، ٦٢٠، ("وَقْـــتٌ مَغْشُوشٌ"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، السِّياسيُّ الفلسطينيُّ تحت وطأة زَمَن التَّفَـــاوُض المَغْـــشُوش الـــصَّعْب)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ٢: ٦٢٧، ٦٢٨، (قَصِيدَة "عن اللاشيء"، من مَجْمُوعَة "أثَر الفراشة"، الطَّاغِية وَالعَبْد)؛ وَيُنظَـــر: **نفسه**، ٢: ٧٥١، ("هِجَاء"، من مَجْمُوعة "أَثَر الفَرَاشَة"، السُّلْطَان وَالسُّلْطَانَة)؛ وَيُنظَر: دَرْوِيش، **لا أُرِيـــدُ لِهَـــذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، ص٥٢، ٥٣، (من "لاعِب النَّرْد"، صُورَة القَائِدَيْن الجَالِسَيْن، في الخَيْمَتَيْن الحريريَّتَيْن، فـــي خضمِّ اصطراع الجَيْشَيْن)؛ وَيُنظَر: **نفسه**، ص١٣٦، ١٣٧، (من "تِلال مُقدَّســـة"، عَلاقَـــة الـــسِّياسيِّ بِالـــشِّعْر وَالشُّعَرَاء).

بِالسِّيَاسيِّ الفلسطينيِّ، وَمُرُورا بِالعربيِّ، وَانتهاءً إلى الصُّهيونيِّ؛ وَخُلُوصًا من هذا كلّه إلى سيِّد السِّيَاسَة في المَحَافِل الدَّوْليَّة.

أمَّا السِّياسيُّ الفلسطينيُّ؛ فكان وفق رؤية الثَّقافيِّ؛ خَاضِعًا لنهجي التَّبعيَّة تارةً، وَالتَّمرُّد تارةً أخرى، مع التفات الشَّاعِر إلى مواقف السَّاسَة في كُلِّ فصلٍ من فُصُول القضيَّة، وَتوجيهه جُلَّ الاهتمام إلى المَحَطَّات الفَاصِلة منها؛ من مُؤْتَمر (مَدْرِيد)، وَاتِّفاقيَّة (أُوسْلو)، وَحِصَار انتفاضة الأقصى، وَالانقسام الدَّاخِلِيِّ، مُحتفِيًا بِالفَرَادَة دون تصريحٍ؛ كما كان في شأن وجهي حقيقته المنظومة في "**مَلِكِ التِّيهِ**"، وَصَادِحًا بِالفَرَادَة المُتَّسقة معه في الرُّؤْيَة الفِكْرِيَّة السِّياسيَّة، من مثل: سُلَيْمَان النّجاب، المُنتمِي إلى سلك اللَّجْنة التَّنْفيذيَّة لِمُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة، مُمَثِّلاً لِحِزْب الشَّعْب الفلسطينيِّ، ذِي الفِكْر الشُّيُوعِيِّ.

وَقد حضرت السُّلطات العربيَّة، لا سيَّما في المَحَطَّات التي تبعت النَّكسات القَاصِمة في مسيرة الثَّوْرة، من النَّكْبة وَالنَّكْسة وَحِصَار "بَيْرُوت"، وَالجَلاء إلى تُونس، وَبَوَاكِير خَطِيئة السَّلام.

وَتبدَّى السِّيَاق السِّياسيُّ العربيُّ، في صُورَة السَّلْب، في الغَالِب الأعمِّ، في ظِلِّ إحساس الشَّاعِر باغتراب التَّوحُّد؛ لتخلّي بني العُرُوبة عنه في المواقف الحَاسِمة، إلا أنَّ الصُّورَة لم تخل من فَرَادَة التَّفاؤُل، لاسيَّما حين نطق الشَّاعِر في ذِكْرى جَمَال عبد النَّاصِر بتفاؤُل "**الأَخْضَر**".

وَيمكن أن يُستَجلى الحُضُور السِّياسيُّ الصُّهيونيُّ؛ بوصفه "الدَّاء العياء في حياة الأمَّة العَرَبيَّة، الباحث أبدًا عن كُلِّ سببٍ يُؤدِّي إلى السَّيْطَرة على أرضها وَتشويه هُوِيَّتها وَفكرها القَوْمِيِّ"([1])، وفق عموميَّة الصُّورَة، مع الكَشْف الخَافِت لِطَبيعة الانتماء السِّياسيِّ، وَحُلُول نقيضه في المُبَاشَرة المُستَجلاة من مضامين الخِطَاب، التي تُؤكِّد ـــ حينئذٍ ـــ مُؤَشِّرَاتِ التَّحدِّي، في التَّصادُم المباشر، وَتُقدِّم المُثقَّف في هذا السِّيَاق، ضمن نموذجي: المُثقَّف الثَّائِر وَالمُثقَّف الشَّهيد.

وَأبان الخِطَاب الشِّعْرِيُّ، عن صُورَة السِّياسيِّ الغربيِّ، سيِّد أَمْلاكِ الكَوْن ! مع اقترانه بِسُخْرِية المُثقَّف تارةً، وَالكَشْف المُعمَّق لِديمقراطيَّته السَّوْداء، وفق منظومة الشَّرْق الأوْسط الجَدِيدة تارةً أخرى، وَقد استلَّ الشَّاعِر لها في باب التَّناصِّ التَّاريخيِّ المُقنَّع، سَطْوَةَ (نيرون)، وَحرقه (رُومَا) عن بكرة أبيها؛ لِحُلُمٍ راوده بتغييرها؛ لتتقاطع في المُنتَهى صُورَة استلابه حُقُوق الهُنُود الحُمْر الشَّرعيَّة، مع استلاب الصَّهاينة مُقدَّسات الأرْض وَالهُوِيَّة.

---

[1]) جُمْعَة، د. حُسيْن، (خَرِيف٢٠٠٨م)، الفِكْرُ القَوْمِيُّ وَالآخَرُ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٢)، ص١١.

وَكان الظُّهُور السِّياسيُّ، في جميع التَّبدِّيات السَّابِقة، مقرونًا بِظواهر سلبيَّةٍ؛ تُجسِّد السِّجْن وَالتَّعْذيب وَالقَتْل وَالمُصَادَرة وَالحَرْق، فضلاً عن اغتصاب الحُقُوق الإنسانيَّة، التي زعمت المُنظَّمات الدَّوْليَّة مُخَالَفتها مبادئ العَيْش الكَريم.

وَشكَّلت النَّمَاذِج الشِّعْريَّة على نحوٍ أشمل؛ صُورَة العدوِّ في نتاج مَحْمُود دَرْوِيش، الذي تبدَّى في البَدْء "وَحشيًّا وَسَارِقًا للأرْض"([1])، لكنَّ صُورَته ما لبثت أن أخذت "أحجامًا مختلفة؛ بانبعاث وُحُوشٍ أخرى"([2])، ([3])، في مرحلة الشَّتَات؛ ليُلحَظ في مسار الشَّاعِر خَطُّ الانحدار؛ من دعوة الصُّمُود، إلى التَّراجُع، ثُمَّ إلى الخَيْبة من الوَاقِع، وُصُولا إلى حُلُم العَوْدة([4]).

وَقد اتَّجهت "هذه الصُّورَة إلى نوعٍ من اليَأس بعد اتِّفاقيَّات السَّلام، التي ظهر فيها العدوُّ مُنتصِرًا، وَقد ثبَّت أركان استقرارٍ له في البلاد؛ هذا الاستقرار الذي يعتبره دَرْوِيش مرحلة سيعيشونها، حتَّى يعود أبناء الأمَّة من قُبُور هزيمتهم؛ لِمُحَاسَبة عدوِّهم"([5])، ([6]).

وَلنا أن نُشِيرَ في الخِتَام، إلى التقاء الإطارَيْن السِّياسيَّيْن القَدِيم وَالحَدِيث، لاسيَّما في المجال الاستعاريِّ للقوالب التُّراثيَّة؛ لغاية إسقاطها على الحالات المُعَاصِرة، مع ما تُجسِّده هذه الظَّاهِرة من بُرُوز تقنيات: التَّناصِّ، وَالقِنَاع، وَإشباع الخِطَاب بِالتَّرْميز التَّصْويريِّ، وَالتُّرَاث الأسطوريِّ.

---

[1]) أَبُو غَيْث، أَسْمَاء غَيْث، (١٩٩٩م)، **صُورَةُ الْعَدُوِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأُرْدنيَّة، عمَّان، الأُرْدن، ص١٤٤، (الخَاتِمَة).

[2]) **نفسه**، ص١٤٤، (الخَاتِمَة).

[3]) يمكن مُقَارَنة صُورَة اليَهُود في أَدَبِ دَرْوِيش، مع صُورَتهم عند غيره من الأُدَبَاء الفلسطينيِّين، الذين عرض الدُّكتور عَادِل الأسْطَة لنتاجهم، على نحوٍ مستفيضٍ، يُنظَر: الأَسْطَة، د. عَادِل، (آب١٩٩٢م)، **الْيَهُودُ فِي الأَدَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ بَيْنَ ١٩١٣ ــ ١٩٨٧م**، (ط١)، فلسطين: اتِّحَاد الكُتَّاب الفلسطينيِّين، ص١٤ ــ ٥٤، (صُورَة اليَهُود بين ١٩١٣ ــ ١٩٤٨م)؛ ص٥٥ ــ ٩٠، (صُورَة اليَهُود في الأَدَب بين عامي ١٩٤٨ ــ ١٩٦٧م)؛ ص٩١ ــ ١٦٠، (صُورَة اليَهُود في الأَدَب الفلسطينيِّ بين عامي ١٩٦٧ ــ ١٩٨٧م).

[4]) يُنظَر: أَبُو غَيْث، **صُورَةُ الْعَدُوِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش**، ص١٤٤، (الخَاتِمَة).

[5]) **نفسه**، ص١٤٤، (الخَاتِمَة).

[6]) يمكن التَّوقُّف عند صُورَة الآخَر العربيِّ وَالعدوِّ، في نثر مَحْمُود دَرْوِيش، يُنظَر: شَاكِر، **مَحْمُود دَرْوِيش نَاثِرًا**، ص٨١ ــ ١٠٩، (صُورَة العَرَبِيِّ)؛ ص١٠٩ ــ ١٣١، (صُورَة الآخَر)، (الفَصْل الثَّالِث: صُورَة العَرَبِيِّ وَالآخَر)؛ كما يمكن الاطِّلاع على نَتَائِج الرِّسَالَة: ص٢٤٤ ــ ٢٤٦، (الخَاتِمَة).

الْمَبْحَثُ الثَّالِثُ: صُوَرُ الآخَرِ السُّلْطَوِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

ـ صُورَةُ الآخَرِ الدِّينِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

تجلَّت صُورَة السُّلْطة الدِّينيَّة للآخَر عند المُتنبِّي، من خلال سُلْطتي: الفِرْقة المذهبيَّة وَالعَقِيدة الدِّينيَّة؛ أَمَّا الأولَى فاعتلقت بالمُتصوِّفة وَالعلويِّين وَالفَاطِميِّين، الذين بدوا في مجال تمجيد الشَّاعِر بالمَدْح؛ فبعض ممدوحيه مِمَّن انتموا إلى هذه المَذَاهِب وَالفِرَق؛ وَأَمَّا الثَّانِية فتبدَّت من خلال الارتقاء بعقائد المُؤمِنين المُوحِّدين، وَالإسفاف بعقائد الدَّهْرِيِّين وَالمانوية وَالمُعطِّلة، مع التماسه مُوَزَانَة سُمُوِّ المِثَال بِدُونِهِ، في شُخُوص القُضَاة وَالسَّاسَة، لكنَّ الصُّورَة السُّلْطويَّة الكُلِّيَّة، في الإطار الدِّينيِّ للآخَر، خَافِتة الحُضُور، مُقَارنَةً بالسُّلطات الأُخْرى.

وَنلحظ تَماثُلاً في مُعَالَجة مَحْمُود دَرْوِيش لِسُلْطة الآخَر الدِّينيَّة، مع المُتنبِّي، من وجه إظهار الدُّون الدِّينيِّ في الآخَر، مع خلافٍ تبدَّى في إلحاق هذا الدُّون بالنِّطَاق السِّياسيِّ، لِسُلْطة المُحتَلِّ الصُّهيونيِّ، وَيكون للاستدعاء الوَاعِي دلالته على خِطَاب السِّيَاسَة الصُّهيونيَّة، المُحتشِد بالمَضْمون العَقِيديِّ اليَهُودي المُختَلق، في فوقيَّة شَعْب الله المُختَار، على سائر "الأمميِّين"، وَهنا يكون الاستلال المَقْصود للرَّمْز الدِّينيِّ المُعبِّر عن الشَّرِّ؛ لتكريس غوغائيَّة الاحتلال وَمكره؛ في صُورَة "**الشَّيْطَان**"، ثُمَّ يلتمس الشَّاعِر في رمزيَّة "**الْهُدْهُدِ**" حِكْمة "**سُلَيْمَان**" ـ عليه السلام ـ في الوَاقِع المُعَاصِر.

وَكان مَحْمُود دَرْوِيش قد فاق المُتنبِّي، في حُضُور الآخَر الدِّينيِّ الأُسْطوريِّ؛ لتتجلَّى الأُمُومة الكونيَّة، بمسمَّياتها، وَرُمُوزها، وَأساطيرها، في إطارٍ رمزيٍّ شَامِلٍ، كرَّس حالة العِشْق الأبديَّة، بين الشَّاعِر الفلسطينيِّ وَأرض الأُمُومة، بِكُلِّ ما اختلجها من اتِّحادٍ أو اغترابٍ؛ وَهذا التَّفوُّق مُبَرَّرٌ وفق اطِّلاع دَرْوِيش على الميثولوجيا، وَتوظيف أنماطها العُلْيا في شعره، مع عدم انتفاء حُضُور بعض الملامح الأسطوريَّة وَالمُعْتَقَدات التُّراثيَّة، في شعر المُتنبِّي.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الاجْتِمَاعِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

نجد صُورَةَ الآخَر، في مقام السُّلْطة الاجتماعيَّة، قابلةً لإضـاءَات المُتنبِّـي الكَاشِـفة، ثُـمَّ للاستبصار المُعمَّق في الأَخْلاق وَالمسلكيَّات؛ وُصُولاً إلى نقد التَّنْوير وَالإصْلاح، كما عَـرَضَ للسُّلْطة الاجتماعيَّة القَبَلِيَّةِ، من وجهي: الوَلاء وَالتَّمرُّد، في علاقة القَبيلة بالسُّلْطة السِّياسيَّة، مـع تقديمه السِّيَاسَة؛ بوصفها قُوَّة إخضاع الفِرَق الدِّينيَّة، وَالقَوْميَّات العِرْقيَّة، المُتشكِّلة في إطار سُلْطة القَبيلة، من مثل إخضاع سَيْف الدَّوْلة لبني كِلابٍ، وَسَيْطرة عَضُد الدَّوْلة على الكُرْد.

وكَان للمُوَازَنَات الاجتماعيَّة نصيبٌ حسنٌ في نِتَاج المُتنبِّي؛ إذ وَازَن العَرَب بغيرهم، على إعزازه الجِنْس العربيَّ، كما وَزَانَ ممدوحًا بآخر، من ناحية التَّفوُّق في المَسْلك الاجتماعيِّ.

وَتظهر السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة؛ بوصفها توليفةً من سُلطاتٍ عديدةٍ، بلغت تمامها فـي السِّتِّ، عند ابن العَميد، وَافتقرت إلى السُّلْطة الثَّقافيَّة فحسب، عند المرثيِّ مُحمَّـد بـن إسْـحَاق التَّنُوخِيِّ، وكَانت في أدنى المَرَاتِب ثلاث سُلطاتٍ، مع اعتلاق السُّلْطة الاقتصاديَّة بذَوِي السُّلْطتَيْن الاجتماعيَّة وَالسِّياسيَّة على الدَّوَام؛ ذلك أنَّها مكمن تنبيه المُتنبِّي ممدوحه إلـى فعـل الإكْـرام، وَوليجته للصَّدَارة على حُسَّاده اللِّئَام.

وكَانت سُلْطة الآخَر الاجتماعيَّة عند مَحْمُود دَرْوِيش، موطن التئام الذَّات المُتَّحِدة مع الْهَـمِّ الْجَمْعِيِّ، في تمثُّل المَطَامِح الفلسطينيَّة العُلْيا، بتحقيق التَّحرُّر من نير الاحتلال، وَالحَيَاة الكَرِيمة في رِحَاب الوَطَن؛ وَقد انعكس ذلك على قراءته للوَاقِع السِّياسيِّ، المُتَّـصل فـي فعلـه بـالأثر الاجتماعيِّ، في مراحل القضيَّة المفصليَّة، ممثَّلة في: تَهْجِير النَّكْبة، وَهِجْرَة النَّكْسة، وَالمَجَـازِر المُرتَكَبة في "صَبْرا" وَ"شَاتِيلا"، وَحِصَار "بَيْرُوت"، وَرحلة النَّفْي بين البِحَار وَالأَمْصَار؛ وُصُولاً إلى القَمْع الشَّامِل؛ الذي طال المُجتَمع الفلسطينيَّ وَسُبُل حياته، عقـب الـسَّلام المزعـوم فـي (أوسلُو).

كما ظهرت السُّلْطة الاجتماعيَّة الاشتماليَّة، على نحوٍ أقلّ من ظُهُورها في نتاج المُتنبِّي، من مثل اجتماع سُلطات: المَعْرفة وَالثَّقَافَة وَالسِّيَاسَة، في شخص نِزَار قَبَّانِي.

ــ **صُورَةُ الآخَرِ الاقْتِصَادِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:**

حرص المُتنبِّي من خلال ظُهُور السُّلْطة الاقتصاديَّة، في شـخص ممدوحـه الـسِّياسيِّ أو الدِّينيِّ، على استقطابه إلى دَائِرَة تأثيره، من خلال استرضائه وَاستمالته، تمهيدًا للاستعانة به، ثُمَّ دعوته للتَّحالُف الْكُلِّيِّ معه.

وَقد عزَّز ذلك كلَّه بِمُوَازَنَاتٍ مُتكاثِرةٍ، بين ممدوحيه وَغيرهم؛ تحقيقًا لِسِمَةِ مُبَالَغـة الكَـرَم فيهم؛ بغية الحُصُول على نَوَالِهم وَعَطَايَاهم، التي تبدَّت على خلاف مُرَادِهِ في بعض الأحيان، من خلال المَدْح المُستَتبع بِشَحِيحِ العَطَاء، كما هو الشَّأن في القَـصِيدة "**الدِّينَارِيَّـةِ**"، وَللطَّـائيِّين أن يظهروا في هذا السِّيَاق؛ لاحتفاء الشَّاعِرِ بِتمثُّل المِخْيال العربيِّ، حول الكَرَم الْمُرْتَدِّ إلـى قبيلـة طَيِّء.

وَيُلْحَظُ سَيْطرة السُّلْطة الاقتصاديَّة في الآخَر، على فِكْر المُتنبِّي؛ إذ رأى فيها أساسًا راسخًا للحُكْم الآمِنِ المُوطَّد، كما اعتقد بأحقِّيَّته تملُّك ما استجمعه المُلُوك في خَزَائِنهم؛ لغاية بُلُوغ المَجْد السِّياسيِّ.

وَاتَّفق مَحْمُود دَرْوِيش مع المُتنبِّي، في صِلَةِ الاقتصاد بِسُلْطة السِّيَاسَة، مـع خـلافٍ فـي الوجهة؛ إذ لم يكن الاقتصاد هاجسه إلا لغاية قراءة الوَضْع السِّياسيِّ بِحِكْمَةٍ وَتبصُّرٍ؛ وَقد صدر من خلال إلمامه المعرفيِّ بعلم "الاقتصاد السِّياسيِّ"، عن كشف الهَنْدَسَة الاقتصاديَّة لِـ"بَيْـرُوت" الجَدِيدة عَقِبَ الحِصَار، من خلال ترسيخ خَرِيطة "الشَّرْق الأَوْسط الجَدِيد"، وَإرسـاء اسـتعمار "النِّظَام العالميِّ الجَدِيد"، من قبل الغَرْب وَمواليه، كما اتَّفق مع المُتنبِّي في قُدْرة الاقتصاد علـى تعضيد السِّيَاسَة وَتقوية أركانها، من خلال التَّبصُّر في وَاقِع السُّلْطة الوَلِيدة المُستَضعفة؛ لانتهاب الصَّهاينة كُلَّ مُقوِّمات الصُّمُود وَالسُّمُوِّ، وَأحدها قُوَّة الاقتصاد.

ــ صُورَةُ الآخَرِ الْمَعْرِفِيَّةُ الْفِكْرِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

رسَّخ المُتنبِّي حُضُور السُّلْطة المعرفيَّة، في شُخُوص الكُتَّاب المُبرِّزين، من مثل: ابن العَمِيد وَالرّوذبَارِيِّ، كما انتهج النَّهْج نفسه، مع أعلام الفلسفة اليونانيَّة، من خلال التَّناصِّ المضمونيِّ مع حِكَمِهِمْ؛ وَالغاية التي أرداها المُتنبِّي من ذلك كلِّه؛ تشكيل ملامح الصُّورَة المُشتمِلة بدواعي المِثَال؛ إما لغاية اتِّخاذ القُدْوة في شخص الممدوح السِّياسيِّ المَعْرفيِّ، وَقد اتَّصل النِّطَاقان على نحوٍ وثيقٍ في العَصْر العَبَّاسيِّ، أو لاسترضاء الممدوح وَاستمالته؛ بغية الحُصُول على مَزِيد عطائه.

كما حضرت السُّلْطة المعرفيَّة الفِكْريَّة، في شُخُوص بعض ممدوحيه، من جهة كونها جزءًا من سُلطاتٍ عديدةٍ؛ لغايةٍ لم تبتعد كثيرًا عمَّا أوردناه آنفًا، وَيُلْحَظُ على ــ نحوٍ لافتٍ ــ أنَّ حُضُور الشُّعَرَاء الآخرين، كان في إطار المُوَازَنَات المُنتصِرة للذَّات عليهم، مع توظيف العِقَاب الرَّادِع لهم، في مضامين الخِطَاب، من خلال اتِّهامهم بالحَسَد وَالوشَايَة وَالخِدَاع وَالكَذِب وَالانْتِحَال؛ ليخلص من هذا كلِّه إلى حَالَةٍ من "التَّشَاعُر"، التي لا تُدَانِيهِ في اللُّغة وَالمَضْمون وَالصُّورَة وَالبِنَاء، ثُمَّ جَوْدة السَّبْك بين هاتيك جميعًا.

وَقد بدا مَحْمُود دَرْوِيش مُتوسِّعًا عن المُتنبِّي في هذا الشَّأن، مع مُقَارَبته الموضوعيَّة في المُعَالَجة؛ فقد حَظِيَ المعرفيُّون باهتمامه، على سائر مُيُولهم التَّخصُّصية، مع إفراده الأدَب بعامَّة، وَالشُّعَرَاء بخاصَّة، بالحُضُور الأكْبر، وَقد اتَّصل حُضُورهم بالتَّعْبير عن الذَّات حينًا، وَبترسيخ التَّماثُل حينًا آخر، لا سيَّما في المراحل التي اتَّسمت بالتَّأزُّم؛ إذ شهدت فرار الشَّاعِر إليهم؛ لغاية استنطاق تجاربهم المعرفيَّة؛ بغية الخَلاص من وَاقِعٍ أليمٍ، وَمُوَاجَهة الفِعْل السِّياسيِّ الصُّهيونيِّ، بِمُمَارَسة حَكِيمة للمَعْرفة، وَهم في هذا السِّيَاق من الأُطُر الفلسطينيَّة وَالعربيَّة وَالعالميَّة.

وَشهد نِتَاج دَرْوِيش بيانًا للرَّقَابَة الاجتماعيَّة وَالسِّياسيَّة، على الأدِيب الشَّاعِر، كما أوعز إلى قُرَّائِهِ، ببعض مَدَاخِل العُبُور النَّصِّيِّ، بعد عَهْد السَّلام.

وَلَم يكن الآخَر المعرفيُّ الصُّهيونيُّ خِلْوًا من دَوَاعِي الحُضُور؛ إذ أبان الشَّاعِر صُورَة عَالِمِ الآثَار اليَهُوديِّ، السَّاعِي إلى تزييف حَقَائِق الأرْض، وفق رُؤْيته الفِكْريَّة، وَمُعتَقده الدِّينيِّ.

ـ صُورَةُ الآخَرِ الثَّقافِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

شهدت السُّلْطة الثَّقافيَّة للآخَر عند المُتنبِّي، انحسارًا إلى حَدِّ التَّلاشِي، خلا أنَّ ابن العَمِيد يكاد يندرج في هذا السِّيَاق، ضمن أسلوب المُبَاشَرة، مع عدم اكتمال سُـلْطته الثَّقافيَّـة، إلا بِمُقَابَلَـة القَصَائِد المنظومة فيه بعضها ببعضٍ.

أمَّا أن يكون المُثقَّفون حَاضِرين، في الظِّلال الخفيَّة للشِّعْر؛ فهذا في نطاق المُؤكَّد، لا سيَّما أنَّ المُتنبِّي شُغِلَ بحُسَّادِهِ في مجالس ممدوحيه، وَفيهم المُثقَّفون، لكنَّ الصُّورَة الإجماليَّـة، تُؤكِّـد خَفَاءَ التَّبدِّي الظَّاهِرِ لهذه السُّلْطة، في الآخَر المَثِيل أو النِّدِّ؛ وَهو ما يُفَسِّرُ في ضـوء انتـصار الشَّاعِر للأنا الثَّقافيَّة بأسمى تجلِّياتها.

وَعلى النَّقِيض من ذلك تمامًا، حَضَرَ الآخَر الثَّقافيُّ بِسائر تجلِّياته، عند مَحْمُود دَرْوِيش؛ من خلال الأسْلوب الضِّمْنِيِّ، بالانطلاق من الذَّات نحو الآخَر، على شاكلة لقاء دَرْوِيش مع المُتنبِّـي في ظِلال الشِّعْر، بِتقنية "القِنَاع"، ثُمَّ حضر الآخَر المُثقَّف من خلال التَّصْريح الاسميِّ، على سُبُل: الإهْدَاء وَالرِّثَاء وَالتَّأبين وَالحِوَار النَّصِّيِّ؛ ليكشف دَرْوِيش بِنسيج اللُّغة وَتصوير البَلاغَة؛ عـن مواقفهم وَرُؤَاهم؛ من قضايا الإنْسان وَالكَوْن.

وَكان لداعي هذا الاستجلاب الوَاعِي، لِصُورَة الآخَر الثَّقافيَّة، معايير عديدةٌ؛ أوَّلها الـسُّمُوُّ الثَّقافيُّ؛ لتتجلَّى فيه الأُطُر الثَّقافيَّة المُتَّصلة بِالقَرَابَة الوطنيَّـة، وَالمُـشَاكَلة العِرْقيَّـة، وَالتَّمَاثُـل الموقفيِّ، وَالتَّوَزاي الحَياتيِّ، وَاللِّقَاء الحِزْبيِّ في الإطَار الشُّيُوعِيِّ؛ وَتمثَّل المعيـار الثَّـانِي فـي الجُغْرافيا، التي شملها الشَّاعِر بِشُخُوص المُثقَّفين، في الأُطُر: الفلسطينيَّة وَالعربيَّـة وَالعالميَّـة؛ وَلمعيار الجِنْس أن يكون ثالثًا؛ فعلى الحَفاوَة المُبرَّرة لِحُضُور المُثقَّف الرَّجُـل؛ لارتباطـه مـع الشَّاعِر في سياقات العَمَل الحِزْبيِّ وَالنِّضَاليِّ، فقد تحالف الشَّاعِر مع "فَدْوَى طُوقَان"، بوصـفها إحدى دَعَائِم المَسِيرة النِّضَاليَّة لِشُعَرَاء المُقَاوَمَة.

وَالشَّيء الذي يلزم التَّنبُّه له؛ تحديد التَّجْنيس الأدبيِّ، المُنضوي تحت الإطَار الثَّقافيِّ؛ ليشمل المُثقَّفين المُبدِعين، في مَجَالات: الشِّعْر وَالمَسْرح وَالقِصَّة وَالرِّوَاية، إضافةً إلى عِلْم المُوسِـيقَى، في تجلِّياته الجَمَاليَّة وَالثَّقافيَّة.

ــ صُورَةُ الآخَرِ السِّيَاسِيَّةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش:

امتثل المُتنبِّي لأهمِّيَّة السِّيَاسَة في فِكْره؛ فالتفت إلى السَّاسَة على نحوٍ واسعٍ، حتَّى لكأنَّ دِيوَانه تأريخٌ لحقبةٍ من العلاقات السِّياسيَّة، برُؤْيته الذَّاتيَّة؛ إذ إنَّه عرضٌ لعلاقات التَّصالُح وَالتَّصادُم؛ بين السُّلطات السِّياسيَّة الكَائِنة في عصره، من خلال نظرته إلى السِّيَاقَيْن الدَّاخِلِيِّ وَالخَارجيِّ، وَهو على ذلك قد أعلى مُلُوكًا إلى عَنَانِ السَّمَاء، وَأنزل آخرين إلى الدُّون.

وَلم تخل هذه المواقف الثَّقافيَّة من طَابَع الرُّؤْية الذَّاتيَّة، المُتشكِّلة وفق عوامل النُّصْرة وَالإكْرَام، باستثناء العَلاقَة الفَرِيدة التي جمعته بِسَيْف الدَّوْلة الحَمْدانيِّ؛ فعلى ما جرى بينهما من مُعَاتَبَاتٍ؛ فإنَّه يُلْمَحُ تبعيَّة الشَّاعِرِ الكُلِّيَّة له، من جهتي المحبَّة القلبيَّة، وَالإعجاب الفَائِق بفُرُوسيَّته القِتَاليَّة ضِدَّ الرُّوم.

وَقد شكَّل نِتَاج المُتنبِّي الشِّعْريُّ، خريطةً للسُّلطات السِّياسيَّة المُنتشِرة في عصره؛ فرسم ملامح السُّلطات العربيَّة، التَّابِعَة سِيَادَة الحَمْدانيِّين وَالعَبَّاسيِّين وَالفَاطِميِّين، إضافة إلى سُلْطة بني الإخشيد، وهم من الأتْرَاك المُسْتَعْرِبين، كما نهج السَّبيل نفسه، في إعطاء السُّلطات الرَّابضة على تُخُوم الجُغْرافيا العربيَّة أبرز سِمَاتها، كسُلْطة الأتْرَاك وَالفُرْس وَالرُّوم، وَقد غدت الأخِيرة موطن نقد الشَّاعِر اللاذِع؛ ضمن ما يندرج في الْحِسِّ القَوْميِّ الثَّائِر عند المُتنبِّي.

وَظهرت المُفَارَقَة في صُورَة سُلْطتي: كَافُورٍ وَبني بويه، على نحو الصُّعُود حينًا، وَالهُبُوط في أحايين أخرى. وَكشف الشَّاعِر عن ظاهرتَيْن حقيقتَيْن بالدَّرْس، ممثَّلتَيْن في فَرَادَة الحَاكِمِيَّة، وَمُوَازنَتها مع النِّدِّ تارةً، وَمع العالمين تارةً أخرى؛ لترسيخ مِثَاليَّة صُورَة ممدوحه السِّياسيِّ.

وَاتَّفق مَحْمُود دَرْوِيش مع المُتنبِّي في أهمِّيَّة السِّيَاسَة، مع تأثيرها على مواقفه الثَّقافيَّة، من ناحية علاقاته التَّصالُحيَّة أو التَّصادُميَّة مع القِيَادة، إلا في بعض الأحايين، وَكما رسم المُتنبِّي خَريطة التَّكتُّلات السِّياسيَّة في حينه؛ فقد شمل دَرْوِيش في خِطَابه الشِّعْريِّ الأطُر السِّياسيَّة الفلسطينيَّة وَالعربيَّة وَالصُّهيونيَّة وَالعالميَّة، مع توصيفه نطاق العلاقات الجَارية بينها جميعًا، على سبيلي: التَّبعيَّة وَالتَّمرُّد.

ثُمَّ كانت عنايته الفَائِقة بِالوُقُوف المُفصَّل، على المَحَطَّات الحَاسِمة في تاريخ القضيَّة الفلسطينيَّة: النَّكْبة، وَالنَّكْسة، وَحِصَار "بَيْرُوت"، وَالجَلاء إلى تُونس، وَمُؤْتَمر (مَدْرِيد)، وَاتِّفاقيَّة (أُوسلُو)، وَحِصَار رام الله، وَالانقسام الدَّاخِلِيِّ، مُستجلِيًا إيَّاها بِالكَشْف وَالنَّقْد؛ ليخلص إلى دعوة التَّغْيير تارةً، وَيتراجع إلى السُّكُون تارةً أخرى.

وَقد كان السِّياسيُّ الفلسطينيُّ حَاضِرًا، بدءًا برأس هَرَم السُّلْطة، الذي غدا في خِطَابه الشِّعْرِيِّ "**مَلِكَ التِّيه**"؛ لاتِّخاذه سبيل السَّلام الموهوم، كما حضر السِّياسيُّ الحِزْبيُّ الشُّيُوعِيُّ، من مثل: سُلَيْمَان النَّجاب وَإميل حَبِيبي، فضلاً عن مُجَامَلته في واقع الانقسام سُلْطة "رَام الله"، وَنقده اللاذِع سُلْطة "غزَّة"، مُتَرَاجِعًا عن ذلك لاحقًا، بنقد كلتَيْهما، وَدعوتهما إلى الاتِّحاد.

أمَّا السُّلْطة السِّياسيَّة العربيَّة؛ فإنَّها تحضر في سِيَاق النَّكسات القَاصِمة، في إطارٍ سلبيٍّ يُكرِّس الاغْتِرَاب؛ لتخلِّي العُرُوبة عن نُصْرة الفلسطينيِّين، خلا وُعُود الخِطَابَات، مع فَرَادَة التَّفاؤُل بـ"**الأَخْضَر**"، في الشِّعْر النَّاطِق بذِكْرى جَمَال عبد النَّاصِر.

وَشكَّلت السُّلْطة الصُّهيونيَّة، مَكْمَنَ علاقته التَّصادُميَّة؛ بِسبيلي: الضِّمْنيَّة وَالمباشرة، مع تشكُّل ملامحه في ظلالهما، بوصفه مُثقَّفًا حُرًّا ثائِرًا شَهيدًا، وَكانت السُّلْطة العالميَّة للسَّيِّد الكَوْنيِّ حَاضِرَةً، من خلال استعارة القَوَالِب التَّاريخيَّة لِـ(نيرون) وَحرقه (رُومَا)، وَاستلاب الرَّجُل الأَبْيض حُقُوق الهِنْديِّ الأحْمر، في موطنه الأصليِّ؛ للدَّلالة على الرِّعاية الغربيَّة للمَصَالِح الصُّهيونيَّة، مع بيانه فعل هاتَيْن السُّلْطتَيْن، في فِلَسْطِينَ وَالعِرَاق، الذي اشتمل على التَّعْذيب وَالقَتْل وَالمُصَادَرة وَغَصْب الحُقُوق وَالأَرْض.

وَللتِّقنيات الفنِّيَّة أن تُوَظَّفَ بإرادةٍ قصديَّةٍ من الشَّاعِر؛ بغية تقديم خُلاصَاته السِّياسيَّة برُؤْيَةٍ حياديَّةٍ؛ فكانت تقنيات التَّناصُّ وَالقِنَاع وَالتَّرْميز، التي أطَّرها الشَّاعِر بتشكيلٍ أسطوريٍّ شَامِلٍ.

الْخَاتِمَـــــةُ

إنَّ وقفةً مستجليةً لِــ"**جَدَلِيَّةُ الْعَلاقَةِ بَيْنَ الْمُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ ــ الْمُتَنَبِّي وَمَحْمُــود دَرْوِيــش نموذجاً**"؛ لتصل بنا إلى خلاصة النَّتائج، التي مثَّلت المُوزَانات المُقتَضبة المعقودة فــي فــصلي الدِّراسة قسطًا منها؛ أمَّا مجال عنايتنا في هذا المقام؛ فيتمثَّل في الأثر المُتمخِّض عــن النَّمُــوذَج الشِّعريِّ في القديم وَالحديث، في شأن عناوين البحث التي توقَّفنا عندها سابقًا.

فقد وظَّف الشَّاعِر المُثقَّف السُّلطات المنضوية تحت التَّقسيم الاجتماعيِّ؛ وقوامها سِتٌّ، كما استقام لنا التَّقْديم لها في الإطار التَّمهيديِّ؛ لغاية تكريس سُــلْطة الأنـــا، فـــي نطاقـــات: الــدِّين وَالاجتماع وَالاقتصاد وَالمعرفة الفكريَّة وَالثَّقافة وَالسِّياسة؛ وَالغاية التي لم تزل مُتَّقدةً في ذهـــن الشَّاعِر إحكام المُؤثِّرات في نفوس مُتلقِّيه، بموسوعيَّةٍ شموليَّةٍ، تصبُّ في ترجيح كفَّـــة قدرتـــه الثَّقافيَّة، على ولوج المعارف قاطبةً، وَالاستلال الواعي منها، بالقدر الذي يفي بحاجة الاستبصار النَّاقِد، ومن ثمَّ التَّنوير الإصلاحيِّ، لمكامن الخلل في السِّياق الاجتماعيِّ، المُلتئِم مـــع المواقـــف الثَّقافيَّة، تجاه القضايا المصيريَّة.

لكن السَّبيل لم يكن مُلتئمًا بالمِثَال على الدَّوام؛ إذ رأينا توظيـــف الـــشَّاعِر المُثقَّـــف لهـــذه السُّلطات؛ لغاية تحقيق المآرب الذَّاتيَّة، وهي التي التَمَسَ لها ضربًا من التَّوجُّه الجَمْعيِّ، برفـــع الظُّلْم السِّياسيِّ، عن الطَّبقات الاجتماعيَّة كافَّةً، وفي هذا السِّياق رأينا المُتنبِّي مُحتفيًا بالحُـــضُور المُجلِّل بِعُلُوِّ الأنا، في مختلف جهاتها السُّلطويَّة، مع إحراز درويش السَّبْق فـــي الالتئـــام بـــالهمِّ الجَمْعيِّ.

ثُمَّ كانت تجلِّيات السُّلطات السِّتِّ باديةً، في تصوير الشَّاعر المُثقَّف حضورها في الآخـــر؛ لتكون هذه السُّلطات الاجتماعيَّة واقعةً في ميزان الحُكْم الثَّقافيِّ، الذي لم يزل مُتردِّد الطُّمُوح بين ملذَّات الذَّات، ومطامح الجَمَاعات، ومع أنَّ المُتنبِّي كان أكثر قُرْبًا من النِّطاق الأوَّل، إلاّ أنَّ ذلك لا يعني انسلاخه عن السِّياق المُجتَمعيِّ؛ بوصفه على نحو ما قرأنا في ظلال شـــعره، مُخلِّـــص الإنسانيَّة من شرور السَّاسَةِ، وَفساد المُجتَمع، وَهو وإن لم يُصرِّح بذلك البُعْد الوظيفيِّ؛ فقد أرساه من خلال رؤيته الذَّاتيَّة، التي قد تُقْرَأُ في الظَّاهِر على أنَّها نرجسيَّةٌ مُستدعِيةٌ كُلَّ سمات الأنانيَّة.

وَالوجه الذي ظهر به الآخر في نهج درويش؛ يقضي بضدِّ ظاهر المُتنبِّي، ومثيل باطنـــه؛ فالقضيَّة الأسمى هي "الْهُوِيَّةُ"، وصاحبتها الأمومة، وأرضها "فلسطين"، وسماؤها آثــار هاتيــك الصُّور السُّلْطويَّة، التي قد تسمو حينًا، وقد تسقط حينًا آخر.

وَلا يخفى على مُتتبِّع قصائد الشَّاعرَيْن نهج الحَفَاوة بذوي السُّلْطة الـسِّياسيَّة علـــى وجــه الخُصُوص، مع تبدِّي السُّلطات الأخرى في شعرهما على نحوٍ مُتفاوتٍ، يكاد يخبــو إلـــى حــدِّ التَّلاشي عند المُتنبِّي، في شأن السُّلْطة الثَّقافيَّة، وَهو الذي يُفَسَّرُ في ضـــوء فوقيَّتـــه المعرفيَّـــة الثَّقافيَّة، لكنَّ درويش بدا مُقَلِّبًا في السِّياقات السُّلْطويَّة جميعها، عن ذاته المُدَّغِمَـــة بـــالمجموع؛ انتصارًا منه للفِكْرة الوطنيَّة.

وحين نُطِلُّ على "استرَاتِيجِيَّاتِ السُّلْطَةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ"؛ فإنَّنا سنقع على تجلِّيات التَّعقُّل وَالاسترضاءِ وَالاستمالة وَالاستعانة وَالتَّحالُف وَالتَّجْميد العقابيِّ؛ تلك التي تمثِّلها الشَّاعِر المُثقَّف حينًا، في سياق علاقته مع سُلْطَةٍ أخرى، أو كانت مُحتَكم هاتيك السُّلْطة في التَّعامُـــل معـــه، أو ساقها الشَّاعِر على سبيل التَّوْصيف الإجرائيِّ لها بين سُلْطَتَيْن أخريَيْن.

وقد لمسنا اعتلاق بعضها بالأغراض الشِّعْريَّة، من قبيل صلة التَّعقُّل بالتَّعْزيـــة وَالرِّثـــاء، وَاقتران الاسترضاء بمضمون الغرضَيْن السَّابقَيْن، فضلاً عن المدائح، وَتوظيف الاسترضاء في مقام التَّسْرية وَالاعتذار، وَتأكيد العِقَاب السُّخْرية وَالهجَاء، إلى آخر ما وقفنا عليه في حينه.

وَقد تضمَّنت المدائح نسيجًا مُحكَمًا من الاستراتيجيَّات المُتتالية، على نحو ما شـــهدنا عنـــد المُتنبِّي؛ من تتابع استراتيجيَّات: الاسترضاء أو الاستمالة أو كلتيهما، مع الاستعانة وَالتَّحـــالُف؛ لتُشكِّل الاستعانة بُؤرة الاستراتيجيَّات جميعها، ويكون التَّحالُف مُنتَهى غاياتها؛ أمَّـــا فـــي شـــأن محمود درويش؛ فإن كُنَّا قد شهدنا عنده بعض صلةٍ للغرضيَّة الشِّعْريَّة بالاستراتيجيَّة؛ فإنَّنا لم نقع على صورة تلك المُتتابعات الاستراتيجيَّة على نحوٍ جليٍّ، لكنَّنا شهدنا انسياح هذه الاستراتيجيَّات، في عِقْدِ المطالب الجَمْعيَّة للشَّعْب الفلسطينيِّ.

وإن كان المُتنبِّي قد اتَّسم بتوظيفه جميع الاستراتيجيَّات، مع حفاوته بالتَّحـــالُف وَالتَّجْميـــد العقابيِّ، فإنَّ محمود درويش قد تبعه في النَّهْج نفسه، والذي يمكن أن نستجليه هنا، في احتكـــام

الشَّاعِر إلى القرائن اللُّغويَّة، وَالطَّرائِق الأسلوبيَّة، في بيان هاتيك الاستراتيجيَّات، التي أُريدَ لها التَّأثير في المُتلقِّين جميعًا، وفق سياقي: المَوْقف الثَّقافيِّ، وَالغَرَض الشِّعْريِّ.

وَإذا ما تعلَّق الأمر بـ"أَنْمَاطِ الْعَلائِقِ السُّلْطَوِيَّةِ فِي الْخِطَابِ الأَدَبِيِّ"، فإنَّ لنا أن نكون على تبدِّيات العلاقات التَّبعيَّة بقطبَيْها: التَّأثريِّ وَالْكُلِّيِّ، وَالتَّصالُحيَّة بشقَّيْها: المُؤقَّت وَالدَّائِم، وَالتَّصادُميَّة بنوعَيْها: الضِّمْنِيِّ وَالمباشر (التَّمرُّد)؛ وَالحقُّ الذي أبدته النُّصُوص الشِّعْريَّة أنَّ الشَّاعرَيْن عُنِيَا بتوظيف هذه الأنماط جميعها، تجاه السُّلطات الاجتماعيَّة المُختلِفة، كما عرضا لصورة تجلِّي هذه الأنماط بحقِّهما، ثُمَّ هُمَا على مزيد عنايةٍ بتوصيف حيثيَّاتها بين السُّلطات الأخرى.

وقد اتَّفق الشَّاعِران على توظيف التَّبعيَّة بشقَّيْها: التَّأثُريِّ وَالْكُلِّيِّ ، وَالتَّصادُم بسبيلَيْه: الضِّمْنِيِّ وَالمباشر، في الغالب الأعمِّ، وَإن اتَّصل نطاق التَّبعيَّة الكُلِّيَّة عند درويش بالفِكْر لا بالشُّخُوص، على نحو ما أكَّدت النُّصُوص، في تبعيَّته لنهجي: المُقاوَمة وَالأُمُومَة.

والحقيقة التي لا مناص من ذكرها؛ أهمِّيَّة هذه الأنماط في بيان أقطاب العلاقات السُّلْطويَّة، مع مُمايَزة المُؤثِّر من المُتأثِّر؛ وصولاً إلى فهمٍ أعمق لمكامن التَّأثير التي تتملَّكها السُّلْطة الأقوى، من سِمَاتِ: القُوَّة، وَالقَهْر وَالشِّدَّة، وَاليد الطُّولى، وَالنَّفَاذ، وَالاستحكام، وَالسَّطْوة وَالهَيْمنة، وَالحُجَّة وَالبُرْهان.

وكان حقيقًا بنا في إثر ذلك كُلِّهِ، أن نصرف جُلَّ اهتمامنا إلى صورة المُثقَّف، تلك التي تبدَّت في وحي النَّمُوذَج الصَّدَّاح بنمطيَّة الفِعْل وَالمَوْقف؛ فكانت "نماذج المُثقَّفين في الخِطَاب الأدبيِّ"؛ وليجة الشَّاعِرَيْن في إبداع صياغة الشَّخصيَّة الثَّقافيَّة؛ وفق إطارها الشِّعريِّ المُعبِّر عنها؛ ليتجلَّى لنا: المُثقَّف الحُرُّ، وَالمُثقَّف الثَّائِر، وَالمُثقَّف الشَّهيد، وَالمُثقَّف التَّابِع، وَالمُثقَّف التَّابِع للحَاكِم، وَالمُثقَّف الحَاكِم.

وقد عبَّر الشَّاعِران عن هذه النَّماذج، من خلال حُضُور الذَّات، في الشِّعْر الصَّادِر عن طبعٍ وَسليقةٍ، لكنَّهما كانا أكثر احتكامًا إلى الصِّياغة التَّشكيليَّة، في تكوين ملامحها في الآخر، وكان للمُتنبِّي وفق طموحه الذَّاتيِّ، للمَجْد السِّياسيِّ، وَالثَّراء الماليِّ؛ أن يكون أكثر تبدِّيًا في صورة

المُثقَّف الثَّائِر وَالمُثقَّف التَّابع للحَاكِم وَالمُثقَّف السَّاعِي إلى الحَاكِميَّة، بينما شكَّلت هــذه النَّمــاذِج المُتراتِبة وفق ما ذكرناها آنفًا، مراحل حياته الأدبيَّة، في صلتها بالسُّلطات الاجتماعيَّة، لا ســيَّما السُّلْطة السِّياسيَّة، كما نزع المُتنبِّي إلى النَّمْذَجَةِ الثَّقافيَّة الذَّاتيَّة في الغالب، خلا نطاق الحَاكِميَّــة، الذي بدا ضئيل الحُضُور، بينما بدا مَحْمُود دَرْوِيش فيه أكثر استجلابًا لشُخُوص المُثقَّفــين فــي قوالب نماذجه، من السِّياقات الفِلسْطينيَّة وَالعربيَّة وَالعالميَّة.

وحين نقف على أعتاب الرَّحيل، عن صورة التَّجلِّي الأخير للرَّاحليْن الكبيرَيْن؛ فإنَّنا علــى الخلاف الظَّاهر بينهما في نطاقات: البِنَاء الشِّعْريِّ، وَالانتماء القُطْريِّ، وَالإطار الزَّمنيِّ؛ التمسنا من أوجه الشَّبَهِ؛ ما أمكن في وحيها؛ التَّوفِيق بينهما في هذا الدَّرْس؛ فهما عربيا الأَثْلِ وَالأُرُومَةِ، مُنتصِران للثَّقَافة بسُلْطة قوَّتها في خِطَاب الشِّعْرِ، مع ابتناء المُتنبِّــي نهجــه الثَّــوريَّ باللُّغــة، وصياغة مَحْمُود دَرْوِيش منظومته النِّضاليَّة بالفِكْر.

وهما اللذان اكتملا في صورة البناء الأخير؛ الذي بدت فيه الخُطُوط المُتوازية بينهما ناطقةً بالتَّماثُل؛ من حيث: المسيرة الحياتيَّة، وَالطَّابَع الوجدانيِّ النَّفْسيِّ، وَالأجواء السُّلْطويَّة العامَّة فــي عصرَيْهما؛ أمَّا بيان الأوَّل؛ فمُتمثِّل في حماسة الصِّبا، وَفَوْرَةِ الشَّباب، وَطلب المَجْــد، وَاليــأس الأخير؛ وُصولاً إلى مصرعَيْهما، الذي كان سريعًا في حالة المُتنبِّي، بطيئًا في شــأن درويــش؛ فكلاهما قتيل أهدافه الجامحة، وعدوٍّ تربَّص بهما أشدَّ الدَّوائِر، مع إدراك كليْهما قُرْبَ النِّهاية، إلاَّ أنَّ درويش بدا ذاهلاً؛ لمَّا طالت به الحياة إلى زمن الوفاة الأخير.

أمَّا اللِّقاء الفكريُّ وَالوجدانيُّ وَالنَّفْسيُّ بينهما؛ فيكمن فــي الاصــطراع الــدَّاخليِّ بالمَجْــد وَالبُطُولة، وَالحَفَاوة الضَّميريَّة البالغة، وَالثَّوْرة الفِكْريَّة الفريدة، وَالحِكْمة النَّابغــة، وَالاختــزال التُّراثيِّ للأمَّة، مع امتياز درويش عن المُتنبِّي؛ بالتَّمثُّل الكامل للأساطير السَّاميَّة القديمة.

ويكون للتَّلاقي في الأجواء العامَّة نصيبٌ وَافِرٌ؛ فقد عايش كلاهما سُلْطة الدَّاخِل، مُمثَّلةً في البُؤْرة المكانيَّة، التي رافقت الشَّاعرَيْن حيثما ارتحلا، وَهما: "حلب" وَ"فلسطين"، وَسُلْطة الخَارِج؛ مُمثَّلةً في دُوَلِ الأملاك وَالسَّلاطين وَالقادة العرب، فضلاً عن السُّلْطة الخارجيَّــة للآخَــر النِّــدِّ، بشقَّيْها: المُنافِس وَالمُحتلِّ؛ أمَّا المُنافِسون فهم الفُرْس وَالتُّرْك، وَإن اختلف العَصْر؛ وَأمَّا المُحتلُّ؛ فيتجسَّد في الرُّوم؛ على ما بينهم وَبين الصَّهاينة وَأمريكا من تشابهٍ أكيدٍ، هذا من حيث الخريطة

العامَّة لعصري الشَّاعرَيْن، وبيان تأكيد التَّماثُل مُعضَّدٌ بالنِّزاعَيْن؛ المُتجسِّدَيْن في الاختلاف العربيِّ، وَالحَرْب مع الآخر الرُّوميِّ / الصُّهْيونيِّ، في خريطة تعجُّ بالدُّول وَالإمارات، المُنشقَّة عن خلافةٍ إسلاميَّةٍ واحدةٍ.

والحقُّ الأخير الذي يجب أن نُشِير إليه هنا؛ أنَّ كلا الشَّاعرَيْن ارتحل قَسْرًا؛ فالمُتنبِّي ألحَّت عليه مطالبه العُلْيا برحيل السُّموِّ عن مَحَبَّةٍ وَاختيارٍ، وَدرويش اختاره راغبًا، ثُمَّ تنقَّل في المنافي راغمًا، ولا غاية في مُعتَقده إلا صورة المَجْد الأخير للمُقاوَمة، مع ذاتيَّة المُتنبِّي، وَجمعيَّة درويش؛ ليلتقيا على أَثَرِ سَرَابِ الفِعْل السِّياسيِّ المُحتشِد بالشُّرُور؛ إذ صادرت السِّيَاسَة جلال الثَّقَافَة فيهما حيناً، وَرسَّخت شرعيَّتها بِخِطَابهما حيناً آخر.

وقد خلصت الدِّراسة في مُجملَها؛ إلى أنَّ السُّلْطة مكمن القُوَّة وَالسَّيْطرة؛ وبها كان للمُثقَّف سُلْطته المُوَازِيَة السُّلطات الاجتماعيَّة الأخرى، وإن كان السِّياق الفكريُّ العامُّ قد كرَّس السُّلْطة في السِّياسة فحسب؛ فإنَّ لنا أن نُؤكِّد خلافه، في ضوء احتكامنا إلى الخِطَاب الأدبيِّ، الذي رسَّخ ضربًا من التَّداوُل السُّلْطويِّ، بين الأطر: الدِّينيَّة وَالاجتماعيَّة وَالاقتصاديَّة وَالمعرفيَّة الفِكْريَّة، وفق المُؤثِّرَيْن الرَّئيسيَّيْن السَّابقَيْن، مع تبدِّي السُّلْطتَيْن الثَّقافيَّة وَالسِّياسيَّة في النِّطَاق الأظهر.

وكانت السُّلْطة الثَّقافيَّة حقيقةً بالتَّأثير النَّفْسيِّ وَالوجدانيِّ، من خلال المعرفة الشُّموليَّة، وَالحِنْكة المُتبصِّرة، وَالحِكْمة النَّاقِدة؛ أمَّا السُّلْطة السِّياسيَّة؛ فمكمن التَّنظيم العلائقيِّ بين السُّلْطات جميعها، من خلال مُؤثِّرات: التَّنظيم، وَالتَّرْغيب وَالتَّرْهيب، وَالخِطَاب الدِّينيِّ، وَقُوَّةِ الاقتصاد، وَقَمْع العَسْكر.

وبعد؛ فإنَّه في ضوء ما سبق؛ تأتَّى لنا الوقوف على نتاج الشَّاعرَيْن أبي الطَّيِّب المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش، في مَظَانِّهِ، من خلال المَسْح الشَّامِل؛ الذي خلص بنا إلى التَّوصية بدراسة الظَّواهِر المنضوية في هذا البحث بشكلٍ مُنفصلٍ.

ذلك أنَّ كُلَّ عنوانٍ كان قيد النَّظر التَّحليليِّ، حقيق باستجلاء نماذجه المُتكاثِرة في نتاج الشَّاعِرَيْن، على نحوٍ يصل بنا إلى تعميق الرُّؤْية البحثيَّة في العنوان الواحد، من قبيل تتبُّع الأنا الدِّينيَّة أو الاجتماعيَّة أو الاقتصاديَّة أو المعرفيَّة الفكريَّة أو الثَّقافيَّة أو السِّياسيَّة، والأمر نفسه

ينسحب على العناوين الأخرى؛ وفي ذلك تجليةٌ أعمق للشَّخصيَّة الشِّعريَّة وَالخِطَــاب الثَّقــافيِّ؛ بصورةٍ نصل من خلاصاتها؛ إلى الأحكام الكُلِّيَّة العامَّة في المُثقَّفَيْن، فضلاً عن إرساء ركــائز رئيسيَّةٍ؛ لِتتبُّع نموِّ الظَّاهِرة الثَّقافيَّة في السِّياق الشِّعْريِّ.

وَختامًا؛ فأرجو الله تعالى أن أكون قد وُفِّقت إلى صواب الرَّأي فــي القِــرَاءة وَالانتِخَــاب وَالدَّرْس وَالبِنَاء وَالتَّنظِيم، بما يتَّفق مع عظم مرتبة الرِّسَالَة الثَّقافيَّة، في خطاب المُتنبِّي وَمَحْمُود دَرْوِيش، وَيتساوق مع موضوعيَّة البَحْث العلميِّ، وَجُرْأة الحقيقة المعرفيَّة، ملتمسًا من أســتاذي الدُّكتور خالد الكركيّ العُذْر فيما أخطأت، شاكرًا له ولأساتذتي الكِرَام قبولهم المُجلَّــل بالنُّــصْح وَالتَّوْجيه.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

تم بحمد الله

ــ ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ وَالدَّوْرِيَّاتِ وَالرَّسَائِلِ الْجَامِعِيَّةِ وَالنَّدواتِ وَالصُّحُفِ وَالْبَرَامِجِ التّلفزيُونِيَّةِ وَالْمَوَاقِعِ الإلكترُونِيَّةِ وَالْمَرَاجِعِ بِاللُّغَةِ الإنْجليزيَّةِ:

أوَّلاً: ثَبَتُ الْمَصَادِرِ وَالْمَرَاجِعِ:

ــ إبْرَاهِيم، د. نَوَال مُصْطَفى، (٢٠٠٨م)، **الْمُتَوَقَّعُ وَاللامُتَوَقَّعُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ مُقَارَبَةٌ نَصِّيَّةٌ فِي ضُوءِ نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي وَالتَّأويل**، (ط١)، عمَّان: دَار جَرِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أحْمَد، د. فَارُوق يُوسُف يُوسُف، (١٩٨٥م)، **الْقُوَّةُ السِّيَاسِيَّةُ ــ اقْتِرَابٌ وَاقِعِيٌّ مِنَ الظَّاهِرَةِ السِّيَاسِيَّةِ**، (ط٢)، القَاهِرة: مَكْتَبة عَيْن شَمْس.

ــ إدْرِيس، د. سَمَاح، (١٩٩٢م)، **الْمُثقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَالسُّلْطَةُ ــ بَحْثٌ فِي رِوَايَةِ التَّجْرِبَةِ النَّاصِرِيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب.

ــ أدُونِيس، عَلِيّ أحْمَد سَعِيد إسبر، (١٩٧٩م)، **الثَّابِتُ وَالْمُتَحَوِّلُ ــ بَحْثٌ فِي الاتِّبَاع وَالإبْدَاع عِنْدَ الْعَرَبِ ــ ٢ ــ تَأصِيلُ الأُصُول**، (ط٢)، بَيْرُوت: دَار العَوْدة.

ــ أدُونِيس، عَلِيّ أحْمَد سَعِيد إسبر، (٢٠٠٥م)، **زَمَنُ الشِّعْر**، (ط٦)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي.

ــ أدُونِيس، عَلِيّ أحْمَد سَعِيد إسبر، (٢٠٠٢م)، **مُوسِيقَى الْحُوتِ الأزْرَقِ (الْهُوِيَّةُ، الْكِتَابَةُ، الْعُنْفُ)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الأزرعيّ، د. سُلَيْمَان، (١٩٩٨م)، **تَحَدِّيَاتُ الْفِكْرِ وَالثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ (فِي الْفِكْرِ وَالأدَبِ)**، (د. ط)، دِمَشْق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب.

ــ ابن الأزْرَق، أبُو عبد الله شَمْس الدِّين مُحمَّد بن عَلِيّ بن مُحمَّد الْغَرْنَاطِيّ، (ت٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م)، **بَدَائِعُ السِّلْكِ فِي طَبَائِعِ الْمُلْكِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وَتَعْلِيق: د. عَلِيّ سَامِي النّشار)،

دَار الحُرِّيَّة للطِّبَاعة ــ مَنْشُورات وزارة الإعلام العِرَاقيَّة ــ سِلْسلة كُتُب التُّرَاث (٤٥)، بَغْـدَاد، ١٩٧٧م.

ــ ابن الأَزْرَق، أَبُو عبد الله شَمْس الدِّين مُحمَّد بن عَلِيّ بن مُحمَّـد الْغَرْنَـاطِيّ، (ت٨٩٦هـ/١٤٩٠م)، **بَدَائِعُ السِّلْكِ فِي طَبَائِعِ الْمُلْكِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وتَعْلِيق: د. عَلِيّ سَامِي النّشار)، دَار الحُرِّيَّة للطِّبَاعة ــ مَنْشُورات وزارة الإعلام العِرَاقيَّة ــ سِلْسلة كُتُب التُّرَاث (٥٣)، بَغْـدَاد، ١٩٧٨م.

ــ الأَسْطَة، د. عَادِل، (٢٠٠٠م)، **سُؤَالُ الْهُوِيَّةِ ــ فِلَسْطِينِيَّةُ الأَدَبِ وَالأَدِيـبِ**، (ط١)، رَام الله: دَار الشُّرُوق للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الأَسْطَة، د. عَادِل، (آب١٩٩٢م)، **الْيَهُودُ فِي الأَدَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ بَـيْنَ ١٩١٣ ــ ١٩٨٧م**، (ط١)، فلسطين: اتِّحَاد الكُتَّاب الفلسطينيِّين.

ــ أَسْعَد، يُوسُف مِيخَائِيل، (د. ت)، **الثَّقَافَةُ بَيْنَ الأَدَبِ وَالْفَنِّ**، (د. ط)، القَاهِرة: نَهْـضَة مِـصْر للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أَسْعَد، يُوسُف مِيخَائِيل، (١٩٨٤م)، **الثَّقَافَةُ وَمُسْتَقْبَلُ الشَّبَابِ**، (د. ط)، الإسـكندريَّة: الهَيْئَـة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ أَسْعَد، يُوسُـف مِيخَائِيـل، (١٩٨٦م)، **سـيكُولُوجِيَّةُ الإِبْـدَاع فِـي الْفَـنِّ وَالأَدَبِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ إِسْمَاعِيل، د. فَارُوق مُصْطَفى، (١٩٨٠م)، **الأَنْثروبُولُوجيَا الثَّقَافِيَّـةُ**، (د. ط)، الإسـكندريَّة: الهَيْئَة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ إِسْمَاعِيل، د. مُحمَّد قباري، (د. ت)، **عِلْمُ الاجْتِمَاع الثَّقَافِيّ وَمُـشْكِلاتُ الشَّخْـصِيَّةِ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: مُنْشَأة المَعَارِف.

ــ الأسْمَر، حلمي، (١٩٨٣م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا ــ مَجْزَرَةُ حَضَارَةٍ**، (ط١)، عمَّان: دار العَــدوي للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أشْقَر، أحْمَد، (٢٠٠٥م)، **التَّوْرَاتِيَّاتُ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش مِنَ الْمُقَاوَمَةِ إلَـى التَّـسْوِيَةِ**، (ط١)، دِمَشق: قدمس للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أبُو إصْبَع، د. صَالِح، (١٩٧٩م)، **الحَرَكَةُ الشِّعْرِيَّةُ فِي فِلَسْطِينَ الْمُحْتَلَّةِ مُنْذُ عَـامِ ١٩٤٨م حَتَّى ١٩٧٥ ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الأصْفَهَانِيّ، أبُو القَاسِمِ عبد الله بن عبد الرَّحْمن (ت بعد ٣٨٠ هــ/بعد٩٩٠م)، **الْوَاضِحُ فِـي مُشْكِلاتِ شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق: مُحمَّد الطَّاهِر بن عَاشُور)، الدَّار التُّونسيَّة للنَّشْر، تُونس، ١٩٦٨م.

ــ إمَام، أ. د. إمَام عبد الفَتَّاح، (١٩٩٥م)، **مُعْجَمُ دِيَانَاتِ وَأسَاطِيرِ الْعَـالَمِ**، (د. ط)، القَـاهِرة: مَكْتَبة مَدْبُولِي.

ــ إمْبسُون، وليَام، (٢٠٠٠م)، **سَبْعَةُ أنْمَاطٍ مِنَ الْغُمُوضِ**، تَرْجَمة: صَبْري مُحمَّد حَـسَن عبـد النَّبيّ، تَصْدِير: مَاهِر شَفِيق فَريد، (ط١)، مِصْر: المَجْلس الأعْلَى للثَّقَافَة.

ــ الإمْرَانِيّ، د. حَسَن، (١٩٩٤م)، **الْمُتَنَبِّي فِي دِرَاسَـاتِ الْمُسْتَـشْرِقِينَ الْفَرَنْـسِيِّينَ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الرِّسَالة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أنِيس، إبْرَاهِيم وَآخرون، (١٩٦٠م)، **الْمُعْجَمُ الْوَسِيطُ**، إشْرَاف: عبد السَّلام هَارُون، (د. ط)، القَاهِرة: مَجْمَع اللُّغَة العَرَبيَّة.

ــ أوكَان، عُمَر، (٢٠٠١م)، **اللُّغَةُ وَالْخِطَابُ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء وَبَيْرُوت: أفريقيا الشَّرْق.

ــ أوملِيل، د. عَلِيّ، (٢٠٠٩م)، **السُّلْطةُ الثَّقافِيَّةُ وَالسُّلْطةُ السِّيَاسِيَّةُ**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقافة.

ــ بَابَا، هُومِي ك، (٢٠٠٦م)، **مَوْقِعُ الثَّقافةِ**، تَرْجَمة: ثائِر ديب، (ط١)، الدَّار البَيْضاء: المركز الثَّقافيّ العَرَبيّ.

ــ بَابللِي، إبْرَاهِيم، (فبراير/ شباط٢٠٠٦م)، **أسَالِيبُ الْيَهُودِ فِي تَحْقِيق أهْدَافِهِمْ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ البَازعِي، د. سَعْد، (٢٠٠٤م)، **أبْوَابُ الْقَصِيدَةِ ــ قِرَاءَاتٌ باتِّجَاهِ الشِّعْر**، (ط١)، الدَّار البَيْضاء: المركز الثَّقافيّ العَرَبيّ.

ــ البَاش، حَسَن، (١٩٨٨م)، **المِيثُولُوجيَا الْكَنْعَانِيَّةُ وَالاغْتِصَابُ التَّوْرَاتِيُّ**، (ط١)، دِمَشق: دَار الجَلِيل للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ بَالانديه، جُورج، (١٩٩٠م)، **الأنتربُولُوجيَا السِّيَاسِيَّةُ**، تَرْجَمة: عَلِيّ المِصْرِيّ، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ البُخَارِيّ، مُحمَّد بن إسْمَاعِيل أبُو عبدالله الجعفيّ، (ت٢٥٦هـ/٨٧٠م)، **الْجَامِعُ الصَّحِيحُ الْمُخْتَصَرُ**، (ط٣)، ٦م، (تَحْقِيق: د. مُصْطَفى دِيب البغا)، دَار ابن كَثِير، اليَمَامَة وَبَيْرُوت.

ــ بَدْرَان، إبْرَاهِيم، (٢٠٠٢م)، **أُفُولُ الثَّقافةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ بَدَوِيّ، عبد الرَّحْمَن، (١٩٧٥م)، **نِيتشه**، تَرْجَمة: خَلِيل الهِنْدَاوِيّ، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار بَيْرُوت للطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ــ البَدَوِيّ، د. مُحمَّد عَلِيّ، (٢٠٠٤م)، **عِلْمُ اجْتِمَاع الأدَبِ ــ النَّظَرِيَّةُ وَالْمَنْهَجُ وَالْمَوْضُوعُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَعْرِفة الجَامِعيَّة.

ــ البَدِيعِيّ، يُوسُف، (ت١٠٧٣هــ/ ١٦٦٢م)، **الصُّبْحُ الْمُنْبِي عَنْ حَيْثِيَّةِ الْمُتَنَبِّــي**، (ط٣)، م١، (تَحْقِيق: مُصْطَفى السَّقَّا وَمُحمَّد شتا وَعبده زيادة عبده)، دَار المَعَارِف، القَاهِرة، ١٩٩٤م.

ــ برادة، مُحمَّد، (٢٠٠٣م)، **سِيَاقَاتٌ ثقافِيَّةٌ (مَواقِف، مُداخَلات، مَرافِئ)**، (ط١)، الرِّبَاط: وزارة الثَّقَافَة وَالدَّار البَيْضَاء: مَطْبَعة النَّجَاح الجَدِيدة.

ــ بركة، نَظْمِي مَحْمُود، (١٩٩٥م)، **الاتِّجَاهُ الرُّومَانسِيُّ فِي الــشِّعْرِ الْفِلَــسْطِينِيِّ الْمُعَاصِــرِ ــ دِرَاسَةٌ مَوْضُوعِيَّةٌ وَفَنِّيَّةٌ**، (د. ط)، غزَّة: الفَجْر.

ــ برُوست، مَارسِيل وَآخرون، (١٩٨٨م)، **الْحَيَاةُ وَالنَّظِيرُ الأدَبِيُّ**، تَرْجَمة: عَادِل العَامِل، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة.

ــ برُونُوفسكِي، جَاكُوب، (١٩٨٧م)، **التَّطَوُّرُ الْحَضَارِيُّ للإنْسَانِ (ارْتِقَاءُ الإنْسَانِ)**، تَرْجَمَــة: د. أَحْمَد مُستَجِير، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ بسيسو، عبد الرَّحْمَن، (١٩٩٩م)، **قَصِيدَةُ الْقِنَاعِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ أَبُو البَقَاء الكفويّ، أَيُّوب بن مُوسَى الحُسَيْن، (ت١٠٩٤هــ/ ١٦٨٣م)، **كِتَــابُ الْكُلِّيَّــاتِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق: عَدْنَان دَرْوِيش وَمُحمَّد المصريّ)، مُؤَسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٩٩٨م.

ــ أَبُو بَكْر الأَنْبَارِيّ، مُحمَّد بن القَاسِم، (ت٣٢٧هــ/٩٣٨م)، **الزَّاهِرُ فِى مَعَانِى كَلِمَاتِ النَّــاسِ**، (ط١)، ٢م، (تَحْقِيق: د. حَاتِم صَالِح الضَّامِن)، مُؤَسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٩٩٢م.

ــ بَكَّار، د. يُوسُف، (٢٠٠٧م)، **عَيْنُ الشَّمْسِ ــ مُقارَبَاتٌ فِي النَّقْدِ وَنَقْدِ النَّقْدِ**، عمَّان: مَكْتَبَة الرَّائِد العِلْمِيَّة.

ــ بَكَّار، د. يُوسُف، (٢٠٠٤م)، **فَدْوَى طُوقان ــ دِرَاسَةٌ وَمُخْتَارَاتٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المَنَاهِل للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ بلاشِير، د. رِيجِيس، (د. ت)، **دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ وَعِنْدَ الْمُسْتَشْرِقِينَ**، تَرْجَمة: أَحْمَد أَحْمَد بَدَوِيّ، (ط١)، مِصْر: مَكْتَبة نَهْضَة مِصْر وَمَطبعتها.

ــ بلاشِير، د. رِيجِيس، (١٩٨٥م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ فِي التَّارِيخ الأَدَبِيِّ**، تَرْجَمة: د. إِبْرَاهِيم الكِيلانِيّ، (ط٢)، دِمَشق: دَار الفِكْر للطِّبَاعَة وَالتَّوْزِيع وَالنَّشْر.

ــ البلاصِي، د. أَحْمَد يُوسُف، (٢٠٠٩م)، **الْحَنِينُ وَالْغُرْبَةُ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار كُنُوز المَعْرِفة العِلْمِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ بلانشُو، مُورِيس، (٢٠٠١م)، **الْفُسْحَةُ الأَدَبِيَّةُ ــ دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ**، تَرْجَمة: جُورج سَالِم، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة.

ــ بلبع، د. عِيد، (١٩٩٩م)، **اسْتِنْطَاقُ النَّصِّ ــ تَجَلِّيَاتُ الانْهِيَار فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط٢)، المَنْصُورة: دَار الوَفَاء.

ــ بَهَاء الدِّين، أَحْمَد، (١٩٨٥م)، **شَرْعِيَّةُ السُّلْطَةِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ**، (ط٢)، القَاهِرة: دَار الشُّرُوق.

ــ بُوغنُون، مِيشِيل وَمُوردَانت، (٢٠٠١م)، **أمريكا الْمُسْتَبِدَّةُ ــ الْوِلايَاتُ الْمُتَّحِدَةُ وَسِيَاسَةُ السَّيْطَرَةِ عَلَى الْعَالَمِ "الْعَوْلَمَةُ"**، تَرْجَمة: د. حَامِد فرزات، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب.

ــ بُولان، رِيمُون، (١٩٩٢م)، **الأَخْلاقُ وَالسِّيَاسَةُ**، تَرْجَمة: د. عَادِل العَوَّا، (ط٢)، دِمَشق: دَار طلاس للدِّرَاسَات وَالتَّرْجَمة وَالنَّشْر.

ــ (شباط/ فبراير١٩٨٣م)، **تَقْرِيرُ لَجْنَةِ كَاهَان حَوْلَ مَجَازِر صَبْرَا وَشَاتِيلا**، (ط١)، بَيْرُوت: المركز العَرَبيّ للمَعْلُومَات (ش. م. م).

ــ أَبُو تمَّام، حَبيب بن أَوْس بن الحَارث الطَّائِيّ (ت٢٣١هـ/٨٤٥م)، **دِيوَانُ أَبِي تَمَّامٍ بِشَرْحِ الْخَطِيبِ التَّبْرِيزِيِّ**، (ط٣)، ٤م، (تَحْقِيق: مُحمَّد عبده عَزَّام)، دَار المَعَارف، القَاهِرة، ١٩٨٣م.

ــ التَّمِيمِيّ، عَزِيز، (يُوليُو٢٠٠٣م)، **مَنْظُومَةُ الْقِرَاءَةِ ــ دِرَاسَاتٌ وَقِرَاءَاتٌ نَقْدِيَّةٌ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ تُوفلر، ألفين، (١٩٩٥م)، **تَحَوُّلُ السُّلْطَةِ ــ الْمَعْرِفَةُ وَالثَّرْوَةُ وَالْعُنْفُ عَلَى أَعْتَابِ الْقَرْنِ الْحَادِي وَالْعِشْرِين**، تَرْجَمة: لُبْنَى الرِّيدِي، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ ثامِر، فَاضِل، (١٩٨٧م)، **مَدَارَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي إِشْكَالِيَّةِ النَّقْدِ وَالْحَدَاثَةِ وَالإِبْدَاع**، (ط١)، بَغْدَاد: دَار الشُّؤُون الثَّقافيَّة العَامَّة "آفَاق عَرَبيَّة".

ــ الثَّعْلبيّ، مُحمَّد بن الحَارث، (٢٥٠هـ/ ٨٦٤م)، **أَخْلاقُ الْمُلُوكِ (الْمَنْسُوبُ لِلْجَاحِظِ سَابِقًا)**، (ط١)، م١، (تَحْقِيق: جَلِيل العَطِيَّة)، دَار الطَّلِيعة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، بَيْرُوت، ٢٠٠٣م.

ــ الجَاحِظ، أَبُو عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **كِتَابُ التَّاجِ فِي أَخْلاقِ الْمُلُوكِ**، (ط١)، م١، (تَحْقِيق: الأستاذ أَحْمَد زَكِي بَاشَا)، المَطْبَعة الأَمِيريَّة، القَاهِرة، ١٩١٤م.

ــ الجَاحِظ، أَبُو عُثْمَان عَمْرو بن بَحْر، (ت٢٥٥هـ/ ٨٦٨م)، **كِتَابُ الْحَيَوان**، ط٣، م، (تَحْقِيق وَشَرْح: عبد السَّلام هَارُون)، دَار الكِتَاب العَرَبيّ، بَيْرُوت، ١٩٦٩م.

ـــ الجَاسُور، نَاظِم عبد الوَاحِد، (٢٠٠٤م)، **مَوْسُـوعَةُ عِلْـمِ السِّيَاسَةِ**، (ط١)، عمَّـان: دَار مَجْدَلاوِي للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ جَاكمَان، رُوبرت، (١٩٨٥م)، **السِّيَاسَةُ وَالْمُسَاوَاةُ الاجْتِمَاعِيَّةُ "تَحْلِيلٌ مُقَارنٌ"**، تَرْجَمة: رَفِيق جبور، (ط١)، دِمَشق: وزارة الثَّقَافَة السُّوريَّة.

ـــ الجبر، د. خَالِد، (٢٠٠٤م)، **تَحَوُّلاتُ التَّنَاصِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ـــ تَرَائِـي سُـورَة يُوسُف نموذجًا**، (د. ط)، عمَّان: جَامِعَة البَتْرَاء الخَاصَّة.

ـــ الجراريّ، د. عَبَّاس، (١٩٧٢م)، **الثَّقَافَةُ فِي مَعْرَكَةِ التَّغْيير**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: مَطْبَعَـة دَار النَّشْر المَغْربيَّة.

ـــ الْجُرْجَانِيّ، القَاضِي عَلِيّ بن عبد العَزِيز (ت٣٩٢هـ/ ١٠٠٢م)، **الْوَسَـاطَةُ بَـيْنَ الْمُتَنَبِّـي وَخُصُومِهِ**، (ط١)، ام، (تَحْقِيق وَشَرْح: مُحمَّد أَبُو الفَضْل إبْرَاهِيم وَعَلِيّ مُحمَّد البَجَاوِيّ)، المَكْتَبَة العَصْريَّة، صَيْدَا ـــ بَيْرُوت، ٢٠٠٦م.

ـــ جَرَّار، أ. د. صَلاح، (٢٠٠٣م)، **الْمُثَقَّفُ وَالتَّغْيِيرُ ـــ قِرَاءَاتٌ فِي الْمَشْهَدِ الثَّقَافِيِّ الْمُعَاصِـرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ـــ الجَزَائِرِيّ، مُحمَّد، (٢٠٠٠م)، **تَخْصِيبُ النَّصِّ: الأَسْطُورَةُ ـــ السِّيرَةُ الشَّعْبِيَّةُ ـــ الرَّمْـزُ**، (د. ط)، عمَّان: مَنْشُورات أَمَانَة عمَّان الكُبْرَى، وَطُبع في مَطَابع الدُّسْتور التِّجَاريَّة.

ـــ الجزار، د. مُحمَّد فِكْري، (٢٠٠١م)، **الْخِطَابُ الشِّعْرِيُّ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيش**، (ط١)، القَاهِرة: إيتراك للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ الجزيري، د. مُحمَّد مَجْدِي، (٢٠٠٤م)، **التَّنْوِيرُ وَالْحَضَارَةُ عِنْدَ هِيردر**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دار الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ــ الجعيدي، د. مُحمَّد عبد الله، (٢٠٠٢م)، **أَعِنْدَكُمْ نَبَأٌ ؟ اسْتِدْعَاءُ الأَنْدَلُس ــ الأَدَبُ الْفِلَسْطِينِيُّ الْحَدِيثُ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الهَادِي للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ ج. كُورتوا، (١٩٥٩م)، **فَنُّ الْقِيَادَةِ**، تَعْرِيب: النَّقِيب الهَيْثَم الأَيُّوبِيّ، (د. ط)، دِمَشق: المَطْبعة الهَاشِمِيَّة، من مَنْشُورات قِيَادَة الجَيْش الأوَّل ــ الشُّعْبة الثَّالِثة ــ فرع التَّدْرِيب.

ــ الجنديّ، د. دَرْوِيش، (١٩٧٠م)، **ظَاهِرَةُ التَّكَسُّبِ وَأَثَرُهَا فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ وَنَقْدِهِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار نَهْضَة مِصْر للطَّبْع وَالنَّشْر.

ــ الجَوْهَرِيّ، أَبُو نَصْر إِسْمَاعِيل بن حَمَّاد، (ت٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م)، **الصِّحَاحُ ــ تَاجُ اللُّغَةِ وَصِحَاحُ الْعَرَبِيَّةِ**، (ط٤)، ٦م، (تَحْقِيق: مُحمَّد زَكَرِيَّا يُوسُف)، دَار العِلْم للملايين، بَيْرُوت، ١٩٩٠م.

ــ الجوَّة، أَحْمَد، (٢٠٠٤م)، **بُحُوثٌ فِي الشِّعْرِيَّاتِ: مَفَاهِيمُ وَاتِّجَاهَاتٌ**، (د. ط)، صفاقس: كُلِّيَّة الآدَابِ وَالعُلُوم الإنسانيَّة وَمَطْبَعة التَّسْفِير الفنِّيّ.

ــ الحَاجّ صَالِح، د. مُحمَّد إِبْرَاهِيم، (١٩٩٩م)، **مَحْمُود دَرْوِيش بَيْنَ الزَّعْتَرِ وَالصَّبَّارِ ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ**، (ط١)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة.

ــ حبّ الله، عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **الْمُقَدِّمَةُ فِي نَقْدِ النَّثْرِ الْعَرَبِيِّ ــ مَشْرُوع رُؤْيَةٍ جديدةٍ في تقنيات البَحْث وَالكِتَابَة**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الهَادِي للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ حجاب، د. مُحمَّد نَبِيه، (١٩٦٥م)، **بَلاغَةُ الْكُتَّابِ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ لِتَطَوُّرِ الأَسَالِيبِ**، (ط١)، القَاهِرة: المَطْبَعة الفَنِّيَّة الحَدِيثة.

ــ حجازي، د. عبد الحَمِيد، (١٩٨٧م)، **الرَّأْيُ الْعَامُّ وَالإِعْلامُ وَالْحَرْبُ النَّفْسِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الرَّأْي العَامّ.

ـ حجازي، مُحمَّد عبد الوَاحِد، (٢٠٠١م)، **ظاهِرَةُ الغُمُوض فِي الشِّعْرِ الحَدِيثِ**، (ط١)، الإسكندريَّة: دار الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ـ الحَدِيدِيّ، د. عبد اللَّطِيف مُحمَّد، (١٩٩٨م)، **بَيْنَ الأَنَا وَالآخَر فِي مَدْحِيَّاتِ المُتَنَبِّي ـ رُؤْيَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ مُوَازِنَةٌ**، (ط١)، القَاهِرة: جَامِعة الأَزْهَر.

ـ حَرْب، عَلِيّ، (٢٠٠٤م)، **حَدِيثُ النِّهَايَاتِ ـ فُتُوحَاتُ العَوْلَمَةِ وَمَآزِقُ الهُوِيَّةِ**، (ط٢)، الدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العربيّ.

ـ الحَسَن، عِيسَى، (٢٠٠٩م)، **الدَّوْلَةُ العَبَّاسِيَّةُ ـ تَكَامُلُ البِنَاءِ الحَضَارِيّ**، (ط١)، عمَّان: الأَهْلِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ حَسُّونَة، خَلِيل إِبْرَاهِيم، (٢٠٠٢م)، **الحَجَرُ الفِلَسْطِينِيُّ الفِعْلُ وَالإِبْدَاعُ (الانْتِفَاضَةُ وَسُؤَالُ القَصِيدَةِ)**، (ط٢)، غزَّة: دَار ابن خلدون للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ حُسْنِي، د. مُحمَّد خَلِيفَة حَسَن، (١٩٩٧م)، **الأَسْطُورَةُ وَالتَّارِيخُ فِي التُّرَاثِ الشِّعْرِيِّ القَدِيمِ ـ دِرَاسَةٌ فِي مَلْحَمَةِ جلجامش**، (د. ط)، القَاهِرة: عَيْن للدِّرَاسَات وَالبُحُوث الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة.

ـ حُسيْن، دَاوُد مُرَاد، (٢٠٠٦م)، **سُلطَاتُ الرَّئِيسِ الأَمْرِيكِيِّ**، (ط١)، عمَّان: مركز الكِتَاب الأكاديميّ.

ـ حُسيْن، د. سَمِير مُحمَّد، (١٩٩٧م)، **الرَّأْيُ العَامُّ ـ الأُسُسُ النَّظَرِيَّةُ وَالجَوانِبُ المَنْهَجِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: عَالَم الكُتُب.

ـ حقي، يَحْيَى، (١٩٨٦م)، **هُمُومٌ ثَقَافِيَّةٌ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ـ أَبُو حَمَادَة، د. عَاطِف وَآخرون، (٢٠٠٣م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الأَدَبِ الفِلَسْطِينِيِّ**، (ط١)، عمَّان: مَنْشُورات جَامِعَة القُدْس المَفْتُوحة في فِلَسْطِينَ.

ــ الحَمَد، جَوَاد، (إبريل١٩٩٥م)، **الشَّعْبُ الفِلَسْطِينِيُّ ضَحِيَّةُ الإِرْهَابِ وَالْمَــذابح الــصُّهْيُونِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: مَرْكز دِرَاسَات الشَّرْق الأَوْسَط وَدَار البَشِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ حَمْزَة، حُسين، (٢٠٠١م)، **مُرَاوَغَةُ النَّصِّ ــ دِرَاسَاتٌ فِي شِعْرِ مَحْمُــود دَرْوِيــش**، (د. ط)، حَيْفَا: مَكْتَبة كلّ شيء.

ــ حَمَّاد، مَازِن، (إعْدَاد)، (إبريل/ ١٩٨٣م)، **الْمَذْبَحَةُ ــ صَبْرَا وَشَاتِيلا وَحِصَارُ بَيْرُوت يُونيُــو ــ سِبتمْبر ١٩٨٢م ــ (مُصَوَّرٌ تِلفزيُونِيٌّ)**، الإشراف الفنِّيّ: طَلْعَــتْ يُوسُــف، (ط١)، (د. م): إصْدَار طَاهِر القَرْخ.

ــ حمود، د. مَاجِدَة، (١٩٩٧م)، **عَلاقَةُ النَّقْدِ بِالإِبْدَاعِ الأَدَبِيِّ**، (د. ط)، دِمَشق: مَنْشُورات وزارة الثَّقَافَة.

ــ حَمِيد الدِّين، عبد الله بن مُحمَّد، (٢٠٠٥م)، **الْهُوِيَّةُ فِي بِنْيَةِ النِّظَامِ الــدَّوْلِيِّ**، (ط١)، عمَّــان: استراتيجيَّات ثقافيَّة.

ــ ابن حَنْبَل، أَبُو عبد الله أَحْمَد بن مُحمَّد، (ت٢٤١هــ/٨٥٥م)؛ **مُسْنَدُ الإِمَامِ أَحْمَدَ بــن حَنْبَــلٍ**، (ط٢)، ٥٠ج، (تَحْقِيق: شُعَيْب الأرنؤُوط وَآخرون)، مُؤَسَّسة الرِّسَالة، بَيْرُوت، ١٩٩٩م.

ــ الحنَّاوِي، د. الْمُحَمَّدِيّ عبد العَزِيز، (١٩٨٤م)، **دِرَاسَةٌ حَوْلَ السَّرِقاتِ الأَدَبِيَّةِ وَمَآخِذِ الْمُتَنَبِّي فِي الْقَرْنِ الرَّابِع**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الطِّبَاعَة المُحَمَّدِيَّة.

ــ حنورة، د. مصري عبد الحَمِيد، (١٩٩٨م)، **عِلْمُ نَفْسِ الأَدَبِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دار غَرِيــب للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الحُوت، بَيَان نُوَيْهِض، (نِيسَان/ إبريل٢٠٠٣م)، **صَبْرَا وَشَــاتِيلا ــ أَيْلُــول ١٩٨٢م**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الدِّرَاسَات الفلسطينيَّة.

ـــ الحيَاصَات، أحْمَد، (٢٠٠٦م)، **أفْكَار وَآرَاء**، (ط١)، عمَّان: مَطَابع الدُّسْتُور التِّجَارِيَّة.

ـــ الخَبَّاص، د. عبد الله عَوَض، (١٩٩٠م)، **القُدْسُ فِي الأدَبِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ فِي فِلَسْطِينَ وَالأرْدُنِّ فِي القَرْنِ العِشْرين (١٩٠٠ – ١٩٨٤م) فِي الشِّعْرِ وَالقِصَصِ وَالرِّوَايَةِ وَالمَسْرَحِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: عبد الله عَوَض عبد الله الخَبَّاص.

ـــ خريسَان، د. بَاسِم عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **العَوْلَمَةُ وَالتَّحَدِّي الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر الغربيّ.

ـــ الخَشَّاب، د. أحْمَد، (١٩٥٩م)، **الضَّبْطُ وَالتَّنْظِيمُ الاجْتِمَاعِيُّ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبَة القَاهِرة.

ـــ خشَيم، أ. د. مُصْطَفى عبد الله أبُو القَاسِم، (٢٠٠٢م)، **مَنَاهِجُ وَأسَالِيبُ البَحْثِ السِّيَاسِيِّ**، (ط١)، طرابلس ـــ لِيبيَا: الهَيْئة القَوْميَّة للبَحْث العِلْميِّ وَبنغازي: دَار الكُتُب الوَطَنيَّة.

ـــ خفَاجِي، د. مُحمَّد عبد المُنْعِم، (٢٠٠٢م)، **عَبْقَرِيَّةُ الإبْدَاعِ الأدَبِيِّ ـــ أسْبَابه وَظَوَاهِره**، (ط١)، الإسكندريَّة: دَار الوَفَاء لِدُنْيَا الطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ـــ خليف، د. يُوسُف، (١٩٧٧م)، **فِي الشِّعْرِ العَبَّاسِيِّ ـــ نحو منهج جديدٍ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة غَرِيب.

ـــ خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٧م)، **فِي دَائِرَةِ الضُّوءِ ـــ شَخْصِيَّاتٌ وَتَرَاجِمُ أدَبِيَّةٌ**، (ط١)، عمَّان: أمَانَة عمَّان الكُبْرَى.

ـــ خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٣م)، **مَدْخَلٌ لِدِرَاسَةِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ الحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار المَسِيرَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَالطِّبَاعَة.

ـــ خَلِيل، د. خَلِيل أحْمَد وَالكبيسيّ، د. مُحمَّد عَلِيّ، (٢٠٠١م)، **مُسْتَقْبَلُ العَلاقَةِ بَيْنَ المُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر المُعَاصِر وَدِمَشْق: دَار الفِكْر.

ــ خَلِيل، د. خَلِيل أَحْمَد، (١٩٩٥م)، **مُعْجَمُ الْمُصْطَلَحَاتِ الدِّينِيَّةِ (عربيّ ــ فرنسيّ ــ إنجليزيّ)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر اللُّبنانيّ.

ــ الْخَلِيلِيّ، عَلِيّ، "اختيار وَتقديم"، (٢٠٠٢م)، **مُخْتَارَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ**، (د. ط)، عمَّان: أَمَانَة عمَّان الكُبْرَى.

ــ خَنَافِر، د. دَوْلَة خضر، (١٩٩٥م)، **فِي الطُّغْيَانِ وَالاسْتِبْدَادِ وَالدِّيكْتَاتُورِيَّةِ ــ بَحْثٌ فَلْسَفِيٌّ فِي مَسْأَلَةِ السُّلْطَةِ الْكُلِّيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المنتخب العَرَبِيّ للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الخَوَالدة، فَتْحِي رِزْق، (٢٠٠٦م)، **تَحْلِيلُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ ــ ثُنَائِيَّةُ الاتِّسَاقِ وَالانْسِجَامِ فِي دِيوَانِ "أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا"**، (ط١)، عمَّان: أَزْمِنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ خُوجَة، غَالِيَة، (٢٠٠٣م)، **قَلَقُ النَّصِّ ــ مَحَارِقُ الْحَدَاثَةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الخَيَّاط، د. عبد العَزِيز عِزَّتْ، (١٩٥٥م)، **السُّلْطَةُ فِي الْمُجْتَمَعِ**، (ط٢)، القَاهِرة: (د. ن).

ــ الخيّر، هَانِي، (٢٠٠٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ رِحْلَةُ عُمُرٍ فِي دُرُوبِ الشِّعْرِ**، (ط١)، دِمَشق: مُؤسَّسة عَلاء الدِّين للطِّبَاعَة وَالتَّوْزِيع.

ــ دروزة، د. أَفْنَان نَظِير، (٢٠٠٤م)، **وَمضاتُ فِكْرٍ ــ مَقَالاتٌ أَدَبِيَّةٌ وَاجْتِمَاعِيَّةٌ وَفِكْرِيَّةٌ**، (ط١)، نابلس: دَار الفَارُوق للثَّقَافَة وَالنَّشْر.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (كَانُون الثَّانِي/ يَنَاير ٢٠٠٩م)، **الأَعْمَالُ الأُولَى**، (طَبْعَة جَدِيدَة، ٢)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (كَانُون الثَّانِي/ يَنَاير٢٠٠٩م)، **الأعْمَالُ الْجَدِيدَةُ الْكَامِلَةُ**، (ط١)، بَيْــرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٩١)م، **عَابِرُونَ فِي كَلامٍ عَابِرٍ**، (ط١)، الدَّار البَيْــضَاء: دَار توبقـــال للنَّشْر.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٦٠م)، **عَصَافِيرُ بِلا أجْنِحَةٍ**، تقديم: د. عبد الــرَّحْمن يَـــاغِي، (د. ط)، عمَّان: مَكْتَبَة عمَّان.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (آذار/ مَارس٢٠٠٩م)، **لا أُرِيدُ لِهَذِي الْقَصِيدَةِ أنْ تَنْتَهِيَ**، (ط١)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (أيَّار/مَايُو١٩٧٤م)، **وَدَاعًا أيَّتُهَا الْحَــرْبُ وَدَاعًــا أيُّهَــا الــسَّلامُ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة ــ مركز الأبحاث.

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (١٩٧٣م)، **يَومِيَّاتُ الْحُزْنِ الْعَادِيِّ**، (د. ط)، بَيْرُوت: مركـــز الأبحـــاث ــ مُنظَّمة التَّحْرير الفلسطينيَّة.

ــ الدّسوقيّ، د. عبد العَزِيز، (٢٠٠٦م)، **أبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ شَاعِرُ الْعُرُوبَةِ وَحَكِــيمُ الــدَّهْرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ دلُوز، جيل، (١٩٨٧م)، **الْمَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ (مَدْخَلٌ لِقِرَاءَةِ فُوكُو)**، تَرْجَمة: سَالِم يفُوت، (ط١)، بَيْرُوت وَالدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيُّ العَرَبيّ.

ــ الدّيرِيّ، عَلِيّ أحْمَد، (٢٠٠٦م)، **مَجَازَاتٌ بِهَا نَرَى ــ كَيْفَ نُفَكِّرُ بِالْمَجَازِ ؟** ، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ دِيشِين، أندريه جَاك، (١٩٩١م)، **اسْتِيعَابُ النُّصُوصِ وَتَأْلِيفُهَا**، تَرْجَمة: هَيْــثم لمَــع، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ الدِّيك، نَادِي سَارِي، (١٩٩٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ـــ الشِّعْرُ وَالْقَـضِيَّةُ**، (ط١)، عمَّـان: دَار الكرمل.

ـــ دِيلابُورت. ل، (١٩٩٧م)، **بِلادُ مَا بَيْنَ النَّهْرَيْنِ ـــ الْحَضَارَتَانِ الْبَابِلِيَّةُ وَالآشُورِيَّةُ**، تَرْجَمَـة: محرم كمال، (ط٢)، القَاهِرة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ـــ (١٩٩٦م)، **دِيوَانُ الأَسَاطِيرِ ـــ الْكِتَابُ الأَوَّلُ: أَعْطِنِي، أَعْطِنِي مَاءَ الْقَلْبِ ـــ أَنَاشِـيدُ الْحُـبِّ السُّومَرِيَّةُ**، نقله إلى العَرَبيَّة وَعلَّق عليه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأَشْرف عليه: أَدُونِـيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي.

ـــ (١٩٩٩م)، **دِيوَانُ الأَسَاطِيرِ ـــ الْكِتَابُ الثَّالِثُ: الْحَضَارَةُ وَالسُّلْطَةُ**، نقله إلى العَرَبيَّـة وَعلَّـق عليه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأَشْرف عليه: أَدُونِيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي.

ـــ (١٩٩٧م)، **دِيوَانُ الأَسَاطِيرِ ـــ الْكِتَابُ الثَّانِي: الآلِهَةُ وَالْبَشَرُ**، نقله إلى العَرَبيَّة وَعلَّق عليـه: قَاسِم الشَّوَّاف، قدَّم له وَأَشْرف عليه: أَدُونِيس، (ط١)، بَيْرُوت: دَار السَّاقِي.

ـــ ديُورَانت، وِيل، (١٩٦٥م)، **قِصَّةُ الْحَضَارَةِ**، تَرْجَمة: زَكِي نَجِيب مَحْمُود، (د. ط)، القَـاهِرة: الإدارة الثَّقافيَّة، جَامِعَة الدُّوَل العَرَبيَّة.

ـــ رَاسل، برترَاند، (١٩٦٢م)، **الْفَلْسَفَةُ وَالسِّيَاسَةُ**، تَرْجَمة: د. عبد الرَّحْمَن القَيْـسِيّ، (د. ط)، بَغْدَاد: مَكْتَبة النَّجَاح.

ـــ رَاسل، برترَاند، (د. ت)، **الْمُجْتَمَعُ الْبَشَرِيُّ فِي الأَخْلاقِ وَالسِّيَاسَةِ**، تَرْجَمَـة: عبـد الكَـرِيم أَحْمَد، مُرَاجَعة: حَسَن مَحْمُود، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة الأنجلو المِصْرِيَّة، بدعمٍ من جَامِعَة الدُّوَل العَرَبيَّة ـــ الإدارة الثَّقافيَّة.

ـــ ربَابعة، أ. د. مُوسَى، (٢٠٠٨م)، **جَمَالِيَّاتُ الأُسْلُوبِ وَالتَّلَقِّي ـــ دِرَاسَـاتٌ تَطْبِيقِيَّـةٌ**، (ط١)، عمَّان: دَار جَرِير للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الرّبدَاويّ، د. مَحْمُود، (١٩٦٧م)، **الْحَرَكَةُ النَّقْدِيَّةُ حَوْلَ مَذْهَبِ أَبِي تَمَّامٍ، (تَارِيخُهَا وَتَطَوُّرُهَا وَأَثَرُهَا فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ)**، (د. ط)، دِمَشق: دَار الفِكْر للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الرّبيعِيّ، د. مَحْمُود، (١٩٩٧م)، **قِرَاءَةُ الشِّعْر**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار غَرِيب للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ رشوان، د. حُسيْن عبد الحَميد أحْمَد، (١٩٩٧م)، **الْعَلاقاتُ الإِنْسَانِيَّةُ فِي مَجَالاتِ عِلْم النَّفْس، عِلْم الاجْتِمَاع، عِلْم الإِدَارَة**، (د. ط)، الإسكندريَّة: المَكْتَب الجَامِعيّ الحَدِيث.

ــ ابن رَشِيق القَيْرَوَانِيّ، الإِمَام أَبُو عَلِيّ الحَسَن، (ت٤٥٦هــ/ ١٠٦٣م)، **الْعُمْدَةُ فِي مَحَاسِنِ الشِّعْر وَآدَابِهِ**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: مُحمَّد عبد القَادِر أحْمَد عَطَا)، دَار الكُتُب العِلْميَّة، بَيْرُوت.

ــ الرَّوَاشدة، أُمَيْمَة عبد السَّلام، (٢٠٠٥م)، **شِعْرِيَّةُ الانْزِيَاح ــ دِرَاسَةٌ فِي تَجْرِبَةِ مُحمَّد عَلِيّ شَمْس الشِّعْرِيَّةِ**، (د. ط)، عمَّان: أَمَانَة عمَّان.

ــ الرَّوَاشدة، أ. د. سَامِح، (٢٠٠١م)، **إِشْكَالِيَّةُ التَّلَقِّي وَالتَّأْوِيل**، (ط١)، عمَّان: مَنْشُورات أَمَانَة عمَّان الكُبْرَى.

ــ الرَّوَاشدة، أ. د. سَامِح، (١٩٩٥م)، **الْقِنَاعُ فِي الشِّعْر الْعَرَبِيِّ (دِرَاسَةٌ فِي النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيق)**، (ط١)، إِرْبِد: مَطْبَعة كَنْعَان.

ــ زَامِل، صَالِح، (٢٠٠٣م)، **تَحَوُّلُ الْمِثَالِ ــ دِرَاسَةٌ لِظَاهِرَةِ الاغْتِرَابِ فِي شِعْر الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الزَّبِيْدِيّ، مُحمَّد مُرْتَضَى، (ت١٢٠٥هــ/١٧٩٠م)، **تَاجُ الْعَرُوس مِنْ جَوَاهِر الْقَامُوس**،(د. ط)، ١٠م، دَار لِيبيَا للنَّشْر وَالتَّوْزِيع، بنغازي، طُبِعَ بمطابع دَار صَادِر، بَيْرُوت، ١٩٦٦م.

ــ الزّرو، نَوَّاف جَوْدَتْ، (١٩٩١م)، **الْقُدْسُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ مُخَطَّطَاتِ التَّهْوِيدِ الصُّهيُونِيَّةِ وَمَسِيرَةِ النِّضَالِ وَالتَّصَدِّي الْفِلَسْطِينِيَّةِ**، (ط١)، عمَّان: دَار الخَوَاجَا للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أَبُو زريق، فُؤَاد سَلِيم، (٢٠٠٠م)، **الأَدَبُ الصُّهيُونِيُّ وَتَضْلِيلُ الرَّأْيِ الْعَامِّ ــ دِرَاسَةٌ**، (د. ط)، دِمَشق: مَنْشُورات اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب.

ــ الزُّعْبيّ، د. أَحْمَد مُحمَّد، (١٩٩٥م)، **التَّنَاصُ نَظرِيًّا وَتَطْبِيقِيًّا ــ مُقدِّمَةٌ نَظرِيَّةٌ مــع دِرَاسَــةٍ تَطْبِيقِيَّةٍ لِلتَّنَاصِّ فِي رِوَايَةِ "رُؤْيَا" لِهَاشِمِ غَرَايْبَة وَقَصِيدَةِ "رَايَةِ الْقَلْــبِ" لإِبْــرَاهِيم نَــصْرِ الله**، (ط١)، إرْبِد: مَكْتَبَة الكتَّانيّ.

ــ الزُّعْبيّ، د. أَحْمَد مُحمَّد، (٢٠٠٩م)، الشِّعْرُ فِي فِلَسْطِينَ وَالأُرْدُنِّ (١٩٥٠ – ٢٠٠٠م). فِــي: د. إِبْرَاهِيم خَلِيل وَ د. مُحمَّد عبيد الله وَ د. شُكْري عَزِيز مَاضِي وَ د. سَمِير قَطَامِي، مُرَاجَعَــة وَتَقْدِيم: أ. د. صَلاح جَرَّار، **مَعَالِمُ الْحَيَاةِ الأَدَبِيَّةِ فِي فِلَــسْطِينَ وَالأُرْدُنِّ (١٩٥٠ – ٢٠٠٠م)**، (ص: ٩٥ – ٢٧٢)، (ط١)، عمَّان: عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَــات وَالنَّشْر.

ــ الزُّعْبيّ، أ. د. زِيَاد، (٢٠٠٧م)، **الْمُثَاقَفَةُ وَتَحَوُّلاتُ الْمُصْطَلَح ــ دِرَاسَةٌ فِي الْمُصْطَلَح النَّقْدِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ**، (ط١)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة.

ــ زَغْلُول، لُطْفِي، (أكتُوبر٢٠٠٣م)، **انْتِمَاءٌ ــ مَقَالاتٌ مُخْتَارَةٌ فِي التَّرْبِيَةِ وَالأَدَبِ وَالاجْتِمَــاع**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ زَغْلُول، لُطْفِي، (إبريل٢٠٠٥م)، **الْقُــدْسُ ــ حَقٌّ وَرَاءَهُ مطَالِب**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ أَبُو زَكَرِيَّا، يَحْيَى، (سِبتمْبر٢٠٠٣م)، **الْغَارَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ الْكُبْرَى عَلَى الْعَالَمِ الإِسْلامِيِّ**، (طبعــة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِري للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ زَيْتُون، صَفَاء حُسَيْن، (١٩٨٢م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا: المَذْبَحَة ١٦-١٧-١٨ أَيْلُول ١٩٨٢**، (د. ط)، (د. م): (د. ن).

ــ زين الدِّين، ثَائِر، (١٩٩٩م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ ــ دِرَاسَــةٌ**، (د. ط)، دِمَشق: مَنْشُورات اتِّحَاد الكُتَّاب العرَب.

ــ السَّارِيسِيّ، د. عُمَر عبد الرَّحْمَن، (د. ت)، **الشِّعْرُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ ــ الْمُؤَثِّرَاتُ وَالظَّوَاهِرُ ١٣٢ ــ ٦٥٦هــ**، (ط١)، عمَّان وَالكُوَيْت: مَكْتَبة الفَلاح للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ ستيتكيفِيتش، د. سُوزَان بينكنِي، (١٩٩٨م)، **أدَبُ السِّيَاسَةِ وَسِيَاسَةُ الأَدَبِ**، تَرْجَمة وَتَقْدِيم: د. حَسَن البَنَّا عزّ الدِّين، (د. ط)، القَاهِرة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ سِرَاج، د. سَعِيد، (١٩٨٦م)، **الرَّأْيُ الْعَامُّ ــ مُقَوِّمَاتُهُ وَأَثَرُهُ فِي النُّظُمِ السِّيَاسِيَّةِ الْمُعَاصِــرَةِ**، (ط٢)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ السَّعَافِين، أ. د. إِبْرَاهِيم، (٢٠٠٧م)، **لَهَبُ التَّحَوُّلاتِ ــ دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَــدِيثِ**، (ط١)، دبي: دَار العَالَم العَرَبيّ للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ سَعْد الله، د. مُحمَّد سَالِم، (٢٠٠٧م)، **أَنْسَنَةُ النَّصِّ ــ مَــسَارَاتٌ مَعْرِفِيَّــةٌ مُعَاصِــرَةٌ**، (ط١)، عمَّان: جدارا للكِتَاب العَالَميّ وَإِرْبِد: عَالَم الكُتُب الحَدِيث.

ــ السَّعْدَاوِيّ، د. نَوَال، (٢٠٠٢م)، **قضَايَا الْمَرْأَةِ وَالْفِكْرِ وَالــسِّيَاسَةِ**، (ط١)، القَــاهِرة: مَكْتَبَــة مَدْبُولِي.

ــ سَعِيد، إِدْوَارد، (٢٠٠٥م)، **الثَّقَافَةُ وَالْمُقَاوَمَةُ**، حَاوَرَهُ: دَايفِيد بَارسَاميَان، تَرْجَمة: عَلاء الدِّين أَبُو زِينَة، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب.

ــ سَعِيد، إدْوَارد، (١٩٩٦م)، **صُوَرُ الْمُثَقَّفِ ــ مُحَاضَرَاتُ ريث سنة (١٩٩٣م)**، نقله إلى العَرَبِيَّة: غسَّان غصن، رَاجَعته: مُنَى أنِيس، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار النَّهَار للنَّشْر.

ــ سكري، رَفِيق، (١٩٩١م)، **دِرَاسَةٌ فِي الرَّأي الْعَامِّ وَالإعْلامِ وَالدِّعَايَةِ**، (ط١)، طَرَابلس: جروس برس.

ــ سُلْطَان، د. مُنِير، (١٩٩٣م)، **الْبَدِيعُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ التَّشْبِيهُ وَالْمَجَازُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: مُنْشَأة المَعَارف.

ــ سمرين، د. رَجَا، (١٩٨٣م)، **الشِّعْرُ الْفِلَسْطِينِيُّ فِي مَعْرَكَةِ بَيْرُوت**، (ط١)، الكُويْت: الاتِّحَاد العَامّ للكُتَّاب وَالصَّحفيِّين الفلسطينيِّين.

ــ سميسم، أ. د. حَمِيدة، (٢٠٠٢م)، **الرَّأيُ الْعَامُّ وَطُرُقُ قِيَاسِهِ**، (د. ط)، عمَّان: دَار وَمَكْتَبَة الحَامِد للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ سُوسَة، د. أحْمَد، (د. ت)، **تَاريخُ حَضَارَةِ وَادِي الرَّافِدَيْنِ**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة الرّيّ العِرَاقيَّة.

ــ السَّوَّاح، فِرَاس، (٢٠٠٢م)، **جلجامش ــ مَلْحَمَةُ الرَّافِدَيْنِ الْخَالِدَةُ**، (ط٢)، دِمَشق: مَنْشُورَات عَلاء الدِّين.

ــ السَّوَّاح، فِرَاس، (١٩٩٦م)، **لُغْز عِشْتَار ــ الأُلُوهَةُ الْمُؤَنَّثَةُ وَأُصُولُ الدِّين وَالأُسْطُورَةِ**، (ط٦)، دِمَشق: دَار عَلاء الدِّين.

ــ السّيوفيّ، أ. د. مُصْطَفى، (٢٠٠٨م)، **أمَرَاءُ الشِّعْر فِي دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاس**، (ط١)، القَاهِرة: الدَّار الدَّوْلِيَّة للاستثمارات الثَّقَافيَّة ش. م. م.

ــ السَّيَّاب، بَدْر شَاكِر، (١٩٧١م)، **دِيوَان بَدْر شَاكِر السَّيَّاب**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار العَوْدَة.

ـ السَّيِّد، أ. د. السَّيِّد عبد العَاطِي، (٢٠٠٣م)، **الْمُجْتَمَعُ وَالثَّقَافَةُ وَالشَّخْصِيَّةُ ـ دِرَاسَةٌ فِي عِلْمِ الاجْتِمَاعِ الثَّقَافِيِّ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: دَار المَعْرفة الجَامِعيَّة للطَّبْع وَالنَّشْر وَالتَّوزِيع.

ـ شَاحَاق، إسرَائِيل وَآخرون، (٢٠٠٣م)، **الْقَلَمُ الْجَرِيءُ ـ مُفَكِّرُونَ غَرْبِيُّونَ وَيَهُودٌ انْتَقَدُوا الصَّهَايِنَةَ**، تَرْجَمة وَتَقْدِيم: البَرَّاق عبد الهَادِي رِضَا، (د. ط)، القَاهِرة: المَجْلِس الأعْلَى للثَّقَافَة.

ـ شَاكِر، مَحْمُود مُحمَّد، (١٩٨٧م)، **الْمُتَنَبِّي ـ رِسَالَةٌ فِي الطَّرِيقِ إِلَى ثَقَافَتِنَا**، (د. ط)، القَاهِرة: مَطْبَعة المَدَنِيّ وَجدَّة: دَار المَدَنِيّ.

ـ الشَّامِيّ، د. رَشَاد عبد الله، (١٩٨٨م)، **الْفِلَسْطِينِيُّونَ وَالإِحْسَاسُ الزَّائِفُ بِالذَّنْبِ فِي الأَدَبِ الإِسْرَائِيلِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المُستَقبل العَرَبيّ.

ـ أَبُو شَاوَر، سَعْدِي، (٢٠٠٣م)، **تَطَوُّرُ الاتِّجَاهِ الْوَطَنِيِّ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ـ الشَّايب، زُهَيْر، (١٩٨٨م)، **وَصْفُ مِصْرَ**، (ط١)، القَاهِرة: مَكْتَبة مَدْبُولِي.

ـ شبلُول، أَحْمَد فَضْل، (١٩٨٤م)، **أَصْوَاتٌ مِنَ الشِّعْرِ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، الإسكندريَّة: دَار المَطْبُوعَات الجَدِيدَة.

ـ الشّرِيفِيّ، د. نِدَاء صَادِق، (٢٠١٠م)، **أُصُولُ عِلْمِ الاجْتِمَاعِ السِّيَاسِيِّ**، (د. ط)، عمَّان: جُهَيْنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ الشّعار، فَوَّاز، (١٩٩٩م)، **الشُّعَرَاءُ الْعَرَبُ**، إِشْرَاف: د. إِمِيل يَعْقُوب، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الجِيل.

ـ شعث، د. أَحْمَد جبر، (٢٠٠٢م)، **الأُسْطُورَةُ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، خَان يُونُس: مَكْتَبة القَادِسيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ شكَر، شاكِر هَادِي، (١٩٨٥م)، **الْحَيَوَانُ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَكْتَبة النَّهْضَة العَرَبِيَّة وَعَالَم الكُتُب.

ـ الشَّكْعَة، د. مُصْطَفى، (١٩٥٨م)، **فُنُونُ الشِّعْرِ فِي مُجْتَمَع الْحَمْدَانِيِّينَ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة الأنجلو المِصْريَّة.

ـ شَلَبي، د. سَعْد إسْمَاعِيل، (د. ت)، **مُقدِّمَةُ الْقَصِيدَةِ عِنْدَ أبي تَمَّامٍ وَالْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة غَريب.

ـ شلق، د. عَلِيّ، (ت٢٠٠٨م)، (١٩٨٨م)، **أثَرُ الْبَادِيَةِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ**، (ط١)، طرابلس: جروس برس.

ـ شلق، د. عَلِيّ، (١٩٧٧م)، **الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَغْدَاد: وزارة الثَّقَافَة وَالْفُنُون.

ـ الصَّاوِيّ، عبد المُنْعِم، (١٩٦٦م)، **عَنِ الثَّقَافَةِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار القَلَم.

ـ (سِبتمْبر١٩٨٣م)، **صَبْرَا وَشَاتِيلا فِي الذَّاكِرَةِ ـ مَجْمُوعَةٌ مُخْتَارَةٌ مِنَ النُّصُوصِ وَالصُّوَر**، (د. ط)، تُونس: دَار الجَنُوب للنَّشْر.

ـ الصَّغِير، د. عبد المَجِيد، (٢٠١٠م)، **المَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ فِي التَّجْرِبَةِ الإِسْلامِيَّةِ ـ قِرَاءَةٌ فِي نَشْأةِ عِلْمِ الأُصُولِ وَمَقَاصِدِ الشَّرِيعَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: رُؤْيَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ صناوي، د. سَعْدِي، (١٩٩٤م)، **مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ اجْتِمَاع الأَدَبِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر العَرَبيّ.

ـ ضَيْف، د. شَوْقِي، (١٩٨٤م)، **تَارِيخُ الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ (٦) ـ عَصْرُ الدُّوَلِ وَالإِمَارَاتِ ـ مِصْر وَالشَّام**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار المَعَارِف.

ــ ضَيْف، د. شَوْقي، (١٩٦٥م)، **الْفَنُّ وَمَذَاهِبُهُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ**، (ط٥)، مِصْر: دَار المَعَارِف.

ــ ابن طَبَاطبَا الْعَلَوِيّ، مُحمَّد بن أحْمَد، (ت٣٢٢هـ/ ٩٣٣م)، **عِيَارُ الشِّعْرِ**، (د. ط)، ١م، (تَحْقِيق وَتَعْلِيق: د. طَه الحَاجرِيّ وَ د. مُحمَّد زَغْلُول سَلام، المكْتَبة التِّجَارِيَّة الكُبْرَى، القَاهِرة، ١٩٥٦م.

ــ طَحَّان، د. مُحمَّد جَمَال، (٢٠٠٢م)، **الْمُثقَّفُ وَدِيمقرَاطِيَّةُ الْعَبِيدِ**، (ط١)، دِمَشق: الأوَائِل للنَّشْر وَالتَّوْزِيع وَالخدمات الطِّباعيَّة.

ــ الطَّرَابلسِيّ، د. أمْجَد، (١٩٩٣م)، **نَقْدُ الشِّعْرِ عِنْدَ الْعَرَبِ حَتَّى الْقَرْنِ الْخَامِسِ الْهِجْرِيِّ**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: دَار توبقال للنَّشْر.

ــ الطَّرَاونة، د. سُلَيْمَان، (١٩٩٤م)، **ابْتِهَالاتٌ ثقَافِيَّةٌ**، (ط١)، عمَّان: أزْمِنَة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الطُّرْطُوشِيّ، أبُو بَكْر مُحمَّد بن الوَلِيد الفِهْرِيّ، (ت٥٢٠هـ/ ١١٢٧م)، **سِرَاجُ الْمُلُوكِ**، (ط١)، ٢م، (حقَّقه وَضبطه وَعلَّق عليه وَوضع فهارسه: مُحمَّد فَتْحِي أبُو بَكْر)، الدَّار المِصْرِيَّة اللُّبْنانيَّة، القَاهِرة، ١٩٩٤م.

ــ الطَّريفِيّ، يُوسُف عَطَا، (٢٠٠٧م)، **شُعَرَاءُ الْعَرَبِ ــ الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ**، (ط١)، عمَّان: الأهْلِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ طَه، المُتَوكِّل، (٢٠٠٤م)، **قِرَاءَةُ الْمَحْذُوف ــ قصَائِدُ لَمْ تَنْشُرْهَا فَدْوَى طُوقَان**، (ط١)، رام الله: دَار الشُّرُوق.

ــ الطَّوِيلِيّ، د. أحْمَد، (١٩٩٣م)، **أبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَمُنْتَخَبَاتٌ**، (د. ط)، تُونس: مُؤَسَّسات عبد الكَرِيم بن عبد الله.

ــ الطَّيِّب، د. عبد الله، (١٩٧٧م)، **الطَّبيعَةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة الإعلام.

ــ العَايد، مَحْمُود سَلِيم، (١٩٣٤م)، **مَبَادِئُ التَّاريخ الْقَدِيم**، (د. ط)، عَكَّا: المَطْبَعة الوَطَنيَّة.

ــ عَبَّاس، عبد الحَلِيم، (١٩٦٨م)، **فِي السِّيَاسَةِ وَالأَدَبِ**، (ط١)، عمَّان: مَطْبَعة الجميل.

ــ عبد الجَابِر، د. سُعُود مَحْمُود، (١٩٨١م)، **الشِّعْرُ فِي رِحَابِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الرِّسَالَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ عبد الحكِيم، شَوْقِي، (١٩٨٠م)، **الْحِكَايَاتُ الشَّعْبِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ــ دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّةٌ مَيْدَانِيَّةٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار ابن خلدون.

ــ عبد الرَّحْمَن، د. حَاكِم، (٢٠٠٣م)، **بَيْنَ الْمُتَنَبِّي وَشكسبير**، (د. ط)، (د. م): المُؤلِّف.

ــ عبد الرَّحْمَن، د. عبد الهَادِي، (١٩٩٤م)، **سِحْرُ الرَّمْزِ ـــ مُخْتَارَاتٌ فِي الرَّمْزِيَّةِ وَالأُسْطُورَةِ**، (ط١)، اللاذقيَّة: دَار الحِوَار للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ عبد الرَّحْمَن، د. نَصْرَتْ، (١٩٧٧م)، **شِعْرُ الصِّرَاع مع الرُّومِ فِي ضُوءِ التَّاريخ (الْعَصْر الْعَبَّاسِيّ حتَّى نِهَايَةَ الْقرْن الرَّابع)**، (ط١)، عمَّان: مَكْتَبة الأَقْصَى.

ــ عبد الفَتَّاح، د. كَامِيلِيَا، (٢٠٠٧م)، **الْقَصِيدَةُ الْعَرَبِيَّةُ الْمُعَاصِرَةُ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي الْبِنْيَةِ الْفِكْرِيَّةِ وَالْفَنِّيَّةِ**، (د. ط) ، الإسكندريَّة: دَار المَطْبُوعات الجَامِعيَّة.

ــ عُثْمَان، سهيل وكَنْعَان، مُنِير، (١٩٦٩م)، **الْمَحْصُولُ الْفِكْرِيُّ لِلْمُتَنَبِّي**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الإرشاد للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ عَجِينَة، د. مُحمَّد، (١٩٩٤م)، **مَوْسُوعَةُ أَسَاطِيرِ الْعَرَبِ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ وَدلالاتها**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفَارَابِيّ.

ــ عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (٢٠٠١م)، **ثقافتُنا وَالتَّحَدِّي ــ خِطَابُنَا وَخِطَابُ الْعَصْرِ**، (د. ط)، دِمَشق: من مَنْشُورات اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب.

ــ العريبيّ، د. مُحمَّد، (١٩٩٥م)، **الدِّيَانَاتُ الْوَضْعِيَّةُ الْمُنْقَرِضَةُ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الفِكْر اللُّبْنانيّ.

ــ عَزَّام، عبد الوَهَّاب، (١٩٥٦م)، **ذِكْرَى أَبِي الطَّيِّبِ بَعْدَ أَلْفِ عَامٍ**، (ط٢)، مِصْر: دَار المَعَارِف.

ــ عزّ الدِّين، د. حَسَن البَنَّا، (٢٠٠٣م)، **الشِّعْرِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ**، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء وَبَيْرُوت: المركز الثَّقافيّ العربيّ.

ــ عزّ الدِّين، د. يُوسُف، (١٩٨٦م)، **التَّجْدِيدُ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ ــ بَوَاعِثُهُ النَّفْسِيَّةُ وَجُذُورُهُ الْفِكْرِيَّةُ**، (ط١)، جدَّة: النَّادِي الأدبيّ الثَّقَافيّ.

ــ عصر، د. مُحمَّد طَه، (٢٠٠٠م)، **مَفْهُومُ الإِبْدَاعِ فِي الْفِكْرِ النَّقْدِيِّ عِنْدَ الْعَرَبِ**، (ط١)، القَاهِرة: عَالَم الكُتُب.

ــ عصلة، د. أَحْمَد بَكْرِي، (٢٠٠٠م)، **الْمَوْتُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ (١٣٣٦ ــ ١٣٨٧هـ = ١٩١٧ ــ ١٩٦٧م)**، (ط١)، الكُويْت: مَنْشُورات مركز المَخْطُوطات وَالتُّرَاث وَالوَثَائِق.

ــ العلام، عزّ الدِّين، (١٩٩١م)، **السُّلْطَةُ وَالسِّيَاسَةُ فِي الأَدَبِ السُّلْطَانِيِّ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: أفريقيا الشَّرْق.

ــ علام، د. عُمَر عبد العَلِيّ، (٢٠٠٥م)، **الأُسْطُورَةُ الزَّائِفَةُ ــ رَحِيلُ الصُّهيُونِيَّةِ وَالْبَحْثُ عَنْ بَدِيلٍ (دِرَاسَةٌ فِي الأَدَبِ الإِسْرَائِيلِيِّ)**، (ط١)، القَاهِرة: دَار العُلُوم للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ عليَّان، د. مُحمَّد شحَادة، (١٩٨٧م)، **الْجَانِبُ الاجْتِمَاعِيُّ فِي الشِّعْرِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار الفِكْر للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ علِيّ، د. عبد الرِّضَا، (١٩٩٥م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ ـ الْقِنَاعُ، التَّوْلِيفُ، الأُصُولُ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ـ أبُو علِيّ القَالِيّ، إسْمَاعِيل بن القَاسِم البَغْدَادِيّ، (ت٣٥٦هـ/٩٦٧م)، **الأَمَالِي فِي لُغَةِ الْعَرَبِ**، (د. ط)، ٢م، دَار الكُتُب العِلْميَّة، بَيْرُوت، ١٩٧٨م.

ـ عمران، د. عبد اللَّطِيف، (٢٠٠٢م)، **الأَدَبُ الْعَرَبِيُّ فِي بَلاط عَضُدِ الدَّوْلَةِ الْبُوَيْهِيِّ**، (ط١)، دِمَشْق: المستشاريَّة الثَّقافيَّة لإيرَان.

ـ العمراويّ، أحْمَد، (٢٠٠٧م)، **يَقُولُ الشَّاعِرُ ـ دِرَاسَاتٌ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ**، (ط١)، الرِّبَاط: دَار الأمَان للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـ عَمْرو بن كُلْثُوم، (ت٣٩ق.هـ/٥٨٤م)، **الدِّيوَانُ**، (ط١)، ١م، (جمعه وَحقَّقه وَشرحه: د. إمِيل بَدِيع يَعْقُوب)، دَار الكِتَاب العَرَبيّ، بَيْرُوت، ١٩٩١م.

ـ العَمِيدِيّ، أبُو سَعْد مُحمَّد بن أحْمَد، (ت٤٣٣هـ/١٠٤١م)، **الإِبَانَةُ عَنْ سَرِقاتِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، ١م، (تَقْدِيم وَتَحْقِيق وَشَرْح: إبْرَاهِيم الدّسوقيّ البساطيّ)، دَار المَعَارِف، القَاهِرة، ١٩٦١م.

ـ العنابي، د. زهر، (٢٠٠٣م)، **مُوازَنة بين نِزَار قبَّاني وَمَحْمُود دَرْوِيش في تَحلِيل خِطَاب شعريَّة الحداثيّ**، (ط١)، إربد: الرُّومانتيك للأبْحَاث وَالدِّرَاسات.

ـ العنابي، د. زهر، (٢٠٠٤م)، **النَّصُّ الشِّعْرِيُّ الْمُعَاصِرُ ـ قِرَاءَةٌ وَتَأوِيلٌ**، (ط١)، إرْبِد: الرُّومَانتِيك للأبْحَاث وَالدِّرَاسَات.

ــ عوَض، د. إبْرَاهِيم، (١٩٨٧م)، **لُغَةُ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ**، (د. ط)، القَاهِرة: مَطْبَعة الشَّبَاب الحُرّ وَمكتبتها.

ــ أَبُو عَوَّاد، إبْرَاهِيم، (٢٠٠٩م)، **مَدْخَلٌ إِلَى عِلْمِ اجْتِمَاعِ الْقَصِيدَةِ**، (ط١)، عمَّان: دَار اليَازُورِيّ العِلْمِيَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ عوَّاد، المُقدّم الدُّكتور علِيّ، (١٩٩٣م)، **الدِّعَايَةُ وَالرَّأْيُ الْعَامُّ ــ مَضْمُون وَنَمَاذِج من الحَرْب في لُبْنَان وَالخَلِيج ــ تَجَارِبُ دَوْلِيَّةٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة نَزيه كُوكِي للتَّصَامِيم وَالطِّبَاعَة وَالإِعْلان.

ــ العيادِيّ، عبد العَزيز، (١٩٩٤م)، **مِيشَال فُوكُو ــ الْمَعْرِفَةُ وَالسُّلْطَةُ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ غَانِم، د. مُحمَّد حسَن، (٢٠٠٤م)، **السُّلْطَةُ وَالمِصْرِيُّونَ الْمُعَاصِرُونَ ــ سِلْسِلَةُ الثَّقَافَةِ النَّفْسِيَّةِ لِلْجَمِيعِ ــ العَدَد ٢**، (د. ط)، الإسكندريَّة: المَكْتَبة المِصْرِيَّة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ غليون، د. بُرْهَان، (١٩٨٥م)، **اغْتِيَالُ الْعَقْلِ الْعَرَبِيِّ ــ مِحْنَةُ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَيْنَ السَّلَفِيَّةِ وَالتَّبَعِيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار التَّنْوِير للطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ــ غليون، د. بُرْهَان، (٢٠٠٣م)، **الْمِحْنَةُ الْعَرَبِيَّةُ: الدَّوْلَةُ ضِدّ الأُمَّةِ**، (ط٣)، بَيْرُوت: مركز دِرَاسَات الوحدة العَرَبِيَّة.

ــ غيربر، هـ. أ، (١٩٧٦م)، **أَسَاطِيرُ الإِغْرِيق وَالرُّومَان**، تَرْجَمة: حُسْنِي فَرِيز، (د. ط)، عمَّان: دَائِرَة الثَّقَافَة وَالفُنُون.

ــ غِيل، بِيتر وَبُونتُون، جِيفري، (١٩٩٧م)، **مُقَدِّمَةٌ فِي عِلْمِ السِّيَاسَةِ**، تَرْجَمَة: د. مُحمَّد المَصَالحة، (ط٢)، عمَّان: مَنْشُورات الجَامِعَة الأَرْدنيَّة ــ عَمَادَة البَحْث العِلْميِّ.

ــ فُؤَاد، د. نعمات أَحْمَد، (١٩٨٥م)، **صِنَاعَةُ الْجَهْلِ ــ كِتَابٌ فِي السِّيَاسَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار المُستَقبل العَرَبيّ.

ــ ابن فَارِس، أَبُو الحُسيْن أَحْمَد بن زَكَرِيَّا، (ت٣٩٥هــ/ ١٠٠٤م)، **مُعْجَمُ مقَاييس اللُّغَــةِ**، (د. ط)، ٦م، (تَحْقِيق: عبد السَّلام هَارُون)، دَار الفِكْر، بَيْرُوت، ١٩٧٩م.

ــ فَتُّوح، د. سُلَيْمَان مُحيي الدِّين، (١٩٩٧)م، **الْيَهُودُ وَالْقُدْسُ ــ دِرَاسَةٌ تَارِيخِيَّـــةٌ للادِّعَـــاءَاتِ الصُّهْيُونيَّةِ وَمُمَارَسَاتِهَا فِي الْمَدِينَةِ**، تَقْدِيم: أ. د. شَوْقِي عَطَا الله الجَمَل، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة زَهْرَاء الشَّرْق.

ــ فرادوارد، مُورِيس، (٢٠٠٢م)، **مَوْسُوعَةُ مَشَاهِيرِ الْعَالَمِ ــ الْجُزْءُ الْخَامِسُ: أَعْـــلامُ الْفِكْــرِ السِّيَاسِيِّ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الصَّدَاقَة.

ــ الفَرَاهِيدِيّ، أَبُو عبد الرَّحْمَن الخَلِيل بن أَحْمَد، (ت١٧٣هــ/ ٧٩١م)، **كِتَابُ الْعَــيْنِ**، (د. ط)، ٨م، (تَحْقِيق: د. مَهْدِي الْمَخْزُومِيّ وَ د. إِبْرَاهِيم السَّامِرائِيّ)، دَار وَمَكْتَبة الهلال، بَيْـــرُوت، (د. ت).

ــ فسوانَاثان، غَاوري، (٢٠٠٨م)، **السُّلْطَةُ وَالسِّيَاسَةُ وَالثَّقَافَةُ ــ حِوَارَاتٌ مـــع إِدْوَارد سَــعِيد**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الآدَاب للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ فَضْل، د. صَلَاح وَ جُمْعَة، د. حُسيْن وَ المحَادِين، د. حُسيْن وَآخَــرُون، (٢٠١٠م)، **أَسْــئِلَةُ الثَّقَافَةِ وَحُرِّيَّةِ التَّعْبِير**، مُرَاجَعَة وَتَقْدِيم: د. خَالِد الجَبْر، (ط١)، عمَّان: مُؤَسَّــسَة عبــد الحَمِيــد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسَة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ فَوْزِي، طَارِق، (٢٠٠٧م)، **عَصْرُ الْمُقَاوَمَةِ ــ الْمَفْهُومُ ــ الأَهْــدَافُ ــ الأَسَـــالِيبُ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الأَحْمَدِيّ للنَّشْر.

ــ فُوكُو، ميشِيل، (١٩٨٨م)، **جِنيَالُوجيَا الْمَعْرِفَةِ**، تَرْجَمة: أَحْمَد السّطاتي وَعبد السَّلام بنعبد العَالِي، (ط١)، الدَّار البَيْضَاء: دَار توبقال للنَّشْر.

ــ الفَيْرُوزآبَادِيّ، مَجْد الدِّين مُحمَّد بن يَعْقُوب، (ت٨١٧هـ/١٤١٥م)، **الْقَامُوسُ الْمُحِيطُ**، (د. ط)، ٤م، دَار الحَدِيث، القَاهِرة، (د. ت).

ــ القَاسِم، د. نَبيه، (٢٠٠٣م)، **الْحَرَكَةُ الشِّعْرِيَّةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ فِي بِلادِنَا مِنْ خِلالِ مَجَلَّةِ "الجَدِيد" (١٩٥٣ – ١٩٨٥م)**، (ط١)، كفر قرع: دَار الهُدَى.

ــ قَبَّاني، نِزَار، (١٩٧٥م)، **الْكِتَابَةُ عَمَلٌ انْقِلابِيٌّ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَنْشُورَات نِزَار قَبَّاني.

ــ قَرْعَاوِيّ، د. حَسَن عَلِيّ، (١٩٨٦م)، **الْحِكْمَةُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّان: دَار عمَّار.

ــ قُسطنطِين، خَمَّار، (كَانُون الأَوَّل١٩٦٤)م، **الْمُوجَزُ فِي تَارِيخ الْقَضِيَّةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَنْشُورَات المَكْتَب التِّجَارِيِّ للطِّبَاعَة وَالتَّوْزِيع وَالنَّشْر.

ــ القِفْطِيّ، الوَزِير جَمَال الدِّين عَلِيّ بن يُوسُف، (ت٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، **أَسَاسُ السِّيَاسَةِ**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: جَلِيل العَطِيَّة)، دَار الطَّلِيعَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر، بَيْرُوت، ٢٠٠٨م.

ــ قلقيلة، د. عبده عبد العَزِيز، (١٩٨٣م)، **أَبْيَاتُ الْمَعَانِي فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ أَدَبِيَّةٌ نَقْدِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ**، (ط١)، الرِّيَاض: الجَمْعيَّة العَرَبيَّة السُّعوديَّة للثَّقَافَة وَالفُنُون.

ــ القليبي، الشَّاذلي، (١٩٧٨م)، **الثَّقَافَةُ رِهَانٌ حَضَارِيٌّ**، (د. ط)، تُونس: الدَّار التُّونسيَّة للنَّشْر.

ــ القمني، د. سَيِّد، (١٩٩٢م)، **الأُسْطُورَةُ وَالتُّرَاثُ**، (ط١)، القَاهِرة: سِينَا للنَّشْر.

ــ القمودي، سَالِم، (١٩٩٩م)، **سيكُولُوجِيَّةُ السُّلْطَةِ ــ بَحْثٌ فِي الْخَصَائِص النَّفْسِيَّةِ الْمُشْتَرَكَةِ لِلسُّلْطَةِ**، (ط١)، القَاهِرة: مَكْتَبة مَدْبُولِي.

ــ قوبعة، مُحمَّد، (٢٠٠٠م)، **الرُّومنطِيقيَّةُ ومَنَابِعُ الْحَدَاثَةِ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ (الرَّابِطَةُ الْقَلَمِيَّةُ أنموذَجًا)**، (د. ط)، تُونس: جَامِعَة الآدَاب وَالفُنُون وَالعُلُوم الإنسانيَّة ــ كُلِّيَّة الآدَاب ــ منوبة.

ــ القَيْسِيّ، د. عودة الله مَنِيع، (٢٠٠٢م)، **مَنَابِعُ الشِّعْرِ وَمَكَانَةُ الشَّاعِرِ**، (ط١)، عمَّان: جمعيَّة عُمَّال المَطَابِع التَّعاوُنيَّة بدعمٍ من وزارة الثَّقَافَة.

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (١٩٩٠م)، **أوْرَاقٌ عَرَبِيَّةٌ**، (د. ط)، عمَّان: مَكْتَبة الرَّأي ــ المُؤَسَّسة الصّحفيَّة الأرْدنيَّة.

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (١٩٩٨م)، **حَمَاسَةُ الشُّهَدَاءِ ــ رُؤْيَةُ الشَّهَادَةِ وَالشَّهِيدِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ ــ دِرَاسَةٌ وَمُخْتَارَاتٌ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (١٩٨٩م)، **الرُّمُوزُ التُّرَاثِيَّةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الجِيل وَعمَّان: مَكْتَبة الرَّائِد العِلْميَّة.

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (٢٠٠٨م)، **الرَّوْنَقُ الْعَجِيبُ ــ قِرَاءَةٌ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّان: مُؤَسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (٢٠٠٩م)، **الصَّائِحُ الْمَحْكِيُّ ــ صُورَةُ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة.

ــ كلافَال، بُول، (١٩٩٠م)، **الْمَكَانُ وَالسُّلْطَةُ**، تَرْجَمة: د. عبد الأَمِير إبْرَاهِيم شَمْس الدِّين، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ كندي، مُحمَّد عَلِيّ، (٢٠٠٣م)، **الرَّمْزُ وَالْقِنَاعُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ (السَّيَّاب وَنَازِك وَالبَيَّاتِي)**، (ط١)، بَيْرُوت: دَار الكِتَاب الجَدِيد المُتَّحِدة.

ــ الكَوَاكِبِيّ، عبد الرَّحْمَن، (٢٠٠٦م)، **طَبَائِعُ الاسْتِبْدَادِ وَمَصَارِعُ الاسْتِعْبَادِ**، تَقْدِيم: أ. د. أسْـعَد السّحمراني، (ط٣)، بَيْرُوت: دَار النَّفَائِس.

ــ كُورتوا، ج، (١٩٥٩م)، **فَنُّ الْقِيَادَةِ**، تَعْرِيب: النَّقِيب الهَيْثَم الأيُّوبِيّ، (د. ط)، دِمَشق: المَطْبَعة الهَاشِمِيَّة، من مَنْشُورات قِيَادَة الجَيْش الأوَّل ــ الشُّعْبَة الثَّالِثة ــ فرع التَّدْرِيب.

ــ كُوش، دُونِي، (٢٠٠٢م)، **مَفْهُومُ الثَّقَافَةِ فِي الْعُلُومِ الاجْتِمَاعِيَّةِ**، تَرْجَمَة: د. قَاسِم المقداد، (د. ط)، دِمَشق: اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب.

ــ الكُوفحِيّ، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٧م)، **مِحْنَةُ الْمُبْدِع ــ دِرَاسَاتٌ فِي صِيَاغَةِ اللُّغَةِ الـشِّعْرِيَّةِ**، (د. ط)، عمَّان: أمَانَة عمَّان.

ــ كِيوَان، د. عبد العَاطِي، (١٩٩٨م)، **جَانِبُ الثَّوْرَةِ وَالْعَقِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (ط١)، الفَيُّوم: دَار العُلُوم للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ لانجر، وليم، (د. ت)، **مَوْسُوعَةُ تَارِيخ الْعَالَم**، تَرْجَمَة: د. مُحمَّد مُصْطَفى زِيَـادة، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة النَّهْضَة المِصْرِيَّة.

ــ اللبدي، أيْمَن، (أغسطس٢٠٠٣م)، **فِي الشِّعْرِيَّةِ وَالشَّاعِرِيَّةِ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ اللبدي، أيْمَن، (يُوليُو٢٠٠٣م)، **مَسَائِلُ أسَاسِيَّةٌ حَوْلَ الـشِّعْرِ الْعَرَبِـيِّ الْمُعَاصِـرِ**، (طبعـة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ اللبدي، أيْمَن، (يُونيُو٢٠٠٤م)، **الْمُوسِيقَى الدَّاخِلِيَّةُ فِي النَّصِّ الأدَبِيِّ وَأزْمَةُ قَـصِيدَةِ النَّثْـرِ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ لَبِيب، د. الطَّاهِر، (١٩٧٨م)، **سُوسيُولُوجِيَّةُ الثَّقَافَةِ**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار غَرِيب للطِّبَاعَة.

ــ لُطْفِي، عبد المَجِيد، (١٩٧٧م)، **الْمُتَنَبِّي ــ فَارِسُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ**، (د. ط)، بَغْدَاد: دار الحُرِّيَّة للطِّبَاعَة.

ــ الْمَاجِدِيّ، خَزْعَل، (١٩٩٩م)، **الدِّينُ الْمِصْرِيُّ**، (ط١)، عمَّان: دَار الشُّرُوق.

ــ المُتَنَبِّي، أحْمَد بن الحُسيْن بن الحَسَن بن عبد الصَّمَد، (٢٠٠٧م)، **شَرْحُ دِيوَانِ الْمُتَنَبِّي**، وضعه: عبد الرَّحْمَن البَرْقُوقِيّ، (ط٢)، بَيْرُوت: دَار الكُتُب العِلْميَّة.

ــ المَجَالِيّ، أ. د. جِهَاد شَاهِر، (٢٠٠٨م)، **دِرَاسَاتٌ فِي الإِبْدَاعِ الْفَنِّيِّ فِي الشِّعْرِ ــ رُؤَى النُّقَّادِ الْعَرَبِ فِي ضَوْءِ عِلْمِ النَّفْسِ الأَدَبِيِّ وَالنَّقْدِ الْحَدِيثِ**، (ط١)، عمَّان: دَار يَافَا العِلْميَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ مَجْمُوعة كُتَّاب، (١٩٩٩م)، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ الْمُخْتَلِفُ الْحَقِيقِيُّ: دِرَاسَاتٌ وَشَهَادَاتٌ**، (ط١)، عمَّان: دَار الشُّرُوق للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ المَحَاسِنِيّ، د. زَكِي، (١٩٦١م)، **الْمُتَنَبِّي ــ نَوَابِغُ الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ ١٥**، (د. ط)، مِصْر: دَار المَعَارِف.

ــ مُحمَّد، د. إِبْرَاهِيم عبد الرَّحْمَن، (١٩٩٧م)، **مَنَاهِجُ نَقْدِ الشِّعْرِ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: مَكْتَبة لُبْنَان نَاشِرُون وَمِصْر: الشَّرِكة المِصْرِيَّة العالميَّة للنَّشْر ــ لُونجمَان.

ــ مُحمَّد، عبد الحَفِيظ، (كَانُون أوَّل١٩٨٢م)، **الْمَذْبَحَةُ ــ بَيْرُوت، صَبْرَا وَشَاتِيلا، غَزْو لُبْنَان، وَأَطْوَل حَرْب عَرَبِيَّة إسرائيليَّة بين الفلسطينيِّين وَاللُّبْنَانيِّين وإِسْرَائِيل**، (ط١)، عمَّان: جَرِيدة أَخْبَار الأُسْبُوع.

ــ مَحْمُود، د. حُسْنِي، (١٩٨٤م)، **شِعْرُ الْمُقَاوَمَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ ــ دَوْرُهُ وَوَاقِعُهُ فِي عَهْدِ الانْتِدَابِ (الْجُزْءُ الثَّانِي: فِي الأَرْضِ الْمُحْتَلَّةِ مِنْ ١٩٤٨م ــ ١٩٦٧م)**، الزَّرْقَاء وَعمَّان: الوكالة العَرَبيَّة للتَّوْزِيع.

ــ مَحْمُود، د. مُصْطَفى مُرْتَضَى عَلِيّ، (١٩٩٨م)، **الْمُثَقَّفُ وَالسُّلْطَةُ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ لِوَضْعِ الْمُثَقَّفِ الْمِصْرِيِّ فِي الْفَتْرَةِ مِنْ ١٩٧٠ ــ ١٩٩٥م**، (د. ط)، القَاهِرة: دَار قباء للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ مَدْبُولِي، د. جَلال، (١٩٧٩م)، **الاجْتِمَاعُ الثَّقَافِيُّ**، (ط١)، القَاهِرة: دَار الثَّقَافَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر.

ــ امرؤ القَيْس بن حجر بن الحَارث الْكِنْدِيّ، (ت٨٠ ق. هــ/٥٤٤م)، **الــدِّيوَانُ**، (د. ط)، ١م، دَار صَادِر، بَيْرُوت، (د. ت).

ــ المسيري، د. عبد الوَهَّاب، (٢٠٠٢م)، **الصُّهْيُونِيَّةُ وَالْعُنْفُ ... مِنْ بِدَايَــةِ الاسْــتِيطَانِ إِلَــى انْتِفَاضَةِ الأَقصَى**، (ط٢)، القَاهِرة: دَار الشُّرُوق.

ــ المسيري، د. عبد الوَهَّاب، (٢٠٠١م)، **الصُّهْيُونِيَّةُ وَالنَّازِيَّةُ وَنِهَايَةُ التَّارِيخِ**، تَقْدِيم: أ. مُحمَّــد حَسَنِين هَيْكَل، (ط٣)، القَاهِرة: دَار الشُّرُوق.

ــ المغربيّ، د. سَعْد، (١٩٩٣م)، **الإِنْسَانُ وَقَضَايَاهُ النَّفْسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ**، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئَة المِصْرِيَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ مفرج، جَمَال، (٢٠٠٣م)، **نِيتشه الْفَيْلَسُوفُ الْحَائِرُ**، (د. ط)، بَيْرُوت: أفريقيا الشَّرْق.

ــ ابن المُقَفَّع، أَبُو مُحمَّد عبد الله داذويه، (ت١٤١هــ/ ٧٥٩م)، **آثَارُ ابْنِ الْمُقَفَّــعِ**، (ط١)، ١م، (قدَّمه للطَّبْع وَأشرف عليه: عُمَر أَبُو النَّصْر)، مَنْشُورات دَار مَكْتَبة الحَيَاة، بَيْرُوت، ١٩٦٦م.

ــ ابن المُقَفَّع، أَبُو مُحمَّد عبد الله داذويه، (ت١٤١هــ/ ٧٥٩م)، **الــدُّرَّةُ الْيَتِيمَــةُ**، (د. ط)، ١م، (قدَّم لها وَضبطها وَشرحها: أَحْمَد رِفْعَتْ البدراويّ)، دَار النَّجَاح للطِّبَاعَــة وَالنَّــشْر وَالتَّــأْلِيف، بَيْرُوت، ١٩٧٤م.

ــ ملحس، ثُرَيَّا عبد الفَتَّاح، (١٩٧٠م)، **مُقدِّمَةُ الأدَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ الْمُعَاصِرِ فِي الْمَعْرَكَةِ**، (د. م): (د. ن).

ــ المليك، صَلاح الدِّين، (١٩٧٠م)، **صُوَرٌ مِنَ الأدَبِ الْعَرَبِيِّ**، (ط١)، الخرطوم: الدَّار السُّودانيَّة.

ــ أَبُو مَنْصُور الأزْهَرِيّ، مُحمَّد بن أَحْمَد الهرويّ، (ت٣٧٠هـ/٩٨٠م)، **تَهْذِيبُ اللُّغَــةِ**، (ط١)، ١٥م، (تَحْقِيق: مُحمَّد عَوَض مرعب)، دَار إِحْيَاء التُّرَاث العَرَبِيِّ، بَيْرُوت، ٢٠٠١م.

ــ ابن مَنْظُور، أَبُو الفَضْل جَمَال الدِّين مُحمَّد بن مكرم، (ت٧١١هـ/١٣١١م)، **لِسَانُ الْعَــرَبِ**، (ط١)، ١٥م، دَار صَادِر، بَيْرُوت، (د. ت).

ــ مُنِير، د. وَلِيد، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، **نَصُّ الْهُوِيَّةِ ــ قِرَاءَةٌ فِــي "مَحْمُــود دَرْوِيــش"**، (ط١)، القَاهِرة: الهَيْئَة العَامَّة لِقُصُور الثَّقَافَة.

ــ مُنِيف، عبد الرَّحْمَن، (٢٠٠٣م)، **بَيْنَ الثَّقَافَةِ وَالسِّيَاسَةِ**، (ط٣)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّــة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالدَّار البَيْضَاء: المركز الثَّقافيّ العربيّ للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ مُوسَى، حُسيْن، (٢٠٠٩م)، **مِيشَال فُوكُو ــ الْفَرْدُ وَالْمُجْتَمَعُ**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار التَّنْــوِير للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الموسويّ، مُحْسِن جَاسِم، (٢٠٠٥م)، **النَّظَرِيَّةُ وَالنَّقْدُ الثَّقَــافِيُّ**، (ط١)، بَيْــرُوت: المُؤَسَّــسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ المُومنِيّ، د. قَاسِم، (٢٠٠٢م)، **شِعْرِيَّةُ الشِّعْر**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَــات وَالنَّشْر.

ــ مُونتَانيُون، الزَّعِيم أندري، (١٩٥٥م)، **رسَالَةٌ فِي الرِّئَاسَةِ وَالرَّئِيس**، تَعْرِيب: لُويس الحَــاجّ، (ط١)، بَيْرُوت: دَار المَكْشُوف.

ــ النَّابِغَة الذُّبْيَانِيّ، زِيَاد بن مُعَاوية بن ضباب، (ت١٨ق. هــ/٦٠٥م)، **دِيوَانُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِيِّ**، (ط٢)، ١م، (تَحْقِيق: مُحمَّد أَبُو الفَضْل إِبْرَاهِيم)، دَار المَعَارِف، القَاهِرَة، ١٩٨٥م.

ــ النَّابلسِيّ، شَاكِر، (١٩٨٥م)، **فَدْوَى تَشْتَبِكُ مع الشِّعْر ــ دِرَاسَــةٌ نَقْدِيَّــةٌ لِــشِعْرِ الــشَّاعِرَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فَدْوَى طُوقَان**، (ط٢)، جدَّة: الدَّار السُّعوديَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ نَاصِر، د. إِبْرَاهِيم، (١٩٨٥م)، **الإنثرُوبُولُوجيَا الثَّقَافِيَّةُ ــ عِلْــمُ الإِنْــسَانِ الثَّقَــافِيُّ**، (ط٢)، عمَّان: جمعيَّة عُمَّال المَطَابِع التَّعاوُنيَّة، نُشِرَ بدعمٍ من الجَامِعَة الأُرْدنيَّة.

ــ نَاصِف، د. مُصْطَفى، (١٩٦٥م)، **مُشْكِلَةُ المَعْنَى فِي النَّقْدِ الحَــدِيثِ**، (د. ط)، مِصْر: مَكْتَبَــة الشَّبَاب.

ــ نَافِع، أ. د. عبد الفَتَّاح، (٢٠٠٨م)، **الشِّعْرُ العَبَّاسِيُّ ــ قضَايَا وَظَوَاهِرُ**، (ط١)، عمَّــان: دَار جَرِير للنَّشْر.

ــ نَافِع، أ. د. عبد الفَتَّاح، (١٩٨٣م)، **لُغَةُ الحُبِّ في شِعْرِ المُتَنَبِّي**، (ط١)، عمَّــان: دَار الفِكْــر للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ النَّجَّار، د. مُصْلِح، (٢٠٠٧م)، **التَّرْكِيبُ اللُّغَوِيُّ لِلصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ عِنْدَ مَحْمُود دَرْوِيــش**، (د. ط)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة.

ــ نَصْر الله، فُؤَاد، (٢٠٠٧م)، **تَجَلِّيَاتُ العَوْلَمَةِ الثَّقَافِيَّةِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ـــ مُقَارَبَــةٌ حَضَارِيَّةٌ أَدَبِيَّةٌ (١٩٩٥ – ٢٠٠٤م)**، (ط١)، بَيْرُوت: مُؤَسَّسة الانتشار العَرَبِيّ.

ــ نُعْمَان، د. أَحْمَد، (١٩٩٦م)، **هَذِي هِيَ الثَّقَافَةُ**، (د. ط)، الجَزَائِر: شَرِكَة دَار الأُمَّة للطِّبَاعَــة وَالتَّرْجَمة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ نعمة، حَسَن، (١٩٩٤م)، **مِيثُولُوجيَا وَأَسَاطِيرُ الشُّعُوبِ الْقَدِيمَةِ**، (د. ط)، بَيْرُوت: دَار الفِكْــر اللُّبْنانيّ.

ـــ النّعيميّ، د. أحْمَد، (٢٠٠٨م)، **الآفَاقُ الإِنْسَانِيَّةُ فِــي الأدَبِ وَالْفِكْــر**، (د. ط)، عمَّــان: دَار اليَازُوريّ العِلْميَّة للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ النّعيميّ، د. أحْمَد، (١٩٩٥م)، **الأسْطُورَةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ قَبْلَ الإِسْــلامِ**، (ط١)، القَــاهِرة: سِينَا للنَّشْر.

ـــ نغرين، جيُووَايد، (٢٠٠٥م)، **الزَّنْدَقَةُ: مَانِي وَالْمَانويَّةُ**، نقله إلى العَرَبيَّــة وَقَــدَّم لَــه وَزاده بِالمَلاحِق: أ. د. سهيل زكار، (د. ط)، دِمَشق: دَار التَّكْوين للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ـــ النّهيريّ، مُصْطَفى (د. ت)، **الْكَاتِبُ الْمُتَمَرِّدُ ـــ دِرَاسَاتٌ فِكْرِيَّةٌ فِي الإِنْــسَانِ وَالأدَبِ وَالْقِــيَمِ وَالاجْتِمَاع وَالصّحَافَةِ وَالْهَيْمَنَةِ**، (د. ط)، الدَّار البَيْضَاء: دَار الطِّبَاعَة الحَدِيثَة.

ـــ النُّوري، د. قَيْس، (١٩٨١م)، **الأَسَاطِيرُ وَعِلْمُ الأَجْنَاس**، (د. ط)، بَغْدَاد: وزارة التَّعْليم العالي وَالبَحْث العلميّ.

ـــ نُويل، جَان بيلمَان، (١٩٩٧م)، **التَّحْلِيلُ النَّفْسِيُّ للأدَبِ**، تَرْجَمَــة: حَــسَن المــودن، (د. ط)، مِصْر: المَجْلِس الأعْلَى للثَّقَافَة.

ـــ نِيلسن، دِيتلف وَآخرون، (١٩٥٨م)، **التَّارِيخُ الْعَرَبِيُّ الْقَدِيمُ**، تَرْجَمَة: فُــؤَاد حَــسَنين عَلِــيّ، مُرَاجَعة: د. زَكِي مُحمَّد حَسَن، (د. ط)، القَاهِرة: مَكْتَبة النَّهْضَة المِصْريَّة.

ـــ النّيهُوم، الصَّادِق، (٢٠٠٢م)، **أَسْئِلَةٌ ـــ مَكْتَبَةُ النّيهوم ـــ سِلْسِلَةُ مَقَالاتٍ (٢)**، (ط١)، المَاية ـــ لِيبيَا: تَالَة للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَبَيْرُوت: مُؤَسَّسة الانتشار العَرَبيّ.

ــ الهَاشِم، جُوزف، (١٩٦٦م)، **أَبُو الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ وَنُصُوصٌ**، (ط٣)، بَيْرُوت: المَكْتَب التِّجارِيّ للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ هَدَّارَة، د. مُحمَّد مُصْطَفى، (١٩٨١م)، **مُشْكِلَةُ السَّرِقاتِ الشِّعْرِيَّةِ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ ــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ مُقَارِنَةٌ**، (ط٣)، بَيْرُوت وَدِمَشق: المَكْتَب الإسلاميّ.

ــ أَبُو هِلال الْعَسْكَرِيّ، الحَسَن بن عبد الله بن سَهْل، (ت٣٩٥هـ/ ١٠٠٥م)، **كِتَابُ الصِّنَاعَتَيْنِ ــ الكِتَابَة وَالشِّعْر**، (ط١)، ١م، (تَحْقِيق: عَلِيّ مُحمَّد البجاوي وَمُحمَّد أَبُو الفَضْل إبْرَاهِيم)، دَار إحياء الكُتُب العَرَبِيَّة ــ عِيسَى البَابِي الحَلَبِيّ وَشُرَكَاه، القَاهِرة، ١٩٥٢م.

ــ هَلسَا، غَالِب، (٢٠٠١م)، **الْهَارِبُونَ مِنَ الْحُرِّيَّةِ**، إعْدَاد وَتَقْدِيم: نَاهِض حتر، (ط١)، دِمَشق: دَار المَدَى للثَّقَافَة وَالنَّشْر.

ــ هُوغ، ج. ب. وَلِيفِيك، د. وَمُورَان، ا. بِالتَّعاوُن مع لُوبيز، ب. وَغُونزَالز، (١٩٩١م)، **الْجَمَاعَةُ السُّلْطَةُ وَالاتِّصَالُ**، تَرْجَمة: د. نظر جَاهِل، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة الجَامِعيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ أَبُو هيف، د. عبد الله، (٢٠٠٤م)، **قِنَاعُ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ هَيْكَل، مُحمَّد حَسَنِين، (٢٠٠٣م)، **كَلامٌ فِي السِّيَاسَةِ ــ نِهَايَاتُ طُرُقٍ: "الْعَرَبِيُّ التَّائِهُ" ٢٠٠١م**، (ط٤)، القَاهِرة: الشَّرِكة المِصْرِيَّة للنَّشْر العَرَبِيِّ وَالدَّوْلِيِّ.

ــ الوَاد، د. حُسَيْن، (١٩٩١م)، **الْمُتَنَبِّي وَالتَّجْرِبَةُ الْجَمَالِيَّةُ عِنْدَ الْعَرَبِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المُؤَسَّسة العَرَبِيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر وَتُونس: دَار سحنون للنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ الوَاد، د. حُسَيْن، (١٩٩٢م)، **مَدْخَلٌ إِلَى شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، (د. ط)، تُونس: دَار الجَنُوب للنَّشْر.

ــ ولد أباه، د. السَّيِّد، (٢٠٠٤م)، **التَّارِيخُ وَالْحَقِيقَةُ لَدَى مِيشِيل فُوكُو**، (ط٢)، بَيْرُوت: الدَّار العَرَبيَّة للعُلُوم.

ــ ولد القابلة، إدْريس، (يُوليُو/ تمُّوز ٢٠٠٤م)، **الْفَسَادُ وَالشَّقَافِيَّةُ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِرِي للنَّشْر الإلكترونيِّ (www.nashiri.net).

ــ وليَامز، رَايمُوند، (١٩٨٦م)، **الثَّقَافَةُ وَالْمُجْتَمَعُ ١٧٨٠ ــ ١٩٥٠م**، تَرْجَمة: وَجِيه سَمْعَان، مُرَاجَعة: مُحمَّد فَتْحِي، (د. ط)، الإسكندريَّة: الهَيْئة المِصْريَّة العَامَّة للكِتَاب.

ــ وناس، المُنْصِف، (١٩٩١م)، **الدَّوْلَةُ وَالْمَسْأَلَةُ الثَّقَافِيَّةُ فِي الْمَمْلَكَةِ الْمَغْرِبِيَّةِ**، (ط١)، تُونس: المُؤَسَّسة الوَطَنيَّة للتَّرْجَمة وَالتَّحْقِيق وَالدِّرَاسَات "بَيْت الحِكْمَة".

ــ الْيَازِجِيّ، نَاصِيف، (د. ت)، **الْعُرْفُ الطَّيِّبُ فِي شَرْح دِيوَان أَبِي الطَّيِّبِ**، صَوَّب نُصُوصه وَضبطها وَقدَّم له: د. عُمَر فَارُوق الطَّبَّاع، (د. ط)، بَيْرُوت: شَرِكَة دَار الأرْقَم بن أبي الأرْقَم للطِّبَاعَة وَالنَّشْر وَالتَّوْزِيع.

ــ يَاسِين، عبد القَادِر، (٢٠٠٨م)، مَحْمُود دَرْوِيش السِّيَاسِيُّ. في: مِيشَال سَعَادة، **مَحْمُود دَرْوِيش ــ عَصِيٌّ عَلَى النِّسْيَانِ**، (ص: ١٣٥ – ١٤٦)، (ط١)، (٢٠٠٩م)، بَيْرُوت: رِيَاض الرَّيِّس للكُتُب وَالنَّشْر.

ــ يَاغِي، د. عبد الرَّحْمَن، (٢٠٠٥م)، **جولاتٌ فِي النَّقْدِ الأدَبيِّ**، (ط١)، عمَّان: وزارة الثَّقَافَة.

ــ الْيَافِيّ، د. نَعِيم، (٢٠٠٠م)، **مَرَايَا الْمُتَخَالِفِ ــ مُقَارَبَاتٌ نَقْدِيَّةٌ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ**، (ط١)، حَلَب: مركز الإنماء الحَضَارِيّ.

ــ يسين، السَّيِّد، (٢٠٠١)م، **الأُسْطُورَةُ الصُّهْيُونِيَّةُ وَالانْتِفَاضَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ**، (ط١)، القَاهِرة: مِيرِيت للنَّشْر وَالمَعْلُومَات.

ــ يَقْطِين، سَعِيد، (١٩٩٢م)، **الرِّوَايَةُ وَالتُّرَاثُ السَّرْدِيُّ ــ مِنْ أَجْلِ وَعْيٍ جَدِيدٍ بِالتُّرَاثِ**، (ط١)، بَيْرُوت: المركز الثَّقافيّ العَرَبيّ.

ــ يُوسُف، عبد البَاقِي، (يُونيُو٢٠٠٣م)، **فِقْهُ الْمَعْرِفَةِ**، (طبعة إلكترونيَّة)، الكُويْت: دَار نَاشِــرِي للنَّشْر الإلكترونيّ (www.nashiri.net).

ثانيًا: ثبَتُ الدَّوْرِيَّاتِ:

ــ (آر. إيه. بُوكَانَان)، (يُولْيُو٢٠٠٠م)، الآلَةُ قُوَّةُ وَسُلْطَةُ التِّكنُولُوجيَا وَالإِنْسَانِ مُنْذُ الْقَـرْنِ ١٧ حتَّى الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، تَرْجَمَة: شَوْقِي جَلال، **عَالَم المَعْرِفَة**، (٢٥٩)، الكُويْت: المَجْلِس الـوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ــ الآغَا، وجدان، (شِتَاء٢٠٠٨م)، ظَاهِرَةُ الْغُمُوض فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **جَرَش الثَّقَافِيَّة**، (١٠/٩).

ــ إبْرَاهِيم، السَّيِّد، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، التَّحْلِيلُ النَّفْسِيُّ الْمُعَاصِرُ وَدِرَاسَةُ الأَدَبِ، **جُذُور**، ٨(١٥).

ــ إبْرَاهِيم، السَّيِّد، (مَارس٢٠٠١م)، قِرَاءَةُ الشِّعْرِ بَيْنَ النَّظَرِيَّـةِ الـشَّكْلِيَّةِ وَآفَـاقِ الاتِّجَاهَـاتِ الأَسْلُوبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٠(٣٩).

ــ إبْرَاهِيم، السَّيِّد، (يُونيُو١٩٩٨م)، قَضَايَا النَّقْدِ الأَدَبِيِّ الْمُعَاصِرِ فِي كِتَابَاتِ عبد الله الغـذاميّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٨).

ــ أبطِي، عبد الرَّحِيم، (دِيسمْبر٢٠٠٤م)، الانْزِيَاحُ وَاللُّغَةُ الشِّعْرِيَّةُ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٤).

ــ أَحْمَد، شَرِيف بَشِير، (يُونيُو٢٠٠٥م)، النَّقْدُ وَالنَّصُّ (سُلْطَوِيَّةُ الْفِكْـرِ وَجَمَالِيَّـاتُ الـوَعْي)، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٦).

ــ أديوان، مُحمَّد، (١٩٩٥م)، مُشْكِلَةُ التَّنَاصِّ فِي النَّقْدِ الأَدَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **الأقلام**، "مجلَّـة تُعْنَـى بالأَدَب الحَدِيث"، (٤، ٥، ٦).

ــ الأَرْنَاؤُوط، عبد اللَّطِيف، (سِبتمْبر٢٠٠٤م)، تَجْرِبتي مع النَّقْدِ الأَدَبِيِّ، **عَلامَات فـي النَّقْـد**، ١٤(٥٣).

ــ الأَسْطَة، د. عَادِل، (تشرين أوّل١٩٩٧م)، إِشْكَالِيَّةُ الشَّاعِرِ وَالسِّيَاسِيِّ فِي الأَدَبِ الْفِلَسْطِينِيِّ ــ مَحْمُود دَرْوِيش نموذجًا، **مجلَّة كَنْعَان**، (٨٧).

ــ الأَسْطَة، د. عَادِل، (يَنَاير٢٠٠٥م)، الْيَهُودُ فِي رِوَايَةِ مُنِيف "أَرْض السَّوَاد" عَلَى ضُوءِ صُورَتِهِمْ فِي الأَدَبِ الْعَالَمِيِّ وَالْعَرَبِيِّ، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنْسَانيَّة، ١٣(١).

ــ إِسْمَاعِيل، سَمِيح مَحْمُود، (٢٠٠٢م)، النَّزْعَةُ السِّيَادِيَّةُ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإِنْسَانيَّة وَالاجْتِمَاعيَّة، ٢٩(١).

ــ اصطِيف، أ. د. عبد النَّبِيّ، (أيَّار٢٠٠٦م)، الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَالوَلاءُ الْفِلَسْطِينِيُّ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٤٢١).

ــ إِمَام، أ. د. إِمَام عبد الفَتَّاح، (مَارس ١٩٩٤م)، الطَّاغِيَةُ ــ دِرَاسَةٌ فَلْسَفِيَّةٌ لِصُوَرِ مِنَ الاسْتِبْدَادِ السِّيَاسِيِّ، **عَالَم المَعْرِفة**، (١٨٣)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ــ أيت مُبَارك، الحُسيْن، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، صُورَةُ الْمُتَلَقِّي فِي التُّرَاثِ النَّقْدِيِّ، **جُذُور**، ٨(١٥).

ــ إِيجلتُون، تِيري، (شِتَاء وَرَبِيع٢٠٠٤م)، صُوَرُ الثَّقَافَةِ، تَرْجَمة: سَامِح فِكْرِي، **مَجلَّة فُصُول**، (٦٣).

ــ البَازعِيّ، د. سَعْد، (مَايُو٢٠٠٩م)، قَصِيدَةُ النَّثْرِ وَعِبءُ الْمَوْرُوثِ: الْجَزِيرَةُ وَالْعَالَمُ، **أَدَب وَنَقْد**، (٢٨٥).

ــ بَاعشن، لَمْيَاء، (مَارس٢٠٠١م)، نَظَرِيَّاتٌ فِي قِرَاءَةِ النَّصِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩).

ــ بدوي، عبده، (١٩٨٤م)، طَوَاهِرُ أُسْلُوبِيَّةٌ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، **مجلَّة فُصُول**، ٤(٢).

ــ برقان، رَشِيد، (يَنَاير٢٠٠٩م)، فَنُّ الشِّعْرِ لأرسْطُو مِنْ خِلالِ التَّرْجَمَةِ وَالــشُّرُوحِ الْعَرَبِيَّــةِ، **جُذُور**، ١١(٢٧).

ــ بَرْهَم، لَطِيفَة إِبْرَاهِيم، (مَارس٢٠٠٠م)، اتِّجَاهَاتُ تَلَقِّي الشِّعْرِ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِــيِّ الْمُعَاصِــرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٥).

ــ بزاز، عبد الكَرِيم، (٢٠٠٤م)، الثَّقَافَةُ وَالتَّمْيِيزُ حسب بيَار بُورِيُو، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدرِها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٩).

ــ بقشِي، عبد القَادِر، (فبراير٢٠٠٨م)، التَّنَاصُّ فِي الْخِطَابِ النَّقْدِيِّ وَالْبَلاغِيِّ ــ دِرَاسَةٌ نَظَرِيَّةٌ وَتَطْبِيقِيَّةٌ، **جُذُور**، ١١(٢٦).

ــ بقشِي، عبد القَادِر، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، التَّنَاصُّ النَّقْدِيُّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٨).

ــ بَكْر، أَيْمَن، (أغسطس٢٠٠٢م)، قَصِيدَةُ النَّثْرِ: مَلامِحُ جِيلٍ جَدِيدٍ، **أدَب وَنَقْد**، (٢٠٤).

ــ بواجلابن، الحَسَن، (نُوفمبر٢٠٠٨م)، الانْزِيَاحُ الْمَنْطِقِيُّ مِنْ مَنْظُورِ جَمَاعَةِ "مُو"، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٧(٦٧).

ــ بُوكَانَان، آر. إِيه، (يُوليُو٢٠٠٠م)، الآلَةُ قُوَّةُ وَسُلْطَةُ التِّكنُولُوجيَا وَالإِنْسَانِ مُنْذُ الْقَرْنِ ١٧ حَتَّى الْوَقْتِ الْحَاضِرِ، تَرْجَمة: شَوْقِي جَلال، **عَالَم المَعْرِفة**، (٢٥٩)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنِيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ــ البياتي، د. عَدْنَان هَزَّاع، (خَرِيف/ شِتَاء٢٠٠٢م)، أَطْمَاعُ إِسْرَائِيلَ فِي الْمِيَاهِ الْعَرَبِيَّةِ، **مجلَّــة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١٧).

ــ تَاوريريت، بَشِير وَحمادي، عبد الله، (سِبتمْبر٢٠٠٥م)، الــسِّيمِيَائِيَّةُ فِــي الْخِطَــابِ النَّقْــدِيِّ الْمُعَاصِرِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٧).

ــ ثومبسُون، ميكل وَإلِيس، ريتشَارد وَفِيلدَافسكِي، آرُون، (يُوليُــو١٩٩٧م)، نَظَرِيَّــةُ الثَّقَافَــةِ، تَرْجَمة: د. عَلِيّ سَيِّد الصَّاوِيّ، مُرَاجَعة: أ. د. الفَارُوق زَكِي يُونُس، **عَــالَم المَعْرِفَــة**، (٢٢٣)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنِيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ــ جَاد الحَقّ، يُوسُف، (خَرِيف٢٠٠٨م)، مِنْ وَعْدِ بِلْفُور إِلى قَرَارِ التَّقْسِيمِ وَالْمَــشْرُوعِ الْقَــوْمِيِّ وَالْمُؤَامَرَةِ عَلَى فِلَسْطِينَ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٢).

ــ جَاسِم، د. فَاطِمَة عِيسَى، (شباط٢٠٠٣م)، الصُّورَةُ الْفَنِّيَّةُ فِي مَجْمُوعَةِ (أَحَدَ عَــشَرَ كَوْكَبًــا) لِمَحْمُود دَرْوِيش، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٩٤).

ــ جَبْرِي، إدْرِيس، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، تَقَاطُعُ مَشْرُوعَي الْجَابرِيّ وَالغَذَامِيّ، **عَلامَات في النَّقْــد**، ١٥(٥٨).

ــ جِبْرِيل، مُحمَّد، (إبريل٢٠٠١م)، الْمُثَقَّفُ .. وَالسُّلْطَةُ، **أدَب وَنَقْد**، (١٨٨).

ــ الجرباوي، عَلِيّ، (شِتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَاقُ الْفِلَسْطِينِيُّ ــ الإِسْرَائِيلِيُّ: تَحْلِيلٌ وَتَقْوِيمٌ، **قِــرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٣(١).

ــ جَرَّار، د. مَرْوَان فَرِيد، (يَنَاير٢٠١٠م)، دَوَافِعُ رَفْضِ الْفِلَسْطِينِيِّينَ لِلْهِجْــرَةِ الْيَهُودِيَّــةِ إِلَــى فِلَسْطِينَ (قِرَاءَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ فِي الْخِطَابِ السِّيَاسِيِّ الْفِلَسْطِينِيِّ ١٩١٨ ــ ١٩٣٠م)، **مَجلَّــة الجَامِعَــة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنْسَانيَّة، ١٨(١).

ــ جُمْعَة، د. حُسيْن، (خَرِيف٢٠٠٨م)، الْفِكْرُ الْقَوْمِيُّ وَالآخَرُ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُــصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٢).

ــ جُمْعَة، د. حُسيْن، (خَرِيف٢٠٠٤م)، الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَآفَاقُ الْوَاقِعِ، **مجلَّة الفِكْــر الــسِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٢٠).

ـــ الجوّة، أحْمَد، (مَارس٢٠٠٠م)، الشِّعْرُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ بَيْنَ الإِبْدَاعِ وَالتَّلَقِّي، **عَلامَات في النَّقْد**، ٩(٣٥).

ـــ الْحَازِمِيّ، مَنْصُور إِبْرَاهِيم، (يُونيُو١٩٩٨م)، الثَّقَافةُ الْعَرَبِيَّةُ بَيْنَ الإِيجَابِيَّاتِ وَالسّلْبِيَّاتِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٧(٢٨).

ـــ حَرْب، د. أُسَامَة الْغَزَالِيّ، (سِبتمْبر١٩٨٧م)، الأَحْزَابُ السِّيَاسِيَّةُ فِي الْعَالَمِ الثَّالِثِ، **عَالَم المَعْرِفَة**، (١١٧)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ـــ أبُو حَسَّان، فَادِي، (صَيْف٢٠٠٧م)، تَهْوِيدُ الْقُدْسِ "أَرْض أكْثَر، سُكَّان أَقَلّ"، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٠).

ـــ حسُّونة، د. مُحمَّد إِسْمَاعِيل، (يَناير٢٠٠٦م)، تَسَاؤُلاتُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ ـــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ أُسْلُوبِيَّةٌ، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنْسَانيَّة، ١٤(١).

ـــ حَسَن، د. حُسيْن سرمك، (صَيْف٢٠٠٧م)، فَاجِعَةُ تَعْذِيبِ الأَسْرَى الْعِرَاقِيِّينَ "أَبُو غريب" أُنموذَجًا ـــ نَظْرَةٌ نَفْسِيَّةٌ ـــ اجْتِمَاعِيَّةٌ فِي الْعُدْوَانِيَّةِ الأَمْرِيكِيَّةِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠).

ـــ الحَسَن، هَانِي، (١٩٩٣م)، الْمُشَارَكَةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ فِي التَّسْوِيَةِ: كَيْفَ تَمَّتْ ... , وكَيْفَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ٩(١).

ـــ حُسْنِي، المُخْتَار، (دِيسمْبر٢٠٠٢م)، استرَاتِيجِيَّةُ التَّنَاصِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٢(٤٦).

ـــ حُسْنِي، المُخْتَار، (سِبتمْبر٢٠٠٣م)، التَّنَاصُّ فِي الإِنْجَازِ النَّقْدِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٣(٤٩).

ـ حُسين، د. غَازِي، (شِتَاء ١٩٩٧م)، التَّصَوُّرَاتُ وَالْمُخَطَّطَاتُ الصُّهْيُونِيَّةُ لِلشَّرْق أَوْسَطِيَّة وَمَخَاطِرُهَا عَلَى الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (١).

ـ الْحُسَيْنِيّ، د. مَحْمُود، (يُونيُو ١٩٩٩م)، الْحَرَكَةُ الدَّاخِلِيَّةُ فِي قَصِيدَةِ النَّثْر، **أدَب ونَقْد**، (١٦٦).

ـ الْحَضْرَمِيّ، عُمَر حَمْدَان، (٢٠٠٦م)، تَدَاوُلُ السُّلْطَةِ وَالدَّسَاتِير فِي الأَنْظِمَةِ السِّيَاسِيَّةِ الْعَرَبِيَّةِ، **دِرَاسَات**، ٣٣ (٣).

ـ الحكمي، عبد الوَهَّاب عَلِيّ، (مَارس ١٩٩٧م)، رُولان بَارث، دِرَاسَةٌ فِي تَطَوُّر آرَائِهِ فِي نَقْدِ الأَدَبِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٦(٢٣).

ـ أبو حلو، د. مسلم، (تشرين أوّل ٢٠٠٢م)، سِيَاسَاتُ التَّهْوِيدِ الدِّيموغرَافِيِّ وَالْجُغْرَافِيِّ لِمَدِينَةِ القُدْس، **مَجلَّة جَامِعَة القُدْس المَفْتُوحة للأبْحَاث وَالدِّرَاسَات**، (١).

ـ حمداوي، د. جَمِيل، (يَنَاير/ مَارس ١٩٩٧م)، السِّيمُوطِيقَا وَالْعَنْوَنَةُ، **عَالَم الفِكْر**، ٢٥(٣).

ـ الحميد، د.جَوَاد مَطَر، (١٩٩٥م)، الإِلَــهُ الزُّهْــرَةُ (الابْنُ) ـــ دِرَاسَــةٌ فِــي الْمِيثُولُوجيَــا وَالْمُعْتَقَدَاتِ الْيَمَنِيَّةِ القَدِيمَةِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة.

ـ الخباز، مُحمَّد، (دِيسمْبر ٢٠٠٧م)، مُوَاصَفَاتُ الْقَصِيدَةِ الْجَمِيلَةِ لَدَى شُعَرَاءِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِــيِّ، **جُذُور**، ١١(٢٥).

ـ الخضور، د. جَمَال الدِّين، (يَنَاير ١٩٩٩م)، الْهُوِيَّةُ وَالْمَشْرُوعُ النَّهْضَوِيُّ الْعَرَبِيُّ، **أدَب وَنَقْــد**، (١٦١).

ـ خضير، ضِيَاء، (دِيسمْبر ١٩٩٩م)، مَكَانَةُ الْمُتَلَقِّي فِي الأَدَبِ الْمُقَارَن، **عَلامَــات فــي النَّقْــد**، ٩(٣٤).

ـــ الخطابي، عزّ الدِّين وكثير، إدْريس، (يُونيُو١٩٩٨م)، بَلاغَةُ السُّؤَالِ وَسُؤَالُ البَلاغَةِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٧(٢٨).

ـــ خَلِيل، د. إبْرَاهِيم، (١٩٩٩م)، صُورَةُ الآخَرِ في ثُلاثِيَّــةِ أَحْمَــد حَــرْب، **مُؤْتَــة للبُحُــوث وَالدِّرَاسَات**، ١٤(٥).

ـــ خَلِيل، د. حَامِد، (صَيْف١٩٩٨م)، الفَرْدُ وَالسُّلْطَةُ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر الــسِّياسيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣).

ـــ خَلِيل، د. حَامِد، (رَبيع١٩٩٨م)، مُشْكِلَةُ الْهُوِيَّةِ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِــرِ، **مجلَّــة الفِكْــر السِّياسيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٢).

ـــ خمايسي، د. رَاسِم، (١٩٩٣م)، الْهِجْرَةُ الْيَهُودِيَّةُ الأخِيرَةُ وَتَأْثِيرُهَا عَلَى الْفِلَــسْطِينِيِّينَ دَاخِــلَ "الْخَطِّ الأَخْضَرِ"، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٢/١١(٣ "٣-٤").

ـــ درمش، بَاسِمَة، (مَايُو٢٠٠٧م)، عَتَبَاتُ النَّصِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦١).

ـــ دياب، مُحمَّد حَافِظ، (١٩٨٣م)، النَّقْدُ الأَدَبِيُّ وَعِلْمُ الاجْتِمَاع ـــ مُقَدِّمَةٌ نَظَرِيَّةٌ، **مَجلَّة فُــصُول**، ٤(١).

ـــ ربابعة، د. حَسَن مُحمَّد، (كَانُون أوّل١٩٩٧م)، الشُّؤُونُ الإدَارِيَّةُ فِي الْحَرْبِ عِنْــدَ الْمُتَنَبِّــي، **جَرَش للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٢(١).

ـــ ربابعة، د. حَسَن مُحمَّد، (٢٠٠٦م)، اليَدُ وَدَلالاتُهَا فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي، **أبْحَاث اليَرْمُوك**، "سِلْسلة الآدَاب وَاللُّغَوِيَّات"، ٢٤(٢).

ـــ ربابعة، أ. د. مُوسَى، (١٩٩٥م)، الانْحِرَافُ مُصْطَلَحًا نَقْدِيًّا، **مُؤْتَــة للبُحُــوث وَالدِّرَاسَــات**، ١٠(٤).

ــ ربابعة، أ. د. مُوسَى، (مَايُو ٢٠٠٠م)، تَجَلِّيَاتُ الْمُتَنَبِّي فِي نُصُوصٍ مِنَ الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٩(٣٦).

ــ ربابعة، أ. د. مُوسَى، (سِبتمْبر ٢٠٠٤م)، الْقِيمَةُ وَقِرَاءَةُ النَّصِّ الأَدَبِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٣).

ــ ربابعة، أ. د. مُوسَى، (دِيسمْبر ٢٠٠٥م)، مَوْتُ الْمُؤَلِّفِ وَآفَاقُ التَّأْوِيلِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٥(٥٨).

ــ أَبُو الرُّبِّ، د. مَحْمُود، (نِيسَان ٢٠٠٥م)، الآثَارُ الاقْتِصَادِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ الْمُبَاشِرةُ لِلْجِدَارِ الْعُنْصُرِيِّ الْفَاصِلِ عَلَى الشَّعْبِ الْفِلَسْطِينِيِّ، **مَجلَّة جَامِعَة الْقُدْس الْمَفْتُوحَة للأَبْحَاث وَالدِّرَاسَات**، (٥).

ــ الرّبيعيّ، إسْمَاعِيل نُوري، (٢٠٠٤م)، فِي تَفْكِيكِ الْخِطَابِ الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ (الأَنْسَاق – المُسْتَويَات)، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدِرها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٨/٧).

ــ الرّبيعيّ، إسْمَاعِيل نُوري، (يُونيُو ٢٠٠٥م)، قِرَاءَةٌ فِي نَقْدِ الْحَدَاثَةِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٦).

ــ رِزْق، صَلاح، (مَارس ٢٠٠٤م)، إشْكَالِيَّةُ الْمَنْهَجِ فِي النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٣(٥١).

ــ رَسُول، رَسُول مُحمَّد، (صَيْف ٢٠٠٤م)، بَيْنَ التَّاريخِ وَالسِّيَاسَةِ وَالْهُوِيَّةِ ــ الْمَنْفَى وَالْمُثَقَّفُ: إدْوَارد سَعِيد أنموذَجًا، **مَجلَّة فُصُول**، (٦٤).

ــ الرّشْدَان، عبد الفَتَّاح، (١٩٩٤م)، حُقُوقُ الإنْسَانِ فِي الْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ: الْحَاضِرُ وَالْمُسْتَقْبَلُ، **مَجلَّة أبْحَاث اليَرْمُوك**، سِلْسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ١٠(٤).

ـ الرّشْدَان، عبد الفَتَّاح، (١٩٩٣م)، النِّظَامُ الدَّوْلِيُّ الْجَدِيدُ وَتَأْثِيرُهُ عَلَى النِّظَام الْعَرَبِيِّ، **قِـراءَات سِيَاسِيَّة**، ٩(١).

ـ الرّقُوع، د. فَيْصَل، (١٩٩٧م)، الصِّرَاعُ الْعَرَبِيُّ ـ الإِسْرَائِيلِيُّ دِيمغرَافِيًّـا، **مُؤْتَـة للبُحُـوث وَالدِّرَاسَات**، ١٢(٤).

ـ رمَّاني، إِبْرَاهِيم، (إبريل/ سبتمْبر١٩٨٧م)، الشِّعْرُ ـ الْغُمُـوضُ ـ الْحَدَاثَـةُ: دِرَاسَـةٌ فِـي الْمَفْهُوم، **مَجلَّة فُصُول**، ٧(٣/٤).

ـ رواشدة، أ. د. سَامِح، (١٩٩٩م)، الْغُمُوضُ وَأَثَـرُهُ فِي تَلَقِّي النَّصِّ الشِّعْرِيِّ ـ دِرَاسَةٌ فِـي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٤(٥).

ـ الزَّاهِي، فَرِيد، (مَايُو٢٠٠٧م)، النَّصُّ الأَدَبِيُّ مِنَ الرَّمْزِيَّةِ إِلى التَّأْوِيل، **عَلامَات فـي النَّقْـد**، ١٦(٦١).

ـ الزُّعْبِيّ، د. أَحْمَد، (١٩٩٥م)، دَلالاتُ التَّنَاصِّ فِي قَصِيدَةِ "رَايَة القَلْب" لإِبْـرَاهِيم نَـصْر الله، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٢٢ – أ (٥).

ـ الزُّعْبِيّ، أ. د. زِيَاد صَالِح، (٢٠٠١م)، الْمُتَلَقِّي عِنْدَ حَازِم القَرْطَـاجَنِّيِّ ، **مَجلَّـة الجَامِعَـة الإسلاميَّة**، ٩(١).

ـ زَكَرِيَّا، د. جَاسِم مُحمَّد، (صَيْف٢٠٠٧م)، حَقُّ الْمُقَاوَمَةِ ـ أَصَالَةُ النَّشْأَةِ وَشَرْعِيَّةُ الاسْتِمْرَار، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٣٠).

ـ الزَّهْرَانِيّ، معجب، (مَارس٢٠٠١م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ نَظَرِيَّةٌ جَدِيدَةٌ أَمْ مَشْرُوعٌ مُتَجَدِّدٌ، **عَلامَـات فِي النَّقْد**، ١٠(٣٩).

ــ الزَّيديِّين، نَوَّاف مُوسَى، (٢٠٠٨م)، الإرْهَابُ وَالْمُقَاوَمَةُ فِي ظِلِّ الْقَانُونِ الدَّوْلِيِّ الْعَامِّ، **مُؤْتَــة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، سِلْسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٣(٥).

ــ زيَّاد، صَالِح، (يُونيُو٢٠٠٦م)، مِثَالِيَّةُ الشَّاعِرِ الْفَيْلَسُوفِ: الذَّاتُ الْحُرَّةُ، **عَلامَات فــي النَّقْــد**، ١٥(٦٠).

ــ السّبيل، عبد العَزيز، (مَارس٢٠٠١م)، "الشَّعْرَنَةُ" بَيْنَ السِّيَاسَةِ وَالشِّعْرِ، **عَلامَات فــي النَّقْــد**، ١٠(٣٩).

ــ ستيِل، مِيلِي، (صَيْف٢٠٠٤م)، النَّفْيُ أم التَّجَذُّرُ: سِيَاسَــاتُ الاخْــتِلافِ عِنْــدَ إدْوَارد سَــعِيد وَكُورنيِل ويست، **مَجلَّة فُصُول**، (٦٤).

ــ السّرسَاوِيّ، مَحْمُود، (آب٢٠٠٦م)، مَحْمُود دَرْوِيش ــ التَّجْرِبَةُ الشِّعْرِيَّةُ ــ الْمُغَايَرَةُ وَالنَّقْــدُ الْغَائِبُ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدرِها اتّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٤٢٤).

ــ سُرُور، د. عبد النَّاصِر، (يَناير٢٠٠٦م)، الْعَلاقَــاتُ الأَمْنِيَّــةُ بَــيْنَ الانْتِــدَابِ وَالــصُّهْيُونِيَّةِ وَتَدَاعِيَاتُهَا عَلَى دِيمغرَافيَّةِ فِلَسْطِــينَ خِلالَ ثَوْرَةِ (١٩٣٦ ــ ١٩٣٩)م، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٤(١).

ــ السّكاف، مَمْدُوح، (تشرين الثَّانِي٢٠٠٦م)، دِرَاسَةٌ نَوْعِيَّةٌ فِي ضَمَائِرِ قَصِيدَةِ مَحْمُود دَرْوِيــش "تِلْكَ صُورَتُهَا وَهَذَا انْتِحَارُ الْعَاشِقِ"، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدرِها اتَّحَــاد الكُتَّــاب العَــرَب بِدِمَشق، (٤٢٧).

ــ السُّلْطَان، مُحمَّد فُؤَاد دِيب، (يَناير٢٠٠٤م)، اسْتِحْضَارُ الرُّمُوزِ الدِّينِيَّةِ وَتَوْظِيفُهَا فِــي شِــعْرِ انْتِفَاضَةِ الأَقْصَى عام ٢٠٠٠م، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٢(١).

ــ سَلْمَان، مَالِك، (سِبتمْبر١٩٩٧م)، وولفغانغ أيــزر ــ التَّفَاعُلُ بَيْنَ النَّصِّ وَالْقَارِئِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٧(٢٥).

ــ سلوم، تَامِر، (دِيسمْبر١٩٩٧م)، مُشْكِلَةُ الْمَعْنَى فِي النَّقْدِ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٧(٢٦).

ــ سُلَيْمَان، خَالِد، (أكتوبَر١٩٨٦م/ مَارس١٩٨٧م)، ظَاهِرَةُ الْغُمُوض فِي الشِّعْرِ الْحُــرِّ، **مَجلَّــة فُصُول**، ٧(١/٢).

ــ السّنْوَار، د. زَكَرِيَّا إِبْرَاهِيم، (يُونيه٢٠٠٧م)، أُورد وينغِيت، وَدَوْرُهُ فِــي تَطْــوِير الْقــدراتِ الْعَسْكَرِيَّةِ الصُّهْيُونِيَّةِ، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢).

ــ أَبُو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٥م)، صُورَةُ الْمَطَرِ فِي الْوقْفَةِ الطَّلَلِيَّةِ الْجَاهِلِيَّةِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالشَّرِيعَة، ١٢(٨).

ــ أَبُو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٦م)، مَوَاضِعُ وُرُودِ الْمَطَرِ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، **مُؤْتَة للبُحُــوث وَالدِّرَاسَات**، سِلْسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ١(٢).

ــ أَبُو سويلم، أ. د. أَنْوَر، (١٩٨٨م)، النَّارُ فِي الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، **دِرَاسَــات**، العُلُــوم الإنــسانيَّة، ١٥(٣).

ــ شَاوُول، بُول، "تَرْجَمة وَتَقْدِيم"، (يُولِيُو٢٠٠٤م)، مِئَوِيَّةُ الشَّاعِرِ التّشيلِيِّ بَابلُو نيرُودَا، **مَجلَّــة نزوى**، (٣٩).

ــ شتَاينمتز، هُورست، (١٩٨٥م)، حَوْلَ إِهْمَالِ الْوَظِيفَةِ الاجْتِمَاعِيَّةِ للتَّفْسِيرِ فِي دِرَاسَــةِ الأَدَبِ، تَرْجَمة: مُصْطَفى رِيَاض، **مَجلَّة فُصُول**، ٥(٣).

ــ الشّتيوي، صَالِح عَلِيّ، (٢٠٠٢م)، التَّضْحِيَةُ بِالنَّفْسِ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي، **دِرَاسَــات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٩(٢).

ــ شرتح، عِصَام، (دِيسمْبر٢٠٠٥م)، الانْزِيَاحُ وَوَظِيفَتُهُ الْبَلاغِيَّةُ عِنْدَ بَدَوِيِّ الْجَبَلِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٥(٥٨).

ــ الشَّرع، د. عَلِيّ، (سِبتمْبر ٢٠٠٠م)، استرَاتِيجيَّةُ القِرَاءَةِ مَنْهَجٌ نَقْدِيٌّ ــ قَصِيدَةَ مَحْمُود دَرْوِيش: "أَنْمَاط عَاجِيَّة"، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٠(٣٧).

ــ الشَّرْقَاوِيّ، د. فَوَّاز حَامِد، (يُونيه٢٠٠٧م)، السُّكَّانُ اليَهُودُ فِي فِلَسْطِينَ ــ دِرَاسَةٌ فِي الصِّرَاعِ السُّكَّانِيِّ خِلالَ النِّصْفِ الثَّانِي من ق. ٢٠، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢).

ــ الشَّرْقَاوِيّ، د. فَوَّاز حَامِد، (يَناير٢٠٠٧م)، نَهْجُ الصُّهْيُونِيَّةِ فِي العَمَلِ السِّيَاسِيِّ وَالتَّنْظِيمِيِّ، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٥(١).

ــ أَبُو شَرِيفَة، عبد القَادِر، (٢٠٠٠م)، الاعْتِرَافُ وَالبَوْحُ فِي رِحْلَةِ فَدْوَى طُوقَان، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٥(٨).

ــ شُكْرِي، د. مُحمَّد عَزِيز، (يُوليُو١٩٧٨م)، الأَحْلافُ وَالتَّكَتُّلاتُ فِي السِّيَاسَةِ العَالَمِيَّةِ، **عَالَم المَعْرِفَة**، (٧)، الكُويْت: المَجْلِس الوَطَنيّ للثَّقَافَة وَالفُنُون وَالآدَاب.

ــ الشّلِيح، مُصْطَفَى، (دِيسمْبر٢٠٠٤م)، ثَقَافَةُ الهُوِيَّةِ وَبِنَاءُ النَّقْدِ المَعْرِفِيِّ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٤(٥٤).

ــ الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (يُونيُو٢٠٠٢م)، أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ــ عَلَى آخِرِ المَشْهَدِ الأَنْدَلُسِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١١(٤٤).

ــ الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (أَكتوبَر١٩٨٦م/ مَارس١٩٨٧م)، خُصُوصِيَّةُ الرُّؤْيَا وَالتَّشْكِيلِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش، **مَجلَّة فُصُول**، ٧(٢/١).

ــ الشَّنْطي، مُحمَّد صَالِح، (مَارس٢٠٠١م)، قِرَاءَةُ التُّرَاثِ فِي كِتَابِ الخَطِيئَةِ وَالتَّكْفِير، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٠(٣٩).

ــ أبُو شهاب، رَامِي، (فبراير٢٠٠٨م)، مُصْطَلَحُ السَّرِقَاتِ الأدَبيَّةِ وَالتَّنَاصِّ ــ بَحْثٌ فِي أوَّلِيَّةِ التَّنْظِيرِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦٤).

ــ الشّيخ، خَلِيل، (كَانُون أوَّل١٩٩٨م)، رُؤْيَةُ فَدْوَى طُوقَان لِلْحَضَارَةِ الْغَرْبيَّةِ ــ دِرَاسَةٌ فِي جَدَلِ الشِّعْرِ وَالسِّيرَةِ، **جَرَش للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٣(١).

ــ صَالِح، أحْمَد عَبَّاس، (خَرِيف١٩٩٢م)، حَيَاةُ الْكَاتِبِ فِي ظِلِّ إرْهَابِ السُّلْطَةِ، **مَجلَّة فُصُول**، ١١(٣).

ــ صَالِح، أشْرَف فَوْزِي، (مَارس٢٠٠٨م)، الاسْتِلْهَامُ: مَفْهُومُهُ وَضَوَابِطُهُ وَحُدُودُهُ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦٤).

ــ صبرة، أحْمَد، (٢٠٠٨م)، الْمَجَازُ وَرُؤْيَةُ الْعَالَمِ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، سِلْسلة العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ١٧(٦٧).

ــ صمّود، حمادي، (سِبتمْبر٢٠٠٢م)، مَسْألَةُ الإبْلاغِ فِي الشِّعْرِ الْحَدِيثِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٢(٤٥).

ــ الصَّوَّاف، مُحمَّد تَوْفِيق، (أيَّار٢٠٠٦م)، الْبُعْدُ الدِّينِيُّ لِصُورَةِ الأرْضِ فِي الأدَبِ الصُّهْيُونِيِّ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشق، (٤٢١).

ــ ضَاهِر، مَسْعُود، (٢٠٠٣م)، إشْكَالِيَّةُ الْحُرِّيَّةِ وَالإبْدَاعِ فِي الْفِكْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدرُها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٥).

ــ طَالِب، مُحمَّد سَعِيد، (صَيْف٢٠٠٨م)، مَنْظُومَتُنَا الثَّقَافِيَّةُ بَيْنَ الْمُقَاوَمَةِ وَالإبْدَاعِ وَالتَّبَعِيَّةِ وَالاتِّبَاعِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرِها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣١).

ــ طَحَّان، د. مُحمَّد جَمَال، (رَبيع/ صَيْف٢٠٠١م)، "طَبَائِعُ الاستِبْدَادِ" الْمَاهِيَّةُ وَالْبَـدِيلُ، **مجلَّـة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (١٣/١٤).

ــ الطَّرير، جَلِيلَة، (سِبتمْبر١٩٩٨م)، فِي شِعْرِيَّةِ الْفَاتِحَةِ النَّصِّيَّةِ ــ حَنَّا مِينَا نموذجًا، **عَلامَات في النَّقْد**، ٨(٢٩).

ــ طه، المُتَوَكِّل، (إبريل٢٠٠٤م)، قِرَاءَةُ الْمَحْذُوفِ ــ قَصَائِدُ لم تَنْشُرها فَدْوَى طُوقَـان، **مَجلَّـة نزوى**، (٣٨).

ــ طه، المُتَوَكِّل، (أكتوبر٢٠٠٣م)، وَاقِعُ الثَّقَافَةِ فِي فِلَسْطِينَ، **مَجلَّة نزوى**، (٣٦).

ــ الظَّاهِر، د. نَعِيم إبْرَاهِيم صَالِح وَالخَطِيب، د. عِمَاد عَلِيّ سَلِيم أَحْمَد، (يَنَاير٢٠٠٨م)، الأَبْعَادُ السِّيَاسِيَّةُ وَالاجْتِمَاعِيَّةُ وَالنَّقْدِيَّةُ لِلْقِصَّةِ الْمَحْكِيَّةِ عَنِ الإِنْسَانِ "دِرَاسَةٌ مُقَارَنَةٌ بَيْنَ مَحْمُود دَرْوِيـش وَمُنَى وَفِيق"، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٦(١).

ــ عَبَّاس، مَحْمُود جَابِر، (يُونيُو٢٠٠٥م)، الإِبْهَامُ فِي شِعْرِ الْحَدَاثَةِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٦).

ــ عَبَّاس، مَحْمُود جَابِر، (دِيسمْبر٢٠٠٢م)، اسْتِرَاتِيجِيَّةُ التَّنَاصِّ فِي الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ الْحَـدِيثِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٢(٤٦).

ــ عبد الرَّحْمَن، د. نَصْرَتْ، (حُزَيْرَان١٩٨٠م)، سَيِّدَةُ الْمَطَرِ فِي شِعْرِ أَبِـي ذُؤَيْـب الْهُـذَلِيِّ، **دِرَاسَات**، "عَدَد مُشتَرَك بين العُلُوم الإنسانيَّة وَالعُلُوم الطَّبيعيَّة"، ٧(١).

ــ عبد الرَّحْمَن، د. نَصْرَتْ، (كَانُون أوَّل١٩٧٩م)، الْمَطَرُ: مَوَاضِعُ وُرُودِهِ فِي جَانِبٍ مِنَ الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٦(٢).

ــ بنعبد العَالِي، عبد السَّلام، (رَبيع٢٠٠٤م)، الْحِوَارُ بَيْنَ الثَّقَافَاتِ وَالصِّرَاعُ بَيْنَهَا، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدِرُها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (١٠).

ـــ بنعبد العَالِي، عبد السَّلام، (٢٠٠٥م)، فِي مَسْألَةِ الْهُوِيَّةِ .. مِنْ جَدِيدٍ، **ثقافات**، تُصدِرُها كُلّيَّــة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (١٣).

ـــ عبد الغَفَّار، مُحمَّد عبد الرَّزَّاق، (سِبتمْبر ٢٠٠٠م)، الْغَذَامِيُّ بَيْنَ درِيدَا وَالْجُرْجَانِيّ، **عَلامَــات في النَّقْد**، ١٠(٣٧).

ـــ عبد اللَّطِيف، مَازِن، (٢٠٠٨م)، الْمُكْتَشَفَاتُ الأثَرِيَّةُ وَدَوْرُهَا فِي مُوَاجَهَةِ مُحـــاوَلاتِ طَمْــس التُّرَاثِ الْفِلَسْطِينِيِّ وَتَهْوِيدِهِ، **مَجلَّة جَامِعَة الخَلِيل للبُحُوث**، ٣(٢).

ـــ عبد الله، فَتِيحة، (مَارس٢٠٠٥م)، إشْكَالِيَّةُ تَصْنِيفِ الأجْنَاسِ الأدَبِيَّةِ فِي النَّقْدِ الأدَبِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٥).

ـــ عبد الهَادِي، ناول، (مَارس١٩٩٧م)، النَّقْدُ وَأَجْنَاسِيَّةُ الإِبْداع عند النُّقَّاد العَرَب المُعاصِــرين، **عَلامَات في النَّقْد**، ٢(٢٣).

ـــ عبيدات، عَدْنَان مَحْمُود، (٢٠٠٤م)، دَوْرُ الْمَكَانِ فِي تَشْكِيلِ الصُّورَةِ فِي قَصِيدَةِ "عَلَــى قَــدْرِ أهْلِ الْعَزْمِ" لأبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّي ـــ دِرَاسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ أسْلُوبِيَّةٌ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٩(٨).

ـــ الْعَجْلُونِيّ، د. نَايف، (١٩٩٥م)، السِّيرَةُ الذَّاتِيَّةُ لِفَدْوَى طُوقَان: الشَّخْصِيُّ وَالسِّيَاسِيُّ وَالأدَبِيُّ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**،١٠(٤).

ـــ عجمي، حَسَن، (٢٠٠٤م)، التَّحْلِيلِيَّةُ وَالشِّعْرُ الْمُعَاصِرُ، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدِرُها كُلّيَّــة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٨/٧).

ـــ العدواني، معجب، (يُونيُو٢٠٠٢م)، رِحْلَةُ التَّناصيِّةِ إِلَى النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيم، **عَلامَات في النَّقْد**، ١١(٤٤).

ــ عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (صَيْف١٩٩٨م)، افْتِتَاحِيَّةُ الْعَدَدِ: اتِّفَاقُ "أُوسْلُو" بَعْدَ خَمْسِ سَــنَوَاتٍ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣).

ــ عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (رَبيع١٩٩٩م)، الافْتِتَاحِيَّةُ: الْمستجداتُ السِّيَاسِيَّةُ وَالْمَوْقِفُ الثَّقَــافِيُّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٦).

ــ عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (خَرِيف٢٠٠٤م)، حَقُّ الْعَوْدَةِ بَيْنَ القَرَار ١٩٤ وَوَثِيقَةِ جنيف، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٢٠).

ــ عرسان، د. عَلِيّ عقلة، (شِتَاء١٩٩٧م)، الشَّخْصِيَّةُ الثَّقَافِيَّةُ الْعَرَبِيَّةُ ــ الهُوِيَّة وَالغَزْو، **مجلَّــة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (١).

ــ عروري، نَصِير، (شِتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَاقُ الْفِلَسْطِينِيُّ الإِسْرَائِيلِيُّ وَالإِدَارَةُ الأَمْرِيكِيَّةُ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٣(١).

ــ عزّ الدِّين، د. حَسَن البَنَّا، (مَارس٢٠٠١م)، مَلامِحُ النَّقْــدِ الثَّقَــافِيِّ ــ الْغَــذَامِيُّ أُنموذَجًــا، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٠(٣٩).

ــ عزّ الدِّين، د. فَايز، (صَيْف٢٠٠٧م)، الْمُقَاوَمَــةُ ــ دِفَاعٌ عَــنِ الــذَّاتِ "وَكَيْنُونَــةِ الأَرْضِ" وَالْوُجُودِ ــ قِرَاءَةٌ فِي: التَّارِيخِ، وَالْوَاقِعِ، وَالآفَاقِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣٠).

ــ العشيري، مَحْمُود أَحْمَد، (مَايو٢٠٠٧م)، الشِّعْرُ بَيْنَ سُلْطَةِ الْمُبْدِعِ وَسُلْطَةِ النَّصِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦١).

ــ العف، د. عبد الخَالِق وَحَنَفِي، أ. مُعَاذ، (يَنَاير٢٠٠٨م)، الْبَوَاعِثُ الْمَوْضُــوعِيَّةُ فِــي شِــعْرِ الأَسْرَى الْفِلَسْطِينِيِّينَ، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات اللُّغَوِيَّة، ١٦(١).

ــ العف، د. عبد الخَالِق، (يُونيه٢٠٠٨م)، (مَوْتُ الْمُؤَلِّفِ) مَنْهَجٌ إِجْرَائِيٌّ ؟ ، أَمْ إِشْكَالِيَّةٌ عَقَائِدِيَّةٌ ؟، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٦(٢).

ــ العلاق، عَلِيّ جَعْفَر، (سِبتمْبر١٩٩٧م)، بِنْيَةُ الْقِنَاع: قِرَاءَةٌ فِي قَصِيدَةِ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا، **عَلامَات في النَّقْد**، ٧(٢٥).

ــ العلاق، عَلِيّ جَعْفَر، (نُوفمبر٢٠٠٨م)، بِنْيَةُ النَّصِّ وَفِتْنَةُ الْمَجَاز فِي بَلاغَةِ الْقَصِيدَةِ الْحَدِيثَةِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٧(٦٧).

ــ عَلُّوش، نَاجِي، (شِتَاء١٩٩٧م)، الصُّهْيُونِيَّةُ: الْمَفَاهِيمُ الأَسَاسِيَّةُ، **مجلَّة الفِكْر السِّيَاسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشْق، (١).

ــ عَلَوِيّ، حَافِيظ إِسْمَاعِيلِيّ، (دِيسمْبر١٩٩٩م)، مَدْخَلٌ إِلَى نَظَرِيَّةِ التَّلَقِّي، **عَلامَات في النَّقْد**، ٩(٣٤).

ــ عَلِيّ، عَلِيّ كَاظِم، (دِيسمْبر٢٠٠٣م)، شِعْرِيَّةُ الْمَجَاز فِي الْبَلاغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، **جُذُور**، ٨(١٥).

ــ عُمَر، زَرْقَاوِيّ، (سِبتمْبر٢٠٠٥م)، نحو تَأْصِيلٍ لِمَنْهَجِ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٥(٥٧).

ــ عَنْبَر، د. عبد الله، (١٩٩٥م)، تَفَاعُلُ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى عِنْدَ الْعَرَبِ فِي ضَوْءِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٢٢- أ (٣).

ــ عَنْبَر، د. عبد الله، (٢٠٠٧م)، النَّظَرِيَّةُ الأُسْلُوبِيَّةُ: مُقَارَبَةٌ بِنَائِيَّةٌ لاكْتِنَاهِ التَّمَاسُكِ النَّصِّيِّ وَفَرَادَةِ التَّشْكِيل، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٤(٢).

ــ العَوَاملة، مَنْصُور فَاضِل، (١٩٩٥م)، السُّلْطَةُ الْعَامَّةُ فِي الدَّوْلَةِ بَيْنَ الإِطْلاق وَالتَّقْيِيدِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة، ٢٢- أ (٢).

ــ عِيد، رَجَاء، (دِيسمْبر ١٩٩٨م)، مَا وَرَاءَ النَّصِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٨(٣٠).

ــ عَيَّاش، ثنَاء نَجَاتِي، (٢٠٠٥م)، التَّنَاصُ الدِّينِيُّ فِي شِعْرِ طَلائِع بن رزّيك، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(٢).

ــ عَيَّاش، د. عَدْنَان حُسيْن، (يُونيُو ٢٠٠٩م)، جِدَارُ الفَصْلِ العُنْصُرِيُّ الصُّهْيُونِيُّ ــ آثَارُهُ السّلْبيَّةُ عَلَى أرَاضِي مُحَافَظَةِ سَلْفِيت، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٧(٢).

ــ الغذاميّ، عبد الله مُحمَّد، (١٩٨٠م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ: رُؤْيَةٌ جَدِيدَةٌ، **مَجلَّة فُصُول**، (٥٩).

ــ الغريبي، خَالِد، (دِيسمْبر ١٩٩٩م)، الشِّعْرُ وَمُسْتَوَيَاتُ التَّلَقِّي، **عَلامَات في النَّقْد**، ٩(٣٤).

ــ غزول، فِرْيَال جبوري، (أكتوبَر ١٩٨٦م/ مَارس ١٩٨٧م)، لُغَةُ الضِّدِّ الْجَمِيلِ فِي شِعْرِ الثَّمَانِينَاتِ، **مَجلَّة فُصُول**، ٧(١/٢).

ــ الغزي، ثَامِر، (مَارس ٢٠٠٠م)، مَفَاهِيمُ شِعْرِيَّةٌ ــ دِرَاسَة مُقَارَنَةٌ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٩(٣٥).

ــ الفريجَات، عَادِل، (دِيسمْبر ٢٠٠٢م)، إشْكَالاتُ قَصِيدَةِ النَّثْرِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٢(٤٦).

ــ فزارات، د. مُحمَّد حَرْب، (١٩٨٨م)، السَّاحِلُ السُّورِيُّ بَيْنَ البَرِّ وَالْبَحْرِ أو مِنَ الأُسْطُورَةِ إلَى التَّاريخ، **مَجلَّة التُّرَاث العَرَبِيِّ**، اتّحَاد الكُتَّاب العَرَب، دِمَشق، (٣٣).

ــ فيدوح، عبد القَادِر، (دِيسمْبر ١٩٩٩م)، أُلْفَةُ النَّصِّ وَمُسْتَوَيَاتُ التَّلَقِّي، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ٩(٣٤).

ــ القرعان، فَايز عَارف، (٢٠٠٨م)، الأَلْوَانُ وَدَوْرُهَا البَلاغِيُّ فِي إنْتَاج الدَّلالَةِ فِي "شِعْرِ حَيْدَر مَحْمُود نموذجًا"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٥(٣).

ــ قسَّام، يَحْيَى سُلَيْمَان، (صَيْف٢٠٠٧م)، الإِرَادَةُ فِي استرَاتِيجِيَّةِ الْمُقَاوَمَةِ وَالتَّحْرِير، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠).

ــ القضاة، د. مُحمَّد أحْمَد، (يُونيُو٢٠٠٩م)، الظَّوَاهِرُ الأُسْلُوبيَّةُ فِي جِدَاريَّةِ مَحْمُــود دَرْويــش، **مجلَّة جَامِعَة الشَّارِقة للعُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة**، ٦(٢).

ــ قطوس، د. بَسَّام وَربابعة، أ. د. مُوسَى، (١٩٩٤م)، الاسْتِعَارَةُ التَّنَافُرِيَّةُ فِي نَمَاذِج مِنَ الشِّعْرِ الْحَدِيثِ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٩(١).

ــ قطوس، بَسَّام، (١٩٩٧م)، قَصِيدَةُ النَّثْرِ: قِرَاءَةٌ فِي اتِّسَاقِ النَّصِّ وَانْسِجَامِ الْخِطَــابِ، **مُؤْتَــة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٢(٢).

ــ الْقَيْسِيّ، فَايز، (٢٠٠٥م)، أَدَبُ الْحِكْمَةِ فِي "دُرَرِ الْكَلِمِ وغُرَرِ الْحِكَم" للسّيوطيِّ، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٢٠(٨).

ــ الكركيّ، أ. د. خَالِد، (صَيْف٢٠٠٤م)، الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ فِي مُوَاجَهَةِ تَحَدِّيَاتِ قَرْنٍ جَدِيدٍ، **جَرَش الثَّقافيَّة**، (١).

ــ الكريوي، إِدْرِيس، (مَارس٢٠٠٥م)، الْمَنْهَجُ الاسْتِشْرَاقِيُّ فِي تَاريخ الأَدَبِ وَالنَّقْدِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٥).

ــ الكساسبة، حُسيْن، (١٩٩٨م)، الْكُتَّابُ فِي الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الثَّانِي، **مُؤْتَة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ١٣(٧).

ــ الكُوفَحِيّ، د. إِبْرَاهِيم، (٢٠٠١م)، تَوْظِيف المَوْرُوث الدِّينيِّ في شِعْر حَيْدر مَحْمُود، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٨(١).

ـــ الكُوفَحِيّ، د. إبْرَاهِيم، (٢٠٠٢م)، خُصُوصِيَّةُ الْخِطَابِ الشِّعْرِيِّ فِي دِيوَان "طَـوَاف المُغَنِّـي" لِحَبِيب الزُّيُودِيّ ـــ دِرَاسَةٌ فِي ظَاهِرَتَي (التَّنَاصِّ، وَالانْحِرَافِ الأُسْـلُوبِيِّ)، **دِرَاسَـات، العُلُـوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة**، ٢٩(١).

ـــ لبد، عِمَاد سَعِيد، (يُونيُو٢٠٠٤م)، تَجْرِبةُ السُّلْطَةِ الْفِلَسْطِينِيَّةِ فِي اسْتِغْلالِ الْمُسَاعَدَاتِ الدَّوْلِيَّـةِ (١٩٩٤ ـــ ٢٠٠٣م)، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٢(٢).

ـــ لحمداني، حَمِيد، (دِيسمبْر٢٠٠٢م)، عَتَبَاتُ النَّصِّ الأَدَبِيِّ (بَحْثٌ نَظَرِيٌّ)، **عَلامَات في النَّقْـد**، ١٢(٤٦).

ـــ مَحْمُود، د. أَمِين عبد الله، (١٩٨٧م)، الصُّهْيُونِيَّةُ فِكْرة وَدَوْلَة فِي كِتَابَاتِ أحد هَاعَام، **مُؤْتَـة للبُحُوث وَالدِّرَاسَات**، ٢(٢).

ـــ مَحْمُود، حُسْنِي، (فبراير١٩٩٩م)، النَّقْدُ الأَدَبِيُّ .. وَحُضُورُ الـذَّاتِ، **عَلامَـات فـي النَّقْـد**، ٨(٣١).

ـــ مخافي، حَسَن، (إبريل٢٠٠٤م)، الأُسُسُ النَّظَرِيَّةُ لِقَصِيدَةِ النَّثْرِ فِي الأَدَبِ الْعَرَبِـيِّ الْحَـدِيثِ (مَرْحَلَةُ التَّأْسِيس)، **مَجلَّة نزوى**، (٣٨).

ـــ مُرَاد، مُحمَّد عَدْنَان، (صَيْف٢٠٠٧م)، الدُّرُوسُ وَالْعِبَرُ مِنَ الصِّرَاعِ الْعَرَبِيِّ ـــ الـصُّهْيُونِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (٣٠).

ـــ مرتاض، عبد المَلِك، (٢٠٠٢م)، الثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ ـــ مِنْ أَيْنَ وَإِلَى أَيْنَ، **مَجلَّة ثقافات**، تُصدِرُها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٣).

ـــ مرتاض، عبد المَلِك، (مَارس٢٠٠٢م)، الدُّكتور عبد الله الْغَذَامِيّ كَمَا عَرَفْتُهُ، **عَلامَـات فـي النَّقْد**، ١١(٤٣).

ـــ مركز "عَدَالَة" لِحُقُوق العَرَب في إسرَائِيلَ"، (يَنَاير١٩٩٩م)، الْعُنْصُرِيَّةُ الإِسْرَائِيلِيَّةُ وَالثَّقَافَةُ الْعَرَبِيَّةُ، **أدَب وَنَقْد**، (١٦١).

ـــ المسدي، عبد السَّلام، (٢٠٠٢م)، الْمُثَقَّفُ الْعَرَبِيُّ وَانْفِجَارُ الأَسْئِلَةِ، **مَجلَّة ثقافَات**، تُصدِرُها كُلِّيَّة الآدَاب بِجَامِعَة البَحْرين، (٤).

ـــ بو مسهولي، عبد العَزِيز، (مَايُو١٩٩٩م)، جَدَلُ الشِّعْرِ وَالنَّقْدِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٨(٣٢).

ـــ المَشَايخ، مُحمَّد، (رَبِيع/ صَيْف٢٠٠١م)، اللاجِئُونَ وَالنَّازِحُونَ الفِلَسْطِينِيُّونَ .. وَالْمَسِيرَةُ السِّلْمِيَّةُ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (١٣/١٤).

ـــ مشتهي، عبد العَظِيم قَدُّورَة، (٢٠٠٢م)، طبُوغرَافِيَّةُ الْمُسْتَعْمَرَاتِ الاسْتِيطَانِيَّةِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ بِالنِّسبَةِ لِمَرَاكِزِ الْعُمْرَانِ الفِلَسْطِينِيِّ فِي مُحَافَظَةِ جِنِين، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، ١٠(٢).

ـــ مَعْرُوف، فَوْزِي، (أيَّار٢٠٠٠م)، أشْكَالُ حُضُورِ الْمُتَنَبِّي فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ، **مجلَّة المَوْقف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣٤٩).

ـــ مَعْرُوف، فَوْزِي، (رَبِيع/صَيْف٢٠٠١م)، فِي الْمُوَاجَهَةِ الثَّقَافِيَّةِ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب، (١٣/١٤).

ـــ بو معزة، رَابح، (يُونيُو٢٠٠٥م)، تَحْلِيلُ الْبِنْيَةِ الْعَمِيقَةِ لِلنَّصِّ الأَدَبِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٦).

ـــ المقداد، د. قَاسِم، (صَيْف١٩٩٨م)، حَوْلَ بَعْضِ أَشْكَالِ الْغَزْوِ الثَّقَافِيِّ لِلْوَطَنِ الْعَرَبِيِّ، **مجلَّة الفِكْر السِّياسيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣).

ـــ مِقْدَاد، د. مُحمَّد إبْرَاهِيم وَالكحلوت، خَالِد عُمَر، (يَناير ٢٠٠٩م)، وَاقِعُ الإِيــرَادَاتِ وَالنَّفَقَــاتِ الْجَارِيَةِ لِلسُّلْطَةِ الْوَطَنِيَّةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فِي ظِلِّ الْمُعوِّقات الإِسْرَائِيلِيَّةِ، **مَجلَّة الجَامِعَــة الإســلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٧(١).

ـــ مقدادي، د. مُحمَّد، (صَيْف ٢٠٠٤م)، الْعَوْلَمَةُ وَأَثَرُهَا فِي الثَّقَافَةِ، **جَرَش الثَّقَافِيَّة**، (١).

ـــ الملا، أُسَامَة، (مَارس ٢٠٠١م)، "الغذاميَّةُ ... خِطَابٌ فِي الــشَّعْرَنَةِ"، **عَلامَــات فــي النَّقْــد**، ١٠(٣٩).

ـــ المنادي، أحْمَد، (مَايُو ٢٠٠٧م)، النَّصُّ الْمُوَازِي: آفَاقُ الْمَعْنَى خَارِجَ النَّصِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦١).

ـــ المناصرة، حُسيْن، (يُونيُو ٢٠٠٤م)، الْحَجَرُ بَيْنَ التَّرْمِيزِ وَالأَسْطَرَةِ، **عَلامَــات فــي النَّقْــد**، ١٣(٥٢).

ـــ مُنِير، ولِيد، الْمَوْتُ الأَلِيفُ أَوْ شِعْرِيَّةُ الْوُجُودِ الْمُلْتَبِس ـــ دِرَاسَةٌ في "جِدَارِيَّةِ" مَحْمُود دَرْوِيش، **مَجلَّة نزوى**، (٥٨).

ـــ الموافي، مُحمَّد عبد العَزيز، (سِبتمْبر ٢٠٠٥م)، جَدَلِيَّةُ الشِّعْرِ وَالْفَلْسَفَةِ، **عَلامَات فــي النَّقْــد**، ١٥(٥٧).

ـــ مُوسَى، إبْرَاهِيم نمر، (فبراير ٢٠٠٨م)، نحو تَحْدِيدِ الْمُصْطَلَحَاتِ ـــ التَّناصّ .. الأَدَب المُقَارَن .. السَّرِقَات الشِّعْرِيَّة، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦٤).

ـــ المُوسَى، د. خَلِيل، (نِيسَان ١٩٩٩م)، بِنْيَةُ الْقِنَاعِ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُعَاصِرَةِ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتِّحَاد الكُتَّاب العَرَب بِدِمَشْق، (٣٣٦).

ـــ الموسويّ، مُحْسِن جَاسِم، (دِيسمْبر ١٩٩٧م)، الْمُقَارَنَةُ وَالتَّنَاصُّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٧(٢٦).

ـــ ميعاري، مَحْمُود، (٢٠٠١م)، اتّجَاهَاتُ الْجُمْهُورِ الْفِلَسْطِينِيِّ نَحْــوَ الدِّيمقرَاطِيَّــةِ الــسِّيَاسِيَّةِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الاجتماعيَّة وَالإنسانيَّة، ٢٨(١).

ـــ نَاصِيف، عبد الكَرِيم، (آب٢٠٠٣م)، الأَدَبُ وَالسِّيَاسَةُ، **مجلَّة المَوْقِف الأدبيِّ**، يُصدِرها اتّحَــاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣٨٨).

ـــ نُزُولُ عِشْتَار إلى الْعَالَم السُّفْلِيِّ، تَرْجَمة: سَلْمَان التَّكْرِيتِيّ، **مجلَّة التُّرَاث الشَّعْبِيّ**، (١١).

ـــ نقرش، عبد الله، (٢٠٠٥م)، إِشْكَالِيَّةُ التَّنْمِيَةِ السِّيَاسِيَّةِ فِي الْعَالَم الْعَرَبِيِّ: "مُقَارَبَــةٌ نَظَرِيَّــةٌ"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(٣).

ـــ النَّقْشبنديّ، بَارعَة، (٢٠٠٥م)، الدَّوْرُ السِّيَاسِيُّ لِلْمَرْأَةِ الفِلَسْطِينِيَّةِ فِي السِّلْم وَالْحَرْبِ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٣٢(١).

ـــ الهزايمة، خَالِد مُحمَّد، (١٩٩٧م)، ظَاهِرَتَا التَّضْمِينِ وَالاقْتِبَاسِ فِي شِعْرِ ابن عَنِين الأنصاريِّ ـــ دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٤(١).

ـــ الهويمل، حَسَن بن فَهْد، (يُونيُو٢٠٠٤م)، قَصِيدَةُ النَّثْرِ وَإِشْكَالِيَّةُ الشَّكْلِ وَالشَّرْطِ، **عَلامَات فِي النَّقْد**، ١٣(٥٢).

ـــ هياجنة، عَدْنَان مُحمَّد، (١٩٩٩م)، قَضَايَا مَنْهَجِيَّةٌ فِي تَفْسِيرِ ظَاهِرَةِ الْعُنْفِ السِّيَاسِيِّ: "دِرَاسَــةٌ نَقْدِيَّةٌ"، **دِرَاسَات**، العُلُوم الإنسانيَّة وَالاجتماعيَّة، ٢٦ (١).

ـــ هَيْكَل، مُحمَّد حَسَنِين، (شِــتَاء١٩٩٤م)، الاتِّفَــاقُ الْفِلَــسْطِينِيُّ ـــ الإِسْــرَائِيلِيُّ: الْخَلْفِيَّــاتُ، وَالإِشْكَالِيَّاتُ، وَالنَّتَائِجُ، **قِرَاءَات سِيَاسِيَّة**، ١٣(١).

ـــ وطفة، د. عَلِيّ أَسْعَد، (صَيْف١٩٩٨م)، بَيْنَ السُّلْطَةِ وَالتَّسَلُّطِ: دِرَاسَةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ، **مجلَّــة الفِكْــر السِّيَاسِيِّ**، يُصدِرها اتّحَاد الكُتَّاب العَرَب بدِمَشق، (٣).

ـــ وغليسي، يُوسُف، (فبراير٢٠٠٨م)، مُصْطَلَحُ [الانْزِيَاح] بَيْنَ ثَابِتِ اللُّغَةِ الْمِعْيَارِيَّةِ الْغَرْبِيَّةِ وَمُتَغَيِّرَاتِ الْكَلامِ الأُسْلُوبِيِّ الْعَرَبِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٦(٦٤).

ـــ الوَلِيد، يَحْيَى، (مَارس٢٠٠٥م)، مُلاحَظَاتٌ حَوْلَ النَّقْدِ الثَّقَافِيِّ لِعبدِ اللهِ الْغَذَامِيِّ، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٤(٥٥).

ـــ ويس، أَحْمَد مُحمَّد، (يَنَاير/ مَارس١٩٩٧م)، الانْزِيَاحُ وَتَعَدُّدُ الْمُصْطَلَح، **عَالَم الفِكْر**، ٢٥(٣).

ـــ يحياوي، رَشِيد، (مَايُو١٩٩٩م)، قَصِيدَةُ النَّثْرِ ـــ مُغَالَطَاتُ التَّعْرِيفِ، **عَلامَات في النَّقْد**، ٨(٣٢).

ـــ يحياوي، رَشِيد، (سِبتمْبر٢٠٠٠م)، الْمُتَنَبِّي شَاعِرٌ ـــ رَدٌّ عَلَى مَقَالِ رَاشِدِ المُبَارَك، **عَلامَات في النَّقْد**، ١٠(٣٧).

ـــ يَعْقُوب، د. نَاصِر، (٢٠٠٨م)، قَصِيدَةُ الْقِنَاع: قِرَاءَةٌ فِي قَصِيدَةِ "رِحْلَةِ الْمُتَنَبِّي إِلَى مِصْرَ" لِمَحْمُود دَرْوِيش، **مَجلَّة جَامِعَة دِمَشق**، ٢٤(٣/٤).

ـــ يُوسُف، د. أَيْمَن طَلال وَصَافِي، د. خَالِد مُحمَّد، (يُونيه٢٠٠٧م)، التَّفَاعُلُ الإِيجَابِيُّ بَيْنَ الْمُثَقَّفِ الْعَرَبِيِّ وَقَضَايَا الْوَطَنِ وَالأُمَّةِ: إِدْوَارد سَعِيد وَالْقَضِيَّةُ الْفِلَسْطِينِيَّةُ أنموذجًا، **مَجلَّة الجَامِعَة الإسلاميَّة**، سِلْسلة الدِّرَاسَات الإنسانيَّة، ١٥(٢).

ـــ الْيُوسُفِيّ، مُحمَّد لُطْفِي، (يَنَاير١٩٩٦م)، أَسْئِلَةُ الشِّعْرِ وَمُغَالَطَاتُ الْحَدَاثَةِ، **مَجلَّة نزوى**، (٥).

ـــ الْيُوسُفِيّ، مُحمَّد لُطْفِي، (إبريل٢٠٠٢م)، الْمُتَنَبِّي وَمَكْرُ الرُّوَاةِ وَثَارَاتُ الشِّعْرِ، **مَجلَّة نزوى**، (٣٠).

ثالِثًا: ثَبَتُ الرَّسَائِلِ الْجَامِعِيَّةِ:

ـ إبْرَاهِيم، مُنَى إبْرَاهِيم مُوسَى، (٢٠٠٧م)، **مُقَدِّمَةُ الْقَصِيدَةِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِمِيَّة، الزَّرْقاء، الأُرْدن.

ـ إبْرَاهِيم، نَاصِر عَلِيّ، (٢٠٠٠م)، **بِنْيَةُ الْقَصِيدَةِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأُرْدنيَّة، عمَّان، الأُرْدن.

ـ أورنة، سَمَاح عَدْنَان، (٢٠٠٤م)، **التَّلَقِّي الْجَمَالِيُّ فِي النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْقَدِيم ـ شِعْرُ الْمُتَنَبِّي نموذجًا فِي الْقَرْنَيْنِ الرَّابِع وَالْخَامِسِ الْهِجْرِيَيْنِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة دِمَشق، دِمَشق، سوريا.

ـ البواب، هَنَاء عَلِيّ حُسيْن، (٢٠٠٧م)، **الدَّلالَةُ السِّيَاقِيَّةُ لاسْمِ التَّفْضِيلِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِمِيَّة، الزَّرْقاء، الأُرْدن.

ـ جَابر، نَاصِر يُوسُف إبْرَاهِيم، (٢٠٠٠م)، **الْمُفَارَقَةُ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ ـ مَحْمُود دَرْوِيش، أَمَل دنقل، سَعْدِي يُوسُف، نموذجًا**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأُرْدنيَّة، عمَّان، الأُرْدن.

ـ جديتاوي، هَيْثَم مُحمَّد قَاسِم، (٢٠٠٦م)، **الْبِنَاءُ الدِّرَامِيُّ فِي الْقَصِيدَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ مِنْ بَشَّار بن بُرْدٍ إِلَى الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبِد، الأُرْدن.

ـ الْجُهَنِيّ، سَنَد عَلِيّ صَلاح، (١٤٢٩/١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٨/٢٠٠٩م)، **قَصِيدَةُ الرِّثَاءِ عِنْدَ الْمُتَنَبِّي ـ الرُّؤْيَةُ وَالأَدَاةُ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أُمِّ القُرَى، مكَّة المُكرَّمة، السُّعوديَّة.

ـ جُوخَان، إبْرَاهِيم عقلة، (٢٠٠٦م)، **التَّنَاصُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبِد، الأُرْدن.

ــ الخَطِيب، نَائِلَة أحْمَد عِيسَى، (أيَّار ٢٠٠٦م)، **صُورَةُ الْحَاكِمِ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي**، رسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الهَاشِمِيَّة، الزَّرْقاء، الأَرْدن.

ــ الزَّهْرَانِيّ، جُمْعَة بنت سفر سَعِيد، (١٤١٧هــ/١٩٩٧م)، **الإِنْسَانُ فِي رُؤْيَةِ ابــنِ الرُّومِــيِّ وَالْمُتَنَبِّي بَيْنَ الْمَدْحِ وَالْقَدْحِ**، رسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أُمِّ القُرَى، مكَّــة المُكرَّمــة، السُّعوديَّة.

ــ زِينُو، إِبْرَاهِيم عَلِيّ، (٢٠٠٣م)، **الظَّوَاهِرُ اللُّغَوِيَّةُ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ تَأْثِيلِيَّــةٌ فِــي ضُوءِ لُغَاتِ الشَّرْقِ الْقَدِيمِ**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة دِمَشق، دِمَشق، سوريا.

ــ السَّالِم، دَعْد يُونُس، (٢٠٠٨م)، **مَنَاهِجُ النُّــقَّادِ الْعَرَبِ فِي دِرَاسَةِ سَرِقَــاتِ الْمُتَنَبِّي ــ ابــن وَكِيعِ التِّنِّيسِيّ أنموذَجًا**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة البَعْث، حِمْص، سوريا.

ــ سَلامَة، مُحمَّد مُحمَّد عَوْدَة، (٢٠٠١م)، **صُورَةُ السُّلْطَةِ وَعَلاقَتُهَا بِــالتَّوَافُقِ النَّفْــسِيِّ لَــدَى الْعَامِلِينَ بِالدَّوْلَةِ ــ دِرَاسَةٌ دِينَامِيَّةٌ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة عَيْن شَمْس، مِصْر.

ــ شَاكِر، تَهَانِي عبد الفَتَّاح، (٢٠٠٣م)، **مَحْمُود دَرْوِيش نَاثِرًا**، رسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْــشُورة، الجَامِعَة الأَرْدنيَّة، عمَّان، الأَرْدن.

ــ أَبُو شَرَار، ابْتِسَام مُوسَى عبد الكَرِيم، (٢٠٠٧م)، **التَّنَاصُّ الدِّينِيُّ وَالتَّارِيخِيُّ فِي شِعْرِ "مَحْمُود دَرْوِيش"**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة الخَلِيل، الخَلِيل، فلسطين.

ــ الشّيخ، حَفِيظَة صَالِح نَاصِر، (شباط١٩٩٦م)، **مَعْنَى الْمَعْنَى عِنْدَ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّــي بَــيْنَ السَّيْفِيَّاتِ وَالْكَافُورِيَّاتِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إِرْبِد، الأَرْدن.

ــ عبَّاسيّ، عبد القَادِر، (٢٠٠٦/٢٠٠٧م)، **انْفِتَاحُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ الْحَدِيثِ بَيْنَ الْكِتَابَةِ وَالْقِرَاءَةِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة الحَاجّ لخضَر، باتنة، الجَزَائِر.

ــ عبيد، كَرِيم، (٢٠٠٥م)، **مَحْمُود دَرْوِيش فِي مِرْآةِ النَّقْدِ الْعَرَبِيِّ الْمُعَاصِرِ**، رِسَالَة مَاجِستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة دِمَشق، دِمَشق، سوريا.

ــ عتوم، مَهَى مَحْمُود، (د. ت)، **تَحَوُّلاتُ الْمَكَانِ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش ــ مَرْحَلَةُ مَا بَعْدَ بَيْرُوت (١٩٨٣ – ١٩٩٥م)**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة اليَرْمُوك، إرْبِد، الأُرْدن.

ــ العرفج، أَحْمَد عبد الرَّحْمَن حُسيْن، (١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)، **شِعْرُ الشَّكْوَى عِنْدَ الْمُتَنَبِّي**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة أُمِّ القُرَى، مكَّة المُكرَّمة، السُّعوديَّة.

ــ عنبتاويّ، غَازِي مُحمَّد، (حُزَيْرَان١٩٦٠م)، **بَلاطُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَأَثَرُهُ فِي الْحَيَاةِ الأَدَبِيَّةِ**، رِسَالة مُقدَّمة للحُصُول على دَرَجة "أستاذ في الأَدَب" (مَاجستِير)، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان.

ــ عَوَض، رِيتَّا، (آذار١٩٧٤م)، **أُسْطُورَةُ الْمَوْتِ وَالانْبِعَاثِ فِي الشِّعْرِ الْعَرَبِيِّ الْحَدِيثِ**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان.

ــ العيس، مُصْطَفى، (٢٠٠٠م)، **أَثَرُ الْمُتَنَبِّي فِي أَعْلامِ الشِّعْرِ الأَنْدَلُسِيِّ**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة حَلَب، حَلَب، سوريا.

ــ أَبُو غَيْث، أَسْمَاء غَيْث، (١٩٩٩م)، **صُورَةُ الْعَدُوِّ فِي شِعْرِ مَحْمُود دَرْوِيش**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأُرْدنيَّة، عمَّان، الأُرْدن.

ــ كرم، أنطوان، (١٩٤٧م)، **الرَّمْزِيَّةُ وَالأَدَبُ الْعَرَبِيُّ الْحَدِيثُ**، رِسَالة مَاجستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان.

ــ لَبَابيديّ، سَوْسَن أَحْمَد، (٢٠٠٠م)، **أَثَرُ مَذْهَبِ أَبِي تَمَّامٍ فِي شِعْرِ الْمُتَنَبِّي ــ دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ**، رِسَالة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، جَامِعَة حَلَب، حَلَب، سوريا.

ـ لمزري، مُفِيدَة (د. ت)، **مُسَاهَمَةُ الشَّعْبِ فِي السُّلْطَةِ مِنْ خِلالِ النِّظَامِ الْحِزْبِيِّ فِي الْجَزَائِـــر**، رِسَالَة مَاجستِير غير مَنْشُورة، جَامِعَة العَقِيد الحَاجّ لخضر، باتنة، الجَزَائِر.

ـ المصريّ، عِيسَى عبد الشَّافِي إبْرَاهِيم، (٢٠٠٦م)، **الْعَلاقَةُ بَيْنَ الإبْدَاع وَالسُّلْطَةِ فِـــي شِــعْرِ الْعَصْرِ الْعَبَّاسِيِّ الأوَّلِ ــ دِرَاسَةٌ ثَقَافِيَّةٌ**، رِسَالَة دُكْتُورَاة غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأُرْدنيَّة، عمَّان، الأُرْدن.

ـ وَلِيد، بِلال، (حُزَيْرَان٢٠٠٣م)، **مَلامِحُ الأدَبِ الْعَرَبِيِّ فِي قُصُورِ الْبُوَيْهِيِّينَ**، رِسَالَة مَاجــستِير غير مَنْشُورة، الجَامِعَة الأمريكيَّة، بَيْرُوت، لُبْنَان.

رابِعًا: ثَبَتُ النَّدواتِ:

ــ الأسَد، أ. د. نَاصِر الدِّين، (٢٠٠٦م)، شَاعِرًا فِلَسْطِينَ إِبْرَاهِيم وَفَدْوَى طُوقَان، **نَدْوَتَانِ نُظِّمَتَا مِنْ مُؤَسَّسَةِ عبد الحَمِيد شُومَان**، عمَّان، مُؤَسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان، نَدْوَة إِبْرَاهِيم طُوقَان: السَّبْت (٢٤/ ٩/ ٢٠٠٥)م، نَدْوَة فَدْوَى طُوقَان: السَّبْت (١٧/ ١/ ٢٠٠٤)م، عمَّان: مُؤَسَّسة عبد الحَمِيد شُومَان وَبَيْرُوت: المؤَسَّسة العَرَبيَّة للدِّرَاسَات وَالنَّشْر.

ــ الرَّايس، حيَاة، (١٩٩٥م)، دَوْرُ الْمُثَقَّفِ فِي إرْسَاءِ الْمَشْرُوع الثَّقَافِيِّ الْعَرَبِيِّ، **نَدْوَة وَحْدَةِ الثَّقَافَةِ الْعَرَبِيَّةِ**، عمَّان، "١٠ ــ ١٢ كَانُون الأوَّل (دِيسمْبر)، ١٩٩٣م"، مَنْشُورات الاتِّحَاد العَامِّ للأدَبَاء وَالكُتَّاب العَرَب.

ــ الغذاميّ، عبد الله، (٢٠٠٣م)، النَّقْدُ الثَّقَافِيُّ وَالنَّقْدُ النِّسْوِيُّ، **الْمُؤْتَمَرُ الدَّوْلِيُّ الثَّانِي لِلنَّقْدِ الأدَبِيِّ**، النَّقْدُ الأدَبِيُّ عَلَى مَشَارِفِ الْقَرْنِ (٢)، القَاهِرة، نُوفَمبر ٢٠٠٠م، (ط١)، القَاهِرة: مَطَابِع المَنَار العَرَبِيّ.

خَامِسًا: ثَبَتُ الصُّحُفِ:

ـ سَعْد مُحمَّد رَحِيم، **الطَّرِيقُ الثَّقَافِيُّ ـ الْمُثقَّفُ وَمُعَادلَةُ السُّلْطَةِ الْمَعْرِفَــةِ**، صَــحِيفَة طَرِيــق الشَّعْب، "الجَرِيدَة المَرْكزيَّة للحِزْب الشُّيوعيِّ العِرَاقيِّ"، العِــرَاق، ع١٧٣، الإثنــين، ٥ أَيَّــار، ٢٠٠٨م.

ـ مَحْمُود دَرْوِيش: **عَلَى مَحَطَّةِ قِطَارٍ سَقَطَ عَنِ الْخَرِيطَــةِ**، صَحِيفَة الدُّسْتُور، عمَّان، الأَحَد، ١٣ جُمَادَى الأُولَى ١٤٢٩ هــ ، المُوَافِق ١٨ أَيَّار ٢٠٠٨م.

سَادِسًا: ثَبَتُ الْبَرَامِجِ التّلفزيُونِيَّةِ:

ــ عبد اللَّطِيف، كَمَال، (المُنسِّق العَامُّ للمَجْلِس القَوْميِّ للثَّقَافَة العَرَبيَّة في الرِّبَاط) وَالجَمَل، يَحْيَى، (أكاديميٌّ وكَاتِبٌ سياسيٌّ مِصْرِيٌّ) وَبرهانة، عَلِيّ، (مُدِير المركز الوَطَنيِّ للمَأثُورَات الشَّعْبيَّة في لِيبيَا)، **الْمُثَقَّفُونَ وَالسُّلْطَةُ فِي الْبِلادِ الْعَرَبِيَّةِ**، برنامج "حِوَار مَفْتُوح"، تَقْدِيم: غسَّان بن جدُّو، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، السَّبْت ٢٤/٤/٢٠١٠م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

ــ كنانة، د. عَلِيّ نَاصِر، (بَاحِثٌ وَشَاعِرٌ عِرَاقِيٌّ)، **حِوَارٌ حَوْلَ الْمُثَقَّفِ وَالسُّلْطَةِ**، برنامج "حَدِيث الصَّبَاح"، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء ١ / ٧ / ٢٠٠٨م، السَّاعَة ٦ ــ ٧ صباحًا.

ــ كُوستَا، أنطُونيُو مَاريا، (مُسَاعِد الأَمِين العَامِّ للأُمَم المُتَّحِدَة)، **مَسْؤُولِيَّةُ الأُمَمِ الْمُتَّحِدَةِ عَنْ مُكَافَحَةِ الْفَسَادِ**، برنامج "بِلا حُدُود"، تَقْدِيم: أَحْمَد مَنْصُور، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء، ٣/ ٢/ ٢٠١٠م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

ــ لابيل، هُوجِيت، (رَئِيسَة مُنظَّمة الشّفافيَّة الدَّوْليَّة)، **أَسْبَابُ تَفَشِّي الْفَسَادِ فِي الْعَالَمِ الْعَرَبِيِّ**، برنامج "بِلا حُدُود"، تَقْدِيم: أَحْمَد مَنْصُور، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الأربعاء، ٩/ ١٢/ ٢٠٠٩م، السَّاعَة (١٠,٠٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

ــ اليزل، سَامِح سَيْف، (ضَابِطٌ سَابِقٌ في المُخَابَرَات المِصْرِيَّة)؛ وَأَبُو داود، مُحمَّد عَوْدَة، (أحد مُخطِّطي وَمُنفِّذي عمليَّة مُيونيخ)؛ وَأَبُو فَخْر، صَقْر، (كَاتِبٌ وَمُتخصِّصٌ في الشُّؤُون الفلسطينيَّة)، **الْمُوسَادُ قَلْعَةُ التَّجَسُّسِ الإِسْرَائِيلِيَّةُ**، برنامج "الملفّ"، تَقْدِيم: سَامِي كليب، قَنَاة الجَزِيرَة، قَطَر، الجُمْعَة ٩/٤/٢٠١٠م، السَّاعَة (١٠,٥ ــ ١١,٠٠) ليلاً.

سَابِعًا: ثَبَتُ الْمَوَاقِعِ الإلكترُونِيَّةِ:

ــ الأَسْطَة، د. عَادِل، مَحْمُود دَرْوِيش وَالْمُتَنَبِّي، (www.diwanalarab.com)، **دِيوَان العَرَب**، مجلَّة أدبيَّة فكريَّة ثقافيَّة اجتماعيَّة، ١٠ شباط (فبراير)، ٢٠٠٩م.

ــ بَوَّابَة عَجِيب، صَخْر، **الْمُتَنَبِّي**، (www.almotanaby.sakhr.com).

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (www.adab.com)، **المَوْسُوعَة العَالَميَّة للشِّعْر العَرَبِيِّ**، (قسم فلسطين، مَحْمُود دَرْوِيش، خُطَب الدّكتاتُور المَوْزُونَة).

ــ دَرْوِيش، مَحْمُود، (www.aleftody.info)، **مَوْقِع مجلَّة ألف**، أُضِيفَتْ بِتَارِيخ ١١/ ٣/ ٢٠٠٩م، (شِعْر مُعَاصِر، خُطَب الدّكتاتُور المَوْزُونَة).

ــ الصَّفَدِيّ، بَيَان، **مَحْمُود دَرْوِيش عَلَى خُطَى الْمُتَنَبِّي**، (www.al-arabeya.net)، العَرَبيَّة للصَّحَافَة، بتاريخ السَّبْت ٣٠/٥/٢٠٠٩ (مَقَالات، قسم مَحْمُود دَرْوِيش، المَقَالَة ١٢).

ــ الصَّفَدِيّ، بَيَان، **مَحْمُود دَرْوِيش عَلَى خُطَى الْمُتَنَبِّي**، (www.alquds.co.uk)، القُدْس العربيّ، بِتاريخ الخَمِيس ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩م، (الأَرْشِيف).

ــ مسعد، جُوزِيف: **نِدَاءٌ إلَى مَحْمُود دَرْوِيش**، صَحِيفَة الأَخْبَار الإلِكترُونِيَّة، عَدَد الإثنين، ٢١ نِيسَان، ٢٠٠٨م، (www.al-akbar.com).

ــ مشارقة، تَيْسِير: **نَقْدٌ بَصَرِيٌّ للأَدَب ــ أَنْتَ مُنْذُ الآنَ غَيْرُك لِمَحْمُود دَرْوِيش**، نقلاً عن المَوْقِع الإلكترونيِّ: (www.mashareqa-maktoobblog.com).

ــ **مَوْقِع بِلاد** ــ مُدَوَّنَة مكْتُوب (www.bilad-13.maktoobblog.com)، بِتَارِيخ: الأربعاء، ٢٠ حُزَيْرَان، ٢٠٠٧م.

ــ **مَوْقِع الشَّاعِرِ الفلسطينيِّ مَحْمُود دَرْوِيش،** (www.darwish.ps)، (قَالُوا عــن دَرْوِيــش)؛ (كتبوا عن دَرْوِيش).

ــ **مَوْقِع الشَّاعِرِ مَحْمُود دَرْوِيش،** (www.mahmouddarweesh.org)، قسم النَّقْد الأدبـــيّ، بتاريخ الإثنين, ٢٥ مَايُو/أيَّار ٢٠٠٩م.

ــ **مَوْقِع الشَّاعر مَحْمُود دَرْوِيش،** (www.darwesh.4fun4.net)، (مَاذَا قَالُوا).

ــ **مَوْقِع الْمُتَنَبِّي،** (www.almotanabbi.com)، (مَقَالات عن المُتنبِّي).

ــ **مَوْقِع مَحْمُود دَرْوِيــش،** (www.mahmouddarwish.com)، (مَقَــالات عــن مَحْمُــود دَرْوِيش).

ــ **مَوْقِع مَحْمُود دَرْوِيش،** (www.mahmoud-darwish.com)، (مَقَالات وَمُدَوَّنَات الزُّوَّار).

ــ اليُوسُف، إبْرَاهِيم، **فِي الذِّكْرَى الثَّانِيَةِ عَلَى رَحِيلِهِ، مَحْمُود دَرْوِيش: أَتَعَلَّمُ مِنْ قَصِيدَةِ النَّثْــر،** المَوْقِع الإلكترونيّ لِمجلَّة الخَلِيج، (www.alkhaleej.ae)، السَّبْت، ٧/ ٨/ ٢٠١٠م.

ثامنًا: ثبَتُ الْمرَاجعِ وَالرَّسَائِلِ الْجَامِعِيَّةِ بِاللُّغَةِ الإنجلِيزِيَّةِ:

أ ــ ثبَتُ الْمرَاجعِ:

- Benedict, Ruth ,(1887), (1949), **Patterns of culture**, (fifth ed), USA: The New American Library of World Literature.

- Bentwich, Norman , (1976), **Fulfilment in the Promised Land 1917-1937**, (2 ed), USA: Hyperion reprint edition.

- Carter, April, (1979), **Authority and Democracy**, (1st ed), London: Routledge & Kegan Paul.

- Cattan, Henry, (1969), **Palestine, the Arabs and Israel; the search for justice**, (1st ed), London: LONGMANS, GREEN AND CO. LTD.

- Cattan, Henry, (June1971), **The Palestine problem in a nutshell**, (without ed), Beirut: Palestine Liberation Organization Research Center.

- Cattan, Henry, (1988), **The Palestine question, London**, (without ed), New York : Croom Helm Ltd.

- (1970), **Christians, Zionism and Palestine: a selection of articles and statements on the religious and political aspects of the Palestine problem**, (without ed), Beirut: The Institute for Palestine Studies.

- Darwish, Mahmoud, (April1974), **Palestinian Leaders Discuss the New Challenges for the Resistance – Palestine Essays No. 42**, (without ed), Beirut: Palestine Research Center.

- Powys, John Cowper, (1939), **The meaning of culture**, (2ed), New York: W. W. NORTON & COMPANY, INC.

- Said, Edward ,(2003), (1994), **Culture and imperialism**, (2ed), London: Vintage.

- Sennett, Richard, (1980), **Authority**, (1st ed), London: Martin Secker & Warburg Limited.

ب ــ ثَبَتُ الرَّسَائِلِ الْجَامِعِيَّةِ:

- Abu Awdah, Taysir Yusuf ,(2009), **The concept of identity in the works of Edward Said and Mahmoud Darwish**, Unpublished Master, Unvercity of Jordan.

THE DIALECTIC OF INTELLECTUAL AND AUTHORITY IN LITERARY DISCOURSE
AL- MUTANABI AND MAHMUD DARWISH: ACASE STUDY

BY

Taha Ghaleb Abdul Rahim Taha

SUPERVISOR

Dr. Khaled Abdel-Aziz Suleiman Al-karki, Prof.

ABSTRACT

This study presents a theoretical preparation for the entire visions of dialectic through the first chapter which includes two sections. The first one states 'The formal sphere of the study', while the second tackles 'The frame of substantive core'.

The first section has tackled four main headings: 'Aspects of dialectical relationship between the intellectual and power', 'The position of Al-Mutanabi and Mahmoud Darwish in relation to the dialectic', 'A reading in the concept of intellectual in terms of language and idiomatic expression' and 'A reading in the concept of power in terms of language and idiomatic expression'.

The first heading has comprised the concepts of: 'The Ego and the Other'. The ego is manifested through two dimensions: 'I am self-cultural' and 'I am Holistic self'. The other is also manifested through two dimensions: 'The individual or holistic self', and the 'other the political'.

The second heading has demonstrated both Al- Mutanabi's and Darwish's status in relation to the dialectic. The other two headings; (three and four) are highlighting two domains; namely 'Iinguistic study' and 'idiomatic interpretation'.

Six headings have been tackled through the second section to highlight the six features of power or authority. Put in priority, these features are: religious authority, social power, economic power, intellectual and cognitive power, cultural authority and political power.

Through two other chapters, a chart of analysis is represented for the dialectic: the dialectic of the intellectual and power in literary discourse for both Al-Mutanabi and Mahmoud Darwish.

The first chapter was devoted to represent the 'different images of authoritarian ego in literary discourse', as imbedded in the images of; religious ego, social ego, economic ego, intellectual and cognitive ego, cultural ego and political ego. The second chapter was directed to represent the 'authoritarian images of the other in literary discourse', and these images are depicted as follow; the other – the religious, the other – the social, the other – the economic, the other – the cognitive and intellectual, and the other – the cultural.

In his study of these issues, the researcher has adopted one approach represented by their partition into three sections; the first one studies the manifestations of these titles in the forms of Almutanabees poetry, the second one is concerned in applying the same analytical approach on the literary discourse of Mahmoud Darwish. Thirdly and finally holding a balance, in a brief, between Al-Mutanabi and Mahmoud Darwish. Taking into consideration that these sections have included six headings parallel to those understudies in each chapter.

The study was accompanied with asummary; included the most important results as well as recommendations together with the bibliography and list of references, published researches, newspapers, in addition to seminars, conferences and web sites.

The researcher has also employed several approaches in this study such as: the descriptive approach, the survey method, the historical approach, the approach-back method, the reasoning 'deductive' method, and the inductive approach. The researcher has also benefited from the methodology in literary study frames, such as; cultural, social, psychological, legendary, structural, stylistic, and aesthetic criticism according to the integrative methodology.